تغريدة السيرة النبوية

شعراً ونثراً

تأليف

فضيلة الشيخ / محمد عايش عبيد
مدرس بالمعهد الديني بالعريش

١ - ٢

دار ابن خلدون

تغريدة السيرة النبوية

شعراً ونثراً

تأليف

فضيلة الشيخ: محمد عايش عبيد
مدرس بالمعهد الديني بالعريش

الجزء الأول

مكتبة
دار التراث
٢٢ شارع الجمهورية ـ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

اهـــداء

انه ليسعدنى ويزيدنى شرفا، أن أقدم كتابى هذا «تغريدة السيرة النبوية» هدية إلى أسمى مقام .. إلى خير خلق الله قاطبة محمد عليه الصلاة والسلام .. الذى أفخر وأشرف بصياغة سيرته العطرة شعرا .. ولا غرو فهو أستاذى الأول والوحيد.

١ لكَ يا رسولَ اللهِ منى هذه تغريــدتى
٢ أَوْدَعْتُها مكنون صدرى بل عُصارةَ فكرتى
٣ أشْدُو بها فى حبّكم ذاك الذى هو شِرْعتى
٤ أهديتُها لك كى أعبّرَ عن صفاءِ محبتــى
٥ قد كان حبُّكَ غايتى وبِهِ نَظمتُ قصيدتى
٦ وزناً ونظماً صغْتُها كى أسْتَمِيلَ عشيرتى
٧ إن يقرءُوا لسطورها فازوا وتـلك إرادتـى
٨ كى يستمدّوا الْهدْى منك كما أصبْتُ هدايتى
٩ إنى أُقدمُهـا رجــاءَ أن أفُــوزَ بحاجتــى
١٠ يوم اللقـاءِ شَفاعـةً بلْ نجدَةً من محنتـى
١١ إنى أخافُ من الحسابِ أخافُ فيهِ فضيحتى
١٢ فلَعَلّ هذِى عند وزْنٍ أن تُرَجِّحَ كِفَّتـىْ
١٣ وعلى الصراط تكون نوراً حيثُ تهدى خُطوتى
١٤ ثم الْورودُ لِحَوْضِ كَوْثَرَ كَىْ أُروِّىَ غُلَّتى
١٥ هو حوضُكَ المورودُ لا يأْتِيه إلَّا إخوتى
١٦ فى جَنَّةِ الْفِرْدَوْس ذاك مُقام كلِّ أحبّتى
١٧ وهناك سَوْف نَرى إلَهْ العرش تِلكم غايتى
١٨ ذاك النعيم كذا الْخُلُودُ هناك أَلْقى راحتى
١٩ يا خَير خَلْقِ الله طُرّاً، هل قَبِلْتَ هديّتى؟!

محمد عايش عبيد

ضراعـــة

بقلم المؤلف

١ يارَبِّ أَهِّلْنـــى لِفَضْلِك واقْبَلـــنَّ ضراعَتـــى
٢ الذَّنْبُ أَثْقَلَ كاهِلِي هلْ أنتَ قابِلُ تَوْبَتى ؟!
٣ إِن كُنْتَ تَقْبَلُهَا فتِلْك بِغَيْر شَكٍّ طِلْبَى
٤ إِنِّى ضَعيفٌ فاعْطِنـــى مَدَداً يُؤَازِرُ قُوَّتى
٥ إِنِّى فَقِيرٌ فَاغْنِنى أَنْتَ الْوَلِىُّ لِنِعْمَتـــى
٦ وَامْنُنْ على قلْبى بِنُورٍ كى أَرَى بِبَصيرتى
٧ وَافْتح على عَقْلِي بعلم فيهِ مَحْوُ جَهالتى
٨ وَاشْرَحْ لصَدْرِى كَىْ يُضِيءَ وَتَسْتَقِيمَ مَسيرتى
٩ وَاحْلُلْ لِسَانِى عند سُؤْلٍ كى يُبِينَ بِحُجَّتى
١٠ ثم ارْضَ عَنّى يا إِلَهِى وَاغْفِرَنَّ خَطِيئَتى
١١ وَاجْعَلْ نَصِيبِى جنَّةَ الْفِرْدَوْس يوم قيامتى
١٢ حتى أَرَى لجلالِ وَجْهكَ وَلْتَتِمَّ سعادتى

تقديم

بقلم فضيلة الشيخ: صَلاح أبو اسماعيل
مدير العلاقات العامة بالأزهر الشريف

سرنى وأسعدنى أنى عرفت الأخ الكريم/ الاستاذ محمد عايش عبيد، فى ليلة سعدت فيها بلقاء السيد اللواء/ محمد عبد المنعم القرمانى محافظ سيناء سابقا، وذلك بمناسبة المسابقة التى أعلن عنها سيادته حول موضوع «ديمقراطية الاسلام» وهو العنوان الذى يحمله كتاب قيم للمرحوم الاستاذ/ عباس محمود العقاد.. وندب للتحكيم فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر، والدكتور كامل البوهى مدير اذاعة القرآن الكريم والدكتور كامل أبو العينين.. وشرفنى باختيارى ضمن أعضاء لجنة التحكيم.

ليلتها، أذهلنى الأستاذ محمد عايش عبيد بالمامه المحكم، وضبطه اليقظ لكل ما يتعلق بالسيرة النبوية، يستشهد بأحداثها، ويستنبط من وقائعها فى بديهية حاضرة وذكاء وألمعية.. ومن ثم فكان جديرا به أن يكون أول المتسابقين، وهو القرار الذى انتهت اليه بالفعل لجنة التحكيم.

لحظتها التفت الى هذا الفائز المتمكن بكل تقدير واعجاب، ودعوته الى أن يشرفنى زائرا لنتجاذب أطراف الحديث حول العوامل التى انتهت به إلى هذا التمكن الأخاذ.

وقد كان همزة الوصل بينى وبين الأخ محمد عايش هو الأخ الاستاذ أسعد الكاشف، الذى كان نعم الصديق بيننا.. وقد أعاننا على هذا لقاءات فى التليفزيون بحكم اشتراكنا معا فى البرامج الدينية.

وذات ليلة جاءلى الصديقان: عايش والكاشف، ومعهما مفاجأة أخرى جديدة، سماها «تغريدة السيرة النبوية»، وهى عبارة عن آلاف مؤلفة من أبيات الشعر الموضوعى الرشيق الهادف، لقد صاغ السيرة النبوية كلها شعرا.

ونحن نعلم أن الشعر لغة العاطفة، وأن الشاعر يتحدث عن فكرة ذاتية تتلون بلون عاطفته، فكيف استطاع الأستاذ محمد عايش أن يلتزم بموضوعية السيرة النبوية، وأن يؤدى هذه المهمة الضخمة على هذا المستوى الرفيع بنجاح عظيم؟

الواقع أنه لم يتكلف لهذا الموضوع عاطفة، فقد كان له من ايمانه العميق بالسيرة المطهرة، وصاحبها المصطفى الحبيب عليه الصلاة والسلام، ما فجر فى أعماقه ينبوعا فياضا صافيا، جعل شعره يتدفق رقراقا سلسالا عذبا سهلا ممتنعا، حتى بلغت تغريدته هذا النحو الذى يجده القارىء بين يديه.

ولا شك أن هذا العمل يمكن أن ينتفع به فى مجالات شتى، ولا سيما فى مجالات الغناء فى المواسم الدينية، والحفاوة بذكرى المولد النبوى الشريف.

وسوف يجد المنشدون فى هذه التغريدة القيمة ما ينشدونه، من جدية الموضوع، وحلاوة الكلمة، وانسجام النظم، وطلاقة القافية.

أزف الى القراء الكرام، هذا العمل الجليل، وأرجو أن تستمتع به العواطف المؤمنة، والمشاعر المتشوقة الى النبى العظيم عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات.

صلاح أبو اسماعيل

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد، سيد العرب والعجم أجمعين، وعلى آله وصحبه وبعد

لقد خلق الله الإنسان، ومنحه نعمتى العقل والبيان، ففضله بهما على سائر المخلوقات على الإطلاق دون استثناء، سوى الملائكة.

– منحه العقل ليستعمله فكراً وتفكيراً فى كل ما هو مبثوث فى أرجاء الكون، من خلق الله عز وجل، مما هو واقع تحت البصر، ومما هو محجوب عنه.. ومن خلال ذلك الاستعمال الفكرى، يستطيع الإنسان أن يرى عظمة الخالق العظيم، وقدرته التى لا حد لها ولا نهاية.

– وعلمه البيان، وهو القدرة على التعبير عما يحس به، ويجيش فى صدره، مما يراه بعينه ويدركه بعقله، من ثم فأفضل ما يهتف به اللسان تعبيراً وبيانا، هو الشكر لله عز وجل على ما أجزل من النعم، ولا غرو فهى فوق العد والحصر.. «وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار» جزء من الآية ٣٤ سورة ابراهيم

لذا فقد أردت مع اعترافى بالعجز عن ذلك، أن أؤدى الشكر لمولاى، على ما أجزل من النعم على شخصى الضعيف، هذا الشكر يتبلور جزء منه، فيما أودعته سطور هذا الكتاب الذى سميته «تغريدة السيرة النبوية».

هذا الكتاب، عصارة فكر عاش مع السيرة النبوية بأحداثها العظيمة، قراءة وتحليلًا، أعواماً طوالًا بأقلام الكثيرين، من قدامى ومعاصرين، عرب ومسلمين ومستشرقين، ومثلى فى هذا كمثل العطش الهيمان، يرد الماء فيشرب منه حتى يرتوى، فيصدر عنه وهو ريان، ثم يشعر بالظمأ فيهل بعد نهل مرة ومرات.. وهكذا لقد ظللت أنهل من ذلك المعين الصافى حتى ارتويت، بل شعرت كأن الرى يخرج من أظفارى.

بعد تلك الرحلة الطويلة مع أحداث السيرة العطرة، وصاحبها العظيم ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم، شعرت برغبة ملحة، فى الكتابة للناس، لاسيما عن السيرة العطرة وما استوحيته واستلهمته من أحداثها، فهى من طول معايشتى لها، صارت كأنها قد نقشت على صفحة قلبى بحروف من النور.

من واقع هذا الشعور، هممت أن أكتب للناس مترجماً ما يكنه صدرى، بيد

أننى شعرت بضعف قد انتابنى.. لذلك تعجبت من هذا التناقض العجيب.. شعور يلح على فى أن اكتب للناس، وشعور آخر ضده بالضعف عن الكتابة، فما هذا؟!.

أخيراً أدركت أن الشعور الأخير، مصدره شدة تعظمى واحترامى لشخص من عزمت الكتابة عنه ﷺ.. لقد وجدت نفسى كقزم ضئيل يريد أن يتسلق جبلًا شامخاً، فحينما يرنو ببصره نحو قمته يشعر بالضعف فتخونه قواه.. وبعد تردد طال، حزمت أمرى، واستجمعت قوّتى وقواى، وقررت أن أركب الصعب غير مبال بما سوف يصادفنى من عقبات خلال تلك الرحلة أو المهمة الشاقة، مادام ذلك فى سبيل ولأجل الحبيب محمد ﷺ، الذى ملأ حبه أقطار نفسى، وتوكلت على الله.

ما الدافع لتأليف هذا الكتاب

١ – رأيت السيرة النبوية قد أهملت دراستها وقراءتها معا، وأصبح الناس، معظم الناس لا سيما شبابنا المثقف، الذين هم عدة الحاضر وعمد المستقبل، يجهلون سيرة محمد ﷺ، بحيث استهواهم دراسة حياة بعض الشخصيات، وتأثروا بها مثل: ماركس ولينين وأرسطو وأفلاطون وأضرابهم!!!.

ولا غرو فهناك فرق كبير بين شاب وشاب: أحدهما قرأ السيرة النبوية وفهمها، وعرف كيف كان محمد ﷺ يمارس الحياة: فى بيته، فى مجتمعه، فى مسجده، فى قضاياه، فى علاقته بأصحابه، فى علاقته بالأمم الأخرى، فى قيادته لجيشه، لا يأنف من المناقشة فى الحق ولو مع أمرأة أو مع عبد، ينزل على الرأى الصائب وذلك فيما لم ينزل عليه فيه وحى من الله عز وجل.

ثانيهما لا يعرف عن رسول الله ﷺ، إلا أنه نبى فقط، وبالتالى فهو مؤيد بقوة غيبية تؤازره، فإذا ما صادفته مشكلة ما، فإن الله عز وجل يتولى حلها دونما أدنى جهد منه!!! وتلك لعمر الله أكبر خسارة مُنى بها المسلمون، منها أُتُوا، فمن ثم ضاع مجدهم، وانكمش ظلهم، وضعف سلطانهم.. وانطلاقاً من هذه المعانى نستطيع أن نقول إن الشاب الأول، يصلح أن يكون داعية ولاسيما للشباب، وربما شباب الأديان الأخرى، وبالتالى فلا خوف عليه من أن تصيبه سهام المبشرين، أو تغزوه أفكار أصحاب المذاهب الحديثة، بأساليبهم المغلقة التى استهوت السواد الأعظم من شبابنا مع الأسف.

وأما الشاب الثانى، فإنه لجهله بدينه فضلا عن جهله بسيرة محمد ﷺ،

سوف يكون صيداً سهل الإقتناص، لرماة السهام من المبشرين، ودعاة المذاهب الحديثة، التى تبدو فى ظاهرها دعوة للخير، بينما هى فى الواقع دعوة للشر والفساد.

٢ – تبينت أن الناس أعرضوا عن قراءة كتب السيرة النبوية القديمة لعدة أسباب

١ – لكبر حجمها

٢ – لأنها مصوغة باللغة العربية الفصحى بألفاظها الجزلة التى يحتاج القارىء معها إلى قاموس يرجع إليه عند كل جملة

٣ – لأن معظمها يعتمد على الشعر العربى القديم المملوء بغريب الكلم.

٣ – وأيضا أعرض الناس، أو كادوا يعرضون عن قراءة بعض الكتب التى تتناول جوانب من السيرة النبوية لبعض المؤلفين المعاصرين، ذلك لأنها ربما تشابهت فى الصياغة والأسلوب والأفكار أيضا.

كيفية صياغة هذا الكتاب؟!

لما تناولت قلمى لأخط أول السطور فى تلك الملحمة الفريدة، توقفت.. لماذا؟!

إننى لا أريد أن أكتب كما كتب الآخرون، وهم كثيرون، فالمطابع لا تنفك، كل يوم تقذف بالعديد من الكتب التى تتناول جوانب من السيرة النبوية العطرة.. فأنا لست مثلهم، فهم كلهم من محترفى الكتابة، فمن ثم تشابهت أساليبهم وأفكارهم.. أما أنا فلست محترفاً، بل عاشقاً ومحباً ومعجباً، لذلك أريد أن اكتب شيئاً جديداً عن رسول الله ﷺ، لم يسبقنى إليه أحد. فقررت متوكلا على الله، أن أقدم للدنيا كلها، سيرة محمد ﷺ شعراً، حينئذ سوف تكون بمثابةالتجديد لمزاج القراء، ولا غرو فالإنسان يستهويه كل موزون ومنظوم، من ثم أحتسب على الله أن أكون بهذا الكتاب، قد أضفت إلى قراء السيرة النبوية جمهوراً جديداً، ولعله يكون من الشباب.

إنه شعر موضوعى هادف، ليس سبحات فى عالم الخيال، ولا تغنياً بمفاتن الغيد الحسان، ولا وصفاً لليالى الحمراء بكئوسها المترعة والثمالى من الجنسين، وهم يعاقرون بنت الحان.. لا إنه شعر عف طهور تلمح الإيمان يشع من ثنايا سطوره وكلماته، كيف لا، وهو الذى صيغ ليقص على سمع الدنيا كلها، سيرة أنجب مولود جادت به البشرية فى تاريخها الطويل، بأسلوب النظم والأوزان.

وهو أيضا سبحات وتعمق فى سيرة محمد ﷺ، وما حوته من أحداث وعبر يقف الإنسان أمامها مبهوراً، ويحنى رأسه إجلالا.. وهو أيضا بمثابة لحن شجى يتغنى بأمجادنا الخالدة.. التى هى تاريخنا المشرق، ذلك التاريخ الذى ننتمى إليه، بل نشعر بالأهلية له، فمن ثم كلما أظلمت الرؤية أمامنا، عدنا إليه كى نستضىء به، فنواصل المسيرة على هدى منه.

هذا الكتاب، جديد فى أسلوبه، فريد فى بابه، يختلف عن كل الكتب فى طريقة تأليفه وتبويبه، وهو مزدوج الصياغة: شعر ونثر معاً.. أى لا يشبهه غيره من الكتب، ولا يشبه غيره أيضا.

إنه فضلا عن كونه مزدوج الصياغة، فهو أيضا مزدوج الفائدة، ذلك لأن هواة الشعر سوف يجدون فيه مايشبع نهمهم ويروى ظمأهم، وهواة النثر سوف يجدون فيه ضالتهم من إشراق الديباجة وقوة الحجة، والدقة فى التعبير، فيغذى أفكارهم، وينمى معلوماتهم، ويضىء لهم الطريق.

لقد جعلت الشعر مقاطع، كل مقطع فى صفحة مستقلة، بحيث يحكى المقطع الواحد حدثاً من الأحداث، وربما استغرق الحدث الواحد مقطعين أو ثلاثة أو أربعة، إلى أن يتم الحدث.. ثم جعلت أمام كل مقطع من مقاطع الشعر فى الصفحة المقابلة له، صفحة من النثر.. النثر الذى يحكى تفاصيل الحدث، ويفصل ما أجمله الشعر، وهو مأخوذ من مظانه عن أصدق المراجع.

مصادر هذا الكتاب

لقد اعتمدت فى صياغة كتابى هذا «تغريدة السيرة النبوية» على كتاب «سيرة النبى محمد ﷺ المعروفة بسيرة ابن هشام، وقد أخذت على نفسى عهداً أننى بإذن الله تعالى، سوف أقدم للقراء، بل للدنيا كلها، سيرة محمد ﷺ كلها، مصوغة شعراً، بحيث لن يفوت القارىء الكريم حدث من أحداث السيرة المطهرة دون أن يلم به.

بيد أننى لم أكتف بسيرة ابن هشام، بل جعلتها الأصل فى صياغتى هذا الكتاب، فكل ما كان عن ابن هشام، لن أشير إليه كمرجع، وأما ما كان عن غير ابن هشام، فإننى أعزوه لأصله، ذاكراً الجزء وربما الصفحة.

تنبيه

قد أختلف أحيانا مع ابن هشام، وذلك من حيث التقديم والتأخير لبعض الأحداث، وذلك مما ثبت لدينا من مراجع أخرى، لها وزنها وقيمتها التاريخية.

١ - فمن حيث التقديم والتأخير، ذكر ابن هشام حادثتى الإسراء والمعراج، قبل موت أبى طالب عم النبى محمد ﷺ، وقبل موت زوجه خديجة رضى الله عنها، وقبل رحلة الطائف الشهيرة، فى حين أن هذه الأحداث المؤلمة كانت متتالية، قبل الإسراء والمعراج.. وبعدها جاءت رحلة الإسراء والمعراج بمثابة تسرية لرسول الله ﷺ، مما ألم به من آلام مست أعماق نفسه الطاهرة.(١)

٢ - وما لم يذكره ابن هشام أيضاً، ملاحقة المشركين لمحمد ﷺ وصاحبه، فى حادثة الهجرة الخالدة إلى فم الغار، ولم يذكر شيئاً عن العنكبوت والحمامتين والشجرة، حيث ظهروا على باب الغار، الأمر الذى كان سبباً فى صرف أنظار المشركين وأفكارهم، عن أن يقتحموا الغار(٢).

٣ - لم يذكر ابن هشام زواج رسول الله ﷺ بكل زوجاته، وهذا مما استدركته عليه، وجئت بهذا من مصادر أخرى(٣)، توجت به هذا الكتاب، أى جعلت

أحداث زواج رسول الله ﷺ من كل زوجاته، من دخل بهن، ومن لم يدخل بهن، فى الجزء الثامن والأخير من هذا الكتاب. «تغريدة السيرة النبوية».

ختاما، هذا الكتاب يعتبر محاولة رائدة فى مجال التأليف، فإن كنت قد أحسنت فبتوفيق الله، وإن كان هناك بعض المآخذ، فرحم الله امرءاً أهدى إلىّ أخطائى، ولما يخلق بعد الذى لا يخطىء،

«إن أريد إلا الإصلاح ماستطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب» سورة

---

(١) جزء ٢ - زاد المعاد ص ٤٦،٤٧ لابن قيم الجوزية

(٢) جزء ٢ - زاد المعاد ص ٥٢ لابن قيم الجوزية

(٣) الجزء الثامن الطبقات الكبرى لابن سعد

الملحمة الكبرى

بدايـــة الملحمـــة

مقطع رقم ١ جـ ١

حال الجزيرة العربية قبل البعثة المحمدية

١ كان الظلام مُخيِّمًا فى كل الجزيـــره
٢ لم يَغْشها نورُ السماءِ فأظْلمتْ منها البصيره
٣ قد أظلمتْ أرْجاؤها(١) إذ لا تُقامُ بها شعِيرة(٢)
٤ والوُدّ جَفّ من النفوسِ فَقطَّعوا رَحِماً(٣) وجِيرة
٥ والناسُ قد ألفوا الخِصامَ فأصْبحتْ فوضَى خَطيره
٦ قد يَعْتَدون وَيظْلمون وَيقتُلون بلا جَريرةَ
٧ من كفرِهِم وأدوا البَناتِ فَأزْهَقوا الأنثى صَغِيره
٨ والبيْت تبدُو حَوْله الأصنامُ للرّائى حَقيره
٩ عَكَفُوا عليها عابدين أليس فيهِم من بَصيرة(٤)؟!
١٠ رَبَّاه هذا البَيتُ كان هدايةً من كلِّ حيره
١١ فارحمْ عبادكَ يا إلٰهى بالرِّسالاتِ المنيره
١٢ كَىْ يَهْتدوا بَعْدَ الضَّلالِ ويستقيموا فى المسيره
١٣ هذا لِسانُ الحالِ يهتفُ بالمقالِ(٥) وبالسَّريرَه
١٤ كانت رسالاتُ السماءِ تعوزُها أُخرى أخيره
١٥ فاستُكمِلتْ بمحمدٍ خَتْم الرِّسَالات الكثيره

---

(١) أرجاؤها: جوانبها.

(٢) شعيرة: واحدة الشعائر الدينية.

(٣) رحما وجيرة: الأرحام والجيران.

(٤) بصيرة: بصرة بالأمور وعقول راشدة.

(٥) بالمقال وبالسريرة: علانية وسرا.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ١ جـ ١

لقد كانت الجزيرة العربية قبل بعثة محمد عليه الصلاة والسلام، تعيش فى ظلام دامس، فى العادات، فى العبادات، فى الأخلاق .. الظلام يخيم عليها من كل جوانبها، ذلك لأنها حرمت من أنوار الرسالات السماوية فى تاريخها الطويل .. فمن ثم أصبحت جافة من روح الإيمان الذى تأتى به الأديان السماوية، والذى يترك أثره فى النفوس .. إذن فواقع الحال يؤكد أنهم ليس لديهم ما يتعبدون به، اللهم إلا بقية من تعاليم ملة ابراهيم الخليل عليه السلام، تغيرت صورتها لطول العهد، فأصبحت مشوهة باهتة من جراء ما حذف منها أو أضيف إليها، نظراً لعدم الدعاة، بل الأنبياء.

والجزيرة العربية كانت تعيش حياة الفوضى .. فلا قانون يحتكم إليه أهلها، ولا دستور ينظم حياتهم، ولا دولة ولا سلطان.

وأيضا فلا عقائد سليمة، ولا شعائر دينية تقام، إلا لازمها صورة من صور الشرك الممقوت .. وقد عبر القرآن الكريم عن هذا فقال:

«وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون» (١).

لقد انمحى التوحيد وحل محله الشرك البغيض .. كلهم على الإطلاق يؤمنون بتعدد الآلهة، اللهم إلا أفراداً قلائل عصمهم الله من رجس الوثنية، تسموا بالحنفاء مثل:

١ – أمية بن أبى الصلت

٢ – قس بن ساعدة الايادى

٣ – زيد بن عمرو بن نفيل .. وأضرابهم، وهم قليلون.

وأيضا فلا علاقات إجتماعية حسنة، بل جفاء فى الطباع، وقسوة فى القلوب، قطعوا الأرحام، أساءوا الجوار، هم دائما فى خصام وعدوان، يغير بعضهم على بعض، فيسلبون الأموال، ويسبون الذرارى والنساء!!

قوم هذا حالهم، لابد أن يكون الظلم سائداً بينهم – وإنه لكذلك – فالقوى يأكل حق الضعيف، والقتل لأتفه الأسباب، ووأد البنات خشية الفقر والعار، ولا ذنب لهن إلا كونهن ولدن إناثاً!! تحدث القرآن الكريم عن هذا فقال: **«وإذا الموءودة سئلت . بأى ذنب قتلت»** (٢).

وبيت الله الحرام تراه شامخاً فى عزة وإباء، بيد أن الأصنام الحقيرة كانت تحيط به، قد حظيت بالعبادة دونه، وهو الموضوع فى الأرض لهداية الناس من الحيرة والضياع .. ولذا فنسمع لسان الحال يهتف بالخالق العظيم، يا ربنا أدرك عبادك برسالة من عندك، تهدى خطاهم ليسعدوا فى دنياهم وأخراهم. قد كان فى علم الله رسالة باقية ليختم بها رسالات السماء، فكانت هى رسالة محمد ﷺ الرسالة الخاتمة.

---

(١) آية ١٠٦ من سورة يوسف.

(٢) آيتا ٨، ٩ من سورة التكوير.

مقطع رقم ٢ جـ ١

عبد المطلب يؤمر باعادة حفر زمزم

١ الزائرُ المَجهولُ نادَى شيخَ مكةَ فى المساء
٢ يا شَيبةَ الْحمدِ[١] احْفُر البئرَ القديمةَ للظِّماء
٣ فى جانِبِ البيتِ العتيقِ تَرَى هنالِك الاهتداء[٢]
٤ الشَيخُ يَنهضُ فى الصَّباح مُلَبياً ذاكَ النِّداء
٥ مَعهُ الغُلامُ وحيدهُ فى طاعةٍ دون التِواء
٦ الشيخُ يضرِبُ مِعوَلًا فى قُوةٍ بَلْ فى مَضاء[٣]
٧ والمِكتَلُ المَملوءُ يَحمِلهُ الغُلامُ على عَنَاء[٤]
٨ القوم شاءوا منعه، فأبى إباء الأقوياء
٩ لم يستطيعوا منعه، تركوه خوف الاعتداء
١٠ اللهُ أكبرُ جاوَزتْ أرْجاءَ مكةَ فى الفَضاء
١١ هذا هُو الكَنز الذى أبغيه أيضاً والطَّواء[٥]
١٢ وتفجّرتْ أمْواهُ زمزم للحجِيج لهم سِقاء
١٣ يا أهلَ مكةَ أبشروا قد جاءَكم غوثُ السماء
١٤ فَلْتَفْرحوا ياقوم هذا فَضلُ ربّى لامراء[٦]
١٥ جاءَت جميع رجال مكة ينظرون كذا النساء
١٦ والفرحَةُ الْكبرى على كل الوُجوهِ مع الرضاء

---

(١) شيبة الحمد: هو اسم عبد المطلب الحقيقى.

(٢) الاهتداء: العلامات التى تدلك على مكان البئر.

(٣) فى مضاء: فى عزم واصرار.

(٤) على عناء: جهد ومشقة.

(٥) الطواء: هى البئر المطوية.

(٦) لامراء: لاشك فى ذلك.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٢ جـ ١

عبد المطلب بن هاشم، كان زعيم مكة كلها، وهو جد النبى محمد ﷺ: اسمه الحقيقى «شيبة الحمد» فيه سماحة ورجاحة عقل وبركة أيضا.. ولم لا، فهو الذى يتلألأ نور النبوة فى جبينه، فلا عجب أن يكون حكيماً، ذكياً، فطناً، متديناً أيضا. هذه الصفات أهلته ليكون زعيم مكة كلها دون منازع، وقد زاده الله شرفاً باختياره لأشرف مهمة ألا وهى إعادة حفر زمزم.

بينما كان عبد المطلب مضطجعاً، بين النائم واليقظان، والكون ساكن، والليل ساج، وإذا هاتف يناديه بصوت يسمعه ولا يرى شبحه قائلا:

يا شيبة الحمد! يا عبد المطلب! فأجابه عبد المطلب قائلا: لبيك يا من تنادى! فقال الهاتف: احفر بره، فقال عبد المطلب: وما بره؟! فانصرف الهاتف دون أن يجيب على تساؤله.

وفى الليلة الثانية وفى نفس الموعد، وإذا هاتف الأمس يناديه قائلا: احفر طيبة، فقال عبد المطلب: وما طيبة؟! فانصرف دون أن يجيب على تساؤله.

وفى الليلة الثالثة وفى نفس الموعد، ناداه الهاتف فقال: احفر المضنونة، فقال: وما المضنونة؟! فانصرف دون أن يجيب على التساؤل.

وفى الليلة الرابعة وفى نفس الموعد، ناداه قائلا: احفر زمزم، فقال عبد المطلب: وما زمزم؟! فقال: لا تنزح ولا تذم، تسقى الحجيج الأعظم، عند نقرة الغراب الأعصم، بين الفرث والدم، عند قرية النمل.

فقال عبد المطلب: كفى لقد عرفت، فأصبح غادياً ومعه ابنه الوحيد اسمه الحارث، وتوجها صوب الكعبة، إلى حيث أشار هاتف الليل.. فلما أقبل على الكعبة رأى العلامات التى أشار لها الهاتف، وتأكد منها.

فوراً بدأ الحفر، فصار يضرب بالمعول، وابنه الحارث يحمل التراب فى المكتل فى طاعة أبيه، وبينما هو يواصل الحفر فى عزم وإصرار[1] كبر تكبيرة رددتها معه جبال مكة كلها.. ثم قال: هذا هو الطى الذى أبغيه، وهذا كنز زمزم، وهذا ماء زمزم قد تفجر متدفقا، يسقى حجاج بيت الله الحرام، وهو لأهل مكة رواء وسقاء، فهنيئا لكم يا أهل مكة، إنه غوث جاءكم من السماء.. وأسرع الناس ينظرون إلى ماء زمزم، وإلى الذهب الذى أخرجه عبد المطلب من بئر زمزم، فصارت الفرحة بادية على كل الوجوه.

---

(١) إذ أقبل أهل مكة فحاولوا منعه، وقالوا: لن ندعك تحفر بين صنمينا: أساف ونائلة، فأبى أن يستجيب لهم، وقال لابنه الحارث: ذُدْ عنى.. فلما رأوه مصراً، تركوه، واستمر يواصل الحفر، وفجأة

مقطع رقم ٣ جـ ١
قريش تخاصم عبد المطلب عند الكنز

١ ساداتُ مكة أقبَلوا فى سُرْعةٍ مُتَتابِعين
٢ كَيْما يَرَوْا لِلكَنْز(١) قد صارُوا جميعاً مُعْجَبين
٣ وتحدَّثوا مع شَيْخ مكة فى حُوارِ الطّامعين
٤ قالوا لَهُ: فالكنْزُ هذا مِلْكُ كلِّ الحاضرين
٥ فَلْنَقتَسِمْهُ، فقال: كلَّا، فَهْو لى هذا يقين
٦ لا لن تَنالوا مِنْهُ شَيْئاً، لا تكونوا جاهلين
٧ فأنا الذى أخرَجْتهُ، كنتُم لِفِعْلى مُنْكرين
٨ نُوديتُ فى جُنْح الظلام، وقَد أُجَبتُ الهاتِفين(٢)
٩ واختارنى ربُّ السَّماءِ لذلك الفضل المتين
١٠ قالوا لَهُ: فَلْنحتَكِمْ، كَىْ نهتدى كى نَسْتبين
١١ فَأجابَهمْ، إنِّى رَضيتُ للاحْتِكام ومُسْتكين
١٢ أين القُضاةُ العَدْلُ حتى نَرْتضيهم عادلين؟!
١٣ قالوا له: فى الشام كاهنةٌ لها رأىٌ فَطين
١٤ وفْدانِ قد ذَهَبوا لأُجْلِ الاحتِكام مُبادِرين
١٥ وَفدٌ يُمثِّلُ لِلقبائلِ(٣) كلّهم كَمُخاصِمين
١٦ والشيخُ معهُ عِصابةٌ من قَوْمِهِ كَمُناصرين
١٧ قَطَعوا الفَيافى شاسِعاتٍ فَوقَ إبْلٍ ضامرين(٤)

---

(١) كيما يروا للكنز: هو الذهب الذى أخرجه عبد المطلب من بئر زمزم.

(٢) أجبت الهاتفين: إشارة إلى الهاتف الذى أمره بحفر زمزم

(٣) وفد يمثل للقبائل: قبائل قريش كلهم.

(٤) فوق إبل ضامرين: ضامرة بطونها.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٣ جـ ١

حينما عثر عبد المطلب، شيخ مكة وزعيمها على الكنز الذى كان مدفوناً فى بئر زمزم، وتفجر ماء زمزم أيضا.. كبر عبد المطلب بصوت عال، فرحة وإعجاباً.

لقد وفق الشيخ فى ذلك الأمر الذى بدأه، وعزم على تنفيذه برغم معارضة قريش كلها له عند بدء الحفر.. فقد حاولوا أن يمنعوه من الحفر بجوار الكعبة، لكنه أصر على ما أراد، فتركوه.

لقد عثر على كنز الكعبة المخبوء فى قعر بئر زمزم، وتفجر ماء زمزم زلالًا، وقد كانت مكة فى أشد الحاجة إليه.

سمع الناس تكبير عبد المطلب، فعلموا أنه ما كبر إلا لأمر هام، فهرعوا إليه زرافات ووحدانا يستطلعون الخبر.. فرأوا كنز الكعبة من الذهب الخالص، قد أخرجه عبد المطلب، فضلا عن الماء الذى هو أهم من الذهب.

قالوا له: يا عبد المطلب! إنها بئر أبينا اسماعيل، وإن لنا فيها حقاً.. فما وجدته فيها فهو حق لنا جميعا، فأشركنا معك فيها، قال: ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم، وأعطيته من بينكم.

فقالوا له: فأنصفنا، فإنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها، قال: فاجعلوا بينى وبينكم حكماً من شئتم، أحاكمكم إليه.

قالوا: كاهنة بنى سعد، تسمى هذيم قال: نعم.

ولا غرو فهى امراة ذات عقل راجح ورأى سديد، يذهب إليها كثير من الناس بمشكلات عويصة، فيجدون عندها الحلول، ثم يعودون راضين.

لقد خرج من مكة وفدان متوجهان إلى الشام للاحتكام عند الكاهنة: وفد يمثل قبائل قريش كلها، وهم طرف الخصومة مع عبد المطلب.. والوفد الثانى هو عبد المطلب وذوو قرابته من بنى أبيه وبنى عبد مناف.

إنها رحلة شاقة وطويلة على ظهور الإبل الضامرة المعدة لمشاق السفر البعيد.

مقطع رقم ٤ جـ ١
القوم ينتظرون الموت عطشا فى الصحراء

١ أمْواهُ وَفدِ[١] الشَّيخ قد نَفَدت فَصاروا عاطِشين
٢ والوفدُ ذاكَ فماؤه لا زالَ يكفِى الشَّاربين
٣ لكنَّهم بَخِلوا بِه، يا بئسَ قوماً باخلِين
٤ القَيظُ فى الصَّحَراءِ مثْل النارِ يكوِى الذَّاهبين
٥ من شِدَّةِ العَطشِ اغتدَوْا عمّا أرادوا عاجزين
٦ بَين الجِبالِ لقد أناخوا إِبْلَهُم مُتَهالِكين
٧ المَوتُ يَحْبو نَحْوهم صاروا بِهذا موقِنين
٨ وتساءَلوا، ماذا يكونُ مَصيرُنا فى العالمين؟!
٩ الشيخ قال لهم: فكونوا للمقالةِ مُدْرِكين
١٠ المَوتُ صارَ مصيرنا، لا،لا تكونوا جاهلين
١١ وأرَى بأنّ الكُلَّ يَحْفُر حُفْرةً[٢] مُسْتَسْلِمين
١٢ وينامُ فيها كَى يموتَ وذاك مَوتُ المُرْغَمين
١٣ من ماتَ منَّا قَبلَ إِخوَتِه وكانوا[٣] قادرين
١٤ إخوانُهُ هالوا عليهِ ترابَهُ مُتَعاوِنين
١٥ قالوا لَهُ: سَمْعاً وطَوْعًا، ذاك رأىُ الفاهِمين
١٦ حفَروا الحَفائِرَ واغتدَوْا فيها جميعاً قابعين
١٧ لِلمَوتِ قد صاروا جميعاً جالسين ويائسين

---

(١) أمواه وفد الشيخ: الماء الذى مع عبد المطلب ورفقته.

(٢) الكل يحفر حفرة: أى لتكون له قبرا.

(٣) وكانوا قادرين: لا يزال فيهم رمق الحياة.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٤ جـ ١

لقد خرج الوفدان من مكة.. أحد الوفدين، عبد المطلب وبنو أبيه من عصبته، والوفد يمثل قبائل قريش كلها.. خرجوا متوجهين إلى الشام على ظهور الإبل الضامرة.. وذلك للاحتكام عند كاهنة بنى سعد، بشأن كنز الكعبة الذى وجده عبد المطلب فى بئر زمزم فأخرجه.. وأبى عبد المطلب أن يقسمه مع أهل مكة.

والأرض إذ ذلك مفاوز، صحارى واسعة، مترامية الأطراف، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، وهم يواصلون المسير فى تلك الفيافى والقفار الشاسعة، فنى الماء الذى كان مع عبد المطلب وصحبه، فظمئوا حتى أيقنوا بالهلاك.

الوفد الآخر الذى يمثل قبائل مكة، لم ينفذ ماؤه.. فاستسقاهم عبد المطلب وصحبه، فأبوا أن يعطوهم قطرة واحدة من الماء، وقالوا لهم:
إنا بمفازة ونخشى على أنفسنا أن يصيبنا من العطش مثل ما أصابكم.

وقد كانت حرارة الشمس بين الجبال ناراً محرقة فكلما ارتفعت الشمس فى الأفق.. فوق الجبال التى تعكس حرارة الشمس على الأرض فتجعلها رمضاء لا يمكن احتمالها، فمن ثم تتضاعف الحرارة على المسافرين.

فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم، وبخلهم عليهم بالماء، خاف على نفسه وأصحابه الهلاك فقال لهم: ماذا ترون؟! قالوا له: ما رأينا إلا تبع لرأيك، فمرنا بما شئت، وكانوا قد أناخوا إبلهم، إذ عجزوا عن مواصلة السير فقال:

إنى أرى أن يحفر كل واحد منكم حفرة لنفسه، بما بكم الآن من قوة، فكلما مات رجل دفعه أصحابه فى حفرته، ثم واروه حتى يكون آخركم رجلًا واحداً، فضيعة رجل واحد، أيسر من ضيعة الركب كله، قالوا:

نعم ما أشرت به، فقام كل واحد منهم فحفر حفرته، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً ويأساً.

لقد أشار عبد المطلب على رفقته بهذا الرأى، من منطلق اليأس الذى خيم على فكره وتفكيره.. وإنّ بخل الوفد الآخر، بقطرات من الماء عليه وعلى أصحابه، لينقذوهم من هلاك محقق، يعتبر جريمة منهم.

مقطع رقم ٥ جـ ١

الماء يتفجر من تحت ناقة عبد المطلب

١ الشَّيخ راجَعَ نَفْسَهُ[١] عن رأيـه ذاكَ الـمُشين
٢ نادَى على أصحابِه قوموا جَميعاً مُسرِعين
٣ إنْ تَنتظِرْ للموت عَجْزاً، لم تَكُنْ فى الحازِمين
٤ فلنَنطلِقْ، فَلعلَّنا نَنجو منَ المَوتِ المُهين
٥ الماءُ إنَّا واجِدوهُ إذا جَهِدْنا[٢] باحِثين
٦ هَبّوا جميعاً وَامتطَوْا ظَهْرَ الرَّواحِلِ عاجلين
٧ الشَّيخُ بعد الكُلِّ يَركبُ فى أَناةِ الصابِرين
٨ وتَهُبُّ ناقَتُهُ بِهِ، والكلُّ كانوا ناظرين
٩ الكلُّ يَفغَرُ فاهُ دَهْشاً قد غَدَوْا مُتعجبين !!
١٠ فَلَقد رَأَوْا ما راعَهُم، ما فاق وَصفَ الواصفين
١١ من تَحْتِ ناقَةِ شَيخِهِم[٣] ماءٌ تَفَجَّرَ عن يقين
١٢ ماءٌ تفجّر كىْ يُروِّىَ غُلَّةَ المُتعطِّشين
١٣ الشَّيخُ هَلَّل قائِلًا: شُكراً إلَهَ العالمين
١٤ أصحابُه فَرِحوا وقَد كانوا جميعاً يائسين
١٥ الشَّيخُ مع أصحابِه شَرِبوا فَصاروا شاكرين

---

(١) راجع نفسه: تراجع عن رأيه الأول.

(٢) اذا جهدنا باحثين: اذا واصلنا المسير والبحث.

(٣) شيخهم: هو عبد المطلب.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٥ جـ ١

كما قدمنا آنفا، فإن أصحاب عبد المطلب لما نفد ماؤهم، توقفوا عن مواصلة السير عجزاً وضعفاً من شدة العطش.. وقد حفر كل واحد منهم حفرة، لتكون قبرا له حين يموت، كما أشار بهذا عليهم شيخهم عبد المطلب.

رأى عبد المطلب أصحابه ومرافقيه يجلسون كلا فى حفرته.. ولا حول لهم ولا قوة.. فتصور نفسه أنه قد جنى عليهم حينما أشار عليهم بذلك الرأى.. فمن ثم قال لنفسه: هذا رأى فاسد، ولا عيب فى الرجل أن يتراجع عن رأيه إذا مابدا له رأى آخر أصلح منه.. فكوننا نجلس هكذا ننتظر الموت، دون أن نفكر فى النجاة، فذلك هو العجز وفساد الرأى.. ثم قال لأصحابه: يا قوم! والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت، إذ نجلس عاجزين لا نضرب فى الأرض، ولا نبتغى لأنفسنا سبيلا للنجاة، فذلك هو الخسران والهلاك.

فهيا ارتحلوا، فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض بقاع الأرض، فنرتوى بعد العطش.. فقام كل واحد منهم إلى راحلته فامتطاها.

وبعد أن ركب الجميع، تقدم عبد المطلب إلى راحلته ببطء واناة فركبها، فلما هبت قائمة، انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب.. وإذا جميع القوم قد دهشوا وعجبوا، حينما رأوا الماء يتفجر من تحت خف ناقة عبد المطلب فى تلك الصحراء القاحلة الجافة التى لا يرى فيها أثر لخضرة أو ماء مطلقا.

فلما رأى عبد المطلب الماء يتفجر من تحت خف ناقته، كبر بصوت عال، وفرح كل أصحابه أيضا، لقد نجوا من هلاك مؤكد.. ثم نزل عبد المطلب فشرب وشرب أصحابه، واستقوا حتى ملأوا اسقيتهم، ثم التفت عبد المطلب نحو وفد الخصوم الذين بخلوا عليهم بالماء، فقال لهم:

هلموا إلى الماء يا قوم، لقد سقانا الله، فاشربوا واملأوا أسقيتكم فشربوا وملأوا أسقيتهم جميعا.

كانت هذه كرامة أعطاها الله لعبد المطلب.. وهى أيضا إرهاصة كالناقوس يدق بقوة ليوقظ الناس من سباتهم، وينبههم من غفلتهم، لتتهيأ الدنيا لقدوم محمد ﷺ.

مقطع رقم ٦ جـ ١
عودة الوفدين كرامة لعبد المطلب

١ الشَّيخُ بَعد أنِ ارْتَوَوْا نادَى الرِّفاقَ الآخَرين[(١)]
٢ هيّا اقْدِموا كي تَشرَبوا، فَلَقد سُقينا أجْمعين
٣ سَمِعوا نِداءَ الشيخ جاءُوا نَحْوَهُ مُتَتابِعين
٤ شَرِبوا جميعاً وارتَوَوْا كانوا بحقٍّ ظامِئين
٥ من بعدِ أنْ شَربوا تَنادَوْا فى حَديثِ الهامِسين
٦ من بعدِ ذاكَ الهَمسِ قَد هَتَفوا جَميعاً قائِلين
٧ يا شَيْخَنا هيَّا نَعُدْ منْ حَيثُ جِئنا راجِعين
٨ فَلَقد قَضَى لكَ رَبُّنا، بَلْ فُزتَ بِالحَقِّ المُبين
٩ فى شَأْنِ زمزم بعدَ هذا، لن نَكونَ[(٢)] مُخاصِمين
١٠ فَلَقد سَقاكَ اللهُ هَذا الماءَ كُنَّا يائسين
١١ هذا لَعَمْرُ اللهِ فَضلٌ من إلهِ العالمين
١٢ فارجع لزمزمَ راشِداً وَاحْكُم بها كالمالكين
١٣ والكَنزُ إنَّا تارِكوهُ. وَفِيهِ كُنْ كالحاكمين
١٤ عادوا وقد ضَرَبوا[(٣)] القِداحَ لِقِسمَةِ الكَنْزِ الثمين
١٥ النِّصفُ صارَ لِشَيخِهِم، والنصفُ لِلحَرَمِ الأمين
١٦ الشَّيخُ يأبَى أخْذَ نِصفِ الكَنْزِ كَالمُتَعفِّفين
١٧ فى بابِ بيتِ اللهِ صار كَحِلْيَةٍ[(٤)] للنَّاظِرين

---

(١) الرفاق الآخرين: هم وفد القبائل خصوم عبد المطلب.

(٢) لن نكون مخاصمين: لن نخاصمك أبدا.

(٣) ضربوا القداح: السهام التى تشبه القرعة الآن.

(٤) كحيلة للناظرين: جعل عبد المطلب الذهب كله حلية فى باب الكعبة.

المعنى الاجمالي للمقطع رقم ٦ جـ ١

كما أسلفنا، فإن عبد المطلب بعد أن شرب هو وصحبه، وقد ارتووا جميعا من ذلك الماء الذى نبع من تحت خف ناقته.. نادى وفد قبائل قريش – طرف الخصومة – فقال لهم: هلموا يا قوم إلى الماء، هيا أشربوا فلقد سقانا الله، ونجونا من هلاك محقق كان ينتظرنا.

فتقدموا جميعا مستجيبين لنداء عبد المطلب، فشربوا وارتووا ثم ملأوا القرب لمواصلة الرحلة البعيدة.. بيد أنهم بعد أن شربوا وارتووا، وقفوا معا يتهامسون... لم يطل همسهم، فقد كانوا جميعا على قلب واحد ورأيٍ واحد، ويبدو أنهم قرروا أمراً، فارتضوه جميعاً.

فماذا كان هذا الأمر؟! وفيم كانوا يتهامسون؟!

لقد تهامسوا، واتفقوا جميعا على أن يعودوا، فلا يخاصمون عبد المطلب فى أمر زمزم.. لقد شعروا بالخجل من عبد المطلب، لكونهم رأوا كرامة عظيمة له، إذن فهو رجل مبارك لا شك فى هذا.. وكيف لا، وهو الذى اختاره الله لحفر بئر زمزم دوننا جميعا، وببركته خرج على يديه كنز الكعبة.. وتفجر ماء زمزم أيضا.. هذا كان لسان حالهم فيما بينهم، ثم قال قائلهم:

لقد خاصمناه لنقتسم الكنز معه فأبى، فوالله إنه لعلى حق، ونحن على الباطل والدليل على هذا، أن الله سقاه الماء الزلال فى تلك الصحراء القاحلة.. إذن فلنرجع من هاهنا، فلا ينبغى أن نخاصم عبد المطلب، فارتضوا جميعا هذا الرأى، ثم هتفوا قائلين:

ياشيخنا، هيا نعد من حيث جئنا، فلقد قضى الله لك علينا، فوالله لا نخاصمك فى زمزم أبدا، فارجع إلى سقايتك راشدا، فرجع ورجعوا معه جميعا، ولم يصلوا إلى الكاهنة وخلوا بينه وبين زمزم.

وهناك ضربوا القداح على كنز الكعبة، وهو: غزالتان من ذهب، وأسياف وأدراع قلعية، فخرج نصف الكنز، وهو الأسياف والأدراع لعبد المطلب.. وخرج النصف الآخر. وهو الغزالتان للكعبة، فضرب عبد المطلب الأسياف والأدراع بابا للكعبة، وضرب فى الباب الغزالتين، فكان أول ذهب حليت به الكعبة كما قيل.

مقطع رقم ٧ جـ ١
الخلاف فى تقسيم كنز الكعبة

١ من بِئْر زَمْزم دون شكٍ أُخرج الكنْزُ الثمين
٢ أشياخ مكة طَالَبُوا تَقْسِيمه، كمشاركين
٣ قولان قيلا فيه: أثبتناهما لِلسَّائلين
٤ قولٌ ذكرناهُ بِرُمَّتِهِ(١).. وكنا منصفين
٥ قلنا عن الوفدَيْن: قد ذَهَبُوا ذِهابَ مُخاصمين
٦ ذهبوا إلى الكهان، كيما يسألوا مستفهمين
٧ أن يُقسَم الكنزُ الثمين، إلى قريشٍ أجمعين
٨ أم يتركوه لِشَيْخ(٢)مَكة؟! وليكونوا مرتضين
٩ فى دربهم قد شاهدوا(٣)ماراعهم متعجبين
١٠ من ثم قد عادوا قبيل وصولهم متفاهمين(٤)
١١ قالوا لشيخ قريش: أنت زعيمنا فى العالمين
١٢ فاحكم بما تراه فى ذا الكنز حكم العادلين
١٣ ولسوف نذكر ثانى القولين، ذكر الصادقين
١٤ إنا نميل إلى مقال الصدق والنقل الأمين
١٥ حتى نكون من الضلالة والتحيز بارئين
١٦ هيا إلى القول الأخير، ففيه إشراق مبين(٥)
١٧ ولتأخذوا من ذينك القولين ما فيه اليقين

---

(١) ذكرناه برمته: كاملًا بتفاصيله

(٢) لشيخ مكة: هو عبد المطلب، وأيضاً، شيخ قريش

(٣) قد شاهدوا ماراعهم: تفجر الماء من تحت خف ناقة عبد المطلب

(٤) متفاهمين: تنازلوا عن مخاصمة عبد المطلب فى الكنز لما رأو الماء

(٥) ففيه إسراق مبين: فيه ما يوحى بصدقه

المعنى الإجمالى للمقطع ٧ جـ ١

كما قدمنا، فإن عبد المطلب قد عثر على كنز الكعبة الذى كان فى قاع زمزم.. من ثم جاءه رجال قريش فقالوا له: يا عبد المطلب! إن لنا معك فى هذا الكنز شرك، فليقسم بيننا جميعاً بلا تفاضل.. فقال عبد المطلب: لا.

وثار الجدل بين قريش، وعبد المطلب.. وبعد الجدل ارتضوا أن يذهبوا إلى كاهنة بنى سعد، تسمى «هذيم» بأشراف الشام.

لقد خرج من مكة وفدان: وفد يمثل قريشاً، يضم بضعة رجال.. ووفد آخر، هو عبد المطلب، ومعه بعض بنى أبيه، عبد مناف من ذوى قرابته.

والطريق بين الحجاز والشام، صحارى واسعة، وجبال ووديان، مفاوز مهلكة، لاماء فيها، ولا أثر لزرع أو شجر.

إنهم ذاهبون للكاهنة ليسألوها، أيقسم الكنز فى قريش جميعاً، لكونهم جيران بيت الله، وكلهم فيه سواء؟! أم هو حق لعبد المطلب، لكونه هو الذى أخرجه من قاع زمزم، ولولاه لظل مدفوناً أبد الآبدين.

بيد أن رجال الوفدين، قد عادوا إلى مكة، قبل أن يصلوا كاهنة بنى سعد، ذلك لأنهم شاهدوا عين ماء تفجرت من تحت خف ناقة عبد المطلب.. فقالوا لعبد المطلب: قد والله قضى لك علينا يا عبد المطلب.. والله لا نخاصمك أبداً.. هيا فلنعد إلى مكة راشدين.. فرجع ورجعوا.

الواقع أن قضية اختلاف قريش، مع عبد المطلب على تقسيم كنز الكعبة، فيه قولان مذكوران فى كل المراجع القديمة.. فأثبتناهما، عملًا بأمانة النقل، وتأكيداً لحقائق التاريخ.. لقد ذكرنا أحد القولين فى الصفحات الماضية.

أما القول الثانى، فمذكور فى الصفحات القادمة.. وهو قول فيه وجاهة وصدق، ذلك لأنه يثبت حقيقة تاريخية هى: نذر عبد المطلب.. وما ترتب عليه من أحداث.. وفداء عبدالله بمائة من الإبل.. وأقرت دية للمسلمين.

مقطع رقم ٨ جـ ١
عبد المطلب نذر أن يذبح أحد بنيه

١ سادات مكة أقبَلوا للشَّيخ قالوا فى رَوِيّة(١)
٢ الكَنْزُ مِلكُ البَيتِ هيّا نَقْتَسِمْهُ على السَّوِيّه
٣ إذْ كُلُّنا جيرانُ بَيتِ اللهِ لَيسَ لكُم مَزِيّة(٢)
٤ قد لَوَّحوا بِالعُنفِ إنْ لَم يرضَ سَيراً فى المعيّه(٣)
٥ قَد طافَ بالشَّيخِ الحَنينُ، فلَا بَنونَ ولَا حَمِيّه
٦ الشيخ كان يُريدُ أبناءً تَصولُ عَلَى الرَّعِيّه
٧ كَىْ يَنصُروهُ وَيَمنَعوهُ مِنَ التَّطاولِ والأَذيه
٨ فَرَنا بِناظِرِه وقالَ مُخاطِبًا ربَّ البَرِيّة
٩ يارَبِّ إنْ أعطَيتَني عَشراً ذُكوراً ألمعيّه(٤)
١٠ فلَسَوفَ أذبَحُ واحِداً منهم، فذا دَيْنٌ عَليّه
١١ لقد ارتضوا حكم القداح، فحكموهم فى القضية
١٢ هَذِى السُّنونُ تَتابَعَت يا شيخُ لا تنسَ الوَصيّه
١٣ قد أصبحَ الأَبناءُ عَشراً وَفِّ نَذرَكَ يا أُخَيّه
١٤ فاستَيقَظَ الشيخ الكبيرُ عَلي مرير(٥) كانَ طيّه
١٥ هُوَ ذَبحُ إبنٍ منْ بَنيهِ فَهَذِهِ شَرُّ البَلِيّه

---

(١) قالوا فى روية: بهدوء وأناة.

(٢) مزية: فضل وامتياز.

(٣) سيرا فى المعية: موافقتهم على ما يطلبونه.

(٤) ذكور المعية: أذكياء.

(٥) مرير كان طيبه: أمر مر كان منسيا فى أعماقه.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٨ جـ ١

لقد سمع أهل مكة تكبير عبد المطلب، فرحاً بما عثر عليه.. ولا غرو فهو قد عثر على كنز الكعبة الذى كان مدفونا فى قاع بئر زمزم.. وتفجر ماء زمزم أيضا، وهو أكثر أهمية لأهل مكة من الذهب نفسه.

جاءوا سراعا لرؤية هذا الحدث العظيم، فراوا ما راعهم وبهرهم!! رأوا أسيافاً وأدراعاً قلعية وغزالتين من ذهب أيضا.. إنه كنز الكعبة الذى دفنته قبيلة جرهم حينما غلبتهم خزاعة، وأجلوهم وطردوهم عن مكة.

قال القوم: يا عبد المطلب! هذا الكنز كلنا شركاء فيه. إنه كنز الكعبة، ونحن جميعاً جيرانها، ليس لأحد منا فضل على الآخر.. ولن يكون لك الفضل بامتلاك هذا الكنز، فقال عبد المطلب لهم: لا، هذا الأمر خصصت به دونكم، وأنا الذى أخرجته إذن فهو لى.

لما أبى الاستجابة لهم، أغلظوا له القول، برغم أنه زعيم مكة وشيخها، بل لوحوا له بالتصريح والتلميح بأنهم قد يرغمونه على ذلك.. أى على ما يريدونه إن لم يستجب لهم. هذا الموقف، لم يكن يتصوره عبد المطلب من قبل، ولم يفكر فيه.

فى ذاك الحين طافت بعبد المطلب الخواطر، لقد نظر حوله فرأى الرجال تحيط به، وقد ارتفعت أصواتهم بالوعيد تلميحاً وتصريحاً.. فى هذه اللحظة تمنى عبد المطلب أن يكون له أولاد كثيرون ليذودوا عنه، ويردوا المتطاولين عليه، ذلك لأنه ليس له إلا ولدٌ واحد هو الحارث كما قدمنا.

فهتف حينئذ قائلا: يارب لئن أعطيتنى عشرة من الأولاد الذكور، فلسوف أذبح واحداً منهم عند الكعبة نذراً.

وبعد جدلٍ وأخذ ورد بين عبد المطلب بمفرده، وبين قريش كلها كما قدمنا، رضوا بأن يحتكموا إلى القداح فى تقسيم كنز الكعبة وفعلًا أعطت القداح نصف الكنز لعبد المطلب ونصفه الآخر للكعبة، كما ذكرنا آنفا ولا شيء لقريش.

وتتابعت الأيام والسنون، وتزوج عبد المطلب أكثر من امرأة بحثا عن الأولاد، ليحقق ما ينشده من كثرة الذرية، ليصول بهم عند الحاجة على أعدائه.. وفعلا لقد أصبح له عشرة من الأولاد الذكور.. وقد نسى عبد المطلب نذره ذاك.

فمن ثم نسمع لسان حال الزمن يهتف بعبد المطلب، مذكراً إياه ونذره القديم، ويهيب به أن يوفى نذره.. واستيقظ عبد المطلب من غفلته، وتذكر ما أنساه له الدهر، ولا غرو فهو أمر خطير، مرّ على النفس، وكيف لا، إنه سيذبح أحد أولاده، إنها لأقسى وأمرّ بلية يبتلى بها أحد من بنى الإنسان على الإطلاق!!

مقطع رقم ٩ جـ ١
عبد المطلب يخبر أبناءه بقصة النذر

١ الشيخ نادَى فى بنَيهِ أتَوْا سِراعاً كالأُسُود
٢ قد أحدقوا بالشَيخ فى صَمتٍ تَشابَه بالسُّجود
٣ قد جَفَّ حَلقُ الشَّيخ من هَولِ المصيبةِ فى شُرود[١]
٤ وَالدَّمعُ فى الأَحداقِ حارّ وَلَمْ يَسِلْ فَوقَ الخُدود
٥ ماذا يَقولُ إلى بنيهِ؟! فَقَلبُه زادَ الوقود
٦ إذ لا مَناصَ من الوَفاءِ بِنَذرِه، لا لَن يَعود[٢]
٧ ولَقد تَشجَّعَ ثُم قالَ لهم: تَرَوَّوْا فى الرُّدودِ[٣]
٨ يا أيُّها الأَبناءُ مَن مِنكم يَسير إلى الخُلود[٤]؟!
٩ إنِّى نَذَرتُ وَقد وَعَدْتُ وَسَوْفَ أُوفى بالوُعود
١٠ قالوا جَميعاً: إنَّنا نَفديكَ بالبِّر الوَدود
١١ مُرنا بأمرٍ مَّا، تَجِدْنا طاعةً شِبهَ[٥] الجُنود
١٢ قَد كانَ هَذا مَوْقِفاً من جَدِّهِم عَمٌّ[٦] اليْهود
١٣ فَلَقَدْ تَقَدَّمَ طائِعاً لِلذَّبح فى عُمر الوُرود
١٤ لكنّ ربَّ العَرش أنقَذَهُ بِذبح كَى يَسود
١٥ نِعمَ البُنُوَّةُ إنَّهم قَد عَطَّروا ذِكرَ الجدود

---

(١) فى شرود: شارد الفكر.

(٢) لا لن يعود: لن يتراجع عن الوفاء بنذره.

(٣) ترووا فى الردود: لا تتعجلوا فى الإجابة.

(٤) يسير الى الخلود: أيكم يرضى أن يكون وفاء للنذر.

(٥) شبه الجنود: لأن الجندى لا يعصى أمر قائده.

(٦) عم اليهود: هو اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٩ جـ ١

هذا عبد المطلب شيخ مكة وزعيمها ، ينادى على اولاده .. وقد بدا عليه اهتمام ملحوظ وقلق ظاهر فى محياه ، وذلك لما يعتمل فى نفسه واعماقه ، إذ فى أعماقه معركة حامية الوطيس ، وذلك فيما يتعلق بالوفاء بالنذر ، وعدمه .. طرفا هذه المعركة ، سلب وايجاب .

أما السلب فيتمثل فى القول ، بعدم الوفاء بالنذر ، ويسوق الحجج والأعذار الكثيرة .

وأما الإيجاب فيتمثل فى القول بحتمية الوفاء بالنذر ، مهما كان وقع المصاب مراً وقاسياً .

أقبل أولاد عبد المطلب مسرعين نحو أبيهم ، تلبية لندائه ، لم يتخلف منهم أحد ، وقفوا حوله فى أدب جم وخشوع تام ، لا يرفعون أبصارهم تعظيماً لأبيهم .. فهم صامتون كصمت الخاشعين فى محراب العبادة أمام الخالق العظيم .

إنهم ينتظرون الإشارة من أبيهم لأى عمل ما .. هكذا كان حالهم أثناء وقوفهم أمام أبيهم ، فماذا كان حال أبيهم فى تلك اللحظات ؟!

لقد كان أبوهم فى دوامة فكرية عاتية .. إنه لا يدرى بماذا يبدأ الحديث إلى أولاده ، ولا يدرى أيضا كيف يخبرهم عن قصة النذر .. لقد جف حلقه من شدة ما يعانيه ، إنه شارد الفكر من هول المصيبة ، تحجرت دموعه فى آماقها ، فما العمل إذن ؟

الواقع أنه لا خيار له ، فلا بد من الحديث إلى الأولاد ، وايضاً فلابد من الوفاء بالنذر ، وأخيراً تشجع ، وجمع بقايا همته الخائرة ، فأخبر أولاده بقصة النذر كاملة ، ثم قال لهم : لا تتعجلوا يا بَنِى فى الإجابة ، فالأمر جد خطير ، ويحتاج إلى روية وتفكير .

نظر الأولاد بعضهم إلى بعض ، كل واحد منهم قرأ أفكار إخوته الآخرين ، وإذا بهم يهتفون جميعا فى صوت واحد قائلين : كلنا يا أبانا طوع أمرك ، لن نعصى لك أمراً . وتتوارد الخواطر فى هذا الموقف الرهيب ، وتقفز الذكريات فى سرعة إلى الماضى البعيد .

لقد تشابهوا فى موقفهم هذا بجدهم اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، إنه الذبيح الأول ، وهو عم اليهود لأنه أخ لإسحاق ، وإسحاق جد اليهود .

كلنا نعلم أن اسماعيل تقدم طائعا للذبح ، وقد كان صغيراً لما يبلغ الحلم بعد .. لكن الله عز وجل أنقذه بذبح عظيم ، ونجا اسماعيل من الذبح وساد ، وكان من ذريته محمد عليه الصلاة والسلام .

ألا فنعم الأبناء هم ، لقد ورثوا الطاعة والإيمان والبرّ بالآباء عن أجدادهم .. ومن ثم فقد استحقوا الثناء العاطر بموقفهم هذا ، وأعادوا للأذهان ذكرى جدهم اسماعيل الجدير بكل ثناء وتقدير .

مقطع رقم ١٠ جـ ١

السهم يقع على عبد الله ليكون الذبيح .

١ ذَهَبوا إلى بَيتِ القِداحِ(١) وَيَومُها يومٌ حَزين
٢ وهُناكَ كان الإقتِراعُ أمامَ كلِّ الحاضرين
٣ قد كان عبدُ اللهِ حِبَّ أبيهِ من بَين البَنين
٤ السَّهمُ مالَ إلَيهِ كي يَفدى الأُخوَّةَ أجمَعين
٥ قَد طارَ عَقلُ الشَّيخ لَمَّا أغرَبَ القِدحُ(٢) اللعين
٦ وَاختارَت الأقدارُ عَبدَ اللهِ لِلنَّذرِ الثَّمين
٧ الشَّيخُ أمسَكَ مُديَةً(٣) وَالقَلبُ يَعصِرُهُ الأنين
٨ نادى على الإبن الحبيب ويَكتُمُ الحُزنَ الدَّفين
٩ أقبِل بُنَيَّ فَنِعمَ أنتَ، سَأقتَضى دَينَ السِّنين
١٠ قد كان عبدُ اللهِ شَهماً مُشرِقاً مِنهُ الجبين
١١ فأتاهُ مُتَّئِدَ الخُطا بَينَ الجُموع الواقِفين
١٢ قد جاءَ يَلقَى حَتفَهُ خَيرُ الشَّبابِ الطَّائِعين
١٣ عن أهلِ مكَّةَ لَا تَسَل كانوا جميعاً ناظِرين
١٤ هُبُّوا جميعاً هائجين فَأوقَفوا الخَطبَ المُهين(٤)
١٥ لَقد ارتضَوْا أن يَذهَبوا لِلإحتِكامِ إلى الكَهين(٥)
١٦ ذهبوا فكانَ الحلُّ أيسَرَ مِن عُقولِ الحائِرين
١٧ حَلٌّ نَجا فى ظِلِّه ذاكَ الغُلامُ مِنَ الكَمين(٦)

---

(١) بيت القداح: مكان عند هبل بجانب الكعبة للاستهام على أمورهم.

(٢) لما أغرب القدح اللعين: حين وقع على عبد الله.

(٣) أمسك مدية: أمسك سكينا ليذبح عبد الله بها.

(٤) الخطب المهين: واقعة ذبح عبد الله.

(٥) الى الكهين: هو الكاهن.

(٦) من الكمين: الخطر الذى يتربص به.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ١٠ جـ ١

لقد عرض عبد المطلب على اولاده، أغرب عرض يعرضه أب على بنيه، ذلكم هو قصة النذر الغريب الفريد، فوجدهم مستسلمين لرغبته، طائعين لأمره، فلما أطمإن لطاعتهم، قرر أن يكون عادلًا منصفاً بينهم، إذ لا ينبغى أن يختار واحداً من أولاده العشرة فيقول له: تعال لكى أذبحك أنت فداءً للنذر. ولا غرو، فقد كانت عندهم القداح يحتكمون إليها إذا أعضل عليهم أمر من الأمور الهامة.. فهم يستقسمون بها. فما أمرتهم القداح به أو نهتهم عنه فعلوه راضين. كان عبد الله بن عبد المطلب، أحب إخوته إلى أبيه، فذهب بأولاده للاستقسام بالقداح، عند هبل الصنم المعروف.. وأجريت سهام القداح بينهم، فخرج السهم على عبد الله الحبيب ليكون وفاء لنذر أبيه القديم، فداءً لإخوته جميعا.

هذا عبد المطلب، الشيخ المحطم تعلو محياه الكآبة والأحزان، يقف بجوار الكعبة، وفى يده مدية قد شحذها ليجهز على الغلام، إنه يبدو ثابت القلب، رابط الجأش أمام الناس، بيد أنه منهار فى أعماقه، فالآلام تحتدم فى داخله تشبه النار المتأججة.

عبد المطلب ينادى على ابنه عبد الله قائلا: أقبل يا بنى فنعم الإبن أنت طاعة وبرّاً.. إننى سأوفى نذرى بك، وقضى ما على من دين قديم لله.

سمع عبد الله نداءَ أبيه، فتقدم نحوه فى خطى وئيدة، يتخلل الجموع التى احتشدت لتشهد الوفاء بأغرب نذر فى تاريخ البشرية.

ولا غرو فعبد الله يتميز بعقل راجح، وشجاعة نادرة، فكان مرفوع الرأس شامخ الأنف وهو متجه نحو أبيه، وهو يعلم أنه ذاهب للموت.

كل الناس ينظرون، والشيخ يوشك أن يجهز على الغلام، حينئذ شعروا بأنهم مسئولون عن دم هذا الغلام، إن هم تركوا أباه يذبحه، فهبوا جميعا ثائرين على عبد المطلب، فمنعوه من تنفيذ ما عزم عليه.

لقد أوقفوه واتفقوا على أن يذهبوا إلى كاهنة فى يثرب.. وفعلا ذهبوا إليها فوجدوا عندها الحل، وكان يسيراً.. فى ظل ذاك الحل نجا عبد الله من موت محقق.

مقطع رقم ١١ جـ ١

عبد الله ينجو من الموت بمائة من الإبل

١ الوَفدُ عَادَ بفَرحَةٍ يَحدوهُـم الْأَمَـلُ الكـبير
٢ عادوا بِحَـلٍّ للقَضِيَّـةِ، إنَّـه سَهـــلٌ يَسير
٣ قد كانَ ذاكَ الحَلُّ عَشراً قَد تُزادُ مِنَ البعير[1]
٤ والإقتِراعُ عَلى الغُلام يَصيرُ والإبِل الكـثير
٥ ضَرَبوا القِداحَ عَلى الغُلام وَعَشرةِ الإبل النَّظير[2]
٦ لم يَرضَ سَهمُ الشُّؤم إلّا بِالغُلام المُستَجير[3]
٧ زادوهُ عَشراتٍ تِباعاً فارتَضى السَّهمُ المغير
٨ مِائَةٌ مِنَ الإبِلِ اغتدَوْا فى كِفَةِ الولَدِ الصَّغير[4]
٩ يا فَرحَةً للشيخ فازَ الحِبُّ مِن هَولِ المصير
١٠ وَالإبلُ قامَ[5] بِنَحرِها قَد كادَ مِن فَرَحٍ يَطير
١١ ظَلَّت لُحُومُ الإبِلِ طُعماً للوُحوشِ ولِلطُّيورِ
١٢ باتوا بمكة يَسمرونَ ويرقُصون إلى السُّحور
١٣ هذا لَعَمْرُ .اللهِ فِوزٌ كان من أمرٍ عَسير
١٤ بورِكتَ عبدَ اللهِ [6] أنتَ أَبٌ إلى الهادى البَشير

---

(١) البعير: هو الجمل، والابل أيضا اسم للجمال الكثيرة.

(٢) الابل النظير: الابل العشرة الموضوعة للاقتراع عليها وعلى الغلام

(٣) بالغلام المستجير: هو عبد الله.

(٤) فى كفة الولد الصغير: لقد وزن عبد الله بمائة من الأبل.

(٥) الابل قام بنحرها: عبد المطلب نحر الابل المئة.

(٦) بوركت عبد الله: أى يا عبد الله، بتقدير حرف نداء محذوف.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ١١ جـ ١

ها هو ذا قد عاد عبد المطلب بن هاشم، وكل الذين رافقوه لقد ذهبوا إلى كاهنة يثرب، يلتمسون عندها حلا للمعضلة التى استنفدت كل تفكيرهم، الا وهى مشكلة نذر عبد المطلب العجيب!!

عادوا وهم فرحون.. لقد وجدوا عندها الحل، فى ظل هذا الحل بات الأمل كبيرا فى نجاة عبد الله من الموت الذى يهدد حياته.

هذا الحل يتلخص فى الآتى:

لما قدم عبد المطلب والوفد المرافق له على العرافة فى يثرب، اخبروها بالقصة كاملة فقالت لهم: كم الدية فيكم؟! قالوا: عشر من الأبل، قالت: فارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم – أى عبد الله – وقربوا عشرا من الأبل، ثم أضربوا عليها وعليه بالقداح، فأن خرجت القداح على الأبل، فانحروها كلها، فتلك فداؤه وقد رضى ربكم.. وأن خرجت القداح على صاحبكم، فزيدوا عشرا من الأبل وأعيدوا القداح، فإن خرجت على الغلام فزيدوا عشرة أخرى من الأبل، وهكذا كلما وقعت القداح على الغلام، زيدوا عشرا من الأبل، إلى أن تقع القداح على الأبل، ثم انحروا الابل جميعاً.

فلما عادوا إلى مكة، وشرعوا فى ضرب القداح، قام عبد المطلب يدعوا الله، ثم قربوا عبد الله، وقربوا عشرا من الأبل، وضربوا القداح فخرجت على عبد الله، فزادوا الأبل عشرا ثم ضربوا، فخرجت على عبد الله أيضا، فزادوا عشراً، وكلما خرجت القداح على عبد الله زادوا عشرا من الأبل، إلى أن بلغت الأبل مائة.

لما بلغت الأبل مئة، ضربوا القداح، فخرجت على الأبل، عند ذلك قالت قريش لعبد المطلب وهو قائم عند هبل يدعوا الله، لقد أنتهى، رضى ربك يا عبد المطلب.

نجا عبد الله من الموت، وكم كانت فرحة عبد المطلب بنجاة ولده وفلذة كبده من الذبح. قام عبد المطلب على الفور فنحر الأبل المئة كلها.. الناس جميعاً قد أكلوا حتى شبعوا، وظلت لحوم الأبل تملا بطاح مكة لا يصد عنها وحش ولا طير ولا أحد من خلق الله تعالى.

باتت مكة كلها ترقص طربا بنجاة عبد الله، أنه فوز عظيم من أمر عسيرى كاد يودى بحياة غلمان مكة.. أنه أب لأنجب مولود، لمحمد ﷺ.

مقطع رقم ١٢ جـ ١

فتاة تحاول إغراء عبد الله

١ صار اسمُ عبدِ الله يُذكر باللسانِ وبِالجَنان (١)

٢ فى كلِّ بيتٍ إسمه، تَشدو بِه الغيدُ الحِسان

٣ قد كان يوماً ماشياً يَزهو بمكةَ فى أمان

٤ نورُ النبوَّةِ ظاهرٌ فى وَجنَتيهِ إلى العَيان

٥ نادَتهُ هَيفاءُ(٢) بصَوتٍ فيهِ لحنٌ من حنان

٦ قالت: إلَينَا يا فَتى، يا من نَجوت من الرِّهان (٣)

٧ قد كان عَذبُ حديثِها يمتازُ مع سحر البيان

٨ فى غُرفةٍ قد هُيئت للحبِّ فى أبهى مكان

٩ قالت: فإنى هَيت (٤) لك، أسرِع تَفُز فى الامْتحان

١٠ فأجاب عبدُ اللهِ فى قَولٍ رَصينٍ باتزان

١١ لا يَنبغى هذا النزولُ إلى المذلةِ والهوان

١٢ قالت: فَخُذنى بالحلالِ تَنل معى رَوض الجِنان

١٣ خُذنى وَخُذ إبلَ الفِداءِ، ولا تَخف غَدر الزمان

١٤ فأجابها هذا يكونُ على المَلَا خَوفَ اللسان (٥).

١٥ وَلتأذَنى لى أنصرِف، إنى أخاف بأن أُهان

١٦ قالت: أرى نُسكَ الأبوةِ فيك (٦) فَوق الافتتان

---

(١) وبالجنان: بالقلب أيضا.

(٢) هيفاء: فتاة دقيقة الخصر.

(٣) يا من نجوت من الرهان: تشير إلى نجاته من واقعة الذبح.

(٤) هيت لك: تهيأت لك.

(٥) خوف اللسان: حديث الناس بالسوء.

(٦) أرى نسك الأبوة فيك: أنت وارث للعفة عن آبائك.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ١٢ جـ ١

لقد نجا عبد الله بن عبد المطلب من حادثة الفداء، وكان فداؤه مائة من الإبل كما قدمنا، نحرت كلها.

بعد هذه الحادثة التى كانت بمثابة جرس دوّى فى سمع مكة وما حولها.. لمع اسم عبد الله، وعرف للجميع، بل صار اسمه يتردد على كل لسان فى مكة.. وأيضا لا يخلو بيت من ترديد اسمه مقرونا بالحادثة العجيبة الغريبة، هذا فضلًا عن موقفه الشجاع الذى بهر الجميع، ممن شاهدوا ذلك الموقف!!.

الكل يتحدثون عن شجاعته ورباطة جأشه، وطاعته للأمر رغم أن فيه موته، الجميع معجبون به، لا سيما الفتيات فى مكة، فقد صار عبد الله فتى أحلامهن جميعا، ذلك لأن الفتيات يستهويهن فى الرجل شجاعته وقوته، وكلهن قد رأين عبد الله يوم الفداء، يتقدم نحو أبيه فى شجاعة وإقدام، لا يهاب الموت، غير هالع ولا جازع، بل كأنه ذاهب إلى حفل ليلهو ويطرب، فى حين أنه ذاهب للموت وهو يعلم!!.

بعد حادثة الفداء بأيام، كان عبد الله ماشيا فى أحد شوارع مكة، وإذا فتاة جميلة هيفاء، نادته بصوت فيه لحن الأنوثة باديا فقالت:

تعال يا عبد الله، وتظاهرت بأنها تريده لأمر ما.. هذه الفتاة فيها فراسة وعندها علم، فقد قيل إنها أخت ورقة بن نوفل العالم المعروف، الذى بشر محمداً بالنبوة فيما بعد. لقد كانت تسمع من أخيها ورقة هذا عن محمد ﷺ، وعن صفات تتوافر فى أبيه.. فلما رأت عبد الله، لمحت بفراستها نور النبوة يتلألأ فى جبينه، فنادته واستدرجته حتى أدخلته الدار.. وإذا هو يجد نفسه داخل غرفة قد أعدت لعروسين أو عاشقين فقالت له: ياعبد الله! واقعنى الآن، فها أنذا مهيأة لك، فأجابها عبد الله قائلا: هذا العمل لا يعمله إلا السفهاء، ولست سفيها.

قالت: إذن تزوجنى أعطيك الإبل المائة التى نحرت فداء لك، فقال لها: هذا الأمر لا يكون سراً وإنما يكون على سمع الناس جميعا، وإلا نالتنا الألسنة.

وأستأذنك لأنصرف فإنى أخشى أن يتحدث الناس عنى بسوء، قالت له: أرى نسك الأبوة فيك، فأنتم لستم أهل مجون ولا فاحشة.

مقطع رقم ١٣ جـ ١

عبد المطلب يخشى على عبد الله الفتنة

١ عادَ الغُلامُ إلى أبيه ونَفسُه فيها اكتئاب
٢ قَد مَسهُ بعضُ(١) الذهولِ فصار يَشعُر بِالعذاب
٣ الشيخ قال له: بُنىَّ أراك فيك الاضطراب
٤ هَل تُخفنى سِرًا دَفيناً؟! لا تَخَف هاتِ الجواب
٥ أفضى الْغُلامُ(٢) إلى أبيه بقصةِ البِنتِ الكَعاب
٦ الكائَناتُ جَميعُها تَصغَى مع الشيخ المُهاب
٧ كلُّ العوالِم يَرقُبونَ بلهفةٍ فِصل(٣) الخِطاب
٨ ماذا عَساهُ يكونُ رأىُ الشيخ ذى القلبِ المذاب؟!
٩ الشيخ جال بِفكرِه حَتى غَدا فوق السحاب
١٠ قد قلَّبَ الآراءَ فى حِرصٍ شديدٍ فى حساب
١١ لكنّ حِكمتهُ أتَته فجاءَ بالرأى الصواب
١٢ من ثَمَّ قال إلى الغُلام بغيرِ شكٌ وارتياب
١٣ بُنَىَّ هيّا، إنَّنى أخشى عليك من الذئاب
١٤ هّيا إلى بيتِ بْن زُهرةَ، بَيته عالى(٤) الطّناب
١٥ هو من خيار القوم جَدّاً دون شك لا يُعاب

---

(١) مسه بعض الذهول: شرود الفكر.

(٢) أفضى الغلام إلى أبيه: تحدث بما يخفيه فى أعماقه.

(٣) فصل الخطاب: ما سوف يفعله عبد المطلب حيال ما حدث

(٤) عالى الطناب: كناية عن عراقة الأصل والنسب.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ١٣ جـ ١

لقد عاد عبدالله بن عبد المطلب إلى أبيه، وذلك بعد أن أفلت من حادثة الإغراء الخطيرة التى تعرض لها .. وقد كانت هذه الحادثة - حادثة الإغراء - بالنسبة لعبد الله تجربة خطيرة، هزت كيانه وشغلت فكره، واستولت على عقله وقلبه.

الكآبة بادية على محياه، والاضطراب ظاهر فى حركاته ونبرات صوته، وذهول وشرود أيضا .. ولا غرو فهذه الحادثة بالنسبة له شىء غريب، لم يسبق له أن حام بتفكيره حول شىء مثل هذا.

أما عبد المطلب، فقد لمح ما يعانيه وَلده الحبيب، وذلك بفراسة الشيخ وإحساس الأب، فقال له: ماذا بك يا بنى؟!.

هل من أمر يقلقك؟! هل هناك سرّ تخفيه عنى؟! لا تخف يا بنى، أخبرنى بكل شىء تعانى منه أو تخافه، فإننى أبوك يؤلمنى ما يؤلمك، ويسعدنى ما يسعدك.

هنالك تحدث عبد الله، وأخبر أباه بقصة الفتاة التى استدرجته، وبكل ما حدث بالضبط، والشيخ مصغ إليه باهتمام بالغ، ودهشة ملكت عليه كل تفكيره. قد كانت الدنيا كلها بعوالمها، تشارك الشيخ الإصغاء والاهتمام أيضا، ولم لا ؟!

فهذا الإنسان له شأن خاص فى مسيرة الحياة، إنه ليس كبقية الناس، من ثم فهو جدير بذاك الاهتمام، ولا غرو فهو الذى يتلألأ نور النبوة فى جبينه، إذن فالعوالم كلها تنظر إلى عبد الله نظرة تختلف عن نظرتهم لأى كائن آخر.

سمع عبد المطلب لقصة الإغراء التى تعرض لها ولده، فأصابه ما يشبه الدوار، فجال بفكره هنا وهناك، شرقاً وغرباً، فى الأرض وفى السماء، يقلب وجوه الآراء بحثا عن الصواب، وأخيراً أدركته حكمة الشيوخ، فعاد من جولته تلك بقرار حاسم، هو: أن يزوج ابنه عبد الله فوراً، خوفاً عليه من الفتنة، وفعلًا لقد اختار بيتاً من أرفع البيوت نسباً فى قريش، هو بيت وهب بن عبد مناف، من بنى زهرة، ذهبوا إليه خاطبين فرحب بهم.

مقطع رقم ١٤ جـ ١

زواج عبد الله من آمنة بنت وهب

١ بيتُ ابنِ زُهرَةَ أشرَقَت أنوارُه حتى السَّحَر
٢ المَجدُ فيهِ قد التقى، صِهرين من خيرِ البشرْ
٣ كانت لوَهْب ابنةٌ هى دُرةٌ مِثل القمر
٤ حَسناءُ تُدعَى آمِنَه، فيها حياءٌ فى خَفر[١]
٥ كانت خيارَ بناتِ مكة، زانَها بُعدُ النظر[٢]
٦ عقدوا عليّها لِلغُلام، وهكَذا شاء القَدَر
٧ الشيخ عجّلَ بالزفافِ وواصَلوا لَيلَ السمَر
٨ الكائناتُ ترنَّمت طَرباً وقد طال السهر
٩ فَلتَهنَاءِ الدنيا بِه، فهو الزواجُ المُنتظر[٣]
١٠ وليَهناءِ الشيخ الكبيرُ فسوفَ يَنزلُ ما حذِرَ[٤]
١١ قد أصبَحا زوجَين فى حُكم الطبيعةِ والأُسَرِ
١٢ كى يُنجِبا ولداً يُجنِّبُ قومه درب الخطر
١٣ من بعدِ ذاكَ سيَذهَبان ولن يَعودا من سفر[٥]
١٤ هذا قضاء الله، وهو الحقُّ، ربٌّ مقتدِر

---

(١) خفر: هو شدة الحياء.

(٢) بعد النظر: رجاحة العقل.

(٣) الزواج المنتظر: الذى تنتظره الدنيا كلها.

(٤) فسوف ينزل ما حذر: الموت الذى يخشاه على ولده.

(٥) ولن يعودوا من سفر: كنايه عن الموت.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ١٤ جـ ١

بيت وهب بن عبد مناف، أشرقت فيه الأنوار.. ضجة وأهازيج، وزغاريد وأغان، وجمع كثير من الناس، أمر غير عادى، ما هذا؟!

لقد جاء عبد المطلب بن هاشم، زعيم مكة وشيخها، مع وفد من بنى هاشم، وكبراء قريش أيضا، جاءوا إلى بيت وهب من بنى زهرة، جاءوا إلى بيته، يطلبون يد ابنته آمنة بنت وهب البكر الحسناء البالغة، الى عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، سليل المجد والشرف والزعامة.

فى تلك الليلة المباركة، التقى فى بيت المجد كله، أسرتان من أعرق الأسر، لا فى مكة فحسب، بل فى الجزيرة العربية كلها، بل فى العالم أجمع، ولا غرو فهاتان الأسرتان، تنحدران من أصل واحد لجد واحد!!.

تم الاتفاق بين الأسرتين، وعقدوا لعبد الله بن عبد المطلب على آمنة بنت وهب.. هذا كله كان يجرى فى ظل المشيئة العليا.

وبعد إتمام العقد، رأى عبد المطلب أن يُعَجِّل بالزفاف، وذلك لتتم الفرحة بالزواج، هذا من ناحية، ويتم ما هو مخبوء فى ضمير الغيب، وخط فى لوح القدر، من ناحية أخرى.

ولا شك أن مكة كلها قد فرحت بزواج عبد الله، ذلك لأنه يتمتع بحب أهل مكة واحترامهم، لاسيما بعد حادثة الفداء التى كانت سببا فى شهرته.

هذا وقد كان الكون كله بما فيه من عوالم، يطل على مكة يشاركها الفرحة بهذا الزواج المنتظر.. ذلك لأن هذا الزواج يعتبر حلقة هامة فى سلسلة أحداث الحياة، التى تنتظم الكون ومسيرته.

ألا فليفرح الشيخ الكبير أيضا، ولا شك فهو أكثر الناس فرحاً، بيد أن ما كان يخشاه على ولده، سوف ينزل به، ألا وهو الموت.

وهكذا فقد أصبح عبد الله وآمنة زوجين يكونان أسرة، ولسوف تكون ثمرة هذا الزواج غلاماً ليس ككل الغلمان.. إنه سيكون رحمة للناس، ولسوف يأخذ بأيدى البشرية إلى برّ الأمان، ويجنّبهم الأخطار، وبعد إنجابه سيذهبان.. ذاكم هو قضاء الله ولا راد لقضائه.

مقطع رقم°١٥ جـ ١
قريش ورحلتا°الشتاء والصيف

١ الِـفت قريشٌ رحلتين لِكـل عام للتجـارة
٢ فى الرحلَتَين تَنافسٌ بين الشباب على المهارة
٣ إحداهُما فى الصيف جاءت فى ثَناياها الخسارة
٤ كانت لأرضِ الشام حقاً إنها أرضُ الحضارة
٥ يا رِحلةً مَشئومَةً قد أشعَلَت فى القلبِ ناره
٦ أودت بعبدِ اللهِ نَجم[1] الأمسِ فى سِن النضارة
٧ عادَت قوافلُ مكة والشيـخُ يشعرُ بالمرارة
٨ ما إن بدت أُولىَ القَوافِلِ شَيخُنا سوّى إزاره
٩ فوراً توجَّه نحوهم قد كادَ أن ينسى وَقارهَ
١٠ نادى عليهم بالسؤالِ وكان يَسأَلُ فى حرارة
١١ ياأيها الأبناءُ أين غُلامُنـا؟! لم يأت دارَه
١٢ وإذا وجومٌ قد غَشاهُم كُلهم أبدى اعتِذاره
١٣ قد ظل عبدُ الله فى أخوالِه، أهل الجسارة
١٤ فى يثربِ لِيُمرِّضوه وذلكـم كان اختيـاره
١٥ لكنْ لسانُ الحال يهتفُ بالحقيقةِ لا[2] إثاره
١٦ قد مات عبدُ اللهِ إذ أدَّى الأمانَةَ عن جَداره
١٧ يا حَسرةَ الشيخِ الكبيرِ فنارُه زادت شرارة[3]

---

(١) نجم الأمس: الذى لمع اسمه بسبب حادثة الفداء.

(٢) لا اثارة: من غير ضجيج.

(٣) زادت شرارة: ازدادت نار قلبه اشتعالا.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ١٥ جـ ١

كانت قريش فى مكة، تعيش على التجارة، لقد نظمت حياتها المعيشية فى رحلتين اثنتين فقط فى كل عام، إحدى هاتين الرحلتين كانت إلى الشام، وهى فى فصل الصيف، والرحلة الأخرى كانت إلى اليمن، وهى فى فصل الشتاء، وقد أخبر القرآن الكريم عن هذا، فى سورة مستقلة هى سورة «قريش».

ولا غروفمجال التجارة والرحلات، والتنقل بين البلدان، والتعامل مع أنواع الناس المختلفة، مجال رحب يتنافس فيه الشباب لاكتساب الخبرة وتربية المهارة والذكاء فيهم، هذا فضلا عن تزودهم بالمعلومات القيمة نتيجة لاختلاطهم ومعرفتهم بأحوال الشعوب الأخرى.

ما أن تزوج عبد الله بن عبد المطلب بآمنة بنت وهب، حتى كان موعد رحلة الصيف إلى الشام قد حان.. ولذا فقد باتوا بمكة يتهيأون للرحلة غداً.

وفى نفس الوقت كان هنالك أناس يتهامسون بشأن عبد الله بن عبد المطلب.. انقسم المتهامسون إلى فريقين اثنين: فريق يقول: إن عبد الله لن يخرج غداً مع قافلة التجارة، ولسوف يظل مع عروسه الحسناء، ذلك لأنه قريب عهد بعرس.

والفريق الثانى يقول: إن عبد الله لن يتخلف عن القافلة، فشهامته ورجولته واستقامة عقله، تمنعه من التخلف.. ومن قيامه بواجبه نحو أسرته ليحقق لهم حياة كريمة راغدة.

أصبح الصباح، وإذا عبد الله فى مقدمة القافلة بإبله وعتاده، فنظر الجميع إليه نظرة إكبار، لأنه لم يؤثر شهوته على ركوب أهوال السفر طلبا للرزق، وما تقوم به الحياة.

لقد كانت تلك الرحلة مشئومة، لا شك فى هذا، فقد ذهب عبد الله مع القافلة، لكنه لم يعد.. لقد أفل ذلك النجم الذى تألق بعد حادثة الفداء، أودت به تلك الرحلة المشئومة.

عبد المطلب فى قلق ينتظر قدوم القافلة، وحينما بدت طلائع القافلة من بُعْد، خف الشيخ للقائها: ثم بادر القادمين بالسؤال، أين عبد الله صاحبكم؟! وجموا جميعا ثم قالوا: تخلف عند أخواله فى يثرب لمرضوه.. لكن هاتفاً يصرخ فى أعماق عبد المطلب كان يقول له: إن عبد الله لن يعود، لقد أدى الدور الذى خلق من أجله وذهب.. فزادت أحزان عبد المطلب.

مرحلة الميلاد

طفولة محمد ﷺ وصباه

مقطع رقم ١٦ جـ ١
مكة تشارك عبد المطلب وآمنة احزانهما

١ يا حُزنَ مكة كلها قد هزها خَطبٌ جلل[١]
٢ قد رُوّعت بالحُزنِ حقا لا مِراء ولا جدل
٣ بالأمس كانت كلها فَرْحى وتشْدو للبطل
٤ واليَوم تَذرفُ دمعَها حُزناً لقد جاء الاجل
٥ قد مات عبداللهِ خير شبابِ مكة وارْتَحل
٦ الشيخ ناء بِحِمله[٢] فالخَطبُ أثقَلُ من جبل
٧ ويُخاطبُ المَولى العظيمَ وكان يَخشى من خبل[٣]
٨ ربّاهُ ما هَذا؟! فإنى حَائرٌ فيمَ العمـل؟!
٩ بالأمس كان فِداؤه مِئةٌ نَحرتُ من الإبل
١٠ واليوم يطويهِ الرَّدى بعد الفداء على عَجل
١١ والزوجةُ[٤] الثّكلى تَهاوت وارتدت سودَ الحُلَل
١٢ تبكى وتُبكى حولها الدنيا على من قد رحل
١٣ هذا الجنينُ[٥] أكادُ أسمع صوته يحكى الأمل
١٤ أن كَفكِفى دمعاً وصَبراً للقَضاء وما نزل
١٥ سمِعت نِداءَ جنينِها وقد استَجابت فى وجل

---

(١) خطب جلل: مصيبة كبرى.

(٢) ناء بحمله: أجهده ثقل الحمل، أى حر المصيبة.

(٣) يخشى من خبل: يخشى أن يصاب بلوثة فى عقله.

(٤) والزوجة الثكلى: الحزينة، هى آمنة بنت وهب.

(٥) هذا الجنين: تشير الى ما فى بطنها.

المعنى الاجمالي للمقطع رقم ١٦ جـ ١

لقد عادت قافلة التجارة المكية من رحلتها الصيفية إلى الشام، لكن عبد الله لم يعد مع زملائه.. ظل فى يثرب عند أخواله يمرضوه من وعكة المت به، بيد أن المنية عاجلته فودع الحياة.

لقد حزنت مكة لموته.. وحق لمكة أن تحزن لموت عبدالله، فهى بالأمس القريب فرحت لنجاته من واقعة الذبح، كانت سكين عبد المطلب تتربص به، وكانت قاب قوسين أو أدنى من عنقه.. لكنه نجا بمائة من الإبل، نحرت كلها يوم نجاته.. إذن فكما فرحت لنجاته بالأمس، حزنت لوفاته اليوم.

أما عبد المطلب الحزين، فقد هزه هول المصاب الأليم، يبكي ويتحسر، ولسان حاله يقول: رباه! ما هذا؟! إنى فى حيرة، فلا أكاد أفهم شيئاً، بالأمس القريب كان فداؤه مئة من الإبل، نحرتها كلها، وانا سعيد بهذا راض به، ولما يمض على هذا الأمر زمن طويل، وإذا يد الأقدار تختطفه، فأمسى بين أطباق الثرى!!.

لاشك أن هذا الأمر يدعو للدهشة والعجب!! وهو أكبر من دائرة أفكارى وتصورى.. فسبحانك اللهم لك الأمر من قبل ومن بعد.

والزوجة الحزينة، آمنة بنت وهب، فجعت فى أعز أمانيها.. أيامها المعدودات معه، صارت ذكريات وخواطر.. لقد أصبحت أرملة حزينة، بعد أن كانت زوجة لأحسن فتيان مكة على الإطلاق.

لقد أغرقت نفسها فى ثياب الحداد السوداء، تبكى وتناشد الدنيا كلها أن تبكى معها على الفقيد الراحل، وبينما هى فى قمة الانصهار فى أتون الأحزان، إذ بها تشعر براحة نفسية... لم تعد تجد رغبة فى البكاء، حرارة الحزن انطفأت فى أعماقها، وبدأت تهدأ شيئاً فشيئاً فما هذا؟!.

صوت يناديها فى أعماقها، يهيب بها أن تكف عن البكاء، وأن تكفكف دموعها، ذلك الصوت: هو صوت الجنين الذى بين جنبيها، يناديها فيقول: كفى عن البكاء يا أماه، واصبرى على قضاء الله، فاستجابت لذلك الصوت وصبرت.

مقطع رقم ١٧ جـ ١
مولد محمد ﴿ﷺ﴾

١ وُلِد الهدى[١] فالكونُ غَنَّى فَرحةً لحنَ السلام
٢ أرجاءُ مكة أشرقت بالنور من بعد الظلام
٣ بالمَولد الميمون نالت فى الورى أسمى مقام
٤ هى قِبلة الإسلام صارت ذاك فضلٌ لا يُرام[٢]
٥ نيران فارسَ أُطفِئت بعد اشتعال ألف عام
٦ عَبدوا لها دون الإلهِ أولئك الفُرس اللئام
٧ إيوانُ كِسرى قد تصدع وانحنى منه القَوام
٨ قد كان أعجبَ مُنشآتِ العصر من حيث النظام
٩ جَفت هناك بُحيرةٌ كانت تفيضُ على الدوام
١٠ جيشٌ ظَلومٌ جاء يَبغى الهدمَ للبيتِ الحرام[٤]
١١ الفيلُ يَقدمُ جيشهم للاعتداء وللخصام
١٢ كانت جنودُ اللهِ تَرصُد خطوهم للإنتقام
١٣ «طيراً أبابيلًا» رمَوْهم بالحِجارة كالسهام
١٤ حتى غَدوا صَرْعى طَعاماً للوُحوش وللهَوام
١٥ لَم يبقَ منهم واحد ذاقوا أمرَّ الإنهزام
١٦ والبيت ظلَّ يتيهُ فَخراً صانه ربُّ الأنام

---

(١) الهدى: هو محمد عليه الصلاة والسلام.

(٢) ذاك فضل لايرام: فضل عظيم لم ينله ولن يناله أحد.

(٣) البيت العاشر وما بعده من وحى سورة «الفيل»

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ١٧ جـ ١

لقد ولد محمد ﷺ. إنه الهدى الذى أرسله الله هداية للعالم أجمع، وبمولده فرحت العوالم كلها، وغنى الكون لحناً شجياً أطرب الكائنات جميعها، إنه لحن السلام الذى بث الأمن والطمأنينة، فى روع الدنيا كلها بما فيها من عوالم، وذلك بعد خوف ورعب كانا يروعانها.

لقد أشرقت مكة بنور ملأ أرجاءها، بعد الظلام الذى كان يلفها ويخيم عليها من أقصاها إلى أقصاها.. إنه نور الحق والإيمان والعدل.

فى ظل ذلك المولد، أصبحت مكة تتباهى على كل ما حولها من الأمصار. وحق لها أن تفخر بذلك المولود النجيب، إنه محمد خير خلق الله قاطبة، ورسوله إلى العالم أجمع.. هذا فضلا عن كونها أصبحت قبلة الإسلام، فهذا بلا شك فضل عظيم نالته مكة، فى ظل ميلاد محمد ﷺ.

فى ليلة ميلاد محمد ﷺ، حدثت أمور هامة وخطيرة، وأحداث شدت أنتباه الدنيا كلها، وسجلها التاريخ بخطوط بارزة فى أنصع صفحاته مثل:

١ – انطفأت نيران فارس، وكانت مشتعلة منذ الف عام لم تنطفىء مطلقاً، وقد كان الفرس يعبدونها من دون الله عز وجل.

٢ – تصدع إيوان كسرى: وتهدمت منه أربع عشرة شرافة، وقد كان من أعجب منشآت عصره من حيث القوة، بله الجمال[1].

٣ – جفت بحيرة ساوه، وكانت تملأ السهل والجبل بمائها، ولم تجف من قبل.

وفى العام الذى ولد فيه محمد ﷺ، انهزم جيش أبرهة الأشرم، وقد كان يريد هدم الكعبة.. لقد أرسل الله على ذاك الجيش الظالم، طيراً أبابيل، هذه الطيور، رمت الغزاة بحجارة من سجيل، فهلكوا جميعاً، وهزموا شر هزيمة، لقد أبيدوا جميعا، وظلت رممهم تملأ بطاح مكة، طعاماً لوحوشها وطيورها وهوامها.

وهكذا، لقد هزم جيش الظلم والبغى الذى أراد هدم بيت الله.. هزمته جند الله الغالبه، وهى الطير الأبابيل!!

وظل بيت الله يتيه فخرا، صانه ربه من الغزاة، وصدقت قولة عبد المطلب: حينما قال لقائد جيش الفيل «إن للبيت ربا يحميه».

---

(١) بله الجمال – دع عنك الجمال.

مقطع رقم ١٨ جـ ١
شهر ربيع الأول عيد يتجدد كل عام

١ الكونُ مع كل العوالِم قد تَغنَّوْا قائـلين
٢ يا بنت[١] وهبٍ أبشِرى يادُرةَ[٢] العِقد الثمين
٣ بُشراكِ يا أمَّ الهُدى بُشراكِ . بنت الأكرمين
٤ فى فجر يوم مشرقٍ أنجَبتِ خير العالمين
٥ فى ليلة الإثنين من شهر الرّبيع الأوّلين
٦ هيّا اطْردى الأحزانَ قد أصبحتِ بين الخالدين
٧ واستَقبِلى الأفراح وانسَىْ لوعةَ الحزن[٣] الدَّفين
٨ فى شهرنا المَيمونِ كان النصر بالهادى الأمين
٩ نصر عَلى كلِّ الفسادِ، وناصرُ المُستَضعَفين
١٠ نصر لتَوحيدِ الإله، ونَبـذ شركِ المشركين
١١ شهر الربيع غَدوْت عيداً عند كلّ المسلمين
١٢ ذِكراك توحى بالسّعادة فى قلوب المؤمنين
١٣ بالرحمةِ المُهداة جئت[٤] إلى الخليقة أجمعين
١٤ مَرحى بمَقْدمك الكريم على المدى طولَ السنين

---

(١) يا بنت وهب أبشرى: هى آمنة أم محمد عليه الصلاة والسلام.

(٢) يادرة العقد الثمين: هى بين النساء كاللؤلؤة الثمينة بين لآلىء أقل قيمة.

(٣) وانسى لوعة الحزن: أحزانها على زوجها الراحل عبد الله.

(٤) بالرحمة المهداة جئت: أى بمحمد ﷺ.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ١٨ جـ ١

الكون كله بعوالمه على مختلف أنواعها، قد تغنوا وترنموا طرباً، فكأن لسان حالهم يقول: بشراك يا آمنة، يا خيرة نساء زمانها، يا درة منظومة فى عقد أنت أحسن درره، فيوم ميلاد ولدك هذا كان يوما مشرقا جميلا، إنه الهدى الذى جعله الله لهداية الناس جميعا.

فى ذلك اليوم الخالد من عمر الزمان، ابتسم الكون بعد العبوس، وفرح بعد الحزن، فى ليلة الإثنين من شهر ربيع الأول، وفى التاسع منه.. فى ذلك اليوم عوض الله صبرك خيراً بذلك المولود، يا من فجعت بفقد قرينك، وأنت لما تزالى فى ثياب العرس، والخضاب لا تزال آثاره فى كفيك.

فهيا اطردى الأحزان يا أم الهدى من حياتك إلى الأبد، واستقبلى الأفراح وانسى ما مرّ بك من أيام الحزن ولياليه السود.

فى ذلك الشهر المبارك، شهر ربيع الأول، ولد محمد ﷺ، وبمولده انتصر كل شيء فى هذه الحياة.. انتصر الخير فى شتى صوره على الشر فى شتى صوره.. انتصر التوحيد على الشرك.. انتصر الحق على الباطل.. الخ.

وهكذا لقد أصبح شهر ربيع الأول، عيداً يتجدد كل عام فى نفوس المسلمين جميعا.. بل صار مجرد ذكره يوحى بالسرور والسعادة فى قلوب الناس جميعا، ممن يؤمنون بوحدانية الإله العظيم، ونبوة محمد ﷺ.

ألا فمرحباً بشهر ربيع الأول، مرحباً بقدومه كل عام على مدى الأزمان، ذلك لأنه جاء إلى الدنيا بأفضل مولود أنجبته البشرية فى تاريخها الطويل، من لدن آدم إلى أن يرث الله الأرض وما عليها!!.

ذلك المولود هو محمد ﷺ، ولا غرو فبمولده صححت مسارات من الخطأ إلى الصواب، واعتدلت معايير كانت منعكسة معوجة، وساد الحق وانهزم الباطل.

مقطع رقم ١٩ جـ ١
بشريات الحمل والميلاد

١ تروى الروايةَ بنتُ وهب للوَرى والباحثين[(١)]
٢ قالت: أتـــانى الأنبيـــاءُ وبشَّرونى قائـــلين
٣ قالوا: حملْتِ بخير خلق الله طراً أجمعين
٤ قد كان هذا فى المنام وليس جَهراً عن يقين
٥ قالت: فإنى ما وجدتُ لحَمْله ثِقلا[(٢)] يُهين
٦ فى الوضع[(٣)] قالت: قد رأيت النورَ عَمَّ العالمين
٧ وقصور بُصرى فى بلاد الشام صاروا ماثلين[(٤)]
٨ ورأت ملائِكـة السمـاء أتَــوْا إليها نازلين
٩ أما النجومُ فقد دنت من بيتها للناظرين
١٠ فى الفجر قد وضعت حبيبَ الله خَتم المرسلين
١١ قد جاء جدّ محمدٍ فى قلبه حزن دَفين
١٢ ما إن رأى لحفيده ذى النور يشرق فى الجبين
١٣ فوراً تهلَّل وجهه قد كان ذا قلبٍ[(٥)] حزين
١٤ بالحب يحتضن الغلامَ مودعاً حزن السنين
١٥ ويطوفُ بالبيت العَتيقِ لشُكرِ خير الخالقين
١٦ ولسانُ حالٍ منه يهتف فى مقال الضارعين
١٧ رُحْماك ربَّ العرش عن شكر غدوْنا عاجزين

---

(١) والباحثين: لكل من يبحث عن الحقيقة.

(٢) ثقلا يهين: لم تشعر بآلام الحمل.

(٣) فى الوضع: عند الولادة وأثناءها.

(٤) صاروا ماثلين: ظاهرين للعيان.

(٥) كان ذا قلب حزين: على ولده عبد الله كما قدمنا.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ١٩ جـ ١

إن قصة حمل محمد وميلاده ﷺ، قصة جديرة بالاهتمام من كل باحث ودارس، ومن ثم فلن نجد أصدق ممن عاشت التجربة بنفسها، مصدراً صادقاً أمينا، تروى للتاريخ قصة حملها بمحمد ﷺ، وقصة مولده أيضا.

تروى آمنة بنت وهب ما أحست به وما سمعته، وما رأته أيضا، وبلا شك فهى صادقة، وكيف لا تكون صادقة، وهى الوعاء الطهور التى حملت أطهر مولود من بنى الإنسان على الإطلاق بين أحشائها.

فلما أحست به من أعراض الحمل قالت: لقد علقت به — تعنى رسول الله — فما وجدت له مشقة حتى وضعته، فلما فصل منى خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب، ثم وقع على الأرض معتمداً على يديه، ثم أخذ قبضة من التراب فقبضها، ورفع رأسه إلى السماء.

وعما سمعت قالت إنها أُتيت حين حملت برسول الله. فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع على الأرض فقولى:

أعيذك بالواحد من شر كل حاسد، من كل بر عاهد، وكل عبد رائد، يذود عنى ذائد، فإنه عند الحميد الماجد، حتى أراه قد أتى المشاهد.

وآية ذلك أنه يخرج معه نور، يملأ قصور بصرى من أرض الشام، فإذا وقع فسميه محمداً، فإن اسمه فى التوراة أحمد، يحمده أهل السماء وأهل الأرض، واسمه فى الإنجيل أحمد يحمده أهل السماء والأرض، واسمه فى القرآن محمد.

وعما رأته قالت: فما شىء أنظره فى البيت إلّا نور، وإنى لأنظر إلى النجوم تدنو حتى أقول: لتقعن على الأرض.

فلما وضعته أرسلت إلى جده عبد المطلب قالت: إنه قد ولد لك غلام فأته فانظر إليه، فأتاه فنظر إليه، وحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه، وما أمرت أن تسميه.

قيل: أخذه جده فدخل به الكعبة، فقام يدعو الله ويشكره على ما أعطاه، ثم خرج به إلى أمه. فدفعه إليها، والتُمس لرسول الله الرضعاء.

مقطع رقم ٢٠ جـ ١

المرضعات يعرضن عن محمد، وحليمة تأخذه

١ هذى حليمة[١] أقبلت مع نِسوةٍ للإنتفاع
٢ يَبغين أولاداً صغاراً للرعاية والرضاع
٣ يأخذْنَ أجراً كي يَسدوا النقص من فقر[٢] دِقاع
٤ قحْط البلاد[٣] أصابهم قد أصبحوا شِبه الجياع
٥ المرضعات أبين أخذ محمد خوف[٤] الضياع
٦ وأخذْنَ أولاد السَّراة[٥] ذوى اليسار ذوى المتاع
٧ أما حليمةُ لم تجدْ غير اليتيم للارتِضاع
٨ أم أن تعود بلا رضيع ذاك ما لا يستطاع
٩ سمعت نداءً فِى الضميرِ له دوىٌّ كالقِراع[٦]
١٠ ذاك النداء يقول: هيّا إن أردْتِ الإرتفاع
١١ هيّا حليمة أدركى مجداً أتاكِ بلا خداع
١٢ هذا اليتيمُ فإنه خير البريّةِ لا نزاع
١٣ فَلتأخذيه أو الندامةُ إن أبيت الانصياع[٧]
١٤ لقد استجابت للنداءِ وآثرتْ سَمح الطباع
١٥ نالت بهذا كل فخر، ذكرُها ملْ السماع

---

(١) حليمة: هى السعدية مرضعة محمد ﷺ.

(٢) من فقر دقاع: هو أشد أنواع الفقر.

(٣) قحط البلاد: القحط ضد الخصب.

(٤) خوف الضياع: خشية أنّ لا يقوم أحد بإعطائهن أجر إرضاعهن محمداً.

(٥) وأخذن أولاد السراة: جمع سرى وهو العزيز فى قومه.

(٦) دوى كالقراع: كقرع الطبل.

(٧) الانصياع: الانقياد.

المعنى الاجمالي للمقطع رقم ٣٠ جـ ١

هذه حليمة السعدية بنت أبي ذُئيب، معها نسوة أخريات قادمات من عمق الصحراء، متوجهات صوب مكة يبغين التكسب والانتفاع، ذلك الانتفاع يتمثل فى أخذهن أبناء الاسر الكريمة فيرضعنهن، وذلك مقابل أجر سخى يأخذنه من الآباء، ولا غرو فتلك كانت عادة العرب ذوى اليسار، لاسيما أهل مكة التى هى حاضرة الجزيرة العربية.. وأهلها يعتبرون أنفسهم خيراً من غيرهم.

أما المرضعات، فما دفعهن إلى احتراف هذه المهنة إلّا الفقر، ولا شيء غير الفقر، القحط أصاب البلاد، بخلت السماء بالمطر، والأرض لا تنبت الزرع مالم ينزل عليها المطر، فيروى عطشها ويحيى مواتها.

من جراء القحط أصاب البادية ما يشبه المجاعة، مما حدا بالنساء إلى البحث عن وسيلة لكسب لقمة العيش الشريف، فلجأن إلى مهنة الإرضاع.

وُضع الوليد الصغير - محمد بن عبدالله - بين الولدان فى السوق، وجاء النسوة، فأخذت كل واحدة منهن طفلًا رضيعاً.. وكلهن على الإطلاق أبين أخذ محمد لكونه يتيما.

أما حليمة السعدية، فلم تجد رضيعاً من أبناء الأغنياء لتأخذه، ولم تجد سوى محمد فقط، وهو الذى أبت النسوة كلهن أخذه ليتمه، فصارت تحدث نفسها، أتأخذه؟! أم تعود بلا رضيع، وهذا أمر لا يمكن تصوره، فهى ما جاءت من عمق الصحراء، إلى مكة إلا لهذا الغرض.

وبينما هى تحدث نفسها فى شأن هذا اليتيم، وهى فى حيرة من أمرها أتأخذه؟! وقد لا تجد من يعطيها الأجر لكونه يتيما.. وبينما هى فى حديث مع نفسها، وإذا نداء فى سمعها، فى أعماقها، فى كل ذرة فى جسدها يقول لها:

هيا أدركى هذا المجد الذى أتاك دون أن تعلمى، ولن ينازعك فيه أحد، هيا خذى هذا اليتيم، فإنه خير الخلق كافة، وإلّا فسوف تندمين إن لم تأخذيه.

بعد هذا التردد والحيرة، غلب عليها الطبع الحسن فأخذته، وبهذا خلد اسمها فى التاريخ، لقد ارتبط اسمها باسم رسول الله، فما من أحد يذكر رضاع محمد إلا ويذكر اسم حليمة السعدية كمرضعة له.

مقطع رقم ٢١ جـ ١
محمد مع حليمة السعدية رضيعا

١ عادت حليمة باليتيم لزوجها فى رحْلهم
٢ فوراً غدتْ أثداؤها ملأى وقد ضاقتْ بهم
٣ من بعد أن كان ابنُها لا يرتوى من[1] دَرِّهم
٤ صارت كفاءً لليتيم وطفلها فى رَيِّهم
٥ والناقةُ العجفاءُ[2] جادت بالحليب لشربهم
٦ كانت جفافاً ضَرْعُها ما فيه من خير لهم
٧ القحط[3] لم يترك بها دَرّاً يغذّى طفلهم
٨ الحرث زوج حليمةٍ أمسى يُناغى[4] ضيفهم
٩ فى حكمة قد قال قولا ظلَّ يُروى بعدهم
١٠ هذا اليتيم مباركٌ لا شك من خير النَّسم[5]
١١ باتوا وهم فى فرحةٍ فالخيرُ أمسى عندهم
١٢ يا فرحةَ الزوجين قد هلَّت ليالى سعدهم
١٣ هم أسعد الأبيات صاروا نِعم بيتاً بيتهم

---

(١) لا يرتوى من درهم: الدر هو اللبن.

(٢) الناقة العجفاء: الهزيلة.

(٣) القحط: هو عدم خصب الأرض نظرا لعدم نزول المطر.

(٤) يناغى ضيفهم: يداعب محمداً.

(٥) من خير النسم: من خير النفوس.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٢١ جـ ١

عادت حليمة السعدية ومعها اليتيم محمد الصغير، إلى زوجها فى الرحال – مكان نزول القافلة خارج مكة – فهى لم تجد أطفلا سواه، فاثرت أن تعود به على أن تعود صفر اليدين.

ما أن وصلت لزوجها فى الرحال، واستقر بها المقام، وإذا هى تشعر بأن ثدييها يوشكان أن ينفجرا من كثرة اللبن.

حليمة تتساءل مع نفسها فى دهشة، ما هذا؟! فقد كان ثدياها قبل ذلك لا يكادان يكفيان ولدها الرضيع، ومن ثمّ فقد كان وليدها لا يكف عن البكاء من الجوع، أما الآن فها هى ذى قد أرضعت الإثنين معا، هما: ولدها ومحمد اليتيم!!.

هذه ظاهرة تستحق التفكير والاهتمام، أمر آخر لا يقل غرابة عن الأول، فما هو؟! ناقتهم العجفاء الهزيلة، امتلأ ضرعاها بالدَّر، فشربوا لبناً حتى ارتووا، وقد كانت هذه الناقة قبل ذلك، جافة الضرع، لا تبض بقطرة لبن نظراً لضعفها وهزالها من أثر القحط الذى أصاب البلاد، حيث لا زرع ولا شجر ولا عشب.

أما حليمة وزوجها، فقد أدركا سر هذا التغير الظاهر، عرفا بأنه ببركة هذا الطفل الذى حل ضيفاً عليهم، ألا فنعم الضيف هو.

ولا غرو فقد شعر الحارث، زوج حليمة بميل وحب لهذا الغلام اليتيم، فصار يداعبه ويناغيه فى حنو صادق كما يناغى ولده، ثم قال لزوجه حليمة.

«يا حليمة، والله إنى لأراك قد أخذت نسمة مباركة، ألم ترى ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه؟! فلم يزل الله عز وجل يزيدنا خيرا».

لقد بات الزوجان ليلتهما فى سعادة غامرة ولم لا، فالخير والبركة قد حلا عندهم مع ذلك الطفل اليتيم.. إذن فالسعادة أخيراً وجدت طريقها إلى بيتهم، وقد طرقت عليهم بابهم.

لقد أرسل الله هذا الغلام اليتيم إليهم، ليكون سبباً فى إسعادهم وفعلًا لقد صارت بيتهم أكثر البيوت سعادة وخيراً.

مقطع رقم ٢٢ جـ ١

بركة محمد تظهر فى وادى بنى سعد

١ عادت حليمةُ بالغُلام مع النساء إلى الديار
٢ وادى بنى سعد غدا يزهو(١) على كلِّ الجوار
٣ قد أشرق الوادى بخصب وازدهت فيه الثمار
٤ والابْل والأغنامُ ترعى العشب ليلا أو نهار
٥ بالأمس كان يَئِنُّ(٢) جدباً لا نباتُ ولا نضار(٣)
٦ قد حلَّ فيه مباركٌ فاهتزتْ الأرض البوار(٤)
٧ دبتْ حياةٌ فى بنى سعدٍ نماء وازدهار
٨ ومحمدُ يلهو مع(٥) الأتراب والصحْب الصغار
٩ والظِّئرُ(٦) ترْقب خطْوه تخشى عليه من العَثار
١٠ معْ أختهِ الشَّيماء تحْمله بحب واصطِبار
١١ أعطتْهُ حباً صادقاً لا شكَّ فيه ولا غبار
١٢ لم ينسَ هذا فى حُنينٍ يوم كان الإنتصار
١٣ جاءت إليه وأُخريات فَكَّهنَّ(٧) من الأسار
١٤ من أجلها ردّ السّبايا والذّرارى باقتدار
١٥ ذاك الوفاءُ بعينهِ فلْتفهموا للإعتبار

---

(١) يزهو : يفتخر .

(٢) يئن جدبا : فيه استعارة ، كناية عن القحط .

(٣) نضار : النضار شدة اخضرار الزرع .

(٤) الأرض البوار : التى لم تزرع .

(٥) مع الأتراب : أمثاله فى السن .

(٦) الظئر : هى مرضعته حليمة .

(٧) فكّهنّ : أطلق سراحهن .

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٢٢ جـ ١

لقد عادت الأسرة الصغيرة، حليمة السعدية وزوجها الحارث بن عبد العزى، ومعهم محمد يتيم عبد المطلب.. عادوا مع بقية القافلة التى رافقتهم فى رحلتهم، عند قدومهم من ديارهم، وكانوا قاصدين مكة طلبا للرزق، عن طريق الاسترضاع، عادوا إلى ديارهم فى بنى سعد.

يالله!! كأن يداً سحرية لمست وادى بنى سعد، فانقلب حاله من الجفاف إلى الاخضرار، ومن القحط إلى الخصب.. دبت فيه الحياة بعد الموات.. ولذا فقد صار يفتخر ذاك الوادى ويزهو على كل ما حوله من الوديان بحلول محمد الغلام اليتيم فيه.

ازدهت الثمار فى الوادى ونضجت، ونما زرعه واستحصد، والعشب ملأ جنباته، فصارت الإبل والأغنام وكل أنواع الدواب، ترعى من العشب الذى غطى وجه الأرض كثوب سندسى أخضر.

بالأمس القريب كان هذا الوادى، يئن ويشكو من أثر الجدب والجفاف الذى شمله من أقصاه إلى اقصاه.. وها هو ذا قد أصبح اليوم يبتسم ويهتز اخضرارا.

أخذ محمد اليتيم الصغير، يحيا حياة الطفولة البريئة، يلهو مع أترابه، لكن حليمة مرضعته كانت تتابع خطواته وتحركاته، عينها لا تغفل عن مراقبته، تخشى عليه أن يتعثر فى خطاه، أو يصاب بأذى أثناء اللعب.. فقد أحبته كحبها لوليدها.

الشيماء بنت حليمة، أخت محمد من الرضاع، تحمله وتلاعبه فى حب برىء صادق، ولم تكن تمل من حمله، وتتقبل متاعبه ومضايقاته لها، ودلاله كطفل.

إن محمداً لم ينس هذا لأخته الشيماء، ففى غزوة حنين حينما انتصر محمد ﷺ والمسلمون، على هوازن ومن تبعهم من بقية العرب، وغنم المسلمون غنائم كثيرة، وجىء بالسبايا من نساء هوازن، وإذا الشيماء أسيرة بين السبايا.

جاءت الشيماء إلى رسول الله، فعرفته بنفسها، فوراً فكها من الأسر، وفك كل نساء هوازن وذراريهم إكراماً لها، وردها مكرمة وأجزل لها العطاء.

تالله إن هذا هو عين الوفاء، فينبغى لكل إنسان أن يكون وفياً لمن أحسن له يوما ما.

مقطع رقم ٢٣ جـ ١
محمد فى الفطام

١ قد صار عمر محمدٍ عامينِ فى الوادى السعيد
٢ ذاكم هو السنُّ المحددُ للفطام لمن يريد
٣ قد شبَّ[١] فى العامينِ قدْر ثلاثةٍ أو قد يزيد
٤ هو فى رعايةٍ ربهِ هو خير أبياتِ القصيد[٢]
٥ هو سيدُ الدنيا جميعاً صاحبُ الدينِ الجديد
٦ هذى حليمةُ فكرت بل قررت فصل الوليد
٧ بعد الفطام رأت تعود به إلى الحبِّ الأكيد[٣]
٨ أمٌّ هناك تحرَّقت شوقاً إلى الإبن البَعيد
٩ فى مكةَ البلدِ الحرام، فنعم ذا الرأى السديد
١٠ الأمُّ فى شوقٍ لرؤيته، هو الإبنُ الوحيد
١١ قد كان يوماً مشرقًا يوم اللقاءِ كيوم عيد
١٢ فرحت ثُوَيبةُ[٤] يومها معها الإماءُ كذا العبيد
١٣ يا فرحةَ الدنيا به، هو منحةُ الربِّ المجيد
١٤ هو رحمةٌ للناس يوم الحشر من نار الوعيد

---

(١) شب فى العامين: نما وكبر.
(٢) خير أبيات القصيد: الناس كلهم كقصيدة شعر هو خير أبياتها.
(٣) الحب الأكيد: حب الأم لولدها.
(٤) فرحت ثويبة: هى مولاة أبى لهب.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٢٣ جـ ١

لقد بلغ محمد — صلى الله عليه وسلم — من العمر عامين فى وادى بنى سعد عند مرضعته حليمة السعدية.. ولا غرو فذلك هو السن المعروف، والمحدد لفطام كل رضيع عند العرب.

صار الغلام ينمو نمواً غير عادى، بحيث شب فى العامين قدر أربعة أعوام بالنسبة لنمو الأطفال الآخرين!!.

حليمة ترعاه رعاية تامة، وتعنى به عناية خاصة، والله عز وجل يرعاه ويحوطه بعنايته، كيف لا، وهو أكرم مخلوق على الإطلاق عند الله، والمختار لأنبل غاية، وأكرم رسالة ختم بها رسالات السماء.

لقد قررت حليمة السعدية فطام محمد — ﷺ — ثم رأت أنه من الواجب عليها بعد أن فطمته أن تذهب به لأمه بمكة، وذلك لكى تكتحل عيناها برؤيته، وتطمئن عليه، فهو ولدها الوحيد.. وبُعْدُه عنها جعل الشوق يتأجج فى جوانحها، ويزداد اشتعالا يوما بعد يوم.

وصل الزائر إلى مكة، وتالله لو قدر لأحد أن يرى لحظة لقائهما — محمد وأمه — لرأى مشهدا مؤثراً، لهفة أم مشتاقة تلتقى بوحيدها بعد غياب دام عامين، ولهفة طفل إلى صدر أمه، إلى حنان الأمومة الأصيل، فقد ابتعد عنه، بل حرمه لمدة عامين كاملين، هما عمره كله، فما أطول العامين على الحبيبين!!

هذا اللقاء كان بمثابة عيد بل أكثر من عيد على آمنة بنت وهب ووحيدها محمد.. وقلوب أخرى فرحت أيضا، ربما لا تقل فرحتها عن فرحة الأم، هؤلاء هم:

١ — ثوبية جارية أبى لهب، فهى التى ألقمته ثديها، وأرضعته لبنها قبل الجميع لحظة مولده.

٢ — بركة الحبشية، جاريته التى ورثها عن أبيه، وهى حاضنته التى عنيت به كل العناية وأحبته من كل قلبها.

٣ — كل العبيد والإماء بمكة فرحوا، فكأنهم شعروا بشعور خفى بأن هذا الغلام سوف يكون منقذهم من رق العبودية، وحق لهم أن يفرحوا، وتفرح الدنيا كلها به فهو الرحمة المهداة للناس جميعا من الله، وهو الشافع فى الآخرة من عذاب جهنم.

مقطع رقم ٢٤ جـ ١
شق صدر محمد عند حليمة

١ أمّا الزيارةُ فانتهت، والأم تشعرُ بالنّعيم
٢ عادت حليمةُ بالغلام وخلّفت قلباً[١] يهيم
٣ يا فرحةَ الوادى أتاهُ السعدُ والخَيرُ العميم
٤ قد جاءَ نجْل حليمةٍ يَغْدُو سريعاً مثل ريم[٢]
٥ أمّاه وا أبتاه هيا إنه أمرٌ وخيم[٣]
٦ هذا أخى القرشىُّ قد قتلوه فى ظلم عظيم
٧ هيّا إليه لِتُنقذَاه فإنه طفل حليم
٨ هبّوا سراعاً نحو مرعى الضأن فى الشِعْبِ القديم
٩ كان الملائكة الكِرامُ أتَوْه من أمر الكريمَ
١٠ قد أخرجوا من صدره حظاً لشيطانٍ رجيم
١١ وصلت حليمة كى ترى لرضيعها ذاك الفطيم
١٢ سألته عَنْ قول الغلام؟! أشار للجُرح اللئيم[٤]
١٣ ظنته يَهذى[٥] قوله فى رأيها لا يستقيم
١٤ قالت حليمةُ: وَيْح قلبى، مزقوا صدر اليتيم
١٥ فى قسوةٍ لم يرحموه أليس فيهم من حكيم؟!
١٦ إنى أخاف عليه من غدرٍ ومن مَسِّ النسيم

---

(١) وخلفت قلبا يهيم: قلب أمه يتحسر على فراقه.

(٢) مثل ريم: يعدو كعدو الغزال.

(٣) أمر وخيم: خطير.

(٤) الجرح اللئيم: الملتئم.

(٥) ظنته يهذى: يخلط فى حديثه.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٢٤ جـ ١

لقد انتهت مدة زيارة محمد الصغير لأمه فى مكة.. وها هى ذى حليمة تتهيأ لرحلة العودة ومعها محمد.. ولا غرو فالزمن فى لقاء الأحباب يمر بسرعة، وقد أحست آمنة بسعادة غامرة للقائها بوحيدها، وعندما هموا بالعودة أحست بألم الفراق ولوعته.

عادت حليمة ومحمد معها إلى ديار بنى سعد مرة أخرى.

عادت حليمة بمحمد، وخلفت وراءها قلبا يتمزق ألماً وحسرة، إنه قلب الأم، إن أحاسيس قلب الأم بالفرحة أو بالألم، لا يمكن لقلم أو بيان أن يرقى إلى مستوى التعبير عنها مهما أوتى من القدرة.

ذاك القلب، إنه قلب آمنة بنت وهب.. وبقدر ما كان هناك فى مكة من آلام لفراق محمد فى قلب أمه ومحبيه، فقد كان فى وادى بنى سعد فرح وسعادة بعودة محمد إليه.

فى أحد الأيام، بينما كانت حليمة وزوجها جالسين فى الظل، فى كسر الخيمة، إذا ولدهما أقبل نحوهما يعدو كعدو الغزال الجافل، وينادى بأعلى صوته مستغيثاً.. يا أماه! يا أبتاه! النجدة النجدة، ذاك أخى القرشى جاءه رجال عليهم ثياب بيض، فأخذوه وأضجعوه فشقوا بطنه ونحن ننظر اليهم، فهيا إليه لتنقذاه.

هبت حليمة وزوجها مسرعين، فتوجها فوراً إلى حيث ترعى الأغنام، فوجدوا محمداً ممتقع اللون، بادياً عليه الإجهاد والإرهاق، فاعتنقه أبوه وقال: يابنى ما شأنك؟! فقال: جاءنى رجال عليهم ثياب بيض، فاضجعونى وشقوا بطنى، فاستخرجوا منه شيئا فطرحوه، ثم ردوه كما كان.

ثم أراهم موضع شق صدره الشريف، وأثر الجرح الملتئم، وكانت الملائكة لا تزال محيطة بمحمد، وبينما كان جبريل يتحدث إلى محمد – عليه الصلاة والسلام – كانت حليمة فى نفس الوقت تسأله، فكان محمد يجيب على أسئلة جبريل له، فتسمع حليمة إجابته فلا تراها متفقة مع أسئلتها له، فظنت أن محمداً أصيب بلوثة فى عقله، أو بمس من الجن فخافت عليه.

مقطع رقم ٢٥ جـ ١
حليمة تعيد محمدا لأمه خوفا عليه

١ ظنت حليمة أن مسّاً[١] بالغلام من الجنون
٢ خافت عليه من الأذى رَدَّتْهُ للصدر الحنون[٢]
٣ عاد الحبيب لأمه، فالقلب رَحَّب والعيون
٤ قلب الأمومة إنه نبْع يفيضُ به الشجون[٣]
٥ السعد رفرف حول مكة سِيّما بيت مصون[٤]
٦ عِش يا محمدُ فى رحاب من حنان لن يَهون
٧ عِش فى رحابِ الحب لا تخشَ المهانة والمنون[٥]
٨ فالجدُّ يعطيك الحنان وأمُّك الأخرى تصون
٩ من ماء زمزم فاغترفْ وانظر قُبَيْساً والحَجون[٦]
١٠ هذا هو البيت العتيقُ وحوله رجس وهون[٧]
١١ ماذا يريدُ البيتُ منك؟! فأنت مُنقذه تكون
١٢ قدَّامك الأهوال فاصبر سوف تعتصرُ الجفون
١٣ ممَّا تلاقى منْ خطوب تذرفُ الدَّمعَ الهتون
١٤ لا شكَّ أنت صنيعَة الأقْدارِ فى دنيا المجُون[٨]

---

(١) مسا بالغلام: المس هو الصرع من مس الجن.

(٢) ردته للصدر الحنون: لأمه بمكة.

(٣) تفيض به الشجون: أصلها أشجان، وهى الهموم.

(٤) سيما بيت مصون: هو بيت آمنة.

(٥) المهانة والمنون: لن تهاون ولا تخف كيد الزمان.

(٦) قبيسا والحجون: جبلان بمكة.

(٧) رجس وهون: هى الأصنام.

(٨) دنيا المجون: اللهو واللامبالاة.

المعنى الاجمالي للمقطع رقم ٢٥ جـ ١

على إثر هذه الحادثة الخطيرة ــ شق صدر محمد ﷺ ــ خافت حليمة السعدية على محمد، لقد ظنت انه أصيب بالجنون، ولشدة حرصها عليه، وخوفها أن يصاب بسوء وهو فى رعايتها، فتكون مسئولة عما أصابه أمام ذويه، قررت أن ترده إلى أمه فى مكة المكرمة، وفعلا عادت به إلى نبع الحنان الصادق، إلى الحب الأصيل المعطاء.. أمه آمنة بنت وهب.

لقد كانت فرحة آمنة بعودة وحيدها إليها، فوق كل وصف، وأصدق من كل تعبير، ولا غرو فقد كانت أمومتها معطلة مادام وحيدها غائبا بعيداً عنها، أما الآن فسوف تمارس أمومتها الحقة ومسئوليتها نحو ولدها كأم.

إن الفرصة لم تكن قاصرة على آمنة وحدها بعودة محمد.. لا، وإنما شملت الفرحة مكة كلها، لاسيما البيت الذى حل فيه محمد، فكان أكثر البيوت فرحا وأنساً وسعادة. فى غمرة الفرحة فى مكة بعودة محمد، نسمع لسان حال الدنيا كلها يتحدث إلى محمد الصغير، حديثاً فيه حب وأنس قائلا: عش يا محمد فى رحاب الحب الصادق، وانهل من معينه الذى لا ينضب، إنه الحب المعطاء الذى لا ينتظر جزاء ولا عوضا؟!

وهذا ماء زمزم المبارك، فاشرب منه زلالًا هنيئا مريئاً.. وهذه جبال مكة الشماء الخالدة، تراها شامخة كأنها تتحدى الزمان، لقد ترك الدهر بصماته عليها، فانظر اليها يا محمد، وانظر إلى أبى قبيس والحجون، فهما من جبال مكة العريقة.

هانحن أولاء لا نزال نستمع إلى لسان حال الدنيا يتحدث إلى محمد الصغير، ثم يقول أيضا: وهذا هو البيت العتيق، فانظر إليه، وانظر إلى الأصنام تحيط به، إنها رجس، ووجودها حوله فيه إهانة له.. إذن فهذا البيت ينتظر منك شيئا هاما، أتدرى ما هو؟! إنك أنت الذى سوف تنقذه، وسوف تطهّره من رجس الأوثان، لقد أسىء إلى هذا البيت، وقد آن الأوان لتطهيره، وذلك لاستقبال الموحدين. ولتعلم يا محمد بأن أهوالا وخطوباً لا يعلمها إلا الله تنتظرك، من هولها سوف تعتصر الجفون، وتذرف الدمع الهتون، ذلك لأنك صنيعة الأقدار فى هذه الدنيا التى تتخبط خبط عشواء فيما يبدو للناس، بيد أنها تحتكم إلى نظام دقيق محكم.

مقطع رقم ٢٦ جـ ١
محمد الصغير مع الاحزان

١ هذى هى الأحداثُ تترى[١] يا محمدُ هلْ تضيق؟![٢]
٢ أنت الحبيبُ ولكن الأَقْدارُ ليس لها[٣] صديق
٣ قد تصفُ الأقْدارُ بالقلب الصَّغير فلا يطيق
٤ فيظل من هولِ المصيبةِ ذاهلًا قد لا يفيق
٥ عش يا محمدُ فى ظلال الأمِّ والجدِّ الرَّفيق
٦ قلبانِ ذاقا لوعةَ الأحزانِ من جُرح عميق
٧ يَريَان فيك السَّلوةَ الكبرى[٤] من الحزن الحقيق
٨ الكونُ يهتفُ بالغلام فأنْتَ ذو نسبٍ عريق
٩ ستكـونُ فى يوم القيامـة قائـداً خير[٥] الفريـق
١٠ بلـغَ الغـلامُ سنين ستًّـاً رافـلًا[٦] حولَ العتيـق
١١ هبَّت على القلب الصَّغير رياحُ حزنٍ كالحريق
١٢ الأمُّ فارقت الحياةَ وعُـذِّبَ القـلبُ الرقيـق
١٣ فى تُربةِ الأبواءِ ظلَّت، قبرها جنبَ الطريق
١٤ أضحى يتيمَ الوالدينِ وليس فى الدنيا شقيق

---

(١) تترى: متتابعة.

(٢) هل تضيق: هل تشعر بالضيق مما الم بك، هو تساؤل معروف جوابه.

(٣) ليس لها صديق: الأقدار لا تحابى أحدا.

(٤) السلوة الكبرى: عوضا عن أبيك.

(٥) قائد خير الفريق: فريق أهل الجنة.

(٦) رافلا حول العتيق: مقيما فى عز وسعادة وعطف حول الكعبة.

المعنى الاجمالي للمقطع رقم ٢٦ جـ ١

لقد بدأت الأحداث تتوالى على قلب الصغير محمد – ﷺ – إنها سوف تتوالى حدثاً إثر حدث، كأنها عقد انفراط نظامه، ومن ثم فلسان الحال يتحدث إلى محمد فيسرى عنه قائلا:

يا محمد! برغم أنك حبيب الله، وصفوته من خلقه، فإن الأقدار ليس بينها وبين أحد من الناس نسب ولا صداقة، ومن ثم فهى لا تحابى أحدا، فكما تصيب الكبير، تصيب الصغير أيضا، وبنفس القوة والعنف إن لم يكن أقسى وأعنف. لكن، هون عليك يا محمد، فلا يهولنك ما سوف يصيبك، وما سوف يصادفك من أهوال مستقبلاً.

فهذه أمك الحبيبة، إنها دنياك الحانية، وهى مهد الحب الدافىء فى حياتك، وهذا جدك عبد المطلب، إنه مثل أعلى فى حبه الصادق لك.. فعش فى ظلهما يا محمد آمنا.

ولتعلم يا محمد بأن أمك وجدك، يريان فيك البديل والعوض عن أبيك عبد الله الذى أختطفته يد الأقدار، وهو لما يزل فى ريعان الشباب، إذن فأنت سلوتهما الكبرى فى أحزانهما.

لايزال لسان حال الكون يتحدث إلى الصغير محمد ثم قال له:

يا محمد! إنك ذو نسب عريق، سلالة أمجاد أطهار، وكأنى بك قد تبوأت أسمى مكانة فى الدنيا، ويوم القيامة سوف تكون قائد لأكرم أمة على الإطلاق، إنهم أهل الجنة.

بلغ محمد من العمر ست سنين، وكان يمرح سعيداً فى ظل الحب الصادق، بين أمه وجده حناناً وحباً وعطفاً.. فى رحاب بيت الله الحرام لا يعكر صفو حياته شىء، بيد أن الأقدار أبت أن تتركه فى مرحه وسعادته. لقد هبت رياح الأحزان الساخنة على قلب محمد الصغير، فكانت تشبه إلى حد بعيد هبوب العواصف على النبتة الصغير اللينة.

يالله!! ماتت أم محمد، لقد كانت عائدة من زيارة قبر زوجها عبد الله، وكان معها وحيدها محمد وجاريتها بركة، فوافتها منيتها وهى عائدة.. أجابت نداء مولاها فأسلمت الحياة، وتركت محمداً مع جاريته الحبشية، ودفنت بالأبواء بين مكة والمدينة، فأصبح محمد يتيم الأبوين، وهو أيضا ليس له إخوة أشقاء.

مقطع رقم ٢٧ جـ ١

عودة محمد مع بركة الحبشية

١ عاد الغلامُ بحسرةٍ قد زاد فيهِ الاشتياقِ
٢ الحزنُ أدمى قلبهُ رحماكَ ربى لا يطَاق
٣ من رحلةٍ مشئومةٍ قد قطعت حبل(١) الوفاق
٤ أودت بينبوع الحنان بأُمِّهِ خير(٢) الرِّفاق
٥ قد أودعته الأمُّ كلَّ حنانها عند(٣) الْفراق
٦ صارت تعانقهُ وتبكى لا تكفُّ عنِ الْعناق
٧ الكونُ ضَجَّ مع اليتيم كذا السَّماءُ بالانْشقاق
٨ يارِحْلةَ الشُّؤْم اغربى أشعلتِ نار الإحتراق
٩ فى قلب هذا الطفلِ حتى قد أحسَّ(٤) بالاختناق
١٠ عاد الغلامُ، فحُزنهُ قد زلزل السَّبعَ الطِّباق(٥)
١١ عادت به السمراءُ بَرَكة، حبُّهَا فوق(٦) النِّفاق
١٢ عادا إلى البيت الذى شهد اللقاءَ والافتراق
١٣ قدرٌ على هذا الصَّغير يعيشُ يُتماً فى مشاق

---

(١) قطعت حبل الوفاق: انقطعت الصلة بينهما بالموت.

(٢) بأمه خير الرفاق: أفضل وأحب الناس اليه.

(٣) عند الفراق: لحظة الاحتضار.

(٤) أحس بالاختناق: كاد الحزن أن يقتله.

(٥) السبع الطباق: السماوات السبع.

(٦) فوق النفاق: لا نفاق فيه.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٢٧ جـ ١

لقد عاد محمد الصغير من رحلته المؤلمة المحزنة، والحسرة تملأ كيانه.. لقد فقد فيها أعز وأحب شيء له فى دنياه، فقد أمه الحبيبة مهد الحب والحنان.. ولذا فنار الأحزان تتأجج فى أعماقه، تكوى قلبه وتدميه، فمن ثم نسمع هتافا كونيا يناشد الخالق العظيم قائلا:

رحمة يا ربنا بهذا الغلام الصغير، فقلبه أضعف من أن يحتمل كل هذه الآلام وقسوتها.

إنها رحلة مرة وقاسية حقاً ذلك لأنها قطعت حبل الصلة والود الذى يربط بين أم وولدها إلى الأبد، وذلك بالموت.. ولو قدر لأحد أن يرى ما حدث لحظة الوداع الأخير، لحظة الاحتضار، لرأى منظراً مؤثراً تتمزق له النفس ألما وحسرة، ويتفتت له القلب جزعاً وحدباً.

ولم لا، فلعلك تستطيع أن تتصور هذا الموقف.. آمنة الأم تحتضر، تعالج سكرات الموت بآلامها وأهوالها، وكانت فى نفس الوقت تضم وحيدها محمداً إلى صدرها بكل قوة، وقبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة، ودّعته بقبلة طويلة طويلة. أودعتها كل حنانها وحبها وعطفها.

لقد بكى محمد بكاءً مراً وظل يبكى حتى انتحب من شدة البكاء، وكأنى بالكون كله قد ضج متعاطفاً مع الصغير اليتيم.. من هول المصاب، مشاركة منه له فى أحزانه وآلامه.

هذا بغير شك أراده الله له.. وذلك لكى يربيه على عينه، وينشئه نشأة تؤهله لأعباء الرسالة التى تنتظره!!

لقد عاد محمد من رحلته تلك بغير أمه، لقد عاد فى صحبة جاريته السمراء بركة الحبشية، إنها خير من أعطاه الحنان بعد موت أمه.. لقد كان حبها له صادقا لا يشوبه رياء أو نفاق.

عادا معا إلى البيت الذى توالت عليه الأحداث: لقاءً وافتراقاً وأفراحاً وأحزاناً.

وهكذا لقد كتب على هذا الصغير أن يعيش يتيماً، وأن يتذوق كل ألوان الألم، من أحزان ومشقة وفراق ووحدة.

مقطع رقم ٢٨ جـ ١

محمد فى كفالة جده عبد المطلب

١ واستقبلَ الشيخُ . الكَبيرُ حفيدَهُ بالاهتمام
٢ قد كان ذا قلبٍ يفيضُ بكلِّ حبٍّ للغلام
٣ أعطاه عطفاً لم يكن قد ناله قبل[1] الفطام
٤ عَطفُ الأبوَّةِ كان مفقُوداً لديْه على التَّمام
٥ فى ظلِّ عطفِ الجدِّ ظلَّ الطِّفلُ ينمو فى سلام
٦ كل العنايةِ والرعايةِ والمحبّةِ والْوئام
٧ أشياخُ مكة يجلسون جميعُهم فى[2] إنسجام
٨ فى ذلك النادى وكان بجانب البيتِ الحرام
٩ للمشكلاتِ جلوسُهُم وإلى قضاءٍ واحتكام
١٠ جد الغلام[3] جلوسُهُ فى الصدرِ نالَ الاحترام
١١ ومحمدٌ يأتى لمجلس جدِّه بعد[4] القيام
١٢ إنْ يمنعوهُ يقُلْ لهُمْ جدُّ الغلام بلا خصام
١٣ خلّوهُ إن الطِّفلَ هذا سوفَ يعْلو فى الأَنام
١٤ إنّى أرَى فيه النجابة قد يسودُ ولن يُضام

---

(١) قبل الفطام منذ ولادته.

(٢) فى انسجام توافق وتفاهم.

(٣) جد الغلام هو عبد المطلب.

(٤) بعد القيام بعد انصراف الشيخ.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٢٨ جـ ١

لما عاد محمد – ﷺ – من رحلته المؤلمة التى فقد فيها أعز أحبابه ، فقد أمه الحبيبة ، وقد دفنت بالأبواء هنالك ، بجانب الطريق بين مكة والمدينة . وبمجرد وصوله مع بركة الحبشية إلى مكة ، استقبله جده عبد المطلب ، وضمه إليه بكل الحب والحنان ، وأبدى اهتماما بالغا به ، وذلك ليبدد ما ألم به من أحزان مست أعماق نفسه الطاهرة .

ولاشك أن عبد المطلب مملوءٌ حباً وحناناً لحفيده الغالى محمد ، ذلك لأنه كان يرى فيه مخايل النجابة والزعامة والسيادة ، ومن ثم فقد أغدق عليه من الحنان بغير تحفظ ، ومنحه عطفاً لم يذقه ولم ينله منذ أن ولد ، ذلك لأن أباه عبد الله مات وهو جنين فى بطن أمه ولما يولد بعد .. إذن فعطف الأبوة كان محروماً منه ، فمنحه جده هذا العطف الأبوى الصادق . وفعلًا لقد وجد محمد فى ظل جده كل الرعاية والعناية ، فشب ونما أمنـاً .

كانت قريش ممثلة فى شيوخها الأجلاء ، يجلسون فى ناديهم بجانب الكعبة ، وكانوا يناقشون مشكلاتهم ، ويعملون جاهدين على حلها ، ويصدرون الأحكام فى كثير من القضايا التى تعرض عليهم ، ولا غرو فهم السادة وهم الحكام وهم القضاة أيضا ، وليس لأحد سلطان عليهم يتولى أمورهم دونهم .

قد كان لعبد المطلب مكان خاص يجلس فيه فى ظل الكعبة ، وكان أبناء عبد المطلب يجلسون حول فراشه ذاك ، حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له .. فكان محمد – ﷺ – يأتى وهو غلام جفر حتى يجلس عليه ، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم دعوا ابنى هذا .. فوالله إن له لشأناً ، ثم يجلسه معه عليه ، ويمسح ظهره بيده ، ويسره ما يراه يصنع .

لقد كان عبد المطلب يرى بفراسته وبعد نظره ، أن هذا الغلام سيكون ذا شأن عظيم فى قومه ، وذكره سوف يعلو فى العالمين وقال مرة إنه يؤسس ملكاً .

ولا شك أن عبد المطلب فيه إيمان وشفافية ، وحكمة وفطنة وفراسة أيضاً .. والدليل على ذلك أنه تنبأ لحفيده محمد ﷺ بما ينتظره من أمجاد .. ولم لا ، فقصة الهاتف الذى أخبره بموضع بئر زمزم ، لا تزال ماثلة فى الأذهان ، وقصة نبع الماء من تحت خف ناقته ، تملأ الأسماع .

مقطع رقم ٢٩ جـ ١
موت عبد المطلب وحزن محمد عليه

١ عامان عاشهُما الغلامُ من الزمان على[1] هواه
٢ فى ظلِّ جدٍّ كان يعطى كل شىءٍ فى رضاه
٣ قد كان يرعاهُ بعين لا تملُّ بأنْ تراه
٤ يرنو إليهِ[2] وقلبهُ يزدادُ دقًّا مع خُطـاه
٥ لا يستقرُّ ولا ينامُ الشيخُ إلا مع فتاه
٦ لكن للأقدارِ حكماً لا تميـلُ إلى سواه
٧ فاختارت الشيخَ الكبيرَ، لقد أجابَ إلى علاه
٨ قد ودَّعَ الدنيا وأبقى خلفهُ صِنوَ الحياه[3]
٩ فى قسوة لم ترحَم الطِّفلَ الصغير ولا بكاه
١٠ الحزنُ أدمى قلبهُ من غير ما ذنبٍ جناه
١١ رحماك ربِّى حُزنُه قد أرَّقَ الدنيـا صداه[4]
١٢ كلُّ العوالم شاركتهُ الحزنَ لما أن نعـاه
١٣ لم يَبقَ إلا عمُّهُ، عمـاً شقيقـاً فاحتـواه
١٤ فى ظلِّ بيتِ العمِّ عاش محمدٌ حتى صباه

---

(١) على هواه: كما يحب ويتمنى.

(٢) يرنو اليه: يكرر النظر اليه حبا واشتياقا.

(٣) صنو الحياة: نظير حياته أو ما يعادلها.

(٤) أرق الدنيا صداه: جعل الدنيا كلها لا تنام.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٢٩ جـ ١

ظل محمد – ﷺ – فى كفالة جده عبد المطلب لمدة عامين اثنين فقط، عامان عاشهما محمد فى ظل الحب الصادق، والحنان الأبوى كأحسن ما يعيش طفل ما فى ظل أب حان رحيم.

ولا غرو فقد هيأ له جده عبد المطلب كل أسباب الراحة والسعادة الممكنة، ذلك لأنه يحبه حباً له، وكان يؤثر هواه ورضاه على كل شيء، ولو ركب فى سبيل متن الخطر، أو كلفه مالا يطيق.

من شدة حب عبد المطلب لحفيده الحبيب، كان لا يمل من النظر إليه، وكان يتابع كل تحركاته أينما يذهب، وقلبه يخفق وتزداد دقاته مع خطوات محمد وهو يغدو ويروح لاهياً بين الاتراب.

بيد أن للاقدار أسلوباً فريداً، وسلوكاً عجيباً فى تعاملها مع الناس، وشعارها دوما لا محاباه ولا مجاملة.. فهى لا تبالى بمن سوف تصدر بشأنه حكما ما، صغيراً كان أم كبيراً، عظيماً كان أم حقيراً، ضعيفاً كان أم قوياً!!.

ولذا فبعد مرور عامين فقط قضاهما محمد فى بيت جده، كانا أجمل أيام طفولته، وإذا الاقدار فجاة تضرب ضربتها القاضية، فكيف كان هذا؟!.

لقد انقض ملك الموت، فاختطف الجد الحانى.. لقد لبى عبد المطلب نداء ربه، وأبقى خلفه حفيده الحبيب، صنو حياته، وتوءم روحه.

وهكذا، فاللمرة الثانية تعصف الأقدار بقلب محمد الصغير، بقسوة وعنف.. وبلا شك فالاقدار هى إرادة الله.. ومن ثم فهى لم ترجم يتمه ولا طفولته ولا بكاءه.

الحزن أدمى قلبه دون ما ذنب جناه، العوالم كلها شاركته أحزانه، بحيث ترددت أصداء أحزانه فى كل جنبات الكون.

تنتقل محمد – ﷺ – من بيت إلى بيت، والأحزان تواكب مسيرته، وتحدو خطواته، وأخيراً أنتقل إلى بيت عمه أبى طالب، فهو عمه الشقيق، وفى بيت عمه كبر حتى بلغ سن الصبا.

مقطع رقم ٣٠ جـ ١
محمد عند عمه أبى طالب

١ وانضم للبيتِ الجديد[١] محمدٌ ينمو ويكبُر
٢ هو رابعُ الأبيات يَنزله فذا أمرٌ مقدّر
٣ فى أسرةٍ قد آثرتهُ بحبِّها قدراً تقرّر
٤ ذاكم بُنوّةُ عمِّه لاقوّةُ فى حبٍّ وأكْثر
٥ قد كان عنْد الناس مشهوراً وعند الله أشْهَر
٦ العمّ أعطاهُ الحنان فقلبهُ بالحبِّ أكبر
٧ لا شكّ كان يُحبُّهُ، وبحبِّهِ حقاً تأثر
٨ قد لا ينامُ الليلَ إلا إن رآهُ لقد تدثر[٢]
٩ يخشى عليْه من الأذى والسُقْم كان عليه أحذَر[٣]
١٠ لا تعجبوا من كونِهِ قد عالهُ عبدٌ سيكفُر[٤]
١١ قد كان موسى قبلَهُ فى بيْت عبْدٍ كان أكفر
١٢ فى بيْت فرعوْن الذى قد كان طاغيةً تجبَّر
١٣ قد قال: إنِّى ربُّكم، بئسَ الإلهُ لقد تقهقَر
١٤ فى اليمِّ أُغرِقَ حيث أصبحَ جثّةً تخبو وتظهر[٥]

---

(١) للبيت الجديد: هو بيت عمه أبى طالب

(٢) أن رآه لقد تدثر: تدثر بالغطاء عند النوم

(٣) السقم كان عليه أحذر: يخشى من المرض.

(٤) عبد سيكفر: هو أبو طالب عمه.

(٥) تخبو وتظهر: بعد أن غرق فرعون ظلت جثته تطفو مرة وتغوص أخرى.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٣٠ جـ ١

انتقل محمد ــ ﷺ ــ بعد موت جده عبد المطلب، إلى بيت جديد، إنه بيت عمه أبى طالب، وذلك بناء على وصية عبد المطلب، فقد أوصى ولده إباطالب بمحمد خيراً، وأن يحوطه بكل عناية ورعاية.

هذا هو البيت الرابع الذى انتقل إليه محمد الصغير: فالأول كان بيت أبيه، والثانى بيت حليمة السعدية، والثالث بيت جده عبد المطلب، وها هو ذا أخيرا فى بيت عمه أبى طالب.

التقى محمد فى بيت عمه ببنى عمه، طالب وأم هانىء وعقيل.. لقد فرحوا به فرحاً عظيماً، واستقبلوه بالبشر والترحاب، لقد كانوا يعرفونه، لم يكن غريباً عليهم إنه معروف لدى قريش كلها برغم حداثة سنه.

لقد منحه عمه أبو طالب من الحب والحنان ما هو فى حاجة إليه، وقد كان محمد فعلا فى حاجة إلى يد حانية تمسح آلامه، وتكفكف دموعه من أثر ما ألم به من حرارة الأحزان التى توالت عليه، وآخرها موت جده الحبيب.

لقد كان أبو طالب يولى محمداً عناية خاصة، فقد كان لا ينام الليل إلا بعد أن يراه قد نام فى فراشه، وقد تدثر بالغطاء، خوفاً عليه من لفحة البرد ومن نسمة الليل الباردة، لا سيما المرض.

يالله!! إن أبا طالب هذا الذى كفل محمداً، تربية ورعاية، لن يؤمن بدعوة محمد، ولسوف يموت كافراً.. إنه بلا شك لأمر يدعو للدهشة والعجب!!.

بيد أن هذه الدهشة سوف تزول إذا ما علمنا أن موسى بن عمران، زعيم أنبياء بنى اسرائيل، تربى وتنشأ فى بيت رجل كان أشد كفرا من أبى طالب!!.

لقد تربى موسى فى بيت فرعون الطاغية، ذلك الذى ادعى الألوهية وقال لأهل مصر: «أنا ربكم الأعلى» وكانت الإجابة على هذا التطاول، أن أغرقه الله فى اليم، ليراه الناس، ويكون عبرة لكل من تسول له نفسه أن يتطاول على مقام الألوهية، فصارت جثته تطفو على وجه الماء مرة وتغوص أخرى.

مقطع رقم ٣١ جـ ١
محمد ورعاية الأغنام

١ عاش الصغير وقد تربَّى فى الرعايةِ والوصاية
٢ قد شبَّ عن[١] طوقِ الطفولة آنِساً ظل الرِّعاية
٣ قد عَاشَ فِى الصَّحْرَاءِ لِلْأَغْنَامِ يَرْعَى فى الْبِدَاية
٤ الرعى هَذب[٢] فكرَهُ من كل لهْو أو غواية
٥ إن كان للأغنام يرعى فهو للدنيا هداية
٦ من رعيه الاغنامَ صارت فيه بالناس الدِّراية
٧ إن الشعوبَ تُشابه الأغنام رَعياً أو ولاية[٣]
٨ الأنبياءُ جميعهم قد مارسوا تلك الهوايـة[٤]
٩ قد أَخْبر المعصومُ عنهم قوله فيه الكفاية
١٠ بلـغ الغـلام الإِحْتِـلامَ، فعمُّهُ زاد العنايـة
١١ فى رِحلةٍ للشَّامِ رافقهُ وقَد كانتِ حكاية[٥]
١٢ علمتْ قريْشٌ من بَحِيراَ أنَّه بطَلُ الرِّواية[٦]

---

(١) شب عن طوق الطفولة: كبر ولم يعد طفلا.

(٢) هذب فكره: زاده خبرة وحكمة.

(٣) رعيا أو ولاية: رعاية الناس والولاية عليهم.

(٤) مارسوا تلك الهواية: رعى الأغنام.

(٥) وقد كانت حكاية: هو ما حكى عن لقائه ببحيرا الراهب.

(٦) أنه بطل الرواية: أنه نبى هذا الزمان.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٣١ جـ ١

عاش محمد - ﷺ - فى بيت عمه أبى طالب ذلك العم الذى أولاه عناية وحرصا، ورعاية وحبا، لقد أحبه حبا يفوق حبه لكل شيء، فربما كا يفضله على أولاده.. كان لا ينام إلا إلى جنبه، ويخرج فيخرج معه!!.

صار محمد علاماً يافعاً.. فمارس رعى الأغنام فى الصحراء، كما هى عادة أمثاله من بنى قومه.

ولا غرو، فرعى الأغنام، يربى فى الأنسان ملكة الصبر والقدرة على الإحتمال، ويصقل عقله، ويزيده خبره وحنكة، وينأى به عن اللهو وشطط القول، كانت ممارسة محمد - ﷺ - لرعى الأغنام شيئا حتمياً فى بدء حياته، وذلك ليكون أهلا لتحمل مشاق المسئولية الكبرى التى تنتظره، والتى أختاره الله لها، بل خلق لأجلها.. هى أعباء النبوة الخاتمة.

وكما قيل: فإن الشعوب تشبه الأغنام، فى رعايتها والتعامل معها، ومن ثم فكل الانبياء، مارسوا رعى الأغنام فى العصور السابقة من أولهم إلى أخرهم.

إذن فقد كانت رعاية الأغنام، تشبه إلى حد بعيد، المدرسة التى لابد لكل داعية أو مصلح أو قائد، يريد أن يتصدى لقيادة الجماهير، أن يدخلها وأن يتعلم فيكا كيف تكون قيادة الجماهير، وإلا لما كان الأنبياء جميعهم من أولهم حتى آخرهم محمد ﷺ، قد مارسوا هذا العمل.

وكون الأنبياء جميعهم قد مارسوا رعى الأغنام، فهذا الخبر رواه المعصوم محمد ﷺ، بعد أن أكرمه الله بالرسالة، فقد سأله أحد الصحابة قائلا: «هل رعيت الغنم يارسول الله؟! فأجاب، وهل من نبى ألا رعاها، لقد كنت أرعى الغنم على قراريط لأهل مكة» صحيح البخارى وغيره.

لما بلغ محمد ﷺ الإحتلام، زادت عناية عمه به، فأخذه معه فى رحلته التجارية للشام، فى تلك الرحلة، حدثت حكاية هى: أنْ عرفت قريش من الراهب بحيرا أن محمداً هذا سيكون رسول الله إلى العالمين.

مقطع رقم ٣٢ جـ ١

محمد مع عمه أبى طالب فى رحلة الشام

١ يا رِحلةَ الشامِ التى جاءَت وقدْ طاب الثِّمار[١]
٢ كانت قريْشٌ كلهَا ترنــو لها بالإنتظــار
٣ هى رِحْلةٌ من إثنتين إلَى نماءٍ[٢] وازدهَار
٤ العــمّ جَهَّــزَ نفْسَهُ فى رحْلــةٍ للإتجار
٥ واختارَ معه محمدًا فِى عقلِهِ صنو[٣] الكِبَار
٦ فى سَيرِهم نزَلوا إلى بعضِ المنَازِلِ والدّيار
٧ قد كان راهِبُهم بَحِيرا صاعداً فوق الجدار
٨ لمح الغلامَ[٤] يَنامُ تحْت الظِّلِّ أضْناهُ المسَار
٩ هتفَت خواطِرُه بشىءٍ هزهُ مثل الدُّوار
١٠ فتنبهتْ فيهِ الكوامنُ بعد فكرٍ واعتبار
١١ من ثم قال لنفسهِ فى سِرهِ دون الجهار
١٢ هذا الغلامُ أظنُّهُ المبعوث فى عصْر النَّهار[٥]
١٣ كيْف السَّبيلُ لأنْ أرَاهُ؟! فجاءَ يبغى الاخْتبار
١٤ حَيَّا الرِّجالَ وقال: مَرْحى بالضيوف ذَوِى الفخار
١٥ إنِّى صنعْت لكُمْ طعاماً فاقبلوا بسم الجِوار
١٦ فلتحْضرُوا عندى ضيوفاً من كبارٍ أو صغار

---

(١) طاب الثار: نضجت. أصلها طابت ولكن للضرورة.

(٢) نما وازدهار: للكسب وتحسين الدخل.

(٣) صنو الكبار: مساو للكبار فى العقل.

(٤) لمح الغلام: بحيرا لمح محمداً نائما فى ظل الشجرة.

(٥) فى عصر النهار: أى آخر الزمان.

المعنى الاجمالي للمقطع رقم ٣٢ جـ ١

لقد حان موعد رحلة الصيف التجارية.. إنها رحلة الصيف التي اعتادتها قريش، وهي واحدةمن اثنتين، إحداهما إلى اليمن في فصل الشتاء، والأخرى في فصل الصيف إلى الشام، وهي هذه.. والرحلتان تعتبران مصدرين للرزق لقريش كلها، وقد أخبر القرآن الكريم عن هاتين الرحلتين بأبلغ عبارة وأصدق بيان[1] ورحلة الصيف تلك، عادة تجيىء في وقت نضج الثمار، وقريش كلها تنتظرها بفارغ الصبر.

ها هو ذا أبو طالب، عم النبي محمد ﷺ، جهز نفسه بالمال والإبل، وكل مستلزمات الرحلة.. وأعد نفسه ليكون ضمن التجار المسافرين إلى الشام، محمد عليه الصلاة والسلام، رأى عمه قد استعد للسفر، فأبدى رغبته في الذهاب معه، فلم يمانع عمه في ذلك، فأخذه معه تحقيقاً لرغبته.

ولا غرو فمحمد برغم حداثة سنه، فهو يتمتع بعقل راجح يرفعه إلى مستوى الرجال العقلاء، كيف لا، وهو المختار لأخطر مهمة، وأرفع منزلة، إنها النبوة الخاتمة، والرسالة العامة إلى الخلق كافة.

انطلقت القافلة في مسيرتها، متجهة إلى الشام، وعندما قاربوا أن يطلوا على مشارف الشام، نزلوا إلى جانب الطريق للراحة، وبعدها يواصلون المسير إلى حيث يريدون.

منذ أن حطوا الرحال، ذهب محمد إلى ظل شجرة فنام تحتها، قد أضناه السفر.. في ذاك المكان راهب نصراني اسمه بحيرا، ذلك الراهب كان يعرف رجال قريش وهم أيضاً يعرفونه، وذلك من كثرة مرورهم من ذاك المكان في رحلاتهم المتعددة.

كان الراهب صاعداً فوق جدار بيته، فرأى محمداً نائما في ظل الشجرة، ورأى أغصانها تميل عليه لتظله، ورأى غمامة أيضا توقفت فوق الشجرة لتظل الغلام النائم، فوراً تبادر إلى خاطره شيء هام، تذكر ما كان ناسيه، تنبهت خواطره، فحدث نفسه قائلا: هذا النائم تحت الشجرة، أظنه نبي آخر الزمان، فماذا أصنع لكي أراه؟! فوراً أمر الراهب آل بيته، فأعدوا طعاما، ثم جاء إلى رجال القافلة فقال لهم: إني صنعت لكم طعاما يا معشر قريش، فلتحضروا عندي كلكم صغاركم وكباركم.

---

(١) سورة قريش.

محمد ﷺ فى تجارته

محمد ﷺ فى صباه

مقطع رقم ٣٣ جـ ١
محمد فى حوار مع بحيرا الراهب

١ قَبِـلَ الرجـالُ[١] لدعْـوةِ على كلٍّ احْتمال
٢ فتناوَلـوا لطَعامـهِ بالإحتـرام وبالْجـلال
٣ بعد الطعام تحادَثوا، لجأ الْمُضيفُ[٢] إلى السؤال
٤ فأشارَ نحْـو محمـدٍ خيـرْ البريَّـةِ ثمّ قال
٥ هذا الغلام أبوه منْ؟! هلْ من جوابٍ يارجال؟!
٦ عم الْغلام أجاب هذا ابْنى، ويا نعم[٣] الْمثال
٧ لكنْ بحيرا قال: كلَّا، ذاكَ من ضرْبِ الْمُحال
٨ هذا الْغلامُ أبوهُ مات وكائنٌ تحْت الرِّمال
٩ ثم اسْتدار إلى الغلام إلى الحوار إلى الْمقال
١٠ باللّاتِ والْعزَّى أجبْنىَ يا غلام عن[٤] الخصال
١١ فأجابهُ، إنى لأبْغَضُها كبُـغْضى[٥] للْجـدال
١٢ فتساءَلا وتحادَثـا وتفـاهما فى اعْتـدال
١٣ أمَّا بَحيرا فهو ذو عقلٍ وفهْم واحتيال
١٤ فيقولُ للشَّيْخ الْكبيـرِ بحكْمة دون ارْتجال
١٥ عدْ بالغلام إلى الْبلادِ، فَإنَّه هدفٌ وغال
١٦ إنَّ الْيَهودَ إذا رأوْهُ فسوفَ يقْتلُ بالنِّصَال

---

(١) قبل الرجال: هم رجال قافلة قريش

(٢) المضيف: هو بحيرا الراهب

(٣) ويانعم المثال: هو مثل طيب للشباب

(٤) عن الخصال: عن عاداتك وطباعك

(٥) كبغضى للجدال: كان لا يحب الجدل.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٣٣ جـ ١

لقد قبل رجال قافلة قريش لدعوة بحيرا الراهب، برغم أنه لم يسبق أن أقدم على مثل هذا العمل، لدرجة أن أحدهم بادره قائلا:

«والله يا بَحيرا إن لك لشأناً اليوم، ما كنت تصنع هذا بنا؟! وقد كنا نمر بك كثيرا فما شأنك اليوم؟!.

قال له بحيرا: صدقت قد كان ما تقول: ولكنكم ضيف، وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما فتأكلوا منه كلكم».

وفعلا لقد ذهبوا إلى منزل الراهب بحيرا استجابة للدعوة، وبعد الانتهاء من تناول الطعام، بدأ الراهب يتحدث إلى القوم، وكان يسألهم فيجيبون على أسئلته.

وبعد حديث قصير، سألهم السؤال الذى يشغله، ويهمه الجواب عليه، فأشار نحو محمد — ﷺ — فقال: هذا الغلام! لمن فيكم؟! فقال القوم: هو لأبى طالب. فالتفت الراهب إلى أبى طالب فقال له:

«ما هذا الغلام منك؟! قال: ابنى، قال بحيرا: ما هو بابنك، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً، قال: فإنه ابن أخى قال: فما فعل أبوه؟! قال: مات وأمه حبلى به قال: صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت، ليبغنه شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده»

ثم توجه بحيرا بالسؤال إلى محمد وقال له: «أسالك بحق اللات والعزى، إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه، فقال له: لا تسالنى باللات والعزى شيئا، فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضها، فقال له بحيرا: فبالله إلا ما أخبرتنى عما أسالك عنه، فقال له: سلنى عما بدالك».

صار بحيرا يساله عن أشياء من حاله.. عن نومه، عن طعامه، عن كل شيء يريده، ومحمد يجيب على أسئلته.. وكان بحيرا ذا كياسة وفراسة ودهاء.. فكرر نصحه إلى أبى طالب قائلا: عد بابن أخيك هذا، فإنه صيد ثمين لليهود وهدف غال، فلئن رأوه، فسوف يقتلونه لا محالة.

مقطع رقم ٣٤ جـ ١

محمد يشهد حلف الفضول

١ عَرَبُ الْجَزِيرَةِ طَبْعُهُمْ فِيهِ الْجَفَاءُ بِلا جِدَال
٢ لَا يَأْبَهُونَ[١] بِرِزْقِهِمْ هَلْ مِنَ حَرام أَمْ حَلَال
٣ الظُّلْم كَانُوا يَفْخَرُونَ بِهِ عَلَى كُلِّ الْخِصَال
٤ مَطَلُوا الْغَرِيب[٢] حُقوقَهُ لم يَلْقَ نصراً مِنْ ضَلَال
٥ قَدْ جَاءَ يَطْلُبُ نَجْدَةً أَوْ مُنْصِفاً وَسَطَ[٣] الْمَجَال
٦ لم يَسْتَجِبْ لِنِدَائِهِ أَحَدٌ وَوَلَّوْا فِي اخْتِيَال
٧ لكِنَّ صَوْتاً مُنْصِفاً نَادَى إِلَى حَقٍّ وَقَال
٨ إِنْ تُنْصِفُوا الْمَظْلُومَ تَلْقَوا كُلَّ مَجْدٍ يا رِجَال
٩ فَدَعَا إِلَى حِلْفِ[٤] الْفُضُول وقَالَ: هيّا للقِتال[٥]
١٠ دارُ ابْنِ جُدْعَان اغْتَدَتْ بِالْحِلْفِ مَهْداً لِلنِّضَال
١١ قَدْ سَجّل التَّارِيخُ عَنْها كلّ مَجْدٍ يُقال
١٢ حِلْفُ الْفُضُول هُوَ النِّداءُ لِلانْتِصَافِ وَالاعْتِدال
١٣ جَاءَ الْغُلامُ محمد لِلْحِلِف يَسْعَى فِي جَلال
١٤ بِالْقَوْلِ شَارَكَ فِي نُصُوصِ الْحِلْفِ مَن شَاءَ السؤال[٦]
١٥ بعدَ النُّبوَّةِ قَالَ عَنْهُ الْمُصْطَفَى أَحْلَى الْمَقَال
١٦ قَدْ زَادَهُ الإسْلامُ عِزًّا، إذْ تَسَامَى فِي الكمال

---

(١) لا يأبهون: لا يهتمون.

(٢) مطلوا الغريب حقوقه: لم يدفعوا للتاجر الغريب حقوقه.

(٣) وسط المجال: في مكان متسع «ميدان عام».

(٤) حلف الفضول: هو لنصرة المظلوم.

(٥) هيا للقتال: لقتال الظالمين.

(٦) من شاء السؤال: لمن أراد الاستفهام.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٣٤ جـ ١

عرب الجزيرة العربية، كانوا معروفين بالجفاء وغلظ الطباع والقسوة، تنشأوا فى ظل هذه العادات، ورثها الأبناء عن الآباء.. ومن المعروف بأن هذه الصفات لا يمكن أن تتجاور مع الإيمان فى قلب واحد.

كانوا لا يفرقون بين الحلال والحرام فى كسب أرزاقهم، نظراً لانتفاء صفة الإيمان عنهم.. الظلم كان سائداً بينهم، القوى يظلم الضعيف حقه، ويدور الصراع بين الأقوياء حتى ينتصر الأقوى.

لقد اعتادوا هذه الحياة واستمرأوها.. والذى يثير الدهشة والعجب!! أنهم كانوا يتفاخرون فيما بينهم أيهم أقدر على ظلم الآخرين؟! فمن لم يكن ظالما فهو فى نظرهم ضعيف، والضعيف لا مكان له بين الأقوياء، وقد عبر شاعرهم عن هذا بقوله:

ومن لم يذُد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يُظلم

كانت هذه هى عادات جيران بيت الله الحرام، الذى وضع للناس مثابة وأمْنا وتلك لعمر الله إساءة لذلك البيت، أن يكون جيرانه موصوفين بسوء الطباع.

«وأول الغيث قطرة» فكان حلف الفضول... إحدى الإرهاصات التى سبقت ظهور محمد ﷺ، فكان بمثابة الضوء الخافت، فى وسط ظلام حالك، وملخصه ما يلى:

رجل من التجار، غريب عن الديار قدم مكة، فأخذ العاص بن وائل بضاعته ومطله، فلم يعطه الثمن.. فماذا يصنع الغريب؟! هداه تفكيره إلى أن وقف على جبل أبى قبيس ونادى بأعلى صوته فى قريش مستنجداً، وقال شعراً أثارهم.

هنالك تحركت فيهم النخوة العربية، فتنادوا واجتمعوا فى دار عبد الله بن جدعان، فصنع لهم طعاماً، فاتفقوا وتحالفوا على نصرة المظلوم.. وكان ذلك فى شهر ذى القعدة، وهو شهر حرام.. تعاهدوا بالله ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم، حتى يؤدى إليه حقه، مابل بحر صدفه[1]، ومارسى ثبير وحراء مكانهما.. وهذا كناية عن أبدية هذا الحلف. وسمى هذا الحلف «حلف الفضول» وأعادوا للتاجر حقه ممن أخذه.

وفى أثناء اجتماعهم واتفاقهم على حلف الفضول، جاء محمد وحضر الاتفاق واشترك معهم فى ذلك الحلف، وبعد النبوة أثنى على هذا الحلف فقال: «لقد شهدت فى دار ابن جدعان حلفاً ما أحب أن لى به حمر النعم، ولو أدعى به فى الإسلام لأجبت».

---

(١) راجع صفحة ١٤٣ جـ ١ سيرة ابن هشام طبعة التحرير.

مقطع رقم ٣٥ جـ ١
محمد تاجرا فى مال خديجة

١ شَبَّ الغـلامُ وأغـدقَ المَولَـى عَليـهِ من الهِبـات
٢ لم يَغْشَ دُورَ اللهـوِ قَطّ وقـد تَسامـى عن [١] هَنـات
٣ وصَفـوه من حَيث الحيـاءِ يفـوقُ فيـه الآنِسات
٤ والحِلْـمُ فاق به الأوائِـل وارْتَقـى عن كلِّ آت
٥ والصِّدقُ مَوْصوفٌ به ، نِعْـم الصِّفـاتُ العاليـات
٦ الطّهـر فيـه مُجَسدٌ ، قد صار مَعـروفَ السمـات
٧ قد صار مَعروفـاً بمكـة بالصفـاتِ السَّاميـات
٨ كانت خديجةُ ذاتَ مالٍ فى الـنساءِ الحازمـات
٩ فى مالِهـا عَمِـل الكثيـرُ من الرجـال على فئـات [٢]
١٠ قد أرسلتْ تَدعـو الأميـنَ فإنَّـه خَير الثِّقـات
١١ عَرضت عَليه الصَّفْـق وافـق بل أجـاب بِلا التِفـات [٣]
١٢ وغَـدا محمـدُ تاجِـراً فى صَفقـةٍ تُحيـى المَـوات [٤]
١٣ فى رحلـةٍ للشّام كانت رِحلـةً فى النَّاجحـات
١٤ الفقـرُ أسوَأُ ما يُعانيـه الرِّجـالُ من الصِّفـات

---

(١) تسامى عن هنات : ترفع عن سفاسف الأمور .

(٢) على فئات : أنواع من الرجال ، وأنواع من المشاركة .

(٣) بلا التفات : بلا تردد .

(٤) تحيى الموات : موات الفقر .

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٣٥ جـ ١

لقد كبر الغلام ـــ محمد ﷺ ـــ وكلما كبر ازدادت صفاته حسنا ، حتى إذا ما بلغ العشرين من عمره ، أو جاوزها اكتملت فيه كل الصفات الحميدة التى امتاز بها على أقرانه .. من هذه الصفات :

١ – لقد تنزه عن غشيان دور اللهو والمجون ، فلم يثبت عنه أنه أتى شيئاً من هذا . ذلك لأنه لم يخلق لمثل هذا العبث ، فهو برغم حداثة سنه كان لا يأتى إلا معالى الأمور وأشرفها ، ويترفع عن سفسافها .

٢ – لقد كان شديد الحياء لدرجة أن أصحابه وصفوه قائلين : « كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء فى خدرها » .

٣ – كان فى حلمه نسيجاً وحده ، فاق الأولين ، ولن يلحقه أحد من الآخرين ، بحيث إنه لم يكن يغضب لنفسه مطلقا إلا أن تنتهك حرمات الله .

٤ – كان صادقاً بل عنواناً للصدق ، بحيث إنه عرف فى مكة كلها وما حولها ، وسمى « الصادق الأمين » وهذا غيض من فيض .

كانت خديجة بنت خويلد ، ذات مال وتجارة ، وكثير من الرجال فى مكة عملوا معها فى التجارة مشاركة ، وقد ترامى إلى سمعها ما يتحلى به محمد ﷺ ، من حميد الخصال وعلو الهمة فأعجبت به قبل أن تراه .

أرسلت خديجة إلى محمد ، وعرضت عليه أن يعمل معها فى التجارة ، فيخرج إلى الشام تاجراً ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار .

فقبل محمد ﷺ منها ، وخرج ليمارس التجارة فى مالها ذاك ، وكانت أول تجربة له فى ذلك الميدان الذى يحتاج إلى خبرة وحنكة .

وأرسلت خديجة غلامها ميسرة ليرافق محمداً فى رحلته تلك ، حتى قدم الشام .

وهكذا بادر محمد لممارسة التجارة . وذلك ليدفع عن نفسه شبح الفقر . ثم يهيىء لنفسه حياة كريمة راغدة .. ولا غرو فالفقر أسوأ رفيق للرجال فى حياتهم ، ولا ينبغى لرجل أن ينام عن محاربته ما وجد إلى ذلك سبيلا .

مقطع رقم ٣٦ جـ ١
محمد يحقق ربحا فى التجارة

١ عادالأميـــنُ إلى خديجةَ رابحاً فى صَفقتِـــه[١]
٢ ربِحـاً يفـوقُ الآخريـن وكان أوّلَ فِكْرتـه[٢]
٣ كانت خديجةُ أرسلتْ بغلامِها فى صحبتِه
٤ كَيمـا يكـونُ مُرافِقـاً لمحمـــدٍ فى رحلَتِـــه
٥ أمَّا الغُلامُ فصار يَحْكِى مُعجباً من رُؤيتِه
٦ يَحكى لها عمَّا رآهُ من الأميـنِ وفِطنتِـه
٧ عن حِلمه، عن عَطفه، عن عَقله، عن حِكمَته
٨ كانت خديجة أيِّمـــاً[٣] بدراً يُضيءُ بطلعتــــه
٩ قد أُعجبَتْ بمحمَّدٍ ممَّا رَوى من قصَّته
١٠ باتت تُناجى نفسها، كيف السَّبيلُ لخِطبَته؟!
١١ من قبْله أبت الزَّواج وأعرضتْ عن سيرته
١٢ قد أرسلتْ لمحمدٍ كى تَعْرِفَـــنّ لرَغبتـــه
١٣ ورسولُهـــا كانت نَفـيسةُ للأمين بمَنْزلتـــه[٤]
١٤ قالت: هَلُمَّ إلى الزَّواج إلى الجمالِ وعِزَّته
١٥ إنِّـى رسولُ خديجةٍ، شرفٌ أتـاكَ برُمتـــه
١٦ لم تُعْطِ أحداً حُبها، وقد ارْتَضَتك لشِرعَته

---

(١) رابحا فى صفقته: فى تجارته.

(٢) أول فكرته: أول أعماله التجارية.

(٣) أيما: لا زوج لها.

(٤) بمنزلته: فى بيته.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٣٦ جـ ١

لقد عاد الأمين من رحلته التجارية إلى الشام.. لقد حقق ربحاً كثيراً برغم أنه لأول مرة يمارس التجارة.

ولما عاد ميسرة غلام خديجة، من رحلته التى رافق فيها محمداً، صار يروى لخديجة ما شاهده فى رحلته عن محمد: عن أخلاقه، عن عطفه، عن حلمه، عن حكمته، عن كل شى رآه من محمد قولًا وعملًا، ولا غرو فالسفر عو المحك الذى يكشف عن معادن الرجال.

لقد استمعت خديجة لغلامها ميسرة عن محمد وصفاته، دون ما ملل أو ضجر، وقد كانت خديجة أيّما، لا زوج لها، فلما سمعت ما سمعته عن محمد وما يتحلى به من حميد الخصال، تنبهت فيها مشاعر الأنوثة من جديد.

وكانت قد أغلقت قلبها عن سماع هواتف الحب، وصرفت عقلها عن التفكير فى أمر الرجال مطلقا، لدّرجة أنها رفضت الزواج من كثير تقدموا لخطبتها من عظماء الرجال.

بيد أنها اليوم شعرت بأن قلبها قد خفق عند ذكر أسم محمد.. إذن فهو الحب، فمن ثم باتت تناجى نفسها، ما الوسيلة للوصول إلى قلب محمد؟! وما هو السبيل لمفاتحته فى أمر الزواج؟!

وأخيراً، بعد تفكير طويل، وأخْذ وردٍّ، اهتدت خديجة إلى وسيلة ناجحة، إنها صديقتها المخلصة نفيسة، فلترسلها إلى محمد.. وجاءت نفيسة، فأخبرتها خديجة بما يجول فى خاطرها وقلبها معا.. فقالت لها نفيسة: لا عليك فسوف أفعل ما تشائين، وسأبذل قصارى جهدى لإقناع محمد.

ذهبت نفيسة إلى محمد فى بيته، وقد استطاعت بذكائها أن تلمس ما فى نفس محمد تجاه خديجة.. وذلك بإحساس المرأة.. ادركت أن محمداً يبادل خديجة إعجابا بإعجاب، لكنه لم يفكر فى أمر الزواج الآن، وذلك لضيق ذات يده، وهنالك ضربت نفيسة ضربتها الصائبة فقالت لمحمد ما رأيك فى الزواج من خديجة، ولا عليك من أمر المال، فما عليك إلا أن توافق؟! لقد أرسلتنى خديجة اليك، فاختارتك على كثير من الرجال، وهم كثيرون تقدموا لخطبتها، فرفضتهم، وارتضتك أنت زوجا وقرينا.

مقطع رقم ٣٧ جـ ١

زواج محمد من خديجة

١ جاءت نفيسةٌ للأمين، وقد أتتهُ على قَدَر[١]

٢ هي ذاتُ عقل راجح فيها الكياسةُ والحذر[٢]

٣ لمستْ به نفس الأمين فصار يِعْتمِلُ الفِكَر[٣]

٤ قالت له: إنِّي رسول خديجة، مِثل القمر

٥ أبْدى الأَمينُ رضاءهُ، فرِحت خديجةُ بالخبر

٦ تمّ التَّوافُقُ والزَّواجُ، وكم بهذا من عِبر

٧ ذاك الزَّواجُ غَدا حَديثاً بَين أبناءِ الأُسَر

٨ كانت خديجةُ ذات عقل زانَها بُعْد النَّظر

٩ قد هيأت بيتاً سعيداً إذ تناءَى عن خطر[٤]

١٠ عاشا حياةَ الحبّ فيها كلّ خير للبشر

١١ أعطت خديجة للأمينِ من الوفاءِ المُنتظر[٥]

١٢ أعطته مالًا، ثم حباً، ثم نصراً، فانتصر

١٣ البيت صار كجنةٍ فى الأرض مأمون الضرر

١٤ فيه البَنون كذا البنات وصار يخلو بالسمر

---

(١) أتته على قدر: بتقدير الهي.

(٢) فيها الكياسة والحذر: العقل والفطنة.

(٣) يعتمل الفكر: الفكر: جمع فكرة، يقلب وجوه الآراء.

(٤) تناءى عن خطر: ابتعد عن الخلافات الزوجية.

(٥) الوفاء المنتظر: المنتظر من خديجة، نظرا لعقلها وحكمتها.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٣٧ جـ ١

ها هى ذى نفيسة ، صديقة خديجة ، ومواطن سرها وهمستها أيضا تقوم بدور السفير الذكى بين طرفين .. هذان الطرفان هما : محمد الصادق الأمين ، وخديجة بنت خويلد ، ذات الحسب والنسب والمال والجاه والجمال أيضا .

نفيسة كانت ذكية ، وعلى جانب كبير من الكياسة ، فمن ثم استطاعت أن تدرك ما يتمتع به محمد ﷺ ، من ذكاء ورجاحة عقل وشفافية أيضا .

بعد حوار قصير دار بين الأثنين : محمد ونفيسة ، عرفت من خلاله إعجاب محمد بخديجة ، فعرضت عليه الزواج من خديجة ، وبلباقة لماحة أوحت إليه بأن المال لن يكون عقبة فى سبيل إتمام هذا الزواج .

أخذ محمد عليه الصلاة والسلام يفكر فى الأمر .. ولم يطل تفكيره ، فأبدى موافقته .

عادت نفيسة إلى خديجة ، تزف لها البشرى العظيمة التى كان قلبها يخفق لها وتنتظرها بفارغ الصبر .. فقالت لها : أبشرى يا خديجة ، فلقد وافق الصادق الأمين على ما تريدين .. وكم كانت فرحة خديجة بهذا الخبر السعيد .

فوراً تمت مراسم الخطبة والزواج .. هذا الزواج صار حديث مكة كلها .. صار مثارا للتعليقات والتكهنات ، فى البيوت ، فى الأندية ، كل له رأيه يبديه فى هذا الزواج ؟! .

كانت خديجة تمتاز بعقل راجح ، وهى أيضا لها تجارب سابقة ، كانت قد تزوجت مرتين قبل هذا الزواج ، فمن ثم استطاعت أن تؤسس بيتاً سعيداً ، جنبته بذكائها ويلات الخلافات الزوجية التى كثيراً ما تكون سببا فى تفويض عش الزوجية السعيد .

أعطت خديجة لمحمد ، وفاء بغير حدود ، وأغدقت عليه من الحب الصادق بغير تحفظ ، وأنفقت من مالها بسخاء وكرم نفس .

لقد وقفت بجانبه فى أصعب المواقف ، وناصرته حتى انتصر ، بحيث صار بيت محمد كالجنة .. سعادة زوجية ، وبنون وبنات يملأون البيت مرحاً ، وحب يسود الجميع .

مقطع رقم ٣٨ جـ ١

محمد والعباس يشاركان أبا طالب الإعالة

١ أما الأمين فإنهُ خير الرجال الأتقِياءِ
٢ أوحى إلى أعْمامه كيما يكونوا أوفياءِ
٣ قالوا له: ماذا تريدُ فإننا أهل الوفاءِ؟!
٤ فأجابهُم، هيّا فإنّ الشيخ أصبح فى عناءِ[١]
٥ الشيخُ ناءَ بحمْله فقراً ولم يجد الكفاءِ
٦ هيّا نشاركهُ الإعالة فى البَنين بلا وناءِ[٢]
٧ عباسٌ قال له: أصَبْت فذاك فيه الإقتِداءِ
٨ ذهبا، وعند الشيخ قال محمدٌ دونَ التِواءِ
٩ يا عمُّ يا عباسُ! هذا جَعفرٌ فيهِ الوَلاءِ
١٠ اجعلْهُ عندك فى رحابِ البيت يَنمو بالعَطاءِ[٣]
١١ أمَّا علىٌّ فهو عندى لن يُهانَ ولن يُساء
١٢ عاد الأمين وعَمه، فلقد أجابا للنِّداءِ[٤]
١٣ الشيخ أصْبَح راضياً ممّا تَحقق من رجاءِ
١٤ قد خُفِّفَتْ أثقاله، نِعمَ البُنُوَّةُ والإخاءِ
١٥ قد تَم هذا كلُّهُ فى عِزَّة فى كِبريـاءِ[٥]
١٦ هذا هو البُّر الذى يرضى به ربُّ السَّماءِ

---

(١) فى عناء: يعانى من الفقر كثرة العيال.

(٢) بلا وناء: بلا تأخير.

(٣) ينمو بالعطاء: عطاء الحب والعطف.

(٤) للنداء: نداء الواجب.

(٥) فى كبرياء: دون أن يشعر الشيخ بالتفضل عليه.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٣٨ جـ ١

محمد الامين، كان خير الرجال على الاطلاق، جبل على حب الخير، يعلمه ويحث عليه ما وجد إلى ذلك سبيلا.. فمن ثم أراد أن يغرس هذه الصفات الحسنة فى كل المحيطين به، لا سيما بنو هاشم أقرب الناس إليه وخاصة أعمامه الذين يجلهم ويكن لهم كل الود والإحترام.

كان أبو طالب – عم النبى محمد – رجلًا كبير السن، له أسرة كبيرة، وهو فى نفس الوقت فقير الحال، فأراد محمد – ﷺ – أن يقدم لعمه هذا شيئا من العون، وفاء لبعض ماله عليه من الواجبات، وعرفانا بالجميل.. إذ من المعروف بأن أبا طالب هذا، هو الذى كفل محمداً بعد وفاة عبد المطلب مباشرة.. وظل عنده حتى بلغ.

ذهب محمد إلى عمه العباس فقال له: يا عم! إن أخاك أبا طالب رجل فقير الحال، وأسرته كبيرة كما تعلم، وارى بأنه فى حاجة إلى العون..
فإن كنت ترى ما أرى، فهيا يا عم، فلنشارك الشيخ فى إعالة أسرته.

فلياخذ كل واحد منا واحد من أولاده، فيضمه إليه مع أسرته كأحد أولاده.
هذا الرأى أعجب العباس فوافق عليه.

ذهب محمد والعباس إلى بيت أبى طالب، وبعد حوار قصير مع الشيخ، أخذ العباس جعفر بن أبى طالب، واخذ محمد علياً.

لقد عاد الإثنان: محمد والعباس، ومعهما جعفر وعلى، والرضاء باد على محياهما لكونهما لبيا نداء الواجب.

أما أبو طالب، فقد شعر بسعادة غامرة أمام هذا التصرف، من جانب أخيه وابن أخيه، هذا التصرف من جانبهما، أنما يؤكد روابط الود والألفة بين أفراد للأسرة الواحدة أن تتفكك. وهو فى نفس الوقت صورة من صور التكافل الإجتماعى فى الإسلام.

لقد تم هذا العمل، دون أن يشعر الشيخ بأنهما قد تفضلا عليه لأنهما كانا حريصين على ذلك، ذلكم هو البّر الذى تدعو إليه وتحض عليه كل أديان السماء.

مقطع رقم ٣٩ جـ ١

قريش تهدم الكعبة لاصلاحها

١ هذى قريشٌ قَرّرت أن تَهدمَ البيتَ الحرام
٢ كان التَّصدعُ قد أصاب جدارَهُ للإنهدام(١)
٣ قد قرّروا إصلاحَه، أولَوهُ كلّ الإهتمام
٤ البيتُ كان له القداسةُ عندهم والإحترام
٥ لم يستطيعوا الإقترابَ لهدْمه والإختصام(٢)
٦ ظَلوا حَيارى خائفين البَدْءَ فى هَدم المقام
٧ الكُلّ يَخشى أن يُصاب بلعنةٍ أو إنتقام
٨ كان الوليدُ زعيمهم فى الرأى عند الإحتكام
٩ ذهبوا إليه ليَسْألوهُ، فقال: كُفوا عن مَلام(٣)
١٠ ما قد خَشيتُم فِعلهُ أخْشاهُ أيضاً بالتّمام
١١ ولسوفَ أفْعَلُهُ ولو فى فِعله كأسُ الحِمام(٤)
١٢ فى الصُّبح قام بفأسه ومُخاطباً رَبَّ الأنام
١٣ رَبَّاهُ إنَّا لا نُريد الحربَ بل نَبغى السلام(٥)
١٤ ضرب الوَليدُ بفأسه للهدم كالأسد الهُمام
١٥ فى الصُّبح أصبح سالِماً لا لم يُصبْهُ الإنهِزام(٦)
١٦ صاروا جميعاً يَهدمون فلم يخافوا من خصام

---

(١) للانهدام: قد آل للهدم.

(٢) والاختصام: مخاصمة رب الكعبة.

(٣) كفوا عن ملام: لا تتلاوموا.

(٤) كأس الحمام: قدر الموت.

(٥) نبغى السلام: نريد هدمه لإصلاحه.

(٦) لم يصبه الانهزام: لم يصبه سوء بسبب هدمه للكعبة.

المعنى الاجمالي للمقطع رقم ٣٩ جـ ١

لقد قررت قريش أن تهدم البيت الحرام – الكعبة – فقد تصدعت جدرانها من عوامل الزمن، وكثرة ما مر من السيول حول جدرانها.

لقد قرروا هدمها، ليعيدوا بناءها من جديد، على هيئة أحسن مما كانت عليه من قبل.. هكذا قرروا، وكان القرار بالإجماع.

بيد أنهم حينما هموا بتنفيذ القرار ـــ هدم الكعبة ـــ واجهتهم مشكلة عقائدية خطيرة، فما هي هذه المشكلة؟!

الكعبة منذ القدم، لها قدسية خاصة في نفس كل عربي، لا سيما أهل مكة الذين هم جيرانها وسدنتها، فهم يعلمون أن الكعبة بيت الله، إذن فمن ذا الذي يتجرأ فيضرب معوله في جدار هذا البيت بقصد الهدم؟!

فهم يعتقدون أن الذي يبدأ هدم الكعبة، سوف يصاب بلعنة أبدية، وسوف يصيبه ضرر يجعله عبرة لكل الناس.. وهكذا ظلوا حيارى أمام هذا الإعتقاد، فأحجموا كلهم.

كان الوليد بن المغيرة، حكيم قريش.. وكان شيخاً طاعناً في السن، فذهبوا إليه، فاستشاروه في هذا الأمر. علّهم يجدون عنده حلًا لتلك المعضلة!.

فقال لهم: لا عليكم، فأنا الذي سوف أبدأ بهدم الكعبة، فإن أصابني سوء، فأنا شيخ كبير فان.. وإلا فقد أصبنا ما نريد، ونواصل الهدم، ثم نبني البيت على الهيئة التي نبغيها.

فأخذ الوليد معوله، ثم توجه نحو الكعبة وهو يقول: اللهم لم ترع، اللهم إنا لا نريد إلا الخير، ثم هدم من ناحية الركنين.. وعاد إلى البيت ينتظر ما سوف يحدث له في تلك الليلة.

فتربص الناس تلك الليلة وقالوا: إن أصيب الوليد، فلن نهدم شيئاً.

ورددناها كما كانت.. وإن لم يصبه شيء، فقد رضي الله صنعنا فهدمنا.. فأصبح الوليد من ليلته معافى.. فهدم وهدم الناس معه آمنين من سوء العاقبة.

مقطع رقم ٤٠ جـ ١
محمد قاضياً بين شيوخ القبائل

١ مِن بَعد هدم البيتِ قاموا بالبِناءِ وأصلَحوه
٢ كلّ القَبائِل أسْهَموا فى رَفعه قد شَيّدوه
٣ وصل البناءُ لموضِع الرُّكنِ[1] العظيم فأوقفوه
٤ الرّكنُ هذا فيه فَخْرٌ كلُّهم قد ناقشوه[2]
٥ الكلُّ يَبغى أن يفوزَ بحَمله لَن يَترُكوه
٦ سَلُّوا السُّيوفَ وكاد يَحدثُ ما يُسيءُ وقاربوه
٧ لكنَّ شيخاً[3] طاعِناً هُمو أن يَسمَعوه
٨ قال: اسمَعوا رأيى وأنتم بالخيارِ لتَرتَضوه
٩ قالوا: فما هو؟! قالَ: مَن يأتى إليكم حَكِّموه
١٠ قالوا: فَنِعْم الرَّأىُ هذا، كلّهم قد وافقوه
١١ وإذا الأَمينُ هو الذى قد جاءَهم فَاستَقبَلوه
١٢ عن قصَّةِ الرّكنِ العظيم جميعهم قد أخبَروه
١٣ قال الأمينُ لهم: فَهاتوا لى[4] رِداءً أحْضَروه
١٤ وضع الأَمينُ الرُّكنَ فَوق الثَّوبِ، قال: لتَحمِلوه
١٥ كل الشُّيوخِ تعاونوا، حَملوه أيضاً أنزلوه
١٦ قام الأَمِينُ بحَمْله من بَعدِهم، لم يَحسِدوه
١٧ قد كان حُكماً عادلًا كلّ القَبائل أيَّدوه

---

(١) الركن العظيم: هو الحجر الأسود.

(٢) كلهم قد ناقشوه: تحاوروا بشأنه.

(٣) شيخا طاعنا: كبير السن.

(٤) فهاتوا لى رداء: هاتوا ثوبا أو عباءة.

اسحي الاجمالي للمقطع رقم ٤٠ جـ ١

بعد أن أتمت قريش هدم الكعبة، شرعوا فى إقامة البناء على هيئة أحسن مما كان قبلا.. وقد اشتركت كا القبائل فى أقامة البناء.. كل قبيلة من قريش جمعت الحجارة التى ستقوم ببنائها على حده.

ثم بدأوا البناء وارتفع الجدار، بيد أنهم حين وصل البناء إلى المكان الذى يوضع فيه الحجر الاسود، توقفوا.. يالله!! لماذا توقفوا؟!.

إن سبب توقفهم عن مواصلة البناء، هو أختلافهم على حمل الحجر الاسود، إذ أن كل قبيلة تريد أن تفوز بهذا الشرف العظيم.

ظلوا يتحاورون ويتجادلون، واحتدم الجدل فيما بينهم انقلب الجدل إلى المفاخرة، كل قبيلة تدعى الأفضلية، وأنها الأحق بشرف حمل الحجر الأسود.. ارتفعت الأصوات، ثم سلو السيوف، وكاد يحدث بينهم مالا تحمد عقباه، ومن خلال الضجة التى عج بها المكان، برز صوت من بينهم يناشدهم الإستماع له، فهدأ الثائرون ليسمعوا ما سيقوله ذلك الشيخ الطاعن، فقال لهم:

أنتم يا قوم بهذه الحماقة قد اسأتم إلى العمل العظيم الذى قمتم به.
– إعادة بناء الكعبة – وأرى، وأرجو أن توافقوا على ما سأعرضه عليكم بعد أن تسمعوه، فقالوا له: هات ما عندك فقال:

أرى أن تحكموا بينكم أول رجل يدخل عليكم من باب هذا المسجد، فأجعلوه حكما بينكم فى هذا الأمر.

لقد استحسن الجميع هذا الرأى، وارتضوه، وانتظروا من ذا الذى سيدخل من باب الكعبة عليهم؟! فكان أول داخل هو محمد الأمين.. فلما رأوه قالوا جميعا بلسان واحد: هذا هو الأمين، رضينا، هذا محمد.. فلما انتهى إليهم أخبروه الخبر، فقال: أحضروا لى ثوباً، فأحضروه، فأخذ الحجر الأسود فوضعة بيديه فوق الثوب ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعا، فرفعوه حتى إذا بلغوا به موضعه، أخذه محمد فوضعه بيديه فى موضعه ثم بنى عليه.. لقد كان هذا حكماً عادلاً كلهم أيدوه وارتضوه.

بعض ما سبق نزول الوحي

إرهاصات النبـوة

مقطع رقم ٤١ جـ ١
الأحبار والرهبان والكهان والجن

النـاسُ حاروا بين أحبـارٍ ورُهبـانٍ وقالَـة(١)
قد صارت الدّنيا تُخامِرها الشُّكوكُ بلا مَحالة
أصْداءُ(٢) تملأُ سَمعها، كَذباً وصِدقاً أو جَهالة
لا تَفتأُ الأحبارُ والرُّهبانُ عن ذِكر الرّسالة
قالوا: نبيٌّ ظاهرٌ فى الشرقِ فانتظروا هِلاله(٣)
وجدوه فى التوراةِ والإنجيل قَطْعِيِّ الدّلالـة
أخبارهم فى هذه صدقت، وقد صَدقوا المقالَة
قد صارَت الْكُهَّانُ تَنشرُ فى الأَقاويل الضَّلالة
قد يَصدقون فَيزعُمون بأنهم أهل الأصالـة
أو يَكذِبون ويَهرِفون ويَجنحون إلى السَّفالة(٤)
الجِنُّ كانوا يَسمعون الوَحىَ من غير استحالة(٥)
لا يُمنَعون من السَّماع، ولم يخافوا الإستِطالة
يَأتون لِلكُهانَ بعدِ سَماعهم فى كلِّ حالة
يُلْقون فى أَسْماعِهم ما يُلحِق العَقل اختِلاله(٦)
الجنُّ صاروا أهل صيتٍ فى النُّفوس له جَلاله

---

(١) وقالة: القالة، هى الاشاعة الكاذبة.

(٢) أصداء: جمع صدى، كناية عن ترديد الاشاعة.

(٣) فانتظروا هلاله: ظهوره.

(٤) يجنحون إلى السفالة: الكذب والتضليل.

(٥) من عير أستحالة: دون مانع أو حائل يمنعهم من التسمع.

(٦) يلحق العقل اختلاله: يصيبه بالخلل.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٤١ جـ ١

أهل الجزيرة العربية، كانوا يتمسكون بعقائد فاسدة، لم يبق لديهم إلا بقية من تعاليم ملة إبراهيم الخليل، شاحبة باهته وذلك نظرا لما حذف منها أو أضيف إليها، لعدم وجود الدعاة الذين يجددون مناهج الدين كلما خبا صوته.. إن ملة ابراهيم لم تكن محفوظة بواسطة علماء تفرغوا لها كما هو الحال فى دعوة الإسلام.

فمن ثم كانت عقائدهم مزيجاً من المعلومات المتفرقة، فأحبار اليهود لهم تعاليم وأقوال، ورهبان النصارى لهم تعاليم وأقوال، وكلا الفريقين مختلف مع الآخر، وكلاهما لا يخلو من الكذب والتدليس.

وهناك فريق ثالث، هو أخطر من الاثنين السابقين فى كل شيء، لا سيما على العقائد والأفهام.. ذاكم هو جماعة الكهان الذين لهم صلة بالجن.

وهذا الفريق الثالث، مختلف أيضا مع الاثنين السابقين.. بيد أن ثلاثتهم يتفقون على شيء واحد، لا يختلفون عليه.. ألا وهو: ظهور نبى آخر الزمان.

وهذا النص ننقله حرفيا من مظانه عن حقيقة الفرق الثلاث:

«وكانت الأحبار من اليهود، والرهبان من النصارى، والكهان من العرب، قد تحدثوا بأمر رسول الله ﷺ، قبل مبعثه لما تقارب زمانه، أما الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى، فمما وجدوا فى كتبهم من صفته وصفة زمانه، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه» يؤيد هذا ما جاء فى محكم التنزيل قوله تعالى:

«الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر.. الخ» آية رقم ١٥٧ سورة الأعراف.

«وأما الكهان من العرب، فأتتهم به الشياطين من الجن، مما تسترق السمع إذ كانت لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم، وكان الكاهن والكاهنة لايزال يقع منهما بعض ذكر أموره عليه الصلاة والسلام».

ومن المعروف بأن الجن كانوا يتسمعون للوحى قبل بعثة محمد ﷺ، ثم يلقون للكهان بما سمعوه، فيضيف الكهان إلىٰ ما سمعوه أكاذيب وخرافات، حتى أصبح للجن صيت فى نفوس العرب جميعا.

مقطع رقم ٤٢ جـ ١

منع الجن من التسمع للوحى

١ حَدثٌ جديدٌ صادفتْهُ الجنُّ كان له صَداه

٢ شُهبُ[١] السّماءِ لقد غِدت حَرساً على وَحى الإله

٣ منْ جاءَ منهم يَستمعْ يَلْقَ الشُّهاب قد اعتَلاه

٤ حتىًّ إذا مافرَ مِنه إذا به يَقْفو خُطاه

٥ منْ قَبلِ هذا كان يَسمع لايَخافُ على هواه[٢]

٦ والآن أصبحت السَّماءُ كأنَّها مُلِئت رُماه[٣]

٧ وَفدٌ مِن الجِنِّ التقَوْا بالمصطفى سَمعوا هُداه[٤]

٨ سَمِعوهُ يَتلو مِن كِتاب الله حقًّا ما تلاه

٩ قد أسلموا ﷺ طَوعاً واغتدَوْا مثل الدُّعاه

١٠ عادوا إلى أقوامِهم قد أخبَروهُم كالرُّواة

١١ قالوا لَهم: هذا نَبيٌّ جاءَ يَدعو للصّلاة

١٢ من أَجله غَدت السّماءُ كقَلعةٍ ضِدٌّ الْغُزاه[٥]

١٣ معه كتابٌ قَيِّمٌ مِن بعد موسى قد أتاه

١٤ إنَّا سَمِعْنا بَعضَهُ يُتلى فلن نَرضَى سواه

١٥ مَن شاءَ منكم أن يفوزَ ويَرتجى خيراً يراه

١٦ فَليتَّبع هذا النبِّى فإنَّه خير الهُداه

---

(١) شهب السماء: هى النجوم.

(٢) على هواه: لا يخاف من أحد يمنعه.

(٣) ملئت رماة: رماة السهام.

(٤) سمعوا هداه: سمعوه يتلو القرآن الكريم.

(٥) ضد الغزاة: الغزاة هم الجن الذين كانوا يسترقون السمع.

أمر جديد له أهميته وخطورته، أصبح مثاراً للتساؤلات والدهشة بين جميع شياطين الجن، كلهم يتساءلون فى دهشة وإستغراب!! ما هذا الذى حدث؟! لقد أصبح الفضاء محرما على عالم الجن، فالشهب الملتهبة أصبحت تملأ الفضاء، حرساً على الوحى الإلهى.

كل من أراد من الجن أن يلتمس السماء، بغرض التسمع للوحى، فإنه يجد شهاباً من النار يرصده فينقض عليه، حتى اذا ما فر هاربا، فإن الشهاب يلحق به كما يلحق الشرطى بالمجرم ليبطش به، فما هذا؟! هذا التساؤل ظل حائر بين الجن لا يجد جوابا شافيا، والواقع أن هذا كان إرهاصا وتقدمة لبعثة محمد ﷺ.

وبينما كان فريق من صالحى الجن الطوافين، يطوفون فى الصحراء اذ سمعوا صوتا حسنا يصل إلى اسماعهم، فى هدوء الليل يرتل كلام الله.. كان هذا الصوت هو صوت محمد ﷺ.. فتوجهوا نحو الصوت مسرعين، فالتفوا حول محمد يسمعون تلاوته الخاشعة فآمنوا به لا شك أنهم قد غنموا مغنما كبيراً باسلامهم، وفى نفس الوقت وجدوا الجواب على التساؤل الذى كان حائرا بين الجن، ولم يعرفوا الجواب عليه قبلا وهو: لماذا منعوا من التسمع للوحى؟!

عرفوا بأنهم إنما منعوا من التسمع للوحى، لئلا يشكل الوحى بشىء مما ينقله الجن إلى الكهان.. فولوا إلى قومهم منذرين، وقد آمنوا وصدقوا بالقرآن الكريم، هذه المعانى تحكيها آيات من أخر سورة الاحقاف(١).

لقد عاد مؤمنوا الجن، بعد سماعهم للقرآن الكريم، والفرحة تملا صدورهم، فقالوا لإخوانهم مس الجن: لقد ظهر نبى جديد، يدعوا إلى دين جديد.. يدعوا إلى الصلاة وإلى توحيد الإله.. من أجل ذلك أصبحت السماء محرمة على الجن، لقد ملئت بالحراس، من فكر فى غزوها، فسوف يهلك لا محالة.

إن مع هذا النبى كتاباً قيما، هو خير من التوراة التى أنزلت على موسى من قبل، إنا آمنا به، فاطيعونا وآمنوا به، فالخير كل الخير فى إتباعه.

---

(١) الآيات من ٢٩ – ٣٢ «وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا – إلى قوله – أولئك فى ضلال مبين» سورة الأحقاف.

مقطع رقم ٤٣ جـ ١
محمد يرى الرؤى ويسمع الأصوات

١ صار الأمينُ يرى الرُّؤى ليلا فَيُصبِحُ قد رآها[١]
٢ صارت رُؤاهُ كأنَّها فَلَقُ[٢] الصَّباحِ إذا رواها؟!
٣ أصداءُ تَملأ سَمعهُ من كلِّ صَوبٍ ما دَهاها؟!
٤ أصواتٌ تَهتفُ باسمه شجرٌ وحجرٌ مَن هداها؟!
٥ النَّفس منه تَحيَّرت أمرٌ خطيرٌ قد أتاها
٦ واختارَ غاراً فى حراءٍ للتَّأكُّدِ مِن هواها
٧ فى كلِّ عام صار يَخلو فيه شهراً كى[٣] يَراها
٨ عَشِقَ التَحنُّثَ[٤] وَالتأمُّلَ فى الفَلاةِ وفى رُباها
٩ فى الغارِ يَخلو كى يُجَرِّدَ نفسهُ مِمَّا عَراها[٥]
١٠ النَّفسُ فيه قد ارتقت حتّى تَسامت فى عُلاها
١١ نفسٌ صفتْ حتّى غَدت للنُّورِ تَرنو فى رُؤاها
١٢ ما إنْ أتمَّ الأربعين أتت نُبوّتهُ جَناها[٦]
١٣ قد صار أهلا للنُّبوَّةِ والمشقَّةِ فامتَطاها
١٤ نِعم النُّبوَّةُ والنبىُّ وأُمةٌ نالت مناها

---

(١) فيصبح قد رآها: ما يراه فى نومه يتحقق فى الصباح.

(٢) فلق الصباح: أنشقاق الفجر.

(٣) كي يراها: يرى حقيقة نفسه من حيث الصفاء والكدورة.

(٤) التحنث: التعبد.

(٥) مما عراها: أصابها وعلق بها.

(٦) أتت نبوته جناها: ثمارها، أصبح أهلا لأعباء الرسالة.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٤٣ جـ ١

لما بلغ محمد ﷺ من العمر ستا وثلاثين عاما، صار يرى الرؤى ويسمع الأصوات.. إذا رأى رؤيا فإنها لا تكذب.

«عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: إن أول ما بدىء به رسول الله من النبوة حين أراد الله كرامته، ورحمة العباد به، الرؤيا الصادقة، لا يرى رؤيا فى نومه إلا جاءت مثل فلق الصبح، وحبب الله إليه الخلوة، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده».

وأيضا صار الجماد والنبات ينادونه باسمه.. إذا سار فى بعض الطرق فى مكة وما حولها، نادته الأحجار والأشجار باسمه، ما هذا؟! إنه لأمر عجيب يدعو للدهشة والإستغراب!!

الأشجار والأحجار تقول له: السلام عليك يا رسول الله، فيلتفت عن يمينه وعن شماله وخلفه، فلا يرى إلا الشجر والحجارة!!

تلكم كانت بلا شك مقدمات النبوة وإرهاصاتها، فمن ثم اختار غاراً فى جبل حراء، واعتكف فيه يعبد ربه، مبتعداً عن الضوضاء.. وبلا شك فنفسه فعمة بالمعانى السامية، وتساؤلات وعلامات استفهام كثيرة تبحث عن أجوبة.. فلعله فى أعتكافه هذا يعرف السر من حديث ونداء الأشجار والأحجار له، وذلك عن طريق التحنث[1].

ذلك لأن التحنث يجرد النفس من ماديتها، فيجعلها تصفو وتشف. فى ذلك الغار صفت نفسه وتهيأت لاستقبال الأمر العظيم.. ولذا فقد صارت تتطلع إلى أنوار الألوهية، ولم لا فالنفوس حينما تتجرد من أوضار المادة، تصبح ملائكية أو قريبا من ذلك، وحينئذ تكون أكثر أستعدادا لتلقى الفيوضات الألهية.. أذن فهى النبوة.. والاتصال بالملكوت الأعلى، وهو الصفاء والشفافية، للتجانس مع الوحى الألهى.

حينما أتم محمد الأربعين من عمره، جاءه الوحى فى غار حراء.. فقد صار أهلا لحمل أعباء الرسالة ومشاقها، ألا فنعم نبياً ونعم نبوةً ونعم أمة آمنت به وبنبوته.

---

(١) التحنث: التعبد.

مقطع ٤٤ جـ ١
بداية نزول الوحى على محمد

١ جبريلُ جاءَ محمّداً فى الغارِ فى شهرِ الصيام
٢ قدْ جاءَ يُعطيه النُّبوَّةَ من لَدُن ربِّ الأنام
٣ بالعلم جاءَ إليه يَسعى قال: اقـرأ(١) للسّلام
٤ قالَ الأمينُ: فَلست أدرى ما القراءةُ بالتّمام
٥ فى قُوةِ الوحيِ احتواهُ كأنه كأسُ(٢) الحِمام
٦ شَعَر الأمينُ بقَسوةٍ من ضَمةِ الوحى الهُمام
٧ الوَحىَ أرسلهُ وقال له: لِتَقرأْ لن تُضام
٨ فأجابهُ، هذا بَعيدٌ فَوق أطباقِ(٣) الغَمـــام
٩ فى ضَمهِ أُخرى احتواهُ وقال: اقرَأْ بالتِزام
١٠ فأجابهُ، تاللهِ إنِّى فى القــراءَةِ كالعَــوام
١١ فى ثالثِ المَرَّاتِ قال: اقرأْ ورَتِّل بانتِظام
١٢ اقرَأْ فهـذا قولُ ربِّك إنّـهُ أسمى الكـلام
١٣ اقرأْ وأسمِع كلّ قَومك إنَّهـم قومٌ نيـام
١٤ اذهَب إليهم إنَّك المَبعوثُ مِصباحُ الظَّلام
١٥ تَهدى الضُّلال وتَأخذُ الأيدى إلى دنيا المَرام
١٦ فلتدعُ بالحُسنى وحاذِر من جدالٍ أو خصام

---

(١) اقرأ للسلام: السلام هو الله، والاسلام دعوة للسلام.

(٢) كأس الحمام: قدر الموت.

(٣) فوق أطباق الغمام: كناية عن بعده عن معرفة القراءة

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٤٤ جـ ١

لقد عشق محمد ﷺ، الخلوة والتأمل فى الفلاة.. ذلك لأن التأمل مع الخلوة فى الفلاة والأفق البعيد، يجدد الأفكار، ويبدد ما تراكم على النفس من ظلمات حجبتها عن الرؤية الحقيقية لكثير من الأمور.

ألا فنعم صفة التأمل، فإنه يساعد على صفاء النفس، فتصبح قادرة على التعمق والتركيز، وسبر أغوار الأمور، وطرق لبابب المعانى أيضا.

لقد اختار محمد ﷺ، غار حراء، ليخلو فيه مع ربه، مبتعدا عن كل ما يشغل البال.. فيجاور فيه شهرا كل عام.. وبينما كان محمد على حالته، من حيث العبادة والتأمل والمجاهدة، وكان الوقت شهر رمضان، جاءه أمين الوحى جبريل فى غار حراء.

جاءه بأمر ربه ليكلفه بالمهمة الشاقة التى لا يستطيعها إلا أولو العزم من الرجال !!

ولنستمع الى رسول الله ﷺ، يحدثنا عن أول لقاء له مع أمين الوحى جبريل.

«.. فجاء الملك فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء قال: فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال: أقرا فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال: أقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال:

«اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم» صحيح البخارى.

يا محمد! أنت رسول الله أصبحت مكلفاً، فاذهب إلى قومك فادعهم إلى توحيد الله تعالى.. أيقظهم من سباتهم.. ولا تتردد، فأنت النور الذى سيبدد ظلمات الشرك التى عمت الأرجاء، لا سيما فى الجزيرة العربية.

إنك سوف تهدى الضالين، وتأخذ بأيدى الحائرين إلى بر الأمان بعد أن تخبط الناس فى مسيرتهم.. فادع الناس بالحسنى، وإياك من الجدل والخصومة.

مقطع رقم ٤٥ جـ ١

محمد يخشى على نفسه من الوحى

١ عاد الأَمينُ نبيته من رحلةِ الوحيِ المَصون
٢ الرُّعب يَملأُ قلبهُ قد عاد للصَّدرِ الحنون[١]
٣ الوحىُ هزّ كيانهُ قد ظنَّهُ رَيب المَنون[٢]
٤ الإضطرابُ عَليهِ باد قد تمادى فى الظُّنون[٣]
٥ بل قال: إنِّى خائفٌ أخشى على نفسى الفُتون[٤]
٦ قد قال أيضاً: دثِّرونى هذه نفسى تَهون[٥]
٧ كانت خَديجةُ زَوجه تَمتازُ بالعقلِ الفَطين
٨ قالت له: كلا، لا تَخف يا ابن العُمومةِ لن يكون
٩ لا لن تُصابَ بأىِّ سوءٍ، فى حديثٍ ذى شُجون
١٠ أنت الذى صدق الحَديثَ مَدى الحَياةِ فَلا يَخون
١١ أنت الذى تَقرى الضُّيوفَ إِذا تَجادبت السّنون
١٢ بل أنت مَبعوثُ العنايةِ فى دُجى لَيل السُّكون
١٣ حاشاكَ أن يُخزيكَ رَبِّى أنت نورٌ للعُيون
١٤ إِن الذى يَأتيك وَحىٌ لَيس من أهلِ المجون[٦]

---

(١) عاد للصدر الحنون: لزوجه خديجة.

(٢) ظنه ريب المنون: قدر الموت.

(٣) قد تمادى فى الظنون: ظنه شيطانا.

(٤) الفتون: الاختبار والابتلاء.

(٥) نفس تهون: تضعف.

(٦) أهل المجون: اللهو واللأمبالاة.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٤٥ جـ ١

ها هو ذا قد عاد محمد ﷺ إلى بيته، وذلك بعد أن عانى ما عانى من الجهد والمشقة فى غار حراء، فى لقائه التاريخى الخالد، بأمين الوحى جبريل عليه السلام.. ولا غرو فهو لقاء الأرض بالسماء، لقاء المادة بالروح، إنه لأمر فوق التصور الإنسانى!!

عاد محمد إلى زوجه.. إلى الحب، والوفاء، والإخلاص.. فى هذا اللقاء الخالد، ألقى جبريل على محمد من آيات القرآن الكريم، وكلفه بأعباء النبوة الخاتمة، بيد أن محمداً، عاد مشتت الأفكار، فقوة الوحى التى باغتته هزت كيانه كله، ولا غرو فهو لقاء القوة اللانهائية بالضعف الإنسانى.

فمن ثم ساورت محمداً الظنون، وتسرب الشك إلى خاطره، برغم قوة جنانه، وثبات عقله، فأخذ يسأل نفسه، ما هذا؟! أى شىء عرض لى؟!

ولقد تبدى هذا واضحاً فى الحوار الذى دار بينه وبين زوجته خديجة لما عاد إلى بيته قال لخديجة: زملونى زملونى، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسى.

«فقالت خديجة كلا، والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتقرى الضيف، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق».

وهكذا، فقد كانت خديجة، نعم المستشار المخلص لمحمد ﷺ، يرجع إليها فى أحلك الظروف؛ فيجد عندها الأمان والرأى الصائب والحكمة أيضا.

لقد عرفت بأن الذى جاء محمداً فى الغار، ملك وليس شيطانا، وذلك بتجربة زكية، قررت بعدها ما قررت!

«قالت لمحمد: حين يأتيك صاحبك فأخبرنى، فلما جاءه جبريل أخبرها، فأجلست رسول الله ﷺ على فخذها وكشفت عن بعض مفاتنها، ثم قالت: هل تراه الآن؟! قال: لا، قالت: ما هذا بشيطان إنه ملك، فأثبت وأبشر وآمنت به»(١).

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير بتصرف جـ ١ ص ٤١٠

مقطع رقم ٤٦ جـ ١

محمد وخديجة مع ورقة بن نوفل

١ كان ابنُ نَوفلَ[١] عالماً، بل راهبٌ رجلٌ كبير

٢ رجلٌ تَنصَّر[٢] واغتدى فى العلمِ ليس له نظير

٣ كان ابنُ عمِّ خديجةٍ بالعلمِ قد عرف الكثير

٤ من واقع التَّوراةِ والإنجيل أصبح كالخبير

٥ فيها علاماتُ النُّبوَّةِ تشبهُ الضَّوءَ المُنير[٣]

٦ عُرِفت لدى الأَحبارِ والرُّهبانِ حقًّا لا نكير[٤]

٧ الكلُّ كانوا يعرفون رسالةَ الهادى البشير

٨ هو خاتمُ الرُّسلِ الكرام وشافعٌ يومَ العسير

٩ ذهب الأَمينُ وزوجهُ للشَّيخ كيما يستنير

١٠ قالت خديجةُ: يا ابن نوفلَ! أيها الرَّجل المشير[٥]

١١ يا ابن العمومةِ إنَّنا جِئناك فى أمر خطير

١٢ هذا الأَمين أتاك يحكى قصَّةَ الخبر المُثير

١٣ فَلْتستمع لحَديثه كى تَعرفَ النَّبأ الأَخير

١٤ هيّا محمدُ، فَارْوِ ما يأتيكَ من أمرِ النَّذير[٦]

---

(١) ابن نوفل: هو ورقة بن نوفل.

(٢) تنصر: اعتنق النصرانية.

(٣) تشبه الضوء المنير: يعرفها كل قراء التوراة والانجيل.

(٤) حقا لانكير: لا ينكرها أحد.

(٥) الرجل المشير: الذى يستشيره الناس.

(٦) أمر النذير: الذى جاءك فى الغار.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٤٦ جـ ١

لقد كان ورقة بن نوفل، عالماً كبيراً لا نظير له فى مجال العلوم الدينية، لا سيما فى قريش.. قرأ الكتب السماوية، كالتوراة والإنجيل وغيرهما.. وأخيراً اعتنق النصرانية ديناً وعقيدة.. فأصبح كواحد من رهبان النصارى علما ومعرفة.

لقد كف بصره، وكبر سنه.. وهو ابن عم خديجة زوج محمد ﷺ. هذا الرجل قرأ التوراة والإنجيل، وأصبح خبيراً بمضمونها، وجد فيهما علامات نبوة محمد واضحة بارزة، كضوء القمر ليلة البدر فى الليلة المظلمة.

ولا غرو فتلك العلامات، أطلع عليها أيضا كل أحبار اليهود، وكل رهبان النصارى، فعرفوها وأيقنوا بصحتها، بحيث لا تحتمل الشك أو الجدل أو المماراة.

ذهبت خديجة رضى الله تعالى عنها، مع زوجها محمد ﷺ، إلى ذلك الرجل: ورقة بن نوفل، كى يسألاه عن هذا الحدث الذى لم يسبق أن صادف أحداً من قريش كلها بمكة، ولا صادف أحداً فى الجزيرة العربية كلها.

خديجة تنادى على الشيخ الكبير، نداء فيه توقير واحترام يليق بعلمه وشيخوخته فقالت له: يا ابن العم! إننا جئناك فى أمر خطير، فأنت المستشار المؤتمن، والعالم المخلص العارف بالأمور.

هذا ابن أخيك محمد الأمين، سيحدثك عن أمر له أهميته وخطورته، فاستمع إليه، فإننا لم نستطع معرفة حقيقته، ولم نهتد إلى تفسيره، ثم قالت:

هيا يا محمد قص ما سمعته وما رأيته، على سمع هذا الشيخ فإنه خير من يفهم هذا الأمر، بما له من سعة الاطلاع.. أخبره يا محمد عما جاءك فى غار حراء.

مقطع رقم ٤٧ حـ ١
ورقة بن نوفل يسمع محمداً

١ صار الأمينُ محمدٌ يروى إلى الشيخ[١] الخبرِ
٢ عن قصَّةِ الوحي الذى بعدَ الغيابِ لقد حضر
٣ سمع ابن نوفَل قوله: فكأنَّه لحنُ السَّمر[٢]
٤ قد هزّهُ قولُ الأَمينِ فذاكَ قول مُعتبر
٥ هتف ابن نوفَل قائلا: أنت النَّبىُّ المُنتظر
٦ هذا هو النَّاموسُ كان يَجىءُ موسى قد ظهر[٣]
٧ أبشِرْ أتاكَ الوحىُ من عندِ الإله على قَدر
٨ أثْبُت فأنت رَسولُ ربٍّ العالَمينَ إلى البشر
٩ واصبِر على ما قد يُصيبكَ من أذى فَوقَ الحذر
١٠ إن عِشت سوفَ أردُّ عنك بِما أطيقُ من الخطر
١١ يا وَيحَ قلبى إنَّ قومكَ مُلحِقونَ بكَ الضَّرر
١٢ إذ يُخرجونك من بلادٍ عشتَها مُنذ الصِّغر
١٣ قال الأمينُ: أمُخرجىّ هُمو[٤]؟! فذا لا يغتفر
١٤ فأجابهُ، إنَّ الدُّعاةَ بكلِّ قوم تُختبر[٥]

---

(١) يروى إلى الشيخ الخبر: الشيخ هو ورقة بن نوفل.

(٢) فكأنه لحن السمر: طرب لما سمعه من محمد.

(٣) قد ظهر: عاد للظهور بعد انقطاعه.

(٤) أمخرجى؟ ينظر فى صفحة النثر ففيها اللفظ الصحيح.

(٥) تختبر: تبتلى وتمتحن.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٤٧ جـ ١

أخذ محمد ﷺ، يروى قصة الخبر الخطير الذى حيره، وجاء بسببه إلى ورقة ابن نوفل، راهب قريش، إنها قصة الوحي الذى فجأه فى غار حراء، كان محمد ﷺ، يروى إلى ورقة، وورقة يستمع إليه فى خشوع تام، وفى إعجاب ودهشة.. فكان كأنه كله آذان صاغية، والتأثر قد بدا على محياه.. لقد أخذ بما سمعه، فكأنه فنان يستمع إلى لحن شجى أطربه.

ما أن انتهى محمد من سرد قصته، حتى هتف الشيخ قائلا: مرحى مرحى، هذا لعمر الله هو الناموس الذى كان ينزل على موسى، لقد ظهر وعاد بعد أن انقطع.. فاثبت لهذا الأمر، فأنت نبى هذا الزمان.. أنت خاتم الرسل الذى بشرت به الكتب السماوية، وبشر به المسيح عيسى ابن مريم.

فعليك أن تتذرع بالصبر، فهذا أمر عظيم، إنها النبوة بأعبائها وأخطارها.. فلا تضعف عن حملها، ولا تجزع مما قد يصيبك من أذى فى سبيل الله فى طريق الدعوة إلى الله.. ثم قال:

يا ليتنى فيها جذعا – صغير السن – إذن لأرين الله منى ما يريد لنصرة دينه، ولئن عشت فسوف أردّ عنك وأنصرك ما استطعت إلى ذلك سبيلا، وكأنى بقومك، قد ناصبوك العداء وكذبوك، مع علمهم بصدقك وأنك على الحق، وهم على الباطل!!

ولسوف يخرجونك من هذا البلد الذى نشأت فيه وترعرعت فى ظله. فقال محمد متسائلا، أو مخرجى هم؟!.

فقال ورقة: نعم، إنه ما جاء أحد قومه بمثل ما جئت به قومك، إلا عودى منهم وكذبوه وأخرجوه، ثم أردف قائلا:

هذا هو طريق الدعاة دائما.. محفوف بالأخطار والمكاره، والمشقة والاختبار والابتلاء.

مقطع رقم ٤٨ جـ ١
الأمر بدعوة الناس إلى التوحيد

١ قد صارت الآياتُ تَترى[١] يا محمدُ قم فأنذِر
٢ اللهُ يأمرُ بالصّلاة أجبهُ فوراً قُم وكبِّر
٣ واعلَم بأنَّ الشِّركَ كفرٌ، دَعهُ ثمّ الثَّوبَ طهِّر
٤ قُم عظِّم المولى بصدق، واجتنب للرُّجز واهجُر[٢]
٥ قُم أحيِ هذا الليل حتىّ تَبلغَ الرّكبَ المُشمِّر[٣]
٦ قُم أنذر الدنيا جميعاً، واعتصم بالحقّ واصبر
٧ اللهُ ربُّ الخلقِ أحدٌ واحدٌ فى الكونِ أكبر
٨ قُم أنذرْ الدنيا ببَعثٍ بعدَ مَوتٍ ثمّ تُحشر
٩ النَّاس فى حَشر عُراةٌ كلُّهم يَرجو ويَحذر
١٠ هذا المطيعُ يكونُ فى رَوض الجنانِ هُناك أيسَر
١١ أمّا المُسيءُ فإنَّهُ فى النَّارِ يُلقى حيثُ تُسجر[٤]
١٢ اللهُ يجزى عادلًا، هُو عالمٌ بالنَّاس أخبر
١٣ الكلّ سوفَ يُنبَّأُون بما تقدَّم أو تأخَّر
١٤ لا شك ليس هناك ظلمٌ، بل هناك العدلُ أكثر.

---

(١) تترى: متتالية فى النزول.

(٢) واجتنب للرجز واهجر: اجتنب عبادة الأوثان.

(٣) الركب المشمر: تلحق المجدين فى السير، على طريق الخير.

(٤) حيث تسجر: تتأجج وتشتعل.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٤٨ جـ ١

لقد صار القرآن الكريم ينزل على قلب رسول الله محمد ﷺ .. وتوالى نزول الآيات القرآنية، مشرقة بالمعانى.

بعد أن عاد رسول الله، من غار حراء، وبعد لقائه بأمين الوحى جبريل، شعر بالإجهاد والإرهاق.. فنام فى بيته، وتدثر بالأغطية.

وبينما هو متدثر بالأغطية، جاءه جبريل الأمين، بأمر إلهى جديد.. لقد أمره بأن يهجر النوم والدثار، وأن ينشط ويستعد لمباشرة المهمة التى كلف بها من ربه عز وجل.. هذا الأمر تحكيه سورة «المدثر»، ذات الأسلوب الفريد فى سياقها وجرسها.

هذه السورة بدئت بنداء لمحمد ﷺ، وهو على هيئته متدثراً، ثم بعد ذلك تبدأ الآيات آمرة متلاحقة قوية.

«يا أيها المدثر. قم فأنذر. وربك فكبر. وثيابك فطهر. والرجز فاهجر» هيا يا محمد، أنذر الناس، بصرهم بحقيقة الأمر.. إنهم ليسوا مخلوقين هملا، لا، بل هناك خالق عظيم خلقهم.. فليعبدوه وليكبروه.. وليتركوا عبادة الأصنام.

طهر ثيابك مما ألم بها، لكى تقف بين يدى ربك طاهراً، واجتنب عبادة الأصنام فإنها رجس.

وثمة أمر آخر فى سورة أخرى، هى سورة المزمل.. هذا الأمر يختلف عن كل الأوامر الموجهة لمحمد ﷺ، إذ كل الأوامر الموجهة إلى محمد ﷺ، هى فى نفس الوقت أوامر للناس جميعاً، إلا هذا الأمر فإنه خاص لرسول الله.. إنه يأمره بقيام الليل.. «يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا» ولا غرو فقيام الليل هو الوسيلة المثلى للمناجاة والقرب من الجناب العالى، وهو السبيل لتلحق بمن سبقوك من العباد على الدرب.

أنذر الناس، بالبعث بعد الموت، يحشر الناس عراة، الكل يرجو رحمة ربه ويخاف عذابه، الطائعون فى جنة الخلد، فى نعيم لا يزول.. والمعرضون سوف يلقون فى نار جهنم حيث تتأجج وتلتهب.

كل سوف يجد ما قدم من الأعمال، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

مقطع رقم ٤٩ جـ ١

إسلام خديجة بنت خويلد

١ هذى خديجةُ أسلمت أُولَى النِّساءِ المسلمات
٢ هى زوجةُ الهادى وأوَّلُ زوجةٍ فى المُحصنات[١]
٣ قد أشرق الإيمانُ فى أعماقها فى السَّابقات
٤ قد آمنت بالله ربًّا، ربِّ كلِّ الكائنات
٥ قد أخْلصت فى دينِها، نِعم النِّساءُ المخلصات
٦ من مالِها من جَهدها أعطت ولم تُعط الفُتات[٢]
٧ أعطت جزيلًا فى سَخاءٍ، أصبحت فى المحسِنات
٨ قد سلَّم المَوْلى عَليها، فهى بين الآمِنات
٩ جبريلُ جاءَ إلى النَّبى، وخَصّها بالبُشْرَيات[٣]
١٠ قد أُعْطِيَت فى الخُلدِ بيتاً فى جوارِ الخالِدات
١١ لا شكَّ للفِردَوْسِ أهْلا أدلَجوا[٤] فى المَكرُمات
١٢ قد كانَت الدُّنيا لديهم لا تُساوى دِرهَمات
١٣ بالفَضل قد صاروا ملوكاً فى الجنَان العالِيات
١٤ اللهُ يَجزى النَّاس عَدلًا مؤمنين ومؤمنات

---

(١) أول زوجة فى المحصنات: هى أولى زوجات محمد.

(٢) ولم تعط الفتات: القليل الحقير.

(٣) خصها بالبشريات: جاء خصيصا ليبشرها.

(٤) أدلجوا فى المكرمات: ساروا ليلا سبقوا غيرهم إلى الخير.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٤٩ جـ ١

لقد بادرت خديجة رضى الله تعالى عنها، بدخول الإسلام، مؤمنة مصدقة بكل ما جاء به زوجها الصادق الأمين.

لقد أشرق الإيمان فى قلبها، فأصبحت فى السابقات اللواتى فزن برضوان الله عز وجل.. ومنذ أن أعلنت إيمانها وتصديقها بالرسالة وبالرسول أيضا، ضاعفت من عنايتها برسول الله ﷺ، فصارت تفعل كل شىء يرضاه رسول الله.

لقد بذلت جهدها، وأنفقت من مالها بغير حساب فى سبيل نصرة الدين، وهى حين بذلت مالها كانت سخية بها نفسها، وذلك ليستطيع محمد أن يواصل الدعوة إلى دين الله، مثابرا مجاهدا.

إن خديجة منذ أن آمنت بالله وبرسوله.. هان عليها كل شىء فى سبيل عقيدتها، والذود عنها، والانتصار لها.

وأمام هذا العطاء المادى اللا محدود، والإيمان اللا نهائى من جانب خديجة، فقد نالت الجزاء الوافى، وذلك فى حياتها قبل مماتها.. لقد كافأها الله عز وجل أفضل مكافأة.. إنها أسمى ما تتطلع إليه نفس بشرية فما هى؟!

هذا جبريل أمين الوحى يقول لمحمد ﷺ: «يا محمد! أقرىء خديجة السلام من ربها، فقال عليه الصلاة والسلام: يا خديجة هذا جبريل يقرئك السلام من ربك، فقالت خديجة: الله السلام، ومنه السلام، وعلى جبريل السلام».

وبشرت أيضا على لسان جبريل عليه السلام، ببيت فى الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب.. وهكذا فإن للجنة أهلا لم يتركوا بابا للخير إلا طرقوه، ولا طريقا للبر إلا سلكوه.. ساروا فى دياجير الظلام مستهدين بنور إيمانهم.

كانت الدنيا بما فيها، حقيرة عندهم، لا تساوى شيئا، من أجل ذلك صاروا ملوكا فى الجنة، ذاكم هو الجزاء العادل لخديجة وأمثالها، مؤمنين ومؤمنات.

مقطع رقم ٥٠ جـ ١
اسلام على بن أبى طالب

١ أمّا علىٌّ فهو فى الفِتيانِ أسبَق لِلهدايـة[١]
٢ قد عاشَ فى بيتِ النُّبوَّةِ كان طفلًا فى الرِّعاية
٣ شهدَ النُّبوةَ فى بدايتها ويا نِعمَ البِدايـة
٤ شهِد الطباعَ وحُسنَها فى البيتِ لم يَشهد غَواية[٢]
٥ نورُ النُّبوَّةِ قد أضاءَ حياتهُ لاقى الحِماية
٦ وهو المكَرَّمُ حيثُ لم يسجدْ لأصنام العَماية
٧ قد فاز بالمدح العظيمِ، بمدح مَبعوثِ العناية[٣]
٨ بل قال عَنهُ المصطفى قولًا تردَّد فى الرِّوايَة
٩ قد قال «أنت أخى» وحُبى ثمَّ أعطاهُ الولاية[٤]
١٠ سَمَّيتهُ بَطل الفداء، وكانَ فَرداً فى الرِّماية
١١ هو زوجُ فاطمةَ البَتولِ وفضله فوقَ الحِكاية
١٢ فى عِلمه فاق الجميعَ، وفى القضاءِ له النِّهاية[٥]
١٣ هو فارسُ الإسلامِ فى طعن العدوِّ له درايه

---

(١) أسبق للهداية: أول من أسلم من الغلمان.

(٢) لم يشهد غواية: لم ير ضلالا ولا فسادا.

(٣) مبعوث العناية: بمدح رسول الله.

(٤) أعطاه الولاية: حبه ورعايته وولايته.

(٥) فى القضاء له النهاية: كان مرجعا فى علم القضاء.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٥٠ جـ ١

على بن أبى طالب كرم الله وجهه، هو ابن عم رسول الله ﷺ، أكرمه الله عز وجل، فكان أول من أسلم من الغلمان!!

وكما أسلفنا، فإن عليا عليه السلام، نشأ وترعرع فى بيت محمد عليه الصلاة والسلام منذ طفولته إلى أن شب وبلغ.

ومنذ أن أكرم الله محمداً بالنبوة، كان معاصرا لبدايتها..

فأنعم بها من بداية، فلقد نهل على من معين النبوة العذب الصافى حتى ارتوى.. وذلك بحكم وجوده فى رحاب البيت النبوى.

إذن فلا غرابة أن يكون على مفضلا على غيره من أصحاب رسول الله ممّن لم ينشّأوا تنشئته، وكان نصيبهم أقل كثيراً من نصيبه، من الرعاية النبوية.

وهكذا، فلقد تخلق على بأخلاق النبوة.. أخلاق من رباه الله على عينه، واصطفاه لنفسه.

لم ير على رضى الله عنه فى بيت محمد ﷺ، غيا ولا فساداً، وهل يغشى الغى والفساد بيتاً، أكرمه الله برسالته الخاتمة ؟! وأمين الوحى جبريل يغشاه ليل نهار ؟! وآيات القرآن الكريم تترى عليه فى كل لحظة وكل حين ؟! قطعا لا.

عوامل ومؤثرات متعددة، صنعت عليا، فجعلت منه إنسانا غير عادى، فى تفكيره، فى عقله، فى علمه، فى نظرته للأمور، فمن ثم كان له السبق فى المسارعة إلى الإيمان بالله ورسوله، فهو الذى لم يؤثر عنه أنه سجد لصنم قط ذلك لأنه نشأ فى بيت محمد منذ طفولته، ولما أكرم الله رسوله بالنبوة، كان فى العاشرة من عمره.. فلم يتردد فى دخول الإسلام.

ولما بلغ مرحلة الشباب، كان سباقا إلى مكارم الأخلاق، وكان له فى ميادين القتال صولات مشهورة.. لم يهزم أمام خصم قط، وقتل عمرو بن ودّ العامرى فارس الجزيرة العربية، وهو لا يزال فتى صغيرا... وقد قال عنه رسول الله « هذا أخى » وذلك حينما آخى بين المهاجرين والأنصار، وبلا شك فأمجاده أكثر من أن تحصى نذكر منها ما يلى:

١ – هو زوج فاطمة الزهراء
٢ – أول من أسلم من الفتيان
٣ – وأول من قام بعمل فدائى
٤ – أطلق عليه لقب فارس الإسلام
٥ – أعلم أصحاب رسول الله لا سيما فى القضاء.

مقطع رقم ٥١ جـ ١
إسلام أبى بكر الصديق

١ صار النبىُّ محمدٌ يدعُو الرِّجالَ كذا النِّساءِ
٢ إشراقــةُ الإيمانِ فى أقوالــه ثمَّ الــذَّكاءِ
٣ فى قوةِ البُرهانِ(١) فى عِلم أتاهُ من السَّماء
٤ ذهب النبىُّ إلى أبى بكرٍ، وكانا أصدقاء
٥ من قوله أُرسِلتُ أدعو النَّاس طراً للولاءِ
٦ فى قوله الإشراقُ يبدو واضحاً مثِل الضِّياءِ
٧ إنِّى رسولُ اللهِ قد أُرسِلتُ ختم الأنبيـاءِ
٨ أدعـو إلى ديـنٍ قويم فيـه نحيــا بالسَّواءِ(٢)
٩ لا فضل عنـد اللهِ إلَّا للتُّقـى والأتقيـاءِ
١٠ أمّا أبو بكرٍ فلم يُبدِ اعتِراضاً أو إباء
١١ بل أعلـن الإسلامَ دونَ تَردُّدٍ أو إلتــواءِ(٣)
١٢ قد صارَ عُنواناً لكلِّ الصِّدقِ عنوانَ الوفاءِ
١٣ هو ثانىُ الإثنينِ يومَ الغارِ كان على الرَّجاءِ
١٤ فى ردَّةِ الأعرابِ(٤) كان هوَ العزيمةُ والمضاءِ
١٥ هو أولُ الخلفاءِ بعدَ المصطفى لاقى العناء

---

(١) قوة البرهان: الحجة القوية.

(٢) فيه نحيا بالسواء: سوى بين الناس فى الحقوق.

(٣) أو التواء: دون تسويف.

(٤) فى ردة الأعراب: فى حروب الردة قاتل مانعى الزكاة.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٥١ جـ ١

محمد ﷺ، يواصل الدعوة إلى دين الله عز وجل، يدعو الجميع رجالًا ونساء، عربا وغير عرب، لم يضعف ولم ييأس وسلاحه فى هذا الميدان، هو حجة مشرقة بالمعانى، ساطعة كالنور، وذكاء وألمعية.

ولا شك أن رسول الله، له أسلوب فريد فى الإقناع، فقد أوتى جوامع الكلم، كيف لا، وهو الذى يستمد فصاحته وبلاغته من القرآن الكريم، وقد قال يوما: «أنا أعربكم، أنا قرشى واسترضعت فى بنى سعد بن بكر».

ذهب رسول الله، إلى أبى بكر الصديق، وعرض عليه الإسلام، وشرح له جانبا من تعاليم الدين الفريدة فقال له: إن الله قد اختارنى للنبوة يا أبا بكر، وكلفنى بأن أدعو الناس جميعا إلى توحيد الخالق العظيم.. واتباع دينه القويم.. دين يرضى كل الناس، وهو لكل الناس، وكل الناس فيه سواء.

هذا الدين، لا مجال فيه للتفاضل بين الناس، عن طريق الأحساب والأنساب، أو القوة أو الجاه أو السلطان، لا، إنما الفضل فيه للأتقياء، رجالا ونساء، لقوله تعالى: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم.. الخ» جزء من آية رقم ١٣ سورة الحجرات.

وقوله ﷺ: «لا فضل لعربى على عجمى ولا لأعجمى على عربى إلا بالتقوى» صحيح البخارى.

سمع أبو بكر الصديق مقالة رسول الله، وكان ذا عقل راجح، ورأى صائب، وأفق واسع، فصمت لحظات، قرر بعدها – دون تردد – الإيمان بما جاء به محمد من عند ربه.

بعد أن أسلم الصديق، صار من أخلص الداعين لدين الإسلام.. ولا غرو فقد كان أبو بكر صديقا لمحمد قبل النبوة، فازدادت الصداقة بالإسلام قوة وصفاء، بحيث إنه صار عنوانا للصدق والإخلاص.

وقد أكرمه الله عز وجل بصحبة رسول الله، فى رحلته الخالدة ليلة الهجرة النبوية، وقد اختبأ فى الغار مع رسول الله، فذكره القرآن الكريم حيث قال:

«إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا.. الخ» الآية ٤٠ سورة التوبة.

وهو أول خليفة فى الإسلام.. وذكر التاريخ موقفه العنيد فى محاربة المرتدين مانعى الزكاة.

الجهر بالدعوة

مشاق الجهر بالدعوة

مقطع رقم ٥٢ جـ ١

جبريل يصلى إماما بمحمد ﷺ

١ هذا أمينُ الوحيِ جاءَ محمداً وقتَ الغداه[١]
٢ قد جاءَهُ كيما يُعلِّمَهُ أُموراً[٢] فى الحياه
٣ هيّا محمدُ صلِّ للمَولى وناجِهْ فى عُلاه
٤ إن الصلاةَ وسيلةٌ للقُربِ فلنَحْنِ الجِباه
٥ فتوضأَ الإثنانِ أيضاً صلَّيا عندَ الفلاه
٦ جبريلُ أمَّ[٣] محمداً عندَ الوضوءِ وفى الصَّلاه
٧ قد كان هذا قبلَ رِحلتهِ لأعتابِ[٤] الإله
٨ هذا أمينُ الوحيِ بَعد الرِّحلةِ الكُبرى أتاه
٩ صلَّى به كلَّ الفرائض مرَّتينِ، وقد[٥] هداه
١٠ الفرضُ فيه بِدايةٌ ونِهايةٌ، للإنتباه[٦]
١١ إنَّ المصَلِّيَ فى البدايةِ ذاك من يرجو النَّجاه
١٢ أمّا المُصلِّيّ فى النهايةِ فهو خُسران[٧] عَراه
١٣ كانتْ خديجةُ فى الحقيقةِ للنَّبي عَلى رِضاه
١٤ فى كلِّ شيءٍ لا تُخالفهُ وتَسعى فى هواه
١٥ أعطت له الإخلاصَ طول العُمر حتَّى مُنتهاه

---

(١) وقت الغداه: فى الصباح.

(٢) يعلمه أمورا فى الحياة: أمور الدين التى تصلح بها الحياة.

(٣) أم محمداً: صلى به إماما.

(٤) لأعتاب الاله: قبل رحلة الاسراء والمعراج.

(٥) وقد هداه، علمه.

(٦) للانتباه: ليتنبه ويعلم من لا يعلم.

(٧) خسران عراه: غشية وأصابه.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٥٢ جـ ١

لقد كان محمد ﷺ، يأخذ كل شىء عن أمين الوحى جبريل عليه السلام، وجبريل يأتى به عن رب العزة سبحانه وتعالى.

ها هو ذا جبريل ينزل على محمد بأول شىء، وأهم شىء.. جاء ليعلمه كيفية الوضوء، وكيفية الصلاة، ولا غرو فرسول الله كان يتعبد قبل نزول الوحى عليه، بما صح لديه من تعاليم ملة الخليل ابراهيم عليه السلام.. وقيل: على شرع موسى عليه السلام، وقيل على شرع عيسى عليه السلام.. وقيل: كل ما ثبت واطمأن له أنه شرع اتبعه وعمل به[١].

جاء جبريل فقال لمحمد: قم يا محمد صل لربك وتضرع إليه فى علاه، فالصلاة صلة بالله، وهى أفضل وسيلة للتقرب اليه.

خرج محمد وجبريل معاً إلى خارج مكة، فهمز جبريل أرض الوادى بقدمه، فنبع الماء، فتوضأ وأمر محمداً أن يتوضأ مثله، ثم صلى جبريل إماما بمحمد، صلى جبريل كل الفرائض بمحمد، مرتين مرتين.. وكان هذا بعد أن افترضت الصلاة على رسول الله ﷺ.. أى بعد الإسراء والمعراج.

وقد كان جبريل، علم محمداً الوضوء والصلاة قبل الإسراء، فلما فرضت الصلاة على محمد ليلة الإسراء والمعراج، جاءه فعرفه حدود الأوقات، إذ لكل وقت من أوقات الصلوات الخمس حدان: حد أول وحد آخر.

الصلاة فى الحد الأول، أى أول وقتها يؤديها كل من يخشى الله، ويرجو النجاة يوم القيامة، أما الذين يؤدونها فى آخر وقتها، وبغير عذر، فهؤلاء الذين غلبت عليهم طبيعة الكسل والسهو الممقوت.

وخديجة بنت خويلد، كانت تسير وفق هوى رسول الله، لا تخالفه فى أمر ما، لقد كانت تتفانى فى عمل ما يحبه الله ورسوله.. ألا فنعمت المرأة خديجة بنت خويلد، فقد أعطت لمحمد إخلاصا طيلة حياتها.. لقد كانت قمة فى وفائها وذكائها وإيمانها وإخلاصها.

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير جـ ١

مقطع رقم ٥٣ جـ ١

الإيمان يجد طريقه إلى القلوب

فى مكّةَ البلـدِ الحرام غدا محمـدُ داعيَـه
يدعو إلى الدّينِ الجديدِ ذَوى العقولِ[١] الزاكيه
فى هَمسةِ الإيمان تَسرِى للقلـوبِ الواعِيـه
فى آيةِ القُـرآن تُروى كلَّ نَفسٍ[٢] صاديـــه
من نَفحـةٍ عُلويّـةٍ لانت قُلـــوبٌ قاسيـــه
قد أشرقَ الإيمانُ فى بعض القلوبِ الجافِيه
قد هذَّبَ الإيمانُ شيئاً من جفاءِ الباديـه
قد كان هذا كلُّهُ فى السِّرِّ خوفَ الطّاغية[٣]
المشرِكونَ هنـاكَ كانـوا كالوحـوشِ الضاربَـه
هم يَبطِشون بِكلِّ من يرجو بلوغَ[٤] العافيه
من يَعلمـوا إسلامـهُ يَلـقَ الوبـالَ عَلانيـــه
بالرُّعبِ قد مُلِئت نفوسُ المُؤمنين الرّاضيَه
من بعد ذاكَ الرّعبِ فازوا بِالجِنانِ العاليه
فيها الأمـانُ المرتَجى، غير الحيـاة الفانيـه

---

(١) ذوى العقول الزاكية: هم الأذكياء الذين بادروا بالايمان.

(٢) كل نفس صادية: شديدة الظمأ.

(٣) خوف الطاغية: أبو جهل وأمثاله.

(٤) يرجو بلوغ العافية: الوصول للسلام والأمان فى ظل الاسلام.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٥٣ جـ ١

هانحن أولاء لا نزال مع رسول الله ﷺ، وهو يواصل الدعوة إلى دين الله عز وجل.. لقد أمر بتبليغه إلى قريش خاصة، وإلى الناس عامة، كان ذلك فى مكة بلد الله الحرام.. وقد استجاب لدعوته كل ذى عقل مستنير زكى، أراد الله له الهداية والخير.

ولا غرو فالايمان يجد طريقه إلى القلوب، ويشرق فى أعماق النفوس، فيضيىء ما أظلم منها، بكثير من الأسباب والمؤثرات.

فتارة يكون فى الهمسة المؤمنة، تحمل معنى الحكمة، تطرق السمع فتجاوزه الى القلوب، فلا يلبث أن يستجيب لنداء الإيمان.

وتارة أخرى يجد طريقه الى النفوس الخيرة، من سماع آية من القرآن الكريم، تصافح الأسماع بمعانيها السامية، فتهتز لها النفس، فتكون بمثابة الماء بالنسبة للظمآن، فتروى ظمأ النفوس التى طالما عانت من الجفاف العقائدى، فتسارع الى واحة الايمان.

واحيانا يريد الله لبعض القلوب الخيرة الفلاح والنجاح، فيمدها بنفحات من النور، فترق بعد الغلظة، وتلين بعد القسوة، فتبادر إلى الايمان طواعية واختيارا، ليس قسرا ولا اجبارا.

وعلى كل حال فقد انضم للإسلام، جمع غير قليل من أهل مكة وما حولها، ممن كانوا أهل غلظة وجفاء فى طباعهم، وقسوة فى قلوبهم فكيف حدث هذا؟!.

لقد هذب الايمان طباعهم، فانعكس على سلوكهم، فأصبحت قلوبهم ارق أفئدة من الطير.

بيد أن كل الذين انضموا للإسلام فى مكة، كانوا لا يستطيعون الجهر بالإسلام، خشية من بطش الطغاة من سادات قريش، ذلك لأنهم تجردوا من الرحمة.

فهم يعتدون ويبطشون بلا رحمة بكل من عرفوا أنه دخل دين الاسلام أمام الجميع، بحيث ملئت قلوب المؤمنين بالرعب.. فهم ليسوا آمنين من البطش.. ولكن عوضهم عن هذا الخوف فى الدنيا، أمنا وخلودا فى روضات الجنة.

مقطع رقم ٥٤ جـ ١
آيات القرآن الكريم تبشر وتنذر

١ هذا هو الإيمانُ يَسلكُ درْبهُ نَحو القلوب
٢ قد يلمس القلبَ الرَّقيقَ فلا تَميل إلى الذُّنوب
٣ أو يَطرق القلبَ الغليظَ فلا يُبالى بِالخطوب(١)
٤ قد صارت الآيات تَترى تُنذرُ القلبَ الكَذوب(٢)
٥ أيضاً تسوقُ البشرياتِ لكلِّ قلبٍ قد يَثوب(٣)
٦ فتذكَّرُ النَّاسى بأنَّ اللّهَ علَّامُ الغيوب
٧ هو يعلمُ السِّرَّ الخفىَّ وباقياً بعدَ الغروب(٤)
٨ إذ فى رحابِ الحشرِ ينجو المُحسنونَ من الكروب
٩ كانوا إلى الطَّاعاتَ فى إسراعهم مِثل الهبوب(٥)
١٠ فازوا بجنَّاتِ النَّعيم، فليس فيها من لغوب(٦)
١١ أمَّا الهَلاكُ فَللعُصاةِ لِكونهم ضلُّوا الدُّروب
١٢ هم فى الجحيم لهم عَذابٌ لا فِرارُ ولا هروب
١٣ صوتٌ يُناديهم يُؤنِّبهم فصاروا فى شحوب(٧)
١٤ ذوقوا العذابَ بما جَنيتم إنَّكم أهلُ العيوب

---

(١) فلا يبالى بالخطوب: المصائب.

(٢) تنذر القلب الكذوب: الذى لم يؤمن ولم يصدق.

(٣) قد يثوب: يعود الى الصواب.

(٤) بعد الغروب: أى بعد زوال الدنيا.

(٥) مثل الهبوب: كالرياح التى تهب، كناية الإسراع للطاعة.

(٦) لغوب: مشقة.

(٧) صاروا فى شحوب: احترقوا فشحبت الوانهم.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٥٤ جـ ١

لقد بدأت دعوة الإسلام تنتشر بين الناس.. فالإيمان قد وجد طريقه الى كثير من القلوب.. وصار للإسلام أنصار وأتباع كثيرون، يؤمنون به ويدافعون عنه لا يرضون به بديلا.

ولا غرو فالإيمان حينما يشرق فى القلب: عنه ما كان يحجبه عن رؤية الحق، فيضيىء بعد أن كان مظلما، ويرق بعد أن كان غليظا جافيا.. وحينئذ يصير بالايمان رقيقا ودودا، فمن ثم تنمحي ذنوبه.

وهناك قلوب غليظة متحجرة، لا تؤثر فيها عظة، ولا يرهبها وعيد، وأصحابها لا يبالون بما ينتظرهم من عذاب فى جهنم يوم القيامة.

صارت آيات القرآن الكريم، تتوالى فى النزول، تنذر المكذبين المعرضين عن سماع الحق والإنصياع له، وتتوعدهم بالهلاك والعذاب.. وهى فى نفس الوقت تبشر المؤمنين الذين صدقوا بكل ما جاء من عند الله، على لسان رسوله ﷺ.

ومع الانذار والبشارة لكل من المعرضين عن سماع صوت الحق، والمؤمنين به، فإن الآيات القرآنية، تتضمن المعانى المشرقة، إنها تشبه الأجراس فى سمع كل الناس، فتذكر الناسى، وتنبه الغافل، وتقرر بما لا يدع مجالا للشك، بأن الله عز وجل، يعلم ما فى السماوات وما فى الأرض، والسر والعلانية، وهو الباق بعد زوال الدنيا كلها.

ويوم القيامة: عند الميزان، ينجو المحسنون من كربات يوم القيامة، وسوف ينعمون بما أعده الله للمتقين فى الجنة، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر!!.

أما العصاة الذين أعرضوا عن سماع الحق، وضلوا الطريق المستقيم، فإنهم هالكون فى جهنم لا محالة.. لن يستطيعوا أن يفروا من عذاب الله عز وجل، وحينما يستغيثون: يجيئهم صوت يؤنبهم قائلا: ذوقوا العذاب بكفركم.

مقطع رقم ٥٥ جـ ١
رسول الله وأصحابه فى دار الأرقم

١ وانضمَّ للإسلام جَمعٌ من خيارِ المشركين
٢ جَمعٌ غفيرٌ أسلموا صاروا جميعاً مسلمين
٣ مثلَ ابنِ عفّانٍ وسعدٍ وابنِ عوفٍ والأمين(١)
٤ أيضاً كثيرٌ أسلموا معهم فصاروا سابقين
٥ دار ابن أرقم(٢)صارت النّادى لكلِّ المسلمين
٦ حول الرسولِ ترى الجميعَ إلى الأوامر طائعين
٧ قد يختفونَ بدينهم من خوْف بَطش الظّالمين
٨ المشركون أصابهم ذعْرٌ فصاروا هائجين
٩ قتلوا سمّيّةَ غيلةً مع زوجها فى الخالدين
١٠ والسَّوطُ يلهبُ ظهر عمّار(٣) بأيدى المجرمين
١١ وبلالُ يَهتفُ قائلا: أحدٌ إلهُ العالمين
١٢ قد عذّبوهُ فما استكانَ فصار بين المفلحين
١٣ قد صار ذِكر الكلِّ مِنهم كالضّيا للتّائهين
١٤ هم فى رحاب الخُلد صاروا قُدوةً للمُقتدين

---

(١) والأمين: هو أبو عبيدة بن الجراح.
(٢) ابن أرقم: هو أحد مشاهير قريش قبل الإسلام.
(٣) عمار: هو عمار بن ياسر وأمه سمية الشهيدة.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٥٥ جـ ١

عدد غير قليل من خيرة القوم فى مكة، استجابوا لدعوة الإسلام، كعثمان بن عفان، وسعد بن أبى وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وأبى عبيدة بن الجراح الذى فاز بشرف ما بعده شرف.. لقد منح لقب «أمين الأمة» وغيرهم كثيرون أسلموا أيضا.

كل المسلمين الذين أنضموا للاسلام، وقد أصبحوا عددا لابأس به، ومن ثم فهم فى حاجة إلى أن يلتقوا معا، ليتشاوروا فى شئونهم كمسلمين، هذا من ناحية، وليلتقوا برسول الله ﷺ، فيستمعون إلى توجيهاته وعظاته من ناحية أخرى.. ولذا فقد قرروا أن يتخذوا لهم مكانا لهذا الغرض النبيل.

لقد اختاروا دار الأرقم بن أبى الأرقم، لتكون ناديا يلتقون فيه لبحث شئونهم واللقاء برسول الله ﷺ، والاستماع إلى توجيهاته التى تنظم حياتهم، وتحدد مسيرتهم.

بيد أن هذا كله يحدث فى غفلة عن عيون المشركين، وفى تكتم وحرص شديدين، خوفاً من بطش طغاة المشركين، الذين لا يتورعون عن الحاق الأذى بكل من انضم إلى دين الإسلام.

ولا غرو فقد عذب المشركون عدداً كثيراً ممن أسلموا.. أذاقوهم الوان العذاب، بل منهم من إستشهد تحت وطاة التعذيب الهمجى، مثل سمية وزوجها ياسر، لقد أذاقوهما أقسى الوان العذاب، ليفتنوهما عن دينهما، فلما لم يستجيبا لهم قتلوهما غدراً وظلما.

قتلوهما بعد تعذيب طويل قاس.. وكان عمار بن ياسر ولدهما، ينظر بعينى رأسه ما عاناه والداه من العذاب.. وكان هو شاهد قتلهما، وذاق عمار عذابا قاسيا أيضا، وبلال بن رباح الذى كانوا يعذبونه، وهو فى نفس الوقت يردد «أحد أحد».

هؤلاء وأمثالهم يعتبرون القدوة الحسنة لكل من جاء بعدهم.. سيرتهم العطرة تملأ النفوس بالإكبار، فازوا برضوان الله، فنالوا التكريم فى دار الخلد، كالضياء فى الظلام يهدى التائهين.

مقطع رقم ٥٦ جـ ١
رسول الله يؤمر بالجهر بالدعوة

١ ظلَّ النبيُّ محمدٌ فى السِّرِّ يدعو لا يلين
٢ قد ظلَّ يدعو فى الخفاءِ صداقةً والأَقربين
٣ حتّى مضى من بِدءِ دعوته ثلاثٌ من سنين
٤ بعدَ الثَّلاث أَتى أَمينُ الوَحيِ جبريلُ الأَمين
٥ قد جاءَ للهادى بأَمرٍ من إلهِ العالمين
٦ هيّا محمدُ قم فأَنذرْ هؤلاءِ الأَقربين
٧ فاصدع بما تُؤمَر(١) ولا تسمعْ وعيدَ المشركين
٨ لا تخشَ من كيدٍ فإِنَّك عندنا فى الآمنين
٩ بالحجَّةِ(٢) العصماءِ بالحُسنى تُجادل واليقين
١٠ واصبرْ فإِنّ الصَّبر خير للرِّجالِ المؤمنين
١١ كلّ الدُّعاةِ أَصابهم من قبلُ بَطش الظَّالمين
١٢ لم يَضعفوا بل جاهدوا فى غير يأسٍ صابرين
١٣ والنَّصرُ كان لهم دواماً رغم كيدِ الكافرين
١٤ بهمُ اقتَدِهْ(٣) واعلم بأنَّك خاتمٌ للمرسَلين

---

(١) فاصدع بما تؤمر: اجهر بالدعوة وأظهر دينك.

(٢) بالحجة العصماء: الحجة القوية الفريدة.

(٣) بهم أقتده: عليك أن تقتدى بمن ذكروا.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٥٦ جـ ١

منذ أن نزل الوحى على محمد ﷺ ، وكلف بدعوة قومه إلى دين الإسلام ، ظل قائما بهذا الأمر ، يدعو الناس سراً لمدة ثلاثة أعوام بمكة .. لقد بذل قصارى جهده فى توصيل الدعوة إلى أهل مكة جميعا .

كانت حصيلة هذه الأعوام الثلاثة ، جمعا لا بأس به ممن أراد الله لهم الهداية ، دخلوا دين الإسلام رجالًا ونساء .

بعد هذه الأعوام الثلاثة من الجهاد والمثابرة ، جاء الأمر من الله عز وجل إلى رسوله محمد ﷺ ، يأمره بالجهر بالدعوة ، وذلك فى قوله تعالى :

« وأنذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » (١)

إنه أمر ربانى ، هيا يا محمد فإن الله يأمرك بأن تجهر بالدعوة ، فأظهر دينك للقريب والبعيد ، ولا تخش من سفاهة السفهاء ، ولا من كيد الأعداء ، فإن الله ناصر دينه ولو أجتمع أهل الأرض جميعاً على خذلانك ما استطاعوا .

« فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين . أنا كفيناك المستهزئين » (٢)

يا محمد ! إن معك القرآن .. أنه النور المبين ، فجادلهم به ، فانك سوف تنتصر عليهم .. لأن حجتك عصماء ، فريدة لا مثيل لها ، هى القرآن الكريم ، وهو غالب ليس مغلوبا .

وإذا ما اضطررت لمجادلتهم ، فجادلهم بالطريقة المثلى ، فهى أجدى وأفضل فى إقناع المجادلين وإفحامهم ، ومن ثم يسهل قيادهم .

« أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » .. الخ (٣) .

وعليك يا محمد إن تتذرع بالصبر ، فهو خير لك ولأمثالك .. فكل الدعاة قبلك أصيبوا بالأذى فى سبيل الله ، وتعرضوا للبطش والأعتداء .. بيد أنهم لم يضعفوا ولم يترددوا ، بل جاهدوا ولم ييأسوا ، فكان النصر دائما فى النهاية حليفهم ، برغم تظاهر الأعداء عليهم .

فعليك يا محمد أن تقتدى بمن سبقك من الدعاة السابقين ، فأنت خاتم الأنبياء والمرسلين .

« أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » (٤) .

---

(١) ٢١٤ ، ٢١٥ سورة الشعراء .

(٢) ٩٤ ، ٩٥ سورة الحجر .

(٣) ١٢٥ سورة النحل .

(٤) ٩٠ سورة الأنعام .

مقطع رقم ٥٧ جـ ١

رسول الله يجهر بالدعوة

١ صعد النبيُّ محمد فوق الصَّفا[١] للنَّاظرين
٢ نادى بِأعلى صوته فى القوم جاءُوا مسرعين
٣ قالوا له: ماذا تريدُ؟! فقال كونوا سامعين
٤ فلتسمَعوا قولى فإنِّى جئت بالقولِ اليقين
٥ يا قوم لو أخبرتكم خيلا أتوكم[٢] غائرين
٦ أتصدِّقونَ بما أقول؟! ولن تولُّوا معرضين؟!
٧ قالوا: فأنتَ مصدِّقٌ فينا، وسمِّيتَ الأمين
٨ فأجابهم، إنِّى رسولُ الله أهدى العالمين
٩ أُرسلتُ أهدى الخَلقَ طرًّا مُنذراً للظَّالمين
١٠ ياعمُّ يا عباس! بل يا كلَّ أهلى الأقربين
١١ فلتَعلموا حتىّ تكونوا للحقيقةِ عارفين
١٢ لا فضلَ للأنسابِ عند اللهِ بل لِلمتَّقين
١٣ لن تُفلحوا حتىّ تكونوا فى عدادِ المسلمين
١٤ هيّا اسرعوا إذ ما أردتم أن تكونوا مُفلحين
١٥ هذا طريقٌ واضحٌ فيه الهدى لِلحائرين[٣]

---

(١) الصفا: هو أحد المنسكين من مناسك الحج.

(٢) خيلا أتوكم غائرين: لو قلت لكم بأن خيلا ستغير عليكم.

(٣) فيه الهدى للحائرين: التائهين المتشككين.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٥٧ جـ ١

خرج محمد ﷺ من بيته فى الصباح، متوجها نحو جبل الصفا، فصعد عليه ونادى بأعلى صوته فى قريش قائلا. «يا صباحاه».

فاجتمع الناس اليه، بين رجل يجيىء اليه، وبين رجل يبعث برسوله فقال رسول الله ﷺ: يا بنى عبد المطلب! يا بنى فهر! يا بنى كعب! أرايتم لو أخبرتكم بأن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم، هل ستصدقون؟! قالوا: نعم، فأنت عندنا مصدق، ولم نجرب عليك كذبا قط.. ومن أجل هذا سميت بالصادق الأمين.

بهذه الطريقة الزكية، استوثق رسول الله ﷺ منهم لنفسه. فلما اطمأن لجوابهم الذى يعتبر حجة له عليهم أن هم قالوا غير هذا القول.. وهو فى نفس الوقت يعتبر وساما على صدر محمد.. حينئذ قال لهم:

إنى رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة، لقد اختارنى الله عز وجل لأكون نبيا مرسلا، أدعو الناس جميعا، وأبصرهم بحقيقة الدين وتوحيد الله عز وجل وتعظيمه ثم قال:

«يا معشر قريش! انقذوا انفسكم من النار، يا معشر بنى كعب! انقذوا. أنفسكم من النار، يا معشر بنى هاشم! أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر عبد المطلب! أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد! أنقذى نفسك من النار، فانى والله لا أملك لكم من الله شيئا، الا أن لكم رحما سأبلها ببلالها» (١).

يا معشر قريش جميعا! لا يأتى الناس يوم القيامة بالأعمال، وتأتون بالأنساب، ذلك لأن الفضل عند الله، ليس للأحساب ولا للأنساب، وانما هو للاتقياء الطائعين.

ان هذا الدين واضح وضوح الشمس فى رائعة النهار، ولن تفلحوا حتى تسلكوا طريقه القويم، وتلتزموا بتعاليمه الخالدة.. فهو لا كهنوت فيه ولا رهبانية، فيه الهدى والرشاد لمن أراد.

---

(١) البخارى ومسلم.

مقطع رقم ٥٨ جـ ١
أبو لهب يسيء الرد
على رسول الله صلّى الله عليه وسلم

١ أما النبي فقد أطاعَ لربِّه فيما أمر[١]
٢ نادى قريشاً في الصَّباح لِيعلموا منهُ الخبر
٣ من كان منهم فيه خيرٌ، فاستجابَ بلا حذر
٤ والأَشقِياءُ فإنَّهم فوراً تولَّوا في كِبرِ
٥ منهم أبو لهبِ اللَّعين فصار من أشقى البشر
٦ قد قالَلِلْمعصومِ قولًا بالغاً حدَّ الخطر
٧ «تبَّت يداك»[٢] دَعوتنا من أجلِ قولٍ كالهذر[٣]
٨ هي قولةٌ مخبولةٌ ردَّت على من قد كفر
٩ في محكمِ التَّنزيل جاءَت حيثُ تُتلى للعِبر
١٠ هي سورةُ المسدِ الَّتي قد ألقمت ذاكَ الحجر[٤]
١١ قد أوعدتهُ وزوجهُ بالنَّارِ ترمي بالشَّرر
١٢ لم يُغنِ عنهُ المالُ شيئاً، بل سيلقى في سقر[٥]
١٣ ذقْ يا عدوَّ اللهِ هذا ما أراد لكَ القدر
١٤ فليعتبرِ كلُّ الطُّغاةِ، فقدْ تهاوى وانقهر

---

(١) في ما امر: أمر بالجهر بالدعوة بعد أن كانت سرا.

(٢) تبت يداك: هي دعاء بالسوء.

(٣) كالهذر: لا معنى له.

(٤) القمت ذاك الحجر: كناية عن افحام الخصم بالحجة.

(٥) في سقر: أحد أسماء النار.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٥٨ جـ ١

لقد استجاب محمد ﷺ لأمر ربه وصدع به، فقد جمع قريشا كلهم، وأبلغهم بأنه رسول من عند الله. ولا غرو فقد كان يدعو الناس سرا لمدة ثلاث سنوات، ثم جاءه الأمر بالجهر، فجهر.

نادى رسول الله فى قريش، فجاءوا اليه مسرعين، زرافات ووحدانا، فأبلغهم ما أمره به ربه، فلما سمعوا منه ما سمعوا.. تفرقوا وكل منهم يفكر فى هذا الأمر الجديد على اسماعهم وأفهامهم.. فمن كان منهم فيه خير، واراد الله له الهداية، صدق الخبر وآمن دون تردد أو تحفظ.

أما الأشقياء التعساء ممن أراد الله شقاوتهم، فقد كذبوا واعرضوا عن سماع صوت الحق، وتولوا فى كبر وغطرسة، وكان على رأس المعرضين كلهم. عدو الله أبو لهب، ذاك الرجل الذى غضب الله عليه، فمن ثم استحق أن يصلى حر نار جهنم ذات اللهب المتوهج..

ذاك الشقى، أساء الرد على رسول الله ﷺ، حينما عرض محمد الأمر على قريش، وقال لهم: انى نذير لكم بين يدى عذاب شديد.. عند ذلك أنبرى عدو الله أبو لهب فرد على رسول الله قائلا:

تبالك سائر اليوم، أما دعوتنا الا لهذا؟! فأنزل الله عز وجل فى ذلك قوله:

«تبت يدأ ابى لهب وتب.. الخ».

ونزلت سورة المسد التى ذكر فيها عدو الله أبو لهب باسمه صريحا دون كناية.. وكان ذلك بأسلوب الزجر والتهديد والوعيد.. وأنه سوف يصلى نار جهنم هو وزوجه الشريرة.. ولن يغنى عنه ماله شيئا يوم القيامه. فى ذاك الموقف، سوف تقول له ملائكة العذاب: ذق يا عدو الله هذا ما تستحق، جزاء عنادك وكفرك واعراضك، وعدوانك على رسول الله.

لا شك أن ما قرره المولى عز وجل، فى محكم آياته، من وعيد لعدوه أبى لهب، فيه عظة وعبرة لكل طاغية.. ألا فليعتبر الطغاة بهذا الوعيد، ذلك لأن أبا لهب، تهاوى وانقهر.. نعم، لقد قهره الموت، وأصبح بين يدى الخالق العظيم، مجرداً من ماله وعزه وسلطانه.

مقطع رقم ٥٩ جـ ١
المشركون توعدوا أبا طالب

١ المشركون أهمَّهم شأنُ الرّسولِ كذا الرِّسالة
٢ قالوا لِعمٍّ المصطفى قولًا غدا فى النَّاس قاله
٣ لا تنصُرنَّ محمّداً أو سوف تندمُ لا محالة
٤ الحربُ سوف تكون كأساً بيننا حتّى الثّمالة[١]
٥ فأحسَّ عمُّ المصطفى بالضّعف من عُنفِ المقالة
٦ إذ قال للهادى مقالًا أذهبَ الضّعفُ اعتداله
٧ أن يابُنيَّ فإنَّنى أخشى من القومِ استطالة[٢]
٨ شعر النبيُّ بعمّهِ يبغى التراجُع باستقالة
٩ فاجابهُ، يا عمُّ إنِّى قد رددت لك الكفالة
١٠ وإلى حوارِ اللهِ ألجأُ، فهو حسبى من جهالة
١١ هذى الشّموسُ ترونها هى دونَ ما أبغى نواله[٣]
١٢ لو أُعطيتْ لى ما تركتُ الأمر حقاً لا محالة
١٣ فتحرَّكتْ فى العمِّ أسبابُ الأُبُوّةِ والأصالة
١٤ نادى على الهادى وقال له مقالا ذا نبالة[٤]
١٥ اذهب لشأنك لا تخفْ من إعتداءٍ أو سفالة
١٦ من شاءَ رميكَ بالمهانـةِ إنَّنـي باغٍ قتالـه

---

(١) حتى الثمالة: لآخر قطرة فى الكأس، كناية عن استمرار الحرب.

(٢) استطالة: اهانة.

(٣) أبغى نواله: أتطلع اليه وأنوله.

(٤) ذا نباله: فيه نبل ووفاء.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٥٩ جـ ١

بات المشركون فى مكة، يفكرون فى شأن محمد ﷺ، وفى دعوته التى جاهرهم بها، ودعاهم إليها.. هذا الأمر أهمهم وشغل أفكارهم.. نظروا إليه نظرة عكسية، فبدلًا من أن يعتبروه خيراً لهم، اعتبروه شراً عليهم، وخطراً على عقائدهم ومصالحهم!!!.

بعد أن أجهدوا أنفسهم فى التفكير، قرروا أن يذهب جماعة منهم لأبى طالب عم النبى محمد ﷺ، لينذروه بأن يكف عن مناصرة محمد، فإن لم يستجب لهم، توعدوه ولوحوا له بالعدوان والحرب، فإذا ما رأى ذلك منهم، تخلى عن مناصرته لابن أخيه.

وفعلًا، ذهب جماعة منهم لأبى طالب فقالوا له: إننا نطلب منك أن تكف محمداً وتسكته.. فإن لم تكفه، فلتتركه ولا تنصره، فإن أبيت إلا نصرته، والوقوف بجانبه، فإن الحرب سوف تنشب بيننا، ولسوف تظل الحرب قائمة مستعرة بيننا، ولن تهدأ ولن تتوقف إلا بانتصار الأقوى.

حين سمع أبو طالب وعيد القوم، أحس بأنهم جادون فى وعيدهم، فمن ثم شعر بالضعف، ذلك لأنه فكر فى الأمر، فرأى أن بنى هاشم لا يستطيعون الوقوف أمام كل العناصر من القبائل الأخرى، ممن يناصبون محمداً العداء.

أرسل أبو طالب لمحمد فقال له: يا ابن أخى إن قومك قد جاءونى وقالوا: كذا وكذا، فابق على وعلى نفسك، ولا تحملنى من الأمر مالا أطيق، أنا ولا أنت، فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك.

سمع رسول الله مقالة عمه، فظن أنه خاذله، وضعف عن القيام معه، حينئذ هتف بقوة فقال: يا عم! إنى تركت جوارك إلى جوار الله.. والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى، ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه، ثم استعبر رسول الله فبكى، فلما ولى ناداه عمه فقال له: يا ابن أخى! امض على أمرك، وافعل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشىء تكرهه أبدا.

مقطع رقم ٦٠ جـ ١

قريش تظن أن محمدا طالب ملك

١ ظل النبيُّ محمدٌ يدعوُ الجميعَ لخيرِ ديـن
٢ فى قوَّةٍ لم يعتـرف بالضَّعـفِ كالمتردِّديـن
٣ فى آيةِ القرآنِ فى البرهانِ[١] يدعو لا يلين
٤ المشركـونَ قلـوبهمْ غلـفٌ[٢] فكانُـوا غافـلين
٥ قد أغلقوا آذانهم أن يسمعوا الهادى الأمين
٦ ظنـوا بأنّ محمـداً مثـلَ الملـوكِ الطَّامـعين
٧ للملكِ يدعو كى يكونَ من الملوكِ الحاكمين
٨ يابئسَ ما قد فكّروا ضلُّوا طريقَ السَّالكين
٩ فمحمّـدٌ يدعـو إلى توحيـدِ ربٌّ العـالمين
١٠ لاغـرْو[٣] دعوتـهُ غدتْ تغزو قلوبـاً فاهمين
١١ لا شكَّ للإيمانِ سحـرٌ فيـه إشراقٌ مبين
١٢ يغزُو القلوبَ بومضه[٤] كى تستنيرَ وتستبين
١٣ من قد أجاب إلى النّداءِ فإنَّهُ فى المهتدين
١٤ فى جنَّةِ الفردوسِ ينعمُ فى صفوفِ المُفلحين
١٥ والمُعرضونَ فإنَّهم فى النَّارِ صاروا خاسرين

---

(١) فى البرهان: الحجة القوية الواضحة.

(٢) قلوبهم غلف: محجوبة عن رؤية ومعرفة الحق.

(٣) لا غرو: لا عجب.

(٤) بومضه: بنوره الذى يشبه وميض البرق.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٦٠ جـ ١

وهكذا، فلقد ظل محمد ﷺ، يصل الليل بالنهار صابراً مجاهداً محتملاً كل ما يصادفه من مشاق، ويصيبه من أذى فى سبيل الله.. لا يصده عن هدفه صاد، ولا يرده راد.. ذلك لأنه يستمد قوته من جهة عليا هى: القوة اللا محدودة، ومن ثم فمحمد ﷺ، لا يعترف بالضعف ولا بالتردد.. فالضعف والتردد صفتان مذمومتان، لا ينبغى أن يكونا من صفات الدعاة إلى دين الله عز وجل.

كان محمد يدعو الناس إلى دين الإسلام، ومعه حجة قاطعة.. مشرقة بالمعانى، بالمنطق الزكى المستمد من فكر مستنير، وعقل مستقيم، كيف لا..

فهو ذو صلة بالوحى السماوى.. فيه نورانية تسدد قوله، وتوجه خطوه، بيد أن المشركين أمام كل تلك البراهين، أغلقوا آذانهم عن سماع صوت الحق، فظلت قلوبهم مغلقة، محجوبة عن الإدراك الصحيح، والرؤية الواضحة، ولا غرو فالنور واضح أمامهم لكل ذى بصر.. الحق صوته كالجرس الرهيب يقرع أسماعهم، ويهتف بهم أن هلموا.

وياللعجب!! لقد عميت أبصارهم عن رؤية النور، ذلك لأنهم ألفوا حياة الظلام، وصمّت آذانهم عن سماع صوت الحق، ذلك لأنهم ألفوا حياة الباطل ولطالما هزموا الحق بباطلهم.

ويا ليتهم قد اكتفوا بالإعراض عن رؤية النور، وعن سماع صوت الحق، بل أخذوا يجندون كل قوتهم لمحاربة هذا الدين.. وناصبوا محمداً وأتباعه العداء.. فصاروا يترصدون محمداً وأصحابه للتنكيل بهم والعدوان عليهم.

لقد تصوروا أن محمداً يدعو إلى الملك، كالقياصرة والأكاسرة!! ألا بئس ما فكروا، وبئس ما تصوروا، فمحمد يدعو إلى توحيد الله العظيم، فهو نبى مرسل.

وبرغم كل العقبات والعراقيل، فقد وجدت الدعوة طريقها إلى القلوب الواعية.. ولا غرو فالإيمان له سحر يغزو القلوب فتهتدى به، فمن اهتدى فإنه يجد الجزاء الأوفى فى دار النعيم، ومن أعرض فإنه يذوق العذاب فى [illegible]

مقطع رقم ٦١ جـ ١
قريش وفكرة المبادلة

١ باتت قريشٌ فى حسابٍ كيف تصنع بالأمين
٢ قد أرسلوا وفداً لعمِّ المُصطفى مُتوعِّدين
٣ قالوا له إنَّا أتينا للتَّفاهم طالبين
٤ ندعوك، كفّ محمَّداً، أو فلنكن مُتخاصمين
٥ فلقد أساء لنا جميعاً إنَّهُ خصمٌ مُبين
٦ قد سبَّ آلهةً لنا، كنَّا لها مُتوارثين
٧ إنَّا سنعطيك البديلَ فداءهُ مُتضامنين
٨ هذا عُمارةُ[1] إنَّهُ جلْدٌ ومن خيرِ البنين
٩ فلتأخُذنَّ عُمارةً ولتُعطِنا هذا المهين[2]
١٠ فأجابهُم عمُّ النبيِّ، فكان ذا عقلٍ فطين
١١ إن أُعطكُم ابني، فأنتم قد ظفرتُم شامتين[3]
١٢ ويظلُّ عندى ابنكُم أغذوهُ[4] كالكبش السَّمين
١٣ فإذن أكونُ أساتُ حقَّاً مثلكم كالتَّابعين
١٤ كفُّوا، فهذا القولُ خلطٌ[5] مثل قولِ الجاهلين

---

(١) هذا عمارة: هو عمارة بن الوليد.

(٢) هذا المهين: أى محمد هذا الذى أهاننا.

(٣) ظفرتم شامتين: نلتم ما تريدونه.

(٤) أغذوه: أطعمه.

(٥) خلط: لا معنى له.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٦١ جـ ١

إن أمر محمد ﷺ، صار يشغل قريشاً جميعاً.. هو محور تفكيرهم وجدلهم ومناقشاتهم، بحيث صار الكل منهم يقدح زناد فكره، فى محاولة يائسة، عساه يهتدى إلى وسيلة ما، لإخماد ذلك النور الذى يزداد شعاعه يوما بعد يوم، فلم يهتدوا.

ولما لم يهتدوا إلى ما يريدونه، اجتمعوا فى ناديهم، فصاروا يقلبون وجوه الآراء بحثا عن الرأى الذى يكون أكثر نيلًا من محمد ﷺ.. وبعد لأى وجهد، استقر رأيهم على رأى قد استحسنوه جميعهم.

ذاك الرأى هو: أن يذهب وفد من قريش إلى أبى طالب، لينذروه ويتوعدوه، ويطلبوا منه أن يكف عن مساندة محمد ومناصرته.. ولا غرو فهذه هى المرة الثانية التى قرروا فيها الذهاب لأبى طالب.

وفعلا، لقد ذهب وفدهم إلى أبى طالب فقالوا له: كف ابن أخيك محمداً، فقد أساء لنا جميعا.. لقد تطاول فسب آلهتنا، ونحن قد وجدنا آباءنا يعبدونها، ولها فى نفوسنا القداسة والاحترام.. إذن فهو عدونا وعدوك أيضا، ذلك لأنك لست على دينه، بل أنت مثلنا وعلى عقيدتنا.

ولا غرو فلقد جئناك برأى صائب، وحل مرض لتلك المعضلة، فقال لهم أبو طالب: وما هو هذا الرأى والحل الذى جئتم به؟!

قالوا: جئناك بأفضل فتى من فتيان قريش، إنه عمارة بن الوليد، خذه لك، اتخذه ولدا، ولك عقله ونصره، وسلم إلينا محمداً، هذا الذى خالف ديننا ودين آبائنا، وفرق جماعتنا وسفه أحلامنا.. وإنما هو رجل برجل!!

فقال لهم أبو طالب: والله لبئس ما تسومونني، أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابنى تقتلونه!! هذا والله مالا يكون أبداً.. وتالله لو أطعتكم على هذا الرأى الفاسد، لكنت أسأت كما أسأتم. فكفوا عن هذا القول الذى لا يقوله إنسان له عقل حكيم، أو فكر سليم.

يالله!! إن رجال قريش، فقدوا صوابهم ورشدهم، وتاه رأيهم. وكيف لا، إن فكرة المبادلة التى عرضوها على أبى طالب، فكرة ساذجة.. ولقد أصاب أبو طالب فى رده عليهم لقد سخر منهم، ومن أفكارهم، واتهمهم بالجهل والحمق، بل والجنون أيضا.

مقطع رقم ٦٢ جـ ١
قريش تنكل بضعفاء المسلمين

١ ركبت قريشٌ[١] رأسها فى الكيد للدِّينِ الجديد
٢ فرجالها دأبوا على العدوانِ والبطشِ الشَّديد
٣ قد نكَّلوا بالمسلمين قريبهم حتَّى البعيد
٤ هم يبطشُونَ بكلِّ عنفٍ فى الإماءِ كذا العبيد[٢]
٥ أمَّا عن الأحرارِ منهم فالقيودُ من الحديد
٦ ومحمدٌ فى الأمنِ حقًّا كانَ مِمَّا قد يكيد[٣]
٧ هبَّتْ قبيلتهُ حمتهُ، فإنَّهُ الإبنُ الوحيد[٤]
٨ لم يستطيعوا النَّيلَ منهُ فعمُّهُ خصمٌ عنيد
٩ أمَّا أبو جهلٍ فظلَّت نارهُ لهباً يزيد
١٠ الحقدُ يحرقُ قلبه، قد فاته شرفٌ أكيدٍ
١١ قد كان يرنو للزَّعامةِ، كانت الحُلم السّعيد
١٢ لكنَّهُ خسر الزَّعامة وارْتضى نار الوعيد
١٣ يا بئس قوماً حاقدين أليس فيهم من رشيد؟!

---

(١) ركبت قريش رأسها: كناية عن الإصرار على العدوان.

(٢) فى الاماء كذا العبيد: فى الرقيق ذكورا واناثاه

(٣) مما قد يكيد: من أى شيء فيه إهانة.

(٤) الابن الوحيد: لا مثيل له فى الرجال.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٦٢ جـ ١

لم تفلح خطة المشركين الساذجة فى إقناع أبى طالب، فى أن يسلمهم محمداً، وأن يأخذ مكانه عمارة بن الوليد، أنهد فتى فى قريش.. بل سخر منهم وأسمعهم من القول ما هم جديرون به من السخرية والاستهزاء.

فمن ثم ركبوا رؤوسهم، فأعلنوها ثورة عارمة ضد محمد ﷺ، وضد أتباعه، وضد ما يدعو إليه.

هذه الثورة الظالمة الحاقدة، نالت من كل مسلم آمن بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا ورسولا.. فقد وثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم.

بيد أن أبا طالب حين رأى قريشا ركبوا رؤوسهم، وفقدوا صوابهم وقف فى بنى هاشم، وبنى عبد المطلب، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله، والقيام دونه، فاجتمعوا إليه وقاموا معه كلهم، إلا ما كان من عدو الله أبى لهب، فإنه أعلن العداء لرسول الله، وخالف بنى هاشم وبنى عبد المطلب.

أما أبو جهل عدو الله، فقد تحطمت آماله، وتبددت أحلامه.. وازدادت النار فى أعماقه اشتعالا.. الحقد والحسد يحرقان قلبه، كما تحرق النار يابس الحطب، ذلك لأنه كان يطمع فى زعامة قريش كلها.. فطالما منى نفسه بها، فقد كانت هى منتهى آماله، وأقصى ما ترنو إليه نفسه.

ذلك لأن محمداً ﷺ، اتبعه الكثيرون من رجالات قريش، إذن فلم يبق له أدنى أمل فى تحقيق أمنيته التى يعيش بها.. ولذا فقد كان هو الذى يذكى نار العداوة ويشعل أوارها، فى قلوب المشركين ضد محمد ودعوته وأتباعه.

إن أبا جهل اللعين، هو عدو الله وعدو رسوله، وهو فرعون هذه الأمه.. وقد خسر الزعامة التى كان يحلم بها.. ويوم القيامة سوف يصلى حر نار جهنم.

الا بئس ذلك الرجل، وبئس الرجال الذين هم على شاكلته.. فبرغم أنهم تبينوا نور الإيمان، فلم يهتدوا به.. إذن فليس فيهم رجل رشيد حكيم.

مقطع رقم ٦٣ جـ ١

قريش تحث الوليد ليقول فى محمد قولا

١ ذهبت قريشٌ للوليدِ ليبحثوا أمر ٱلأمين

٢ كان الوليدُ بن المغيرةَ فى عدادِ النَّابهين(١)

٣ بل كان فيهم كالحكيم وصاحبِ القولِ الرَّصين

٤ إن قال قولًا يسمعوهُ، ويَتْبعوهُ مسَلِّمين

٥ قالوا له: هذا ٱلأمينُ يقول قول المُعتدين

٦ قل فيه قولًا حازماً يا صاحبَ القولِ الثَّمين

٧ قل: شاعرٌ، أو كاهنٌ، أو ساحرٌ، كالسّاحرين

٨ قال الوليدُ: فإنَّنى بالشِّعر ذو عِلم متين

٩ وكذا الكهانةُ فهى سَجعٌ(٢) من مقالِ الكاذبين

١٠ والسِّحرُ أيضاً قد عرفناهُ، فلسنا جاهلين

١١ لا، ليس سحراً، ليس شعراً أو كهانةَ كاهنين

١٢ هو من خيارِ القولِ حقًّا فيهِ إشراقٌ مُبين

١٣ فيه الحلاوةُ والطَّلاوةُ يستميلُ السّامعين

١٤ قالوا: أصابكَ سحره لا شك مثل الآخرين

١٥ فغدوتَ(٣) تهذى بالمقالةِ مثل قولِ المسلمين

١٦ قل غير هذا القولِ فيه، نكن لقولك تابعين

---

(١) فى عداد النابهين: من مشاهير قريش.

(٢) سجع: السجع هو القول المقفى يشبه الشعر.

(٣) فغدوت تهذى: تقول قولا غير منتظم.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٦٣ جـ١

كان الوليد بن المغيرة – كما قدمنا – أحد زعماء قريش ومشاهيرها، بل كان أكثرهم شهرة، بحيث إنهم كانوا يلقبونه بحكيم قريش.. كان صاحب الكلمة النافذة فيهم، يرجعون إليه فى معظم أمورهم، يلتمسون الرأى عنده.

من ثم جاءت قريش للوليد بن المغيرة، وطلبوا منه أن يقول رأيه فى محمد ﷺ، وفى كتابه الذى يسميه القرآن.

تناقشوا مع الوليد، وتحاوروا معه حول الصفة التى يصفون بها محمداً للنيل منه، فقال أحدهم: إن محمداً كاهن، وقال آخر: هو مجنون، وقال ثالث: هو شاعر، وقال رابع: هو ساحر.. فأجابهم الوليد.. وقد نطق الحق على لسانه لأول وهلة فقال:

تقولون: إن محمداً كاهن، لا والله ما هو كاهن، لقد رأينا الكهان، فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه.. وتقولون: مجنون، وما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقة ولا تخالجه ولا وسوسته.. وتقولون: شاعر، وما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله، رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر، وتقولون: ساحر، وما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثهم وعقدهم، قالوا: فما تقول؟! فقال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، فقالت قريش: لقد صبأ الوليد.

لما قال الوليد رأيه فى محمد ﷺ، وهو الرأى الصواب المنزه عن الهوى قالوا له: لقد أصابك سحر محمد يا أبا عبد شمس قل غير هذا القول حتى نرضاه.. ذلك لأن قولك هذا يخالف ما ارتضيناه جميعا.

فهيا يا حكيم قريش، فإن قومك ينتظرون حكمك.. لقد اختاروك لهذا الأمر حاكما، فكن لهم كما يريدون.. تفز برضاهم وتأييدهم لك أبد الدهر.

وهكذا نرى رجالات قريش، ينكرون على الوليد بن المغيرة، قوله الذى مدح به القرآن الكريم، فوصفوه بأنه صار يهذى متأثراً من سحر محمد ﷺ، ثم طلبوا منه أن يعيد النظر فيما قاله، ليظل محتفظاً بمكانته فيهم – حكيم قريش – وإلا فسوف يفقد مكانته تلك.

مقطع رقم ٦٤ جـ ١

الوليد يقرر: محمد ساحر

١ صار الوليدُ يُقلِّب الآراء فى شتَّى الوجوه[١]
٢ قد بات يعصرُ فِكرهُ لِرضاءِ قوم أيَّدوه
٣ ماذا عساهُ يقولُ للقوم الذين استَهدَفوه[٢] ؟!
٤ قد مسَّهُ الشَّيطانُ فوراً قال قولًا رَدَّدوه
٥ قال الوليدُ لقومه: قول الضَّلالِ فصدَّقوه
٦ قد كان قولًا فاسداً، لكنَّهم قد تابعوه
٧ قولوا لكلِّ النَّاس: هذا ساحرٌ لا تقربوه
٨ قد فرَّقَ الأزواجَ من زوجاتهم فلتَهجُروه
٩ قد فرَّق الأبناءَ من آبائهم لا تسمعوه
١٠ قد سفَّه الأحلام حتىّ صار خَصماً فاطْردوه
١١ يا بئس قولًا قالهُ ذاك الزَّعيم فشايعوه[٣]
١٢ قد قال فى المعصوم قولًا كاذباً فاستحسنوه
١٣ هو فى جهنَّم سوف يَخلد قومه لن ينفعوه
١٤ قد أخبر القرآنُ عن هذا[٤] بصدقٍ فاقرأوه

---

(١) فى شتى الوجوه: كناية عن الحيرة فى اختيار الرأى.

(٢) استهدفوه: اتجهوا اليه.

(٣) فشايعوه: آزروه وناصروه.

(٤) أخبر القرآن عن هذا: هذه القصة فى سورة المدثر.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٦٤ جـ ١

شعر **الوليد** بن المغيرة بالاعتزاز لكونه ذا شأن عند قومه، فقد اختاروه ليقول فى محمد قولاً.. ومع شعوره بالاعتزاز بمنزلته عند قومه، شعر بالحيرة أيضا، لماذا؟! لأن القوم طلبوا منه أن يقول فى محمد وفى القرآن الذى أنزل عليه، ما يسيىء، فى حين أنه بالأمس القريب أثنى على القرآن، ووصفه بكلام بليغ جزل.

بيد أنهم يوافقوه على قوله ذاك، بل قالوا له: لقد أصابك سحر محمد، وطلبوا منه أن يعيد النظر فيما قاله بشأن محمد.. وأن يقول قولًا يسيىء إليه، وأن ما سيقوله سيتردد على ألسنة قريش كلها.

بات الوليد يفكر فى هذا الرأى، فأجهد نفسه بحثا عن رأى يرضى به قومه من ناحية، وفى نفس الوقت لا يتناقض مع قوله بالأمس من ناحية أخرى.

بيد أنه فى الواقع يطلب المستحيل.. وأخيراً آثر هوى قومه، وكانت نفثة شيطان، فتصورها اللعين حكمة لقمان الحكيم، فهتف بها..!!!

لقد نطق حكيمهم أخيرا فقال: إن محمداً ساحر، ثم قال ليبرر فريته ألم تروا أنه يفرق بين المرأة وزوجها؟! وبين الابن وأبيه؟! وبين الأخ وأخيه؟!.

إذن فهو ساحر، وهو خصم لنا، فقولوا لكل الناس: إنه ساحر فاحذروا منه، لا تقربوه ولا تسمعوه.

ألا بئس ما قاله ذاك الزعيم اللاهث وراء الزعامة، ليظل – كما تصور – عندهم أنه حكيمهم ومرجعهم، وصاحب القول الأخير فيهم..

فمن ثم توعده القرآن بأنه سوف يصلى نار جهنم.. فى سَقَر خاصة.. ولن ينفعه أحد من قومه.

لقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الواقعة بأسلوب لاذع(١).. فعليكم بالقرآن الكريم فاقرأوه، ففيه غناء لكل باحث، ورواء لكل عاطش.

---

(١) سورة المدثر.

مقطع رقم ٦٥ جـ ١
أبو جهل يسب محمداً

١ المشركون يواصلون الاعتداء... كمُعتدين
٢ قد أغلقوا آذانهم أن يسمعوا القولَ المبين[(١)]
٣ منهم أبو جهلٍ زعيمُ الشرك شرُّ الفاسقين
٤ بلغت حماقته حدوداً أدهشت للآخرين
٥ وقف اللّعينُ على طريق المصطفى الهادى الأمين
٦ بالسَّبِّ حقًّا نال منه أمام كلِّ المشركين
٧ لكنَّ حلم المصطفى يسمو به فى العالمين
٨ الصَّمت كان جوابه، لا لن يجارى الجاهلين
٩ إحدى[(٢)] الجوارى قد رأت بالعين ما فعل اللّعين
١٠ عزمت على إبلاغ حمزة بالحقيقة واليقين
١١ فى التَّوِّ حمزةُ عائدٌ من صيده[(٣)] كالعائدين
١٢ قد أخبرته بكل صدقٍ، لم تكن فى الكاذبين
١٣ قالت له: أدرك أبا جهل بعزم القادرين
١٤ فلقد أساء إلى الأمينِ أمامَ كلِّ النَّاظرين
١٥ فلتنصرنَّ محمداً هو خير كل الأقربين

---

(١) القول المبين: هو القرآن الكريم.

(٢) إحدى الجوارى: هى جارية ابن جدعان.

(٣) من صيده: من رحلة الصيد والقنص.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٦٥ جـ ١

لم تكف قريش عن العدوان على المسلمين.. بل ضاعفت عدوانها، وتمادت بشكل عنيف، ومارست كل أنواع البطش والارهاب.

أغلقوا آذانهم عن سماع الحق، بيد أنه وصل لأسماعهم، فأعرضوا عنه عنادا واستكبارا، الحقد أعمى أبصارهم عن رؤية الحق.. أنكروا عقولهم، فعطلوها عن استعمالها فيما خلقت له.. ألا وهو الاختيار بين البديلات..

والأكثر من هذا، ومما زاد الأمر سوءا، كون أبى جهل عدو الله، تطاول على رسول الله ﷺ، بالشتم القبيح.. لقد جاوز اللعين حده، فنال من أسمى مقام.

فبينما كان محمد ﷺ، ذاهبا إلى الكعبة المشرفة للصلاة والطواف، واذا أبو جهل عدو الله، كان متربصا له، فخرج عليه ونال منه، ورماه بالبهتان أمام الناس مسلمين ومشركين معا.

يالله !! إن محمداً يستمع إلى الشتائم المقذعة، من عدو الله أبى جهل، فلا يجيبه بكلمة واحدة.. كان جوابه الصمت التام، ولا شيء غير الصمت.. إنه أرفع وأسمى من أن يجارى سفيهاً كأبى جهل، بل تركه كالكلب ينبح، فزاد هذا من غيظه، وأجج نار حقده، فى ذلك الوقت كانت هناك فتاة تسمع وترى كل ما قاله عدو الله أبو جهل، لرسول الله ﷺ، تلك الفتاة كانت جارية لابن جدعان، أحد مشاهير قريش قبل الإسلام والذى كانت داره مقراً لعقد حلف الفضول، تلك الفتاة أساءها ما رأته وما سمعته من تطاول عدو الله، على محمد الأمين، ذلك لأنه كان معروفا للجميع ويتمتع باحترام قريش كلها بما يتحلى به من حميد الخصال، ولا غرو فهى لم تكن مسلمة، بيد أنها كرهت أن يهان الصادق الأمين، وكانت تعرف أن حمزة بن عبد المطلب، أسد قريش، هو عمه.. فقررت أن تبلغه بما حدث. وبينما كان حمزة عائدا من «الصيد والقنص» وكان لا يزال على شركه، تعرضت له تلك الجارية فأخبرته بما حدث، ثم قالت له: انتصر لابن أخيك، فهو خيار قريش على الإطلاق.

لقد أصابت كلمات هذه الفتاة لحمزة بن عبد المطلب، هدفين اثنين. أحدهما: نصرة دين الله فى شخص محمد ﷺ: ثانيهما: إثارة الحمية فى نفس حمزة بن عبد المطلب، بحيث أعلن إسلامه، تمادياً فى نصرة ابن أخيه المعتدى عليه، ووقوفاً فى وجه الطغاة المعتدين. مهما كان جاههم وسلطانهم.

مقطع رقم ٦٦ جـ ١
اسلام حمزة بن عبد المطلب

١ الغيظ يملأ صدر حمزةَ مسَّه شِبهَ الذُّهول
٢ قد كان عماً للنبىِّ من الرجالاتِ الفحول[(١)]
٣ كونُ النبىِّ أُسيء هذا عنده أمرٌ مَهول
٤ فوراً توجَّه نحو نادى القوم فى غضبٍ يَصول[(٢)]
٥ لما رأى القوم قال مخاطباً عند الوصول
٦ أين الذى لم يرع حقّ قرابتى؟! أين الأصول؟!
٧ فانقض فوراً مثل صاعقةٍ على الوغدِ الجهول
٨ فاصابه فى رأسه، قد صار يهذى من خبول[(٣)]
٩ ثار الرِّجالُ وكاد يحدث بينهم ضربُ النُّصول[(٤)]
١٠ لكن أبو جهل يناديهم جميعاً إذ يقول
١١ فلتتركوه، فقد أسأتُ إلى الأمين من الفضول[(٥)]
١٢ قالوا لحمزة: أنت منَّا، فى العقيدةِ والميول
١٣ لم تنصرنَّ محمداً؟! فأجاب فى صوت الطُّبول
١٤ إنى بدين محمدٍ آمنتُ بالدين العَدُول
١٥ هذا هو الدِّينُ الذى يرضاهُ أرباب العقول

---

(١) من الرجالات الفحول: كناية عن قوة الشخصية والجاه.

(٢) يصول: يثبت بجواده وهو غاضب.

(٣) من خبول: الخبول ذهاب العقل.

(٤) ضرب النصول: السيوف.

(٥) من الفضول: نوع من التطاول.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٦٦ جـ ١

لقد استمع حمزة بن عبد المطلب، من جارية ابن جدعان للقصة كاملة، وذلك عن تطاول عدو الله أبى جهل على محمد ﷺ .. فامتلأ غيظا وغضبا، وأصابه ما يشبه الذهول من هول ما سمع.

لقد أخذته الحمية العربية.. «كون أبى جهل تجاوز حده فنال من ابن أخيه، متجاهلا سطوته وفروسيته، وزعامته المعروفة، بحيث إنه يفوق شباب قريش كلهم فى النزال والطعان.

هذا حمزة، بدلًا من أن يتجه إلى بيته، لوى عنان جواده، فتوجه صوب النادى يريد أبا جهل وهو يصول وينادى قائلا:

أين الذى لم يرع حق قرابتى؟! أين الذى لم يحسب حسابى حاضرا وغائبا؟! أين الذى غمز جانبى فاعتدى على أخص قرابتى وأدناهم منى صلة؟! لقد كان حمزة يعلن عن غضبه، وهو متجه صوب النادى، حيث يجتمع زعماء قريش.

حين وصل حمزة إلى النادى، اتجه فورا نحو أبى جهل، فضربه ضربة فى رأسه، أحدثت جرحا تدفق الدم منه بغزارة.

حينئذ ثار الرجال من عصبة أبى جهل، ليردوا عدوان حمزة.. وهب الرجال من عصبة حمزة منتصرين له، وكادت تحدث مقتلة عظيمة بين الفريقين، لولا مبادرة عدو الله أبى جهل فنادى على أنصاره أن كفوا.. وقال لهم: إن الأمر لا يحتاج إلى هذا منكم... ولا غرو فهو يريد الإبقاء على روح الود بينه وبين حمزة، الفارس المغوار، فلعله يستطيع أن يزحزحه عن التعصب لمحمد، فنادى كل السامعين قائلا:

كفوا يا قوم، دعوا أبا عمارة – حمزة – فإننى قد أسأت لابن أخيه، دون أدنى سبب، وأعترف بأن هذا كان تطاولًا منى.. سمع الناس مقاله أبى جهل فتراجعوا وهدأوا.. وإذا رجل من القوم يقول لحمزة: ما شأنك أنت بمحمد فأنت على ديننا وعقيدتنا؟!.

هنالك، هتف حمزة بصوت قوى قائلا: كلا، فإنى على دين محمد لقد آمنت به، إنه الدين الحق الذى ترضاه العقول المستنيرة والأفهام المعتدلة.

مقطع رقم ٦٧ جـ ١
قريش فى حوار مع رسول الله

١ شعر النبىُّ وصَحْبه بالاعتزازِ كمسلمين
٢ أن صار حمزة مُسلماً، هذا هو النَّصر المبين
٣ المشركون أصابهم ذعرٌ[١] فباتوا... ساهرين
٤ فتشاوروا، وتحاوروا كانوا جميعاً حائرين
٥ قد صارت الآراءُ تترى من جميع الحاضرين
٦ قد قرّروا إرسال[٢] عُتْبَةَ للحوار مع الأمين
٧ قد جاء عُتْبَةُ للنَّبىِّ وكان ذا عقل رصين
٨ بدأ الحديثَ إلى النبىِّ بصيغة المُتسائلين
٩ إنى أتيتُك يا محمدُ سائلًا كى أستبين[٣]
١٠ سفّهتَ أحلام الرِّجالِ، وجئت بالأمرِ المُهين
١١ إن كنت ترجو منه[٤] مالًا؟! نُعطك المال الثَّمين
١٢ أو كنت ترجو منه مُلكًا؟! نُعطيك المُلْكَ المكين
١٣ أو إن يكن يأتيك مسٌّ[٥] يغلُبُ العقل الفطين؟!
١٤ جئنا بمن يشفيكَ من أقصى بلاد العالمين
١٥ فاختر لنفسك واحداً منها نكن لك طائعين

---

(١) أصابهم ذعر: خوف وفزع.

(٢) عتبة: هو عتبة بن ربيعة.

(٣) كى أستبين: أتبين الحقيقة.

(٤) ترجو منه مالا: أى من وراء دعواك هذه.

(٥) مس: تابع من الجن.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٦٧ جـ ١

لقد انضم حمزة بن عبد المطلب، إلى صفوف المسلمين فأصبح واحدا منهم، وقد كان حمزة – كما أسلفنا – فارساً له وزنه الاجتماعى فى مكة كلها دون استثناء.

منذ أن أسلم حمزة، شعر رسول الله ﷺ والمسلمون أيضا بالاعتزاز والمنعة، وفى نفس الوقت شعر المشركون بالذعر وخيبة الأمل.. ذلك لأن حمزة بن عبد المطلب، فتى قريش، قوى الشكيمة، شديد المراس، فمن ثم قويت شوكة المسلمين وعز جانبهم، وبقدر ما قويت شوكة المسلمين، ضعفت هنالك شوكة أعداء الله المشركين.

أمام هذا الحدث الخطير، شعرت قريش بخطر الدعوة الإسلامية، وتوجسوا منها خوفا وخطرا على عقيدتهم.. لأجل هذا تنادوا إلى اجتماع عام يلتقون فيه، لبحث هذا الأمر فيما بينهم، وليتفقوا على خطة معينة يضعونها لمقاومة تيار الدعوة الإسلامية، ذلك التيار الذى غزا كثيراً من القلوب.

وفعلا لقد اجتمعوا وتشاوروا وتحاوروا كثيرا، وناقشوا كثيرا من الآراء التى طرحت، واستقر رأيهم أخيراً على أن يرسلوا رجلا حكيما للتفاوض مع محمد ﷺ فى أمره، فلعله يصل معه إلى حل يكون فيه راحة للطرفين.

لقد اختاروا عتبة بن ربيعة ليقوم بمهمة التفاوض مع محمد ﷺ، ذلك لأنه أحد حكماء قريش وفصحائها ومشاهيرها أيضا.

جاء عتبة إلى رسول الله فقال له:

يا محمد! إنى أتيتك من عند قومك، وسأعرض عليك بعض الأمور، فلعلها تروقك، فلعمر الله إن أعجبتك فسوف تهدأ الحرب الدائرة بينك وبين قومك.. وهذه هى الأمور فاستمع يا ابن أخى لما أقول:

يا ابن أخى! إن كنت ترجو من وراء هذا الأمر الذى تدعيه مالًا، جمعنا لك من الأموال حتى تكون أكثرنا مالًا، وإن كنت تريد ملكاً جعلناك ملكاً علينا.. وإن كان هذا الذى يأتيك رئًى، طلبنا لك الطب من أقصى بلاد العالم حتى تشفى.. فاختر لنفسك ما تحبه نقدمه لك راضين.

مقطع رقم ٦٨ جـ ١

عتبة ينصح قومه باتباع محمد

١ هذا رسولُ المشركين قد انتهى من قصَّته

٢ قد كان ذا عقلٍ رجيح ساطعاً في[١] حجَّته

٣ عرض الأمورَ على النبيِّ مُحاذراً من فِطنته

٤ من بعده عرض النَّبيُّ عليه بعض قضيَّته

٥ بدأ التِّلاوة من كتاب الله كان[٢] بروعته

٦ من سورةٍ فيها وعيدٌ أظهرت من رهبته

٧ ظهر التَّأثُّر واضحاً في وجهه في سِحنته[٣]

٨ لقد انتهى الهادى وعُتْبَةُ ساهمٌ في جِلسته

٩ لم ينبسْ ببنت شفةٍ، بل وعاد بدهشته

١٠ قد عاد عُتْبَةُ والتَّغيُّر ظاهرٌ في طلْعته

١١ سألوه قال: فإنَّني قد جئته في نَزْلته

١٢ ولقد سمعتُ بيانه فاق الكلام . بحكمته

١٣ إنِّي أرى أن تَتْبعوه، فعزُّكم من عزَّته

١٤ أنتم عرفتم برَّه ووفاءه لعشيرَتِه

١٥ قالوا: سُحِرْتَ أبا الوليد وقد غزاك بفكرته[٤]

---

(١) ساطعا في حجته: ذو قدرة على التعبير.

(٢) كان بروعته: روعة القرآن الكريم وروعة التلاوة.

(٣) في سحنته: في محياه وهيأته.

(٤) غزاك بفكرته: غلبك بقوة بيانه.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٦٨ جـ ١

لقد تحدث عتبة بن ربيعة بافاضة على سمع رسول الله ﷺ.. وبعد أن انتهى من حديثه الذى عرض فيه على رسول الله، عروضا سخية يسيل لها لعاب الطامعين من طلاب الدنيا.. وقد كان عتبة ذا عقل راجح، وحجة قوية، ولسان فصيح، فقال له رسول الله ﷺ:

أقد فرغت يا أبا الوليد؟! قال: نعم: فهل تسمع منى؟! قال: نعم، فهات ما عندك يا ابن أخى.

فتحدث رسول الله اليه، ووعظ وأجاد، ثم بدأ يتلو من القرآن الكريم، بآيات تناسب المقام من سورة السجدة، ولا غرو فهى تتضمن وعيدا للمشركين، وتذكرهم بالأمم السابقين، وما حاق بهم جزاء إعراضهم عن الحق والانقياد له.. ولفتت أنظارهم إلى بدء الخليقة والسماوات والأرض.. وهذه هى:

«**حم. تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون**..» الخ. إلى أن وصل السجدة فسجدها.

ثم قال لعتبة: أقد سمعت يا أبا الوليد؟! قال: نعم لقد سمعت فقال له رسول الله ﷺ: فأنت وذاك.

أثناء تلاوة رسول الله القرآن، أنصت عتبة له، وألقى بيديه خلف ظهره معتمدا عليها، تعبيراً عن إعجابه ببلاغة القرآن التى تأخذ بمجامع القلوب.

انصرف عتبة راجعاً إلى أصحابه دون أن ينبث ببنت شفه، فلما رأوه مقبلًا عليهم قال بعضهم لبعض: نحلف بالله، لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به.. فلما جلس قالوا له: ما وراءك يا أبا الوليد؟! قال: نعم، لقد سمعت قولا آنفا ما سمعت مثله قط.

والله ما هو بالشعر ولا بالكهانة، يا معشر قريش! أطيعونى واجعلوها بى، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت شأنا وأى شأن، فإن تصبه العرب كفيتموه بغيركم.. الخ ما قال: فقالوا له:

سحرك والله يا أبا الوليد، فقال: هذا رأيى لكم، فاصنعوا ما بدا لكم.

مقطع رقم ٦٩ جـ ١
قريش تطلب من محمد المعجزات

١ قد جاء وفدُ المشركين إلى النَّبى إلى الجدال[١]
٢ جاءوا إلى جَدلٍ كمن هم ذاهبونَ إلى القتال
٣ قالوا: فإنَّك يا محمدُ ليس توصفُ بالكمال
٤ ها أنت فى الأسواقِ تمشى، بل وتأكل كالرِّجال
٥ إن كنتَ ترجو أن نُصدِّقِ ما تقول بكلِّ حال!
٦ فاسأل إلٰهك أن يُفجِّر أرضنا نبعَ الزُّلال[٢]
٧ ونرى الملائكةَ الكرامَ بغيرِ شكٍ أو خيال[٣]
٨ ولتأت بالمَولى إلٰهك مَن تصِفْهُ بذى الجلال
٩ واسألهُ أيضاً جنَّةً ملأى وتزهو بِالجمال
١٠ فيها نعيم وافرٌ والنَّخل وارفةُ الظِّلال
١١ أيضاً يُوسِّعَ أرض مكَّةَ إذ تُحيطُ بها الجبال
١٢ لكنَّ ربَّ محمد وافاهُ ردًّا للسُّؤال
١٣ قد كان قولًا مُحكماً يَعلو على كلِّ المقال
١٤ أن قل لهم: سُبحان[٤] ربِّى ذاكموعَيْن[٥] المحال
١٥ قل: إنَّنى بشرٌ أُبلِّغُ أمر ربى بامتثال

---

(١) الى الجدال: للخصومة والتحدى.

(٢) نبع الزلال: ينابيع الماء العذب.

(٣) أو خيال: دون تخييل.

(٤) سبحان ربى: من وحى الآية الكريمة رقم ٩٣ الاسراء

(٥) ذاكمو عين المحال: هو المستحيل بعينه.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٦٩ جـ ١

لما فشل المشركون فى إغراء محمد ﷺ، أو استمالته، بالأمانى والوعود السخية.. لما فشلوا فى كل هذا، لجأوا الى وسيلة أخرى.. فما هى هذه الوسيلة؟!

لقد كانت وسيلتهم الجديدة هى الجدل.. لقد أرسلوا وفداً ليجادل محمداً ويتحداه، فقالوا له يا محمد! إنك تزعم بأن الله قد اختارك للنبوة، فلماذا نراك تمشى فى الأسواق، وتأكل الطعام مثلنا تماما؟!.

ومن ثم فإننا لن نصدق شيئا مما أتيت به، إلا أن تطلب من ربك الذى اختارك للنبوة بعض المطالب التى نحن فى أشد الحاجة إليها وهى:

١ – أن يفجر لنا من الأرض ينابيع الماء الزلال، لنشرب ونرتوى أو فليجعل فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق!!.

٢ – أن يجعل لك جنةً تأكل منها، بدلًا من أن تعيش فقيراً معدماً كما نراك، ولتكن تلك الجنة ملأى بأطيب الثمار، تزهو بالجمال والازدهار!!.

٣ – أن يسيّر عنا هذه الجبال التى ضيقت علينا مكة، وليبسط لنا بلادنا، فإنك تعلم أنه ليس من الناس أحد أضيق بلداً منا!!.

٤ – أن يرينا الملائكة.. بل نريد أن نرى إلهك رؤيا عين يا محمد!!.

بعد هذه الأسئلة التى قُصِدَ بها تحدى محمد ﷺ، وتعجيزه وإفحامه شخصيا.

كان الجواب من الله عز وجل، آيات من كتاب الله عز وجل، مشرقات بالمعانى، هى:

«قل سبحان ربى هل كنت إلّا بشرا رسولا» آية رقم ٩٣ من سورة الإسراء، ثم قال لهم: بهذا بعثت لكم، إنما جئتكم من الله بما بعثنى به، وقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم فى الدنيا والآخرة، وإن تردوه علىّ أصبر لأمر الله تعالى، حتى يحكم الله بينى وبينكم.

مقطع رقم ٧٠ جـ ١
أبو جهل يحاول قتل محمد

١ هذا محمدُ لم يجد من قومه إلّا الجفاء
٢ قد أنكروا فيه النُّبوة ثمَّ أولوهُ[١] العداء
٣ قد أنكروا كلَّ الأدلّةِ فاستحال الإهتداء
٤ هذا أبو جهلٍ يُبيِّت[٢] للنَّبيِّ الإعتداء
٥ فإذا أتى الهادى يطوف البيتَ صُبحاً أو مساء
٦ الوغدُ سوف يجيئهُ للقتلِ غدراً من وراء
٧ وأتى الرَّسولُ إلى الطَّوافِ إلى الصَّلاة للاقتداء[٣]
٨ فى جانب الرّكن اليمانى قام يضرعُ بالدُّعاء
٩ جاء اللّعينُ بصخرةٍ للقتلِ ظُلماً وافتراء
١٠ والمشركونَ جميعهم كانوا يرون على السَّواء
١١ لكنَّ جُند اللهِ جاءت تمنحُ الهادى[٤] الفداء
١٢ فارتدَّ مذعوراً عدوُّ اللهِ من جندِ السَّماء
١٣ القومُ صاروا يَسخرونَ به وساموه الهجاء[٥]
١٤ قال اللعينُ لهم: فإنّ محمداً فى الإحتماء[٦]
١٥ اللهُ أعطاهُ الحمايةَ ذاكَ حقٌّ لا مِراء
١٦ فحلٌ عظيمٌ خلفهُ قد كاد يجعلنى هَباء

---

(١) أولوا العداء: اتخذه عدوا.
(٢) يبيت: يضمر وينوى.
(٣) للاقتداء: ليقتدى به غيره.
(٤) تمنح الهادى الفداء: تحميه من عدوان أعداء الله.
(٥) وساموه الهجاء: الهجاء ضد المدح.
(٦) فى الأحتماء: فى حماية ربه.

ياالله !! إن محمداً ﷺ ، برغم أنه سمى الصادق الأمين لصدقه ، لم يجد من قومه أستجابة لدعوته ، وتصديقاً لما جاء به .. بل وجد جفاء وإعراضا .. لقد أنكروا نبوته والأيمان بما جاء به من عند ربه .. إذن فقد كان إنكارهم عناداً واستكبارا .

لم يكتفوا بإنكار نبوته .. بل ناصبوه العداء .. قدم لهم الأدلة التى تؤكد صدق قوله .. لكنهم أصروا على إنكارهم وعدائهم وإعراضهم .

وكان أشد الناس عداء لرسول الله ﷺ ، هو عدو الله أبو جهل اللعين ، لقد أخذ عهداً على نفسه أمام قريش ، بأنه سوف يقتل محمداً غدا ليريح الناس منه ، فقال عدو الله فى عهده أمام قريش :

إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا ، وشتم آلهتنا ، وتسفيه أحلامنا ، وشتم آبائنا ، وإنى والله أعاهدكم ، لأجلسن غدا أنتظر محمدا ، بحجر لا أطيق حمله ، فإذا سجد فى صلاته ، نضخت رأسه به .

فلما أصبح أبو جهل ، أخذ حجراً كما وصف ، ثم جلس لرسول الله ينتظره ، وإذا رسول الله ﷺ ، أقبل متجها نحو الكعبة كعادته للصلاة والطواف .

قام رسول الله ﷺ يصلى ، ورجال قريش فى أنديتهم ينتظرون ما سوف يفعله أبو جهل ، فلما سجد رسول الله ، حمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه .. حتى إذا دنا منه ، رجع منهزما ممتقعاً لونه مرعوباً ، قد يبست يداه على الحجر فقذف الحجر .. حينئذ قام إليه رجال قريش فقالوا له :

مالك يا أبا الحكم ؟! فقال : قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه ، عرض لى فحل من الإبل ما رأيت مثل هامته قط ، ولا مثل أنيابه ، فهجم على كاد أن يأكلنى .

ياالله !! لقد تولت جنود الله حماية رسول الله ، من أعداء الله .. إنه جبريل الأمين ، تمثل فى شكل فحل من الابل ، هائجاً يسرك على أنيابه ، فلما رآه عدو الله أنهزم ..

سخر رجال قريش من عدو الله ، وعيروه بجبنه ، فقال لهم : يا قوم إن محمداً فى حماية قوة كبرى .

قـريـش تلجـــأ للجـــدل

الهجــرة إلــى الحبشــة

مقطع رقم ٧١ جـ ١
قريش ترسل وفدا ليهود المدينة

١ أمـا قريشُ فقـرّروا بعـد التَّشاورِ مرتضين
٢ أن يُرسلـوا وفـداً ليثرب لليهـود المفسديـن
٣ كى يسألوهُم عن رسولِ اللهِ ذى القول المبين
٤ لا شكَّ همْ أهل الكتابِ فلم يكونوا جاهلين
٥ الوفد جاءوا للمدينةِ حيث كانوا[1] قاصديـن
٦ سألوا اليهودَ عن النبىِّ وقد الحُّوا سائلين
٧ قال اليهودُ لهم: فكونـوا للمقالـــةِ فاهمين
٨ فلتسألـوا هذا الدَّعــىَّ[2] بفطنـــةِ المتسائـــلين
٩ فلتسألوا عن فتيةٍ[3] فى الدهر كانوا سابقين
١٠ عن قصَّةٍ كانت لهم قد تُدهشُ المتسمِّعين
١١ ولتسألوا عن فاتحٍ[4] قد طاف كلَّ العالمين
١٢ شرقُ البلاد وغـربها دانـوا له مستسلـمين
١٣ والرُّوح عنها فاسألوه، فذاك سُؤْلُ[5] المعجزين
١٤ فإذا أجـاب لسؤلكـم فلتَتبَعــوه مُسلّـــمين
١٥ ذاكم بلا شكٍّ نبىٌّ فى عدادِ المُـرسلين

---

(١) كانوا قاصدين: متجهين.

(٢) هذا الدعي: الذى يدعى النبوة.

(٣) عن فتية: هم أهل الكهف.

(٤) عن فاتح: هو ذو القرنين.

(٥) سؤال المعجزين: هو سؤال معجز.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٧١ جـ ١

بعد أن فشل مشركو مكة فى إقناع محمد ﷺ، بالجدل تارة، وبالإغراء بالمال والأمانى تارة أخرى.. لجأوا الى وسيلة التهديد والعنف، فحاولوا الاعتداء عليه.. لكن الله حمى رسوله منهم.

أخيراً قرروا فى اجتماع عام عقدوه فيما بينهم، أن يرسلوا وفداً إلى يهود المدينة ليسألوهم عن مسائل فيها تعجيز لمحمد ﷺ.

ذلك لأن اليهود، أهل كتاب.. والعرب فى الجزيرة العربية، يشعرون بالتبعية لهم فقط فى هذا الميدان.. ميدان العلم.

خرج وفد قريش متجها إلى المدينة.. وكان الوفد مكونا من اثنين فقط لا ثالث لهما.. فوصلا إلى المدينة، فحطوا رحالهم.. ولا غرو فهى وجهتهم، وفيها أربهم وغايتهم.

تحدث الوفد مع أحبار اليهود، عن رسول الله ﷺ، وأخبروهم عن أمره، وعن بعض ما جاء به من عند ربه عز وجل.

ثم قالوا لهم: وقد جئنا إليكم بصفتكم أهل الكتاب، عندكم التوراة فيها علم الأولين والآخرين كما تزعمون.. فأخبرونا عن صاحبنا هذا لكى نكون على بينة من أمره.

فقال أحبار اليهود لوفد قريش. سلو صاحبكم هذا عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أجاب عن هذه الأسئلة فهو نبى مرسل.

وإن لم يخبركم فالرجل متقول، فروا فيه رأيكم، وهذه هى الأسئلة.

١ – سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول، ما كان أمرهم؟! فإنه قد كان لهم حديث عجيب!!.

٢ – سلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها وما كان نبأه؟!.

٣ – سلوه عن الروح، ما هى؟!.

فإن أخبركم فأنه نبى مرسل.

مقطع رقم ٧٢ جـ ١

وفد قريش يعود بأسئلة معجزة

١ قد عاد وفدُ المشركين من المدينة ظافرين[١]

٢ عادوا ومعهم كلّ سُؤلٍ مُعجزٍ[٢] للعالمين

٣ قد قرّروا أن يَلتقوا بمحمدٍ متناظرين

٤ جاءوا وكانوا للسُّؤالِ وللخصام مُهيّئين

٥ فى مجلسٍ ضمَّ النّبىَّ وطُغمة المتخاصمين[٣]

٦ روحُ التّحدى فى عيونِ القوم والحقدِ الدّفين

٧ قد قرّروا[٤] إفحامهُ فى صورةِ المتسائلين

٨ ألقَوْا بأسئلةٍ له، تحكى سهام النّابلين[٥]

٩ قال النبىُّ لسائليه: غداً تعالَوْا أجمعين

١٠ حتى أُجيب على سُؤالِ الكلِّ منكم .باليقين

١١ جبريلُ كفَّ عن المجىءِ وكان يأتى كل حين

١٢ أضحى محمدُ حائراً من غيبةِ الرُّوح[٦] الأمين

١٣ ماذا يقول لسائليه، إذا أتوْا مُستَفهمين؟!

١٤ روح الشّماتِة سوف تَسرى فى جميع المشركين

---

(١) بالأمانى ظافرين: ظفروا بما يتمنونه.

(٢) سؤال معجز للعالمين: أسئلة لا يعلمها أحد.

(٣) وطغمة المتخاصمين: فريق المخاصمة الأوغاد.

(٤) قرروا إفحامه: تعجيزه.

(٥) سهام النابلين: رماة السهام.

(٦) من غيبة الروح الأمين: لغياب جبريل.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٧٢ ج ١

لقد عاد الوفد الذى أرسلته قريش ليسألوا يهود المدينة عن أسئلة معجزة خطيرة، ليسألوا عنها محمداً ﷺ.. لقد عادوا وهم فى فرحة غامرة، والسرور يملؤهم.. ولم لا، فلقد وجدوا ضالتهم عند يهود يثرب، وعادوا بالأسئلة التى يريدونها.

بعد عودتهم، قرروا أن يلتقوا برسول الله فى مكان عام، ليوجهوا له أسئلتهم فى مناظرة للتحدى.. والأمل يحدوهم فى إفحام محمد وتعجيزه.

توافد الناس فى مكة إلى المكان المحدد للمناظرة.. وحضر زعماء قريش الذين يسعدهم ويشفى غليلهم هزيمة محمد فى أى صورة من الصور.

روح التحدى كانت تطل من أعين المشركين، وعلى وجوههم، لشعورهم أنهم سينتصرون على محمد فى هذه المرة.

وجاء محمد ﷺ، إلى المكان المحدد للقاء.. وبدأ الحوار.. فوجهوا إليه أسئلتهم التى عادوا بها من يثرب.. لقد كانت الأسئلة موجهة إلى رسول الله، كأنها سهام منطلقة من أقواس رماة مهرة.. وهى فى نفس الوقت تحمل حقدهم وعنادهم وعداءهم.

يالله!! لقد تحققت نبوءتهم، وأصابوا فى تقديراتهم وحساباتهم.. ولا غرو فقد كانت الأسئلة الموجهة، أكبر من معلومات رسول الله كإنسان، وليس كنبى.. ذلك لأنه لا يعلم شيئا، إلا ما يأتيه به الوحى من عند مولاه.

حينما سألوا رسول الله، قال لهم: تعالوا غدا أخبركم بما سألتم عنه، ولم يقل: إن شاء الله.

فانصرفوا عنه، ومكث رسول الله خمس عشرة ليلة ينتظر أمين الوحى جبريل، بيد أن جبريل لم يأت إليه طوال تلك المدة، حتى أرجف أهل مكة وقالوا: لقد وعدنا محمد بأنه سيخبرنا ويجيب على أسئلتنا غداً، وها هو ذا قد مضى خمس عشرة ليلة، لم يف محمد بوعده، ولم يخبرنا عما سألناه عنه، فشق على رسول الله ما يتكلم به أهل مكة: صار محمد فى حيرة من أمره، فجبريل كف عن المجىء، وكان دائم المجيىء إليه ليلًا ونهارا.. أما قريش فإنها أبدت شماتتها وسخريتها.

مقطع رقم ٧٣ جـ ١
عتاب لمحمد لنسيانه: إن شاء الله

١ جبريلُ غاب[1] ولم يكن من طَبعه هذا الغياب
٢ والمشركون تهامسوا بالشَّكِّ ثمَّ الإرتيـــاب
٣ صاروا جميعاً شامتين لقد أصابوا فى الحساب[2]
٤ أما النبيُّ فقد عراه الهمّ[3] من ذاك المصاب
٥ بعد الغيـابِ أتـاه جبريـل ولكـن بالعتـاب
٦ عن قوله للمشركين غداً تعالَـوا للجـواب
٧ من غير ذكر للمشيئةِ[4] ، قوله لا يُستجاب
٨ جبريل قال إلى النبيِّ ووجهه فيه اكتئاب
٩ قولًا من الذِّكرِ الحكيم وكان من غالى الجناب
١٠ إيَّاكَ من قولٍ بلا ذكر المشيئة[4] كى تُجاب
١١ واذكُر إلهكَ إن نسيت تجدهُ بالقول الصَّواب
١٢ أما جوابُ السّائلينَ فإن ربّكَ قد أجاب
١٣ فى سورةِ الإسراءِ ثمَّ الكهفِ فَصلٌ[5] للخطاب
١٤ فاقرأْ عليهم قول ربِّك من أجابَ فقد أصاب

---

(١) جبريل غاب: تأخر عن المجيء فى موعده ولم يتأخر من قبل.

(٢) أصابوا فى الحساب: نجحوا فى تقديراتهم.

(٣) عراه الهم: أصابه ما أهمه.

(٤) من غير ذكر للمشيئة: هى قول: إن شاء الله.

(٥) فصل للخطاب: الجواب الشافى.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٧٣ جـ ١

لقد تأخر جبريل عليه السلام عن المجيىء، ولم يكن من عادته أن يتأخر .. ظل رسول الله ﷺ، ينتظره، والحيرة والقلق باديان عليه .. كيف لا، وهو الذى قال لأهل مكة حينما سألوه، تعالوا غدا لأخبركم.

ولا غرو فهو حين قال لهم: تعالوا غداً، كان ينتظر مجيىء جبريل، الذى هو وسيلة الاتصال بينه وبين ربه، لكن جبريل لم يأت فى موعده .. بل تأخر مجيئه لمدة خمس عشرة ليلة.

ظهرت الشماتة فى عيون مشركى مكة وعلى وجوههم، ودار الهمس بين الناس، وعلامات الاستفهام على الوجوه، ولسان حال الجميع يقول:

أن محمداً وعدنا أن يجيب على الأسئلة غداً، ولكنه لم يف بوعده .. هذا كان لسان حال المشركين .. أما محمد فإنه يتمزق ألما وحسرة وتأسفاً أمام هذا الموقف، الذى لم يتوقعه على الإطلاق من قبل.

بعد أن مضت خمس عشرة ليلة، جاء جبريل، كانت هذه المدة بالنسبة لمحمد كأنها دهر بأكمله .. وبمجرد أن رآه رسول الله، بادره بالسؤال، ماذا عساك يا أخى يا جبريل؟! لقد احتبست عنى حتى سؤت ظناً، فأجابه جبريل قائلا: إن سبب تأخرى عن المجيىء إليك شيئان:

أحدهما، أنك حينما قلت للمشركين: تعالوا غداً حتى أخبركم عما سألتم عنه، لم تقل: إن شاء الله .. «ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غداً الا أن يشاء الله ..» إلخ(١).

الثانى: إننى يا أخى لا أجيىء اليك إلا بأمر ربى، وأمرى ليس فى يدى .. «وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا»(٢).

أما الجواب على أسئلة المشركين، فإن ربك قد أجاب عليها .. ففى سورتى الاسراء والكهف، جواب شاف وكفاء وغناء لمن أراد.

---

(١) آية رقم ٢٣ سورة الكهف.

(٢) آية رقم ٦٤ سورة مريم.

مقطع رقم ٧٤ جـ ١
ابن مسعود يقرأ القرآن أمام قريش

١ الوحيُ عاد إلى النبيّ وخاب ظنُّ المشركين
٢ إنّ الشّماتة لم تطلْ يا بئس قوماً شامتين
٣ ظنُّوا بأنَّ الوحي غاب ولن يعودَ إلى الأمين
٤ لكنَّـه قد عاد بالقــرآنِ والـــرَّدٌ المتين[1]
٥ فأجاب عن كلِّ المسائل مُفحماً للسّائـلين
٦ نادى الرَّسولُ على صحابته خيـارِ العـالمين
٧ مُتسائلًا، من يقرأُ القرآن عند الكافرين؟!
٨ كي يَسمعوه فربّما أن يهتدوا في المهتدين
٩ قال ابنُ مسعودٍ[2] أنا يا خير كلِّ المرسلين
١٠ قال النبيُّ له: فسوف تنال بطش[3] المُعتديـن
١١ فأجابـه، إنِّـى سأتلـو فى سماع الكـارهين
١٢ إن يبطشوا بى، فهو حظِّى، نِعم حظُّ الصَّابرين
١٣ هذا ابنُ مسعـود تهيَّأ للتِّـلاوة فى يقين
١٤ فتلا على أسماعهم قولًا من الذكرِ المبين
١٥ سمعوا التلاوة، جاءه فوراً أبو جهل اللَّعين
١٦ قد صكّه[4] فى أُذنهِ خُرقتْ، أمام النَّاظرين

---

(١) الرد المتين: الرد على الأسئلة، رد صحيح قوى.

(٢) ابن مسعود: هو الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود.

(٣) تنال بطش المعتدين: أى سينالك بطش المشركين.

(٤) قد صكه فى أذنه: ضربه على أذنه فخرقت.

المعنى الأجمالى للمقطع رقم ٧٤ جـ ١

لقد عاد الوحى إلى محمد ﷺ، بعد انقطاع استمر خمس عشرة ليلة – كما أشرنا فى المقطعين السابقين – عاد ليواصل اتصاله بمحمد، وخاب ظن الذين ظنوا بأن محمداً لن يجيب على الأسئلة عجزاً وجهلاً.

وهكذا فلم تطل شماتة الشامتين، فقد جاء الجواب على أسئلتهم مصوغاً فى أسمى بيان، فى آيات بينات ظلت تتلى على سمع الدنيا كلها شاهد صدق على نبوة محمد ﷺ.. وخاب ظنهم فى الانتصار على محمد فى أى صورة من الصور، أو شكل من الأشكال.

بعد ذلك ظلت آيات القرآن الكريم، تتوالى فى النزول، وقد كان رسول الله يهمه أن يصل هذا القرآن إلى أسماع مشركى مكة وغيرهم.

محمد ﷺ، يسأل أصحابه قائلا:

من منكم يستطيع أن يقرأ القرآن على مسامع قريش؟! فقد يكون ذلك سببا فى هداية البعض منهم، ثم أردف قائلا:

مع العلم بأن الذى سيقوم بهذه المهمة، سوف ينال أذى المشركين وعدوانهم.

فقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: أنا يارسول الله، أستطيع القيام بتلك المهمة، ولن يرهبنى وعيدهم وأذاهم، وليكن ما يكون يارسول الله.

ذهب ابن مسعود ومعه القرآن الكريم، ليتلوه على مسامع المشركين. وقد جلس قريبا من بعض المشركين، كانوا يتسامرون ويمرحون.. وإذا صوت ابن مسعود يقرع أسماعهم، ويقطع حديثهم، فاعتبروا ذلك إهانة لهم. وإذا عدو الله أبو جهل، أقبل على ابن مسعود، فصكه على وجهه، وأخذ أذنه بين حصاتين حتى خرقها، وكان ذلك أمام الجميع، مشركين ومسلمين معاً.. ألا بئس ما صنع عدو الله، مع أحد أحباب الله.

مقطع رقم ٧٥ جـ ١
عظماء قريش يتسمعون القرآن ليلا

١ قد صار للقرآن صيتٌ في ربوع المشركين
٢ آياتــه صارتْ حديثــاً يشغَــلُ[١] المُتحــاربين
٣ هم يسمعونَ لكلِّ ما يُتلى سماع الفاهمين
٤ إذ أنَّهم أهل الفصاحةِ دون كلِّ العالمين
٥ صوتٌ رخيمٌ صادرٌ في هَدأة اللَّيل[٢] السَّكين
٦ هو صوت خيرِ الخَلقِ إذ يَتلو من الذِّكر المبين
٧ من حول بيتِ محمدٍ رهطٌ أتوْا مُتنكِّرين
٨ لكنّ كلًا منهمُو قد كان يجلس في كمين[٣]
٩ الكلُّ منهمْ قد توارى عن عُيونِ الآخرين
١٠ منهم أبو جهلٍ وأخنسُ[٤] من كبارِ الكافريـن
١١ أيضاً أبو سفيانَ منهم كان في المُتسمِّعين
١٢ عند الرّواح تقابلوا في الصُّبح كانوا عائدين
١٣ فتلاوموا عن كونهم قد قارفوا الفِعل المشين
١٤ وتعاهَـدوا إلَّا يعـودوا ذاك فعـل الجاهـلين
١٥ لكنَّهـم عادوا، وعـادوا بعدهـا مُتعاهديــــن

---

(١) يشغل المتحاربون: الكفار يناقشون معانيه فيما بينهم.

(٢) الليل السكين: الليل الهادىء الساكن.

(٣) في كمين: يختبي في مكان متواريا عن الاخرين.

(٤) وأخنس: هو الأخنس بن شريق.

برغم معارضة المشركين للقرآن الكريم، وإعراضهم عنه، صار له صيت فى كل أرجاء مكة .. فى البيوت .. فى المنتديات، تردد صداه بحيث صار يملأ الأسماع، وأمر آخر هو من الأهمية بمكان، ذلك هو أن آيات القرآن الكريم التى تتنزل على محمد ﷺ، تخضع للحوار والمناقشة، فى مجالس المشركين غداة نزولها. إنهم لم يستطيعوا أن يتجاهلوا ما يصل إلى أسماعهم من آيات القرآن الكريم .. إنهم ينكرونه جحودا واستكبارا، فى حين أنهم يعلمون بأنه منزل من عند الله على محمد، وأن محمداً نبى حقا .

لقد كانوا يتسمعون للقرآن الكريم خلسة، الواحد منهم يجد نفسه مشدوداً إلى سماع القرآن كرهاً عنه !! فما هو من آية نزلت على محمد، إلا سمعوها، وقد حظيت منهم بالعناية والمناقشة .. فهم أهل الفصاحة وفرسان ميدانها، وقد نزل القرآن الكريم بلغتهم .

كان من عادة محمد ﷺ، أن يتلو القرآن الكريم ليلا، وذلك فى بيته بصوت هادئ حسن .. وكان هناك رجال دأبوا على التسمع لتلاوته، فيجلس كل واحد منهم كامناً مختفياً عن أعين الرقباء كى لا يراه أحد، حول بيت محمد .

أبو جهل وأبو سفيان والأخنس بن شريق، كل واحد منهم أخذ مجلسه حول بيت محمد .. كل وأحد منهم لا يدرى عن الآخر .. باتوا يتسمعون تلاوة رسول الله حتى الصباح، ثم تفرقوا منصرفين كل منهم إلى بيته .. فجمعهم الطريق، فتلاوموا وقال بعضهم لبعض :

لا تعودوا لمثل هذا .. فلو رآكم بعض سفهائكم، لأوقعتم فى نفسه شيئاً، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة القابلة، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يتسمعون لرسول الله، حتى إذا طلع الفجر انصرفوا، فجمعهم الطريق، فقالوا لبعضهم مثل ما قالوا بالأمس، ثم انصرفوا، وفى الليلة الثالثة جاءوا أيضا، وفى الصباح جمعهم الطريق، فتعاهدوا على ألا يعودوا ثم تفرقوا .

وهكذا فقد كان المشركون يعاندون فطرتهم التى فطرهم الله عليها .. فهم يجدون أنفسهم منساقين رغما عنهم، ليجلسوا حول بيت محمد ﷺ مختفين، ليسمعوا كلام الله الذى يخاطب العقول والوجدانات .. ولكن كان عنادهم أقوى من عقولهم، فلم ينتفعوا بالقرآن .

مقطع رقم ٧٦ جـ ١
قريش تتوعد ملائكة جهنم

١ المشركون تسمَّعوا القرآنَ فى ليل طويل[١]
٢ سمعوا التَّوعُّدَ بالورود على لظى يوم العويل[٢]
٣ فى هولِ يومِ الحشرِ ليس هناك حِبٌّ أو خليل
٤ إنِ العظيمَ من العُتاةِ يكونُ فيه هو الذّليل
٥ قالوا: ملائكةُ العذابِ على جهنَّم هم قليل
٦ هم تسعُ عشرة إنَّهم عددٌ قليلٌ بل ضئيل
٧ لن يقدروا أن يغلبونا، إنَّهم خَصْم هزيل[٣]
٨ بل سوف نقتلهم جميعاً لوأتى معهم مثيل[٤]
٩ إذ كلّ مئة يَبطشونَ بواحد، هذا دليل
١٠ يوم القيامةِ إنَّنا سنكون من أقوى القبيل[٥]
١١ بئس المَقال مقالُهم، ذاكُم هو الفَهم العليل
١٢ عدد الملائك فتنةٌ للجانحين عن السَّبيل
١٣ والمؤمنونَ يزيدهمُ قرباً من المولى الجليل
١٤ أو هكذا قال الإله، وأخبر الهادى النَّبيل

---

(١) فى ليل طويل: يتسمعون للقرآن طوال الليل أعجابا.

(٢) يوم العويل: هو يوم القيامة.

(٣) خصم هزيل: ضعيف.

(٤) لو أتى معهم مثيل: لو تضاعف عدوهم.

(٥) من أقوى القبيل: الفريق الأقوى.

المعنى الاجمالى للمقطع ٧٦ جـ ١

لقد دأب المشركون على التسمع للقرآن الكريم – كما أسلفنا – وذلك خلسة فى جنح الظلام، إعجابا بفصاحته وبلاغته.. بحيث أنهم سمعوا الكثير منه وحفظوا الكثير من آياته أيضاً.

مما سمعوه من آيات القرآن، آيات فيها وعيد شديد للمشركين، لكونهم أعرضوا عن سماع الحق، والانقياد له.. ولا غرو فهم قد أعرضوا عنه، عناداً وجحودا وأستكباراً.

يوم القيامة ليس هناك أصحاب ولا أحباب ولا ينفع أحد أحداً.. فى ذاك اليوم سوف يكون المتكبرون أذل المخلوقات، ذلك لأنهم شاركوا الخالق العظيم فى أخص صفاته، التى تفرد بها، ولا ينبغى لأحد أن يتصف بها، ألا وهى صفة الكبر.. ولذا فقد قال المعصوم ﷺ:

«يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان» رواه الترمذى.

مما سمعه المشركون من آيات القرآن الكريم، أن ملائكة جهنم عددهم قليل، هم تسعة عشر ملكاً.. إنه عدد قليل بل ضئيل، ومن فهم لن يستطيعوا أن يغلبونا، بل نحن الذين سوف نغلبهم ونقتلهم جميعاً، ولو جاء معهم مثلهم.

ولنسمع إلى عدو الله أبى جهل يعبر عن ذلك المعنى بقوله:

يا معشر قريش! يزعم محمد أن جنود الله الذين سوف يعذبونكم فى النار، ويحبسونكم فيها، هم تسعة عشر ملكاً، وأنتم يا قوم أكثر الناس عدداً وكثرة، أفيعجز كل مئة رجل منكم عن واحد منهم؟!

ولنستمع إلى الوحى إذا جاء بالرد الشافى على سذاجة ذلك المأفون، الذى تصور بأن الملائكة كالرجال سواء فقال عز وجل:

«وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا.. الخ» لقد جعل الله عدد الملائكة على جهنم، فتنة للكافرين، وزيادة إيمان للمؤمنين.

مقطع رقم ٧٧ جـ ١

أبو بكر يعتق بلالا وستة آخرين

١ قد شدّد الكفّارُ قبضتهم على المستضعفين [١]
٢ منهم بلالٌ صاحب القول الذى أغرى البنين [٢]
٣ من شدَّة التَّعذيب صار يقولُ أحد فى أنين
٤ أطفالهم قد ردَّدوا معه الهُتاف مُتابعين
٥ هذا أبو بكر رآه يئنُّ فى وضْع مُهين
٦ قد عذَّبوه بقسوةٍ يا بئس قوماً ظالمين
٧ فوراً أبو بكر يُخاطِبُ ذلك الوغِد اللّعين
٨ ذاك ابنُ خَلف قلبه فى قسوةِ الصَّخر المتين
٩ ناداه قال: اتركْ بلالًا فاخْشَ ربَّ العالمين
١٠ اتركهُ إنِّى أفتديه بكلِّ غالٍ أو ثمين
١١ اتركهُ هاك فداءهُ عبداً غليظًا لا يلين [٣]
١٢ قال ابنُ خلف: هاتِهِ وأذهبِ بهذا المستكين [٤]
١٣ فوراً بلالٌ صار حُراً فى عِدادِ المسلمين
١٤ من بعده قد أعتق الصّدّيق ستاً آخرين

---

(١) المستضعفين: هم العبيد والاماء ممن أسلموا.

(٢) أغرى البنين: أعجبهم صوته وأنينه فقالوا مثله.

(٣) لا يلين: ذو قوة وقدرة على العمل.

(٤) المستكين: هو الضعيف الهزيل.

المعنى الاجمالى للمقطع ٧٧ جـ ١.

لقد تخبط المشركون فى آرائهم وأفكارهم، أجهدوا أنفسهم فى إتخاذ الوسائل التى تصوروها بسذاجتهم، مانعة من وصول دعوة محمد ﷺ، إلى الناس، بيد أن الدعوة كانت من القوة، بحيث أنها وصلت إلى كل قلب، فأشربتها النفوس الظامئة، بغية الوصول إلى واحه الايمان.

لما فشلت جهودهم وخططهم فى صد الدعوة، جن جنونهم، فعادوا إلى سيرتهم الأولى.. وسيلة الإرهاب والعدوان!!

فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحسبونهم ويعذبونهم.. فمن كان ضعيفاً منهم، فتنوه عن دينه، ومن كان قويا صبوراً ظل متمسكا بدينه.

كان بلال بن رباح صادق الإيمان، فصبر على البلاء والأذى، لم يضعف ولم يتراجع، إنه بلال صاحب القول المشهور.. صار قوله يتردد على ألسنة الصغار كأنه نشيد ذو لحن شجى!!.

عذبوا بلالا بأقصى ألوان العذاب فكان العذاب يزيده تمسكاً بدينه، ولم يزد على قوله «أحدٌ أحد» بصوت خافت من الضعف والإعياء.. والأطفال يرددون وراءه أحدٌ أحد.

فى تلك الأثناء – أثناء تعذيب ابن خلف لبلال – مر أبو بكر الصديق، فرأى بعينى رأسه ما يعانيه أخوه فى الدين بلال من العذاب القاسى.. فتوجه فوراً إلى أميه بن خلف، الذى كان سيد لبلال، فقال له.

أما تتقى الله فى هذا المسكين؟! فقال له أنت الذى أفسدته، فأنقذه مما ترى، فقال أبو بكر له: نعم عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك أعطيه به، فقال أبن خلف: قد قبلت قال: هو لك.

فاعطاه أبو بكر غلامه، وأخذ بلالًا فاعتقه.. ثم أعتق أبو بكر ستة آخرين هم:

١ – عامر بن فهيرة.

٢ – أم عبيس.

٣ – زنيره.

٤،٥ – الهندية وابنتها.

٦ – جارية بنى مؤمل.

مقطع رقم ٧٨ جـ ١
الأمر بالهجرة الأولى للحبشة

١ المشركـــون يُعذِّبـــون المسلـــمين للأفتتـــان[١]
٢ والمسلمون غدَوْا بمكّة لا أمان ولا ضمان
٣ لا يأمنون من الَأذى فى كل بيتٍ أو مكان
٤ أمّا النبىُّ فقد عراهُ الهمّ من كيدِ جبان[٢]
٥ قد بات يُعْمِلُ فِكرهُ، فالفِكرْ مُنطلقُ العِنان[٣]
٦ هبطتْ لوامعُ فكره فى كل أوديةِ البيـان[٤]
٧ حتى التقى فيها برأيٍ فيه جَهدٌ وامتحان[٥]
٨ قد كان ذاك هو القرارُ لهجرةٍ فيها الأمان
٩ نادى على أصحابـه فوراً أتـوهُ بلا[٦] توان
١٠ قال النبى لصحبه: فلتهجـروا أرض الهوان
١١ ولتنزلوا أرض النَّجاشى جاره قد لا يُهان
١٢ وهناك سوف تروْن عَدْلا صادقاً رُؤيا عَيان
١٣ أمرُ النبىِّ مُقدسٌ فى كلِّ عقل أو جنان
١٤ قد نفّذوهُ فهاجروا تركوا العذابَ والامتهان

---

(١) للافتتان: ليفتنوهم عن دينهم.

(٢) من كيد جبان: الجبناء هم الذين يعذبون الضعفاء.

(٣) فالفكر مطلق العنان: الفكر غير مقيد ولا محصور.

(٤) فى كل أودية البيان: سرح بأفكاره فى كل ناحية بحثا عن الصواب.

(٥) فيه جهد وأمتحان: مشقة وأختبار.

(٦) بلا توان: بلا تلكؤ أو تراخ.

المعنى الاجمالى للمقطع ٧٨ جـ ١

المشركون فى مكة، ضاعفوا من عدوانهم وأذاهم لضعفاء المسلمين، يحاولون أن يفتنوهم عن دينهم الذى اعتنقوه راضية به نفوسهم، مطمئنة إليه قلوبهم دون ضغط أو إكراه.

وهكذا، فقد أصبح المسلمون بمكة مهددين، لا يأمنون على أنفسهم من أن تنالهم أيدى أعدائهم المشركين، فى أى مكان تواجدوا فيه.. حياتهم قلقة غير مطمئنة، لا أستقرار ولا أمان، بل رعب وخوف ووعيد وعدوان.

أما محمد ﷺ، فقد تضاعفت آلامه وهمومه، وذلك لما يصيب أصحابه من الأذى على أيدى الجبناء الذين تجردوا من كل صفات الرحمة، فمن ثم بات يفكر فى أمر أصحابه المعذبين.. إنه فى حيرة، ماذا يصنع لكى يحمى أصحابه من عدوان أولئك الأوغاد؟!

إنه يقلب وجوه الآراء، ويذهب بأفكاره فى كل اتجاه، بحثاً عن رأى صائب، فى ظله يكون الأمان لأصحابه.. وأخيراً وبعد جهد مضن من التفكير الجاد.. وجد الحل، ذاك الحل هو: الهجرة إلى الجبشة.

لقد أمر النبى أصحابه بأن يهاجروا إلى الحبشة وقال: إن فيها ملكاً لا يظلم جاره، موصوف بالعدل والحكمة.. وسوف ترون عدلا صادقاً هنالك.

هيا أخرجوا من هذه الأرض التى قست عليكم، وضاقت بكم برغم اتساعها. ولسوف ترون العدل، وتجدون الأمن، ولن ينالكم سوء فى جوار النجاشى، لتبقوا هنالك إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا.

فوراً بادر المسلمون بتنفيذ أمر رسول الله ﷺ، حيث أمرهم بالهجرة إلى الحبشة.. فهاجروا فراراً من العذاب والإمتهان، بحثا عن الأمن والأمان.

نعم، لقد هاجروا من بلدهم، تاركين الأهل والاوطان.. لقد ضاقت عليهم بلدهم.. ضيقها عليهم طغاة مكة، بعدوانهم المستمر عليهم.. لقد قهروهم حتى يفتنوهم عن دينهم، بيد أنهم أبوا أن يستسلموا، فخرجوا فراراً بدينهم.

مقطع رقم ٧٩ جـ ١
الهجرة الأولى للحبشة

١ هُرِع الرِّجالُ مُهاجرين وكلهم يرجو السلام
٢ هم من خِيارِ المسلمين تعرَّضوا للإنتقام
٣ قد عذِّبوا فى أرضهم فليهجروا فيها المقام
٤ قد يمَّموا صوبَ النَّجاشى إنَّه ملكٌ هُمام
٥ فى أرضه وجدوا الأَمان فجاره لا لن يُضام
٦ واستقبل الأَحباشُ أضيافاً لهم بالإحترام
٧ عرفوا بأنّ القوم قد جاءوا إليهم من[1] ظلام
٨ وفدوا إليهم من بلاد قد رمتهم بالخصام
٩ لكنّ عشّاق[2] المتاعب لاحَقوهم بالسِّهام[3]
١٠ بالدَّسّ والكيدِ الخبيث لأَنَّهم قومٌ لئام
١١ قد أرسلوا وفداً لإغراءِ النَّجاشى باختصام[4]
١٢ همسوا إليه مع الهدايا، ما يثيرُ الإهتمام
١٣ لم يَستجب لمُرادهم قد كان عَدْلًا لا يُرام[5]
١٤ بل آثر السَّمعَ النَّزيهَ لكى يُجيدَ الاحتكام[6]

---

(١) جاءوا اليهم من ظلام: ظلام الحياة من ظلم الطغاة.

(٢) عشاق المتاعب: كفار قريش.

(٣) لاحقوهم بالسهام: سهام الدس والكيد.

(٤) لاغراء النجاشى باختصام: ليوغروا صدره عليهم.

(٥) عدلا لا يرام: لا يستطيع أحد أن يثنيه عن عدله.

(٦) لكى يجيد الاحتكام: ليستطيع أن يحكم بالحق.

المعنى الاجمالى للمقطع ٧٩ جـ ١

خرج المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ، من مكة كما أمرهم رسول الله، قاصدين أرض الحبشة فراراً بدينهم من بطش كفار مكة القساة، بحثاً عن الأمن والأمان، على حياتهم ومعتقداتهم.

هم بلا شك من خيار المسلمين.. عذبوا فى أرضهم، فصاروا غرباء فى بلدهم، إذن فالبقاء فى ظل الظلم ذل، ولا ينبغى للمؤمن أن يرضى بالذل.

خرجوا مهاجرين من الارض التى قست عليهم، وضاقت برغم اتساعها، توجهوا إلى أرض أخرى، إلى الحبشة، أرض العدل والخير.

وصل المهاجرون إلى أرض الحبشة، وهنالك حطموا رحالهم، بعد رحلة شاقة عسيرة أمتدت آلاف الأميال.. وفعلا لقد وجدوا الأمن والأمان فى الحبشة، فى جوار النجاشى ملكها العادل، فكان النجاشى بحق، كما وصفه رسول الله حيث قال:

«لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم مخرجاً كما مما أنتم فيه».

أما أهل الحبشة فإنهم كانوا بلا شك كراماً، فاستقبلوا القادمين إليهم من مكة بالترحاب والتكريم.. لقد عرفوا سبب مجيئهم إلى الحبشة هو كونهم عذبوا فى بلدهم لأجل دينهم وعقيدتهم.

بيد أن كفار مكة، عرفوا وجهة المهاجرين، ومحط رحالهم، فقرروا أن لا يتركوهم آمنين حتى وهم فى مهجرهم، بل يلاحقونهم بسهام الدس والكيد.. فأرسلوا وفدا من دهاة قريش، وزودوهم بالهدايا التى يحبها النجاشى ملك الحبشة وقساوسته.. وصل الوفد إلى الحبشة، وعند دخولهم على الملك، وتقديم الهدايا، همسوا إليه بقوله فيه تجن وافتراء على المسلمين.. ولكن النجاشى بعدله، لم يأخذ بقولهم، بل قرر أن يواجه المسلمين بما قيل عنهم ليدافعوا عن أنفسهم، وبالتالى يستطيع هو أن يحكم بالحق.

لا غرو أن من أخص صفات القاضى العادل هى: ألّا يحكم لأحد الخصمين الّا بعد أن يسمع من كل منهما حجته.. وهكذا فعل النجاشى، ملك الحبشة، فكان بهذا منصفاً.

مقطع رقم ٨٠ جـ ١
رسل قريش عند النجاشي

١ الوفد قالوا للنَّجاشي: إنَّنا رُسْل عدول[١]
٢ جئناك بالأخبار كي نرجوك في أمرٍ مهول
٣ أولادنا نزلوا بأرضك في الرحاب وفي القبول
٤ وجدوا الحمايةَ عندكُم، لا لن يخافوا من يصول[٢]
٥ لكنَّهم ليسوا بأهل للكرامة والنُّزول
٦ هم زُمرةٌ ضلُّوا الطَّريق وخالفوا كلَّ الأصول
٧ ولسوف يبغونَ الفساد بأرضكم بعد الوصول[٣]
٨ نرجوك أسلِمْهم إلينا كي يعودوا للمثول[٤]
٩ إذ إنَّهم ليسوا على دين يوافقُ للعقول
١٠ شذُّوا عن الأديان حتىَّ عبَّدوا نسل[٥] البتول
١١ وصفوا المسيح بأنَّه عبدٌ وذاك هو الفضول[٦]
١٢ قد خالفوا دين المسيح بقولهم ذاك الجهول
١٣ مُرْهم يعودوا صاغرين إلى الأبوةِ والكهول

---

(١) رسل عدول: أهل عدل وحق.

(٢) لن يخافوا من يصول: لن يمسهم أحد بسوء.

(٣) بعد الوصول: بعد أن يستقر بهم المقام.

(٤) يعودوا للمثول: للطاعة وعدم العصيان.

(٥) عبدوا نسل البتول: يقولون عن عيسى ابن مريم: عبد.

(٦) وذاك هو الفضول: التطاول.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٨٠ جـ ١

حينما دخل وفد قريش، الدين قدموا من مكة ليكيدوا للمسلمين، على النجاشى ملك الحبشة قالوا له:

أيها الملك العادل، إننا قوم نحب الحق والعدل، وقد جئنا إليك من بلدنا، موفدين من قبل قومنا لأمر هام.. إنه أمر خطير ومهول، ونحن لا نريد منك أيها الملك العادل، سوى العدل والإنصاف.

ولا غرو فأنت بالعدل معروف، وبتحرى الحق موصوف، وأخبار عدلك سارت بها الركبان!!

هذا الأمر هو:

أن جماعة من عندنا، من الخارجين على آبائهم وذويهم، نزلوا بأرضكم، وفعلا لقد قوبلوا منكم بالترحيب والتكريم.. وقد استقبلهم شعبكم بالحب وكرم الضيافة، وقد وجدوا الأمن والطمأنينة فى جواركم وهذا حسن وجميل.

بيد أن الأمر سوف يختلف كثيراً، حين تعلمون أمرهم، وعرفتم الأسباب التى من أجلها خرجوا من بلدهم، تاركين أهليهم وذويهم.

فقال الملك النجاشى: ما حالهم؟!.

قالوا: إنهم زمرة ضلوا طريق الصواب، خالفوا كل المبادىء والعقائد التى ورثناها عن الآباء والأجداد.

لقد اعتنقوا ديناً لم يكن معروفاً لأحد من قبل، هذا الدين الذى اعتنقوه لا ترضاه العقول.. لقد شذوا عن الأديان كلها.. ونالوا من عيسى ابن مريم، قالوا عنه: إنه عبد، وهذا يعتبر تطاولاً.

ومن ثم فهم كما خالفوا دين آبائهم، أيضا خالفوا دين المسيح.. لذلك نرجوك أسلمهم إلينا، أو مُرْهم فليخرجوا من أرضك، كى يعودوا إلى أهليهم وذويهم صاغرين، فهم إن ظلوا بأرضكم، فسوف يفسدون شعبكم بأفكارهم المسمومة.

مقطع رقم ٨١ جـ ١

جعفر بن أبى طالب مع النجاشي

١ نادى النجاشي جنده، هاتوا جميع المسلمين
٢ جاءوا وفيهم جعفرٌ[١] خيرُ الشبَّاب الطَّائعين
٣ سأل النجاشي جعفراً، ما دينكم فى العابدين؟!
٤ فأجابه فى حكمةٍ فى فطنةِ المُتحدِّثين
٥ إنا – أبيْت اللعن – كنَّا قبل هذا مُشركين
٦ إذ نعبدُ الأصنام كفراً بِئس ما كنَّا[٢] ندين
٧ بل نقطعُ الأرحام لا نأتى خواصَّ الأقربين
٨ أونقتل الفتيات من فقر وعارٍ ظالمين
٩ من بعد ذلك جاءنا هاد[٣] هدانا أجمعين
١٠ هو من خيار القوم فينا قد تسمَّى بالأمين
١١ نادى إلى ترك الذى كنَّا له[٤] مُتوارثين
١٢ لا تعبدوا تلك الحجارة، بل إلهَ العالمين
١٣ لمَّا علمنا صدقه، فوراً أجبنا مُسرعين
١٤ فعدا علينا قومُنا[٥] فى غلظة مُتجبِّرين
١٥ لم نستطع لقتالهم، جئنا إليك مُهاجرين

---

(١) جاءوا وفيهم جعفر: هو جعفر بن أبى طالب.

(٢) بئس ما كنا ندين: بئس ما كنا نعبد من دون الله.

(٣) جاءنا هاد: هو محمد رسول الله.

(٤) كنا له متوارثين: أى عبادة الأصنام.

(٥) فعدا علينا قومنا: اعتدوا علينا.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٨١ جـ ١

لقد سمع النجاشى ملك الحبشة، إلى مقالة وفد مكة، وقد كانت كلها موجهة ضد المسلمين الموجودين فى الحبشة مهاجرين.

بعد أن استمع إلى وشايتهم المفسدة، نادى على جنده فقال لهم: أحضروا كل المسلمين الذين وفدوا من مكة، وهم يقيمون الآن فى أرضنا.

وجىء بالمهاجرين إلى قصر الملك النجاشى.. واختار المهاجرون جعفر بن أبى طالب ليتحدث مع الملك نيابة عنهم.. ودخل جعفر إلى مجلس النجاشى، فأدى التحية، وأذن الملك له بالجلوس، ثم سأله قائلا:

ما دينكم؟! وماذا تعبدون؟! فأجابه جعفر فى حكمة وفطنة، ونور الإيمان يملأ نفسه فقال:

أيها الملك! كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيىء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى أرسل الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافته.. فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة وصلة الرحم، وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة.. وأمرنا أن نقيم الصلاة، ونؤدى الزكاة وصوم رمضان.. فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله.

فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئا، وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحْللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومُنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان.. فلما قهرونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

لقد وفق جعفر إلى لباب المعانى، فى حديثه للملك النجاشى.. إذ لم يعمد إلى الحشو والإطناب، بل أوجز بحيث لم يكن فى إيجازه قد أخل بالمعنى المراد.. وهكذا تكون مخاطبة العظماء.

لا غرو فجعفر من آل بيت النبوة، وهو إن لم يكن أكبر وأعظم من الملك النجاشى قدراً، بانتمائه إلى الدوحة الطاهرة، فهو على الأقل مساوٍ له.. ومن ثم فالمخاطبة كانت بين متساويين، فعظمة النجاشى بالصفة المكتسبة، وهى المُلْك، وعظمة جعفر بانتمائه إلى النسب الشريف.

مقطع رقم ٨٢ جـ ١

النجاشي يستمع لجعفر فى خشوع

ظل النَّجاشى سامعاً لحديث جعفر للنِّهاية
رانت عليه[١] سكينةٌ من قوله منذُ البداية
قال النَّجاشى سائلا، فلتخبرونى ما الرِّواية؟!
ما قولكُم فى شأن عيسى؟! هل لكم فيه[٢] الهداية؟!
ما قولكم فى أمِّه العذراء هل آتت[٣] جناية؟
فأجاب جعفرُ، كان ذا علم وفهم فى دراية
كانت إجابتهُ مِنَ[٤] القرآن يتلو فى عناية
حتى انتهى من ذكر مريم والمسيح بلا كناية
من ثمَّ قال: فذا كلامُ الله فى تلك الحكاية
هذا المسيح أتى إلى الدنيا بغير أب لغاية
هو نفخةٌ من روح ربِّ العرش أعطاه الرِّعاية
أما البتول[٥] فإنَّها عذراءُ لم تأتِ الغَواية
بل إنَّها نالت مقاماً سامياً، وهو الولاية
الرزقُ كان يجيئها من ربِّها فيه الكفاية
لقد اصطفاها ربُّها، ولقد تربَّت فى الوصاية[٦]

---

(١) رانت عليه سكينة: غشيته هيبة ووقار.

(٢) هل لكم فيه الهداية: هل أنتم مؤمنون به.

(٣) هل آتت جناية: هل قارفت جريمة الزنا.

(٤) من القرآن: من سورة مريم.

(٥) البتول: هى مريم العذراء الطاهرة.

(٦) تربت فى الوصاية: فى كفالة زكريا.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٨٢ جـ ١

لقد تحدث جعفر أمام النجاشي ملك الحبشة، فأجاب عن كل الأسئلة التى وجهها إليه الملك.

كان النجاشي يستمع لحديث جعفر فى خشوع، وقد علاه الوقار والهيبة، وغشيته سكينة زادته هيبة ووقاراً، ذلك لأنه يستمع إلى قول الصدق ومنطق العدل.

لقد أعجب النجاشي بفصاحة جعفر وفطنته.. وبعد أن انتهى جعفر من حديثه الذى دحض به مفتريات المشركين وزيفهم، وكشف الحقيقة أمام الملك النجاشي عن سبب خروجهم من بلدهم مهاجرين، تاركين وراءهم الأهل والأموال والأولاد.. والوطن أيضا.

قال النجاشي بعد أن سمع مقالة جعفر إنى سائلك عن أشياء، فأجبنى بكل صدق عما اسألك، قال جعفر: سل أيها الملك، فإننى لا أكذب وديننا الذى اعتنقناه ينهى عن الكذب، ويمقت الكاذبين، ويتوعدهم بالويل والثبور فى نار جهنم، فقال النجاشي:

ماذا تقولون عن عيسى أبن مريم؟! هل عندكم علم عنه؟! وما قولكم فى مريم أمه؟! وهل تعتقدون أنها ارتكبت جريمة الزنا كما يزعم اليهود؟!.

فأجاب جعفر قائلا: أما عيسى ابن مريم وأمه، فقد وردت فى القرآن الكريم قصتهما واضحة لا تحتمل الشك. ولا غرو فنحن نؤمن بكل ما جاء فى القرآن الكريم، ذلك لأنه كلام الله عز وجل.

فقال النجاشي: هل معك من ذلك القرآن شيء؟! قال جعفر: نعم، قال النجاشي: فأسمعنيه، فقرأ جعفر صدر سورة مريم، إلى أن أنتهى من تلاوته، فبكى النجاشي حتى أخضلت لحيته، وبكى أساقفته أيضا.

ثم قال جعفر: هذا أيها الملك العظيم، قول الله فى مريم، فإنها عذراء طاهرة.. وأما عيسى، فهو روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم.. وكونه بغير أب فذاك أمر يعلمه الله عز وجل.

مقطع رقم ٨٣ جـ ١

النجاشي يطرد وفد قريش

١ قال النجاشي بعد ما عرف الحقيقة بالسُّؤال
٢ هذا بيانٌ مُشرقٌ فيه البلاغةٌ والجمال
٣ لا شك هذا من كلام الله ربِّي ذى الجلال
٤ هو والذى نادى به عيسى شبيةٌ فى المقال(١)
٥ نادى على الوفد الّذى يرجوه تسليمَ الرِّجال
٦ هم وفدُ مكةَ ليس فيهم أىُّ عَدلٍ واعتدال
٧ قال: اخرجوا من أرضنا لا تطلبوا منىٌ المحال(٢)
٨ نادى على رهْبانه، جاءوا ببطْءٍ واختيال
٩ قالوا له: لبّيك قال: لتسمعونى بامتثال(٣)
١٠ ردّوا الهدايا للرِّجالِ الكاذبين ذوى الضلال
١١ نظر النَّجاشى نحوَ جعفر فى رضاءٍ ثمَّ قال
١٢ أنتم على حقٍّ وهم أهل الضَّلال بلا جدال
١٣ مَرْحى بكم فى أرضنا حتىّ تريدوا الإرتحال
١٤ سيروا بأرضى آمنين، ولا تخافوا من قتال(٤)

---

(١) شبيه فى المقال: متشابهان.

(٢) لا تطلبوا منى المحال: المستحيل.

(٣) لتسمعونى بأمتثال: أمثلوا لأمرى.

(٤) لا تخافوا من قتال: من عدوان عليكم.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٨٣ جـ ١

بعد أن عرف النجاشى ملك الحبشة، الحقيقة كاملة، وذلك من كلام جعفر بن أبى طالب.. فلقد وفق فى رد الاتهامات التى وجهت للمسلمين.. وكان بليغاً فصيحاً.. وبعد الحديث بدأ تلاوة القرآن الكريم من أول سورة مريم.

هذه السورة: تحدثت عن مريم وابنها بإفاضة.. ذكرت حمل مريم بعيسى، ومجيىء الملك إليها، وعن كيفية ميلاد عيسى، وكلامه حين هبط من جوف أمه، إنه حديث مشرق بالمعانى السامية، فيه تنزيه لكل من مريم وابنها. وفيه دفاع عن مريم مما لحقها ونال منها من الإتهامات الفاسدة، على ألسنة اليهود الأوغاد، فقد أتهموها بالزنا مع يوسف النجار.

بعد أن استمع النجاشى ملك الحبشة لتلاوة جعفر، عقب قائلا:

«إن هذا والذى جاء به عيسى ابن مريم ليخرج من مشكاة واحدة».

لقد تبين النجاشى الحقيقة مما سمعه.. وعرف بأن وفد قريش أرادوا أن يوغروا صدره على المهاجرين.. فمن ثم نادى على وفد قريش فقال لهم:

إنكم أهل ضلال وفساد، ومع هذا فأنتم تطلبون منى المحال.. أتريدوننى أن أعطيكم رجالا مؤمنين؟! لتفتنوهم عن دينهم، وتردوهم إلى عبادة الاصنام بعد أن رأوا النور، وذاقوا حلاوة الإيمان؟! لا لن يكون هذا أبدا.

فلتخرجوا أنتم من أرضنا، فلا بقاء لكم فى بلادنا، ثم نادى على رهبانه، فجاءوا يمشون الهوينى فى بط واختيال، فقال الملك لهم:

ردوا الهدايا للقوم الذين جاءوا من مكة للدس والوقيعة، فهم أهل ضلال وشر وكذب، وبهتان، ثم التفت إلى جعفر وأصحابه فقال لهم:

مرحى بكم فى أرضنا، منذ أن قدمتم إلى أن ترحلوا عائدين إلى بلدكم فالأمان لكم مع حسن الجوار، على الرحب والسعة، فلن ينالكم أحد بسوء هنا.

مقطع رقم ٨٤ جـ ١
أسلام عمر بن الخطاب

١ الوفد عادوا خائبين إلى قريش فى البلاد
٢ الحزنُ ران[١] على قريش يَومها مثل الحداد
٣ تالله قد نالوا الهزيمة من لَدُنْ ربّ العباد
٤ هذا نجاحٌ وانتصارٌ للعقيدةِ والجهاد
٥ ولقد توالى نصرُ كلّ المسلمين على العناد
٦ قد آمن الفاروقُ[٢] طوعاً دون حربٍ أوْ جلاد
٧ قد كان للإسلام خَصْماً عاتياً فيه اعتداد
٨ لقد التقى بالمصطفى مُستسلماً سهل القياد
٩ من حكمة هتفت بها أختٌ له عند احتداد[٣]
١٠ من آية القرآن مسَّت منه أعماق الفؤاد
١١ من دعوةِ الهادى وقد كانت إلى دينِ الرَّشاد
١٢ قد بدَّد الإيمان من أعماقه كلّ الفساد
١٣ بل صار من خير الصَّحابةِ قوله فيه السَّداد
١٤ هو واحدٌ من عشرةٍ قد بُشِّروا نالوا المراد[٤]

---

(١) الحزن ران على قريش: غشيهم الحزن والفشل.

(٢) قد آمن الفاروق: هو عمر بن الخطاب.

(٣) عند احتداد: لحظة انفعال.

(٤) نالوا المراد: هو أحد العشرة المبشرين بالجنة.

المعنى الاجمالي للمقطع رقم ٨٤ جـ ١

لقد عاد وفد السوء، وفد مشركي مكة من الحبشة خائبين، الخيبة تلازمهم، لقد ذهبوا ومعهم الهدايا إلى ملك الحبشة ليوغروا صدره على المسلمين الموجودين عنده.. فلم يفلحوا وردت سهام كيدهم إلى نحورهم، لقد عادوا بخفي حنين.

لقد حزنت قريش على فشل وفدهم، في تحقيق أمر ظنوه ناجحاً.. إنهم لم يحسبوا حساب الفشل، فأخطأوا في حساباتهم.. فكان ذلك هزيمة لهم، وهو في نفس الوقت يعتبر انتصاراً لعقيدة التوحيد، على عقيدة الشرك..

وبعد ذلك، توالت إنتصارات المسلمين في كثير من المجالات، على المشركين لا في مجال الحرب والطعان فحسب، ولكن في مجال العقيدة والإيمان أيضا وكان للإيمان أن ينتصر طال الزمن أم قصر، مصداقاً لقول الله عز وجل:

«وكان حقا علينا نصر المؤمنين» جزء من آية رقم ٤٧ سورة الروم.

وقبل أن تفيق قريش من ترنحها إثر الضربة التي تلقتها، ممثلة في فشل وفدها إلى الحبشة، إذا بضربة أخرى عنيفة تنزل عليها مثل الصاعقة..!

تلك الضربة العنيفة كانت هي: إسلام عمر بن الخطاب.. لقد أسلم عمر، وانضم إلى صفوف المسلمين، ذلك الرجل الذي كان خصما عنيدا للإسلام والمسلمين، أصبح قوة لهم وخصما لخصومهم.

وسبب إسلام عمر، أنه خرج يوما متوشحاً سيفه، يريد قتل محمد ليريح الناس منه– كما زعم – فلقيه رجل كان يخفي إسلامه فقال له:

إلى أين تريد يا عمر؟!

فقال: أريد محمداً هذا الصابىء الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامهم فأقتله، فقال له الرجل: لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر، أترى عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً؟! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم!!!.

فقال عمر: وأي أهل بيتي تعني؟! قال: أختك فاطمة وزوجها، لقد أسلما وتابعا محمداً على دينه، فرجع عمر وطرق باب أخته، وكان عندها زوجها، خباب بن الأرت معه صحيفة يقرئها إياها، فقال عمر لأخته: هاتي الصحيفة، فأبت فلطمها فسال الدم، فقالت له بقوة:

إنك نجس يا عمر، فاذهب فاغتسل حتى أعطيكها، فاغتسل، فقرأ الصحيفة، فأعجبه نظم القرآن.. لقد صار عمر من خير الصحابة وكان مسددا في قوله، وهو من العشرة المبشرين بالجنة.

مقطع رقم ٨٥ جـ ١

عمر يقود المسلمين للصلاة والطواف

١ مُنذْ أسلم الفاروقُ فوراً عزَّ شأنُ المسلمين

٢ فرحٌ لكلِّ المسلمين وخيبةٌ للمشركين

٣ عمر يقود المسلمين لكى يُصلّوا آمنين

٤ صلُّوا وطافوا بالعتيق مُهلِّلين مُكبِّرين

٥ لم يستطيعوا قبل هذا أن يُصَلّوا معلنين

٦ باتت قريشٌ فى حسابٍ هزَّها الخطب[1] المهين

٧ الشرُّ فى أعماقهم قد خالط الحقد الدَّفين

٨ قد أبرموا أمراً عظيما بئس قوماً ظالمين

٩ قد قرّروا عزل النبّى وقومه والمؤمنين

١٠ فى ذلك الشِّعبِ الذى شَهِد المذلّة[2] والأنين

١١ وشروطهم كانت هى الإجحافُ والظُّلم المبين

١٢ أن لا زواج ولا شراءَ ولا لقاءَ بأقربين

١٣ كتبوا صحيفةَ ظلمهم[3]، كانوا عليها شاهدين

١٤ فى جوفِ بيتِ الله قد ظلّت ثلاثاً من سنين

١٥ قد كانَ هذا كي يموتوا أو يعودوا صاغرين

---

(١) هزها الخطب المهين: هو حادث إسلام عمر بن الخطاب.

(٢) شهد المذلة والأنين: آلام الذين عزلوا فيه.

(٣) صحيفة ظلمهم: الصحيفة التى دونوا فيها شروط الظلم.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٨٥ جـ ١

لقد كان المسلمون قبل أن يسلم عمر بن الخطاب، لا يستطيعون الجهر بعباداتهم، كما لا يستطيعون الطواف بالكعبة أو يصلون عندها.

بيد أنهم منذ أسلم عمر بن الخطاب شعروا بقوة واعتزاز، إن هذا يعتبر بلا أدنى شك انتصاراً للمسلمين على المشركين.

ولا غرو فبعد أن كان عمر بن الخطاب، من ألد أعداء الإسلام والمسلمين، أصبح اليوم واحداً من المسلمين، وبالتالى صار درعا وسنداً للإسلام والمسلمين.

فرح رسول الله ﷺ بإسلام عمر بن الخطاب، وفرح المسلمون أيضا فرحا لا مزيد عليه بإسلامه.. وبقدر ما كان المسلمون فرحين بإسلام عمر، كان المشركون مغمومين محزونين، بل أصابهم الذعر لهذه الظاهرة الخطيرة.

وبالأمس القريب أسلم حمزة بن عبد المطلب، واليوم أسلم عمر بن الخطاب، وكل واحد من الاثنين: حمزة وعمر، يعتبر ركنا وقوة وعزة للمشركين قبل إسلامه، وها هما الاثنان قد أسلما، فأصبحا مع المسلمين قوة وسندا.

طار صواب مشركى مكة.. فلقد جاهرهم عمر بإسلامه، بل قاد المسلمين، وصلى عند الكعبة وطاف بها والمسلمون معه.

أما شيوخ قريش، فقد ساءهم هذا الأمر، فأخذوا يعيدون حساباتهم على ضوء الأحداث الأخيرة، ولا غرو فهم أهل حقد وشر، لقد امتزج الشر فى أعماقهم بالحقد، فصار كالنار المتأججة يحرق قلوبهم، وقد تبلور حقدهم هذا فى صورة خطة شريرة فاسدة.

لقد قرروا ويا بئس ما قرروا، قرروا عزل محمد وأصحابه وعصبة محمد أيضا، فى شعب أبى طالب، أن يحصروهم فى ذلك الشعب.. فلا يتصل بهم أحد من قريش.. لا يبيعون إليهم، ولا يبتاعون منهم، ولا يزوجونهم، ولا يتزوجون منهم.. كتبوا هذه الشروط فى صحيفة علقوها فى جوف الكعبة، ظلت ثلاث سنوات.

مقطع رقم ٨٦ جـ ١
رسول الله والمسلمون فى الشعب

١ صار النبىُّ وصحبه فى الشِّعبِ يا بئس المكان
٢ ظلُّوا ثلاثا من سنينِ الظُّلم من عمرِ الزَّمان
٣ ضاقت عليهم كلُّ أسبابِ الحياة فلا أمان
٤ والمشركون على العداوةِ قد أصرّوا بامتهان[1]
٥ قد جفّ فيهم[2] كلُّ خير كلّ عطفٍ أو حنان
٦ لم يتركوا أحداً يُقاربُ شِعْبهم إلّا يُهان
٧ لكنّ بعض المُشركين أساءهم هذا الهوان
٨ فتلاوموا وتعاتبوا همساً وليسوا للعَيان
٩ قد قرّروا نقض الصَّحيفة إنَّها تحوى[3] الرّهان
١٠ وتواعدوا ليُمزِّقوها بالعزيمةِ والسِّنان[4]
١١ وجدوا الدّوَيْبَةَ[5] قد محت آثارها إلّا البيان
١٢ هو «باسمك اللهم» ظلّت شاهد الفعل الجبان
١٣ قد أخبر المعصوم عن هذا بمصدوق اللسان

---

(١) أصروا بامتهان: المبالغة فى الاهانة.

(٢) جف فيهم كل خير: كناية عن الغلظة وشدة القسوة.

(٣) إنها تحوى الرهان: الشروط الظالمة مسجلة فيها.

(٤) بالعزيمة والسنان: بالقوة وبحد السيف.

(٥) وجدوا الدويبة: هى حشرة «الأرضة»

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٨٦ جـ ١

لقد تم عزل محمد ﷺ، والمسلمين معه، وبنى هاشم عصبته أيضا فى شعب أبى طالب.

ظلوا فى ذاك الشعب أعواما ثلاثة، أمضوها فى حرمان تام، فكانت كأنها ثلاثة قرون، عانوا خلالها مرارة الحرمان، وشظف العيش، وقسوة الحياة.

وللانسان أن يتصور حياة قوم، حوصروا بين جبلين، مُنِعوا من الاتصال بالآخرين، لا يبيعون ولا يبتاعون من أحد.. ولا يزوجون أحداً ولا أحد يتزوج منهم أيضا.. ظلم وإجحاف وقسوة وغلظة.

قلوب تجردت من الرحمة والإيمان، فكانت كالحجارة أو أشد قسوة من الحجارة. ظل المشركون يواصلون حصارهم للمسلمين فى شعب أبى طالب، من كل منافذه، عيونهم مفتوحة، لم تغفل لحظة عن المراقبه الدقيقة، بحيث لم يستطع أحد من المشركين المتعاطفين مع المسلمين، أن يتصل بهم إلا نادراً، وذلك فى لحظات تغفل فيها أعين الرقباء.

هذا أحد المشركين ممن لهم بالمسلمين فى شعب أبى طالب صلة، تحركت فيه دوافع الرحمة والتعصب لذوى قرابته، فهمس إلى صديق له بما يختلج فى صدره تجاه المسلمين المحاصرين فى الشعب، فوجده يشاركه نفس الشعور، وانضم للاثنين ثلاثة آخرون، فصاروا خمسة.. قال الخمسة بعضهم لبعض، فلنمزق الصحيفة الظالمة المعلقة فى جوف الكعبة، تلك التى تقضى بحرمان أولئك المساكين من أدنى حقوقهم فى الحياة.

فى الصباح، تنادوا عند الكعبة، ففتحوا بابها عنوة، واقتحموها ليمزقوا الصحيفة الظالمة، فوجدوا «الأرضة» قد أكلت الصحيفة كلها، فلم تترك منها سوى كلمة «باسمك اللهم» هذه الجملة ظلت شاهدا على ظلم وقع على أهل التوحيد، وكان رسول الله ﷺ قد أخبر عمه أبا طالب بأن الأرضه قد أكلت الصحيفة.. وقد تبين صدق محمد ﷺ لعمه.

لقد فرح أبو طالب عم النبى ﷺ، حينما تحقق من صدق ابن أخيه، وبرغم أنه كان لا يشك فى صدقه، إلا أن هذه الواقعة، أسعدته أكثر، بيد أنه رغم هذا، ظل على شركه، ولم يؤمن.

مقطع رقم ٨٧ جـ ١

العاص بن وائل يماطل الخباب

١ هذا هو العاصُ بنُ وائل من كبارِ المشركين
٢ مع واحدٍ من خيرِ أصحابِ النبّى المخلصين
٣ كان اسمه[١] الخبّاب لكن من خيارِ المؤمنين
٤ قد كان حدّاداً بمكةَ صانعاً فى[٢] الماهرين
٥ إذ يصنع الأسياف ثم يبيعها للرّاغبين
٦ لقد استدان العاصُ من خبّاب مثل الآخرين
٧ قد كان ينوى أن يُماطله بأُسلوب مُهين
٨ فأتاه خبّابٌ ليطلبَ حقّه كالدّائنين
٩ فأجابه المأفونُ قال مقالة المستهزئين !!
١٠ إن كان حقًّا ما يقول محمدٌ للمُسلمين
١١ عن جنّة فيها نعيمُ للرجال الصّالحين !
١٢ فلتأتنى فيها[٣] تجدْ مالى كثيراً والبنين
١٣ وهناك سوف تنال حقّك إنّنى فى المحسنين
١٤ هذا الحوار مُسجّلٌ فى مُحكمِ الذّكر[٤] المبين
١٥ فلتقرأُوهُ فإنّه نورُ القلوب إلى اليقين

---

(١) اسمه الخباب – هو الخباب بن الأرت.

(٢) صانعا فى الماهرين – ماهر فى صنعته.

(٣) فلتأتنى فيها – أى فى الجنة.

(٤) فى محكم الذكر المبين – فى سورة مريم.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٨٧ جـ ١

العاص بن وائل السهمى، أحد زعماء قريش وساداتها، فى حوار مع أحد أصحاب رسول الله ﷺ، مع الصحابى الجليل الخباب بن الأرت، هذا الرجل يعتبر من الرعيل الأول، السابقين إلى الإسلام.. كان حدادا بمكة، يصنع الرماح والسيوف والخناجر، ثم يبيعها لكل من يرغب من الناس.

فى أحد الأيام، جاءه العاص بن وائل – المشار اليه آنفا – فابتاع منه أسلحة على أن يكون الثمن دينا، يدفعه العاص فى أجل حدده الإثنان راضين به.

مضت الأيام، وحل الأجل المحدد لسداد الدين، ولم يأت العاص لكى يسدد ما عليه من دين للخباب كما اتفقا.

ذهب الخباب إلى العاص، وطالبه بسداد ما عليه من دين، فقد حل الأجل المحدد لسداده.. فماذا كان جواب العاص عليه؟!

ألا بئس ما أجاب به اللعين.. فلقد قال: يا خباب! أليس يزعم محمد صاحبكم، هذا الذى أنت على دينه، أن فى الجنة ما يبتغى أهلها، من ذهب أو فضة؟! أو ثياب أو خدم؟! قال خباب: بلى.

قال: فأنظرنى إلى يوم القيامة يا خباب، حتى أرجع إلى تلك الدار، فأقضيك هنالك حقك، فوالله لا تكون أنت ولا أصحابك يا خباب، آثر عند الله منى، ولا أعظم حظا فى ذلك!!.

وللمرة الثانية ينزل فى عدو الله قرآن، بناء عن قول قاله، فى المرة الأولى كانت دفاعا عن رسول الله، لما قال عنه: إنه أبتر. ليس له أولاد، فنزلت سورة الكوثر، وفى هذه المرة كانت لأجل أصحاب رسول الله، وهذا ما أنزل بشأنه:

«أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا. أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا. كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا. ونرثه ما يقول ويأتينا فردا»[١].

ألا فلنقرأ القرآن الكريم، فهو نور للقلوب يبدد ظلماتها، ويجلو صداها.

---

(١) سورة مريم الآيات من ٧٨ – ٨٠

مقطع رقم ٨٨ حـ ١

قالوا عن القرآن : أساطير الأولين

١ المصْطَفى في مجلِس لِلْقَوْم يَدْعُو لِلْوَلَاء (١)
٢ يَتْلو مِنَ الْقرآنِ قَولاً يَمنَحُ النَّفْسَ الرِّضَاء
٣ فِيهِ البِشَارَةُ لِلّذِينَ عَلَى طَرِيقِ الإهْتِداء
٤ أمّا الْوَعِيدُ فِلِلّذِينَ عَلَى سُلوكِ الإلتِوَاء (٢)
٥ مِنْ قَبْلِهِمْ أُمَمٌ أصيبوا بِالدمَارِ وَبالْفَنَاء
٦ بَعْدَ انْصِرافِ مُحمّدٍ وَتِلَاوَةٍ فيها الصَّفَاء
٧ النَّضْرُ (٣) يَأْتِي بَعْدَهُ ويَقُولُ قَوْلَ الإفْتِراء
٨ يَحْكِي لَهُمْ أخْبَارَ فَارِسَ في مَقَالٍ كَالْهُرَاء (٤)
٩ ويَقُولُ : إنِّي خَيْرٌ مِنْ هَذَا الدَّعِيِّ (٥) بِلَا مِرَاء
١٠ لَا تَسْمَعُوا لِمقَالِهِ لَمْ يَأْتِهِ وَحيُ السَّمَاء
١١ فَمحُمّدٌ يَتْلو الأَسَاطِيرَ (٦) القديمة في ذَكَاء
١٢ تُتْلَى عَلَيْهِ بِكُلِّ حِينٍ في صَبَاحٍ أَوْ مَسَاء
١٣ ذَاكَ اللّعَينُ فَسَوْفَ يُلْقَى في لَظَى يَوْمَ اللقَاء (٧)
١٤ اللهُ أوْعَدَهُ وَسَوْفَ يَذوقُ نَارَ الإكْتِوَاء
١٥ وَيُخَاطِبُ الهَادِي بِأُسْلُوبِ المَوَدَّة وَالْوَفَاء
١٦ قُلْ : إنَّهُ تَنزِيلُ رَبِّي يَعْلَمُ السر الْخَفَاء

---

(١) يدعو للولاء – لطاعة الله .

(٢) على طريق الالتواء – للمعرضين عن الانقياد للحق .

(٣) النضر – هو النضر بن الحارث .

(٤) مقال كالهراء – قول لامعنى له .

(٥) الدعى – الكاذب .

(٦) الأساطير – الأبيات الستة الأخيرة من وحى أول سورة الفرقان .

(٧) يوم اللقاء – هو يوم القيامة .

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٨٨ حـ ٢

محمد ﷺ ، يجلس بين جمع من رجال قريش ، فيحدثهم عن الإسلام وتعاليمه المشرقة .. ويدعوهم إلى دين الله القويم ، وتوحيد الله عز وجل .. ويتلو على أسماعهم آيات من القرآن الكريم .. فيها من المعانى مايبث الطمأنينة والرضاء فى النفوس المؤمنة .

يبشر المؤمنين بالعاقبة الحسنة فى دار الخلد ، فى جنات النعيم .. وفى نفس الوقت يحذر المعرضين ، ويبصرهم بالعاقبة الوخيمة ، وينذرهم بالحساب والعذاب والخلود فى النار .

وأسمعهم أخبار الأمم السابقين ، وأنهم كانوا أكثر منهم مالا ، وأشد منهم قوة فأهلكهم الله بذنوبهم وظلمهم .

حينما ينتهى رسول الله ، من حديثه للقوم ، وتلاوة القرآن على أسماعهم ، ودعوته إياهم إلى دين الله ، حينما ينتهى وينصرف عائدا إلى بيته .. كان النضر بن الحارث ، يأتى من بعده فيخلفه فى مجلسه ، فيقص على أسماع القوم قصصاً من أخبار رستم السنديد ، واسفنديار وملوك فارس ، ثم يقول لهم : والله مامحمد بأحسن منى حديثا .. إن محمداً يقص عليكم من أساطير الأولين ، التى اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا .

وينزل القرآن الكريم ، فيحكى زعمه ويرد افتراءه فيقول :

« وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا ، قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما . » (١) وتوعد المأفون وأمثاله المكذبين المعرضين فقال :

« بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً ، إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا » (٢) .

---

(١) آيتا ٥،٦ سورة الفرقان .

(٢) آيتا ١١،١٢ سورة الفرقان .

مقطع رقم ٨٩ جـ ١
المشركون ومعبوداتهم فى النار

١ المشركون جميعهم أفكارُهم كانت سقيمه[١]
٢ قد مجّدوا الأصنام حتى أوردتهم للهزيمه[٢]
٣ عبدوا المسيح كذا العُزيْر كذا الملائكة الكريمه
٤ الوحى يرسم للنبىِّ محمدٍ دَرباً قويمه[٣]
٥ هى دربُ كلِّ الأنبياء السابقين هى السليمه
٦ فى حكمة تنأى به عن حُجة تبدو عقيمه[٤]
٧ فى مُحكم التنزيل قال الله أقوالا حكيمه
٨ للمشركين لأنهم ضلُّوا الطريق المستقيمه
٩ لا، لن تفروا فى القيامة من عواقبها الوخيمه[٥]
١٠ أنتم ومعبوداتكم حطبٌ إلى النار العظيمه
١١ أما المسيح كذا العُزيْر كذا الملائكة الرحيمه
١٢ لا يسمعون حسيسها أمِنُوا العقاب فلا جريمه
١٣ فى جنة الفردوس ذاك مُقامهم أهل العزيمة

---

(١) سقيمة – مريضة.

(٢) أوردتهم للهزيمة – للخسران يوم القيامة.

(٣) دربا قويمة – طريقاً معتدلًا.

(٤) تبدو عقيمة – لا إقناع فيها.

(٥) الوخيمة – الضارة.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٨٩ جـ ١

المشركون فى مكة تخبطوا فى معتقداتهم.. أصبحت أفكارهم مشتتة سقيمة قد طمستها الأهواء المعوجة، والمفاهيم المنحرفة.

تحجرت قلوبهم وقست، وجفت طباعهم وغلظت، تنكروا لكل منطق، وسدوا آذانهم عن سماع صوت العقل.. اتخذوا الأصنام آلهة يعبدونها من دون الله.

ولا غرو، فقد منيت الجزيرة العربية بالوثنية قديما.. كل من فى الجزيرة العربية، من عرب ويهود ونصارى، يؤمنون بتعدد الآلهة.

فمنهم من عكف على عبادة الأصنام، وهم مشركو مكة وما حولها، وفريق آخر من العرب عبدوا الملائكة، وهم بنو المليح.

أما اليهود فإنهم قالوا عن العزير، إنه ابن الله.. وأما النصارى فإنهم قد بزوا الجميع فى هذا الميدان.. لقد مجدوا المسيح حتى جعلوه إلهاً فعبدوه من دون الله!!!

والقرآن الكريم يتابع مسيرتهم المنحرفة، فيمسخ أفكارهم، ويفضح معتقداتهم، وينعى عليهم إنكارهم لعقولهم، وجحودهم للحقيقة الواضحة، وضوح الشمس فى رائعة النهار فيقول:

«وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بأفواههم.. الخ» [1].

والقرآن الكريم فى نفس الوقت، يرسم لمحمد ﷺ، المنهج القويم، الذى ينبغى أن يسير عليه.. إنه المنهج الذى سار عليه كل الأنبياء السابقين. هذا.. ولما أصروا على شركهم، وإذا القرآن الكريم ينذرهم، ويقرع أسماعهم كالجرس الرهيب.. بل يخاطب كل الأمم الوثنية من خلالهم فيقول:

«إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون. لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون [2]» ويقول فى حق المسيح والعزير والملائكة:

«إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون. لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون.. الخ» [3].

---

(١) آية رقم ٣٠ التوبة.

(٢) ٩٨، ٩٩ سورة الأنبياء. (٣) ١٠١، ١٠٢ سورة الأنبياء.

مقطع رقم ٩٠ جـ ١

النهى عن سب المشركين ومعبوداتهم

١ الأمر جاء إلى النبى محمد بعد الخطاب
٢ قد كان توجيها ونصحا والرسول لقد أجاب
٣ أن لا تسبوا المشركين فذاك أمر قد يُعاب(١)
٤ كُفوا عن الأصنام عن عُبَّادها كُفوا السُّباب
٥ إن لم تكفُّوا قد يسبُّون الإله لدى الجواب(٢)
٦ قد زيَّن المولى لهم ما كان سوءاً بالصواب
٧ يوم القيامة يُبعثون بغير شك للحساب
٨ قد سُجِّلت أعمالهم من غير ظلم فى كتاب
٩ كلٌ يرى أعماله من غير ستر أو حجاب(٣)
١٠ المحسنون وجوههم تبْيضُّ يا نِعْم الثواب
١١ فرِحوا بما قد قدَّموا أَمِنوا المذلة والعذاب
١٢ أما السواد فيعتلى بعض الوجوه والاكتئاب
١٣ ذاكم جزاء الكفر عند الله يا بئس المآب(٤)
١٤ هم فى جهنم يُحْرقون ولن يفروا من عقاب

---

(١) أمر قد يعاب – الاسلام ينهى عن السباب.

(٢) لدى الجواب – يسبون الإله كإجابة على سبابكم لهم.

(٣) من غير ستر أو حجاب – الأعمال سوف يجدها الإنسان مدونة مكشوفة يوم القيامة.

(٤) يا بئس المآب – المرجع.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٩٠ جـ ١

لقد كان المسلمون فى بدء الأمر لا يتورعون عن شتم المشركين، وذلك لأنهم يعبدون الأصنام.. وكان المشركون يردون على المسلمين بالمثل، وربما أكثر.

هذا، ولما كان الإسلام، دعوة عالمية.. إلى الأخلاق الحسنة، والسلوك القويم.

جاء الأمر من عند الله عز وجل إلى محمد ﷺ، يوجهه إلى السلوك الأمثل.. وهو النهى عن شتم المشركين وسبابهم، وعن سب معبوداتهم أيضاً.. فهذا ليس من الصواب ولا من الحكمة، ومن ثم نُهى المسلمون عن السباب فى أى صورة وبأى أسلوب.

ذلك لأن تبادل السباب بين المسلمين والمشركين، قد يجر إلى أكثر من سبابهم بعضهم البعض، فالمسلمون قد يسبون معبودات المشركين، حينئذ يسب المشركون معبود المسلمين، وهو الخالق العظيم.

لقد سجل القرآن الكريم هذه المعانى فى محكم تنزيله فقال:

«ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدْوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم.. إلخ»[1].

هنالك يوم القيامة سوف يجدون أعمالهم مسجلة فى كتاب لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.. كل إنسان سوف يرى أعماله مدونة فى كتابه، لأنه قد انكشف الغطاء، وأزيلت الأستار والحجب.

فى ذاك اليوم الرهيب، سوف تبيض وجوه المؤمنين، ويفرحون بما وجدوه مدونا فى صحائفهم من أعمال الخير.. والله عز وجل سوف يجزل لهم الثواب.

أما المجرمون فسوف تسود وجوههم، وسوف يحزنهم ما يجدونه مدونا فى صحائفهم من أعمال السوء والشر، بئس المآب مآبهم. وما أحسن ما عبر به القرآن الكريم عن هذه المعانى فقال:

«يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون.. وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون»[2]

---

(١)آية ١٠٨ سورة الأنعام.

(٢) آيتا ١٠٦، ١٠٧ سورة آل عمران.

مقطع رقم ٩١ جـ ١
المشركون ينكرون البعث بعد الموت

١ المشركـون تسمَّعوا القـرآنَ بالفهــم السقيم
٢ البعث بعد الموت أمرٌ عندهم لا يستـقيم[(١)]
٣ قد أنكروه بقوة، بل خالفوا العقل السليم
٤ جاء ابن خلف للنبى وكان ذا فكر عقيم[(٢)]
٥ فى كفِّه عظم تآكل جيىء من ميْت قديم
٦ قد قال للهادى: أجبنى فيم أنت به زعيم!
٧ هل أنت تزعم عن إلهك أنه يحيى الرميم؟!
٨ فَرَكَ العظـام بقـوة صارت ترابــا كالهشيم
٩ ألقى بها متحدِّيا طارت هبـاءً فى النسيم[(٣)]
١٠ فأجابه الهادى، نعم، هى قدرة المولى العظيم
١١ يحييه من بعد الممات، وتصْطلى نار الجحيم
١٢ هذا الحوار مُسجَّل فى رَوْضة الذكر الحكيم
١٣ فى سورة الياسين[(٤)] سلْها[(٥)] تُعْطِك النص الكريم
١٤ من ينكر القرآن فهو ربيب شيطان رجيم

---

(١) أمر عندهم لا يستقيم – غير معقول لديهم.

(٢) عقيم – لا يلد – كناية عن عدم استعمال فكره.

(٣) هباء فى النسيم – فى الهواء.

(٤) سورة الياسين – هى سورة (ياسين).

(٥) سلها – اقرأها.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٩١ جـ ١

كما أسلفنا فإن المشركين دأبوا على التسمع لآيات القرآن الكريم ليلا حينما كان رسول الله ﷺ يتلو فى بيته .. لقد كانوا يتسمعون التلاوة خلسة ، بحيث لا يدرى أحد عن الآخر .

وسرّ تسمعهم للقرآن الكريم ، هو إعجابهم بأسلوبه وبلاغته التى أعجزتهم عن الإتيان بمثلها ، وهم أهل الفصاحة والبلاغة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لكى يكونوا على علم تام بما يتنزل على محمد من القرآن ، لا سيما فيما يكون فيه ذكرهم ، والحديث عنهم .

لقد سمعوا فيما سمعوا من آيات القرآن الكريم ، آيات تتحدث عن البعث بعد الموت ، وعن الحساب والثواب والعقاب ، والجنة والنار .

لم يعجبهم هذا المعنى الذى جاءت به تلك الآيات .. ذلك لأن البعث بعد الموت ، أمر لا يمكن أن يصدقوه بأى حال من الأحوال .. فبادروا بإنكاره أفراداً وجماعات ، فى أسواقهم ومنتدياتهم .

ثم تطوع أحدهم بالذهاب لمحمد ﷺ ، ليجادله ويتحداه فى قضية البعث بعد الموت ، وذلك نيابة عن الجميع .

أما المتطوع المأفون ، فهو أبىّ بن خلف ، ذهب اللعين إلى رسول الله ، وأخذ فى يده عظماً قد بلى ورمّ من ميت قديم ، فقال مخاطباً محمداً :

يا محمد ! أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد أن رمّ ، ثم فته بيده ، ثم نفخه فى الريح نحو رسول الله ، فأجابه رسول الله قائلا :

نعم ، أنا أقول هذا .. يبعثه الله وإياك ، بعدما تكونان هكذا ، ثم يدخلك النار !!

هذا الحوار بين الايمان والالحاد ، مسجل بنصه فى محكم الذكر المبين ، صاغه المولى عز وجل قرآنا يتلى على سمع الدنيا ، عبرة للعالمين .. وهو فى سورة « يس » .

فى قوله عز وجل « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة .. الخ السورة » .

مقطع رقم ٩٢ جـ ١
المشركون لا يتبعون محمداً لفقره

١ المشركون أهمَّهم شأنُ الرسالة والرسول
٢ الحقد يحرِق منهم الأكباد صاروا فى ذُهول[١]
٣ قالو: فإنا لن نطيع محمداً فيما يقول
٤ لا نرْتضيه لنا رسولًا، لا ولن نرضى المثُول
٥ هذا فقيرٌ مُعْدم[٢]، لا لا تدقٌّ له الطبول[٣]
٦ لو كان هذا من عظيم لارتضينا بالقبول
٧ فى القريتين من الرجال الكُفء أربابِ العقول
٨ فى المال أو فى الرأى أو فى الحرب أبطالٌ فحول
٩ لكنَّ للقرآن أسلوبا يرد به الجهول[٤]
١٠ ذاكم كلام الله يشرق بالمعانى والشمول
١١ قد خاطب الكفار فى قولٍ كضربٍ بالنصول[٥]
١٢ كفُّوا فهذى رحمة المولى مُقسَّمة النزول
١٣ الله يرفع ثم يخفِض من يشاء بلا ميول[٦]
١٤ فى مُحكم التنزيل هذا القول عودوا للأصول

---

(١) فى ذهول – دهشة افقدتهم القدرة على التفكير.

(٢) فقير معدم – شديد الفقر.

(٣) لاتدق له الطبول – طبول الحرب لا تدق لأجله ولا بأمره.

(٤) يرد به الجهول – كثير الجهل والسفه.

(٥) كضرب بالنصول – بالسيوف.

(٦) بلا ميول – بلا ظلم.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٩٢ جـ ١

المشركون فى مكة، أهمهم شأن محمد ﷺ.. ورسالته التى هدمت كل المفاهيم التى أشربتها قلوبهم، وسفهت أحلامهم، وسخرت بمعبوداتهم.. ومن ثم فهم حاقدون، والحقد يحرق الأكباد.. ويعمى البصيرة عن إدراك الحق ورؤية الصواب.

كل أمر يجيئهم محمد به من عند الله، يرفضونه وينكرونه، ويجادلون فيه، إنهم يجادلون فى كل شيء.. لا يجادلون لأجل الوصول إلى الحق لا، وإنما هم يجادلون رفضاً واعتراضاً دون احتكام إلى عقل أو منطق.

لقد سبق أن جادلوا فى أمور كثيرة.. وها هم اليوم يجادلون فى شيء جديد، وهو: إنهم لا ينكرون نبوة محمد، بل يعترفون بأنه نبى من عند الله، وأن القرآن منزل عليه من عند الله عز وجل.

بيد أنهم فى هذه المرة، يعترضون على أهلية محمد ﷺ للنبوة، إنه ليس صالحاً للنبوة، فالنبوة فى رأيهم وتقديرهم، لا تكون إلا فى ذوى المال والجاه من مشاهير الرجال.. أما محمد هذا فهو فقير مغمور.. فلا تدق طبول الحرب بأمره ولا لأجله !!.

ثم قالوا :إن فى مكة والطائف رجالًا أكْفَاء، فلو أنزل هذا القرآن على واحد من عظماء القريتين لارتضيناه نبياً واتبعناه.. ولا غرو فعظماء الرجال فى القريتين، هم أهل الحل والعقد فى الأمور صغيرها وكبيرها.. وذوو كلمة مسموعة فى أقوامهم.. وهم فضلًا عن هذا كله قادة الحروب.

وانطلاقاً من هذه المفاهيم المتخلفة العفنة، أصروا على كفرهم عناداً واستكباراً.

ولنستمع إلى القرآن الكريم يرد على أولئك المتطاولين باسلوب بديع مشرق.. فسخر من مفاهيمهم واعتراضاتهم فقال:

«وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم. أهم يَقْسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات... الخ»(١)

---

(١)آيتا ٣١، ٣٢ سورة الزخرف.

مقطع رقم ٩٣ جـ ١
أسباب نزول سورة الكافرون

١ كفار مكة فكّروا فى كل أمر واحتمال[١]
٢ سمعوا من القرآن آيات تخرُّ لها الجبال[٢]
٣ قد قرَّروا أن يلتقوا بالمصطفى حيثُ الجدال
٤ جاءوا إليه وكلُّهم مُلِئوا بخُبث واحتيال
٥ قالوا له: إنا سنعبدُ ما عبدتَ بكل حال
٦ لكن بشرط نرتضيه بغير حرب أو نِزال
٧ أن تعبد الأصنام معنا هكذا حكم الرجال
٨ لكن جبريل الأمين أتاه فوراً[٣] بالمقال
٩ فى سورة[٤] قد أُنزلت فيها جوابٌ للسؤال
١٠ أمر صريح واضح للمصطفى من ذى الجلال
١١ إياك لا تعبدْ إلها غيرنا تَلْقَ الوبَال
١٢ لا تستمع أقوالهم لا شك هم أهل الضلال
١٣ والْزَم لدينك إنه حقٌ وَدَعْ قولا يُقال
١٤ لن يتركوا أصنامهم ولسوف يَلْقوْن الخَبال[٥]

---

(١) فى كل أمر واحتمال – أى شيء محتمل الوقوع.

(٢) تخر لها الجبال – تتهاوى أو تسجد.

(٣) أتاه فورا بالمقال – بالجواب على ما طلبوه منه.

(٤) فى سورة – هى سورة «الكافرون».

(٥) يلقون الخبال – هو الضياع فى جهنم، والخبل هو فقد الرشد.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٩٣ جـ ١

كفار مكة فكروا كثيراً.. أجهدوا أنفسهم فى التفكير، قلبوا وجوه الآراء وناقشوا كل الاحتمالات، وذلك فى شأن محمد ﷺ، وشأن دعوته ومعبوده أيضا.

إنهم يريدون أن يكونوا على وفاق مع محمد.. بيد أنهم يريدونه على الوجه الذى يرتضونه هم، دون ما مراعاة لحق أو عدل أو إنصاف.

كلهم يعلمون بأن محمداً نبى مرسل من عند الله.. وأيقنوا بالقرآن الكريم بأنه كلام الله، ذلك لأنهم عجزوا عن محاكاته والإتيان بمثله... وعرفوا ما فى القرآن من وعيد للكافرين، وبشارات للمؤمنين.

أمام بلاغة القرآن الكريم وفصاحته التى تخشع لها الجبابرة، وتتصدع لها الجبال الراسيات.. وهم قد طأطئوا رءوسهم إجلالا واحتراماً له.. بعد هذا كله، لجأوا إلى حيلة جديدة للحوار مع محمد ﷺ فقالوا له

يا محمد! إنا نريد أن نجعل هذا الأمر بيننا وبينك مناصفة، فنعبد إلهك سنة، على أن تعبد آلهتنا سنة كما عبدنا إلهك!!.

فإن كان الذى نعبد خيراً مما تعبد، كنا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما تعبد خيراً مما نعبد كنت قد أخذت بحظك منه، فأنزل الله فيهم قوله.

«قل يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون.. الخ السورة»

هكذا كان الله دائما مع رسوله.. لقد فسدت محاولة المشركين الخبيثة، ووئدت فى مهدها، وذلك بنزول تلك السورة (الكافرون).

ولا غرو فهذه السورة، فيها من المعانى والتوجيهات ما جعل محمداً ﷺ يزداد حذراً، ويتأكد من حقيقة ما جبل عليه المشركون، بأنهم لن يؤمنوا بإلهه الذى إن عبدوه، فسوف يعبدونه استدراجاً له، ليعبد هو آلهتهم، وبهذا تكون خطتهم التى رسموها قد نجحت.. لكنهم خابوا وخسروا.

مقطع رقم ٩٤ جـ ١
الأعمى ينادى رسول الله

١ أما الرسول فكان يجلس مع شُيوخ المشركين
٢ جاءوا إليه ليطلبوا منه المودة عامديــن
٣ كانــوا يريــدون استمالتـــه بصدقٍ عازمين
٤ ومحمد قد كان يرجو أن يصيروا مسلمين
٥ دار الحديث بدايةً، كانوا جميعا حاذريـن
٦ هم لم يكونوا فى الحقيقة بالنبى مُصدِّقين
٧ هم فى الحديث إذا المنادى، يارسولَ[1] العالمين!
٨ قد جاءه الأعمى[2] يريد العِلم والنور المبين
٩ كره النبى مجيئه فى ذلك الوقت الثمين[3]
١٠ أبْدى عُبوساً[4]، بل تولّى عنه نحو الجالسين
١١ لكـن ربٌّ محمـد وافـاه بالأمــر اليـــقين
١٢ أعطاه درساً نافعاً يسمو به فى الخالدين
١٣ فيه العتابُ على سلوك لا يليقُ بِمُرسَلين
١٤ قد كان ذاك على لسان الوحى جبريلِ الأمين
١٥ فى سورةٍ[5] تُتلَى على سَمْع الخليقة أجمعين

---

(١) يارسول العالمين – رجل نادى على رسول الله.

(٢)الأعمى – هو عبد الله بن أم مكتوم.

(٣) فى ذلك الوقت الثمين – أثناء لقائه بالمشركين الذين يتمنى إسلامهم.

(٤) أبدى عبوسا – عبس وجهه تعبيرا عن كراهته.

(٥) فى سورة – هى سورة «عبس».

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٩٤ جـ ١

زعماء مكة ووجهاؤها من المشركين، جاءوا إلى محمد ﷺ يريدون أمراً.. كان هذا واحداً من سلسلة المناورات التى حاولوا فيها إغراءه أو استمالته أو فتنته عن دينه.

فكم بذلوا من المحاولات الفاسدة بأساليب متعددة، عرضوا عليه أن يتوجوه ملكاً عليهم.. عرضوا عليه أن يجمعوا له من المال حتى يكون أكثرهم مالًا.. عرضوا عليه أن يعبدوا إلهه سنة، على أن يعبد آلهتهم سنة، فأبى هذا كله.

وهاهم اليوم يجلسون معه، وهو يبدى نحوهم وداً صادقاً.. إنه يتمنى لهم الهداية.. بيد أنهم كانوا فى واد، وهو فى واد آخر.. إنه داعية حق وعدل وهم دعاة باطل وضلال.. وقد عبر القرآن الكريم عن هذا فقال:

«ويا قوم مالى أدعوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النار» آية ٤١ سورة غافر.

وبينما كان رسول الله فى الحديث مع المشركين، وإذا بابن أم مكتوم الأعمى ينادى يقول: يارسول الله! جئتك لتعلمنى القرآن.. كره رسول الله مجيئه فى هذه الساعة بالذات، ذلك لأنه قد شغله عن أمر يهمه، كان يأمل فى إسلام القرشيين الجالس معهم.

أعرض رسول الله عن ابن أم مكتوم، وعبس فى وجهه تعبيرا عن كراهته لمجيئه فى هذا الوقت.. هذه المعانى صيغت فى أسلوب قرآنى بليغ، أنزلت على محمد ﷺ.. وذلك فى صدر سورة «عبس».

لقد عاتب الله محمداً على تصرفه هذا مع واحد من أصحابه، جاءه يسعى لطلب العلم، فأعرض عنه، وهو فى نفس الوقت يتصدى لمن لا يريدون العلم ولا الدين مطلقاً.

هذه المعانى كلها تحكيها سورة [عبس] فيها توجيه كريم لرسول الله، بحيث أضافت إلى أخلاقه الكريمة خلقا جديداً.

بعد نزول سورة عبس، كان رسول الله كلما لقى عبد الله ابن أم مكتوم همس له وقال: « أهلا بمن عاتبنى فيه ربى ويبسط له رداءه»[١].

---

(١)تفسير الجلالين أول سورة عبس

مقطع رقم ٩٥ جـ ١

عودة مهاجرى الحبشة لإشاعة كاذبة

١ المسلمون لَدى[١] النجاشى جاءهم خبرٌ جميل

٢ عن أهل مكة أنهم قد أسلموا إلا القليل

٣ فرِحوا بهذا كلهم، فوراً تَنادَوْا للرحيل

٤ هيا إلى مهد الطُّفولة[٢] ذلك البلدِ الأصيل

٥ فيه الأبوة والقرابة والصداقة والقبيل[٣]

٦ بل فيه خير الخلق طُرّاً صفوةُ المولى الجليل

٧ عادوا وكانوا فى حنين للحبيب وللخليل

٨ لكنهم يا حسرةً قد فُوجئوا عند الوصول

٩ ما جاءهم عن أهل مكة كلُّه قولٌ وقِيل[٤]

١٠ ما أسلموا بل إنهم زادوا من الفهم العليل

١١ أسفوا لقد ضاعت عليهم رحلةُ السفر الطويل

١٢ أبواب مكة أُغلِقَت لا يدخلنَّ سوى النزيل[٥]

١٣ البعض قد دخلوا ولكن فى جوارٍ كالدَّخيل[٦]

١٤ والبعض عادوا للنجاشى حزنُهم فاق المثيل

١٥ كفار مكة دون شك خالفوا الخُلُق النبيل

---

(١) المسلمون لدى النجاشى – هم مهاجرو الحبشة.

(٢) مهد الطفولة – الموطن الأصلى.

(٣) الصداقة والقبيل – الاصدقاء والأنداد.

(٤) قول وقيل – إشاعة كاذبة.

(٥) لا يدخلن سوى النزيل – الذى يدخل فى جوار أحد الأقوياء ليحميه.

(٦) كالدخيل – الغريب الطريد الذى يطلب الحماية.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٩٥ جـ ١

خبر جميل وصل إلى أسماع المسلمين المهاجرين فى الحبشة، هذا الخبر أدخل الفرحة على قلوبهم.. فما هو هذا الخبر؟!.

لقد أسلم أهل مكة كلهم، واتبعوا دين محمد عليه الصلاة والسلام، فكان وقع هذا الخبر على أسماع المسلمين كاللحن الشجى المحبب إلى النفوس.

ولا غرو فهم فى غربة، وحياة الاغتراب مرة على النفوس.. بعد سماعهم لذاك الخبر، قرروا بالإجماع أن لابقاء فى دار الهجرة.. وسرعان ماتنادوا.. هيا للرحيل من أرض الحبشة، والعودة إلى مكة.. حيث الأهل والأحباب والأصدقاء والخصوم.. هذا فضلًا عن اللقاء بأحب الخلق قاطبة إلى نفس كل منهم.. إنه محمد ﷺ.

لقد عادوا والأمل يحدو خطوهم، ويراود أخيلتهم بحياة راغدة، فى ظل الأمن والأمان، حيث لاعداء ولاعدوان.. وقلوبهم مملوءة بالفرحة.. بيد أنهم لمجرد وصولهم إلى مشارف مكة – وا أسفاه – تبددت آمالهم، وضاعت عليهم مشقة السفر التى قطعوها فى رحلة العودة من الحبشةإلى مكة، لماذا؟!

لقد فوجئوا بأن الخبر الذى جاءهم فى الحبشة، عن إسلام أهل مكة خبر كاذب غير صحيح.. وياليت الأمر كان على هذا القدر فحسب، بل وجدوا ما ينتظرهم ما هو أمرُّ وأسوأ، بحيث إن مشقة السفر التى عانوها وضاعت دون أدنى فائدة، لتتضاءل أمام فجيعتهم فى ماقرره مشركو مكة بشأنهم.. فماذا قرر أولئك القساة بشأن العائدين إلى وطنهم؟!.

لقد منعوهم من دخول مكة، فلم يستطع أحد منهم أن يدخل مكة إلا فى جوار أحد زعماء المشركين، مثله كمثل الغريب الطريد حين يأوى إلى من يحميه، وقليل منهم دخل مكة بغير جوار مستخفياً.. وأما الآخرون فعادوا إلى الحبشة يجرون أذيال الخيبة، والحسرة تملأ قلوبهم.

بهذا العمل المؤسف، خالف مشركو مكة كل خلق نبيل، وسلوك حسن.

مقطع رقم ٩٦ جـ ١

ابن مظعون فى جوار الوليد ثم يرده

١ المسلمون ذوو الجوار[١] غَدَوْا بأمنٍ سالمين
٢ يَلْقَوْن كل حماية من أقويـــاء المشركين
٣ أما الذين بلا جُوار لم يزالوا خائفين
٤ هذا ابن[٢] مظْعون يرى بعض الرجال المسلمين
٥ يَلْقَوْن تعذيباً رهيباً من رجال معتدين
٦ كان ابن مظعون مُجاراً فى عِداد الآمنين
٧ هو فى جوار ابنِ المغيرة[٣] لا يخافُ الباطشين
٨ قد حَدَّثته النفس فى هذا حديث العاتبين
٩ قالت: أترْضى بالأمان وقد رأيتَ[٤] المرْهقين؟!
١٠ اردُد أمانــاً كلُّــه ذلّ كذلّ الخانــعين[٥]
١١ لقد استجاب إلى حديث النفس ذى النور المبين
١٢ سرعان ما رفض الجوار وردَّه للمجرمين
١٣ ردَّ الجوار على الوليد تحدِّيــاً للكافريـــن
١٤ رَضِى البقاء بلا جوار فى صفوف المؤمنين
١٥ قد عذّبوه وعينُه قُلِعتْ بأيدى الغادرين
١٦ تلكُمْ صفات المؤمنين بها سموْا فى الخالدين

---

(١) ذوو الجوار – الذين دخلوا مكة فى جوار المشركين.

(٢) ابن مظعون – هو عثمان بن مظعون.

(٣) ابن المغيرة – هو الوليد.

(٤) وقد رأيت المرهبين – الذين خوّفوا وعذّبوا.

(٥) كذل الخانعين – الخنوع هو الاستسلام مع الضعف.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٩٦ جـ ١

المسلمون الذين عادوا من الحبشة، ودخلوا مكة فى جوار المشركين الأقوياء، عاشوا فى ظل حمايتهم آمنين.. وتلك كانت عادة العرب، فالذى يجير أحداً من المستضعفين أو غيرهم، عليه أن يقوم بحمايته من كل عدوان عليه، وعلى الجميع أن يحترموا هذا الجوار.

أما المسلمون الذين دخلوا مكة مستخفين، فهم يعيشون فى خوف دائم، لا يأمنون على أنفسهم، مهددون بالعدوان عليهم فى أى وقت من ليل أو نهار.

عثمان بن مظعون الصحابى الجليل. كان فى جوار الوليد بن المغيرة، يغدو ويروح آمنا، فرأى بعض المسلمين ممن ليسوا فى جوار أحد، معتدى عليهم معذبين.. وإذا به يشعر بالخزى من نفسه، ولم يستطع أن يجيب على سؤال واحد وجهه لنفسه هو، أترضى أن تظل آمنا، وترى إخوتك المسلمين معذبين؟!.

فوراً ذهب عثمان إلى الوليد بن المغيرة ورد إليه جواره، وقرر أن يحيا حياة أصحابه المسلمين المضطهدين المعذبين لقد شعر بأن الأمن الذى تمتع به فى ظل رجل مشرك، إنما هو ضعف فى إيمانه.. ذلكم هو الايمان الحق، فأنعم به!!

وبعد أن رد الجوار على الوليد بن المغيرة، عُذب عثمان بن مظعون، وقُلعت عينه، فلما رآه الوليد بن المغيرة قال له:

أما والله يا ابن أخى، إن كانت عينك عما أصابها لغنية.. لقد كنت فى ذمة منيعة، وحماية أكيدة، فرددتها فأصابك ما أنت فيه.

فقال عثمان بن مظعون:

بل والله إن عينى الأخرى الصحيحة، لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها فى الله.. وإنى والله لفى جوار من هو أعز منك وأقدر!!.

هذه لعمر الله، هى صفات المؤمنين التى رفعت أقدارهم فى الخالدين.

مقطع رقم ٩٧ جـ ١

الهجرة الثانية إلى الحبشة

١ قد زَاد ضَغْط المشركين على جميع المسلمين
٢ فى مكة البلد الحرام غَدَوْا جميعا خائفين
٣ لما رَأوْا أنْ لا أمان بذلك البلدِ الأمين
٤ خرجوا جماعاتٍ إلى أرض النجاشى لاجئين
٥ هذا هو الصِّديق[١] يخرج فى عِداد الخارجين
٦ شاء الفرار بدينه من كيد قوم حاقدين
٧ لكنه قد عاد ثانيةً بأمن الآمنين
٨ ابن الدُّغنَّة[٢] ردَّه هو سيِّد المتحالفين
٩ قد صار يعبد ربه فى حكمة المتبتِّلين
١٠ يتلو كتاب الله فى صوتٍ رخيم كالحزين
١١ المشركون أصابهم ذُعر من الذُّكر المبين[٣]
١٢ صبيانهم ونساؤهم سمعوا التلاوة معجبين
١٣ ذكروه فيما بينهم[٤]، طارتْ عقول المشركين
١٤ ذهبوا إلى ابن الدُّغنَّة كلُّهم متوعِّدين
١٥ قالوا له قوْلًا غليظاً أعلنوه مهدِّدين
١٦ هذا مُجارك[٥] كُفَّهُ، يُخفِى التلاوةَ لا يُبين[٦]

---

(١) الصديق – هو أبو بكر الصديق.

(٢) ابن الدغنة رده – هو سيد الأحابيش فى مكة قد أجاره ورده.

(٣) من الذكر المبين – من القرآن الكريم.

(٤) ذكروه فيما بينهم – صاروا يرددون ما سمعوه من الآيات.

(٥) هذا مجارك – الذى أجرته.

(٦) لايبين – لا يسمعنا صوته.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٩٧ جـ ١

لما يئس المشركون من أهل مكة، من استدراج محمد ﷺ، أو استمالته لأى غرض من أغراضهم، وذلك بشتى الأساليب.

وكانوا قد كفوا أذاهم لفترة ما، على سبيل المهادنة، فلما لم يجدوا استجابة من محمد ﷺ، أعلنوها حرباً شعواء على كل المسلمين فى مكة، لا فرق بين الأحرار أو العبيد.

فمن ثم أصبح المسلمون فى مكة غير آمنين على أنفسهم.. كل واحد منهم معرض للاعتداء عليه.

أمام هذا الشعور بالخوف وعدم الطمأنينة، قرر المسلمون الخروج من مكة مهاجرين، وذلك كما أشار عليهم محمد ﷺ بهذا.

خرجوا أفراداً وجماعات، وجهتهم الحبشة، لاحقين بإخوانهم الذين سبقوهم، فأصبحوا هنالك آمنين فى جوار النجاشى ملك الحبشة.

فى هذه المرة خرج أبو بكر الصديق مهاجراً مع الذين خرجوا.. فلقيه سيد الأحابيش فى مكة – زعيم المغتربين الموجودين بمكة – اسمه ابن الدغنة فقال له: إلى أين ياأبا بكر؟!.

فقال: أخرجنى قومى، وآذونى وضيقوا على، قال: ولم؟! فوالله إنك لتزين العشيرة وتعين على النوائب، وتفعل المعروف وتكسب المعدوم، ارجع وأنت فى جوارى، فرجع معه، حتى إذا دخل مكة قام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش! انى قد أجرت ابن أبى قحافة، فلا يعرضن له أحد إلا بخير.

صار أبو بكر يعبد ربه، فيصلى ويقرأ القرآن عند باب داره، فيجتمع الصبيان والعبيد والنساء، يعجبون لما يرون من هيئته وتلاوته، فيرددون ما سمعوه منه.

لما علم المشركون بهذا، طار صوابهم، فذهبوا إلى ابن الدغنة فقالوا له:

إنك أجرت هذا الرجل – أبا بكر – ليؤذينا، انه إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرق ويبكى، فنحن نتخوف على صبياننا ونسائنا أن يفتنهم، فأته فمره أن يدخل بيته فليصنع ما يشاء.

مقطع رقم ٩٨ جـ ١
أبو بكر يرد جوار ابن الدغنة

١ المشركون غَدَوْا إلى ابن الدُّغنَّة هدَّدوه
٢ قالوا عن الصدِّيق جاوز حدَّه لن يتركوه
٣ فَلْيقرأ القرآن داخل بيته أو يطردوه
٤ أو أن يكفّ جواره كى يقدروا أن يمنعوه
٥ فأجابهم ذاك اللعين لرأيهم فاستعجلوه
٦ وتوجَّهوا فوراً إلى الصدِّيق حتّى يُنذروه
٧ نادى اللعين على أبى بكر وقال ليسْمعوه
٨ . كُف التلاوة أو تردّ جوارنا كى لا نتوه(١)
٩ فلقد أسأْت إلى الجميع بما تَلوتَ وناقشوه
١٠ فأجابه الصدِّيق فى عزم متين أدركوه
١١ يا ابن الدُّغنَّة والجميع، جواركم هاكم خذوه(٢)
١٢ وإلى جوار الله ألجأ، إذ له تَعْنو الوجوه(٣)
١٣ ابن الدُّغنَّة قال: هاكم صاحبى هيا الزمُوه
١٤ قد ردَّ جيرتنا وصار بلا جوار فاتْبعُوه
١٥ وتوجَّه الصدِّيق نحو البيت حيثُ استقبلوه
١٦ سَفِهوا عليه بقولهم لكنَّهم لم يَقْربوه(٤)

---

(١)كى نتوه – كى لا نقع فى الخطأ ومتاهاته.

(٢)هاكم خذوه – إنى أرد جواركم عليكم.

(٣)تعنو الوجوه – تخضع وتتجه.

(٤)لكنهم لم يقربوه – لم يعتدوا عليه بالضرب، بل بألسنتهم.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٩٨ جـ ١

ذهب مشركو مكة إلى ابن الدغنة سيد الأحابيش الذى أجار أبا بكر، فأدخله مكة فى جواره، بعد أن كان خارجا منها مهاجراً، فقالوا له: إما أن تمنع صاحبك أبا بكر من التلاوة، أو أن يدخل بيته فيصنع ما يشاء فلا يسمعه أحد، فإن أبى، فلتكف جوارك عنه، ونحن نستطيع أن نمنعه.

وسبب ذلك – كما أسلفنا – أن أبا بكر يجلس أمام بيته، فيصلى ويتلو القرآن الكريم بصوت خاشع، فيسمعه نساء المشركين وصبيانهم، فيرددون ما سمعوه منه، ويتساءلون عن معانيه، فمن ثم شعروا بالخطر على عقيدتهم الباطلة.

ذهب ابن الدغنة إلى أبى بكر الصديق وقال له: إنك قد آذيت القوم بتلاوتك، وقد جاءونى وكلمونى، وطلبوا منى أن تكف عن التلاوة أو أن تدخل بيتك فتصنع ما تشاء، ولا يسمعك أحد.. أو أن ترد على جوارى.

فقال له أبو بكر: إذن فإنى أرد عليك جوارك، وأرضى بجوار الله عز وجل.. فهو ذو القوة والجبروت، وإليه تعنو الوجوه خشوعا وتعبداً.

حينئذ قام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش! إن ابن أبى قحافة قد رد علىَّ جوارى، فشأنكم بصاحبكم.

لم يرض أبو بكر بالذل فى ظل الجوار.. فكونه يمنع من أداء صلاته، وتلاوة القرآن الكريم، مقابل حمايته وبقائه فى مكة، فذلك الذل بعينه، فمن ثم رفضه بقوة، وهتف فى وجه ابن الدغنة والمشركين معه قائلا لهم:

هاكم جواركم فخذوه.. لقد اخترت جوار الله العظيم، فجار الله لايضام.

وبعد ذلك توجه أبو بكر إلى الكعبة، وطاف بها وصلى عندها.. بيد أن بعض السفهاء من قريش، لاقوه وهو ذاهب للكعبة، فحثوا على رأسه ترابا، ونالوا منه بالسباب.. لكنهم لم يعتدوا عليه بالضرب.

مقطع رقم ٩٩ جـ ١
الطفيل بن عمرو الدوسى بمكة

١ هذا الطُّفيل[١] أتى لمكة زائرَ البيت الحرام
٢ قد كان ذا عقل وفهم شاعراً فيه احتشام
٣ لاقاه بعض المشركين جوار زمزم[٢] والمقام
٤ فتحادثوا وتساءلوا فيما يثير الاهتمام
٥ قالوا: فلا تَلْقَ الأمينَ فَسِحْره مثل السِّهام[٣]
٦ إياك أن تَلْقاه أو أن تَسْمعنْ منه الكلام
٧ سمِع الطُّفيل لقولهم بالحِرْص ثم الاحترام
٨ وضع الطُّفيل القطنَ فى أُذنيه خوفاً من ملام
٩ ناداه من أعماقه صوتٌ كبرقٍ فى[٤] الظلام
١٠ مَنْ قد سمعتَ لنصحهم هم أهل شرٍّ واختصام
١١ لا تستمع للنصح منهم إنهم قومٌ لئام
١٢ اذهب إلى هذا النبى، فإنه خيرُ الأنام
١٣ اذهب إليه فإنه قد جاء يدعو للسلام
١٤ سمع الطُّفيل إلى نداء ضميره ثم استقام[٥]
١٥ قد أعلن الإسلام فى بيت النبى بلا خِصام

---

(١) هذا الطفيل – هو ابن عمرو الدوسى.

(٢) جوار زمزم والمقام – عند الكعبة.

(٣) فسحره مثل السهام – يصيب سامعيه فلا يخطئهم.

(٤) كبرق فى الظلام – صوت العقل ونداء الضمير.

(٥) ثم استقام – عرف الصواب.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ٩٩ جـ ١

الطفيل بن عمرو الدوسى، شاعر معروف، من مشاهير دوس.. جاء إلى مكة لزيارة البيت الحرام.

لاقاه بعض مشركى مكة، وهو يطوف بالكعبة، وكان معروفا لأهل مكة، وهو يعرفهم أيضاً.

تصافحوا ثم تحادثوا، فسألهم عن محمد ﷺ فقالوا له:

يا طفيل! إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذى بين أظهرنا - محمد - قد أعضل بنا، فرق جماعتنا وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر، يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنا نخشى عليك، فلا تكلمه ولا تسمعه.. قال الطفيل:

فوالله مازالوا بى حتى أجمعت على ألا أسمع منه شيئا ولا أكلمه، حتى حشوت فى أذنى حين غدوت إلى المسجد قطناً، خوفاً من أن أسمع شيئا من قوله.. ثم قال:

فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله قائم يصلى عند الكعبة، فقمت قريبا منه، فأبى الله إلا أن يسمعنى بعض قوله.. فسمعت كلاماً حسناً، فقلت فى نفسى: واثكل أمى، فوالله إنى لرجل لبيب شاعر، ما يخفى على الحسن من القبيح، فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل؟!.

فإن كان الذى يقوله حسنا قبلته، وإن كان قبيحا تركته.. قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله إلى بيته، فاتبعته حتى إذا دخل بيته، دخلت عليه، فعرض علىّ رسول الله الإسلام، وتلا علىّ القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، فأسلمت وشهدت شهادة الحق.

وهكذا، لقد استجاب الطفيل إلى نداء خفى صادر من أعماقه، ورفض نصح رجال قريش الذين حذروه من سماع محمد.

ولا غرو فنداء الضمير، هو صوت الحق، وهو يشبه وميض البرق حينما يشق حجب الظلام.. ذاك النداء يقول: أين عقلك يا طفيل؟! اذهب واستمع إلى هذا الرجل، فهو ليس ساحراً كما يزعمون، فاستجاب واهتدى وفى بيت محمد أعلن إسلامه راضياً مختاراً.

مقطع رقم ١٠٠ جـ ١

النور فى سوط الطفيل .كرامة له

١ عاد الطفيل لقومه فى سَوْطه ضوء ينير(١)
٢ يبدو على بُعْدٍ مضيئاً فى المقام وفى المسير
٣ قد كان ذاك لدعوةٍ من صاحب القلب(٢) الكبير
٤ لما أتاه ببيته مستسلماً كى يستنير
٥ قال الطفيل: فإننى فى القوم ذو فضل كبير
٦ مرنى لأدعو قوم دوسٍ إننى فيهم أمير(٣)
٧ فأجابه الهادى فقال له: فأنت لهم نذير
٨ عاد الطفيل ومعه إذْنٌ من لدى الهادى البشير
٩ أهل الطفيل جميعهم قد أسلموا حتى الصغير
١٠ لكن دوساً لم يجيبوا للنداء ولا المشير(٤)
١١ يَخشَوْن من صنمٍ يُسمَّى «ذا الشَّرى» خصمٌ خطير
١٢ خافوا أذاه لأنه فى زعمهم بطلٌ قدير
١٣ لا يسجدون لغيرهِ فى رأيهم هذا نكير(٥)
١٤ قد ساوموه على الرِّبا ذاكم هو القول الأخير
١٥ بئس المقال مقالهم، هم سوف يلقون المصير

---

(١) فى سوطه ضوء ينير – ضوء فى طرف سوطه كرامة له.

(٢) لدعوة من صاحب القلب الكبير – دعا رسول الله ربه أن يجعل للطفيل كرامة.

(٣) إننى فيهم أمير – رئيس مطاع.

(٤) للنداء ولا المشير – لنداء الطفيل، ولا نداء الذى أرسله وهو رسول الله.

(٥) فى رأيهم هذا نكير – منكر.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٠٠ جـ ١

فى بيت محمد ﷺ، أعلن الطفيل بن عمرو الدوسى إسلامه راضياً وعندما هم بالانصراف عائدا إلى قومه قال:

يانبى الله! إنى امرؤ مطاع فى قومى، وإنى راجع إليهم، وداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لى آية تكون لى عونا عليهم، فيما أدعوهم إليه.

فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اجعل له آية» قال: فخرجت إلى قومى، حتى إذا كنت بثنية تطلعنى على الحاضر، وقع نور بين عينى مثل المصباح.. فقلت! اللهم فى غير وجهى، إنى أخشى أن يظنوا أنها مُثلة وقعت فى وجهى لفراق دينهم.. فتحول النور فوقع فى رأس سوطى، فصار القوم يرون ذلك النور من بُعد، معلقا فى سوطى كالقنديل، وأنا أهبط إليهم من الثنية.

فلما وصل الطفيل إلى بيته فى بنى دوس، دعا أهله إلى الإسلام، فأسلموا جميعاً، أولاده وزوجه وأبوه.. أمرهم بالاغتسال فاغتسلوا.. وهكذا ينبغى أن يفعل كل من دخل الإسلام، بعد أن كان كافراً.

بعد أن أسلم آل بيته، دعا قومه بنى دوس إلى الإسلام، وأخبرهم بأنه مكلف بدعوتهم إلى دين الإسلام، بإذن من رسول الله ﷺ. عرفهم تعاليم الإسلام... ودعاهم إلى عبادة الله الواحد الأحد، خالق السموات والأرض، وما فيها من المخلوقات.

بيد أنهم أجابوه قائلين: ما نحن بتاركى صنمنا «ذا الشرى» إننا لن نستطيع أن نعبد إلهاً غيره!!! فإذا عبدنا غيره غضب علينا، وغضبه يصيبنا بسوء.

ثم قالوا: إن كنت تريدنا أن نكون على دينك، فاجعل الربا حلالًا لنا، فنحن لا نستطيع التعامل بغير الربا!!! ألا بئس هذا المقال، إنه لا يصدر عن إيمان ولا عن عقل رشيد.

مقطع رقم ١٠١ جـ ١
دوس يتمسكون بالربا شرطاً لإسلامهم

١ أمَّا الطُّفيل فساءه من أن دوساً[(١)] أغضبوه
٢ قد جاءهم بالخير لكنْ قاوموه وخالفوه
٣ عكفُوا على الصنم اللعين لقد أبوا أن يتركوه
٤ وَرِثوا عبادته عن الآباء حتى أُشْرِبوه[(٢)]
٥ طلبوا الإباحة للرّبا، إنْ يُسلموا فليأكلوه
٦ عاشوا عليه زمانهم رِزْقاً حراماً مارسوه
٧ هم أكثر الناس انغماساً فى الربا إذ خالطوه[(٣)]
٨ قال الطفيل لهم: فهذا ديننا فَلتعْرفوه
٩ إن الرِّبا خُلُقٌ ذميمٌ دينُنا قال ارفُضوه
١٠ لكنَّ دوساً قد أبَوْا إلا الرِّبا واستمْسكوه
١١ قال الطفيل إلى الرسول بأن دوساً خالفوه
١٢ فَلْتدعُ ربَّك يمحُهُم، هم فى الحقيقةِ خاصموه
١٣ لكنَّ حِلْمَ المصطفى قد كان شرعاً فاسْلكوه[(٤)]
١٤ فدعا لدوس بالهدى بعد الضلال لِيتّبعوه

---

(١) أن دوسا أغضبوه – هى قبيلة دوس.

(٢) حتى أشربوه – أحبوه وخالط حبه قلوبهم.

(٣) إذ خالطوه – هو مورد رزقهم ومنه نبت لحمهم.

(٤) كان شرعا فاسلكوه – طريقاً ممهداً فاقتدوا به.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ١٠١ جـ ١

بذل الطفيل بن عمرو الدوسى، كل جهده لإقناع قومه بنى دوس، بمحاسن الإسلام، والخير الذى ينتظر كل من اعتنق دين الإسلام، إن عاجلا أو آجلا، دنيا وآخرة.

بيد أنهم لم يستجيبوا لدعوته وقالوا له: إن معبودنا «ذا الشرى» لا نرضى به بديلا، إنا نعبده راضين به.. هكذا وجدنا آباءنا يعبدونه، ونحن على آثارهم مقتدون.

وكما علمنا فإن الدين الذى تدعونا إليه، يحرم التعامل بالربا، أما صنمنا ذو الشرى فلا يحرم علينا شيئا.. ونحن قوم نشأنا على التعامل بالربا، ورثناه عن آبائنا وأجدادنا!!!

الا بئس القوم هم، وبئس القول قولهم.. إن الربا رزق حرام مارسوه واستمرءوه.. خالط دماءهم ونبتت منه لحومهم وشحومهم.

قال الطفيل لهم: هذا دين الإسلام واضح الطريق والمعالم، وقد حرم الحرام كله.. وقد ذم الربا ووعد المتعاملين به بسوء العاقبة يوم القيامة.

وهكذا فلم يجد الطفيل من قومه إلا الرفض والاعتراض، والتمسك والإصرار على الوثنية والربا معاً.. فمن ثم غضب على قومه غضبا شديداً، فمن ثم ذهب إلى رسول الله فقال له: يا نبى الله! إنه قد غلبنى على دوس «الرنا»[1] فادع الله عليهم، فقال عليه الصلاة والسلام «اللهم اهدِ دوساً» ثم قال له:
«ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم».

هكذا كان دعاء رسول الله لقوم دوس بالهداية، لقد أودع الله فيه نور الإيمان، وشفافية الطبع، مما جعله يلمح ما سوف يأتى به الغد، عن هؤلاء القوم.. ولم لا، فهو لا ينطق عن الهوى.

فينبغى لنا أن نجعل سلوك محمد ﷺ، قانونا بل شرعاً نحتكم إليه، ونلتزم به فى سلوكنا ومعاملاتنا.

---

(١) الرنا — لهو مع شغل قلب.

مقطع رقم ١٠٢ جـ ١
إسلام قوم دوس فى فتح خيبر

١ المصطفى أوصى الطفيل بأن يواصل فى الدعاء[١]
٢ قال: ادعُ دوساً بالترفق إنهم أهل الدَّهاء
٣ اصبرْ عليهم ولتكنْ منهم على باب الرجاء
٤ حتى يجيئوا مسلمين ويستجيبوا للنداء
٥ ظل الطفيل بهم رفيقاً لا يبالى من[٢] جفاء
٦ قد كان من خير الرجال به الكفاءةُ[٣] والمضاء
٧ مضت السنون وهكذا ظل الطفيل على[٤] الوفاء
٨ ومحمد مرَّت به كل الحوادث فى بَطاء
٩ بدءاً ببدر ثم كانت خيبر دون[٥] انتهاء
١٠ جاء الطفيل وقومه فى فتح خيبر بالولاء
١١ جاءوا جميعاً مسلمين بغير خُبث والتواء
١٢ النصر تَمَّ بخيبر قد كان من ربّ السماء
١٣ قَسَم النبى لقوم دوس فى الغنيمة والعطاء
١٤ فرح النبى بخيبر وبقوم دوسٍ بالسواء

---

(١) يواصل فى الدعاء - يستمر فى دعوة قومه للإسلام.

(٢) لا يبالى من جفاء - صابرا على جفائهم له.

(٣) به الكفاءة والمضاء - كناية عن أهليته للقيادة والرئاسة.

(٤) على الوفاء - وفيا لوصية رسول الله.

(٥) دون انتهاء - لما تنته غزوات الرسول بعد.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ١٠٢ جـ ١

جاء الطفيل إلى رسول الله، والغضب يملؤه على قومه «دوس» لكونهم لم يستجيبوا لدعوته لهم للإسلام، فهدأ رسول الله ﷺ من ثورته. وأوصاه أن يعود إلى قومه.

أوصاه بأن يظل داعيا إلى دين الله فى قومه دوس، وأن لا يمل من مواصلة الدعوة، وأن يترفق بالقوم، فهم قوم أذكياء، وفيهم خبث ودهاء، وأوصاه أن لا يفقد الأمل من إيمانهم، وأن يكون على رجاء من هذا.

هكذا كانت وصية رسول الله للطفيل.. بأن يصبر ويظل داعيا إلى أن يهتدى قومه، فيجيئوا مسلمين.. وذلك حينما يتبينون الحقيقة، وتنقشع الظلمة عن أعينهم، حينئذ يرون الطريق واضحاً.

ظل الطفيل رفيقاً بقومه، عملًا بوصية رسول الله، لا يبالى بجفائهم وغلظتهم وإعراضهم.. ولا غرو فقد كان الطفيل من الرجال الأكفاء، وكان من خير الرجال، أهلا للقيادة والرئاسة.

مضت السنون طويلة، والطفيل باق على عهده بين قومه، مقيما لشعائر الدين، لم يكف ولم يفتر عن الدعوة لدين الله.

منذ أن أسلم الطفيل فى مكة، توالت الأحداث متوالية، وئيدة الخطا، بطيئة الحركة بدءاً من هجرة المسلمين، وبعدهم هاجر رسول الله إلى المدينة ثم غزوة بدر الكبرى، فغزوة أحد والخندق وصلح الحديبية، وما تخلل هذه الغزوات من أحداث، إلى أن جاءت غزوة خيبر.

وبينما كان المسلمون يهنىء بعضهم بعضا بالانتصار فى غزوة خيبر، وكانت خيبر أكبر معاقل اليهود فى الجزيرة العربية، إذا قوم دوس وعلى رأسهم الطفيل بن عمرو.. جاءوا مسلمين.. وذلك فى أرض المعركة فى خيبر.. فقسم لهم رسول الله من غنائم خيبر، تكرمة لهم.. لقد فرح رسول الله بفتح خيبر وبإسلام قوم دوس.

مقطع رقم ١٠٣ جـ ١
قريش تصد الأعشى عن الاسلام

١ ركبتْ قريش كلّ صَعْب[١] تقتل الدين الجديد
٢ بالقوة الحمقاء ظلت تسلك الرأى العنيد
٣ صدُّوا عن الإسلام قوما بالتسلط والحديد
٤ أعشى بنى[٢] قيس أتى يبغى الهداية من بعيد
٥ يرجو لقاء محمد كى يعلمَ العلم الأكيد
٦ أخباره وصلت[٣] إليه فجاء إذ يبغى المزيد
٧ لكنه لم يأت أهل الخير والرأى السديد
٨ فلقد أتى كفارَ مكة سائلًا عما يريد
٩ ياقوم! أين محمد؟! من جاء بالدين السعيد
١٠ قالوا: فعُد من حيث جئت، فإنه دين[٤] زهيد
١١ قد حرَّم الأشياء حتى الخمر فازت بالوعيد[٥]
١٢ أما الزنا فجزاؤه الإحراق والوعد الشديد
١٣ لقد استجاب لنصحهم، قد كان ذا فهم بليد
١٤ بل عاد وافد قومه فى خيبةٍ أن يستفيد
١٥ يا بئس هذا وافداً قد خانه العقل الرشيد

---

(١) كل صعب – مثل يضرب لكل من يأتى عملا فيه صعوبة.

(٢) أعشى بنى قيس – رجل اسمه الاعشى من بنى قيس

(٣) أخباره وصلت اليه – أخبار رسول الله.

(٤) دين زهيد – يدعو إلى الزهد.

(٥) الخمر فازت بالوعيد – يعذب شاربها.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٠٣ جـ ١

هانحن لا نزال نحكى أخبار قريش مع رسول الله ﷺ، وذلك فى مكة فى المقطع السابق رقم ١٠٢ جاء ذكر فتح خيبر عرضاً، وذلك حكاية عن إسلام قوم دوس، ولا غرو فقد فتحت خيبر فى السنة السابعة من الهجرة النبوية.

أما هذه الأحداث التى وقعت فى مكة، فهى قد سبقت الهجرة النبوية، فلنعد إلى الحديث عنها.

ركبت قريش كل صعب وذلول لقتل الدين الجديد، الذى جاء به محمد ﷺ، إنها لم ولن تدخر جهداً فى الكيد لهذا الدين والصد عنه بكل وسيلة ممكنة.. ذلك لأنهم يرونه خطراً زلزل عروشهم، وهزمهم حتى فى أعماقهم.. فمن ثم صدوا عنه بالقوة، وصدوا عنه بالكلمة، تضليلا وكذبا.

وهذا حديث عن واحد ممن صدوهم عن الإسلام بالكذب والتضليل:

رجل مشهور فى قومه بنى قيس، اسمه الأعشى، جاء مكة وافداً عن قومه للقاء رسول الله، ليعرف منه المزيد عن الإسلام وتعاليمه.. بيد أنه لم يوفق، وبالتالى لم يكن من ذوى الكياسة والدهاء.. ذلك لأنه أخذ بنصيحة فاسدة لم يتبين فسادها. كيف ؟!.

حينما جاء الأعشى إلى مكة ودخلها، لاقاه بعض مشركى مكة ممن يعرفهم ويعرفونه، سألوه ما الذى جاء بك ؟!.

فقال: جئت لأرى هذا الرجل الذى ظهر عندكم، وأسمع منه وأعرف المزيد عن دينه الذى جاء به، فقالوا له: لاحاجة لك فى أن ترى هذا الرجل، وخير لك أن تعود إلى أهلك دون أن تسمع منه شيئا.. ذلك لأن تعاليم الدين الذى جاء به محمد، تدعو إلى الزهد فى الدنيا بما فيها من نعيم متاح لكل الناس.

لقد حرم الخمر التى يشربها الناس لأجل الإنتعاش والانشراح.. وتوعد شاربها بالعذاب، وحرم الزنا أيضا، وعقوبته الإحراق فى نار جهنم.

فعد من حيث جئت يا أعشى، فهذا الدين لا يصلح للرجال ذوى الشرف والجاه والمال.

يا للعجب !! لقد اقتنع الأعشى بهذا القول. فعاد أدراجه دون أن يرى محمداً، ألا بئس هذا الوافد الذى أضاع نفسه وقومه.

مقطع رقم ١٠٤ جـ ١
الأراشي تاجر الإبل بمكة

١ هذا الأراشي[١] جاء مكةَ إنه يبغى التجاره
٢ إبلًا كثيراً باعها حتى تميَّز بالمهاره
٣ لكنْ أبو جهل أتاه لصفقة فيها جساره
٤ فابتاع منه الإبل لكنْ كان يبغيه الخساره
٥ مطلَ[٢] الأراشي حقّه بل زاده مُرَّ الحقاره[٣]
٦ جاء الأراشي ناديا، يرجو من القوم انتصاره
٧ قال: انصفونى من أبى جهل بأُسلوب الإثاره[٤]
٨ كفار مكة كلّهم سمعوا من الرجل اعتذاره
٩ سَخِروا به، بل واستخفّوا لم يقوموا بالسِّفاره[٥]
١٠ قالوا له: فاذهب فذاك محمد فاطلب جِواره
١١ هو من أبى جهل صديق لا يخالفه الإشاره
١٢ اذهب إليه فسوف تَلْقى منه عوناً مَعْ إجاره
١٣ إذ إنه شهمٌ غيورٌ وهو أهل للإماره
١٤ قد سجَّل[٦] التاريخ هذا، بالإشارة والعباره

---

(١)الأراشي – رجل ينسب إلى مكان يسمى اراش.

(٢)مطل الأراشي حقه – لم يعطه ثمن إبله.

(٣)زاده مر الحقارة – سخر منه واحتقره.

(٤)بأسلوب الإثارة – أثار نخوتهم وحميتهم.

(٥)لم يقوموا بالسفارة – بالوساطة.

(٦)سجل التاريخ هذا – هذه الواقعة سجلها التاريخ.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ١٠٤ جـ ١

جاء رجل من تجار الإبل، إلى مكة، هذا الرجل يدعى الأراشى، نسبة إلى أراش أو أراشه، اسم مكان أو بلدة.

هذا الرجل، جاء مكة ليبيع إبله التى جلبها للتجارة، لاقاه عدو الله أبو جهل فابتاع منه الإبل التى معه، لكنه مطله فلم يعطه الثمن.

بحث الأراشى عن وسيلة ليحصل بها على حقه من عدو الله.. وأخيراً هداه تفكيره بأن يذهب إلى ناد من أندية قريش، ليستغيثهم.. وفعلاً ذهب إلى النادى وقال: يا معشر قريش!.

من لى بهذا الرجل الذى مطلنى.. أخذ إبلى فلم يعطنى ثمنها.. إنه أبو الحكم عمرو بن هشام - أبو جهل - كلهم قد سمعوه، لكنهم لم يخفوا لنجدته كما هى عادة العرب فى مثل هذه الأمور!!!.

وبدلًا من أن يهبوا لنجدته، ويعينوه ويقفوا معه حتى يحصل على حقه من غريمه استخفوا به، وسخروا منه، واعتبروا قضيته مادة للتسلية فقالوا له:

إن كنت تريد أن تحصل على حقك كاملًا من غريمك أبى الحكم بن هشام، فاذهب إلى ذاك الرجل الجالس فى ركن المسجد.. هو محمد بن عبدالله، هو صديق حميم لأبى الحكم صاحبك.. وأبو الحكم لا يخالف له أمراً.

فاذهب إليه، إنه شهم غيور، لا يتخلف عن نصرة المظلومين، وإنه لأهل للرياسة والإمارة لنبله وشرفه.

كل هذا كان منهم سخرية بالأراشى!!! لقد أشاروا عليه بالذهاب لمحمد يستغيثه لعلمهم ما بين محمد وبين أبى جهل من عداء وخصومة، وليس من المعقول فى رأيهم وتصورهم أن يذهب محمد مع الأراشى!!.

لقد سجل التاريخ هذه الواقعة المؤسفة، ليدمغ المشركين بأنهم تخلوا عن أخص صفات العربى، وهى حماية الجار ونصرة المظلوم.

مقطع رقم ١٠٥ جـ ١

الأراشي يستعين برسول الله

١ ذهب الأراشي للنبي وقال: يا ابنَ الأكرمين
٢ إني أتيتُك طالباً للعون عونِ القادريـــن
٣ قد جئتُ أبغي العدلَ منكم أن تكونوا عادلين
٤ خُذْ لي بحقي من ظلومٍ(١) من كبار الظالمين
٥ ذاكم أبو جهـــل عدو الله والحق المبين
٦ ياصاح قومك أخبروني أنك الشهم الأمين
٧ إذ تُنصف المظلوم، بل وتردُّ كيد المعتدين
٨ قال النبي له: نُصِرتَ وحقِّ ربِّ العالمين
٩ ذهب النبي مع الأراشي كي يغيظ(٢) الساخرين
١٠ جاءا إلى بيت اللعين بكلِّ عزْم المؤمنين
١١ البـاب يطرقـه رسولُ الله طرقَ(٣) الطالـــبين
١٢ خرج اللعين مسارعاً كيما يرى للطـارقين
١٣ وإذا به وجد النبيَّ مع الأراشي واقـفين
١٤ خَصْمان(٤) صارا في لقاء فيه مضمونُ السنين
١٥ شعر اللعين برهبة والذلُّ صار به رهين

---

(١)ظلوم – كثير الظلم.

(٢)كي يغيظ الساخرين – المشركون الذى أرسلوا الأراشي له.

(٣)طرق الطالبين – طرق صاحب الحق.

(٤)خصمان – هما رسول الله – وأبو جهل عدو الله.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٠٥ جـ ١

ذهب الأراشى تاجر الإبل، إلى محمد ﷺ ليستعينه على عدو الله أبى جهل، بصفته صديقاً حميماً له، كما أخبره رجال قريش فى النادى، معتقداً صحة قولهم ونصحهم.

وقف الأراشى أمام رسول الله وقال له: يا ابن الأكرمين! إن قومك أخبرونى أنك سيد الجميع، وأنك تنصف المظلوم، وتقف فى وجه الظالم.

وقد جئتك لتنصفنى من صديق حميم لك، غلبنى على حقى، فلم يعطنى ثمن إبلى، ثم أخبره بالقصة كاملة.

فقال له رسول الله ﷺ! لبيك يا أخا العرب، نصرت ورب الكعبة.. وهب واقفاً، وذهب مع الأراشى إلى بيت عدو الله، أبى جهل، وهو ممتلىء ثقة واطمئناناً، لا يخاف من عدو الله، ولا من سطوته وجبروته.

لقد ذهب رسول الله مع الأراشى، تلبية لنداء الواجب، كعربى تجرى فى عروقه دماء تفور لنجدة الجار والمظلوم، هذا من ناحية؛ وليرد كيد الساخرين الشامتين ويغيظهم من ناحية أخرى.

طرق محمد ﷺ، باب أبى جهل، فخرج عدو الله ليرى من الطارق؟! فوجد محمداً ألدّ أعدائه واقفا بالباب، ومعه الأراشى تاجر الإبل، الذى مطله حقه، فلم يعطه ثمن إبله.

حقاً كان موقفاً رهيبا.. ولا غرو فهو لقاء الأنداد.. خصمان لدودان يلتقيان وجها لوجه فجأة، دونما إعداد سابق أو استعداد.. إنه لقاء مثير للخواطر لدى الخصمين.. أحداث السنين الماضية مرت بخاطر كل منهما، والصراع الجبار.

وتمسك كل منهما بالمبدأ الذى يعتنقه.. وشتان ما بين المبدأين؟! الحق والباطل يتصارعان.

فى ذاك الموقف المفاجىء، امتلأ اللعين رعباً، وشعر بالرهبة، وغشاه الذل من هول اللقاء.

مقطع رقم ١٠٦ جـ ١
أبو جهل ينهار أمام محمد

١ هذا الرسولُ مع الأراشي واللقاءُ مع المهُول[١]
٢ لما رآه الوغد حقاً صار يَهْذي في ذُهول[٢]
٣ قد صار هذا واضحاً في شكله أو ما يقول
٤ قال اللعين لزائريْه: فهل تريدان الدخول؟!
٥ قال النبي له بصوت مثل ضربٍ بالنصول
٦ فلتعْطِ هذا حقّه، إيّاك أن تأبى المثُول
٧ قال اللعين له: فسمْعاً، ذاك عندي بالقبول
٨ ولتنتظرْ كي آتِهِ بالحق في عَذْلٍ عدول
٩ فوراً أتى بالحق رغماً عنه وانخذل الجهول
١٠ سَخِرتْ قريشٌ منه، حتى عيَّروه على النكول[٣]
١١ قال اللعين لهم: فإني قد رأيتُ من الفُحول
١٢ فحلاً كبيراً هائجاً من هوله تغدو العقول
١٣ قد كاد يقتلني بأمر محمدٍ عند المطُول[٤]
١٤ فوراً أطعتُ لأمره وفعلتُ أفعال العَجُول[٥]

---

(١)اللقاء مع المهول – هو لقاء الخصوم.

(٢)يهذي في ذهول – يقول قولا غير منتظم.

(٣)عيروه على النكول – الجبن والتراجع أمام محمد.

(٤)عند المطول – لو أنني ماطلت في دفع حق الأراشي.

(٥)أفعال العجول – المتعجل.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٠٦ جـ ١

لقاء مهول بين خصمين لدودين.. أحدهما قمة فى الخير والإصلاح والإيمان وتوحيد الله عز وجل.. إنه محمد ﷺ.. أما الثانى فهو قمة فى الشر والفساد والكفر والإلحاد.. إنه عدو الله أبو جهل.

لقد فوجىء عدو الله أبو جهل، برسول الله يطرق بابه، ولم يكن يتصور أو يخطر بباله بأن محمداً قد يجيىء إليه فيطرق عليه بابه يوما ما.

فى لحظة المفاجأة، والمواجهة غير المتوقعة، ارتبك عدو الله وأصابته رهبة شديدة، بدت على محياه، وفى كلامه وحركاته أيضاً، فقال اللعين مخاطباً رسول الله والأراشى معاً:

ما شأنكما؟! هل تريدان دخول بيتى؟! تفضلا إن شئتما.. فأجابه رسول الله بصوت فيه نبرة الأمر، والواثق بالله فقال له:

«أعط هذا الرجل حقه» يالله!! لقد استكان عدو الله لأمر رسول الله فقال: نعم، لا تبرح حتى أعطيه الذى له، فدخل بيته، ثم جاء ومعه حق الأراشى، فأعطاه له، ثم انصرف رسول الله، وقال للأراشى «الحق بشأنك».

فأقبل الأراشى حتى وقف على ذلك المجلس فقال لهم: جزاه الله خيراً – عن محمد – فقد أخذ لى حقى من غريمى.. ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء فقالوا له:

ويلك مالك؟! والله ما رأينا مثل ما صنعت قط فقال: ويحكم!! والله ما هو إلا أن ضرب على بابى، وسمعت صوته، فملئت منه رعباً، ثم خرجت إليه، وإن فوق رأسه لفحلًا من الإبل، ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط.. والله لو أبيت لأكلنى.

صار عدو الله يدافع عن نفسه، أمام سخرية قريش، ويبرر أسباب جبنه وانهياره أمام محمد ثم قال:

لما رأيت ما رأيت، فما ملكت نفسى إلا أن أطعت لأمر محمد، فأسرعت متعجلًا بإعطاء الأراشى حقه.

مقطع رقم ١٠٧ جـ ١

رسول الله مع ركانة راعى الغنم

١ هذا ركانة من رعاة الضّأن روّاد[١] الجبال
٢ هو من أشدّ الناس حقّاً كان فى صرْعِ الرجال
٣ ذو قوة جسمية إذ لا يُدَانى فى النِّزال[٢]
٤ المصطفى لاقاه فى تَجْواله والانتقال
٥ قد كان فى وادٍ يسمَّى باسمه للاقتتال[٣]
٦ عند اللقاء إذا رسول الله بادرهُ فقال:
٧ إنى سأسأل يا ركانة، هل تجيب على السؤال؟!
٨ هل لا تزال على ضلالك ما رأيت الاعتدال؟![٤]
٩ إذ تعبد الأصنام طوعاً بئس معبودُ الضلال
١٠ انظر لمن خلق السماء بها مصابيحُ الجمال
١١ والأرض كم فيها من الآيات تركضُ[٥] بالخيال
١٢ إن السجودَ لغيره يأباه عقلٌ ذو[٦] جدال
١٣ هيا ركانةُ فاترك الأصنامَ واعبد ذا الجلال
١٤ إنى أخاف عليك من سوءٍ يصيبك فى المآل

---

(١) رواد الجبال – يعيش بين الجبال بأغنامه.

(٢) فى النزال – مصارعة الرجال.

(٣) للاقتتال – الوادى يسمى باسمه يقاتل من جاءه.

(٤) ما رأيت الاعتدال – الصواب والحق.

(٥) تركض بالخيال – فيها مجال للتفكير الغير محدود.

(٦) عقل ذو جدال – عقل سليم.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٠٧ جـ ١

. هذا رجل من رعاة الأغنام، هو من قريش، يعيش مع أغنامه فى الصحارى يرتاد الجبال والوديان، اسمه ركانة بن عبد يزيد.

هذا الرجل كان من أشد الناس وأقواهم جسماً، لا سيما فى مصارعة الرجال، فهو لم يصارع أحداً من الرجال إلا صرعه.. ولا غرو فهو معروف لأهل مكة وما حولها بهذه الميزة.. ومحمد ﷺ يعرفه كما يعرفه الآخرون وكان لركانة هذا، واد يسمى باسمه يذود عنه، ولا يرتاده أحد سواه.

وبينما كان محمد ﷺ، يتجول خارج مكة، فالتقى بركانة هذا فاستوقفه، وصار يتحدث إليه، ثم سأله رسول الله ﷺ قائلا:

هل أنت لا تزال على الشرك ياركانة؟! تعبد الأصنام، وتسجد لها من دون الله، ألم تتبين الحقيقة بعد؟!.

انظر وردد النظر فى أرجاء السماء التى فوقنا ياركانة.. لقد زينت بالنجوم تضيئها ليلاً، فبدت آية فى الحسن والجمال!!.

وانظر ياركانة إلى الأرض التى نعيش عليها، وندب فوقها كبقية مخلوقات الله، كم فيها من العبر والعظات، تجعل الفكر ينطلق محلقاً فى آفاق الخيال، إعجابا بقدرة الخالق العظيم!!.

كل هذا ياركانة، وغيره كثير مما هو مبثوث فى أرجاء الكون، يجعل السجود لغير هذا الخالق العظيم، أمراً يأباه الفكر الحر، والعقل المستنير.

فهلم ياركانة إلى عبادة الواحد الأحد، خالق السموات والأرض، وخالق الإنسان والحيوان والطير، خالق كل شيء دون استثناء.. واترك ياركانة عبادة الأصنام، لأنها تزرى بالإنسان وتحط من قدره، وتمسخ العقل وتعطله من التفكير، وتجعل صاحبه هو والعجماوات سواء بسواء.

هيا يا أخى، فإنى أخشى عليك من سوء العاقبة يوم القيامة.

مقطع رقم ١٠٨ جـ ١

رسول الله يتحدى ركانة فى المصارعة

١ هذا ركانـــةُ مصغيـــاً للمصطفـــى بالاهتمام

٢ والمصطفى يدعوه للدِّين القويم إلى السَّلام

٣ أسْدى إليه النصحَ مثل النور يبدو فى الظلام

٤ هيـا ركانـةُ إننـى المبعـوث أهْـدِى للأنـام

٥ أُرسِلتُ أهدى الناس طُرًّا كى يكونوا فى[1] انسجام

٦ لكـنْ ركانـةُ قد أجـاب وقولـه بالاحتـرام

٧ لو كنتُ أعلم أنك المبعوث حقّـا بالتمام

٨ إذ لاتَّبعْتُك راضياً دون اللجوء إلى الخِصام

٩ من ثمَّ قال له النبى بهمَّة الأَسد[2] الهمام

١٠ هل لو صرعتُك ياركانةُ، هل تصدِّق ذا الكلام؟!

١١ هل تؤمننَّ بما أقول، على الرضا والالتزام؟!

١٢ أم سوف تبقى فى ضلالك تشبه القوم[3] النِّيام؟!

١٣ هيّـا فصارعنـى مصارعـة التَّحـدى بانتظـــام

١٤ كان التحدِّى عنده، كأشدّ من ضرب الْحسام

---

(١) كى يكونوا فى انسجام – كى يكونوا منسجمين فى طاعة الله.

(٢) بهمة الأسد الهمام – غير نبرة صوته بأسلوب المتحدى.

(٣) تشبه القوم النيام – هم كفار مكة.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ١٠٨ جـ ١

ظل رسول الله ﷺ يواصل الحديث إلى ركانة راعى الغنم، يبصره بحقيقة الأمر، محذراً إياه من عاقبة ما هو عليه من عبادة الأصنام، وقد كان ركانة يستمع إليه باهتمام بالغ.. ولا غرو فرسول الله يدعوه إلى الإسلام، وهو السلام والاستسلام للخالق العظيم.

وحديث رسول الله فى حقيقته يشبه النور الذى يشق حجب الظلام، فيكشف الأشياء أمام الأبصار، فتبدو واضحة لا يحجبها شيىء.

قال له: يا ركانة! إنى رسول الله إلى الناس جميعاً، أهديهم إلى طريق الخير، وأبصرهم بالخطر المحدق بهم، إذا ما ظلوا عاكفين على عبادة الأصنام.

فأجاب ركانة، لكن بحذر واحترام فقال: لو كنت أعلم يا محمد أنك نبى حقاً، وأن الذى تدعو إليه صدقاً، ما تأخرت عن متابعتك، دون جدل أو مخاصمة.

بيد أن رسول الله بادره بمفاجأة أذهلته، فقال له بنغمة فيها نبرة التحدى، وأسلوب القوة فقال له:

ياركانة! ما قولك فى المصارعة ؟!.

إنى أريد أن أصارعك، فإن صرعتك ياركانة، وأنت المعروف بالقوة وصرعك للرجال، أفلا يكون ذلك دليلًا على صدق ما أدعو إليه ؟! ومن ثم تؤمن به، وتترك ما أنت عليه الآن.

أم سوف تظل مصراً على الكفر كبقية القوم الذين أصروا على ضلالهم، وسدوا آذانهم عن سماع صوت الحق، وأغمضوا أبصارهم عن رؤية نور الهداية ؟!.

هيا ياركانة، أقدم فصارعنى، فإننى أتحداك بالمصارعة... لقد أصيب ركانة بالذهول من كون محمد يتحداه للمصارعة.. هذا التحدى جعله يشعر بالخطر والخوف.

مقطع رقم ١٠٩ جـ ١
رسول الله يصارع ركانة ويصرعه

١ أما ركانةُ فاستجاب على التحدِّى فى حَذر
٢ قد كان مفتولَ السواعد فيه زَهْو[١] فى كِبْر
٣ عرفوه من أقوى الرجال مصارعاً حتى ظهر[٢]
٤ لقد التقى الاثنان فوراً هكذا شاء القدر
٥ فتصاولا وتجاولا قد أسرعا للمخْـتبر[٣]
٦ فى قوةٍ بطشَ النبى به وأضحى فى خبر
٧ قد هبَّ مذعوراً وقال وعينُه فيها شَذر[٤]
٨ عُدْ مرّة أخرى فإنى ما عرفتُ بك الخطر[٥]
٩ فى جولة أخرى تكرّر صرْعه حتى انبهر
١٠ فى ثالث الجولات أيضا قد تهاوى وانقهر
١١ قد حدَّثته النفس عن هذا بمكنُون العِبَر
١٢ لاشك هذى قوة ليست بمقدور البشر
١٣ هو فى حديث النفس كان إذ الخواطر تعتصر
١٤ وإذا رسول الله يدعوه سريعاً للنظر

---

(١)فيه زهو فى كبر – إعجاب وتكبر.

(٢)حتى ظهر – ظهر وانتصر على كل من صارعوه.

(٣)قد أسرعا للمختبر – اسم المكان الذى تصارعا فيه.

(٤)وعينه فيها شذر – غيظ وشر.

(٥)ما عرفت بك الخطر – لم أعلم أنك ذو قوة خارقة هكذا.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٠٩ جـ ٢

هذا ركانة، المشهور بالقوة والقدرة على صرع الرجال، يسمع محمداً يتحداه فيدعوه لمصارعته، فاستجاب ركانة وقبل التحدى راضياً.. وكان رسول الله قد قال له: أفرأيت إن صرعتك أتعلم أن ما أقول حق؟! قال: نعم، قال: فقم حتى أصارعك.

هب ركانة، وتقدم نحو رسول الله فى حرص وحذر شديدين.. كان ركانة مفتول السواعد، دليلًا على قوته الجسمية.. وهو معروف لأهل مكة بأنه أقوى رجل فى المصارعة.. ومحمد أيضاً يعرف هذا، ومن أجل ذلك تحداه فى أخص صفاته التى يمتاز بها على الآخرين!!.

لقد التقى الاثنان، فتجاولا.. وما هى إلا لحظات حتى انقض رسول الله على ركانة كالصاعقة فبطش به، وأضجعه على الأرض، لا يملك من نفسه شيئاً، لا شك أنها قوة خارقة تلك التى عصفت بركانة على تلك الصورة!!

هب ركانة واقفاً، وقد تغيرت سحنته من هول ما حدث له، كيف لا، فهو لأول مرة يصرعه أحد من الرجال، فقال يخاطب محمداً، وعينه فيها غيظ، بل يتطاير منها ما يشبه الشرر... عد مرة أخرى لمصارعتى يا محمد، فإننى لم أكن أعلم أنك ذو قوة خطيرة كما رأيت.

فعاد رسول الله ﷺ فصارعه مرة ثانية، فصرعه أيضاً فانبهر من قوة محمد وكيفية مصارعته الفريدة.. ثم صارعه مرة ثالثة كما طلب هو، فصرعه أيضاً.

بعد أن صرعه رسول الله للمرة الثالثة، خارت قواه، وتهاوى مهزوما ذليلًا، وصارت خواطره تطوف هنا وهناك، وقال لنفسه: هذه ليست قوة بشر. وقبل أن يفيق من شروده، وخواطره المتواردة المتعددة من وحى هذا الموقف، ناداه رسول الله وقال له: انظر ياركانة! فإنى سأريك شيئاً جديداً أهم وأخطر مما رأيت.

مقطع رقم ١١٠ جـ ١

رسول الله يُرى ركانة معجزة

١ المصطفى يدعو ركانةَ كى يُشاهِد من قريب[١]
٢ انظرْ ركانةُ، هذه الأشجار أدعوها تجيب
٣ أإذا أريتك ما أقول: فهل تشك وتستريب؟!
٤ فأجابه، فلْتدْعُها، إنى لما تدعو مُجيب
٥ نادى رسول الله للأشجار فى وادٍ خصيب
٦ كلّ العوالم دون شكٍّ قد يطيعون الحبيب
٧ جاءتْ إليه شجيرةٌ تالله ذا أمرٌ عجيب!!
٨ جاءت تجرُّ جذورها، ولقد رآها[٢] لا يُريب
٩ الدهشةُ الكبرى بدتْ تعلو محياه الكئيب
١٠ قد عاد راعى الضّأن يروى ذلك الأمرَ الرهيب
١١ ياقوم إن محمداً فى سِحْره شيءٌ غريب
١٢ من سحره حامتْ على[٣] قلبى أمورٌ لا تغيب
١٣ لو جاء كلّ الساحرين وساحروه هو المصيب[٤]

---

(١) كى يشاهد من قريب – ليرى عن قرب لشيىء سيحدث

(٢) رآها لا يريب – رآها حقيقة لا شك فيها.

(٣) حامت على قلبى أمور – امتلأ قلبى بكثير من الخواطر.

(٤) هو المصيب – سوف يغلبهم هو.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١١٠ جـ ١

ها هو ذا رسول الله ﷺ، يدعو ركانة راعى الغنم إلى شيىء جديد، وذلك بعد أن صرعه وكسر غروره ثلاث مرات متواليات، فقال له:

انظر ياركانة! هذه الأشجار التى لا تفقه ولا تعقل.. إننى آمرها فتطيعنى لا تخالف لى أمراً، أفإن فعلت هذا أمامك، أيظل عندك أدنى شك فى صدق دعواى ونبوتى..؟!.

فقال ركانة: افعل فإننى سأرى ما يحدث.

اتجه رسول الله إلى إحدى الأشجار، فأشار لها بيده آمراً لها بالمجيىء، يالله!! الشجرة تميل يمينا وشمالًا، وفى كل اتجاه، حتى انقلعت جذورها من الأرض، ثم جاءت إليه تجر جذورها وراءها، فوقفت بين يديه امتثالًا لأمره، ثم قال لها ﷺ: «ارجعى إلى مكانك».

فرجعت إلى مكانها كما كانت.. لقد تم هذا الأمر الغريب، الخارق للعادة أمام ركانة، ورآه بعينى رأسه.. ولو قدر لأحد أن يرى وجه ركانة آنذاك، لرأى وجها آخر غير وجه ركانة المعروف.. وذلك مماطرأ عليه من دهشة واستغراب!!.

انصرف ركانة دون أن ينبس ببنت شفة، عاد إلى قومه يروى لهم غريب ما رآه، بحيث لا مجال لإنكاره.. لقد رأى الشجرة تجيىء إلى محمد، ثم تعود إلى مكانها كما أمرها -هو.. ومحمد قد صرعه وهو الذى لم يصرعه أحد من قبل، والأكثر من ذلك غرابة أن محمداً لم يكن معروفاً بأنه من أهل المصارعة!!.

لقد قال ركانة لقومه: إن محمداً ساحر كبير، ولا يوجد من هو أسحر منه، فلقد أرانى من سحره ما جعل خواطرى تذهب كل مذهب.. فلو جاء له كل سحرة الأرض ليساحروه لغلبهم.

مقطع رقم ١١١ جـ ١
رواية أخرى عن تلك المصارعة

١ وهناك مَنْ قالوا مقالًا غير هذا زاعمين
٢ قالوا: ركانةُ قد أجاب على التحدِّى يستبين(١)
٣ قد قال للهادى: تصارعنى صراعَ(٢) مراهنين
٤ أعطيك مئة من نعاجى إن تكن فى الغالبين
٥ فإذا غلبتُك فلتكن لى مثلها متعاهدين(٣)
٦ قال النبى له: رضيت بذلك الشَّرط المتين
٧ قد كان هذا قبل تحريم(٤) الرهان على اليقين
٨ فتجاولا، بطشَ النبىُّ به كبطش القادرين
٩ لكنْ ركانةُ هبَّ مذعوراً به غيظٌ دفين
١٠ قد قال: عُدْ أخرى فتلك شريعة المتصارعين
١١ لثلاث مرات يصارعه ويصرعُه الأمين
١٢ الدهشةُ استولت عليه فقال فى أسف الحزين
١٣ هاك النعاجُ وإننى أسلمتُ بين المسلمين
١٤ قال النبى: فلنْ نكونَ إلى نعاجك آخذين
١٥ هذا ركانةُ زاد إعجاباً بخير المرسلين

---

(١) يستبين – يتأكد.

(٢) صراع مراهنين – الغالب يأخذ من المغلوب شيئا يتفقان عليه.

(٣) متعاهدين – نتفق ونرتضى.

(٤) قبل تحريم الرهان – وبعد ذلك حرم.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١١١ جـ ١

فى المقاطع الثلاثة السابقة، تحدثنا عن ركانة بن عبد يزيد بن هاشم، ولقائه برسول الله ﷺ، ومصارعته له، ورؤيته المعجزة الخارقة للعادة بعينى رأسه، ولم نجد ما يشير عن إسلام ركانة تلميحا ولا تصريحاً.. وذلك عن رواية ابن هشام فى سيرته.

بيد أننا نعلم بأن ركانة هذا كان صحابياً معروفاً.. روت له كتب السنة، وأشهر ما روى عنه هو حديث طلاقه لامرأته ثلاثاً، فلما سأله رسول الله عن ذلك الطلاق قال «والله ما أردت إلا واحدة» فردها إليه رسول الله[١]

وهاتان روايتان تؤكدان إسلام ركانة.. الأولى: —

أن ركانة أجاب على التحدى لمصارعة رسول الله، لكنه قال: أصارعك يا محمد على أن أعطيك عشراً من نعاجى إن صرعتنى، فإذا صرعتك تعطينى أنت مثلها، وقد كان هذا قبل تحريم الرهان، فرضى رسول الله ﷺ بهذا، وصارعه، فصرعه ثلاث مرات متواليات.. فهتف قائلا:

أشهد أن هذه ليست قوة بشر، وأسلم وحسن إسلامه، وأبى رسول الله أن يأخذ الغنم... الثانية: —

أن ركانة بن عبد يزيد صارع النبى ﷺ، فصرعه رسول الله ثلاث مرات كل مرة على مئة من الغنم، فلما كان فى الثالثة قال:

يا محمد! ما وضع ظهرى على الأرض أحد قبلك، وما كان أحد أبغض إلى منك، وأنا أشهد أنك رسول الله، فقام عنه رسول الله، ورد عليه غنمه.. هذه الرواية رواها أبو بكر الشافعى بإسناد جيد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما.[٢]

هذه هى قصة ركانة أثبتناها بأمانة كما روتها كتب السير، ونحن نرجح قصة إسلامه، مخالفين بهذا رواية ابن هشام الذى لم يشر إلى إسلامه فى سيرته.

---

(١) بلوغ المرام من أدلة الاحكام للحافظ ابن حجر العسقلانى.

(٢) عن السيرة النبوية لابن كثير جـ ٢ ص ٨٢.

مقطع رقم ١١٢ جـ ١

وفد نصارى الحبشة عند رسول الله

١ جاء النصارى وافِدين إلى النبى ليسألوه
٢ وفد من الأحباش مِن عِنْد [(١)] النجاشي قابلوه
٣ جاءوا لكى يتعلّموا الدينَ القويم ويعرفوه
٤ جلسوا مع الهادى لدى البيتِ العتيق وناقشوه
٥ قالوا: لنسمع ما أتيتَ به فإنّا دارسوه
٦ عرض النبيُّ عليهم الإسلام فوراً أدركوه [(٢)]
٧ عرفوه ديناً قيّماً بقلوبهم قد أُشْربوه [(٣)]
٨ سمعوا من القرآن آياتٍ تخر لها الوجوه [(٤)]
٩ قد أعلنوا إسلامهم عند النبى وبايعوه
١٠ يانِعْم قوماً أسلموا نور الهداية آنسوه
١١ أثنى عليهم ربُّهم فى الذّكر حتى يَقْرءوه
١٢ قد قال عنهم إنهم فى الأمن مما قدّموه [(٥)]
١٣ أعطى لهم أجْرَين عند صبرٍ وعمّا أنفقوه

---

(١) من عند النجاشي – النجاشي هو ملك الحبشة .

(٢) أدركوه – فهموه .

(٣) قد أشربوه – خالط حبه قلوبهم .

(٤) تخرلها الوجوه – تسجد .

(٥) مما قدموه – عما قدموا من صالح الأعمال فى الدنيا .

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١١٢ جـ ١

وفد من نصارى الحبشة ، من عند النجاشى ملك الحبشة ، جاءوا وافدين إلى رسول الله ﷺ .

جاءوا ليتعلموا من رسول الله ، ويطلعوا على تعاليم دينه ، ويعرفوها معرفة حقيقية . ولاغرو فهم طلاب علم ومعرفة . ليسوا طلاب جدل وتعجيز .

لقد التقوا برسول الله ، فجلسوا معه فى جانب البيت الحرام ، وصاروا يسألونه عما يريدون . وهو يجيب على كل أسئلتهم .

بعد أن انتهوا من أسئلتهم وحديثهم مع رسول الله قالوا له : هيا يارسول الله ! أسمعنا واعرض علينا تعاليم دينك ، وما أنزل إليك من عند ربك ، فإنا سننظر فى هذا الأمر ، ونتدارسه فيما بيننا ، وبعد ذلك نتخذ قرارنا الأخير بإذن الله .

عرض عليهم رسول الله تعاليم الدين الحنيف بإيجاز ، ثم أسمعهم شيئاً من آيات القرآن الكريم ، وسرعان ما أيقنوا بما سمعوه واستوعبوه وأشربته قلوبهم .

ولاغرو فإن الذى يستمع للقرآن الكريم متفهماً لابد أن يدرك معانيه ويفهم مراميه ، حينئذ لايسعه إلا أن يخر ساجداً لعظمة الخالق العظيم .. ومن أبى ذلك فهو مكابر معاند .. ذلك لأنه ببلاغته الفريدة وثراء معانيه ، يشرق فى القلوب ويمس الوجدانات .

أما هؤلاء – وفد نصارى الحبشة – فأعلنوا إسلامهم فوراً ، ذلك لأنهم رأوا وأحسوا نور الهداية فى معانى القرآن الكريم .. فمن ثم استحقوا الثناء من ربهم عليهم فى محكم كتابه وذلك فى قوله تعالى :–

« الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين . أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ... الخ » الآيات ٥٢ – ٥٤ سورة القصص .

مقطع رقم ١١٣ جـ ١

أبو جهل يسب الأحباش لكونهم أسلموا

١ وفد النصارى أسلموا ، يانِعْم قوماً صادقين
٢ القـوم همُّـوا بالـرّواح وبالغنيمـــة عائديـــن
٣ تلك الغنيمةُ كونُهم صاروا جميعاً مسلمين
٤ لكنْ قريشٌ قد أبوْا أن يتركوهـم آمنين
٥ قد روّعوهـم (١) بالتطـاول والشتـائم لائـمين
٦ منهم أبـو جهــل عدوُّ الله والحقِّ المبين
٧ قال اللعين لهم: خَسِئْتم بئس قوماً وافدين
٨ يابئس قومـاً قد أتيتُـم وانصرفتم خائـبين
٩ جئتم تركتُم دينكم من أجل قول الساحرين(٢)
١٠ أنتم أضعتم قومكم إذ أرسلـوكم رائديـن (٣)
١١ قالوا له: إنا أبينـا أنْ نُجارى الجاهـلين
١٢ لَسْنـا إلى لهوٍ أتيْنـا ، بل أتيْنـا باحـــثين
١٣ ولقـد وجدْنـا مانُريـد ، وإنّـه حقُّ اليـقين
١٤ نِعْم الرّجال ، لقد أصابوا أصبحوا فى المهتدين

---

(١) قد روعوهم – أخافوهم .

(٢) من أجل قول الساحرين – هو يعنى محمدا .

(٣) أرسلوكم رائدين – الريادة هى الوفادة ويقوم بها واحد أو أكثر نيابة عن قومهم .

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١١٣ جـ ١

وفد النصارى الذين قدموا من الحبشة ، أعلنوا إسلامهم طائعين مختارين ، وذلك بعد أن التقوا برسول الله ﷺ ، وسمعوا منه القرآن الكريم ، فضلًا عن بعض تعاليم الدين التى أعجبتهم .

بعد ذلك قرروا العودة إلى بلادهم ، ثم هموا بالرواح ، فلقد غنموا مغنماً عظيماً ، ذلك المغنم هو : أنهم رأوا النور ، وأبصروا الحق ، ولمسوا العدل ، فى تعاليم الإسلام الذى اعتنقوه راضين به .

بيد أن رجال قريش عرفوا بأن وفد النصارى القادمين من الحبشة ، قد التقوا بمحمد ، وبمجرد أن التقوا به ، تركوا دينهم واعتنقوا الإسلام دينا ، وآمنوا بالله رباً وبمحمد رسولاً .. فطار صوابهم ، وعلى رأسهم عدو الله أبو جهل ، فقرروا أن ينالوا منهم بالشتم والسباب علانية .

وفعلًا لقد تصدى لهم عدو الله أبو جهل ، فأمطرهم بوابل من الشتائم ، من بذىء الألفاظ ، مما يندى له الجبين ثم قال لهم :

ألا بئس القوم أنتم ، لقد جئتم إلى مكة وأنتم رجال ، تعلوكم الهيبة ويكسوكم الوقار ، فلم تلبثوا أن تركتم دينكم من أجل قول رجل ساحر .. وها أنتم تنصرفون والذلة والصغار على وجوهكم وهيئاتكم ، لقد خبتم وخاب مسعاكم وخاب قوم أرسلوكم أيضا .

لقد أضعتم قومكم الذين اختاروكم وتوسموا فيكم الحكمة وصواب الرأى ، لكنكم خيبتم ظنهم .. بيد أن الأحباش كانوا ذوى أحلام وأفهام ، فأجابوا على هذا كله بقولهم الذى حكاه القرآن الكريم عنهم .

« وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لانبتغى الجاهلين [١] » ثم قالوا :

إنا لم نأت إلا للبحث عن الهداية ، ولقد وجدنا ضالتنا .. ألا فنعم الرجال هم ، لقد أصابوا واهتدوا .

---

(١) آية رقم ٥٥ سورة القصص .

مقطع رقم ١١٤ جـ ١

المشركون يقولون: الفقراء أتباع الإسلام

١ المصطفى فى مجلسٍ فى جانب البيت الحرام
٢ مِن حوله عَمَّار والخبّاب والصّحب الكرام
٣ هم من خيار المسلمين السابقين إلى الأمام (١)
٤ المصطفى يَتْلو من القرآن هدياً للأنام
٥ هم يسْمعون الذّكر (٢) فى صمْت مهيب واحترام
٦ كانوا أذلّة (٣) قومهم فى الكفر فى عهد الظلام
٧ عزُّوا وصاروا سادةً فى ديننا دين السّلام
٨ المشركون يتابعون لقاءهم (٤) بالاهتمام
٩ قالوا: فإنّ محمّداً أتباعُه قومٌ عَوام
١٠ هم من ضعاف القوم ليسوا أهلَ فضل أو مقام
١١ لوكان دين محمد خيراً وفيه الاغتنام!
١٢ كنا سبقناهم إلى أخذ الغنيمة والمرام (٥)
١٣ يابئس ديناً إذ يساوى العبدَ بالقوم العظام
١٤ تلكم مفاهيم بها عاشوا وَلجّوا فى الخِصام

---

(١) إلى الأمام – فى مقدمة المسلمين .

(٢) يسمعون الذكر – هو القرآن الكريم .

(٣) كانوا أذلة قومهم – كانوا عبيدا قبل الإسلام .

(٤) يتابعون لقاءهم – لقاء المسلمين برسول الله .

(٥) الغنيمة والمرام – المكاسب المادية .

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ١١٤ جـ ١

يجلس محمد ﷺ فى ظل الكعبة ، وقد اجتمع حوله بعض أتباعه ممن كانوا مستضعفين قبل الإسلام مثل: عمار بن ياسر ، خباب بن الأرت . بلال بن رباح ، صهيب الرومى وغيرهم .. وهؤلاء بلا شك من خيار المسلمين ، لسبقهم إلى الإسلام .

رسول الله يتلو عليهم من كتاب الله عز وجل ، ولاغرو فكلام الله يمس الوجدانات والقلوب ببلاغته ، وتسجد النفوس إكباراً لهيبته .. فيه الهداية للخلق جميعاً .

كانوا يستمعون لتلاوة رسول الله فى صمت خاشع مهيب ، كأنما على رءوسهم الطير ، إجلالًا وتعظيما .

هؤلاء الذين ذكرناهم آنفاً ، كانوا أذلة القوم ، كانوا عبيداً ومستضعفين ، وذلك فى ظل الكفر وعهد الظلام .

وجاء الإسلام . وأشرقت تعاليمه ، وشع نوره ، فبادروا إليه مسرعين ، طائعين مختارين ، ذلك لأنهم وجدوا فيه ضالتهم .. بل وجدوا فيه أنفسهم ، كيف لا ، وهو الدين الذى ساوى بين الناس فى الحقوق والواجبات ، الكل أمام الله سواء .. إذن فهو الواحة المفقودة التى تحن إليها نفوس المستضعفين .. لقد صاروا فى الإسلام سادة ، بعد أن كانوا فى الكفر عبيداً أذلاء .

إن التفاضل بين الناس فى الإسلام ، ليس للأحساب ولا للأنساب ، ولا لذوى الجاه أو السلطان أو العشيرة ، لا . وإنما التفاضل فيه بالتقوى كما قال الله عز وجل: «أكرمكم عند الله أتقاكم» وقول المصطفى ﷺ:

«لافضل لعربى على أعجمى ولا لأعجمى على عربى إلا بالتقوى» البخارى ومسلم .

وقد كان المشركون يتابعون باهتمام . كل خطوات محمد ﷺ ، ولقاءاته بأصحابه ، وذلك لكى يكونوا على علم بأحوالهم .

وهم أيضاً يأنفون من اتباع محمد ، ذلك لأن الذين اتبعوه كلهم من عوام الناس المغمورين ، وليسوا من سادات الرجال .. وأيضاً لكون دينه يساوى بين السادة والعبيد .. ثم يقولون: لوكان هذا الدين فيه الخير لكنا أسبق إليه من هؤلاء .

بهذه المفاهيم العقيمة ظلوا معاندين مخاصمين للإسلام .

مقطع رقم ١١٥ جـ ١
المشركون يطلبون من محمد طرد أصحابه

١ المشركون تخبّطوا فى رأيهم نحو الضلال
٢ قد وجهوا للمصطفى لوماً بأسلوب الجدال
٣ قالوا: فإنّا قد أتيْنا للتّفاهم والسؤال
٤ إنّا نحبُّ بأن يكون جُلوسُنا فيه الجلال[١]
٥ فَلتطْردِ الضعفاء عنا، لا يجيئون المجال[٢]
٦ لا ينبغى أن يجلسوا معنا على أىِّ احتمال[٣]
٧ هم من ضعاف القوم لكنْ نحن ساداتُ الرّجال
٨ المصطفى قد حدَّثته النفسُ عن هذا المقال
٩ هل يستجيب لهم فيطردُ صَحْبَه؟! هذا مُحال
١٠ الحَيْرة استولتْ عليه فصار فيه[٤] الإنشغال
١١ إشراقة الإيمان فى أعماقه[٥] للإعتدال
١٢ فوراً أتاه الوحى يهدى خطْوه نحو الكمال
١٣ إياك لا تطرد ضعاف الصحب أبطالَ النضال
١٤ هم فى دعاءٍ فى الغداة وفى العشى وفى الزوال

---

(١) فيه الجلال – الهيبة والاحترام.

(٢) لا يجيئون المجال – لا يجلسون معنا.

(٣) على احتمال – مهما كان السبب.

(٤) فصار فيه الانشغال – صار مشغول الفكر.

(٥) للاعتدال – تحول بينه وبين أن يميل للخطأ.

.المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١١٥ جـ ١

مشركو مكة، تخبطوا فى آرائهم، الآراء تعددت، كل ذى رأى أبدى رأيه، وكلها آراء فاسدة تدور حول معنى واحد، وهدف واحد هو:

الكيد للإسلام ومحاربة رسوله والقضاء عليهما بكل وسيلة ممكنة، ولو ركبوا فى سبيل هذا الهدف متن الخطر.

من بين الآراء الكثيرة المطروحة، رأى اتفقوا على تنفيذه.. وهو أسلوب المناوره، ويبدو أنهم اقتبسوه من اليهود.. فأظهروا الميل للإسلام لقد جاءوا إلى محمد ﷺ فقالوا له: يا محمد!

إننا نحب أن نجلس معك، ونتحدث إليك، ونستمع إلى ما جئت به.. ولكن يمنعنا من هذا، أننا نرى هؤلاء الضعفاء، دائماً يكونون حولك، لا يتركونك أبداً.. ونحن لا نرضى أن يضمنا وهؤلاء مجلس واحد بأى حال.

ذلك لأنهم من العبيد، أما نحن فإننا سادات القوم.. فإن شئت أن نجلس معك، فلتطرد هؤلاء الأعبد من مجلسك يا محمد.

كان محمد ﷺ، يتمنى أن يسلم هؤلاء السادة.. ولذا فقد صار يفكر فى ما قالوه.. وخلا لنفسه يقلب وجوه الآراء.. أيستجيب لطلب هؤلاء المشركين فيطرد أصحابه المؤمنين المخلصين؟! لا.

فإن مجرد التفكير فى طرد أصحابه، ليس مطروحا لديه، ولا هو موضع مناقشته مطلقا، ولكنه كان يفكر فقط فى إبعادهم عن مجلسه مؤقتاً، ثم يلتقى بهؤلاء المغرورين ليعرف بل يختبر نواياهم.

بيد أن الوحى الأمين، أدرك محمداً، وأخرجه من حيرته التى شغلته وأهمته، واستنفذت جل تفكيره.. وذلك فى قول خالد ظل يتلى على سمع الدنيا كلها، هو قول الحق تبارك وتعالى:

«ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيىء وما من حسابك عليهم من شيىء فتطردهم فتكون من الظالمين»(١).

---

(١) آية رقم ٥٢ سورة الأنعام.

مقطع رقم ١١٦ جـ ١
العاص بن وائل يقول: محمد أبتر

١ العاصُ قال عن النبيّ بأنه في الناسِ أبتر[١]
٢ أولادُه ماتوا وسوف يظلّ فرداً ليس أكثر
٣ إذ ما يمتْ فَلَسوْف يُنسى، لا بنين له ليُذكر
٤ هى قولةٌ مخبولةٌ قد قالها عبدٌ تجبَّر[٢]
٥ الحقد يَكوى قلبَه والعقلُ منه لقد تحجّر
٦ ولسوف يَصْلى للجحيم، فلم يقُل الله أكبر[٣]
٧ لكنَّ ربّ محمدٍ أعطاه بالكيل الميسّر
٨ أعطاه خيراً وافراً في جنة الفردوس كوثر
٩ هو في رحاب الخُلْد يَزْهو رافلاً والرزق أيسر
١٠ أما الحقود فسوف يبقى في جهنم إذ تسعّر
١١ نار لها عينان تنظر كلّ عبد كان أكفر[٤]
١٢ ولها لسانٌ ناطق بالمجرمين يكون[٥] أخبر
١٣ وبكلِّ جبّار عنيد كان أشرك أو تكبّر
١٤ هى إذ تقول لهم تَعالَوْا، إنكم بالمقْت أجْدر

---

(١) أبتر – لا ذرية له.

(٢) تجبر – صار جباراً.

(٣) فلم يقل الله أكبر – لم يؤمن بوحدانية الله.

(٤) كان أكفر – أشد كفراً.

(٥) يكون أخبر – أكثر خبرة.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ١١٦ جـ ١

العاص بن وائل السهمى، من كبار مشركى مكة العتاة، قال عن رسول الله قولًا شامتاً حاقداً.. لقد قال عدو الله: إن محمداً أبتر ولا عقب له.. فأولاده يموتون، وسوف يظل بغير ذرية له تحمل اسمه، وترفع ذكره بين الناس.

ومن ثم فحين يموت محمد، فسوف نستريح منه، لأن ذكره سوف يموت بموته، وحينئذ يطويه النسيان، كما طوى الكثيرين قبله.

والواقع أن هذا القول صادر عن عقل مخبول قاصر... حاقد حاسد، فالحقد يحرق قلبه، والحسد يمزق نفسه، قلبه متحجر، ذلك لأنه خلا من الإيمان.. ولسوف يصلى نار جهنم ذلك لأنه لم يؤمن بوحدانية الله عز وجل، ولا برسالة محمد ﷺ.. بل ناصبه العداء ونال منه.

نعم، ليس لمحمد ذرية من الذكور، ولكن الله عز وجل، أعطاه ما هو خير من الولد..! لقد اصطفاه لنفسه من خلقه، واختاره للرسالة الخاتمة هذا فى الدنيا.. أما فى الآخرة فقد أعطاه أسمى ما تتطلع اليه نفس بشر به، لقد أعطاه الكوثر فى جنة الفردوس.

سوف ينعم محمد بالخلود فى الجنة، يغدو ويروح فيها مزهواً سعيداً.. ولا غرو فنعيم الجنة لا يستطيع واصف أن يصفه لقوله عليه الصلاة والسلام:

«فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»

أما عدو الله، العاص بن وائل، فسوف يكون فى جهنم حيث تسعر نارها، ويأكل بعضها بعضاً، وهى تنظر من بعيد إلى المجرمين من أهلها، فتوشك أن تنقض عليهم فتخطفهم، وصدق الله حيث قال:

«إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيراً» آية ١٢ سورة الفرقان.

وللنار عينان تبصران، وآذان تسمع، ولسان ينطق كما قال ﷺ:

«يخرج عنق من النار يوم القيامة، له عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق يقول: إنى وكلت بثلاث: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر وبالمصورين» رواه الترمذى عن أبى هريرة.

مقطع رقم ١١٧ جـ ١

المشركون يطلبون من محمد رؤية الله

١ المصطفى ما ملّ يدعو قومه حتى النهايه
٢ قد أسمعُوه من الأذى قدْراً تَساوَى بالجنايه
٣ قالوا: فإن محمداً بالجنِّ موصولُ[(١)] الروايه
٤ هو شاعرٌ هو ساحرٌ يتخبّطون بلا درايه
٥ جاءوا إليه وجادلوه ولم يجيئوا[(٢)] للولايه
٦ قالوا: فإنك يا محمدُ من إلهك فى رعايه
٧ هلّا أتيْتَ به نراه لكى نُصدّق ذى الحكايه؟!
٨ هلّا أعانكَ بالملائكة الكرام على الهدايه؟!
٩ لكنّ ربّ محمد يَحْدوه دوماً بالعنايه
١٠ يأتيه جبريل الأمين من السَّماء بكلّ آيه
١١ فى هذه جاء الجوابُ مع الأمين بكل غايه
١٢ فى سورة الأنعام والفُرْقان هدى من غوايه[(٣)]
١٣ نِعْم الجواب فإنه كالسهم[(٤)] من نَبْل الرمايه
١٤ فلتقرءوه فإنّه نور ويهدى مِن عمَايه[(٥)]

---

(١) بالجن موصول الرواية — له صلة بالجن مثل الكهان.

(٢) ولم يجيئوا للولاية — لم يجيئوا ليسلموا بل ليخاصموا.

(٣) هدى من غواية — جواب على التساؤلات يهدى الضالين.

(٤) كالسهم من نبل الرماية — الجواب أصاب موضعه كما يصيب السهم الغرض.

(٥) يهدى من عماية — من حيرة وضياع.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١١٧ جـ ١

لم ييأس رسول الله محمد ﷺ ، من مواصلة الدعوة إلى دين الله ، إنه الدين الذى ارتضاه الله لخلقه ، ولا دين عند الله سواه ، لقوله تعالى !

« ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » (١)

إلا أن مشركى مكة وزعماءها ، رفضوا الاستجابة ، فهم لم يتصوروا أن يكون محمد ﷺ . أهلًا لتلك المهمة .. فردوا عليه رداً غير كريم ، بل تطاولوا عليه بألفاظ يعف اللسان عن ذكرها ، بحيث لو قننت أو قيمت لكان جزاء قائليها القتل حداً .

ثم لجأوا إلى التشكيك فى كل ما جاء به محمد ﷺ ، فقالوا : إن محمداً له صلة وثيقة بالجن .

ثم قالوا : إنه شاعر !!! ثم عدلوا عن ذلك فقالوا : هو ساحر !!! إنه التخبط فى كبر وعناد .

مما لا شك فيه أن أمر محمد ﷺ ، بات يشغل أذهان زعماء قريش فهم يفكرون ويجهدون أنفسهم فى التفكير ، ليحاربوا محمداً ﷺ بأقوى مما يملكون من أسلحة .

جاءوا إلى محمد ﷺ ، يسألونه فى صيغة جدل فقالوا :

ألست تزعم يا محمد أن ربك قد اختارك للنبوة ؟! إذن فأنت كريم أثير عنده .. إن كنت صادقاً يا محمد فيما تقول ، فإننا نريد منك أن ترينا ربك .. وأيضا فلماذا لم يرسل معك ربك بعض الملائكة ليكونوا معك ، يصدقونك ويعينونك ، فإن ذلك أقوى وأجدى فى إقناع الناس ؟! .

إنها أسئلة مجاب عليها ، وذلك فى ثنايا آيات القرآن الكريم ، لأنها أسئلة مكررة ، سبق أن سألها كفرة الأمم السابقين لأنبيائهم . فجاء الجواب على هذه التساؤلات ما يأتى :

« وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ... » (٢)

« ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ... » (٣)

« وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيراً » (٤)

« وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً » (٥)

---

(١) آل عمران (٢) الانعام (٣) الانعام (٤) الفرقان (٥) الفرقان

مقطع رقم ١١٨ جـ ١
المشركون قالوا: القرآن أساطير الأولين

١ يمضى محمد فى الجهاد بكلِّ أُسلوبٍ قويم
٢ يتلو من القـــرآن آياتٍ لها شأن عظيم
٣ كفار مكّة أعلنوا التكـذيبَ للآى الكـريم
٤ قالـوا: فإنّ محمـداً يتلـو الأساطير[1] القـديم
٥ رجلٌ من[2] الأعجام علّمه من القول الحكيم
٦ ما أسخفَ الأفهامَ حين تُصدِّق القول[3] العقيم!!
٧ قد أخضعوا أفهامهم للحقد والرأْى السقيم
٨ هل يستطيع الأعجمىُّ بِلكْنـةٍ[4] لا تستـقيم!
٩ أن ينظمَ القرآنَ هذا؟! لا، فذا نظْمُ العليم!!
١٠ أهلُ الفصاحة[5] قصَّروا، أيصوغُه رجلٌ عجيم؟!
١١ كلّا فهذا القول ليس يقوله عقـلٌ سليم
١٢ هو من حقودٍ جاحدٍ، هو قول شيطان رجيم

---

(١) الأساطير القديم – قصص وأخبار الأمم الماضية.

(٢) رجل من الأعجام – من غير العرب.

(٣) القول العقيم – كناية عن الفهم القاصر عن الإدراك.

(٤) بلكنة لا تستقيم – بلهجة مكسرة معوجة.

(٥) أهل الفصاحة قصروا – عجزوا عن محاكاته.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١١٨ جـ ١

يمضى رسول الله ﷺ، مجاهداً فى سبيل توصيل الدعوة إلى كل من يراه أو يعرفه بكل وسيلة ممكنة.. وبكل أسلوب يتصوره ناجحا قد يخاطب العقل أو يمس الوجدانات ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

معه كتاب الله المنزل عليه من ربه، يتلو منه على أسماع الناس لا سيما رجال قريش، الذين هم أهله وعشيرته.. ولا غرو فالقرآن الكريم صار له من علو الشأن فى نفوس العرب - برغم شركهم - ما جعله يتسامى بمعانيه عندهم إلى قمة البلاغة والبيان.

ذلك لأنهم أهل فصاحة ولسان، بحيث انقادت إليهم أعنّة اللغة طائعة مختارة.. فملكوا ناصيتها، وامتطوا صهوتها، فصاروا سادة البيان، وبزوا كل الأمم فى هذا الميدان!!

ومن المعلوم لكل ذى عقل بأن القرآن الكريم، ليس أسلوباً إنشائيا، ولا هو خيال شاعر لا، إنما هو كلام الله المعجز، ومن ثم فهو يتحدث إلى الناس بالحجة القوية والبرهان الساطع، فيمس واقعهم، ويجيب على كثير من تساؤلاتهم.. ثم ينعى عليهم جحودهم وإنكارهم، وقصور عقولهم عن إدراك الحق والانقياد له.

برغم هذا كله، فقد أعلنوا تكذيبهم للقرآن وقالوا: إنه ليس من عند الله.. إنه أساطير الأولين، ينقلها محمد عن الآخرين.

«وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا» آية ٥ الفرقان، بل ذهبوا إلى ما هو أكثر من هذا غرابة فقالوا: إن محمداً يذهب إلى رجل نصرانى فيعلمه هذا العلم!!! ألا ما أسخف الأفهام حين يعميها الحقد والعناد عن رؤية الحق والنور، فكونهم ينسبون القرآن الكريم إلى رجل أعجمى بأنه يمليه على محمد، فهذا لعمر الله هو الإسفاف والهبوط بالأفكار إلى الحضيض.

يالله!! هل يستطيع الأعجمى ذو اللسان الألكن، أن يصوغ آيات القرآن الكريم، فى حين أن أساطين اللغة من قريش عجزوا عن محاكاته، وقد حكى القرآن عنهم هذا فى سخرية وتهكم فقال:

«ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين» آية رقم ١٠٣ سورة النحل.

● مرحلة هامة فى عمر الدعوة

● أحزان محمد

● رحلة الطائف

● الإسراء والمعراج

مقطع رقم ١١٩ جـ ١

موت خديجة بنت خويلد

١ زوج النبى خديجةٌ كانت له الصدرَ الحنون
٢ أعطتْه كلّ وفائها طوعاً فما كانت تخون
٣ كانت تُقاسمه المتاعب والحقائق[١] والظنون
٤ قد أغدقتْ من مالها كى لا تغالبه السنون[٢]
٥ هى أول الزوجات كانت نِعْمتْ الزوج المصون
٦ قد أنجبت للمصطفى الأبناء قرات[٣] العيون
٧ أبناؤه منها جميعاً، هم بناتٌ أو بنون
٨ هى خَيْر نسوةِ قومِها للمصطفى كانت تصون
٩ ظلّت له بوفائها وبنصْرها أنّى يكون
١٠ حتى أتاها هادم اللذات وانتصر[٤] المنون
١١ حَزن الرسول لفقدها حُزنا تنوء به الحصون
١٢ رُحْماك ربى قلبه نارٌ تأجّج من شجون[٥]
١٣ لكنّ ربّ العرش أدرك مصطفاه من الفتون[٦]

---

(١) الحقائق والظنون – المشكلات الحاضرة والمتوقعة

(٢) حتى لا تغالبه السنون – كى لا يضعف عن الدعوة بسبب الفقر.

(٣) قرات العيون – جمع قرة.

(٤) وانتصر المنون – هو الموت.

(٥) نار تأجج من شجون – يحترق من حرارة الأحزان، وينبغى أن تكون من «أشجان» ولكن لضرورة القافية.

(٦) من الفتون – الاختبار بالمصائب.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١١٩ جـ ١

خديجة بنت خويلد، زوج النبى محمد ﷺ، كانت له بمثابة مأوى الأمان وصدر الحنان، يعود إليها كل يوم مثقلا بالهموم مما لاقاه من السفهاء والمعارضين، فتسرى عنه وتبدد همومه، فيشعر بالراحة والطمأنينة والأمان معها وبها.

تلك السيدة الفاضلة كانت وفية مخلصة لمحمد ﷺ، ولدعوته التى آمنت بها واعتنقتها طائعة مختارة، ألا وهى دعوة الإسلام، كان إخلاصها مضرب الأمثال، لم تخن أمانتها، ولم تضعف عن أداء واجبها فى نشاط وتفان وحب وإخلاص.

شاركت رسول الله همومه ومتاعبه، كانت تناقش معه الآراء فى كل شيىء ترسم معه خطوط المستقبل.. وهى فضلًا عن هذا غنية ذات مال، فأغدقت بسخاء على رسول الله حتى يستطيع أن يقوم بأعباء الدعوة، ولا يضعفه عن ذلك مطالب الحياة اليومية.

وهى أولى أزواجه.. فنعمت الزوجة إخلاصاً ورجاحة عقل ووفاء، فهى شريفة فى قومها، ذات مكانة مرموقة فى قريش.. وهى التي أنجبت لرسول الله ﷺ كل أبنائه، بنين وبنات إلا ابراهيم عليه السلام فإنه من مارية القبطية.

ظلت تجاهد مع رسول الله بنفسها وبمالها وإخلاصها وحبها ووفائها، إلى أن انتقلت إلى الرفيق الأعلى، والرسول فى أشد ما يكون لها احتياجاً.

ولا غرو أنها أفضل امرأة فى قريش، صانت رسول الله فى حياته.. قد كانت وزير صدق له، لذا فقد كان حزنه عليها أكثر من حزنه على أى شيىء.. ولكن الله عز وجل أدرك رسوله من أن تنال حرارة الأحزان منه أكثر مما نالت، فأعطاه طاقة من عنده ليصمد فى مواجهة المحن التى توالت وتتوالى عليه.

مقطع رقم ١٢٠ جـ ١
موت أبى طالب عم رسول الله

١ مِن بَعْد موت الزوج مات العمُّ فى عام حزين
٢ قد ودّع الدنيا ولم يؤمن بدينِ المسلمين
٣ قد كان عند الاحتضار مُوزّعاً(١) فى الحاضرين
٤ جاء الطُّغاةُ إليه كانوا من كِبار المشركين
٥ قالـوا له: لا تستمـع لمحمـدٍ هذا المهين(٢)
٦ واثْبُتْ على دين الأبوَّة والجدود الأقـدمين
٧ بذلَ النبىّ رجاءه للعـمِّ حتى يستـبين(٣)
٨ ويقـول: ياعـمّ اتبعنـى فى عِداد التابـعين
٩ يا عمّ انطـقْ بالشهـادة مرةً كالشاهديـن
١٠ كى أستطيع شفاعةً لك عند ربِّ العالمين
١١ قد كان يرجو أن يكون لعمِّه الدِّرع المتين(٤)
١٢ لكنّه رفض الرجاءَ ومات موتَ الكافريـن
١٣ عباسُ قال: سمعتُه نطق الشهادة عن يقين
١٤ قال النبى فما رأيتُ، ولم أكن فى السامعين

---

(١) موزعا فى الحاضرين – رسول الله يدعو لينطق بالشهادة، والمشركون يقولون لا، فكان موزع العواطف بين الفريقين.

(٢) المهين – اسم فاعل من أهان، ومعناه الذى أهاننا.

(٣) حتى يستبين – يتبين الرشد والصواب.

(٤) الدرع المتين – الذى يقيه من العذاب.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٢٠ جـ ١

من بعد أن انتقلت خديجة زوج محمد ﷺ إلى الرفيق الأعلى مات عمه أبو طالب.. مات أبو طالب دون أن ينطق شهادة الحق.. إذن فقد مات كافراً.

وقد سمي العام الذى ماتت فيه زوجه وعمه أبو طالب عام الأحزان، ولا غرو فقد كان أبو طالب سنداً وحصناً لرسول الله، وقف أمام قريش كلها يحميه من عدوانهم، وكان رسول الله يشعر بالطمأنينة لوقوف هذا العم بجانبه.

مات أبو طالب مشركا.. فحين حضرته الوفاة، كان رسول الله ﷺ عنده، وجاءه كبار قريش وأشرافها فقالوا له: يا أبا طالب! إنك منا حيث قد علمت، وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك، وقد علمت الذى بيننا وبين ابن أخيك، فإياك أن تستمع لمحمد أو تستجيب له، وأنت شيخ بنى هاشم وزعيمها، فاثبت على دين الآباء والجدود.

وصار رسول الله يقول لعمه: «أى عم فأنت فقلها – الشهادة – أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة» فلما رأى حرص رسول الله ﷺ قال: يا ابن أخى! والله لولا مخافة السبة عليك وعلى بنى أبيك من بعدى، وأن تظن قريش أنى انما قلتها جزعاً من الموت لقلتها، لا أقولها إلا لأسرك بها» (١)

فلما تقارب من أبى طالب الموت. نظر العباس إليه، فرآه يحرك شفتيه، فأصغى إليه بأذنه، فقال العباس لرسول الله:

يا ابن أخى! والله لقد قال أبو طالب الكلمة التى أمرته أن يقولها، فقال رسول الله «لم أسمع»

وهكذا فقد مات الاثنان اللذان كانا نعم النصيران لرسول الله.. ماتا فى عام واحد، من بعدهما صار رسول الله، هدفا لعدوان قريش.

---

(١) صحيح مسلم والسيرة النبوية لابن كثير جـ ٢ صفحة ١٢٧

مقطع رقم ١٢١ جـ ١
عام الأحزان

١ عامٌ[١] حزيـــن مرَّ بالهادى وكان له صداه
٢ اثنـان ماتـا فيـه كانـا للنبـــى على هواه
٣ زوج تفانت فيه حتى ودَّعت نبضَ الحياة
٤ هى زوجة مُثْلى فكانت ذات إخلاص وجاه
٥ قد ظلّ يعطيها الوفاء مدى الحياة على هُداه[٢]
٦ أعطى صديقـاتٍ لها وداً وأعطاهـم رضاه
٧ والعمّ نِعْم العمّ كان على الخصوم من العتاه[٣]
٨ عمّ حماه من الطفولـة للرجولـة واحْتـــواه
٩ قد كان نِعْم العمّ طُول حياته حتى الوفاه
١٠ قلب تمزَّق بالهمـوم وكم تمزَّق فى صِبـاه
١١ الكائناتُ بكتْ مع الهادى تشاركـه بُكـاه
١٢ لكنه لم يترك الأحـزان تُقْصر من خُطـاه[٤]
١٣ بل باتَ يعمل[٥] فكره فى كلّ صَوْب واتجاه
١٤ النور فى أعماقه من ربِّـه مُنْـذ اصطفـاه

---

(١) عام حزين – العام الذى مات فيه عمه وزوجه.

(٢) على هداه – بأسلوب الهدى النبوى.

(٣) من العتاه – كان قويا عاتيا على خصوم محمد.

(٤) تقصر من خطاه – لم يستسلم للحزن ويقعد عن الدعوة للدين.

(٥) يعمل فكره – يفكر بجدية فى أمر الدعوة.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ١٢١ جـ ١

كما أسلفنا فى المقطع السابق، بأن العام الذى ماتت فيه خديجة زوج محمد ﷺ، ومات أبو طالب فيه أيضاً، سمى عام الحزن.

ولم لا، فالزوجة كانت فى البيت، يعود إليها بهمومه وآلامه، مما يلقاه من عنت المشركين وغلظتهم وجفائهم، فتخفف عنه كل هذا وتبدده بصدق حبها وودها، وحديثها العذب الذى كان يمس أوتار قلبه..

لقد ظلت على وفائها وحبها وإخلاصها، تعمل فى صمت وصبر تؤازر رسول الله فى كل شيىء، حتى وافتها المنية المحتومة، فودعت الدنيا وهى راضية مرضية.

وقد ظل رسول الله ﷺ، وفياً لها بعد موتها، مدى حياته يذكرها بالخير، يترحم عليها ويثنى عليها بغير تحفظ، بل كان يكرم صديقاتها لأجلها، لدرجة أنه كان يذبح الشاة، فيقطعها أعضاء ثم يبعثها لصديقات خديجة.[1] حتى عائشة رضى الله تعالى عنها، كانت تغار من كثرة ذكر رسول الله لها وثنائه عليها، فقالت يوما لرسول الله:

ما أكثر ما تذكر حمراء الشدقين، قد أبدلك الله خيراً منها، فقال عليه الصلاة والسلام: «ما أبدلنى الله خيراً منها، وقد آمنت بى إذ كفر الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وآستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله ولدها إذ حرمنى أولاد النساء»[2]

وأما أبو طالب، فقد كان الكافل لرسول الله بعد وفاة عبد المطلب، وظل عنده حتى صار يافعاً، وبعد أن أكرمه الله بالرسالة حماه وظل يسنده ويدافع عنه حتى جاءه أجله.. ولذا فأحزان محمد كانت قاسية مؤلمة، فلا غرو أن تكون الكائنات جميعها شاركت محمداً أحزانه وآلامه.

بيد أن رسول الله لم يستسلم للأحزان، فأخذ يفكر فى أمره، فقلبه عامر بالإيمان ونور النبوة يهديه إلى أقوم طريق.

---

(١) من رواية البخارى بتصرف (٢) مسند الإمام أحمد.

مقطع رقم ١٢٢ جـ ١
رسول الله يعقد على عائشة

١ من بعد أن ماتت خديجة زوج خيرْ المرسلين
٢ حَزِن الرسول لفقدها حُزْناً يفوق الحازنين[١]
٣ كانت له الصدرَ الحنونَ ونِعْمت العقل الفطين
٤ لكنْ رسولُ الله قدوتنا فنحن المهتدين
٥ لا لن يظلّ بغير زوج كالنصارى الراهبين[٢]
٦ إنّ الزواج لَسُنّة شُرِعت لكل المسلمين
٧ فى بيْت صاحبه أبى بكر أتى الهادى الأمين
٨ قد جاء يَخطبُ بنته يا نِعْم خير الخاطبين
٩ عن إبنة الصّدِّيق عائشة فسلْنى كى أُبين
١٠ تلْك التى قد جاء يخطبها إمامُ المتّقين
١١ كانت فتاة سنُّها لم يبلغ العَشْر[٣] السنين
١٢ لكنْ أراد الله هذا فلنكُنْ مُسْتيقنين
١٣ العقد تمّ على الفتاة ونالت الشرفَ المتين
١٤ لكنْ فلم يدخلْ بها فى ذلك الوقت الثمين
١٥ دخل الرسول بها بيثرب بعد[٤] سَوْدةَ عن يقين
١٦ ما كان بِكْراً غيرها فى أمهات المؤمنين
١٧ شرفٌ إلى الصّدِّيق صَاهره رسولُ العالمين

---

(١) الحازنين - اسم فاعل من حزن وهو جمع حازن

(٢) كالنصارى الراهبين - أى مثل رهبان النصارى

(٣) لم يبلغ العشر السنين - كان سنها سبع سنوات

(٤) بعد سودة - بعد أن دخل على سودة بنت زمعة

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٢٢ جـ ١

بعد أن ماتت خديجة بنت خويلد، زوج النبى محمد ﷺ، حزن رسول الله عليها حزنا شديداً يفوق كل حزن، ذلك لأنها كانت مأوى الأمان وصدر الحنان له.. هذا فضلاً عن رجاحة عقلها، إذ لم يكن يعدم رأيا عندها فى أحلك الظروف.

وكان لابد لرسول الله أن يتزوج، فلن يظل عزباً دون زواج شأنه فى ذلك شأن رهبان النصارى لا، فهو الذى جعل الزواج لكل مسلم.

وذهب رسول الله إلى بيت أبى بكر الصديق ليخطب ابنته عائشة الصغيرة كان عمرها آنذاك سبع سنوات.

وتم العقد فعلا لرسول الله على عائشة.. بيد أن رسول الله أرجأ الدخول بها إلى وقت آخر.. قد يكون لصغر سنها أو لأمر لا ندريه.. ثم عقد على سودة بنت زمعة ودخل بها.

ومن المعروف أن أزواج رسول الله كلهن ثيبات، إذ لم يتزوج رسول الله بكراً غير عائشة.. فكانت تتفاخر بهذا على ضرائرها.

ومن المعروف أيضا أن الذى قام بدور الوساطة فى زواج رسول الله من عائشة ومن سودة بنت زمعة، هى خولة بنت حكيم بن حزام، زوجة عثمان بن مظعون، كانت مؤمنة.

ولما ذهبت خولة لأبى بكر تبلغه رغبة رسول الله فى الزواج من عائشة ابنته قال: وهل تصلح له، إنما هى ابنة أخيه – يعنى نفسه – فذهبت خولة لرسول الله فأخبرته بقول أبى بكر، فقال رسول الله ﷺ لخولة: «ارجعى فقولى له: أنا أخوك وأنت أخى فى الإسلام، وابنتك تصلح لى» السيرة النبوية لابن كثير جـ ٢ صفحة ١٤٢ بتصرف.

ولا شك أن أبابكر نال بهذه المصاهرة شرفا ورفعة، وازداد قربا من رسول الله

مقطع رقم ١٢٣ جـ ١

زواج رسول الله بسودة بنت زمعة

١ عقد الرسولُ على الصغيرة بنت صاحبه الفطين
٢ لكنْ فلم يدخلْ بها فى مكة هذا يقين
٣ وتجيىء خَوْلة(١) للرسول بصورة المتسائلين
٤ فتقول: هل لك فى الزواج أيا إمامَ المرسلين؟!
٥ فأجابها من ذى تكون؟! فقالت القول المبين
٦ هى بنت زمعة سودةٌ، هى خِيرة فى المسلمين
٧ قد مات عنها زوجها السّكْران(٢) صارت لا مُعين
٨ قال الرسول: لِتذْكُرينى عندها كالخاطبين
٩ جاءت لسودةَ أخبرتْها رغبةَ الهادى الأمين
١٠ قالتْ لها: هذا أبى فَلْتُخْبريهِ ليستبين
١١ قالت(٣): دخلت على أبيها فى تحية جاهلين
١٢ أخبرته عن رغبة الهادى لبنت الأكرمين
١٣ الشَّيخُ قال لِبنته: بمحمدٍ هل ترتضين؟!
١٤ قالت: فإنى أرتضيه على جميع العالمين
١٥ جاء النبى إلى أبيها فى الشُّيوخ الطاعنين(٤)
١٦ يا فَخْرَ سودة قد تزوَّجها إمامُ المتقين
١٧ هذا الزواج به غدتْ فى أمهات المؤمنين

---

(١) خولة – هى بنت حكيم بن حزام القرشية.

(٢) السكران – هو اسم زوجها، السكران بن عمرو.

(٣) قالت – أى خولة.

(٤) فى الشيوخ الطاعنين – كان شيخا كبيراً فى السن.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ١٢٣ جـ ١

تم التوافق، وعقد رسول الله ﷺ، على عائشة بنت أبي بكر الصديق.. لكنه لم يدخل بها، ربما لصغر سنها، ذلك لأن عمرها آنذاك كان ست أو سبع سنوات.

وجاءت خولة بنت حكيم زوجة عثمان بن مظعون فقالت: يا رسول الله ألا تزوج؟! قال: من؟! قالت: إن شئت بكراً، وإن شئت ثيباً قال: فمن البكر؟! قالت: بنت أحب خلق الله اليك عائشة بنت أبي بكر قال: ومن الثيب؟! قالت سودة بنت زمعة، قد آمنت بك واتبعتك، مات عنها زوجها السكران بن عمرو. قال: فاذهبي فاذكريني عندهما.

فذهبت إلى أبي بكر كما قدمنا وتم العقد على بركة الله، قالت خولة:

«ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقلت: ما أدخل الله عليك من الخير والبركة؟! قالت سودة: وماذاك؟! قلت: أرسلني رسول الله ﷺ اخطبك إليه. قالت: وددت، ادخلي على أبي، فاذكري ذلك له، وكان شيخا كبيرا قد أدركه السن قد تخلف عن الحج، فدخلت عليه فحييته بتحية الجاهلية فقال: من هذه؟!

فقلت: خولة بنت حكيم، قال: فما شأنك؟! قالت: أرسلني محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة، فقال: كفء كريم.. ما تقول صاحبتك؟! قلت: تحب ذلك، قال: ادعيها إلي، فدعوتها قال:

أي بنية، إن هذه تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، قد أرسل يخطبك، وهو كفء كريم، أتحبين أن أزوجك به؟!

قالت: نعم، قال: ادعيه لي.. فجاء رسول الله ﷺ فزوجها إياه» السيرة النبوية لابن كثير جـ ٢ صفحة ١٤٣

وأصبحت سودة بهذا الزواج أم المؤمنين، فهنيئا لها.

مقطع رقم ١٢٤ جـ ١
قريش تعود لإيذاء محمد

١ أمّـــا قريش فإنها عادت لسيرتها القـــديمه[١]
٢ باتتْ تفكّر فى الأذى بِئْس التفكّر فى الجريمه
٣ قد مات عمّ المصطفى، قد ماتت الزوْج الكريمه
٤ كانا له حصن الأمان ولمسة الحب الرحيمه
٥ عمدتْ قريشٌ للأذى يابئس أفكاراً سقيمه[٢]
٦ والمصطفى فى غَمْرة الأحزان يشعر بالهزيمه[٣]
٧ الهمُّ شتّت فِكـــره أحزانُـــــه كانت أليمه
٨ صوت من الأعماق يهتف بالإجابات السليمه[٤]
٩ قُم واهجر الأحزان هيّا واسلك الدرب القويمه
١٠ قُم واصل التّرحال هيّا كُن كأصحاب العزيمه[٥]
١١ قُم واهجر البلد الظّلوم ففيه أفكار[٦] عقيمه
١٢ لقد اهتدى للرِّحلة النكْراء كم كانت وخيمه
١٣ هى رحلةٌ مشئومةٌ قد مسَّت النفس العظيمه

---

(١) عادت لسيرتها القديمة — سلوكها العدوانى.

(٢) بئس أفكاراً سقيمة — مريضة.

(٣) يشعر بالهزيمة — أحس بالضعف لفقد أنصاره.

(٤) بالإجابات السليمة — الرأى الصواب.

(٥) كأصحاب العزيمة — هم الرسل أولو العزم.

(٦) أفكار عقيمة — متحجرة متوقفة عن التفكر.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٢٤ جـ ١

بعد موت الاثنين أبى طالب عم رسول الله، وخديجة زوجه ﷺ، فكرت قريش أن تعود لسيرتها القديمة، من العداء والاعتداء والحقد والضغينة، ألا بئس ما فكروا.

إن مجرد التفكر فى إيذاء محمد ﷺ، يعتبر جريمة شنعاء، تستحق العقاب الرهيب.. ذلك لأن العدوان على رسول الله، يعتبر عدوانا على الله عز وجل.. ولكن أنى لهذه القلوب المتحجرة أن تستجيب لنداء الحق أو تستكين له.

ولا غرو فمحمد لا يزال من ألم الأحزان، يترنح كالجريح الذى ينزف جرحه دماً، يحاول النهوض، فلا يجد من يعينه.. فمن ثم كان يشعر فى أعماقه بالضعف والهوان والهزيمة النفسية.

إنه يفكر فى أمره.. بيد أنه مشتت الفكر، فقد كان قبل ذلك يفكر ويخطط، فيدعو الناس إلى دين الله وهو آمن على نفسه.. فعمه كان يذود عنه، وقريش كانت تحترم إرادة أبى طالب عمه.

أما اليوم فإنه يفكر أكثر من مرة قبل أن يقدم على أى عمل، ويقلب وجوه الآراء بحثاً عن الأصوب.

وفعلًا بدأت قريش تتحرش برسول الله، فنالت منه بالأذى مالم تكن تناله منه فى حياة عمه أبى طالب، فتضاعفت آلامه.

وبينما هو فى هذا الخضم الهائل من الأحزان.. وإذا صوت يناديه من أعماقه قائلا: لا، لا تستسلم للأحزان، قم وتحرك، وجاهد كما جاهد الذين سبقوك من أولى العزم من الرسل، كانوا إذا ضاق بهم المكان وشعروا بتنكر أقوامهم لهم، وعدوانهم عليهم، خرجوا مهاجرين، فأرض الله واسعة.

فورا فكر فى الرحلة المؤلمة.. رحلة الطائف التى لم يصادف فى حياته أقسى ولا أمر منها، فقد أوذى فيها وأسيىء إليه، بحيث كانت آلام نفسه أضعاف أضعاف آلام جسمه.

مقطع رقم ١٢٥ جـ ١
رحلة رسول الله إلى الطائف

١ يا رحلةً من أسوأ الرحْلات مرّت بالرساله
٢ هى هجرة للطائف الغبراء كانت لا محاله
٣ قومٌ غلاظ الطّبع فيهم قُحّة[١] فيهم نذالـه
٤ ذهب الرسول يريدهم أنْ يستجيبوا للعداله[٢]
٥ قد قال: إنى جئتكم بالدين لا أبغى عَمَاله[٣]
٦ إن تنصرونى تهتدوا للحقِّ من بعد الضّلاله
٧ يوم القيامة عند رب العرش تُعطون الجزاله[٤]
٨ فى جنة الفردوس من رضوان ربى ذى الجلاله
٩ وإذا أبيتُم نُصْرتى فلتكتمـوا تلك المقالـه[٥]
١٠ لكنهم لم يستجيبوا، بل أضافوا الاستطالـه
١١ لم يفهموا حقّ الجوار، وأنكروا كل الأصاله
١٢ قد أشبهوا كفار مكة فى العَداء وفى الجهاله[٦]
١٣ بل إنهم زادوا عليهم بالنذالـة والسّفالـة

---

(١) فيهم قحة – لؤم وخسة.

(٢) يستجيبوا للعدالة – لدعوة الحق.

(٣) لا أبغى عمالة – لا أريد منكم أجراً.

(٤) تعطون الجزالة – العطاء الجزيل الوافر.

(٥) فلتكتموا تلك المقالة – لا تخبروا أحداً.

(٦) وفى الجهالة – فى السباب والتطاول.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٢٥ جـ ١

كما أسلفنا فى المقطع السابق، فإن محمداً ﷺ، بعد أن مات نصيراه: زوجه وعمه.. فكر فى أمره جيداً.. وبعد أخذ ورد، وقرب وبعد، ومناقشة وجوه الآراء مع نفسه بحثا عن الأصلح، قرر أن يذهب إلى الطائف، فلعله أن يجد فيها متنفساً لدعوته، وتفهماً لأمره.

خرج رسول الله إلى الطائف، يلتمس النصرة من ثقيف أهلها.. جاءهم فعرض عليهم الإسلام، وأفهمهم بأنه الدين السماوى الوحيد، الواجب اتباعه.. وهو لكل الناس.. لا ينبغى لأحد أن يعرض عنه.

دعاهم إلى توحيد الله عز وجل، وترك عبادة الأصنام.. وقال لهم: إنى لا أريد منكم أجراً، وإنما أجرى على الله، فإذا أجبتم لما أدعوكم إليه ونصرتمونى وآويتمونى، كنتم أسعد الناس بهذا الدين.. وحينئذ تكونون قد اهتديتم إلى الحق والصواب، بعد أن كنتم على الباطل والضلال.. ويوم القيامة سوف تكونون من أهل الجنة التى أعدها الله لعباده المتقين، وهناك سوف يجزل الله لكم العطاء.

وإن لم تستجيبوا لدعوتى ولم تنصرونى، وأبيتم ما عرضته عليكم مما جاءنى من عند الله عز وجل، فاكتموا عنى هذا الأمر، ولا تخبروا به أحداً.

بيد أنهم – عليهم لعنة الله – لم يستجيبوا لما عرضه عليهم من أمر الإسلام.. ويا ليتهم قد اكتفوا بعدم الاستجابة والإعراض، بل تجردوا من كل صفة إنسانية، فتطاولوا عليه بالسباب والشتائم والسخرية، وأغروا به سفهاءهم.

يالله!! لقد أشبهوا كفار مكة فى الغلظة والجفاء، إلا أن كفار مكة كانوا خيرا منهم.. فيهم كرم ورجولة.. وفى هذا المقام صدق عليه قول الشاعر:

والمستجير بعمرو عند كربته ∴ كالمستجير من الرمضاء بالنار.

مقطع رقم ١٢٦ جـ ١

زعماء الطائف يسخرون من محمد

١ كانوا ثلاثةَ إخوةٍ هم سادة البلد اللعين
٢ هم سادةٌ للطائف الغبراء أرض المجرمين
٣ سمعوا كلام المصطفى فى خِفّة المستهزئين
٤ كانت قلوبُ القوم غُلْفاً(١) أن يكونوا مهتدين
٥ قد قال أولهم كلاماً فيه غَمْزُ المستهين
٦ من قوله: إنى لقولك فى شُكُوك(٢) الرائبين
٧ مُرِطت ثياب(٣) البيت إن كنت الرسولَ على اليقين
٨ ثانيهم المأفـون قال مقالـة المتكبِّريـن...
٩ هل لم يجد مولاك غيرك مُرْسلاً للعالمين؟!
١٠ بل قال ثالثـة الأثـافى(٤) ثالث المتكلـمين
١١ إن كنت ياهذا نبيّا فى عِداد المرسلين!
١٢ فلنحن دونك فى المكانة إن تكُن فى الصادقين
١٣ أو كنت ياهذا كَذُوباً فى عداد المفترين
١٤ فَارْحلْ فإنا لا نحبّ المفترين الكاذبين
١٥ يا بِئْس قوماً قد أساءوا للنّبوة عامدين

---

(١) غلفاً - عليها غلاف يغطيها.

(٢) فى شكوك الرائبين - أشك وأستريب فى قولك.

(٣) مرطت ثياب البيت - أى الكعبة - هذه الجملة يقولها العرب للاستغراب والسخرية معاً.

(٤) ثالثة الأثافى - ثالث الأحجار التى يركب عليها القدر للطهى.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٢٦ جـ ١

هم إخوة ثلاثة كانوا سادات الطائف وزعماءها، وأصحاب الكلمة فيها لا ينافسهم فى سيادتها وزعامتها أحد.. أسماؤهم كالآتى: ـــ

١ – عبد ياليل بن عمرو بن عمير

٢ – مسعود بن عمرو بن عمير

٣ – حبيب بن عمرو بن عمير.

لقد استقبلوا رسول الله ﷺ أسوأ استقبال.. غلظة وجفاء، وسخرية، واستهزاء.. ألسنة حادة جارحة، تقذف بالكلام كأنه سهام موجهة، ووجوه جامدة تجردت من الحياء، وقلوب تجردت من الرحمة فهى كالحجارة أو أشد قسوة.

لم يجد رسول الله فيهم ذرة من عطف أو تعاطف، بل لم يجد عندهم أدنى ما يجده الضيف حين ينزل ضيفاً بساحة قوم ما، من بشاشة الوجه وحسن الاستقبال، وتلك هى مقدمات الكرم.

جلس إليهم رسول الله ﷺ، فدعاهم إلى توحيد الله، وعرض عليهم الإسلام، وأخبرهم خبره، بشأن نصرتهم له، والقيام معه على من خالفه من قومه، فقال أحدهم عليه لعنة الله:

يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك، وقال الثانى: –

أما وجد الله أحداً يرسله غيرك؟! وقال الثالث:

والله لا أكلمك أبداً، لئن كنت رسولا من الله كما تقول: فأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله، فما ينبغى لى أن أكلمك.

فقام رسول الله من عندهم، وقد يئس من خير ثقيف.

هذه الرحلة كانت فجيعة كبرى فى حياة رسول الله، فلم يكن يخطر بباله شيء مما لاقاه فى ثقيف مطلقاً.. لقد كان يظن أنها ستكون بداية مرحلة جديدة فى عمر الدعوة، مشرقة بالأمل والأمانى.

ألا بئس القوم قوم ثقيف.. لقد أساءوا لرسول الله، وتبين خبث معدنهم، فلا حظ لهم فى الخير والإيمان.

مقطع رقم ١٢٧ جـ ١
زعماء الطائف يسيئون إلى رسول الله

١ سمِع النبى مقالة القوم الذين استقبلوه
٢ قوم أساءوا فى الجواب وضيفُهم قد كذّبوه
٣ لم يكفِهم تكذيبُهم، بل خاصموه وطاردوه
٤ قد سلّطوا[١] سفهاءهم أن يلحقوه ويضربوه
٥ يرمونه بحجارة فى قسوة لم يرحموه
٦ أقدامُه دَمِيَت وأيضاً بالتّطاول لاحقوه
٧ وغلامه[٢] زيدٌ يقيه من الأذى إذ هاجموه
٨ لجأ النبى من الأذى للظلّ حتى يتركوه
٩ ربّاه هذا مصطفاك فرحمة قد أجهدوه
١٠ هذا النداء من العوالم للإله فناشدوه
١١ كلّ العوالم قد رأوا ذاك الصّنيع فأنكروه
١٢ وهناك بعض[٣] رجال مكة من بعيد أبصروه
١٣ شعروا بعطف نحوه فى عمقهم قد أدركوه
١٤ نادوا على عدّاس[٤] فوراً للنبى فأرسلوه
١٥ عِنباً نضيجاً أرسلوه إلى النبى وأكرموه

---

(١) سلطوا سفهاءهم – صغارهم وعبيدهم.

(٢) وغلامه زيد – هو زيد بن حارثة.

(٣) بعض رجال مكة – قد كان عتبة وشيبة ابنا ربيعة فى حديقة لهما.

(٤) نادوا على عداس – هو غلامهم اسمه عداس.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ١٢٧ جـ ١

لقد استمع رسول الله ﷺ إلى الجواب من رعماء ثقيف الملاعين، وقد كان جوابا فيه وقاحة وسوء خلق، وعلم أن لا خير فيهم، فقام من عندهم ورجاهم أن يكتموا هذا الأمر، لأنه يكره أن يصل خبره إلى قريش، وأن رحلته إلى الطائف قد فشلت، فذلك أمرّ على نفسه الشريفة من الرحلة نفسها.

بيد أنهم عليهم لعنة الله، لم يكتفوا بعدم الاستجابة، بل عمدوا إلى ما هو شر من ذلك، وهذه رواية تحكى جانبا مما فعلوه.

«لقد أغروا به سفهاءهم وعبيدهم، يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس، فصاروا يرمونه بالحجارة فى قسوة وهمجية.. وصار غلامه زيد بن حارثة يقيه بنفسه، ويتلقى عنه ضربات الحجارة، وقد كان زيد رافقه فى رحلته تلك»[١] ورواية ثانية تقول:

«وقعد له أهل الطائف صفين على طريقه.. فلما مر جعلوه لا يرفع رجليه ولا يضعهما، إلا رضخوهما بالحجارة حتى أدموه، فخلص منهم وهما يسيلان الدماء، فعمد إلى ظل نخلة وهو مكروب، وفى ذلك الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة، فكره مكانهما لعداوتهما لله ولرسوله»[٢]

فلما رآه عتبة وشيبة على الحالة التى هو فيها، وقد لقى ما لقى من أذى ثقيف، تحركت فيهما عاطفة القرابة، فنادوا غلاماً لهما نصرانيا يقال له عداس. وقالوا له:

خذ قطفاً من هذا العنب، فضعه فى هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل – أى محمد – فقل له: يأكل منه، ففعل عداس، ثم ذهب به حتى وضعه بين يدى رسول الله ﷺ.

---

(١) الطبقات الكبرى جـ ١ ص ٣١١ والسيرة النبوية لابن كثير جـ ٢ ص ١٥١.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير جـ ٢ ص ١٥٢

مقطع رقم ١٢٨ جـ ١

عداس النصرانى مع رسول الله

١ المصطفى فى الظلّ بعد الاعتداء ليستريح

٢ دمُه الطّهور على الثرى هو شاهد الفعلِ القبيح

٣ عدّاسُ جاء إليه يسْعى إذ رأى الوجه الصبيح

٤ عدّاسُ كان من النصارى كان ذا خُلُق[1] سميح

٥ أعطى الهدية للنبىّ، وقلبه باكٍ جريح

٦ قَبلَ الهدية، إنها فى صورة الوُدِّ الصّريح

٧ عدّاسُ أسلم إنه يمتاز بالعقل الرجيح

٨ سَمِعَ الرّسول يقول «بسم الله» بالقول الفصيح

٩ فوراً أكبَّ يُقبِّل[2] الأقدامَ فى حبٍّ صحيح

١٠ وهناك قال[3] لمرسليه: لقد وجدتُ أخا المسيح

١١ هو خيرُ خَلْقِ الله حقاً، صاحبُ الوجهِ المليح

١٢ لقد اهتدى عدَّاسُ فوراً فاز بالبيع الربيح

---

(١) كان ذا خلق سميح — سمح الأخلاق.

(٢) يقبل الأقدام — يقبل أقدام رسول الله.

(٣) قال لمرسليه — لعتبة وشيبة.

(٤) وجدت أخا المسيح — أى فى النبوة.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٢٨ جـ ١

جلس رسول الله ﷺ فى ظل حائط كان لعتبة وشيبة القرشيين، كما قدمنا ليستريح ويلتقط أنفاسه، بينما كان دمه الطهور ينزف من جراحات فى قدميه الشريفتين.

إن هذا الدم الذى سال على ثرى الطائف، ليشهد على خسة ونذالة أولئك الأوغاد الذين تجردوا من الشرف والأخلاق، فضلا عن الرحمة وكرم الضيافة!!!

وقد جاءه عداس غلام عتبة وشيبة بطبق فيه عنب.. وكان عداس نصرانيا، فيه سماحة فى الأخلاق، واعتدال فى الفهم.. فقدم العنب لرسول الله كهدية، وهم رسول الله ليأكل من العنب فقال: بسم الله الرحمن الرحيم. ثم أكل، فنظر عداس فى وجهه ثم قال:

والله إن أهل هذه البلاد، ما يقولون هذا القول: فقال له رسول الله ﷺ: ومن أهل أى بلاد أنت يا عداس؟! وما دينك؟!

فقال عداس: أنا نصرانى، ومن أهل نينوى فى الشام.

فقال عليه الصلاة والسلام: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟!

فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟!

فقال رسول الله: ذاك أخى، كان نبياً وأنا نبى، فأكب عداس على رسول الله، يقبل رأسه ويديه وقدميه.

فقال عتبه وشيبة ابنا ربيعة أحدهما للآخر:

أما غلامك فقد أفسده عليك.. فلما جاءهما عداس قالا له: ويلك ياعداس! مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟!

فقال عداس: يا سيدى ما فى الأرض أحد خيراً من هذا!! لقد أخبرنى بشىء لا يعلمه إلا نبى.[١]

لقد اهتدى عداس إلى الحق، وربح بيعه، بينما بارت تجارة الآخرين.

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير جـ ٢ ص ١٥١ بتصرف يسير.

مقطع رقم ١٢٩ جـ ١
رسول الله يتضرع إلى مولاه

١ وقف النبيّ وفى ضَراعةٍ خاشعٍ يدعو السماء[١]
٢ يدعو إله العرش إذ هو مستحقٌ للدُّعاء
٣ إنى ضعيفٌ ليس لى قوة إلا الرجـــاء
٤ بل ليس لى من حيلة إلا التوكل لامِراء[٢]
٥ هذا الهوان أراه ذُلاً فاقَ أنواع البلاء
٦ أنت الرحيم وأنت ربى فوق كلِّ الأقوياء
٧ ربَّاهُ إنى فى جوارك قد كفانى أن أُساء
٨ هذا العدوُّ يُسيئنى وكذا البعيد على السواء
٩ إنى بهذا قد رَضيتُ أمام إعطائى الرِّضاء
١٠ إنى أعوذ بنور وجهك ياملاذَ الأتقياء
١١ رَبَّاه إنى أستجير من التسلُّط والجفـــاء
١٢ أيضاً أعوذ من التسخُّط والتبرم للقضاء
١٣ لك توبتى لك أَوْبتى لك كلَّ حُبّى والولاء
١٤ إن تَرْضَ[٣] عنى فهو ما أرجوه من بَعْدِ العَناء

---

(١) يدعو السماء – إله السماء.

(٢) لامراء – لا شك.

(٣) هذا المقطع كله مستوحى من دعاء رسول الله المشهور «اللهم أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس».

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ١٢٩ جـ ١

ترك رسول الله ﷺ ذاك المكان الذى لاقى فيه أقسى وأمر ألوان الابتلاء والإهانة والامتحان.. فأهله من أسوأ الناس أخلاقاً، وأشرهم طباعاً، وأغلظهم قلوباً، وقسوة ونذالة أيضاً.

على إثر هذا الابتلاء الذى لاقاه محمد ﷺ، من أهل الطائف، كبارها وصغارها، عقلائها وسفهائها.. وكأنى بلسان حال الكون يهتف بهم آنذاك ساخراً!!! أليس منكم رجل رشيد؟!.

على إثر هذا، شعر الرسول - وهذا استنباط - بشيىء من عدم الرضا عن نفسه، وربما تصور أن الذى أصابه، ما هو إلا عقوبة من الله لخطأ ارتكبه، لا يدرى ما هو؟! أو لتقصير فى قيامه بأمر الدعوة.. المهم أنه يتهم نفسه ويعتبر ما أصابه، كان منه لقوله تعالى:

«... ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك... الخ» فمن ثم بادر يتضرع إلى ربه فى خشوع صادق، بدعاء عبر فيه عن المعانى التى كان يحسها فقال:

«اللهم إليك أشكو ضعف قوتى، وقلة حيلتى وهوانى على الناس، ياأرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربى، إلى من تكلنى؟! إلى بعيد يتجهمنى؟! أم إلى عدو ملكته أمرى؟! إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى، ولكن عافيتك أوسع لى.

أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تُنزل بى غضبك، أو تُحل على سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك»[١]

هذا هو الإنسان العارف بالله، حينما يتجرد من الحول والقوة والأنصار والأعوان، فلا ملجأ إذن إلّا إلى الله.. فهو الذى ينبغى أن يهرع الناس إليه إذا ما ألمت بهم الأهوال، وأحدقت بهم الأعداء.

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ الصفحة ١٥١

مقطع رقم ١٣٠ جـ ١
ملك الجبال مع رسول الله

١ رَبّ السماء أجاب دعوةَ مُصطفاه بلا جدال
٢ المخلصون تُجابُ دعوتهم كَرمْيات[١] النّبال
٣ فوراً تشقّقت السماء وجاءه مَلَكُ الجبال
٤ إنى أتيتُك يا محمدُ كى أُطيعك بامتثال
٥ مُرْنى بشأن أولئك الأوغاد أنذال[٢] الرجال
٦ هم قد أساءوا للنبوة بِئْس هاتيك الخصال
٧ إنْ شِئْت أطبقتُ الجبال عليهمو فور المقال
٨ إن الإساءة للجوار جزاؤها سوءُ[٣] المآل
٩ لكنْ أساءوا للنُّبوة فاستحقّوا[٤] للزّوال
١٠ فأجابه الهادى وقال: برغم ضعفٍ[٥] مع هُزال
١١ كلّا، عسى أن يُنْجبوا بعض الذّرارى والعيال
١٢ فيكون منهم مؤمنون موحّدون لذى الجلال
١٣ فأجابه مَلَكُ الجبال بكل إعجاب وقال:
١٤ سبحان من سمّاك من أسمائه نِعْم[٦] المنال

---

(١) كرميات النبال – كما يصيب السهم الغرض.

(٢) أنذال الرجال – هم سادة بلدة الطائف.

(٣) سوء المآل – سوء العاقبة دنيا وآخرة.

(٤) فاستحقوا للزوال – أن يزولوا أو يبادوا.

(٥) برغم ضعف مع هزال – برغم ما فيه من جراح وآلام.

(٦) نعم المنال – ذاك أفضل ما يناله إنسان ما.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٣٠ جـ ١

ما أن فرغ رسول الله ﷺ من دعائه المشهور الذى ذكرناه فى المقطع السابق.. فعبر به عن أحاسيسه ومكنونات صدره وخلجات نفسه.. وبرغم أن الله عز وجل كان يرى ويسمع ما حدث لحبيبه ومصطفاه، إلا أنه يحب من عباده أن يلجأوا اليه ضارعين فى كل أحوالهم، لا سيما الأحباب منهم.

ولا غرو، فالمخلصون لا تخطىء دعوتهم مرماها، تصعد إلى السماء لا يصدها صاد، ويقول لها المولى عز وجل «وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين» ما أن انتهى رسول الله من دعائه المشهور «اللهم أشكو إليك ضعف قوتى.. الخ» حتى كانت الإجابة سريعة.. كأن الدعاء كان سهما أصاب غرضه.

جاء جبريل الأمين إلى رسول الله فقال له: يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك لك، وماردوا عليك، وقد بعث لك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم.. ولنستمع قول رسول الله ﷺ فى هذا المقام فقال:

ثم نادانى ملك الجبال، فسلم على ثم قال: يا محمد قد بعثنى الله إليك.. إن الله قد سمع مقالة القوم وإساءتهم لك.. وأنا ملك الجبال، قد بعثنى ربك إليك لتأمرنى فيهم بما شئت.

فإن شئت أن أطبق لك عليهم الأخشبين، فعلت ذلك وأنت ترى؟!

وهنا تتجلى فى محمد ﷺ، سماحة النبوة، فيترفع ويتسامى عن غريزة حب الانتقام، برغم آلامه وجراحه فقال:

«أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً»(١)

عند ذلك هتف ملك الجبال قائلًا فى إعجاب!!

سبحان من سماك «رءوف رحيم».

---

(١) فى الصحيحين عن السيرة النبوية لابن كثير جـ ٢ ص ١٥٢

مقطع رقم ١٣١ جـ ١
الجن يستمعون للقرآن الكريم

١ من بعد هذا يمَّم الهادى إلى البلد الحرام
٢ فى جُنْح ليل قد سجى هُرِع النبى إلى[(١)] القيام
٣ وقف الرسول مناجياً مولاه يشكو من سِقام
٤ يشكو له قوماً تمادَوْا فى العداوة والخصام
٥ وتــلا من القــرآن آيات تخِرُّ لها[(٢)] الهوام
٦ الجن كانوا فى البرارى سائحين كما السوام[(٣)]
٧ سمعوا التلاوة فجأة، فوراً تدانَوْا[(٤)] فى المقام
٨ قالوا لبعض: أنصتوا كى تسمعوا أحلى الكلام
٩ لما انقضى عادوا إلى أقوامهـم فى اهتمام
١٠ قالوا لهم: إنا سمعنا الحق من ربِّ الأنام
١١ دين جديد بعد موسى جاء يدعو للسلام
١٢ هو دين كل الناس حقا مثل نورٍ فى الظلام
١٣ فَلْتتبعوه لكى تفوزوا، ذاك دين الاعتصام
١٤ سمعوا المقالة أيقنوا، قد آمنوا دون اختصام

---

(١) هرع النبى إلى القيام – أى قيام الليل.

(٢) تخر لها الهوام – جمع هامة، أى الرءوس، وأصلها هامات.

(٣) كما السوام – مثل سوام الإبل السارحة فى الصحراء.

(٤) تدانوا فى المقام – اقتربوا من بعضهم نحو صوت التلاوة.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ١٣١ جـ ١

بعد أن انتهى رسول الله ﷺ من الحوار مع ملك الجبال الذى جاءه لينتقم له من أهل الطائف الأوغاد، ولكن رسول الله أبى.

ترك رسول الله بلدة الطائف، متوجها إلى مكة.. وفى أثناء الطريق الطويل، بين الطائف ومكة، يقوم محمد فيخلو مع ربه يناجيه، وتارة يقوم للصلاة متهجداً، وتارة يجلس فيتلو من آيات القرآن الكريم، فى جنح الظلام، ولا غرو فقراءة القرآن الكريم، فيها راحة للنفوس، وشفاء لما فى الصدور.

وبينما كان رسول الله ﷺ، يتلو القرآن الكريم، والليل ساج، والكون هادىء وساكن.. وأصداء صوت المصطفى تتردد فى جنبات الوادى، كان هناك فريق من الجن الطوافين فى الصحارى، فى ذاك المكان، فترامى إلى أسماعهم صوت محمد يتلو آيات الذكر الحكيم.

فاقتربوا نحو الصوت كى يتبينوا ماهو؟! فأنصتوا باهتمام بالغ وتدبر للمعانى، ثم قالوا لبعضهم: هذا كلام حسن فلنستمع إليه، فاستمعوا فى خشوع، ولم يعلم بهم رسول الله، ولم يرهم أيضاً.

فلما انتهى رسول الله ﷺ من تلاوته، عادوا إلى قومهم فأخبروهم بما سمعوه من القرآن الكريم.. ثم قالوا: لقد سمعنا الحق الذى لا شك فيه.. إنه دين جديد وكتاب جديد، أنزل من بعد موسى مصدقاً لما جاء به موسى.. هو دين سماوى، يدعو للسلام.

وهو دين لكل الناس.. إنه النور الذى سوف يبدد ظلمات الشرك والعبودية لغير الله.

وكان عدد الجن سبعة، هم من جن أهل نصيبين فقص الله خبرهم فى قوله: «وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين.. إلى قوله.. ويجركم من عذاب أليم»[1].

---

(١) الآيات ٢٩ – ٣١ من سورة الأحقاف.

مقطع رقم ١٣٢ جـ ١
رسول الله يدخل مكة فى جوار

١ عاد النبى محمد من رحلةٍ كانت[١] مريره
٢ كانت أمرَّ من المرارة إذ تناءت فى المسيره
٣ قد كان معه غلامه زيدٌ وقد شهد النكيره[٢]
٤ شهد العداوةَ من ثقيف كان فى وقت الظهيره
٥ هى رحلة مشئومـــة أودت بآمالٍ كبيره
٦ عاد الرسول لقومه أهل الحزازات الخطيره
٧ قد جاء مكة عائداً من رحلة الشُؤم العسيره
٨ لكن مكة أغلقوها بئس إخوانُ العشيرة
٩ لم يسمحوا لمحمد بدخولها من غير[٣] جيره
١٠ قد أرسل الهادى لمطعم[٤] إنه شهم وخيره
١١ قد هبَّ مطعم مع بنيه إلى الرسول لكى يجيره
١٢ جاءوا سريعاً بالسلاح كأنهم أُسْدٌ مُغيره
١٣ هبوا ليحموا جارهم هو خير أبناء الجزيره
١٤ عاد النبى لبيته فالغمُّ قد أدْمَى ضميره

---

(١) من رحلة كانت مريرة – هى رحلة الطائف.

(٢) شهد النكيرة – رأى الأفعال المنكرة.

(٣) من غير جيرة – لا يدخل مكة من غير اجارة.

(٤) لمطعم – هو المطعم بن عدى.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٣٢ جـ ١

لقد عاد محمد ﷺ من رحلته إلى الطائف.. تلك الرحلة التى كانت آلامها أمر على نفس محمد من كل ما صادفه فى حياته من مرارة وآلام.. فقد لاقى من أذى ثقيف وصلافتهم وتطاولهم عليه، ما جعل أحزانه تضاعفت، هذا فضلا عما عاناه من مشقة السفر الطويلة، ذهابا وإيابا سيراً على الأقدام، ومعه غلامه زيد بن حارثة، الذى شاهد بعينى رأسه، ما أصاب رسول الله من أذى.. بل أصابه هو جزء من ذلك الأذى.

كانت رحلة الطائف بلا شك، رحلة مشئومة، بددت آمالًا كان ينشدها رسول الله كنتيجة لتلك الرحلة.. كان يعتقد بأن الطائف ستكون مهداً يحتضن الدعوة الإسلامية، ومنه ينتشر الإسلام فى كل الأصقاع.

بيد أنها جاءت على النقيض مما كان يأمله ويتصوره.

عاد رسول الله إلى مكة مثقلًا بالجراح والهموم.. عاد إلى البلد الذى تجهم له أهله، وناصبوه العداوة والبغضاء، ولم يبق فيهم مثقال ذرة من الخير، بل عداء وعدوان، وحقد وتحفز للانتقام، فى أى صورة من الصور.. لكن لا مفر له من العودة.

لكنه حينما أراد دخول مكة – وا أسفاه – منعوه من دخولها، لقد أغلقت أبواب مكة فى وجه محمد ﷺ.. وقال المشركون: لا يدخلن محمد مكة إلا فى جوار، أو فليذهب إلى حيث شاء.

لا مناص من التسليم بالأمر الواقع، فأرسل رسول الله إلى الأخنس بن شريق من كبار مشركى مكة ليجيره فأبى، فأرسل إلى سهيل بن عمرو ليجيره فأبى واعتذر أيضاً.. وأخيرا أرسل إلى المطعم بن عدى ليجيره فقبل.

جاء المطعم بن عدى ومعه أولاده، قد تقلدوا بسيوفهم ليحموا محمداً من أى عدوان عليه، فقد أصبح فى جوارهم، ولا غرو فهو خير رجل أنجبته قريش، بل الجزيرة العربية كلها. وعاد رسول الله إلى بيته. وآلامه وهمومه اكبر من أن توصف.

مقطع رقم ١٣٣ جـ ١

رحلة الإسراء

١ عن رحلة الإسراء سَلْني إنني في الصادقين
٢ هي رفعةٌ للمصطفى فوق الخليقة أجمعين
٣ هي فتنةٌ للمشركين ورحمةٌ للمؤمنين
٤ تمَّتْ على مَتْن[١] البُراق وصحبةِ الروح الأمين
٥ كان البُراق مطيَّة للأنبياء السابقين
٦ جبريل جاء إلى النبى رآه في نوم سَكين
٧ ناداه جبريلُ فقال: أجبْ إلهَ العالمين
٨ فوراً أجاب وهمَّ يركب للبراق ليستعين[٢]
٩ شَمَسَ[٣] البراق وقد أبى للمصطفى أن يستكين
١٠ جبريل يَنْهر للبراق فقال: اسكن أو أهين
١١ اسكن فهذا خير خلقِ الله خَتْم المرسلين
١٢ هو خير من ركبوك طُرّاً من جميع الأولين
١٣ الموكب الميمونُ سار فلا يراه[٤] المستبين
١٤ قطع الفيافى في الدُّجى والناسُ كانوا نائمين
١٥ ولقد أراه الله أعجبَ رؤية للناظرين
١٦ فلقد أراه حقائق[٥] الأعمال عند العاملين

---

(١) متن البراق – ظهر البراق.

(٢) ليستعين – يستعين به على الرحلة الطويلة.

(٣) شمس البراق – جفل.

(٤) فلا يراه المستبين – لا يراه من أراد متابعته بالنظر.

(٥) أراه حقائق الأعمال – أعمال الناس ممثلة تمثيلا فى صور شتى.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ١٣٣ جـ ١

الحديث عن رحلة الإسراء شيق وممتع، ذلك لأن فيه من المعانى والمفاهيم متسعاً لكل فاهم، وميدانا لكل باحث، كل يجد فيها مادة للحديث، ومنطلقاً إلى آفاق رحبة من الفهم والاستنباط.

ولا غرو فالواقع يقول ويؤكد بأن رحلة الإسراء، وما تلاها من عروج إلى السماء، وما تخللها من أحداث، مما فاضت به كتب الحديث والسير، كانت لرفعة محمد ﷺ، وهى دليل قاطع بأنه خير خلق الله على الإطلاق ما فى ذلك من شك.

المشركون أنكروها فكانت سبباً لهلاكهم، والمؤمنون صدقوها فكانت رحمة لهم، أى أنها كانت ابتلاء من الله للناس، امتحنهم بها، فمنهم من سبق عليه الشقاء فأنكرها، ومنهم من سبقت له السعادة فصدقها.

هذه الرحلة تمت على ظهر البراق، ومصاحبة أمين الوحى جبريل.. وقد كان البراق يركبه الأنبياء السابقون.

جبريل عليه السلام، جاء إلى محمد ﷺ فى إحدى الليالى، وكان محمد نائماً، فأيقظه جبريل وقال له: أجب ربك.. هب رسول الله من نومه لم يتردد ولم يسأل ولم يستفسر.. وجد رسول الله البراق واقفاً، قد جاء به جبريل لتتم الرحلة الخالدة من مكة إلى بيت المقدس على ظهره.

هم رسول الله ليركب البراق، فجفل البراق وأبى أن يقر ويستكين كى يركبه رسول الله.. وهذا رسول الله يروى لنا هذه الواقعة فيقول:.

لما دنوت منه لأركبه، شمس البراق، فوضع جبريل يده على معرفته ثم قال له: ألا تستحيى يا براق مما تصنع، فوالله يا براق ما ركبك عبد لله قبل محمد أكرم على الله منه، فاستحيا حتى ارفض عرقاً ثم قر حتى ركبته.

سار الموكب الميمون، وضيف الشرف هو محمد على ظهر البراق، يقوده جبريل الأمين، يضع حافره عند منتهى طرفه.. قطع المسافات البعيدة فى جنح الظلام، وأراه الله فى مسيرته تلك أعجب ما تراه عين، أراه مولاه أعمال العباد ممثلة تمثيلًا بنتائجها عند الله يوم القيامة.

مقطع رقم ١٣٤ جـ ١
رسول الله فى المسجد الأقصى

١ الرحلة العَصْماء(١) كانت لطمةً للمشركين
٢ هى رحلةُ الهادى إلى مولاه ربٌّ العالمين
٣ أعطاه فيها ربُّه خَيْرَ العطاء لآخذين
٤ أعطاه رؤية وجهه لم يُعْطِها(٢) للسابقين
٥ قبلًا تمنّاها(٣) الكليم فناله صعْق مُهين
٦ هى فى الحقيقة رفعةٌ للمصطفى دنيا ودين
٧ هى نفحةٌ عُلوية، هى نُصْرةٌ للصابرين
٨ أعطت لقلب محمد صَكٌّ(٤) الأمان مدى السنين
٩ الركب جاء المسجدَ الأقصى وكانوا ساهرين
١٠ الأنبياء جميعهم كانوا له مُسْتقبلين
١١ صلّى إماما بالجميع فَنِعْم كلّ الساجدين
١٢ قد جاءه قَدحَانَ من لبن وخمر الشّاربين
١٣ فتناول اللبن الذى هو فطرةٌ للمؤمنين
١٤ جبريل قال له: هُديت وأنت خَتْم المرسلين

---

(١) الرحلة العصماء – الفريدة فلا مثيل لها.

(٢) لم يعطها للسابقين – أى الأنبياء السابقين.

(٣) تمناها الكليم – هو موسى عليه السلام.

(٤) صك الأمان – الأمان من سوء العاقبة.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ١٣٤ جـ ١

إن رحلة الإسراء رحلة فريدة فى التاريخ، وهى فضلًا عن كونها فريدة وغريبة أيضا، فقد كانت بمثابة لطمة للمشركين عنيفة قوية.. وقد أضافت إلى ما جاءهم به محمد ﷺ من الغرائب والمعجزات، شيئاً جديداً أكثر غرابة من كل ما جاء به محمد من قبل.

تلك الرحلة الخالدة، كانت بأمر الله عز وجل، للقاء به فى السموات العلا، نال فيها محمد من التكريم. مالم ينله ولن يناله أحد قبله ولا بعده قط.. لقد كان الذى ناله محمد، هو النظر إلى وجه مولاه العظيم.

من قبله موسى بن عمران زعيم أنبياء بنى اسرائيل، تمنى بل طلب من ربه أن يحظى بالنظر إلى وجه ربه، فلم ينل هذا الشرف.. ذلك لأنه لا يستطيع ذلك كما أخبره مولاه.. فصعق قبل أن تتحقق أمنيته وذلك فى قوله تعالى:

«ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا... الخ» آية رقم ١٤٣ سورة الأعراف.

تلك الرحلة كانت لرفعة قدر محمد ﷺ، وقد أعطته قوة إيمانية يستطيع بها مواجهة المصاعب، ذلك لأنها نفحة علوية من الله لنصر الإيمان والمؤمنين.

وصل الموكب الميمون إلى المسجد الأقصى، والكون كله كان ساهراً ليشهد هذا الحدث العظيم، والأنبياء جميعهم كانوا فى استقبال خاتم الرسل جاءوا من عالم البرزخ بأمر الله العظيم.

صلى رسول الله بالأنبياء جميعهم إماماً فى بيت المقدس.. فى هذه الأثناء جيىء له بقدحين، فى أحدهما خمر، وفى الآخر لبن، فاختار القدح الذى فيه اللبن فشربه وترك إناء الخمر، فقال له جبريل: هديت للفطرة وهديت أمتك.

مقطع رقم ١٣٥ جـ ١
العروج إلى السماء

١ جبريل فى المعراج[١] معه المصطفى للارْتقاء
٢ هى رحلة علوية كانت لتلبية[٢] النّداء
٣ هى للسموات العلا للالتقاء مع[٣] الصفاء
٤ كل السماوات ازْدَهت وتزيّنت للالتقاء
٥ جبريل والهادى لقد وصلا لأبواب السماء
٦ صار الملائكُ يسألون القادمين من الفضاء
٧ جبريل أخبرهم عن الهادى أتى للاصطفاء
٨ سمحوا لهم بدخول أبواب السماء إلى[٤] الولاء
٩ هتف الملائكة الكرام أتى أميرُ الأنبياء
١٠ يحيى وعيسى رَحبًا بالمصطفى عند اللقاء
١١ نوح وآدم والكليم يُرحِّبون على السواء
١٢ إدريس أيضاً يوسف الصديق زَادَاه الثناء
١٣ أما الخليلُ[٥] فإنه أثنى وأكثرَ فى الدعاء
١٤ قد قال: إنك خير أبنائى ومأمول الرجاء

---

(١) المعراج – هو الذى صعد فيه رسول الله إلى السماء.

(٢) لتلبية النداء – نداء الله عز وجل.

(٣) للالتقاء مع الصفاء – مع صفاء النفس.

(٤) إلى الولاء – وِلاية الله واللقاء به.

(٥) الخليل – هو ابراهيم عليه السلام.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ١٣٥ جـ ١

لما انتهى رسول الله ﷺ، من أمر بيت المقدس، واللقاء بالأنبياء والصلاة بهم، نصب له المعراج الذى حمله من الأرض إلى السماء، فصعد من سماء إلى سماء حتى جاوز السماء السابعة.. وكلما جاء سماء تلقاه مقربوها ومن فيها من أكابر الملائكة والأنبياء.

إنها بلا شك رحلة روحية وجسدية معاً، ملأت محمداً ثقة واطمئنانا، وهى أيضا رحلة الخلود، تلبية لنداء المولى عز وجل.. للالتقاء مع الصفاء والطهر.. لقاء العبودية مع المعبود.

السماوات كلها تزينت لقدوم ضيف الشرف.. ذلك الضيف الذى يعتبر أول وافد من بنى الإنسان، يأتى إلى السماء ضيفاً زائراً، ولم لا، إنه أكرم مخلوق على الله.. وقد هتف الملائكة مرحبين بسيد ولد آدم على الإطلاق.

عندما عرج جبريل مع محمد ﷺ فى المعراج، ووصلا إلى أول سماء تلقاهما الملائكة فقالوا لجبريل: من معك؟!.

فقال لهم: محمد، قالوا: وهل أرسل إليه؟! قال: نعم، فسمحوا لهما بالدخول، وهكذا فى كل سماء، فيحيونهما أجمل تحية عند السماح لهما بالدخول.

وقد وجد رسول الله ﷺ فى السماء الأولى، أباه آدم تعرض عليه أرواح بنى آدم، وفى السماء الثانية وجد ابنى الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا.. وفى السماء الثالثة وجد يوسف الصديق، صورته كصورة القمر ليلة البدر.. كلهم رحبوا به ودعوا له بالخير.

وفى السماء الرابعة وجد إدريس، وفى الخامسة والسادسة وجد هارون وموسى ابنى عمران، وفى السابعة وجد ابراهيم جالساً على كرسى إلى البيت المعمور، فرحب به ودعا له بخير، وأوصاه وصايا غالية.. وقال له: إن الجنة طيبة التربة، وإنها قيعان، وإن غراسها سبحان الله... الخ.

مقطع رقم ١٣٦ جـ ١

محمد فى الحضرة الإلهية

١ السِّدرة العصْماء[1] حقـا إنها خَلْـق عظيم
٢ نورٌ غَشَاها فازْدهت من نور رحمن رحيم
٣ وهناك بيت اسمه المعمور للمـولى الكـريم
٤ جلس الخليل جواره، إذ إنه شيخٌ حليم
٥ ومحمد قد خاض فى أنوار مولاه القديم
٦ جبريـل لم يَصْحَبْه كلٌّ فى مقـام لايـريم[2]
٧ عرف الرسول بأنه فى حضرة المولى العظيم
٨ فهنـاك لاصوتٌ يؤانسه ولا يجد[3] النـديم
٩ ناداه فوراً ربُّه كى قَلْبُه أن يستـقيم
١٠ أدّى التحيـة للإلـه، فكـان ذا قلب[4] فهيم
١١ أما الصلاة فإنها فُرِضت وصارت فى الصميم
١٢ خمسين فرضاً أصبحت حتماً تُؤدَّى للعليم
١٣ عاد النبىُّ بِفرْحـة، لكنـه لَقِـىَ الكـليم
١٤ فتحادثا، قال الكليمُ: فَعُدْ إلى المولى الحكيم
١٥ سَلْ ربَّك التخفيفَ إن القوم أضعف أن تُقيم[5]
١٦ جاء النِّداء جعلتُهـا خمساً فَنِعْـمَت للمقيم

---

(١) السدرة العصماء – هى سدرة المنتهى فى السماء السابعة.

(٢) فى مقام لا يريم – لا يتجاوزه.

(٣) ولا يجد النديم – من يحدثه من الخلق.

(٤) كان ذا قلب فهيم – قلبه طاهر معد لاستقبال الفيوضات الإلهية.

(٥) أضعف أن تقيم – قومك لا يستطيعون أداء هذه الصلوات.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ١٣٦ جـ ١

إن سدرة المنتهى التى لا مثيل لها فى كل أنواع الشجر الذى نعرفه، وصفتها فى الشعر لغرابتها بالعصماء.. وهكذا وصفها شوقى أمير الشعراء من قبل.

«إنها من أعظم ما خلق الله عز وجل، أوراقها كآذان الفيلة، وثمارها كالقلال، وقد غشيها من أمر الله ما غشيها.. غشيها من نور الله عز وجل فتغيرت، فما أحد من خلق الله، يستطيع أن ينعتها من حسنها» الشفاء للقاضى عياض جـ١ ص١٠٧

والبيت المعمور فى السماء السابعة، ظل محمد ﷺ يرقى مع جبريل من سماء إلى سماء، حتى أتى السماء السابعة، وهناك رأى البيت المعمور، ورأى إبراهيم الخليل عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه.

هنالك تقدم محمد ﷺ، يخوض فى أنوار الألوهية التى تجل عن الوصف.. ولكن جبريل لم يصحبه.. يالله!! لقد توقف جبريل.. ولا غرو فجبريل يعرف حدوده، ولا يمكن أن يتجاوزها.. كل له مقام معلوم.

لم يسمع رسول الله هنالك شيئاً، لاصوت ولا نأمة، فعرف بأنه بين يدى ربه العظيم.. فأخذ يفكر فى ما سوف يقوله، وإذا صوت الحق.. صوت العظمة.. صوت المعبود ينادى حبيبه محمداً، وفى هذا المعنى يقول محمد ﷺ:

«فارقنى جبريل، فانقطعت الأصوات عنى، فسمعت كلام ربى وهو يقول: ليهدأ روعك يا محمد أُدن أُدن» الشفاء للقاضى عياض جـ ١ ص ١٢٤.

فتقدم رسول الله كما أمره مولاه، فأدى التحية لخالقه كما ينبغى أن تؤدى.. ولقد تم اللقاء الخالد «وفرض الله سبحانه وتعالى على عبده محمد ﷺ وعلى أمته الصلوات ليلتئذ خمسين صلاة فى كل يوم وليلة» تفسير ابن كثير لآية «سبحان الذى أسرى بعبده».

ثم يقول رسول الله «فرجعت بذلك حتى أمر على موسى: فقال موسى: ماذا فرض ربك على أمتك؟! قلت: فرض عليهم خمسين صلاة، فقال موسى: راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فرجعت فقال: هى خمس وهى خمسون، لا يبدل القول لدى[1] ..» فأنعم بمن أداها وأقامها كاملة غير منقوصة.

---

(١) تفسير ابن كثير لآية «سبحان الذى أسرى بعبده ليلا».

مقطع رقم ١٣٧ جـ ١
عودة رسول الله إلى مكة

١ بعد الحوار مع الكليم وأمر ربٍّ[١] العالمين
٢ هبط النبى من السماء ومعه جبريلُ الأمين
٣ الموكب الميمون ساروا نحو مكة قافلين
٤ أما الرسولُ فقدْ رأى عَجباً بعين الناظرين
٥ فلقد رأى الأمثالَ[٢] والأشكال رؤيةَ مُوقنين
٦ وصلوا إلى البلد الحرام وليله ساجٍ[٣] سَكين
٧ عند الصباح تهيَّأ الهادى ليلقى المشركين
٨ لِيقُصَّ أخباراً وأمراً من إلـه العالمين
٩ وإذا أبو جهل رآه فصار يسأله اللعين
١٠ هل من جديد قد أتاك؟! فهاتِهِ كى نستبين
١١ فأجابه الهادى، أتيتُك بالجديد وباليقين
١٢ اللهُ أسْرى بى فجئتُ المسجد الأقصى المكين
١٣ قد جئته فى ليلتى هذى وكُنتُم نائمين
١٤ فى دهشةٍ قال اللعين: فهل أنادى الآخرين؟!
١٥ كى يَسْمعوا هذا ونحن لما تقول كشاهدين
١٦ قال النبى: فَهَاتِهم كى يسمعونى أجمعين

---

(١) وأمر رب العالمين – كان الأمر بتخفيف الصلوات الخمسين إلى خمس

(٢) رأى الأمثال والأشكال – أعمال العباد كالأمثال، خيراً وشرا وطاعة وعصياناً.

(٣) ساج سكين – هادىء ساكن.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ١٣٧ جـ ١

لقد انتهى الحوار الذى دار بين محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام، بشأن الصلوات التى فرضت على محمد وأمته، وأصبحت خمساً بعد أن كانت خمسين.

هبط محمد ﷺ، ومعه جبريل الأمين من السماوات العلا، إلى الأرض.. ثم توجه الموكب الميمون يواصل الرحلة صوب مكة الهاجعة فى سكون الليل، وأهلها نائمون.

وفى طريق العودة رأى رسول الله صوراً متعددة مثلت له.. فرأى المعذبين من العصاة، والمنعمين من الطائعين، مما يكون عليه الناس يوم القيامة.

وصل موكب الإيمان المحمدى، تحفه عناية الله إلى مكة.. وكان ذلك فى جنح الظلام ومكة كلها نائمة.. وأصبح الصباح فروى رسول الله لأهل مكة عن مسراه وعروجه إلى السماء: ولقائه بربه، فكان ما كان من قريش معه، ولنستمع إلى نص الرواية.

«عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: لما كان ليلة أسرى بى وأصبحت بمكة، فظعت بأمرى – خشيت هذا الأمر – وعرفت أن الناس مكذبى.. فقعد رسول الله معتزلا مهموماً، فمر به عدو الله أبو جهل، فجاء حتى جلس إليه فقال كالمستهزىء: هل كان من شيىء؟! فقال رسول الله: نعم، قال: وما هو؟!

فقال رسول الله: إنى أسرى بى الليلة، قال اللعين: إلى أين؟! قال: إلى بيت المقدس، قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟! قال: نعم، قال ابن عباس: فلم يُره أنه يكذبه مخافة أن يجحده الحديث إن دعا قومه إليه فقال عدو الله: أرأيت إن دعوت قومك، أتحدثهم بما حدثتنى؟! قال رسول الله: نعم.. الخ» مسند الإمام أحمد عن تفسير ابن كثير لقد ظن عدو الله بفطرته السقيمة، بأن رسول الله كاذب، فأراد أن يجعل الناس يشاركونه الاستماع إلى ما قاله محمد، وهو فى رأيه ضرب من الخيال لا يمكن أن يصدقه أحد.. لكن رسول الله.. قال له: هات القوم كلهم لأسمعهم هذا كما أسمعتك.

مقطع رقم ١٣٨ جـ ١
محمد يروى لقريش قصة الإسراء

١ سَمِع اللعين لقصة الإسراء سَمْعَ الساخرين
٢ نادى بأعلى صوتِه فى القوم [١] جاءوا مسرعين
٣ جاءتْ قريش كلُّها نحو النداء لتستبين
٤ ماذا عساك دعوْتَنا؟! قال: اسمعوا قولَ الأمين
٥ هذا الأمين لديه أخبارٌ من القول الثمين [٢]
٦ هيا محمدُ قل لهم: عن رحلة القُدْس الحصين
٧ قال الرسول لهم: فكونوا للمقالة سامعين
٨ إنى أتيت المسجد الأقصى مُصلّى [٣] المرسلين
٩ الله أسْرى بى وكنتُ لأمرِهِ فى الطائعين
١٠ جبريلُ كان مُرافقى من أمر ربِّ العالمين
١١ كان البُراق مَطيَّتى فى رحلتى فى الخالدين
١٢ وهناك كان الأنبياءُ جميعُهم مُستقبلين
١٣ ولقد غدوتُ ورحتُ فى جُنْح الظلامِ المستكين [٤]
١٤ إنى بهذا صادقٌ، كُنتُم لِصِدْق عارفين

---

(١) فى القوم – هم أهل مكة.

(٢) من القول الثمين – الغالى، وهى أخبار ستدهشكم، وذلك بسخرية.

(٣) مصلى المرسلين – قبلة الأنبياء.

(٤) الظلام المستكين – المستسلم الهادىء.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ١٣٨ جـ ١

بعد أن استمع عدو الله أبو جهل لقصة الإسراء من رسول الله ﷺ، واستوثق منه أنه إن دعا قومه، فسوف يحدثهم بهذا الحديث وقال له رسول الله عليه الصلاة والسلام: نعم.

هتف عدو الله أبو جهل بأعلى صوته، مناديا فى قريش كلها قائلا: هلموا إلى يا قوم، فإن محمداً الأمين، سيخبركم بشيىء غريب وعجيب!! هلموا.

فانتفضت إليه المجالس، وجاءوا جميعا ليستطلعوا الخبر، حتى جلسوا عند رسول الله وأبى جهل.. فقال أبو جهل لرسول الله:

هيا يا محمد، حدث قومك بما حدثتنى به، فقال لهم رسول الله: لقد أسرى لى الليلة، فقالوا: إلى أين؟! قال: إلى بيت المقدس، قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟! قال: نعم.

ثم أخبرهم عن مسراه، وعن صحبة جبريل الأمين له، خلال تلك الرحلة من أولها إلى آخرها.. وعن لقائه بإخوانه الأنبياء فى المسجد الأقصى.

وأخبرهم بأن البراق الذى كان يركبه الأنبياء قبله، كان هو مطيته فى رحلته الخالدة، ذهابا وإيابا.

ثم قال: لقد تم خلال تلك الرحلة شيىء كثير، ورأيت الكثير.. وذهبت وعدت فى ليلتى هذه.. وها أنذا قد أصبحت بين ظهرانيكم بمكة.. ولا أخالكم تشكون فى صدق قولى، ذلك لأنكم تعلمون صدق وأمانتى.. فلم أنتسب للكذب مطلقاً منذ طفولتى حتى بلغت مبلغ الرجال.

مقطع رقم ١٣٩ جـ ١
أبو جهل ينكر الإسراء وأبو بكر يصدقه

١ سَمِعتْ قريشٌ قصة الإسراء لكن باغْتراب[١]
٢ القوم بين مُصدّق ومُكذِّب عند الخطاب[٢]
٣ صاروا جميعاً يهمِسُون وكلُّهم فيه ارتياب
٤ أما أبو جهل اللعين، فقد تصدَّى للجواب
٥ فى قُحَّةٍ معروفةٍ فى طبعه فوراً أجاب
٦ قال اللعين: فلن نُصدِّق، ما تقول[٣] سِوى الصواب
٧ المسْجد الأقصى نسير إليه شهراً فى الذّهاب
٨ والإبل فى تِرْحالها شهراً تُواصِل فى الإياب
٩ ذهبوا إلى الصدِّيق فوراً أخبروه وفى[٤] عِتاب
١٠ قالوا له: هلّا سمعتَ محمداً؟! يحكى العُجاب!!
١١ من قوله: زعماً[٥] أتى للمسجد الأقصى المهَاب
١٢ فى نفس ليلته أتى من رحلةٍ فيها العذاب
١٣ فوراً أجاب بقوله: إنْ كان قال: فقد أصاب
١٤ إنى أُصدِّقه بأخبار السماء وفى الكتاب

---

(١) باغتراب – بدهشة واستغراب.

(٢) عند الخطاب – حينما تحدث رسول الله.

(٣) ما تقول سوى الصواب – أى إن الذى تقوله ليس صدقاً.

(٤) وفى عتاب – يلومونه لاتباعه محمداً فها هو ذا يقول مالا يُصدق.

(٥) زعما – الزعم هو القول.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٣٩ جـ ١

لقد استمع رجال قريش إلى قصة الإسراء من محمد ﷺ، لقد استمعوا له وهم مستغربون فى دهشة واستغراب من غريب ما رواه، فصاروا ينظر بعضهم إلى بعض.. ودار الهمس بين الجميع، ولا غرو فالأمر الذى ذكره رسول الله، لا يصدقه عقل بالمقياس المادى المعروف، ذلك لأنهم يعرفون بعد المسافة بين مكة وبيت المقدس.

وينبرى عدو الله أبو جهل للحديث مع رسول الله، مترجماً ما يعتمل فى نفوس المرتابين من مشركى مكة.. ولا غرو فأبو جهل يقود حملة العداء والكراهية لرسول الله، ولكل ما جاء به من عند ربه.

فاغتنم هذه الفرصة، لكى يثبت للجميع كذب محمد ﷺ فقال: يا محمد! تزعم أنك ذهبت إلى بيت المقدس وعدت منه فى نفس الليلة!! فهذا أمر لا يمكن أن نصدقه بأى حال.. فنحن نقطع هذه المسافة فى رحلة نضرب إليها أكباد الإبل شهراً ذهاباً وإيابا.

وأسرع بعض المشركين إلى أبى بكر الصديق، فأخبروه ذلك الخبر الذى استغربوه واستنكروه جميعهم، ظناً منهم بأن أبا بكر سوف يشاركهم هذا الاستغراب والاستنكار أيضاً.. وحينئذ يشك أبو بكر فى صدق محمد ولو مرة واحدة فى كلمة واحدة.

بيد أن أبا بكر خيب ظنهم، فحين أخبروه بقصة الإسراء التى ذكرها لهم رسول الله قال لهم أبو بكر: أنتم تكذبون عليه، فأقسموا له أنه قال هذا القول، فقال: إن كان قال فقد صدق.. فما يعجبكم من ذلك؟ فوالله إنه ليخبرنى أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض، فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه، فهذا أبعد مما تعجبون منه.

ثم ذهب مسرعاً إلى رسول الله فقال له: أحدثت القوم أنك أتيت بيت المقدس هذه الليلة؟! قال: نعم، فقال: صدقت يا رسول الله.

مقطع رقم ١٤٠ جـ ١
جبريل يأتي ببيت المقدس لمحمد

١ قد أسرع الصدِّيق جاء إلى النبى لكى يراه
٢ وجدَ الرِّجال تُحيطه من كل صَوْب كَالجناه
٣ قد أمطروه بوابل مِن سُؤْلهم مِثل[١] الرُّماه
٤ والمصطفى قد كان يجلس بين هاتيك العُتاه
٥ سألوه، كيف المسجد الأقصى؟! وهل حقاً رآه؟!
٦ هيا فَصِفْه لنا وإلا ما رأيتَ[٢] إلى رُبَاه
٧ جعلوه يبدو شارداً، من سُؤْلهم[٣] يرجو النّجاه
٨ لكنّ ربّ مُحمّدٍ أعطاه نصْراً واجتباه
٩ نصْراً على كل التّحدى حين يكشف عن هواه
١٠ فوراً أتاه صديقُه جبريل من أمر الإله
١١ قد جاءه بالمسجد الأقصى وَتحْمِلُه[٤] يداه
١٢ قد صار بَيْن[٥] يَديْه فى حَجْم الكتاب إذا احْتواه
١٣ جبريل قال له: فَصِفْ للقوم فوراً ما تراه
١٤ نصر الإله محمداً، فمحمدٌ هو مصطفاه

---

(١) مثل الرماة – يشبهون رماة النبل.

(٢) ما رأيت إلى رباه – الروابى التى تحيط به.

(٣) من سؤلهم يرجو النجاة – يتمنى ألا يعجز عن الإجابة على أسئلتهم.

(٤) وتحمله يداه – جبريل يحمل المسجد الأقصى بيديه.

(٥) صار بين يديه – بين يدى رسول الله.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ١٤٠ جـ ١

جاء أبو بكر الصديق مسرعاً إلى رسول الله ﷺ، وسأله عن صحة ما قيل له عن الإسراء وأحداثه، وأنه ذهب وعاد من ليلته، فقال: نعم.

وجد القوم محيطين برسول الله، وكلهم بين مصدق ومكذب، وعلامات الاستفهام على الوجوه، والدهشة تسيطر على الجميع، وكل واحد منهم يسأل سؤالا لمحمد.

ورسول الله يجلس بينهم يجيب على تساؤلاتهم الجادة والساخرة، وهم من حوله مثل رماة السهام، كل يريد أن يرمى سهمه قبل الآخر.

لم يكف رسول الله عن الإجابة على تساؤلاتهم، حول الرحلة وأحداثها وما تمخضت عنه.. فلما لم يستطيعوا إفحامه، وجهوا إليه سؤالًا خطيراً، كان هذا السؤال هو بمثابة السهم الأخير فى جعبتهم فقالوا: يامحمد! مادمت قد ذهبت إلى بيت المقدس، فصف لنا المسجد الأقصى إن كنت صادقاً فى ماتقول: وإن لم تصفه لنا، فإنك لم تره.. ولم تذهب إليه أيضاً، ولن نصدقك فى شىء بعد هذا.

وكان رسول الله كما يعلم الجميع، لم يذهب إلى بيت المقدس من قبل، ولم يره فى حياته قبل ليلة الإسراء المباركة، فكان هذا السؤال فى حد ذاته معجزاً، لا يستطيع محمد أن يجيب عليه، ذلك لأنه رأى المسجد الأقصى ليلًا.. ولكن الأسئلة الموجهة إليه، لا يجيب عليها إلا من رأى المسجد الأقصى أكثر من مرة.. فكانت إجابة رسول الله على هذا السؤال، الصمت مع التفكير العميق، وربما كان يناجى مولاه فى تلك اللحظة.

الله عز وجل كان مع رسوله، يسمع ويرى، فأمر جبريل أن يحمل بيت المقدس ويضعه أمام محمد ليصفه للسائلين.. فأسرع جبريل وجاء ببيت المقدس فوضعه أمام محمد.. فصار ينظر اليه أمامه كأنه كتاب مفتوح.

لقد نصر الله رسوله، ولم يتركه وحده أمام الأعداء، فهو حبيبه ومصطفاه.

مقطع رقم ١٤١ جـ ١

محمد يصف المسجد الأقصى لقريش

١ المسجد الأقصى بدا للمصطفى نَظَر العَيان
٢ قد صار يَنْعتُه[1] لهم قد كان ينظرُ للمكان
٣ هم يسألون ليعْجزوه ففازَ عند الامتحان
٤ الله كان مُعينَه، نَعْم المعين كذا المعان
٥ فاسْتيقنوا من صِدْقه قالوا:فَزِدْنا مِنْ بيان
٦ فوراً أجاب على السؤال بدون ضَعْفٍ أو توان
٧ فى الدَّرْب قافلةٌ عرفتُ بأنها لبنى[2] فلان
٨ قد فر أحد الإبْل من صَوْتِ البُراق وما اسْتكان
٩ ناديتُهم ودَلَلْتُهم عن[3] وجههِ حتى استبان
١٠ قد كان هذا فى ذَهَابى للخلود على الزمان
١١ حيث استجبت لأمر ربى والتقيتُ مع الأمان
١٢ أفليس هذا كافياً كى تؤمنوا دون[4] امتهان
١٣ فلتؤمنوا أو فالعذابُ يُصيبُكم قبلَ الأوان
١٤ أما أبو بكر فقال له: صدقتَ وَلنْ تُهان
١٥ سمَّاه خيرُ الخلقِ صِدِّيقاً بتصديق اللسان[5]

---

(١) ينعته لهم – يصفه لهم.

(٢) لبنى فلان – ذكر لهم أصحاب القافلة.

(٣) ودللتهم عن وجهه – الجهة التى فر البعير نحوها.

(٤) دون امتهان – المبالغة فى الإهانة.

(٥) بتصديق اللسان – صدق باللسان والقلب أيضاً.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٤١ جـ ١

حينما طلب المشركون من محمد ﷺ أن يصف لهم بيت المقدس، كدليل على صدق روايته لهم عن الإسراء.. وأسرع جبريل عليه السلام فجاء ببيت المقدس فوضعه أمام محمد.. فصاروا يسألونه، فيجيب على أسئلتهم، ويصف لهم المسجد الأقصى، وصف الرائى بعينى رأسه.

كانوا يسألونه ليعجزوه، لكنه لم يعجز، لأن الله عز وجل معه، ونعم المعية معية الله، فقد أعانه فى ذاك الموقف العصيب، وانتصر على أعدائه الذين يتربصون به الهزيمة.

بعد أن وصف لهم رسول الله ﷺ، بيت المقدس وصفا دقيقاً صادقاً، قالوا له: يا محمد!

هل من دليل آخر لديك تذكره لنا تؤكد به صحة ما ذكرت؟! فأجابهم رسول الله قائلا: نعم.. هاكم هو.

إنى مررت فى طريقى بإحدى القوافل، فعرفت أنها عير بنى فلان، فى وادى كذا وكذا.. فأنفرهم حسّ الدابة التى كنت أركبها، فند - جفل - بعير لهم، فدللتهم على الجهة التى توجه إليها البعير حتى وجدوه... وكان ذلك فى ذهابى وأنا متوجه نحو بيت المقدس.. مستجيباً لأمر ربى... وقد التقيت بالأمن والطمأنينة وراحة النفس.. إنه لقاء العابد بالمعبود.. الضعف بالقوة، الفانى بالباقى.

ألا يكفيكم يا قوم كل ما ذكرته لكم، دليلًا على صدق مـــا أقول ؟! فلتؤمنوا يا قوم قبل أن ينالكم العذاب فى الدنيا والآخرة.

فى وسط هذا الخضم الهائل من الجدل والمحاوره، وإذا صوت أبى بكر الصديق يرن فى سمع الحاضرين جميعاً، بل فى سمع الدنيا كلها فيقول: صدقت يارسول الله، إنك صادق فى كل ما ذكرته، ولن تهان مطلقاً لأن الله معك، من أجل هذا نال أبو بكر أشرف لقب يناله إنسان ما بعد الأنبياء.. إنه الصديق.

مقطع رقم ١٤٢ جـ ١
رسول الله يقدم الأدلة لقريش

١ واستطْرد الهادى. وقال: فإن أبيتمْ ما أشاء
٢ هاكم دليلًا ثالثا فيه الحقيقة لا مِراء
٣ أبْصرتُ عِيراً من قريش نازلين وفى العراء
٤ إنى مررتُ بهم وكانوا نائمين مِن[1] العَنَاء
٥ قد كان ماءٌ فى إناء عندهم تحْت الغِطاء
٦ إنى أتيتُ لرحلهم وَشرِبْتُ مِن ذاك الإناء
٧ العيرُ واصلت المسير وسوف تأْتى فى المساء
٨ قُدّامهُم جملٌ بِلونٍ أورق شكْل[2] الظِّباء
٩ لكنْ عليه غَرارتَان[3] ولونُها ليستْ سواء
١٠ خرج الرجالِ إلى لقاء العِير، قدْ تمّ اللقاء
١١ وجدوا العلامات التى ذكر الأمينُ بلا خَفاء
١٢ سألوا الرِّجال، فهل شعرْتم فى المسيرةِ باعتداء؟!
١٣ قالوا: فقدنا الماءَ إذ كنا نياماً فى الفضاء
١٤ فتحادثوا مع بعضهم هذا دليلٌ[4] كالضّياء

---

(١) من العناء – من مشقة السفر.

(٢) شكل الظباء – لون الغزلان، مفرده غزال.

(٣) غرارتان – الغرارة مصنوعة من الشعر والوبر يحمل فيها القمح والشعير.

(٤) دليل كالضياء – لا يحتمل الشك.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٤٢ جـ ١

بعد أن ذكر رسول الله ﷺ للمشركين، حادثة البعير الذى جفل لسماعه حفيف انطلاق البراق فى الفضاء قال لهم: ألم يكفكم هذا؟ إن شئتم دليلًا آخر، فهاكم هو، أكثر وضوحاً، وأقطع للشك والريبة..

أثناء رحلتى الخالدة فى تلك الليلة، مررت ومعى جبريل الأمين بجبل ناحية تهامة يسمى ضجنان.. رأيت هناك قافلة بنى فلان، قد نزلوا جانب الطريق للمبيت، فناموا قد أضناهم السفر.. فرأيت إناء كان عندهم فيه ماء، قد غطوه بشيىء، فكشفت غطاءه، وشربت الماء الذى كان فيه، ثم غطيته كما كان.

وأزيدكم وضوحاً إن شئتم! فإن تلك القافلة، قد وصلت الآن إلى ثنية التنعيم البيضاء.. يقدم القافلة جمل أورق، عليه غرارتان: إحداهما سوداء والأخرى برقاء.

حينما سمع المشركون هذا الكلام من محمد ﷺ، بادروا مسرعين نحو ثنية التنعيم – وهى قريبة من مكة – ليتأكدوا من صحة قول رسول الله.. وإذا القافلة مقبلة.. وإذا الجمل الأورق هو الذى يقدم القافلة كما ذكر رسول الله، وعليه الغرارتان، السوداء والبرقاء كما وصف رسول الله ﷺ.

بدأ رجال مكة يسألون رجال القافلة، ورجال القافلة يجيبون على أسئلتهم سألوهم، هل جفل بعير من قافلتكم، وناداكم صوت فأخبركم عن الجهة التى توجه إليها البعير حتى وجدتموه؟! قالوا: نعم.

سألوهم عن إناء الماء الذى ذكره رسول الله.. فقالوا: نعم، لقد وجدنا الإناء فارغاً لاماء فيه، وقد كان فيه ماء ومغطى بغطاء!!.

حينئذ تلفت الرجال بعضهم لبعض فقالوا: هذا لعمر الله دليل قاطع لا شك فيه، إنه يشبه النور الذى يبدد فلول الظلام.

مقطع رقم ١٤٣ جـ ١
الإسراء والمعراج بالروح أم بالجسد

١ قالوا عن الإسراء والمعراج كانا فى المنام
٢ هى رحلة روحية والمصطفى بين النِيام
٣ قالتْه إحدى أمُّهات المؤمنين إلى الأنام
٤ تِلْكم مُبرّأة(١) السماء لقولها أسمى مقام
٥ قالوه أيضا بعض أصحاب النبى هم الكرام
٦ منهم معاويةُ الذى رَكِب الخلافةَ(٢) بالخصام
٧ قد كان يكتب للنبى الوحىَ عند الانفصام(٣)
٨ لكنّ قولَ الله حقٌّ مثل نور فى الظلام
٩ قد قال فى الإسراء والمعراج مِنْ أحلى الكلام
١٠ فى سورة الإسراء قال «بعبده» كُفّوا الملام
١١ لو كان هذا فى المنام لما استحقّ الانقسام(٤)
١٢ فالناس فى أحلامهم كلّ يطيرُ بلا التزام
١٣ فَلْنلتزم بكلام ربّ العرش عِند الاحتكام
١٤ الرأىُ عند النصِّ(٥) جهل لا ينال الاحترام

---

(١) تلكم مبرأة السماء – هى عائشة أم المؤمنين

(٢) ركب الخلافة بالخصام – شق عصا الطاعة فلم يبايع الخليفة الشرعى.

(٣) عند الانفصام – عندما يفصم الوحى عن رسول الله.

(٤) لما استحق الانقسام – الاختلاف.

(٥) النص – إما آية قرآنية أو حديث شريف.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٤٣ جـ ١

أقوال كثيرة قيلت، وآراء طرحت حول حقيقة الإسراء والمعراج، هل هى كانت يقظة أم مناماً!.

من هذه الأقوال قول له خطورته، وهو أن رسول الله ﷺ لم يبرح مكة فى تلك الليلة، ليلة الإسراء، بل لم يبرح منامه فى بيته، وإنما هى رحلة روحية، ورؤيا منامية رآها رسول الله فى نومه.

هذا القول نسب إلى عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها، المبرأة من فوق سبع سماوات الصديقة بنت الصديق، حيث نقل عنها أنها قالت:

إن جسده ﷺ ما فُقد، وإنما كان الإسراء بروحه عليه الصلاة والسلام.

وقال هذا القول أيضاً، واحد من أصحاب رسول الله.. إنه معاوية بن أبى سفيان، ومن المعروف بأنه كان يكتب الوحى لرسول الله ﷺ، بعد أن يفصم عنه الوحى.

وهو الذى شق عصا الطاعة، فلم يبايع الخليفة الشرعى على بن أبى طالب، بل ناوأه وخاصمه، ونصب نفسه خليفة فى الشام، وأريق بسببه دماء كثيرة، وكانت هذه بداية الفتنة الكبرى فى تاريخ المسلمين!

كان معاوية هذا إذا سئل عن مسرى رسول الله قال: كانت رؤيا منامية!!

وقال ابن كثير فى التفسير: وقال آخرون: بل أسرى برسول الله ﷺ، بروحه لا بجسده.

بيد أن النص القرآنى واضح لا لبس فيه ولا غموض، قال الله عز وجل فى أول سورة الإسراء: «سبحان الذى أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى..»

واللفظ صريح لا يحتمل التأويل فقال عز وجل «بعبده» ولم يقل بروح عبده، والعبد كلمة تطلق على مجموع الروح والجسد.

وأيضاً فلو كان الإسراء رؤيا منامية، لما بادر مشركو مكة بتكذيبها، ذلك لأن الناس فى أحلامهم المنامية يطيرون إلى أبعد من هذا.. إذن فينبغى لكل مسلم أن يلتزم بنص القرآن فى هذه الواقعة.. وكل من اجتهد فى وجود النص بما يخالفه، فإنما هو جاهل أو مجادل، ولا يلتفت إلى رأيه.

● أخطر مراحل الدعوة

● رسول الله يعرض نفسه على القبائل

● بيعتا العقبة

مقطع رقم ١٤٤ جـ ١
قبائل العرب تتوافد على مكة

١ الحج جاء زمانهُ واستيقظتْ هممُ الرجال
٢ جاءوا إلى البيتِ العتيق ومعهم الهدْى[١] الحلال
٣ كلّ القلوب إليه ترنو كى يحجُّوا[٢] للكمال
٤ كل الوفود. أتوا لمكة حولها حطُّوا الرِّحال
٥ قطعوا الفيافى فى المسير ولم يبالوا من كَلال
٦ هذا محمد قد أتاهم فى المضاربِ[٣] والنّزال
٧ يدعو إلى الدين الذى فيه السماحةُ والجلال
٨ فيقول ياقوم اسمعونى واتركوا دين[٤] الضلال
٩ لا تعبدوا الأصنامَ من دون الإله بكلّ حال
١٠ الله خالق كلّ شىء ليس فى هذا جِدال
١١ الله ليس له شريكٌ أو نظيرٌ أو مِثال
١٢ خلق السماءَ تروْنها فيها مصابيحُ الجمال
١٣ والأرض أمسك مَيْدها[٥] بالراسيات من الجبال
١٤ إن تُنكروا هذا فلستم فى عقول الاكتمال

---

(١) الهدى الحلال – الذبيحة التى يسوقها الحاج أو المعتمر.

(٢) كى يحجوا للكمال – كانوا يحجون قبل الإسلام، والحج يكمل العبادة.

(٣) المضارب والنزال – فى خيامهم بمكان نزولهم.

(٤) واتركوا دين الضلال – الشرك بالله.

(٥) أمسك ميدها – أن تميل أو تنهار.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ١٤٤ جـ ١

كان العرب فى الجزيرة العربية، يحجون إلى مكة فيطوفون بالبيت، ويقفون على جبل عرفات.. فالحج فريضة موجودة منذ القدم.. وجاء الإسلام فأقرها مع حذف بعض الأعمال مثل: الطواف بالبيت وهم عراة، والتفاخر بعد الإفاضة بذكر الآباء لقد حان موعد موسم الحج، وصارت وفود الحجاج تتوافد على مكة من كل حدب وصوب، ومعهم الهدْى.. فحطوا رحالهم حول مكة، ليستريحوا من عناء السفر الطويل.

محمد ﷺ، يغتنم هذه الفرصة، فيأتى على وفود الحجاج النازلين حول مكة، فيعرض نفسه عليهم فيقول: ياأيها الناس! إنى رسول الله، اختارنى للنبوة، أدعو إلى دين سماوى فيه السماحة والعدالة، وفيه الإنصاف والمساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات.

ويقول: يا قوم اسمعونى، وآمنوا بما جئتكم به من عند الله.. واتركوا عبادة الأصنام.. فهى الضلال والحيرة والتخبط.. واعبدوا الإله الواحد الأحد.. خالق السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما من عوالم.

هو المعبود، لا معبود سواه، لا شريك له فى ملكه، لا مثيل له، لا ند له، ولا نظير له أيضاً.

انظروا إلى السماء فوقكم، كيف رفعها بغير عمد.. ثم زينها بالمصابيح، فتبدو فى الظلام كلوحة سبحان من أبدع صنعها، فصارت آية للجمال.

وانظروا إلى الأرض التى نعيش عليها، فلولا أن الله عز وجل رحيم بالخلق، فأمسكها بالراسيات من الجبال، لمادت بنا.

ففكروا بعقولكم فى ما أذكره لكم، فإذا أبيتم وأصررتم على حالكم، من الجهالة والشرك بالله، فتالله إنكم لستم فى عداد العقلاء الذين يميزون بين الضار والنافع.

مقطع رقم ١٤٥ جـ ١

رسول الله يطوف بوفود الحجاج

١ في حِكْمة الداعي وصَبْر ثم عَزْمٍ لا يلين
٢ طاف الرسولُ على المضارب والخيام النازلين
٣ هم حَوْل مكةَ قد أناخوا(١) من عَناءٍ مُتْعبين
٤ قد جاء يدعوهم إلى نورِ الهدايةِ واليقين
٥ ويقول: ياقوم اسمعوا قولى تَصيروا مُهْتدين
٦ إنى أتيْتُ لتمنعــونى مِن عَداءِ المعتديـــن
٧ إن تمنعــونى يُؤتِكـــم ربى جزاءَ المحسنين
٨ في جنة الفردوس ثَمّ(٢) مُقَام كلِّ المصلحين
٩ قد كان يمشى خلفه المأفونُ شرّ الكافرين
١٠ ذاكم أبـــو لهب عدوُّ الله والحقِ المبين
١١ يأتى لمن سَمِعوا النبى يقول قولَ النّاصحين(٣)
١٢ لا تسمعوا هذا(٤) الدَّعِيَّ فلا تكونوا جاهلين
١٣ يدعو لِترْكِ اللاتِ والعزى وما كُنّا ندين
١٤ لم يستجيبوا للنبى وصدَّقوا قَوْلَ اللعين

---

(١) قد أناخوا – أناخوا الإبل بعد رحلة السفر الطويلة.

(٢) ثم – أى هناك.

(٣) قول الناصحين – ينصحهم.

(٤) هذا الدعى – الكاذب.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٤٥ جـ ١

يواصل رسول الله ﷺ، الدعوة إلى دين الله عز وجل، بحكمة الداعى، وصبر وإصرار، وعزيمة صادقة لا تردد ولا تخاذل ولا ضعف لا يصده عن هدفه صاد، ولا يرهبه وعيد ولا عدوان.. همه كله، وقصارى جهده أن يبلغ أمر الله للناس.

طاف رسول الله على وفود الحجاج فى خيامهم خارج مكة، ناشدهم أن يستمعوا لقوله، وأن يستجيبوا لدعوته.. ثم قال لهم: يا قوم!

إنى أطلب منكم أن تحمونى من المعتدين الذين يحاربوننى ويمنعوننى من إبلاغ أمر الله إلى الناس.. فإن آمنتم بما أدعوكم إليه، ومنعتمونى من عدوان المعتدين، فإن الله عز وجل سوف يجزل لكم العطاء، وتكونون من أهل الجنة مع المؤمنين والمصلحين و.. الخ.

وبينما كان رسول الله يدعو الناس، ويتحدث إليهم بأسلوبه البليغ الذى يمس أوتار القلوب، ويخاطب الوجدانات، فلا يكاد يسمعه أحد ينشد الحق والخير والصواب إلا انقاد له طائعاً مختاراً.

قد كان يمشى خلفه رجل حقود جحود معاند، فيأتى على القوم الذى كان يتحدث اليهم رسول الله فيقول: يا بنى فلان!

إنى أنصحكم لا تسمعوا لهذا الرجل.. إن هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم، وحلفاءكم من الجن، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه.

وهكذا، فما جاء رسول الله ﷺ، إلى مجلس من مجالس القوم ليدعوهم إلى دين الله، إلا خلفه عدو الله فى ذلك المجلس فيقول لهم: لا تسمعوه ولا تصدقوه.. فيسألونه. من أنت وماذا تكون منه؟! فيقول: أنا عمه وهو ابن اخى... إنه عدو الله أبو لهب.. وقد استمع الناس لنصحه وتركوا قول رسول الله.

مقطع رقم ١٤٦ جـ ١

رسول الله عند بنى كلب

١ المصطفى قد واصلَ التّطْواف فى كلِّ القبائل
٢ يأتى على القوم الجلُوسِ من الكثير أو القلائل
٣ منهم بنو كلب أتاهم بالعديد من المسائل
٤ فلقد ألانَ لهم وأثنى فى أبيهم فى الأوائل(١)
٥ أنتم لعبدالله نسْلٌ، كان يعطى كل سائل
٦ الله أحسن اسمه، لا ليس هذا قولَ قائل
٧ هذا مقال المصطفى، إذ إنه فى الناس عادل
٨ لكنهم لم يؤمنوا حتى يكونوا فى الأفاضل(٢)
٩ ترك الرسول خيامَ كلب كمْ ينالوا(٣) للجلائل
١٠ وأتى على قومٍ غِلاظٍ فى المضارب والمنازل
١١ القوم كانوا من حنيفةَ(٤) دون جَدْوى دون طائل
١٢ قومٌ غِلاظ الطّبع حقا لم يبالوا بالفضائل
١٣ فَاسْتقبلوه بكل قُبْح واستباحُوا(٥) للرذائـــل
١٤ يابئس قوم أجْرَموا، إذ باشروا سوءَ الوسائل
١٥ يوم القيامة يُحْرقون فلا شفيع ولا خلائل(٦)

---

(١) فى أبيهم فى الأوائل – جدهم الأول اسمه عبدالله أثنى عليه رسول الله.

(٢) حتى يكونوا فى الأفاضل – من أهل الفضل.

(٣) لم ينالوا للجلائل – للأمور الجليلة العظيمة.

(٤) من حنيفة – من بنى حنيفة.

(٥) واستباحوا للرذائل – خاطبوه بكلام بذىء وسفالة.

(٦) لا شفيع ولا خلائل – لا شفيع ولا خليل.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٤٦ جـ ١

صار رسول الله ﷺ، يتنقل بين وفود الحجاج، يدعوهم إلى دين الله عز وجل، صابراً محتسباً، محتملًا سفاهة السفهاء وجراءتهم وتطاولهم، وما أكثرهم فى قبائل العرب.

يجيىء إلى القوم الجالسين، فيتحدث إليهم ويخبرهم بحقيقة أمره، بأنه رسول الله، أنزل الله عليه كتاباً هداية للناس، ليخرجهم من ظلمات الجهالة إلى نور الإيمان.. من عبادة الأوثان إلى عبادة الواحد الأحد الديان.

جاء إلى وفد بنى كلب، فتحدث إليهم، أثنى عليهم وعلى أبيهم وقال لهم:

إن أباكم الأكبر عبد الله، كان حسن السيرة وكان جواداً كريماً، ويمتاز بأخلاق حسنة رفعت مكانته بين الناس.. حتى إن رسول الله ﷺ ناداهم باسم أبيهم فقال: يابنى عبد الله.

إن الله قد أحسن اسم أبيكم.. فلم يقبلوا منه.

ثم تركهم رسول الله، وتوجه نحو وفد بنى حنيفة فى منازلهم، فعرض نفسه عليهم، وعرفهم بنفسه بأنه رسول الله، فدعاهم للإيمان بالله وحده لكنهم كانوا جفاة غلاظ الطبع، فنالوا من رسول الله بالسب والشتم المقذع القبيح، عليهم لعنة الله.

ألا بئس هؤلاء القوم، بنو حنيفة، لقد استباحوا لأنفسهم النيل من رسول الله والتطاول عليه، فآذوه بكل لفظ قبيح بذىء، تنفر منه الأسماع، وتأباه الطباع.. لقد أجرموا، وتلك لعمر الله أسوأ وسيلة يمكن أن يستعملها إنسان ما، تعبيراً عن رفضه لامر ما.

لا غرو أنهم أسوأ العرب رداً على رسول الله.. ومن ثم فإنهم سوف ينالون العقاب والخزى يوم القيامة، ولن يجدوا هنالك شفعاء لهم ولا أخلاء ولا أنصار.. بل عذاباً وإحراقاً فى جهنم وخلوداً فيها.

مقطع رقم ١٤٧ جـ ١
بنو عامر يشترطون ميراث النبوة

١ ترك النبيُّ بنى حنيفة ذاهباً لِبنى عامر
٢ عند الحوار تطاولوا فى قولهم نحو[١] الصغائر
٣ المصطفى قد جاءهم فى دارهم فى شكلِ زَائِر
٤ قد قال: جِئْتُ لتمنعونى من تَطاول كلِّ فاجر
٥ قد جئتُكم أدعو لدين قد حَوَى كلّ المفاخر
٦ هو دين كل الناس حقا من أوائل أو أواخر
٧ قالوا: فإنا سائلوك، فهل تُجيب ولا[٢] تُدَاور؟!
٨ إنْ كنتَ ترجو عوننا عَوْناً يصدُّ لكل غادر
٩ فلسوف نفعل ما تريد ولا نُبالى بالخسائر
١٠ لكن إذا ما نِلْتَ ما تَصْبو إليه من المآثر
١١ فَلْيبقَ هذا الأمرُ[٣] فينا بعد أن تَلْقَى المصائر
١٢ إن كُنْتَ تجعلُه إلينا، سوف نحميك المخاطر
١٣ ولسوف نَبْذلُ كُلّ غالٍ منْ دِماءٍ أو مَنَاحِر[٤]
١٤ هى هكذا الدنيا عطاءٌ[٥] ثُمَّ أخذٌ للتناصر

---

(١) نحو الصّغائر – الكلام الصغير.

(٢) ولا تداور – هل تجيب إجابة واضحة دون خبث أو دهاء

(٣) فليبق هذا الأمر فينا – اجعل النبوة فينا بعدك.

(٤) من دماء أو مناحر – جمع نحر كناية عن التعرض للقتل.

(٥) عطاء ثم أخذ للتناصر – لا شيء يعطى بغير مقابل.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٤٧ جـ ١

لقد سمع رسول الله ﷺ من بنى حنيفة ما أساءه، فتركهم فى خيبة من أمرهم إذ لم يكونوا أهلًا للفضل.

توجه رسول الله إلى منازل بنى عامر، علّه يجد فيهم شيئاً من الخير.. جاءهم فتحدث إليهم، ودعاهم إلى الإسلام، وتوحيد الإله، وترك عبادة الأصنام، وطلب منهم أن يحموه من المعتدين، ليواصل الدعوة إلى دين الله وهو آمن.

بيد أن بنى عامر كانوا طلاب دنيا وملك.. وليس للدين عندهم وزن.. فمن ثم كان حوارهم مع رسول الله يدور حول هذه المعانى!

قالوا له: إن كنت تريد عوننا، فسوف نعينك ونحميك ممن يتطاولون عليك، ونقاتل دونك، ونقف معك كل موقف، مهما كلفنا ذلك.. ولا غرو فإن هذا سوف يكلفنا الكثير.. سوف تكون خسائر فى الأموال وفى الرجال أيضاً.

فإذا ما أعطيناك هذا كله، وتحقق لك ما تصبو إليه.. فإننا نطلب منك شيئاً واحداً لا نريد سواه.. فقال لهم رسول الله ﷺ: فما هو هذا الشيىء الذى تريدونه؟!.

قالوا: هذا الأمر الذى تدعو إليه، أو تتولاه، اجعله فينا بعدك. ذلك لأننا سنكون أحق الناس به دون شك أو جدل!!!

يالله!! إنهم يطلبون من رسول الله مالا يملكه، يطلبون منه أن يجعل النبوة فيهم، يرثونها من بعده، كما يُورث المُلك أو العقار أو المال!! ألم يفهموا؟! أم نسوا أنها النبوة يهبها الله لمن يشاء من عباده، من ذوى الفضل ممن يعلم أنهم أهل لها وتحمل مشاقها وأعبائها.

ثم قال قائلهم: فإن أعطيتنا هذا، فسوف نعطيك كل شيىء، وسوف نبذل كل غال ورخيص فى سبيل نصرتك.. إنها الأموال تذهب، والأرواح تزهق فى ذاك السبيل.

هكذا الدنيا يامحمد، وهذه هى المبادىء التى تقوم عليها، ويتعامل الناس بها، وهى عطاء وأخذ، فبقدر ما تأخذ، لابد أن تعطى، وإلا فلا.

مقطع رقم ١٤٨ جـ ١
رسول الله يرفض شروط بنى عامر

١ القوم[١] قالوا قَوْلَهم للمصطفى دون احتشام
٢ هو أن يكون الأمرُ فيهم بعده بالالتزام[٢]
٣ قال النبى لهم كلاماً مثل نورٍ فى الظلام
٤ قَوْلًا خلا من كل خُبْث أوْمِراء أو خِصَام
٥ لا تطلبوا منى مُحالًا ذاك أمرٌ[٣] لايُرام
٦ إن النبوةَ فضلُ ربى، لا تُورَّث من إمام
٧ الله أعلم حيث يجعل فَضْلَه دُونَ الأنام
٨ قالوا له: إنا سَنَعْرِضُ بالنُّحور[٤] إلى الحُسام
٩ فإذا أبيْتَ فليس نرضى غيرَ هذا بالتمام
١٠ فابحثْ لأمرك عن رجالٍ كى يقوموا[٥] بالمهام
١١ عند انصراف مُحمدٍ عنْهم، أصابوا فى الكلام
١٢ قالوا: فإن محمداً هذا سيلقى الاهتمام
١٣ إن يَلْقَ نصراً يملك الدنيا ويدعو للسلام
١٤ لكنهم لم يَتْبعُوه لأنهم قومٌ لِئام

---

(١) القوم – هم بنو عامر.

(٢) بعده بالالتزام – حتما.

(٣) ذاك أمر لا يرام – أمر النبوة، الله الذى يملكه.

(٤) إلى الحسام – إلى السيوف والرماح.

(٥) كى يقوموا بالمهام – بالمهمة التى تريدها.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٤٨ جـ ١

أما بنو عامر، فقد قالوا كلمتهم لرسول الله ﷺ، دونما مواربة أو مجاملة، قالوا له: إن الأمور كلها بين الناس فى هذه الدنيا، تقوم على المصلحة المتبادلة، فليس هناك أحد فى الدنيا كلها يعطى دون أن يأخذ.

وانطلاقا من هذه المعانى، فيجب أن يكون هذا الأمر — النبوة — فينا بعدك فأجابهم رسول الله.. وكلامه يشبه النور حينما يشع فى غياهب الدجى فيبدد فلول الظلام ويكشف كل شيىء أمام الأنظار فقال: إن هذا الأمر لا أملكه حتى أعطيه لكم، فلا تطلبوا منى شيئاً لا أستطيعه ولا أملكه، ذلكم لأن النبوة من عند الله عز وجل، وهو يمنحها من يشاء من عباده.

«الله أعلم حيث يجعل رسالته...إلخ» جزء من الآية ١٢٤ سورة الأنعام.

قالوا له: إننا سوف نقاتل دونك، ونحميك من كل خصومك الذين يتربصون بك سوءاً، أى أننا سنتعرض للقتل فى ميادين القتال لأجل نصرتك.. فإذا أعطيتنا هذا الذى نطلبه منك فبها ونعمت.

وإذا أبيت أن تعطيه لنا، وهو يسير قليل إذا ما قورن بما سوف نقدمه لك من بذل الدماء والأرواح والأموال، فلن نرضى بغيره أبداً،

ومن ثم فابحث لنفسك عن رجال آخرين، يؤدون تلك المهمة دون أن يأخذوا منك شيئاً، ولن تجد أحداً من الناس يعطى دون أن يأخذ!!!

تبين لرسول الله ﷺ، حقيقة بنى عامر، وأنهم لن يكونوا الحماة لهذا الدين الناصرين له، فمن ثم تركهم وذهب إلى حال سبيله.

بعد انصراف رسول الله من عند بنى عامر، قال رجل منهم: والله لو أنى أخذت هذا الفتى من قريش، لأكلت به العرب، فلقد رأيت فيه النجابة والذكاء والحكمة والأهلية للقيادة، وأحسبه أنه سوف يبلغ ما ينشده، فهو جدير بكل مجد.

وبرغم هذا القول الذى قالوه عن محمد ﷺ من الثناء والأهلية للقيادة والزعامة، فإنهم لم يؤمنوا به، ولم يتبعوه ذلك لانهم اعتبروا الأمر مبادلة فى المنافع المادية الدنيوية، ولم ينظروا فى الأمر على أنه عقيدة وإيمان ونبوة ودين.

مقطع رقم ١٤٩ جـ ١
سويد بن الصامت مع رسول الله

١ هذا سُويد[١] جاء يَبْغِى الحجَّ ثُمَّ الاعْتمار
٢ رجلٌ له فى قومه فضلٌ فكان من الخيار
٣ عَلِمَ النبىّ محمدٌ بقدومه ذاك النهار
٤ فأتاه فوراً ساعياً للقائهِ دُون انتظار
٥ قال النبى له مقالًا فيه كلُّ[٢] الاعتبار
٦ مَرْحى سويدُ جِئْتَ أهلًا للمنازل والديار
٧ هل تَسْمعنّى يا سُويدُ؟! وهل تُجيد الاختيار؟!
٨ إنى رسول الله جِئْتُ إلى الوَرَى[٣] بالانتصار
٩ بالانتصارِ على الفساد على الظلام على الدمار
١٠ إن كُنْتَ ترجو الخير حقاً فاسْلكنْ هذا المسار
١١ فيه الهدى والنورُ بل فيه النجاةُ من الخَسار
١٢ إنى أظنُّك بالذكاء بَلَغْتَ حَدَّ[٤] الاقتدار
١٣ هذا كتابُ الله فيه الحقُّ أشبه بالمنار[٥]
١٤ لا تخطئن الالتزام به لِتحظى بالفخار

---

(١) سويد – هو سويد بن الصامت الأنصارى.

(٢) فيه كل الاعتبار – فيه العبرة.

(٣) بالانتصار – بدين الإسلام فيه نصر الخير على الشر.

(٤) بلغت حد الاقتدار – القدرة على التمييز بين الخير والشر

(٥) أشبه بالمنار – النور الذى يرى من بعيد فى الليل.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٤٩ جـ ١

سويد بن الصامت، رجل من قبيلة الأوس، إحدى القبيلتين المعروفتين فى يثرب هما: الأوس والخزرج.

قدم سويد بن الصامت مكة حاجاً أو معتمراً، وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم بالكامل، لجلده وشِعْره وشرفه ونسبه.. وهو الذى قال:

ألا رب من تدعو صديقاً ولوترى مقالته بالغيب ساءك مايفرى
مقالته بالشهد ماكان شاهداً وبالغيب مأثور على ثغرة النحر
يسرك باديـــه وتحت أديمه نميمة غش تبترى عقب الظهر
تبين لك العينان ماهو كاتم من الغل والبغضاء بالنظر الشزر

لقد كان حكيما مهابا موقراً فى قومه.. فلما قدم إلى مكة، علم رسول الله ﷺ بقدومه.

وكان رسول الله مطلعاً على ذلك من أمره.. كلما اجتمع الناس بالموسم وأتاهم، يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام، ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الهدى والرحمة.. ولا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف إلا تصدى له، ودعاه إلى الله تعالى وعرض عليه ما عنده.

خف رسول الله ﷺ، للقاء سويد بن الصامت، جاءه فجلس إليه وتحدث معه، وعرض عليه ما عنده، وأنه رسول من عند الله، جاء لينصر الحق على الباطل، والخير على الشر، والعدل على الظلم و..الخ.

فإن كنت ترجو الخير والفلاح، والفوز والنجاح فى الدنيا والآخرة، فعليك بهذا الطريق فاسلكه، فإنى أرى فيك ذكاء وحكمة تستطيع بهما أن تميز بين النافع والضار، والحق والباطل.

وكتاب الله الذى أنزله الله علىَّ.. فيه الحق واضحاً فالتزم به، وسر على هديه، تنل ما ترنو إليه من الفخر فى الدنيا والآخره.

مقطع رقم ١٥٠ جـ ١

سويد يعرض على رسول الله كتاب لقمان

١ أما سُوَيْدٌ فقد صغا للمصطفى فى اهتمام

٢ سَمعَ المقالةَ من فم الهادى بِكلِّ الاحترام

٣ مِنْ بعده، بدأ الحديثَ إليه لِكنْ باحْتشام

٤ يا خَيرَ خلقِ الله إنى لستُ كالقوم[١] اللئام

٥ عندى كتابٌ مثل هذا فى الكلام وفى النظام

٦ أفلا تراه؟! فإنه من خير أقوال[٢] العظام

٧ قال الرسول: فهاتِهِ فالحقُّ عِندى[٣] لا يُضَام

٨ إن كان خيراً فهو خَيْرٌ، أو سواه فَلَنْ تُلام

٩ فتلا سويدُ للنبى من الكتاب وبانتظام

١٠ هو حكمةٌ من طِبِّ لقمان الحكيم على التمام

١١ قال النبى: فإنه حَسَنٌ وَمِن أحلى الكلام

١٢ أما كتابى فهو وحْىٌ جاء من ربِّ الأنام

١٣ هو خيرُ مكتوب أتى للناس فيه[٤] الاعتصام

١٤ من يَتبِعْه فسوف يَبْقى فى النعيم على الدَّوام

١٥ والمعرِضُون لهم عَذَابٌ فى الجحيم وَفى[٥] الرُّغام

---

(١) لست كالقوم اللئام – لست كالمشركين المعاندين.

(٢) من خير أقوال العظام – أى العظماء من السابقين.

(٣) فالحق عندى لا يضام – لا يغلب ولا يقهر.

(٤) فيه الاعتصام – فيه عصمة لمن تمسك به.

(٥) فى الرغام – كناية عن الخسران.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٥٠ جـ ١

لقد جلس سويد بن الصامت، يستمع لحديث رسول الله ﷺ، بكل اهتمام وكان يبدو عليه الخشوع والوقار.. بل كان يبدو كأنه كله آذان صاغية.

بعد أن انتهى رسول الله ﷺ من حديثه إلى سويد.. بدأ سويد يتحدث إلى رسول الله بأسلوب مهذب، فقال: يا رسول الله! إننى لست ككل من رأيتهم من الرجال.. فأنا لست من عوام القوم.

انظر يارسول الله، فإن معى كتابا يشبه الكتاب الذى معك فى قوله ونظمه، ولعلك حين تقرأه يارسول الله، تتبين وجه الصواب والحقيقة بشأن ما ذكرته لك عنه.. فقال رسول الله: وما الذى معك يا سويد؟!

فقال: معى مجلة لقمان: فقال له رسول الله: هات ما معك فاعرضه على، فالحق عندى لا يهزم ولا يضام.. فإن كان خيرا فبها ونعمت، وإلا فلا.

فأخرج سويد من حقيبة له، مجلة حكمة لقمان، وصار يتلو على رسول الله مما فيها.. ورسول الله ﷺ، يصغى باهتمام بالغ إلى تلاوته، وبعد أن انتهى سويد من التلاوة قال له رسول الله:

هذا حسن، وهو قول لقمان الحكيم.. وكما تعلم فإن لقمان الحكيم ما هو إلا إنسان بشر.. لكن الذى معى ليس من كلام البشر.. إنه وحى من عند الله عز وجل، خالق البشر.. إنه خير كتاب أنزله الله على الإطلاق.

فيه الهداية للناس جميعاً وهو عصمة لمن تمسك به، من يتبعه مؤمنا به، فسوف يخلد فى نعيم الجنة الذى لا يزول.

ومن يعرض عنه جاحداً منكرا له، فسوف يخلد فى عذاب جهنم أبد الآبدين وتلك لعمر الله هى الخسارة التى لا تعوض.. وهنالك يكون الندم، ولات ساعة مندم.

مقطع رقم ١٥١ جـ ١

سويد يعود ليثرب ويموت فى بعاث

١ ظلّ النبىُّ كذا سُويد فى حُوارٍ فى الصميم
٢ بعد الحوار تَصَافحا بالحبِّ والفَهْم السليم
٣ هذا سُوَيْدُ ينثنـــى عَوْدًا ليثرب إذ[1] يُقيم
٤ قد كان معروفاً بيثرب أنـه شَهْـمٌ كريم
٥ كانت لديه[2] مجلّةٌ مِن طِبِّ لُقْمـان الحكيم
٦ نالت من الهادى الثناءَ فَقَـوْلها قولٌ قويم
٧ قَدْ عاد فى وُجْدانه دينُ الصِّراطِ المستقيم
٨ بَلْ عاد بالفكر المنير يُخَالفُ الفِكْرَ العقيم
٩ جاءتْ بُعاثٌ[3] من بقايا الشرِّ والثأر القديم
١٠ أوْدتْ[4] به قد كان معروفاً بذى العَقْل الحليم
١١ لكن أتى الإسلامُ يثربَ إنه دينُ العليم
١٢ فقضى على الماضى البغيض وَوطّد الحبَّ الحميم
١٣ فتصالح المتخاصمون ووَدّعُوا الفهْمَ السّقيم

---

(١) إذ يقيم – إلى محل إقامته بيثرب.

(٢) مجلة – مجموعة من الأوراق المكتوبة.

(٣) بعاث – اسم لمعركة قديمة بين الأوس والخزرج.

(٤) أودت به – قتل سويد بن الصامت فيها.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٥١ جـ ١

لقد ظل رسول الله ﷺ يتحدث إلى سويد بن الصامت، وسويد يتحدث إليه.. واستمع رسول الله إلى ما تلاه سويد عليه من مجلة حكمة لقمان الحكيم، واستمع سويد أيضاً إلى ما تلاه عليه رسول الله من آيات القرآن الكريم.. ودعاه إلى الإسلام.. فلم يبعد منه، وقال: إن هذا لقول حسن.

بعد ذلك تصافح الاثنان: رسول الله وسويد بن الصامت.. وقد أبدى سويد تفهماً لما سمعه من رسول الله.

عاد سويد إلى بلده يثرب.. وهو كما أسلفنا معروف لأهل يثرب بأنه شهم كريم، لدرجة أنهم لقبوه «الكامل» لشرفه وعلو همته وحميد خصاله.

لقد كان مجيئه لمكة، يبغى زيارة بيت الله الحرام، فالتقى برسول الله فكان ما كان فى ذلك اللقاء مما ذكرناه آنفاً.

لما عاد سويد إلى يثرب، كان قد امتلأ فكره مما سمعه من رسول الله ﷺ، فعاد بفكر جديد يخالف أفكاره القديمة.. عاد بفكر مجلو مشرق مستنير، وذلك نظراً لمشافهته لرسول الله.

بعد عودة سويد إلى يثرب بقليل، نشبت معركة «بعاث» بين الأوس والخزرج.. فقتل سويد بن الصامت مع من قتلوا فى تلك المعركة التى ظلت قائمة بين القبيلتين فترة طويلة من الزمن.. وكم ذهب ضحيتها كثير من الرجال.

وأشرقت شمس الإسلام فى الجزيرة العربية، وامتد شعاعها حتى وصل ليثرب.. ولا غرو فالإسلام دين العدالة والإخاء، والمساواة والحب.. إنه الدين الذى ختم الله به كل الأديان السماوية.

فلما جاء رسول الله إلى المدينة المنورة.. أصلح بين القبيلتين، فصاروا إخوانا متحابين يتسابقون إلى نصرة الإسلام، ودفنوا ماضيهم الأسود القديم الذى كانوا يعيشون به فى ظل العصبية الممقوتة، والمفاهيم السقيمة العفنة.

مقطع رقم ١٥٢ جـ ١
رسول الله مع وفد يثرب بمكة

١ أَنَسُ بن رَافِع جاء مكةَ مع رجالٍ آخرين
٢ هُمْ مِن رجال الأوْس[١] قد جاءوا إلى البلد الأمين
٣ جاءوا لمكة يطلبون الحِلْف والعَقْد المتين
٤ سَمِع النبيُّ بأنهم جاءوا لمكة وافديــن
٥ فوراً توجَّه نحوهم فى[٢] دارهم كى يستبين
٦ جلس الرسول مع الرجال وقال قَوْلَ العارفين
٧ هل تسمعون لما أقول؟! ولن تكونوا مُرْغَمين
٨ هو خيرٌ مما جِئْتُمُوه وفيه .هَدْىُ الراغبين[٣]
٩ قالوا: فما هو هاتِهِ؟! فلسوف نَسْمَعُ صادقين
١٠ فأجابهم، إنى رسولٌ من إلــه العــالمين
١١ أُرْسِلْتُ أَهْدى الناس طُرّاً كى يصيروا مُؤْمنين
١٢ عَرِضَ الرسولُ عليهم الإسلامَ عَرْض المرسلين
١٣ وتلا عليهم مِنْ كتاب الله ذى النور المبين
١٤ من يَسْتجِبْ يَلْقَ الرِّضا فى الخُلْد بين الخالدين
١٥ والمعرضون لهم عذابٌ فى لظى[٤] فى الخاسرين

---

(١) هم من رجال الأوس – قبيلة الأوس بيثرب.

(٢) فى دارهم – مكان نزولهم حول مكة.

(٣) هدى الراغبين – الذين يبحثون عن الحق.

(٤) فى لظى – اسم من أسماء النار.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٥٢ جـ ١

وفد من قبيلة الخزرج، جاءوا من يثرب يريدون مكة لأمر هام.. لأجل الحلف والتحالف مع أهل مكة، كما هى عادة العرب آنذاك، ذلك لأن التحالف يزيد من قوة المتحالفين كليهما.

وكان على رأس الوفد، أنس بن رافع يقولون له: أبو الحير.. سمع بهم رسول الله ﷺ، فأتاهم فى منازلهم حيث كانوا نازلين خارج مكة، فجلس إليهم فقال لهم: «هل لكم فى خير مما جئتم له؟!» وأنتم بالخيار فى كونكم تقبلونه أو، لا.. ولتعلموا أن فيه الهدى والرشاد، لمن أراد الهدى وينشده.

قالوا: وماذاك؟! قال: «أنا رسول الله بعثنى إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً وأنزل على الكتاب».

إن الله واحد أحد، لا إله غيره، وهو خالق السموات والأرض، وما فيهما وما بينهما، من الجن والإنس والطير والحيوان والنبات و... الخ.

هذا الإله الذى خلق كل شيىء، وبيده كل شيىء، وإليه يرجع كل شيىء، لا ينبغى السجود لغيره مطلقاً.. ثم تلا عليهم من كتاب الله عز وجل.. إذ فيه الهداية لكل الناس.

أخبرهم رسول الله ﷺ بأن الجنة سوف تكون من نصيب الذين آمنوا بكل ما جاء من عند الله.. وسوف ينعمون بالرضوان فى جنات النعيم.

وأن النار سوف تكون من نصيب الذين أعرضوا عن اتباع الحق والنور الذى جاءهم من عند الله، فباءوا بالخسران بين الخاسرين.

مقطع رقم ١٥٣ جـ ١

لايزال رسول الله مع وفد يثرب

١ المصطفى أنهى الحديثَ مع الرجال الوافدين
٢ كانوا جميعاً للحديث وللمعــانى مُدْركين
٣ لكنهم قد(١) أحجموا لم يستجيبوا مُسْرعين
٤ كان الغلامُ إياسُ(٢) معهم، كان ذا عَقْل فَطِين
٥ سَمِعَ المقالةَ من رسول الله كالنور المبين
٦ فوراً توجَّه بالخطاب إلى الرجال(٣) السامعين
٧ يا قَوْمُ هذا الأمر خَيْرٌ، لا تكونوا جاهلين
٨ هو خيرٌ مما جِئْتُمُوه فلا تُولُّوا مُعْرضين
٩ صَرَخَ ابنُ رافع فى إياسٍ زاجراً زَجْرَ المهين
١٠ فرماه(٤) بالبطْحاء فى عُنْـقٍ كَرمْـى المعتدين
١١ ترك النبىُّ القومَ ظَلُّوا بالجهالة مُرْتَضِين
١٢ من بعد ذلك قد تَوَلَّوْا نحو يَثْربَ عائدين
١٣ كانت بُعَاثٌ قد أتت بالشر والحقْد الدفين
١٤ مات الغلام بها فكان له طِباعُ المؤمنين
١٥ فى الاحتضار غدا يُهلِّل بسم(٥) ربِّ العالمين

---

(١) قد أحجموا – امتنعوا.

(٢) إياس – أصغر أفراد الوفد سنا.

(٣) إلى الرجال السامعين – رجال الوفد الذى هو معهم.

(٤) فرماه بالبطحاء – تراب مختلط بحصى صغير.

(٥) بسم رب العالمين – صار يقول الله أكبر.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٥٣ جـ ١

لقد تحدث رسول الله ﷺ – كما أسلفنا – مع وفد الأوس برئاسة أنس بن رافع، عرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، وكان فى الوفد غلام حدث، اسمه إياس بن معاذ.. فلما سمع ما سمع من رسول الله، هتف فى قومه قائلًا:

هذا والله يا قوم خير مما جئتم لأجله.

هذا الغلام كان ذا عقل راجح، فأدرك بسرعة، بأن الذى سمعه من رسول الله ليس من كلام البشر.. لأجل ذلك هتف فى قومه بما هتف.

لكن أبا الحير، رئيس الوفد، لم يتركه يتمادى فى حديثه، فأخذ من تراب البطحاء فضرب به وجه الغلام إياس بن معاذ وقال له:

دعنا منك.. فلقد جئنا لغير هذا.. وحاول الغلام أن يعبر عن رأيه، وعما فهمه، لكن نداءه ذهب أدراج الرياح، وكان نصيبه الزجر والرمى بالبطحاء فى وجهه.

سكت الغلام إياس على كره منه.. و قد رأى رسول الله ما حدث من أبى الحير مع الغلام إياس.. رآه بعينى رأسه، فقام عنهم رسول الله، وتركهم على حالهم.

حيث لم يجد منهم استجابة.. بيد أن الغلام إياس كان على خلاف القوم. عاد الوفد، برئاسة أنس بن رافع.. عادوا قافلين إلى يثرب.. وذلك بعد أن التقوا برسول الله، واستمعوا له.. وبعد وصولهم إلى يثرب كانت وقعة بُعاث الشهيرة بين قبيلتى الأوس والخزرج.

مات الغلام إياس بعد هذه الوقعة الشهيرة.. وقد قال كل من حضروا وفاته من قومه: إنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل ويكبر باسم الله، ويحمده ويسبحه حتى مات.. فما كانوا يشكون أنه قد مات مسلماً.

لقد كان استشعر الإسلام فى ذاك المجلس حين سمع من رسول الله ﷺ ما سمع.

مقطع رقم ١٥٤ جـ ١
رسول الله مع وفد آخر من يثرب

١ لما أراد الله للدِّين الجديـــد بأن يسود
٢ صارت جميع العُرْب تأتى نحو مكة فى وفود
٣ فى مَوْسم الحج الذى ألفوه من عهد الجدود
٤ قد جاء وفدٌ يثربىٌّ ساعيـاً عَبْـر(١) الحدود
٥ هم من قبيلة خزرج فيهم حفاظٌ للعهود
٦ المصطفى قد جاءهم يسعى بأسلوب ودود
٧ بدأ الحديث بِسُؤْلهم من أى أرض(٢) فى الوجود؟!
٨ ولأى قوم تنتمـون؟! فلا تميلـوا للجحـود
٩ قالـوا: فإنـا وفـد يثرب مِن مَوالٍ(٣) لليهود
١٠ جئنا لحج البيت ثم إلى الدِّيار فقد نعود
١١ قال النبى: فمرحبـاً بالقـوم أشبـاهَ الأسود
١٢ أنتم حماةَ الجار أنتم خير من أوفى الوعود
١٣ خير أتاكم فَاقْبلوه، بلا قُيـودٍ أو عُقـود
١٤ الله أرسلنى بديـــن فَاقْبلـــوه بلا قُيـــود

---

(١) ساعيا عبر الحدود – قطع مسافات شاسعة.

(٢) من أى أرض – من أى بلد.

(٣) من موال لليهود – بيننا وبين اليهود عهد وجوار

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٥٤ جـ ١

لما أراد الله عز وجل لدين الإسلام أن يظهر ويسود على كل الأديان التى سبقته، كاليهودية والنصرانية وغيرهما، مما يعتنقه الناس من مذاهب كانت سائدة، وهى كثيرة مثل: عبادة الأصنام، وعبادة النار، وعبادة الملائكة، هيأ الأسباب لذلك.

ولا غرو فالله عز وجل هو الذى يسبب الأسباب ويقدر الأقدار... من الأسباب التى هيأها الله عز وجل لنصرة دينه، التقاء محمد ﷺ بوفد من قبيلة الخزرج كانوا قادمين لمكة للحج.

فموسم الحج قد آن أوانه، وصارت وفود العرب تأتى إلى مكة من كل حدب وصوب من أنحاء الجزيرة العربية.. ذلك لأن العرب ألفوا واعتادوا منذ القدم، الحج إلى بيت الله الحرام فى مكة.. ورثوا هذا العبادة عن آبائهم وأجدادهم، وذلك قبل ظهور الإسلام على يد محمد ﷺ.

من بين الوفود التى وفدت إلى مكة للحج، وفد من يثرب، من قبيلة الخزرج، أراد الله لهم بالخير من ناحية، وأراد لدينه أن ينتصر من ناحية أخرى.

فبينما رسول الله يطوف بوفود الحجاج، يعرض نفسه عليهم، فيدعوهم إلى دين الإسلام، ويقرأ عليهم القرآن.. وأثناء طوافه ﷺ بالوفود، التقى عند العقبة بأولئك الرجال من قبيلة الخزرج.

لما لقيهم رسول الله قال لهم: من أنتم؟! قالوا: نفر من الخزرج، قال: أمن موالى يهود؟! قالوا: نعم. قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟! قالوا: بلى.

جلسوا، فرحب بهم رسول الله، وأثنى عليهم لما يعلمه عنهم، بأنهم ذوو نجدة، وأنهم من خيرة قبائل العرب فى الجزيرة العربية، ثم قال لهم:

يا قوم! لقد جاءكم الخير كله من عند الله عز وجل، فاقبلوه لا يسبقنكم إليه أحد، فأنتم أحق الناس به.. إننى رسول الله، وأدعو إلى دين الله، فبادروا إلى هذا الدين بلا قيد أو شرط.

مقطع رقم ١٥٥ جـ ١
وفد الخزرج يتشاورون فيما سمعوه

١ عرض النبىُّ عليهم الإسلامَ فى ذاك المقام
٢ قد كان قولًا مُشرقاً يعلو على كلِّ الكلام
٣ سمع الرجالُ لقوله: كالنور فى جُنْح الظلام
٤ القوم كانوا مشركين توارثوا هذا النظام
٥ كان اليهود مجاورين لهم وكانوا فى وئام
٦ هم فى الحقيقة لم يكونوا أهل علم، بل عَوَام
٧ كانوا ذوىْ بأس شديد فى الوغى عند الحسام[1]
٨ قهروا اليهود وأرغموهم فاستكانوا للسلام
٩ أما اليهود فهم ذوو عِلْم وفخر فى الأنام
١٠ قد أخبروا أعرابَ يثرب فى مجال[2] الاختصام
١١ قالوا: نبىٌّ سوف يظهر فيه رمز الاحترام
١٢ ولسوف نتبعُه فنغْلبكم فذوقوا الانهزام
١٣ هذى المعانى بادرتْ أفكارَهُم[3] بالاهتمام
١٤ بسماعهم للمصطفى، عرفوه من غَيْرِ[4] انقسام
١٥ قالوا لبعض: أدركوا هذا النبىَّ للاعتصام[5]
١٦ هذا الذى ذكر اليهود ظهورَه[6] للانتقام

---

(١) عند الحسام – فى ميدان القتال.
(٢) فى مجال الاختصام – عند المفاخرة والجدل.
(٣) بادرت أفكارهم – حينما سمعوا كلام رسول الله تذكروا قول اليهود.
(٤) من غير انقسام – لم يختلفوا فى معرفته.
(٥) للاعتصام – نعتصم بالدين الجديد لنسبق اليهود اليه.
(٦) للانتقام – سيتبعه اليهود لينتقموا منا كما ذكروا من قبل.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٥٥ جـ ١

لقد عرض رسول الله ﷺ الإسلام، على وفد يثرب من قبيلة الخزرج، القادمين إلى مكة لأجل الحج.

عرض عليهم تعاليم الإسلام، وتلا عليهم القرآن الكريم، حينما سمعوا لآيات القرآن تتلى عليهم، شعروا بميل له وإعجاب به، وحب وإجلال له أيضاً.

لقد أصابت معانيه مواضعها من قلوبهم.. ولا غرو فالقوم كانوا مشركين يعبدون الأصنام، شأنهم شأن بقية العرب فى الجزيرة العربية.

بيد أنهم يختلفون عن بقية العرب، وذلك بمجاورتهم لليهود فى يثرب، لقد كانوا مستنيرين نوعاً ما مما يسمعونه من اليهود بحكم المجاورة والمشاركة.

فاليهود كما نعلم أهل كتاب وعلم، وجيرانهم العرب أهل حرب وسيف، ومن ثم فقد كانت القيادة العلمية فى يثرب لليهود، وكانت القيادة الحربية للعرب، وبمعنى آخر أكثر وضوحاً، كان اليهود هم العلماء، وكان العرب هم الأقوياء.

وكان اليهود يعلمون هذا جيداً ويعيشونه واقعاً وحقيقة، ولذا فقد كانوا لا ينفكون فى كثير من المناسبات يقولون للعرب: سوف يظهر نبى آخر الزمان فنتبعه ونغلبكم. ولا بأس أن ننقل النص هنا دون تغيير أو تحريف.

وكان مما صنع الله لهم به فى الإسلام، أن يهودا كانوا معهم فى بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم وكانوا هم أهل شرك وعبادة أوثان، وكانوا قد عزوهم – غلبوهم وقهروهم – ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شىء قالوا لهم:

إن نبياً مبعوث الآن، قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم قتل عاد وإرم، فلما كلم رسول الله أولئك النفر، ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض: ياقوم! تعلموا والله إنه النبى الذى توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه.. فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام.

فصار لهم شرف السبق إلى اتباع هذا الدين ففازوا به بجنات النعيم.

مقطع رقم ١٥٦ جـ ١
أصداء الإسلام فى يثرب

١ الوفد قد عادوا ليثرب معهم العلمُ الأكيد
٢ كانوا رجالًا ستة هُم مِن ذوى البأس الشديد
٣ هم من قبيلة خَزْرج هم فى الوغَى أهلُ الوعيد(١)
٤ عادوا إلى أقوامهم بالعلم والرأى السديد
٥ قد أخبروهم أن ديناً صَادِقاً وهو الوحيد
٦ ظهرتْ بشائره بمكة مَوْطنِ البيت العتيد(٢)
٧ ذَاكُم هو الدين الذى يدعو لتحرير العبيد(٣)
٨ كلٌّ المدينة أصبحتْ فَرْحَى من الخبر السعيد
٩ أخباره فى كل بيت صار لحناً كالنشيد
١٠ سارت به الرُّكْبان فى كل البوادى والبعيد
١١ فى المَوْسِم الثانى أتى للمصطفى وفدٌ جديد
١٢ جاءوا إليه من المدينة ذلك البلد الفريد(٤)
١٣ كى يلتقوا بالمصطفى وَلْيسْمعوا مِنْه المزيد

---

(١) أهل الوعيد – هم فى ميدان القتال رجال أقوياء.

(٢) البيت العتيد – هو الكعبة.

(٣) يدعو لتحرير العبيد – بحيث وحد مصادره وعدد روافده.

(٤) البلد الفريد – هو الذى احتضن الإسلام.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ١٥٦ جـ ١

لقد انتهى لقاء رسول الله ﷺ، بوفد الخزرج أولئك الذين أراد الله الخير بهم.. فآمنوا بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً، وعادوا إلى يثرب عود الحامدين الغانمين.. ولا غرو فقد غنموا غنيمة لم يغنمها قبلهم غانم قط.. وذلك حرب أو جلاد أو طعان.. تلك الغنيمة هى: هدايتهم للإسلام.

لقد اهتدوا للإسلام، فأصبحوا مسلمين، وعادوا إلى أقوامهم وفى أردانهم الأخبار السارة الحميدة.. أخبروهم عن المغنم الذى غنموه فى رحلتهم تلك، بأنهم التقوا برسول الله ورووْا لهم ما حدث.. وقد كان أفراد الوفد الذين التقوا برسول الله ﷺ ستة، من خيرة قومهم وهذه أسماؤهم:

١ – أسعد بن زرارة – ويكنى أبا أمامة.

٢ – عوف بن الحارث – وهو ابن عفراء.

٣ – رافع بن مالك بن العجلان.

٤ – قطبة بن عامر.

٥ – عقبة بن عامر.

٦ – جابر بن عبدالله بن رئاب.

هؤلاء الرجال ذكروا لأقوامهم، محاسن هذا الدين الذى اعتنقوه.. فمن فضائل هذا الدين أنه يدعو لتوحيد الإله.

ومن محاسنه أيضاً أن الناس كلهم فيه سواء، يتفاضلون بالتقوى، لا تزر وازرة وزر أخرى.. ولا عبودية إلا لله عز وجل.

هذه الأخبار تنوقلت فى بيوت الأنصار فى يثرب، فلم يبق بيت واحد دون أن يسلم منه أحد، بل خرجت هذه الأخبار مع الركبان إلى البادية فى الصحراء.. ولما حان موسم الحج الثانى، خرج من يثرب وفد آخر قوامه اثنا عشر رجلا إلى مكة ليتزودوا من رسول الله ﷺ.

مقطع رقم ١٥٧ جـ ١
بيعة العقبة الأولى

١ الوفد قد وصلوا لمكة للقاءِ مع الرسول
٢ الشوقُ يحدوهم لقد جاءوا سِراعاً للمثُول[١] .
٣ قد أشْرق الإيمانُ فى أعماقهم قَبْلَ النزول[٢]
٤ فى أرض مكةَ قد أناخوا إبْلَهُمْ عند الوصول
٥ يتشوّقون لِرؤْية الهادى فما فيهم جَهُول
٦ المصطفى قد جاءهم فى السرِّ عن عين الفُضول[٣]
٧ جلسوا إليه وكلُّهم سَمْعٌ وفَهْم للأصُول
٨ سمعوا كلاماً مُشْرقاً إذ تستنير به العقول
٩ قد آمنوا بالله رباً واحداً لا لن يزول
١٠ قد بايعوا الهادى فكانت بيعةً فيها السُّهول[٤]
١١ هى بيعة النسوان[٥] لا تدعو إلى دقِّ الطبول
١٢ صاروا هم النُّقباء فى الأنصار هم أهل الحلول
١٣ قد فُضّلوا فى قومهم بالسبق للدِّين العَدول
١٤ عادوا ليثربَ غانمين لقد أصابوا فى[٦] الميول

---

(١) جاءوا سراعا للمثول – ليمثلوا أمام رسول الله معلنين الإسلام.

(٢) قبل النزول – قبل أن ينزلوا بأرض مكة.

(٣) عن عين الفضول – الرقيب.

(٤) بيعة فيها السهول – لا مشقة فيها ولا جهاد.

(٥) هى بيعة النسوان – سميت بيعة النساء.

(٦) أصابوا فى الميول – أحسنوا الاختيار.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ١٥٧ جـ ١

لقد خرج وفد الأنصار من يثرب، وعددهم اثنا عشر رجلًا من قبيلتى الخزرج والأوس متجهين إلى مكة المكرمة، بغية اللقاء برسول الله ﷺ، ليتزودوا منه بالتعاليم السامية التى آمنوا بها قبل لقائهم به!!

لقد كانوا متجهين إلى مكة، وكلهم شوق لرؤية رسول الله، يودون لو كانت لهم أجنحة يطيرون بها، مسرعين متلهفين لذاك اللقاء الخالد.

ذلك كان مبعثه الإيمان الذى أشرق فى قلوبهم، لمجرد سماعهم برسول الله ﷺ، وعلمهم بما جاء به من عند ربه عز وجل.

إن الذى سمعوه من إخوانهم عن رسول الله ودعوته، صادف فطراً نقية، وضمائر حية، ونفوساً صافية، فبادروا بالإيمان دون أدنى تردد، ثم أرادوا أن يوثقوا إيمانهم، فبادروا مسرعين إلى مكة، حيث مصدر النور، ومشرق شمس الدعوة.

وهناك فى مكة أناخوا إبلهم، بعد رحلة طويلة شاقة.. وتالله إن رجالًا هذا حالهم وسلوكهم، لا شك أنهم عقلاء فضلاء.

علم رسول الله بقدومهم، فجاء اليهم مستخفياً عن عيون طغاة قريش.. فهم يتربصون بالدعوة وصاحبها وكل من يؤمن بها، كل السوء.

جلسوا مع رسول الله، واستمعوا إلى حديثه بقلوبهم وعقولهم.. وتلا عليهم من كتاب الله عز وجل، فأدركوا معانيه وفهموا مراميه فازدادوا إيماناً مع إيمانهم.

فى ذاك اللقاء الخالد، بايعوا رسول الله، وكانت هذه هى بيعة العقبة الأولى، وتسمى بيعة النساء، لأنها خلت من ذكر الجهاد فى سبيل الله.

عن عبادة بن الصامت قال: كنت ممن حضر العقبة الأولى، وكنا اثنى عشر رجلًا فبايعنا رسول الله، على بيعة النساء، وذلك قبل أن تفترض الحرب، على أن لا نشرك بالله شيئاً.

ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا، ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه فى معروف.. فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر.. وعاد الوفد غانمين إلى يثرب، أولئك هم النقباء فى الأنصار.

مقطع رقم ١٥٨ جـ ١

مصعب بن عمير فى يثرب

١ الوفد عاد إلى المدينة بعد أن تَمَّ اللقاء
٢ لقد التقَوْا بالمصطفى هو خير كلّ الأنبياء
٣ قد صدَّقوا لمقالـه، بل قد أجابـوا(١) للنـداء
٤ هم أسلموا طَوْعاً، وأيضاً بايعوه على الوفاء
٥ قد سُمِّيت بالبيعة الأُولى فكانت فى الخفاء
٦ عادوا وكلُّ الخير معهم، قد أصابوا(٢) الاهتداء
٧ عادوا ومعهم مُصْعَبٌ خيْرُ الدعاة الأتقياء
٨ قد أرسل الهادى به يدعو إلى دين السماء
٩ يدعـو رجـالًا فى المدينـة بالمودة والإخـاء
١٠ فى بيت أسْعد(٣) صار ضَيْفاً ما يشاء من البقاء
١١ قد صار مصعب داعياً فى يثرب لاقى العَنَاء
١٢ فى كل نادٍ صار يأتى لا يكفُّ عن الدعاء
١٣ هو يقرأ القرآن فى صوت رخيم فى صفاء
١٤ كي يَفْقهوا الإسلام كانوا بالجهالة والجفاء
١٥ منهم كثير أسلمـوا كانـوا بحقٍّ أذكيـاء

---

(١) قد أجابوا للنداء – نداء الحق إلى دين الإسلام.

(٢) قد أصابوا الاهتداء – اهتدوا إلى الحق والصواب.

(٣) فى بيت أسعد – هو أسعد بن زرارة الملقب بأبى أمامة.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ١٥٨ جـ ١

لقد عاد وفد الأنصار الذين ذهبوا لمكة، بعد أن التقوا برسول الله ﷺ.. عادوا مؤمنين بدعوته وبنبوته وبالكتاب الذى أنزل عليه من ربه عز وجل، وأن محمداً هو خاتم رسل الله، وصفوته من خلقه.

لقد صدقوه فى كل ما أخبرهم به، فاستجابوا طائعين راضين، ولا غرو فهم ما خرجوا من يثرب متجهين إلى مكة، إلا بغية لقائه ورؤيته والتزود منه بالتعاليم التى يسيرون عليها فى ظل الدين الجديد.

بعد أن أعلنوا إسلامهم بين يدى رسول الله ﷺ، بايعوه على أن يكونوا جنداً مخلصين لحماية هذا الدين.. ومن المعروف بأن البيعة التى أخذها رسول الله عليهم سميت «بيعة النساء» وهى بيعة العقبة الأولى، وكانت سراً بعيداً عن أعين طغاة المشركين، خشية بطشهم وعدوانهم.

لقد عاد الوفد فرحين غانمين، لقد أصابوا الخير كله، إنها الهداية إلى دين الإسلام ونوره واعتناقه.. وعاد معهم داعية الإسلام الأول.. إنه مصعب بن عمير، الشاب الفقيه، التقى المؤمن.. أرسله رسول الله مع وفد الأنصار، ليدعو أهل يثرب إلى الإسلام، ويقرأ عليهم القرآن ويفقههم فى الدين.

كان مصعب بن عمير القرشى.. وهو من بنى هاشم بن عبد مناف، من عصبة رسول الله ﷺ.. كان يتمتع بعقل راجح، وفطنة وألمعية، وإيمان صادق.

نزل الداعية ابن عمير ضيفاً على أسعد بن زرارة، المعروف بأبى أمامة.. ثم بدأ فوراً فى تنفيذ مهمته.. صار يدعو الناس إلى دين الله، يأتى إلى كل قوم فى ناديهم، فيعرض عليهم الإسلام، ويقرأ القرآن الكريم، ويشرح لهم جوانب من تعاليم الإسلام السمحة.

لقد أسلم كثير من الناس فى يثرب مستجيبين لدعوة مصعب بن عمير.

مقطع رقم ١٥٩ جـ ١
مصعب يواصل الدعوة للإسلام

١ خرج المضيف بِضَيْفِه[١] يدعو إلى دين الكمال
٢ جاءا لِبُسْتان تلاقَوْا فيه مع بعض الرجال
٣ فوراً دعاهم مُصعبٌ أن يسمعوه بلا[٢] قِتال
٤ فتلا عليهم من كلام الله يَسْمو بالجمال
٥ سَعْدٌ[٣] ومعه أُسَيْد كانا جَالِسيْن وفى جلال
٦ قد كان سعدٌ سيِّداً للأوس أبطالِ النضال
٧ وابن الحُضَيْر صديقه، بل صِنْوه[٤] فى كل حال
٨ هذا أسيد جاء يمشى نحو مصعب باختيال
٩ قد كان يحمل رُمْحه من خير أنواع النِّصال
١٠ فرآه أسعد مُقْبلاً فى وجهه قَوْلٌ[٥] يُقال
١١ همسَ المضيف لضيفه هيّا تهيّأ[٦] لِلْمقال
١٢ ها قد أتانا سيِّدٌ فى قومه يبْغى السؤال
١٣ فاصْدُقِ إلهك فيه تلق الاستجابة لا جِدال

---

(١) المضيف بضيفه - المضيف هو أسعد والضيف مصعب.

(٢) أن يسمعوه بلا قتال - بكل هدوء.

(٣) سعد ومعه أسيد - هما سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير.

(٤) صنوه - الصنو هو المثيل.

(٥) فى وجهه قول يقال - لمح على محياه علامات الغضب.

(٦) هيا تهيأ للمقال - استعد للحديث.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٥٩ جـ ١

كما أسلفنا فى المقطع السابق، فإن مصعب بن عمير رسول محمد ﷺ لأهل يثرب يدعوهم إلى الإسلام، نزل ضيفاً على أسعد بن زرارة – أبو أمامة-فى بيته، إلى أن يؤدى المهمة التى جاء من أجلها.

خرج أبو أمامة من بيته، ومعه ضيفه مصعب بن عمير، داعية الإسلام من قبل رسول الله إلى أهل يثرب.

لا شك أنها مهمة شاقة، تحتاج إلى صبر وقدرة على الاحتمال، وكياسة وفطنة وفصاحة وعلم، لا سيما الجدل والقدرة على الإقناع.. فهذه الصفات كلها ينبغى أن تتوافر فى الداعية.

ويبدو أن مصعباً كان يتمتع بهذه الصفات، وإلا لما اختاره رسول الله لتلك المهمة!!

دخل الاثنان: المضيف وضيفه، بستانا من بساتين يثرب، وهو لبنى ظفر من بنى عبد الأشهل من قبيلة الأوس.. وزعيم الأوس هو سعد بن معاذ.

جلس الاثنان عند بئر فى داخل البستان، فاجتمع عليهما بعض الرجال، فتحدث مصعب عن دين الإسلام، وسماحة الإسلام، وتلا على أسماع القوم بعضاً من آى الذكر المبين.

سعد بن معاذ – زعيم الأوس – وأسيد بن الحضير، صنوه فى المكانة والزعامة، يجلسان معاً على بعد.. فرأيا مصعباً ومضيفه يتحدثان مع الرجال.. وكانا لايزالان على شركهما، عرفا بأن أبا أمامة وضيفه يتحدثان مع الرجال عن شىء هام، وقد رجح لديهما أنه حديث عن الدين الجديد الذى ملأت أصداؤه يثرب.

فقال سعد لأسيد بن الحضير: لا أبا لك! انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا إلينا ليسفها ضعفاءنا، فازجرهما وانههما.. فإنه لولا أسعد بن زرارة منى حيث علمت لكفيتك ذلك، هو ابن خالتى ولا أجد عليه مقدماً.

فأخذ أسيد بن الحضير حربته، ثم أقبل إليهما، فلما رآه أبو أمامة مقبلًا قال لمصعب: هذا سيد قومه، وقد جاءك فاصدق الله فيه، قال مصعب: إن يجلس أكلمه.

مقطع رقم ١٦٠ جـ ١

أسيد بن الحُضَيْر يعلن الإسلام

١ لا شك أن ابن الحُضَيْر[١] أتى يريد الاختصام

٢ قد جاء يبغى طَرْدَ مُصعب بالقتال وبالحُسام

٣ وأبو أمامة[٢] جالسٌ مع مُصْعبٍ بالاحترام

٤ ابن الحُضَيْر يخاطب الاثنين رَمْياً بالملام

٥ يا قومُ كُفّا للمقالة، واتُركا هذا[٣] المقام

٦ وَلْترحلا عنا فإنّا ساءنا هذا الكلام

٧ فأجاب مُصْعب فى هدوء قَوْلُه فيه انتظام

٨ يا صَاحِ اجْلِس واستمعْ لسنا أتينا للخِصام

٩ إن تَرْضَ ما تسمعْ فَمَرْحى، قد أتيْنا للسلام

١٠ وإذا كَرِهْتَ نكُفُّ عنك فليس فى الأمر التزام

١١ لقد استجاب ابن الحضير لقول مصعب واستقام

١٢ وكذا أصاخَ السَّمْع[٤] للقرآن أبْدى الاحْتِشَام

١٣ ظهر الخشوعُ عليه فى قَوْل وَفِعْل واهتمام

١٤ بل أعلنَ الإسلامَ فوراً إنه بطلٌ هُمَام

---

(١) ابن الحضير – هو أسيد بن الحضير.

(٢) وأبو أمامة – هو أسعد بن زرارة.

(٣) واتركا هذا المقام – انصرفا ولا تقولا شيئاً لأحد.

(٤) أصاخ السمع – استمع باهتمام.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ١٦٠ جـ ١

لقد توجه أسيد بن الحضير نحو أسعد ومصعب.. وكان الرجال يستمعون لحديثهما بشغف واهتمام وإعجاب!!

كان أسيد بن الحضير ذاهباً لهما ليزجرهما ويطردهما، كما قال له سعد بن معاذ، فقد اعتبرهما سعد بن معاذ متطفلين، لكونهما دخلا البستان دون إذن منه كزعيم.. لا سيما وأنهما يدعوان إلى دين جديد، وهذا أمر له خطورته، فعز عليه أن يحدث هذا دون أن يكون هو أول من يعلم به.

أقبل ابن الحضير على أسعد ومصعب.. فناداهما بصوت فيه خشونة واحتداد، وتهديد ووعيد قائلًا لهما: كفا عما تقولانه، واتركا هذا المقام، وارحلا عنا، فإنا لا نريد شيئاً مما تدعوان إليه.. فلقد أسأتم إلينا بهذا الصنيع.. وإن لم تكفا وترحلا، فسوف ينالكما منا ما تكرهانه.

فأجابه مصعب بن عمير فى حلم وهدوء فقال له:

يا أخا العرب! أو تجلس فتسمع لما نقوله؟! فإن رضيته فبها ونعمت.. وإن كرهته كففناه عنك.

فقال أسيد بن الحضر: لقد أنصفت والله، ثم ركز حربته وجلس إليهما استعداداً للسماع.

فتحدث إليه مصعب بن عمير عن الإسلام، وتعاليمه المشرقة بإيجاز شديد، ثم تلا عليه آيات من القرآن الكريم.

لما سمع أسيد إلى آيات القرآن الكريم، ظهر عليه الخشوع، وخفض صوته، وهدأت ثورته.. وأبدى اهتماماً ظاهراً بكل ما سمع، بل وجد نفسه لشدة تأثره بما سمع، يهتف بكلمة الإسلام، دون أدنى تردد أو تسويف.. فهو شجاع لا يخشى فى الحق لومة لائم.. والإسلام هو الكلمة الحق، فأعلنها لا يخاف أحداً.

مقطع رقم ١٦١ جـ ١
إسلام سعد بن معاذ

١ أما أسيد بن الحضير فقد غدا في المهتدين
٢ قد أشرق الإيمانُ في أعماقِهِ في الطائعين
٣ فوراً توضَّأ ثُمّ صلّى واغتدى في السّاجدين
٤ بعد الصلاةِ أراد هَدْيا[١] لِلصَّديق مَدَى السنين
٥ ذاك الصديقُ هو الزعيم لقومه في النابهين[٢]
٦ سَعْدٌ زعيم الأوسِ خَيِّرٌ في الرجال السابقين
٧ ابن الحضير أتى لسعدٍ وهـو رَاءٍ[٣] لليـقين
٨ لكنـه أخفـى الحقيقةَ عنـه حتّـى يستبين
٩ سعدٌ تساءل ماوراءك؟! قال في صِدْق أمين
١٠ يا سعدُ فاذهب فانظر الرجلين نظرةَ مُسْتبين[٤]
١١ سعدٌ توجَّه نحو مُصْعب والمضيف الجالسين
١٢ ولقد تَرامى[٥] سَمْعَه شيءٌ من الذِّكْرِ المبين
١٣ فوراً بدا في وَجْهِـه إشراقُ نُورِ المتـقين
١٤ سعد يقول: فما السبيلُ لِأَلْتمى للمسلمين؟!
١٥ قالا[٦] له: فَلْتَغْتَسِلْ واسْجُـد لربِّ العـالمين
١٦ إذ ما فعلْتَ فسوف تصبح في عِداد المكْرمين

---

(١) أراد هديا للصديق – صديقه سعد بن معاذ.

(٢) في النابهين – له شرف وجاه وشهرة.

(٣) وهو راء لليقين – عرف حقيقة الإسلام فأسلم.

(٤) نظرة مستبين – انظر بنفسك.

(٥) ترامى سمعه – وصل إلى سمعه.

(٦) قالا له: – هما مصعب وأبو أمامة.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٦١ جـ ١

وهكذا، لقد أصبح أسيد بن الحضير مسلماً.. فقد نطق بشهادة الحق. وأعلن إسلامه راضياً طائعاً مختاراً.. لقد اختار لنفسه ما رآه صوابا وحقاً، إنه الإيمان حين يشرق فى القلوب، ويمس الوجدانات، ويخاطب العقول والأفهام بأسلوب قويم معتدل.

قال أسعد ومصعب فيما يذكر عنهما فى هذا الموقف: والله لقد عرفنا فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، فى إشراقه وتسهله.

فقال أسيد بن الحضير لهما: ما أحسن هذا وأجمله!! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين؟! قالا له: أن تغتسل وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى لله الخالق العظيم.

فوراً قام فاغتسل وطهر ثوبيه، ونطق شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين ثم قال لهما: إن ورائى رجلًا إن اتبعكما، لم يتخلف عنه أحد من قومه.. إنه سعد بن معاذ، وسأرسله إليكما الآن.

أخذ أسيد بن الحضير حربته، وعاد إلى سعد وقومه، وهم جلوس فى ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلًا قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم.. فلما وقف على النادى قال له سعد: ما فعلت؟! فقال أسيد: لقد كلمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأساً وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، وأرى أن تذهب إليهما فترى فيهما رأيك.

فقام سعد مغضباً وأخذ الحربة فى يده ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئاً، فتوجه نحوهما، فقال أسعد لمصعب:

جاءك والله سيد مَن وراءه من قومه.. فقال لهما: اذهبا عنا فلا تريد أن نسمع منكما شيئاً، فقال له مصعب: أو تجلس يا أخا العرب، فإن أعجبك ما نقول: قبلته، وإن كرهته كف عنك فقال سعد: أنصفت والله.. فعرض عليه مصعب الإسلام وتلا عليه القرآن فقال: ماذا أصنع لأكون مسلماً؟! قالا له: اغتسل وطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق، ثم صل ركعتين لله، فإذن أنت صرت مسلماً

مقطع رقم ١٦٢ جـ ١
ظهور الإسلام فى المدينة

١ قد عاد سعدٌ مع أُسَيْد للمنازِلِ غانمين[١]
٢ فى وجه كلٍّ منهما نورٌ تَراءى[٢] لِلْفطين
٣ ذَهَبا وكانا مُشْرِكَيْنِ وفى عِداد الكافرين
٤ وَجَدا هُنَالِك مُصْعباً يتلو من الذِّكْر المبين
٥ قد آمنَا بالحق صارا فى عِداد المسلمين
٦ القوم حين رَأَوْهُما جاءا إليهم عَائدين
٧ قالوا: فإن رجالنا عادوا لنا مُتغيِّرين
٨ تالله إن وجوهَهم صارت وجُوهاً آخرين
٩ نادى زعيمُ الأوسِ سعدٌ فى جميع الحاضرين
١٠ كلٌّ تنبَّه للنِّداء فقال: كُونوا سامعين
١١ ياقومُ إنى قد رَضيتُ بدينِ ربِّ العالمين
١٢ فَلْتُسْلِموا مِثْلى وإلّا فلنكُن مُتَخَاصمين
١٣ كل القبيلةِ أسلموا صاروا جميعاً مُؤمنين
١٤ الدّين أصبح فى المدينة يَشْغل المتحدِّثين
١٥ أصْداؤه فى كل بيت تُوقِظ[٣] المتردِّدين

---

(١) غانمين — غنيمتهم هى هدايتهما للإسلام.

(٢) نور تراءى للفطين — كثير الفطنة.

(٣) توقظ المترددين — الذين لا يزالون على شركهم.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٦٢ جـ ١

لقد سمع سعد بن معاذ من مصعب بن عمير، التوجيه المبدئى لدخول الإسلام، فقام من فوره فعمل ما أمر به تماماً، وأصبح سعد بن معاذ مسلماً، ثم عاد متجهاً نحو أسيد بن الحضير، ثم توجه الاثنان معاً نحو نادى القوم، ومع كل منهما حربته ياالله!! لقد كان الاثنان – سعد وأسيد – منذ قليل مشركين.. والآن قد أصبحا مسلمين يدينان بالإسلام، وتركا عبادة الأصنام.

لما أقبل سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير على القوم، ورأوهما عن قرب قال بعضهم لبعض: نحلف بالله، لقد رجع سعد وأسيد بغير وجهيهما اللذين ذهبا بهما من عندكم.

تالله لقد صدق القوم.. فالتغير كان باديا على محياهما.. ولم لا، فلقد عادا ونور الحق يسطع فى جبين كل منهما، وذلك بعد أن أشرق الإيمان فى قلبيهما، واستقر فى يقين كل منهما!!.

وقف سعد بن معاذ على قومه فناداهم قائلًا: يا بنى عبد الأشهل! كيف تعلمون أمرى فيكم؟! قالوا: سيدنا وأفضلنا وأيمننا نقيبة وأحسننا رأيا و... الخ.

فقال: إن كلام رجالكم ونسائكم علىّ حرام، حتى تؤمنوا بالله ورسوله، فوالله ما أمسى فى دار بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة.. ياالله!! هذه والله هى الزعامة الحقة.

لقد أراد سعد بن معاذ أن يطرح الثقة بنفسه، ليرى قدره عند قومه، ومدى انقيادهم لرأيه، واحترامهم له.. فوجدهم على خير ما يريد.. لقد استجابوا كلهم، بحيث ما أمسى المساء إلا وكل دور الأنصار قد دخلها الإسلام.

وصار الحديث عن الإسلام على كل الألسنة فى يثرب، يتناقشون فيما عرفوه من تعاليمه، وعما سمعوه من آيات القرآن الكريم، وعن وقعها فى النفوس بحيث أثارت حماسهم، وأيقظت هممهم.

● الإسلام فى المدينة

● بيعة العقبة الكبرى

● الهجرة إلى المدينة

مقطع رقم ١٦٣ جـ ١
لقاء وفد الأنصار برسول الله

١ قد عاد مصعب بَعْدَ أن أدَّى الأمانةَ واسْتبان[١]
٢ قد كان مِن خَيْرِ الرجال سفارة عَبْر الزمان
٣ بل كان ميمونَ النقيبة فيه عقْل مع لسان[٢]
٤ كل المدينة أصبحت تشدو بلحن الامْتنان[٣]
٥ قد أسلموا لله طَوْعاً دون حَرْب أو طِعان
٦ قد أشرقَ الإسلامُ فيهم لم يخافوا الافْتتان
٧ والشوق فاض بهم لرؤية أحمد رُؤْيا عَيان
٨ شَدُّوا الرِّحال لأرض مكةَ آنَ للحجِّ الأوان
٩ لقد الْتَقَوْا بالمصْطفى فيها وقَدْ نالوا الأمان
١٠ سَمِعُوه يتلو من كتاب الله فى أسْمى بيان
١١ وسكينةٌ من ربِّنا قد ظلّلت ذاك المكان
١٢ إذ فيه خَيْر الخلق مع خَيْر الرِّجال ذوى الجنان
١٣ قد أسْلمُوا بعد السَّماع بلا تردُّد أو توان[٤]

---

(١) أدى الأمانة واستبان – تأكد من نجاح مهمته.

(٢) فيه عقل مع لسان – كان ذا عقل راجح ولسان فصيح معبر.

(٣) تشدو بلحن الامتنان – تتغنى بالشكر لله.

(٤) بلا تردد أو توان – أى أسرعوا بإسلامهم لم يتلكأوا.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ١٦٣ جـ ١

لقد عاد مصعب بن عمير إلى مكة، وذلك بعد أن أدى المهمة التي كلفه بها رسول الله ﷺ، ألا وهي دعوة أهل يثرب إلى دين الإسلام، لقد كان مصعب سفيراً ناجحاً ما في ذلك من شك.. كان فطناً راجح العقل، فصيحَ العبارة.

فمن ثم استطاع بكياسته، وقوة حجته أن يقنع مشركي يثرب، لا سيما زعماؤها ورءوسها الذين بادروا بالدخول في الإسلام، بل صاروا دعاة له، مثل سعد بن عبادة زعيم قبيلة الأوس، فبعد أن أعلن إسلامه، نادى في قومه، مقسما عليهم أن يسلموا أو يخاصمهم رجالًا ونساء لا يكلم أحداً منهم، فأسلموا جميعاً.

ذاع صيت الإسلام في ربوع يثرب، صاروا يتحدثون عن الإسلام في دورهم وأنديتهم، يذكرون محاسنه وفضائله.. ذلك لأنهم أسلموا طائعين دونما إكراه أو قتال.

لقد أدركوا وفهموا الفارق البعيد، بين ما كانوا عليه من الشرك وعبادة الأصنام، وبين تعاليم الإسلام السمحة.. وأولها وأهمها، توحيد الإله الواحد الأحد المعبود، خالق السموات والأرض وما فيهما وما بينهما من المخلوقات.

لقد أشرق الإيمان في قلوبهم، فشعروا بحنين وشوق لرؤية صاحب الدعوة محمد ﷺ في مكة المكرمة، فهم قد آمنوا به واعتنقوا الدين الذي جاء به من عند ربه دون أن يروه.. وحان موعد موسم الحج، فشدوا الرحال قاصدين مكة للقاء رسول الله والتزود منه.

والتقوا برسول الله، وكان أحب إليهم من كل شيء في الدنيا.. سمعوا بيانه المشرق، وتلا عليهم القرآن الكريم.. وملائكة الرحمة قد حفت بذاك المكان الذي فيه رسول الله وصحبه الأخيار.. فأعلنوا إسلامهم بعد سماعهم لرسول الله ﷺ.

مقطع رقم ١٦٤ جـ ١
الاتجاه للقبلة قبل تحويلها

١ كَعْب بن مالك من رجال البيعة الكُبْرى الأباه(١)
٢ وكذا البراءُ فكان شيْخاً من ذَوى الرأى العُتاه(٢)
٣ قد قال كعبٌ عنه قوْلًا ظلّ تنقُلُه الرواه
٤ كُنَّا لمكةَ ذَاهِبين إلى الرسول .إلى هُدَاه
٥ وإذا البراءُ مُقَرِّراً تنفيــذَ رأى قد رآه
٦ ذاك القرار هو التوجُّه نحو مكةَ فى الصلاة
٧ منذ الخروج من المدينة شاء هذا الاتجاه
٨ لَمْ نستطعْ إِثْناءه(٣) عن عَزْمِهِ أو عن هواه
٩ لما التقيْنَا بالنبىّ هُنـاك فى بيْت الإلـه
١٠ قَصَّ البراءُ عليه قِصَّة ما رآه وما نواه
١١ فأجابه الهادى وقال: لقد هُدِيتَ إلى النَّجاه(٤)
١٢ تالله إنك قد هُدِيتَ وسِرْتَ فى دَرْب الهداه
١٣ لكِنْ لِدَرْب القوم فالزم ليس فى درب سواه
١٤ رَضِىَ البراءُ بأمر خير الخلق لما أنْ نهاه

---

(١) الأباه – جمع أبِى وهم الأحرار الأقوياء.

(٢) العتاه – الطاعنون فى الكبر والشيخوخة.

(٣) إثناءه – إقناعه بالعدول عن رأيه ذاك.

(٤) إلى النجاه – إلى وسيلة النجاة.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ١٦٤ جـ ١

كعب بن مالك من شيوخ الأنصار وعقلائهم وذوى الرأى فيهم، هو ممن حضروا بيعة العقبة الكبرى مع رسول الله ﷺ فى مكة.

يروى كعب هذا عن البراء بن معرور أحد شيوخ الأنصار العقلاء، رواية تثير الانتباه والإعجاب!!

قال: كنا ذاهبين من المدينة إلى مكة، للقاء رسول الله ﷺ، وفى أثناء سفرنا كنا نتوجه فى صلاتنا نحو بيت المقدس.. وإذا البراء بن معرور يقول لنا:

قد رأيت ألا أجعل الكعبة فى ظهرى فى صلاتى، فحاولنا إقناعه، فأبى علينا وأصر على رأيه وصار يصلى متجها إلى الكعبة، ونحن نصلى متجهين إلى بيت المقدس، إلى أن وصلنا إلى مكة.

فلما قدمنا مكة قال البراء لكعب: يا ابن أخى! انطلق بنا إلى رسول الله حتى أسأله عما صنعتُ فى سفرى هذا، فإنه قد وقع فى نفسى منه شىء لما رأيت من خلافكم إياى فيه.

قال كعب: فدخلنا المسجد، فإذا العباس جالس ورسول الله ﷺ جالس معه، فسلمنا ثم جلسنا إليه فقال رسول الله ﷺ للعباس هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟! قال: نعم، هذا هو البراء بن معرور سيد قومه، وهذا كعب بن مالك، قال كعب: فوالله ما أنسى قول رسول الله: الشاعر؟! قال العباس: نعم.

فقال البراء بن معرور: يا رسول الله! إنى خرجت فى سفرى هذا، وقد هدانى الله للإسلام.. فرأيت ألا أجعل هذه البنية منى بظهر فى صلاتى، فصليت إليها.. وقد خالفنى أصحابى فى ذلك حتى وقع فى نفسى من ذلك شىء، فماذا ترى يا رسول الله؟!

فقال له ﷺ: «قد كنت على قبلة لو صبرت عليها» فرجع البراء إلى قبلة رسول الله، فصلى معنا إلى الشام.

مقطع رقم ١٦٥ جـ ١
العباس مع رسول الله ليلة العقبة

١ كَعْبُ بن مالك قال يَرْوى البيعة الأخرى الكبيره
٢ لقد انتهيْنا من أداء مناسك الحجِّ الشَّهيره
٣ فى جُنْح لَيْلٍ مُظْلم فى ليلةٍ كانت خَطيره
٤ فيها التقينا بالنبى وكانت اللقّيا سريره[١]
٥ سبعين كنا مع ثلاثٍ خير أبناء الجزيره
٦ غير اثنتين من النساء فكانتا ضِمْن المسيره
٧ إحداهما كانت نُسَيْبَةَ ثم أسماءُ الأخيره
٨ جاء الرسول وعمه العباس ذُو العيْن[٢] البصَيره
٩ فتلاقيا مع وفْد يَثْرِبَ كانت اللقيا قَصيره
١٠ وتكلّم العباس فى الأنصار أقوالا[٣] مُثيره
١١ يا قومُ إن محمداً فى قومه خَيْر العَشِيره
١٢ لكنه شاءَ اللّحاقَ بكم فهل يجد النصيره؟!
١٣ إذ لا تَرْوْن بأنكُم مُوفُونَهُ عَهْداً[٤] وَجِيره
١٤ فَلْتتركُوه فقومُه يَحْمُونَه عِنْد العَسِيره[٥]

---

(١) اللقيا سريرة – خفية عن عيون الرقباء.

(٢) ذو العين البصيرة – كناية عن الفراسة والفطنة.

(٣) أقوالًا مثيرة – أثار غيرتهم وحماسهم.

(٤) موفونه عهدا وجيره – تؤدون له حق الجوار.

(٥) عند العسيره – المواقف العسيرة.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ١٦٥ جـ ١

كعب بن مالك بعد أن روى لنا قصة البراء بن معرور كما حدثت .. ها هو ذا يروى لنا أحداث ليلة اللقاء برسول الله ﷺ، فى بيعة العقبة الكبرى، وكان المبايعون فى تلك الليلة سبعين رجلًا وامرأتين، أو ثلاثة وسبعين رجلًا وامرأتين، والمرأتان هما: نسيبة بنت كعب، أم عمارة .. وأسماء بنت عمرو بن عدى، إحدى نساء بنى سلمة وهى أم منيع.

قال كعب: بعد أن أدينا مناسك الحج، واعدنا رسول الله على اللقاء فى العقبة، من أواسط أيام التشريق .. فلما كانت الليلة التى واعدنا رسول الله فيها .. نمنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل، خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله، نتسلل تسلل القطا مستخفين، حتى اجتمعنا فى الشعب عند العقبة.

قال: وكنا ثلاثة وسبعين رجلًا وامرأتين .. فلما اجتمعنا فى الشعب ننتظر رسول الله، حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له.

فلما جلس، كان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال:

يا معشر الخزرج! – قال كعب: وكانت العرب إنما يسمون هذا الحى من الأنصار، الخزرج – خزرجها وأوسها – الحديث الآن للعباس.

إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو فى عزة من قومه، ومنعة فى بلده .. وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم، واللحوق بكم.

فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، وعاهدتموه عليه، ومانعوه ممن خالفه .. فأنتم وما تحملتم من ذلك .. وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه لن يناله سوء مادام بيننا.

مقطع رقم ١٦٦ جـ ١

بيعة العقبة الكبرى

١ لقد انتهى العباسُ من تحذيره عِنْد اللقاء
٢ فلقد أراد من الرجال بأن يكونوا أوفياء
٣ يَخْشى على خير البريّة أنْ يُصابَ وأن يُساء
٤ قالوا: سَمِعْنا ما تقول وسوف نُعْطِيه[1] الفداء
٥ هيّا تكلّم يا رسول الله واطْلُبْ ما تشاء
٦ خُذْ ما تشاء من العهود فإننا أهْلُ الوفاء
٧ بدأ النبى يُرتِّل القرآنَ فى صوت الصَّفاء
٨ ودعا الرجال مُرغِّباً فى الدين والدنيا سواء
٩ بعد التلاوة قال فى صدق: أريد الاحتماء
١٠ أرجو الحماية كَيْفما تَحْموا الذّرارى[2] من عَداء
١١ قالوا: فإنا أهلُ حَرْب حين يشتدُّ البلاء
١٢ ولسوف نُوفيك العهود، وسوف نُعْطِيك الولاء
١٣ لما اطمأنّ إلى المقالة قال: أين[3] الكُفَلاء؟!
١٤ قد أخرجُوا عشراً واثْنين اصطفوهم نُقَباء
١٥ وهناك تمت بيعةٌ كُبْرى تُبارِكها السَّماء
١٦ قد صار فيهم بيعتان فَنِعْم قَوْماً أتْقِياء
١٧ هى هذه والبيعة الأُولى فكانت للنساء

---

(١) وسوف نعطيه الفداء – نحميه ونفديه.

(٢) كيفما تحموا الذرارى من عداء – كما تحموا ذراريكم وأموالكم ونساءكم.

(٣) أين الكفلاء – الكفيل هو المسئول عمن كفله.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ١٦٦ جـ ١

لقد تحدث العباس بن عبد المطلب، فى وفد الأنصار، ليلة العقبة الكبرى، وحذرهم عاقبة ما هم مقدمون عليه، فالأمر جد خطير.. ومحمد له أعداء كثيرون، وسوف تجدون أنفسكم فى مواجهة دامية مع كثير من قبائل العرب فى الجزيرة العربية.

فإن رأيتم أنكم قادرون على حمايته، فبها ونعمت.. ولا غرو فهو قد اختاركم على من سواكم من الناس، وإذا لم تروا أنكم قادرون على حمايته من كل عدوان عليه، فدعوه منذ الآن، فهو فى عزة ومنعة.

فلما انتهى العباس من كلامه قال الأنصار له:

قد سمعنا ما قلت، فما أحسنه وأجمله!! ولسوف نكون كلنا فداء لمحمد ﷺ.. ولن تصل إليه يد السوء، مادام فينا عرق ينبض بالحياة.

ثم قالوا، موجهين حديثهم لرسول الله:

هيا تكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت.. فتكلم رسول الله ﷺ.. فتلا القرآن الكريم، ودعا إلى الله ورغب فى الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم وأموالكم، فأخذ البراء بن معرور بيده وقال: نعم، فوالذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه نساءنا وأموالنا وأولادنا.. فبايعوا رسول الله، فهم بلا شك أبناء الحروب ورثوها كابراً عن كابر، وذلك على حد تعبيرهم هم.

فلما تمت البيعة الكبرى، وقال لهم رسول الله: «أخرجوا إلىّ منكم اثنى عشر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم» فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيباً، تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس.. فقال لهم رسول الله: أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومى، قالوا: نعم.

وهكذا فقد صار لرسول الله فى الأنصار بيعتان، كانت الأولى تسمى «بيعة النساء» وهذه الكبرى الثانية.

مقطع رقم ١٦٧ جـ ١

الأنصار يبايعون رسول الله على حمايته

١ قد بايع الأنصارُ للهادى فَهُمْ أهل الأصاله

٢ لكنَّ قائلهم تحدَّث بعدها نِعْم المقاله

٣ كان اسْمهُ العبَّاسُ ذا رَأْى وفَضْل فى جَزَاله

٤ يا قَوْمُ هل تدرُون كيف تُبايِعُون على الكفاله[1] ؟!

٥ تالله ذاك عَدَاء كل الناس حَتْماً لا محاله

٦ فإذا رأيتم أنكُم مُوفُونَه فِعْلاً[2] وَقَالَه!

٧ فَعليْكُموهْ[3] فإنه الفخر الذى نبغى نواله

٨ وإذا رأيتم أنكم قد لا تُطِيقون احتماله!

٩ فَلْتتركُوه فذاك عارٌ وهُوَ مِن فِعْل النّذاله

١٠ قالوا: فإنا سوف نُوفى بالعهود وفى بساله[4]

١١ إنا ورثنا الفخر لا نرضى سواه بكلّ حاله

١٢ سألوا رسول الله فى أدب وما ساءوا سُؤاله

١٣ ماذا يكون جزاؤنا إن نحن أدّينا الرِّسالة؟!

١٤ فأجابهم فى جَنّة الفردوس تُعْطَوْن[5] الجلاله

١٥ قالوا: رَضِينا بالبديل فَنِعْمَ هاتيك البداله[6]

---

(١) الكفالة – الكفيل هو الضامن، وهنا معناها الحماية.

(٢) موفونه فعلا وقاله – عملًا وقولًا.

(٣) فعليكموه – فتمسكوا بعهدكم له.

(٤) وفى بسالة – فى شجاعة.

(٥) تعطون الجلالة – الإجلال والتكريم.

(٦) فنعم هاتيك البدالة – أى البديل.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٦٧ جـ ١

القوم – الأنصار – قد بايعوا رسول الله ﷺ، وأعطوه مواثيقهم على حمايته، كما يحمون نساءهم وأولادهم وأموالهم، وأخرجوا منهم له اثنى عشر نقيباً.

بعد انتهاء البيعة واختيار النقباء، تحدث العباس بن عبادة بن نضلة الأنصارى فى قومه، محذراً إياهم من عاقبة ما هم مقدمون عليه، لكونهم بايعوا رسول الله على حمايته من كل من أراده بسوء، ثم قال ياقوم! هذا أمر خطير له خطورته، فأنتم منذ الآن اعتبروا أنفسكم فى مواجهة مع كل قبائل العرب، فإن رأيتم أنفسكم قادرين على حماية رسول الله ﷺ، وموفين له بما عاهدتموه عليه، فافعلوا، فإنه والله عز الدنيا والآخرة.

وإذا لم تستطيعوا أن توفوا بعهدكم هذا، فاتركوه فى بلده بين أهله وعشيرته، فهو فى عز ومنعة كما قال العباس، فى قومه، ثم قال:

إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا أنهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلا، أسلمتموه، فمن الآن، فهو والله إن فعلتم، خزى الدنيا والآخرة.

قال الأنصار إجابة على تحذير العباس بن عبادة لهم من خطورة الأمر: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال، وقتل الأشراف.

ثم توجهوا إلى رسول الله قائلين:

فمالنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا؟! فقال «الجنة»

قالوا: رضينا بهذا، فذلك خير جزاء من الله.. فأنعم به من بديل عما قدمناه!!

تالله لقد ربح بيعهم، إنها صفقة رابحة مع الله عز وجل.. السلعة فيها هى الروح، والثمن هو الجنة، فى حق هذه البيعة نزل قوله تعالى: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون.. الخ» .. التوبة.

مقطع رقم ١٦٨ جـ ١

صَرْخة الشيطان بعد البيعة الكبرى

١ البيعة الكبرى لقدْ تمتْ بأسْلُوب أمين
٢ السِّرُّ كان يحوطها يَخْشَوْنَ بَطْش[1] الغادرين
٣ لكنه الشيطان[2] كان يُراقِب المتبايعين
٤ قد هلّل الملعون فى ذُعْر ونادى المشركين
٥ ناداهمو قال: اسْمعوا والكلّ كانوا غافلين
٦ هذا المذمّمُ[3] والصُّباء تجمَّعوا مُتعاهِدين
٧ قد أجمعوا لِقتالكم هيا إليهم مُسْرعين
٨ المصطفى زجر اللعينَ بِصيغةِ المتوعِّدين
٩ اذهب عدوَّ الله ثم عدوَّ كلّ المؤمنين
١٠ نادى الرسول لِصحْبه من أهل يثرب واليقين[4]
١١ قال: ارجعوا لِرِحَالِكُم ولسوف أفْرغُ لِلّعين
١٢ فأجابه العبّاس فى قوْل الرِّجال المخلصين
١٣ تالله إنّا يارسولَ الله لسنا خائفين
١٤ وإذا أردتَ فَمُرْ تجِدْنا للإشارة طائعين
١٥ فنميل بالأسياف فى القوْم الطُّغاة[5] المجرمين
١٦ فأجاب، كلّا، ما أُمِرْنا فى قِتال الكافرين

---

(١) يخشون بطش الغادرين – بطش مشركى مكة.

(٢) لكنه الشيطان – هو شيطان حقيقى من جنود إبليس.

(٣) المذم والصباء – أى محمد وأصحابه.

(٤) أهل يثرب واليقين – ذوو الإيمان الصادق.

(٥) الطغاة المجرمين – عن مشركى مكة.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٦٨ جـ ١

لقد تمت بيعة العقبة الكبرى بكل حرص، ذلك لأن المبايعين كانوا حريصين على نجاحها، فهم ما قدموا من المدينة إلا لهذا الغرض.. مبايعة رسول الله.

فقد أحاطوا لقاءهم برسول الله ﷺ، بسرية تامة حتى عن بعض مرافقيهم، ممن يشكون فى إيمانهم واستجابتهم لدعوة الإسلام.. قد كان زعيم الوفد عبد الله ابن سلول، واحداً ممن أخفى عنهم هذا الأمر تماماً، وقد صدقت فراسة أصحابه فيه، فقد عُرف فيما بعد بأنه رأس النفاق، وبرغم الحرص الذى أحيطت به تلك البيعة، فإن خبرها أذيع فى قريش فتسامعوا بها، فمن ذا الذى أبلغهم خبرها؟!.

لقد كان عدو الله، رأس الفساد والفسق – إبليس – شاهدا وسامعا لكل ما تم بين رسول الله وبين أصحابه، فى الزمان والمكان.. فلما أن تمت البيعة، صرخ عدو الله مناديا أهل مكة بصوت سمعه رسول الله والذين كانوا معه، وسمعه أهل مكة كلهم، حينئذ قال رسول الله لأصحابه: هذا هو الشيطان الذى يسكن حول الكعبة، ثم ناداه وتوعده.. وهذا نص الرواية.

«عن عبدالله بن كعب بن مالك قال: فلما بايعنا رسول الله ﷺ، صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط فقال:

يا أهل الجباجب – المنازل – هل لكم فى مذمم والصباء معه قد أجمعوا على حربكم؟! قال:

فقال رسول الله: «هذا أزب العقبة هذا ابن أذيب» أتسمع أى عدو الله؟! أما والله لأتضرغن لك، ثم قال رسول الله: ارفضوا إلى رحالكم.

فقال العباس بن عبادة: يا رسول الله! والذى بعثك بالحق، إن شئت لنميلن على أهل مِنى غدا بأسيافنا.

فقال رسول الله له: لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم.

مقطع رقم ١٦٩ جـ ١
قريش يسألون الأنصار

١ قد كان بعض القوم من أنصار يَثْرِب غائبين
٢ لَمْ يَعْلموا عن بيعة الهادى مع المتبايعين
٣ جاءت قريشٌ فى الصباح ليسألوا المتعاهدين
٤ عَلِموا بما قَدْ تَمَّ بين محمد والآخرين
٥ علموا بهذا مِن عدوٌ الله رَأس[1] الفاسقين
٦ قالوا لهم: يا إخوةَ الأنْصار جِئْتُم مُفْسدين
٧ جئتم لأَخْذِ محمد كَىْ تنصروه مُقَاتلين
٨ إن تنصروه فقد أرَدْتُم حَرْبنا مُتعمِّدين
٩ تالله إنا لا نريد قتالكم هذا يقين
١٠ فأجاب بعض القوم ممن لم يكونوا حاضرين
١١ تالله إنا ما عَلِمْنا بيعةً أو[2] بائعين
١٢ تالله ما ندرى بهذا إن تكونوا صادقين
١٣ قد كان سيِّدهم[3] بعيداً فى عِداد الغائبين
١٤ لم يُخْبِروه ببيْعةٍ أو عن لقاءِ بالأمين
١٥ هُمْ يعلمون بكُرْهِهِ لِلدِّين والمتديِّنين

---

(١) رأس الفاسقين – هو إبليس لعنه الله.

(٢) بيعة أو بائعين – لا ندرى شيئا عما تقولونه.

(٣) سيدهم – هو عبدالله بن أبى بن أبى سلول.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ١٦٩ جـ ١

كما أشرنا فى المقطع السابق، فإن البيعة الكبرى قد تمت بين رسول الله ﷺ، وبين وفد يثرب من الأوس والخزرج، وقد كانوا قادمين من يثرب لهذا الغرض، إلا قليلا منهم.

بيد أن بعض أفراد الوفد لم يشهدوا تلك البيعة، بل لم يعلموا بها، ذلك لأن المبايعين حرصوا على إخفاء خبرها عنهم، لعدم اطمئنانهم إليهم.

فى الصباح هرعت قريش إلى منازل الأنصار - مكان نزولهم حول مكة - يسألونهم عن حقيقة ما سمعوه عن مبايعتهم لمحمد.. بل وجهوا لهم اللوم العنيف لكونهم عاهدوا محمداً أن يكونوا معه عليهم.. إذن فهذه والله هى أول شرارة تشتعل للحرب بيننا وبينكم.

ودار بين الفريقين حوار حول هذا المعنى، كانت الإجابة فيه سلبية من أهل يثرب، بحيث لم يظفر المشركون بجواب شاف.

ولنستمع إلى عبد الله بن كعب أحد شهود تلك البيعة يقول مكملًا روايته فى المقطع السابق:

«فرجعنا إلى مضاجعنا، فنمنا فيها حتى أصبحنا، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش، حتى جاءونا فى منازلنا فقالوا: يا معشر الخزرج!

إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حى من العرب أبغض إلينا من أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم.

قال: فانبعث من هناك من مشركى قومنا، يحلفون لهم ما كان من هذا شىء وما علمناه.. ولقد صدقوا فهم لم يعلموا.. وصار بعضنا ينظر إلى بعض».

بل قال عبد الله بن أبىّ بن أبى سلول رئيس الوفد والنفاق معاً: إن هذا لأمر جسيم، وما كان قومى ليخفوا علىّ مثل هذا، وما علمته كان، فانصرفوا عنهم.

مقطع رقم ١٧٠ جـ ١

رجال قريش يبطشون بسعد بن عبادة

١ عرفت قريشٌ بالحقيقة والرّجال القادمين
٢ عن وَفْدِ يثرب أنهم قد بايعوا الهادى الأمين
٣ فقدوا جميعاً رُشْدَهم صاروا حَيَارَى ذاهلين
٤ الوفد بعد البيعة انصرفوا لِيثرب عائدين
٥ لكِنْ قريشٌ قرّروا أن يلحقوهم عازمين
٦ لَحِقوا بِسَعْدٍ سيِّد(١) الأنْصار خَلْفَ القافلين
٧ قد أوْثقوه وأوْسَعوه(٢) إهانةً مُتجمِّعين
٨ سعدٌ تحامل للمسير فكان مِن ألمٍ حزين
٩ وروى هناك لقومه فِعْل الرِّجال المشركين
١٠ ويقول: لولا مُطْعَمُ بن(٣) عَدىٍّ خير الكافرين
١١ لقد استطاع إجارتى كانوا لِقتْلى فاعلين
١٢ ياقومُ إن رجالَ مكة أجرموا مُتعمِّدين
١٣ قد خالفوا بسلوكهم فِعْل العروبة أجمعين
١٤ إنى أتوق(٤) لقتلهم إن لم يصيروا مُسلمين

---

(١) سيد الأنصار – هو سعد بن عبادة زعيم الخزرج.

(٢) وأوسعوه إهانة – ضربوه وأهانوه.

(٣) مطعم بن عدى – هو أحد كبار قريش.

(٤) أتوق لقتلهم – أشتاق.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ١٧٠ جـ ١

بعد أن تمت بيعة العقبة الكبرى، بين رسول الله ﷺ، وبين الوفد القادم من يثرب، من الأوس والخزرج.

بعد ذلك انصرف المبايعون متجهين إلى يثرب فرحين بما حققوه.. ألا وهو لقاؤهم برسول الله ومبايعتهم له.

لكن رجال قريش بعد أن سألوا رجال يثرب عن مبايعتهم لرسول الله، فلم يخبروهم بالحقيقة.. استطاعوا أن يعرفوا ويتبينوا ما حدث بالضبط.

ولنسمع إلى رواية ابن اسحاق، قال:

«ونفر الناس من مِنىً، فتنطس القوم الخبر؛ فوجدوه قد كان، فخرجوا فى طلب القوم، فأدركوا سعد بن عبادة بأذاخر والمنذر بن عمرو وأخا بنى ساعدة ابن كعب بن الخزرج، وكلاهما كان نقيباً من النقباء الاثنى عشر.

فأما المنذر، فأعجز القوم، وأما سعد بن عبادة فأخذوه فربطوا يديه إلى عنقه بنسع رحله – حبل يشد به الرحال – ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة، يضربونه ويجذبونه بجمته، وكان ذا شعر كثير – ثم قال:

فوالله إنى لفى أيديهم يسحبوننى، إذ أوى لى رجل ممن معهم فقال: ويحك! أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد؟! قلت: بلى والله لقد كنت أجير لجبير بن مطعم تُجّاره، وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادى، وللحارث بن حرب بن أمية، فقال: ويحك! فاهتف باسم الرجلين، واذكر ما بينك وبينهما، قال: ففعلت، وخرج ذلك الرجل إليهما فأخبرهما.. فجاءا فخلصانى من أيديهم» وخرج سعد بن عبادة متحاملًا من شدة ما لقيه، وروى لقومه ما حدث له من قريش وقال: لولا مطعم بن عدى لهلكت، فهو الذى أجارنى من مشركى مكة الأوغاد، تالله إنهم بسلوكهم هذا، قد خالفوا كل القواعد.. وإنى لمشتاق للانتقام منهم إن لم يسلموا.

مقطع رقم ١٧١ جـ ١
إسلام عمرو بن الجموح

١ فتيان يثربَ . والكهولُ غَدَوْا جميعاً مسلمين
٢ لكنّ عمرو بن الجموح فظل ضِمْن المشركين
٣ فى بيته صنمٌ ويعكِفُ عنده كالعاكفين
٤ أما ابنه يُسْمى مُعاذاً كان بين السابقين
٥ فى البيعةِ الكبرى فكان مُبايعاً فى المؤمنين
٦ هذا مُعاذٌ معه بعض الفتية المتحرِّرين(١)
٧ ألقَوْا بصنم ابن الجموح على القذارة عامدين
٨ قد غَاظَ عَمْراً كونُه(٢) بين القذارة قد أهين
٩ لم يَسْتطِعْ عن نفسه دَفْعاً ولا قولًا(٣) يُبين
١٠ عمرو يقول له: فمالك لا تكفّ المُعْتدين؟!
١١ إن لم تكُفّ القوم إنى لاحِقٌ(٤) بالآخرين
١٢ قد كرَّروا إلقاءه بَيْن القذارة ساخرين
١٣ عمرو يقول بِغضْبة: بِئْس الإلهُ(٥) المستكين
١٤ وانضمّ للإسلام فوْراً واهتدى فى المهتدين

---

(١) بعض الفتية المتحررين – تحرروا من عبادة الأصنام.

(٢) كونه – كون الصنم ملقى بين القذارة.

(٣) ولا قولا يبين – لا ينطق ولا يتكلم.

(٤) إنى لاحق بالآخرين – سأدخل الإسلام.

(٥) بئس الإله المستكين – المستضعف.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٧١ جـ ١

لما انتهى القوم من لقائهم التاريخى برسول الله ﷺ، رجعوا إلى يثرب بالخير كله.. لقد أسلموا جميعاً، وفشا الإسلام فى يثرب، وصار الكل يتحدثون عن الإسلام ومحاسن الإسلام ونبى الإسلام.

لقد أسلم الناس فى يثرب أيضاً إلا قليلًا من شيوخ القوم، عز عليهم مفارقة أصنامهم التى عاشوا معها عمرهم.. من هؤلاء الشيوخ.. عمرو بن الجموح، وكان ابنه معاذ، ممن شهدوا بيعة العقبة، وعمرو بن الجموح من سادات بنى سلمة وأشرافهم.

كان عمرو بن الجموح قد اتخذ صنما من خشب فى داره يقال له مناة – كما كان الأشراف يصنعون – يعظمه ويسجد له، فلما أسلم فتيان بنى سلمة، منهم ابنه معاذ ومعاذ بن جبل، كانوا يتسللون ليلًا فيأخذون صنم عمرو فيحملونه فيطرحونه فى بعض حفر بنى سلمة، وفيها عِذَر الناس، منكساً على رأسه.

فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم! من عدا على إلهنا هذه الليلة؟! ثم يغدو ويلتمسه حتى إذا وجده غسله وطيبه وطهره ثم قال: أما والله لو أعلم من فعل بك هذا لأخزينه.

فإذا جاء المساء ونام عمرو، عدوا عليه ففعلوا بصنمه كما فعلوا بالمرة الأولى، فيصبح عمرو فيبحث عنه، فيجده فى مثل ما كان فيه من الأذى، فيغسله ويطهره ويطيبه.. ويتوعد الفاعلين.

فلما أكثروا عليه، استخرجه من حيث ألقوه يوماً، ثم علق سيفه عليه ثم قال له: إنى والله ما أعلم من يصنع بك ما أرى، فإن كان فيك خير فامتنع منهم فهذا سيفى معك، فلما أمسى ونام عمرو، عدوا عليه، فأخذوا السيف من عنقه، ثم ربطوا كلباً ميتاً بحبل معه، ثم ألقوهما فى بئر فيها عذر الناس، وفى الصباح بحث عمرو عن صنمه فى مكانه فلم يجده، ووجده فى البئر مقرونا بكلب ميت.. حينذاك أدرك الخطأ الذى كان يعيش فيه، فأسلم وحسن إسلامه.. لقد أبصر الهداية فاهتدى، وخرج من الظلام إلى النور.

مقطع رقم ١٧٢ جـ ١

الإذن للمسلمين برد العدوان

١ المصطفى مع صَحْبه فى مكةَ البلد الأمين
٢ عانَوْا كثيراً من عذاب المشركين المجرمين
٣ الصّبر كان سلاحَهُم ذاكم سلاحُ(١) المستكين
٤ لم يُؤْمروا بقتال أهْل الشّرك ظلوا صامدين
٥ كانوا يردُّون الأذى فى كَظْم غَيْظ الصّابرين
٦ قد أعْرضُوا عن كلِّ جَهْلٍ(٢)، لم يُجَاروا الجاهلين
٧ حتى أراد الله نُصْرةَ دينِه والمسلمين
٨ الإذن للهادى أتى رُدُّوا(٣) عَداء المعْتدين
٩ بل قاتِلوا مِنْ قاتلوكم مِنْ جميع الكافرين
١٠ هم عذّبوكم كونكم لله صِرْتم عابدين
١١ تالله إن القومَ صاروا فى عِداد الظالمين
١٢ الله ناصِرُ دينه ورسوله والمؤمنين
١٣ قد كان هذا الإذن بعد البيعتين(٤) على اليقين
١٤ المسلمون جميعهم للأمْر صاروا طائعين

---

(١) سلاح المستكين – المستسلم الضعيف.

(٢) أعرضوا عن كل جهل – الجهل هنا السباب والشتائم.

(٣) ردوا عداء المعتدين – الأبيات من ٨ – ١٢ من وحى الآيتين ٣٩، ٤٠ من سورة الحج.

(٤) بعد البيعتين – بيعتا العقبة الأولى والثانية.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٧٢ جـ ١

المشركون فى مكة لم يتركوا وسيلة من وسائل الإيذاء إلا مارسوها مع رسول الله ﷺ ومع أصحابه.. وقد صبروا على كل ما أصابهم من الأذى فى سبيل التمسك بعقيدتهم.

كانوا صابرين محتسبين، لا يستطيعون أن يردوا العدوان على المعتدين، ذلك لأنهم لم يؤمروا بقتال المشركين آنذاك.. إذن فلم يكن لهم سلاح فى مواجهة العدوان، سوى الصبر والاحتمال والتجلد، والإعراض عن سفاهة السفهاء وجهل الجاهلين الجفاة الغلاظ.

ظلوا على هذه الحال.. منذ بدء الدعوة إلى أن أراد الله عز وجل لدينه أن ينتصر.. لقد انتصر الدين فى نفوس أتباعه وأوليائه، فأشربته قلوبهم، وخالط دماءهم وأجسامهم.. ذلك لانهم آمنوا عن رضى واقتناع، لا عن قهر وإجبار.

إذن فبعد ذلك يكون الانتصار على الأعداء.. وبعد المعاناة الطويلة مع المرارة والآلام من أذى قريش وصلفهم.. جاء الإذن من الله عز وجل إلى رسوله محمد ﷺ، برد العدوان.. أن قاتلوا كل من قاتلكم أيها المسلمون من كافرين ومشركين.

إنه إذن كريم جاء فى محكم الذكر المبين، آيات تتلى على سمع الدنيا كلها.. لقد آن الأوان للمسلمين أن يقفوا فى وجه خصومهم، وأن يردوا العدوان على كل معتد وذلك حقهم فى الحياة.. ولنستمع إلى النص القرآنى إذ يقول.

«أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله... الخ» ٣٩، ٤٠ من سورة الحج.

لقد كان الإذن من الله عز وجل صريحاً فالمسلمون قد ظلموا بغير شك.. إذن فليردوا الظلم على الظالمين.

لقد استقبل المسلمون هذا الإذن من الله عز وجل بالارتياح والرضى التام، فمن ثم بادروا بتنفيذ الأمر طائعين.

مقطع رقم ١٧٣ جـ ١

أبو سلمةَ أول المهاجرين

١ أَذِنَ النبى لِصحْبه أن يهجروا أرض الظلام[١]
٢ قال: اخرجوا من أرض مكةَ أهلُها أهلُ الخصام
٣ أرضٌ تجرَّد أهلها مِن كلِّ حُبٍّ وانسجام[٢]
٤ هم دون شكٍّ ظالمون ويُؤْثِرون الانتقام
٥ وُصِفُوا بهذا الوصف فى التنزيل فى أسمى الكلام[٣]
٦ هيا اخرجوا منها إلى أرض المحبة والسلام
٧ فى أرض يثرب سوف تلْقَوْن الرضا والاحترام
٨ فوراً أطاع الصحْبُ أمرَ المصطفى بالالتزام
٩ خرجوا فُرادى خُفْية عن أعين القوم اللئام
١٠ كان ابن عبد الأَسْد[٤] أول راحل للاعتصام
١١ لبّى لأمر محمد يا نِعْمَت الصحب الكرام
١٢ لكن رجال الشرك كانوا ساهرين للاختصام
١٣ منعوهُ زوجته[٥] وطفلًا بالقتال وبالحُسَام
١٤ لكنها لحقت به مع طفلها مِن بَعْد عام

---

(١) أرض الظلام – الظلم والظلام، قلوب أهلها مظلمة.

(٢) من كل حب وانسجام – الموافقة والمسايرة لموكب الإيمان.

(٣) فى أسمى الكلام – فى القرآن الكريم آية ٧٥ سورة النساء.

(٤) ابن عبد الأسد – هو أبو سلمة.

(٥) منعوه زوجته وطفلًا – لم يسمحوا له أن يأخذ زوجته وولده.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ١٧٣ جـ ١

بعد أن جاء الإذن من الله عز وجل لرسوله محمد ﷺ، برد العدوان وقتال من يقاتلهم، أمر رسول الله أصحابه بالخروج إلى المدينة مهاجرين كى يلحقوا بإخوانهم الذين أسلموا من الأنصار فقال:

«إن الله قد جعل لكم إخوانا وداراً تأمنون بها» فخرجوا إليها إرسالا.

وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر الإذن من ربه فى الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة.

لقد أمر رسول الله أصحابه بالخروج من مكة، لأن أهلها أهل خصام وعدوان، تجردوا من كل مودة ومن كل عطف.. قال: اذهبوا إلى أرض الإيمان والحب، لقد آمن أهلها واعتنقوا الإسلام ديناً لهم، واعتقدوا وحدانية الإله، وصدقوا برسالتى.. هنالك فى المدينة سوف تلقون الأمن والحب، مع إخوة لكم فى الإسلام.

بادر أصحاب رسول الله بتنفيذ الأمر بالهجرة، فصاروا يخرجون خفية متسللين، وكان أول مهاجر من أصحاب رسول الله، هو أبو سلمة بن عبد الأسد، من قريش من بنى مخزوم.. خرج بزوجته وولده.. لكن المشركين منعوه أن يأخذ ولده وزوجه ولنستمع إلى أم سلمة تروى لنا الرواية قالت:

لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة، رحّل لى بعيره ثم حملنى عليه، وجعل معى ابنى سلمة، ثم خرج يقود بعيره، فلما رأته رجال بنى المغيرة قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه، علام نتركك تسير بها فى البلاد؟! فنزعوا خطام البعير من يده، وأخذونى منه، وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد، رهط أبى سلمة وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها، فأخذوا ابنى، وانطلق أبو سلمة زوجى إلى المدينة.

بعد عام رد بنو عبد الأسد ابنى سلمة لى، وخرجت أريد المدينة إلى حيث زوجى، فلقيت عثمان بن طلحة فقال: إلى أين يا ابنة أبى أمية؟! قلت: أريد زوجى بالمدينة، فأخذ بخطام بعيرى وأوصلنى إلى المدينة، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط كان أكرم منه!!.

مقطع رقم ١٧٤ جـ ١
أفواج المهاجرين إلى يثرب

١ المسلمون تَسَابقوا كى يَهْجروا أَرْضَ البلاء[١]
٢ أَرْضٌ قَستْ بل أظلمتْ مِن كلّ وُدٍّ أو وفاء
٣ لا شكّ أهلوها قُساةٌ قطّعوا حَبْلَ الإخاء[٢]
٤ بعد ابن عبد الأَسْد هاجر عامرٌ[٣] يبغى النّجاء
٥ مع زوْجِهِ ليلى فكانتْ أخْتَ سَبْقٍ فى النساء
٦ وكذا أُمَيْمةُ عمّةُ الهادى تُهاجِرُ فى الخفاء
٧ أَبْناؤها مع أهلِهم قد رافقوها فى رِضَاء
٨ نزلوا بِيثْرِب حيْثُ قال المصطفى دون التواء
٩ لا شكّ يثرب أرضُ خيْر بالخصوبة والنماء
١٠ واستقبلوهم أهلها بالحبِّ أيضا والولاء
١١ وتتابع الأصحابُ هَجْراً للمذلّةِ والجفاء
١٢ أمرُ النبىّ مُقدّسٌ قد نفّذوه بِلا[٤] ونَاء
١٣ وبيُوتهم فى مكة صارتْ[٥] يَبَاباً فى خَواء
١٤ كلّ الصحابة هاجروا سِرّاً فكانوا أوفياء

---

(١) أرض البلاء – هى مكة كانت هكذا فى ظل الشرك.

(٢) قطعوا حبل الإخاء – تنكروا لصلة القرابة والجوار والأخوة.

(٣) هاجر عامر – هو عامر بن ربيعة حليف بنى عدي.

(٤) بلا وناء – بلا تلكؤ أو تأخير.

(٥) صارت يبابا – خالية من السكان.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٧٤ جـ ١

لما أصدر رسول الله ﷺ أمره لأصحابه بالهجرة إلى المدينة، فورا بادروا بتلبية الأمر.. فلقد تحجرت قلوب أهل مكة إذن فليهجروها إلى أرض غيرها، فليذهبوا إلى المدينة، وهناك سوف يجدون إخوة لهم فى الإيمان، وسوف يستقبلونهم بالحب والترحاب.

كان أول من هاجر هو أبو سلمة – كما أسلفنا – بعد أبى سلمة خرج عامر بن ربيعة معه امرأته ليلى بنت أبى حثمة العدوية، وأيضا أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ؛ وولدها عبدالله بن جحش وأهله، وأخوه أحمد وكان كفيفاً، خرجوا كلهم مهاجرين، تلبية لأمر رسول الله.

وصل المهاجرون إلى قباء أرض الإيمان، نزلوا ضيوفا على أهلها، فاستقبلوهم بكل حب وكرم ضيافة.. ولا غرو فأهل يثرب فيهم سماحة فى الطباع، وكرم فى الأخلاق، وأرضهم أرض خصب ونماء.. إذن فليس غريباً عليهم أن يستقبلوا المهاجرين، وأن يفتحوا لهم أحضانهم وبيوتهم معا.

وتتابع أصحاب رسول الله فى الخروج من مكة مهاجرين.. لقد هجروا المذلة والجفاء والظلم والقسوة، وتوجهوا إلى أرض الحب والخير، والسماحة والود.. لقد نفذوا أمر نبيهم محمد ﷺ، فأمره مقدس عندهم.

ونظرة على بيوت الذين هاجروا من مكة إلى المدينة، فإذا هى خاوية من أصحابها، صارت يباباً لا تجد فيها نافخ نار.. فمن ثم كان الحزن يخيم عليها فهى صامتة صمت القبور لخلوها من أهلها، بعد أن كانت سعيدة مبتسمة تضج بالحركة بوجود أهلها فيها.

لقد خرج أصحاب رسول الله من مكة سراً، كى لا يفطن لهم أحد من مشركى مكة العتاة، فيحولوا بينهم وبين تنفيذ أمر رسولهم الكريم، وقد نجحوا فى كتمان أمرهم فكانوا أوفياء بغير شك.

مقطع رقم ١٧٥ جـ ١
هجرة عمر بن الخطاب وآخرين

١ هذا هو الفاروقُ ينوى هِجْرةً كالآخرين
٢ وهشامُ مع[١] عيَّاش كانا مِثْله فى المسلمين
٣ فتَوافقُوا أن يلْتقُوا فى أرْض[٢] سَرِف أجمعين
٤ كى يَبْدأُوا منها التوجُّه نَحْو يثْربَ رَاحِلين
٥ قد جاء عيَّاشٌ وظلّ هشَامُ فى المتخلِّفين
٦ القوْمُ قد عَلِموا بِهِ، مَنَعُوه[٣] مَنْع القادرين
٧ عيّاشُ والفاروقُ سارا للمدينة ذَاهِبين
٨ وصلا بَني عَوْفٍ فصاراً فى قُبَاءٍ نازلين
٩ الحرْثُ مع[٤] عمرو وكانا من كِبار المشركين
١٠ عيّاشُ كان أخاهما للأمِّ فى رَبْطٍ[٥] متين
١١ جَاءا لِيثرِبَ أخْبراه، فأمُّه تشْكو الأنين
١٢ قد صدَّق المأفونُ قولهما فليس هو الفطين
١٣ عادا به كيْما تراه الأمُّ رُؤْيةَ كاذبين
١٤ عمر[٦] يقول: فلا تَعُدْ أخشى عليك الكافرين
١٥ فأبى وعاد فقيَّدُوه كأنه خَصْمٌ مُبين

---

(١) هشام مع عياش – هشام هو ابن العاص وعياش هو ابن أبى ربيعة.

(٢) فى أرض سرف – اسم مكان خارج مكة.

(٣) منعوه – علم الكفار بعزمه على الهجرة فحبسوه.

(٤) الحرث مع عمرو – هما أبو جهل وأخوه الحارث وكتبت الحرث للضرورة.

(٥) فى ربط متين – هو رباط الأخوة للأم.

(٦) عمر – هو عمر بن الخطاب.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ١٧٥ جـ ١

وهذا هو الفاروق عمر بن الخطاب، يخرج مهاجراً لاحقاً بمن سبقه من المسلمين، ولما أراد أن يهاجر، اتفق مع عياش بن أبى ربيعة، وهشام بن العاص، على أن يلتقى ثلاثتهم صباح الغد فى مكان ما خارج مكة، ومن ثم ينطلق الثلاثة صوب المدينة مهاجرين، وقال بعضهم لبعض: أينالم يصبح فى ذاك المكان، فقد حبس ومنع، فليمض صاحباه.

فى الصباح الباكر التقى عمر بن الخطاب؛ وعياش بن أبى ربيعة فى المكان الذى اتفق الثلاثة على التلاق عنده.. أما هشام بن العاص فلم يحضر، فترجح لديهما أنه منع وحبس، فانطلق الاثنان متجهين إلى المدينة، لاحقين بمن سبقوهما من المهاجرين.. ووصلا إلى قباء حيث ينزل المهاجرون من قبلهم.

كان الحارث بن هشام، وعمرو بن هشام – أبو جهل – إخوة لعياش بن أبى ربيعة لأمه، وهو فى نفس الوقت ابن عمهما، فخرج الاثنان فى طلبه حتى قدما المدينة فقالا لعياش: إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط، ولا تستظل من شمس حتى تراك.. فرق لها، وقرر أن يعود مع أخويه المشركين، إشفاقا على أمه.

فقال عمر بن الخطاب لعياش: إنه والله لا يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت!

فأبى عياش الاستماع لنصيحة عمر، وخرج مع أخويه لأمه، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل: ياأخى والله لقد استغلظت بعيرى هذا، أفلا تعقبنى على ناقتك هذه؟! قال: بلى، فأناخ وأناخا ليتحول عليها، فلما استووا بالأرض، عدوا عليه فأوثقاه رباطا، ثم دخلا به مكة وفتناه فافتتن.. فكأنه خصم لدود لهم.

مقطع رقم ١٧٦ جـ ١
المشركون فتنوا عياشا وهشاما

١ عيّاشُ عاد لأُمّه مع إخوة قد ضلّلوه
٢ فتنوه[(١)] عن دين السّلام وبالسلاسل قيّدوه
٣ أَلْقَوْهُ فى سِجْن رهيبٍ بعد ما أنْ عذّبوه
٤ وهشام[(٢)] كان بِسجْنِهم من قبله قد أوثقوه
٥ يا خيبة الاثنين قد رُدُّوا لدينٍ فارقوه
٦ قد فارقا دين السلام إلى الظلام[(٣)] وقاربوه
٧ يا بِئْسَ من ردُّوهما، يا بئس ديناً تابعوه
٨ المسلمون تأوّلوا قَوْلًا خطيراً ردَّدوه
٩ اللهُ لا يرْضى من المرتدّ عَوْداً[(٤)] فاطْردوه
١٠ لكنَّ ربَّ العرش أنزل أمره كى يَعْرِفوه
١١ وحْياً على سَمْع الزّمان إلى الخليفة فاقْرءوه
١٢ قولًا بليغاً مشرقاً للكل حتى يفْهموه
١٣ لا تَقْنطُوا يا مُسْرفين[(٥)] من الرَّجاء وبادِروه
١٤ الباب مفْتوحٌ لِكلِّ التائبين لِيدْخلوه

---

(١) فتنوه عن دين السلام – أرغموه على ترك الإسلام.

(٢) وهشام – هو ابن العاص الذى منعوه قبل أن يخرج.

(٣) إلى الظلام – إلى الشرك بالله.

(٤) عودا – توبة.

(٥) من وحى الآية ٥٣ سورة الزمر.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٧٦ جـ ١

لقد عاد عياش بن أبى ربيعة، مع أخويه لأمه، وذلك بعد أن أخبراه عن أمه ما أخبراه.. وأبى أن يستمع لنصيحة عمر بن الخطاب الذى تنبأ له بأنه مفتون عن دينه لا محالة.

وقد صدقت فراسة عمر، فقد عذبوه فى مكة وطلبوا منه أن يكفر بمحمد ودين محمد، فاستجاب لهم تحت وطأة التعذيب المؤلم.

وياليتهم قد تركوه حراً، بل وضعوه فى سجنهم.. وقد وجد هشاماً مقيداً بسجنهم، وكان قد استجاب لما طلبوه منه، فكفر بدين الإسلام، وعاد لدين الآباء، وعبادة الأصنام!!! بعد أن رأى النور.

ألا فقد خاب الاثنان: عياش وهشام، ذلك لأنهما كانا قد خرجا من الظلام، ورأيا النور، وعرفا طريق الحق والصواب، وارتضياه، أبعد ذلك يرتضيان العودة إلى عبادة الأصنام؟! والسير فى طريق الضلال والظلام؟!!!.

لقد صار المسلمون فى المدينة يتحدثون عن عياش وهشام، وعن ارتدادهما عن دين الإسلام، والكفر بعد الإيمان، فمن قائل يقول: لا يقبل الله توبة من ارتد عن دينه، وآخر يقول:

بلى إن باب التوبة مفتوح للتائبين.. ولنستمع إلى عمر بن الخطاب إذ يقول فى هذا: فكنا نقول: لا يقبل الله ممن افتتن توبة، وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة، وأنزل الله عز وجل.

«قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقطنوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم. وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون... الخ» ٥٣،٥٤ سورة الزمر.

هذه الآيات الكريمة بمعانيها المشرقة، فتحت أبواب الأمل أمام العصاة والمسرفين، أخبرتهم بأن باب التوبة مفتوح لما يغلق بعد، فمن أراد أن يعود إلى رحاب الله، فليعد فإنه يحب التوابين من عباده.

مقطع رقم ١٧٧ جـ ١
الوليد ينقذ عياشا وهشاما من السجن

١ عَيّاش فى سَجْن الطغاة وكان يصْحبه هشام
٢ جاء الوليد إليهما من أمر مَبْعوث[١] الأنام
٣ فى جُنْح ليلٍ طَافَ حوْل السُّور يبغى الاقتحام
٤ فى هِمَّة الأسد الهصُور فلا يخاف من الحِمام[٢]
٥ فى خِفةٍ قد صار فوق السور فى يدهِ الحسام[٣]
٦ وأتى إلى الرجُليْن كانا فى قُيودٍ فى الظلام
٧ ضرب القيودَ بسيفه فى قوة البطل الهُمام
٨ قيدُ الحديد تحطّمت مِن سَطْوة السيف الصّمام[٤]
٩ فرّوا من السجن الرهيب من العذاب والانتقام
١٠ وصل الوليدُ بصاحبيه إلى الأمان إلى السلام
١١ وصلوا المدينة حيْثُ كان المصطفى فيها أقام
١٢ المسلمون تتَابعوا مِن بَعْدهم للاعتصام[٥]
١٣ قد كان منهم أسرةُ الخطّاب فرّوا مِن لِئام
١٤ وصلوا المدينةَ سالمين وأهلُها كانوا الكرام

---

(١) مبعوث الأنام – هو رسول الله.

(٢) فلا يخاف من الحمام – الموت.

(٣) الحسام – السيف.

(٤) السيف الصمام – الصلب المتين القاطع.

(٥) للاعتصام – ليحتموا فى يثرب حيث القوة والمنعة.

عياش وهشام فى مكة مقيدان بالحديد.. فبرغم أنهما استجابا لما طلب منهما فكفرا بعد إسلامهما، فالمشركون لم يأمنوهما، فأبقياهما مقيدين فى سجنهما.

ودار حديث هناك فى المدينة عن هذين اللذين فتنا عن دينهما فأصبحا كافرين كرها عنهما.. ولقد أسف المسلمون جميعهم، وتألموا كثيراً عليهما لكونهما فتنا عن دينهما من ناحية، ولكونهما لا يزالان يعانيان قسوة المعاملة فى محبسهما من ناحية أخرى.

فى أحد الأيام دار الحديث عنهما – عياش وهشام – أمام رسول الله ﷺ.. فأبدى رسول الله رغبة فى إنقاذهما من سجنهما والعذاب الذى يعيشان فيه بأيدى المشركين.. ولنستمع إلى نص الرواية:

«قال ابن هشام: فحدثنى من أثق به أن رسول الله ﷺ قال وهو بالمدينة: «من لى بعياش بن أبى ربيعة وهشام بن العاص؟!»

«فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة: أنا لك يارسول الله بهما، فخرج إلى مكة، فقدمها مستخفياً، فلقى امرأة تحمل طعاما فقال لها: أين تريدين يا أمة الله؟!

قالت: أريد هذين المحبوسين – تعنى عياشا وهشاماً – فتبعها حتى عرف موضعهما، وكانا محبوسين فى بيت لاسقف له، فلما أمسى المساء تسور عليها، وأخذ معه حجراً صلباً فوضعه تحت قيديهما، فضرب القيدين بسيفه فقطعهما، ثم حملهما على بعيره وانطلق بهما نحو المدينة، فعثر فدميت أصبعه فقال:

هل أنت إلا أصبع دميت.. وفى سبيل الله ما لقيت.

ثم قدم بهما على رسول الله فى المدينة.

من بعد فرار عياش وهشام، صار المسلمون ممن كانوا بمكة مستخفين بدينهم يخرجون تباعاً مهاجرين إلى المدينة، وكان من بينهم أسرة عمر بن الخطاب، فوصلوا المدينة، وبها وجدوا من كرم الضيافة وحسن الاستقبال، ما هون عليهم فراقهم أهليهم ومنازلهم الذين تركوهم بمكة.

مقطع رقم ١٧٨ جـ ١
هجرة صُهيْب الرومى

١ هذا صُهيْب كان روميّاً بمكّةَ(١) بالــــولاء
٢ قد صار ذا مالٍ وفيرٍ فى عِداد الأغنياء
٣ هو سابقٌ فى المسلـمين الأولين بِلا وَنَـاء(٢)
٤ لم يَرْض أن يبقى بمكّةَ فى ظِلال الاعتداء
٥ وإذا به يَغْـدو لِيثْـربَ لاحقــاً بالأتْقيــاء
٦ لَاقَاهُ قوم السوء كيْما يُرْغِموه على البقاء
٧ قالوا له: قد جِئْتَ صعلوكاً(٣) وصِرْت إلى الثراء
٨ لا نتركنّك تَخْرجنّ فدعْ لمالك أو تُسَاء
٩ فأجابهم، فَلْتَأْخذوا مالى وكُفّوا عَن عَداء
١٠ وإذا أبيْتُم فلتكُنْ حربـاً وسفكـاً للدِّمـاء
١١ ولسوف أرميكم بقوسى(٤) نِعْم قوساً للفـداء
١٢ لى قدرة فى الرّمى فاقت كلّ رامٍ لا مِراء(٥)
١٣ تركوه يخرج آمناً وَضْح النّهار بِلا خفاء
١٤ قال الرسول له: رَبحْتَ فَنِعْم بيعاً فى السماء

---

(١) كان روميا بمكة بالولاء – هو من الروم كان حليفاً لزعماء مكة

(٢) بلا وناء – دون تلكؤ أو أناة.

(٣) جئت صعلوكاً – لا مال لك.

(٤) أرميكم بقوسى – القوس هو الذى ترمى به السهام من بعد.

(٥) لا مراء – لا شك فى ذلك.

المعنى الاجمالى للمقطع رقم ١٧٨ جـ ١

ها نحن الآن مع أحد أصحاب رسول الله ﷺ، مع أحد السابقين إلى الإسلام.. هو ليس من أهل مكة، ولا من قريش أيضاً، بل كان غريبا عن أهل مكة.. كان مولى لأحد زعماء قريش.

هو صهيب الرومى.. فلقد رأى أصحاب رسول الله، تسللوا واحداً بعد واحد مهاجرين من مكة إلى المدينة.. لذلك.. فكر فى الأمر ملياً، فهو واحد من أصحاب محمد، وهو إن لم يكن أكثر إيمانا من كثير غيره ممن هاجروا، فليس هو أقلهم إيمانا، فماذا يصنع؟! إنه ذو مال وفير، والمال عصب الحياة.

فهل يستطيع أن يخرج من مكة مهاجراً بما يملكه من مال؟! أم أن قريشاً سوف تمنعه من الخروج؟!

على كل حال، فلقد ناقش هذا الأمر مع نفسه، وانتهى إلى رأى حازم لا رجعة فيه.. وخرج من مكة مهاجراً يريد المدينة.. وإذا بفتيان قريش يعترضونه.

فقالوا له: أين تريد؟! قال: أريد يثرب.

فقالوا له: لن ندعك تخرج هكذا، أتيتنا صعلوكا حقيراً، فكثر مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك؟! والله لا يكون ذلك.

فقال لهم صهيب: أرأيتم إن جعلت لكم مالى، أتخلون سبيلى؟! قالوا: نعم، قال: فإنى جعلت لكم مالى.. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «ربح صهيب، ربح صهيب».

وقيل: إن صهيباً كان من الرماة المهرة، فلما اعترض المشركون طريقه ليمنعوه قال لهم وقد أخذ أهبته للرمى عن قوسه: تعلمون والله أنى من أرماكم رجلًا فخلوا عن سبيلى، وإلا فسوف أرميكم واحداً بعد واحد، وسأخبركم أين مالى.[1]

احفروا تحت أسكفة الباب، فإن بها أواقى من ذهب، واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحلّتين.

ولما بلغ ذلك رسول الله قال: «يا أبا يحيى ربح البيع» ابن كثير جـ ٢ صفحتا ٢٢٣، ٢٢٤.

---

(١) الطبقات الكبرى جـ ٣.

مقطع رقم ١٧٩ جـ ١
لم يبق فى مكة إلا رسول الله واثنان

١ المسلمون جميعُهم قد هاجروا متتابعين
٢ قد كان وُجْهتُهم ليثربَ أرض قوْمٍ مؤمنين
٣ أبوابُ يثرب فُتِّحت لِلمسلمين القادمين
٤ كل الصحابة هاجروا للظّلم كانوا هاجرين
٥ لم يبقَ منهم غيرُ مَن فُتِنُوا[1] وظلّوا مُكْرهين
٦ لَاقَوْا كثيراً من عذابِ المشركين المجرمين
٧ أمّا عليّ مع أبى بكر فظلّا قاعدين
٨ ظلّا كأمر المصطفى يا نِعْمَ أمر المرسلين
٩ أمّا أبو بكر فأوّل مُسلم فى العالمين
١٠ هو سابقٌ كلّ الرِّجال لَقَدْ رأى النور المبين[2]
١١ قد ظل كى يَحْظَى بِذكْرٍ مُشْرق فى الخالدين[3]
١٢ وكذا عليٌّ ظلّ كىْ يفْدى الرسول مِن الكمين[4]
١٣ ويردَّ كلّ ودائع القومِ التى عِنْد الأمين
١٤ قد كان كلٌّ منهما[5] يَرْنو إلى نور اليقين

---

(١) فتنوا – أرغموا على الكفر.

(٢) رأى النور المبين – نور الحق بإيمانه.

(٣) بذكر مشرق فى الخالدين – كى يخلد ذكره بمصاحبته لرسول الله.

(٤) من الكمين – من المؤامرة الدنيئة التى دبرت لقتله.

(٥) يرنو – يردد النظر.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٧٩ جـ ١

وهكذا فقد ظل المسلمون يتتابعون خارجين من مكة مهاجرين إلى المدينة، وذلك تلبية لأمر محمد ﷺ.. لم يبق أحد فى مكة مسلماً، ممن يستطيع الخروج بأى وسيلة ممكنة، وهذه أسماء البعض منهم.

زيد بن حارثة مولى رسول الله، وهو ألصق الناس به، وحمزة بن عبد المطلب عمه وأقرب الناس إليه.. وأولاد عمه الحارث بن عبد المطلب أيضا، خرجوا مهاجرين ومعهم غيرهم من المسلمين.

وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير، وأبو حذيفة ابن عتبة بن ربيعة، وعثمان بن عفان.. هؤلاء كلهم من السابقين إلى الإسلام، بحيث إن كل واحد منهم يعتبر داعية للإسلام.

ظل فى مكة المستضعفون من المسلمين، أو الذين فتنوا عن دينهم كرها عنهم، وذلك تحت وطأة التعذيب القاسى.

أما على بن أبى طالب، وأبو بكر الصديق، فقد ظلا بمكة لم يهاجروا.. ظلا بمكة كما أمرهما رسول الله ﷺ.. ذلك لأن لكل واحد منهما مهمة لها خطورتها.

فأبو بكر الصديق لكونه أول من أسلم من الرجال، أبقاه رسول الله ليرافقه فى رحلته الخالدة، لكى يحظى بشرف الصحبة، وينال خلود الذكر.. وفعلًا لقد نال هذا الشرف العظيم، فقد ذكرت صحبته لرسول الله فى القرآن الكريم، فى قوله عز وجل.

«إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذهما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا... الخ» آية رقم ٤٠ سورة التوبة.

وعلى بن أبى طالب، هو أول من أسلم من الغلمان، ومهمته كانت أشق وأخطر، ذلك لأنه نام فى فراش رسول الله، ليضلل الأعداء المحيطين ببيته ليلة الهجرة، وهو يعلم أن سيوفهم سوف تنقض عليه لتمزقه إربا ظناً منهم أنه رسول الله !!.

وظل بعد خروج رسول الله، ليرد ودائع القوم التى كانت عند رسول الله للكفار، ولا غرو فأبو بكر وعلى، كلاهما يتطلع إلى نور اليقين، وهو أسمى ما تتطلع إليه نفس مؤمنة.

الفهرس

مكتبة
دار التراث
٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة

رقم الايداع: ٥٧٣٠ ٨٥

الترقيم الدولى: ٣ - ٠٠١ - ٠٠٤ - ٩٧٧

مطابع المختار الاسلامى

تغريدة السيرة النبوية

شعراً ونثراً

تأليف

فضيلة الشيخ: محمد عايش عبيد
مدرس بالمعهد الديني بالعريش

الجزء الثاني

مكتبة
دار التراث
٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقطع رقم ١٨٠ جـ ٢
الأنصار يستقبلون المهاجرين

١ المسلمون يُهاجرون إلى المدينةِ فى حذَر
٢ قد كان وقْتُ خروجِهم دَوْماً إذا حان السَّحر
٣ هجروا بِلاداً أهلُها قد لَاحقُوهم بالضَّرر
٤ الشرُّ فيهم قد نَما والخيرُ فيهم قد ضَمَر[1]
٥ نزلوا المدينةَ أهلُها مِن خيرِ أبناء البشر
٦ فاستقبلوهم بالمودَّة أمنوهم مِن خطر
٧ الحبُّ كان شِعارَهم عاشوا جميعاً فى سمر[2]
٨ عن أهلِ مكة لا تَسَلْ، قد ساءهم هذا الخبر
٩ قالوا: فإن محمداً لا شك يَعْتزِم السفر[3]
١٠ ولسوف يَلْحق بالصُّباة[4] على الطريق على الأثر
١١ إنْ يلْتحِقْ برفاقه، قد فاز حقاً وانتصر
١٢ ولسوف يأتينا بجيشٍ للقتال المنْتظر
١٣ هيّا إلى رأى سديدٍ وحُدوا فيه النظر
١٤ فَلْنجْتمِعْ فى دار نَدْوتِنا وندعو[5] المؤتمر
١٥ حتى نقررَ ما نراه هو الصوابُ المعْتبر

---

(١) ضمر – قل وانكمش.

(٢) فى سمرَ – أحاديث الليل.

(٣) يعتزم السفر – ينوى الهجرة.

(٤) يلحق بالصباة – الذين أسلموا وهاجروا.

(٥) وندعو المؤتمر – مجموع الناس للتشاور.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٨٠ جـ ٢

هانحن لا نزال نتحدث عن إخوة الإيمان، الذين بادروا بالهجرة من مكة قاصدين المدينة المنورة طائعين لأمر رسولهم الكريم، محمد ﷺ.

يالله !! لقد هاجروا فراراً بعقيدتهم، من قسوة المشركين وظلمهم وجبروتهم، تاركين الأهل والمال والوطن.

ومن شدة خوفهم كانوا يخرجون خفية عن أعين الرقباء، من طغاة قريش، فكانوا يختارون وقت السحر لخروجهم من مكة، بينما القوم نائمون.

ولا غرو فلقد تمكن الشر فى نفوس مشركى مكة فنما وترعرع.. لذا فهم يجدون لذة واستحسانا فى إيذائهم للمسلمين.. أما الخير فإنه لم يجد مكانا فى نفوسهم فأخذ ينكمش ويتضاءل إلى أن انتهى أو كاد.

لم يعد فى نفوسهم مكان للخير، وبالتالى لم يشعروا بميل لفعله، تبلدت منهم المشاعر، وماتت منهم الضمائر، وجف منهم كل عطف.. ولم لا، فهم قد استبدلوا بعبادة الله عبادة الأصنام.. إذن فهم لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكراً !!!

وصل المهاجرون إلى المدينة، أرض الحب والخير وكرم الضيافة بله الإيمان !! وللعلم فأهل المدينة يختلفون فى عباداتهم وطباعهم عن أهل مكة.. فأهل مكة فيهم غلظة وجفاء وعنجهية.. أما أهل المدينة ففيهم رقة وسماحة فى طباعهم، ونبل فى أخلاقهم.. يؤكد هذا القول، استقبالهم للمهاجرين بالحب والترحاب، فأنزلوهم فى دورهم وشاركوهم فى أموالهم بكل الرضاء والحب !!

لقد ظل رسول الله ﷺ فى مكة، شأنه شأن القائد الذى يكون آخر من يغادر أرض المعركة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فهو ينتظر الأمر من ربه ليخرج مهاجراً، ذلك لأنه لا يقدم على عمل ما دون أن يأتيه فيه وحى من الله عز وجل.

لما رأى مشركو مكة أن أصحاب محمد قد خرجوا كلهم متسللين من مكة، وجهتهم المدينة، أيقنوا بأن محمداً لابد أن يلحق بأصحابه، إذن فلابد من التفكير الجاد فى أمره وبسرعة، فمحمد إن لحق بأصحابه، فسوف يجهز جيشاً، وحينئذ يغزونا فى دارنا.. فقال قائلهم: هيا إلى رأى سديد، فلنجتمع فى دار الندوة ولنتدارس هذا الأمر، ولنقرر ما نراه صواباً فى شأن محمد.

مقطع رقم ١٨١ جـ ٢

إبليس وشيوخ قريش يتشاورون

١ كفارُ مكة قرّروا أن يبحثوا الأمرَ[١] الخطير
٢ قالوا لبعض: إن أمْر مُحمّد أمرٌ عسير
٣ كل الشيوخ توافدوا، لا لم يَكُن فيهم صغير
٤ لقد التقوا فى دار نَدْوتهم لقاءً[٢] للنكير
٥ قد مات فيهم كلُّ عطْفٍ كلُّ خير والضمير
٦ الشرُّ كان شعارَهم، ذاكم هو الهدفُ الكبير
٧ إبليس كان مُشيرَهم فى رأيهم، بِئْس المشير
٨ ذاكم عدوُّ الله، ثمَّ الناسِ فى قولِ القدير[٣]
٩ قد ناقشوا الآراءَ فى غَضَبٍ وفى حِقْد مُثير
١٠ البعض قالوا: قيِّدوه، أو اطردوه، فلا نصير[٤]
١١ إبليسُ قال لهم: فهذا ليس بالرأى الأخير
١٢ إن تَحْبِسُوه فسوف يَسْرِى صيتُه مِثلُ النفّير
١٣ ولسوف يأتى صَحْبُه كى يُنْقِذُوه مِن المصير[٥]
١٤ أو تطردُوه فسوف يأتيكم بجيشٍ كى يُغير
١٥ فَلْتطْرحُوا رأياً جَسوراً قد يُسىء وقد يُضير

---

(١) يبحثوا الأمر الخطير – يبحثون شأن محمد عليه الصلاة والسلام

(٢) لقاء للنكير – النكير هو إنكار المنكر ولكنه هنا هو المنكر للضرورة.

(٣) فى قول القدير – فى القرآن الكريم.

(٤) فلا نصير – لا أنصار له هنا.

(٥) من المصير – أى من سوء المصير.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٨١ جـ ٢

لقد قرر مشركو مكة أن يجتمعوا، بعضهم مع بعض.. اجتماعاً يضم الجميع ممن يهمهم أمر محمد ﷺ، وذلك لكى يبحثوا فيما بينهم أخطر مشكلة تؤرقهم جميعاً، وتشغل أفكارهم عن كل شىء فى حياتهم، فهى مدار تفكيرهم فى ناديهم وفى منازلهم، تلك المشكلة هى:

دعوة محمد ﷺ، بل محمد نفسه، ذلك لأنه جاءهم بما ينكرونه من ترك عبادة الأصنام التى وجدوا آباءهم وأجدادهم يعبدونها.. وقد حددوا مكان الاجتماع هو «دار الندوة».

صار الرجال يتوافدون على دار الندوة، حضروا جميعاً لم يتخلف منهم أحد، كلهم من الشيوخ الطاعنين فى الكبر، فهم الذين اتخذوا محمداً عدوا لهم، ودعوته مخيبة لآمالهم.. تحجرت قلوبهم، وأظلمت نفوسهم، وماتت ضمائرهم، فمن ثم كان تفكيرهم بغير شك أسود سقيماً، إذ هو صورة من رشح قلوبهم ونفوسهم وضمائرهم.

هذا الاجتماع، شهده أعدى أعداء الإنسانية، عدو الله وعدو الناس جميعاً، إنه إبليس اللعين.. وقد كان شعار المجتمعين كلهم، القضاء على محمد وعلى دعوته فى أى صورة من الصور، إنهم مجتمعون ليفعلوا الشر ولا شىء غير الشر.

بدأ الحوار بين المجتمعين، فقال بعضهم: هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، وإننا ما نأمنه أن يغزونا بمن اتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأيا.. فتشاوروا ثم قال أحدهم: احبسوه فى الحديد وأغلقوا عليه بابا، ثم تربصوا به ما أصاب أمثاله من الشعراء الذين كانوا قبله.. أو فاطردوه من بيننا فليبحث له عن مكان آخر.

فقال الشيخ النجدى – إبليس – لا والله ما هذا لكم برأى، والله لئن حبستموه كما تقولون: ليخرجن أمره من وراء هذا الباب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه، ومن ثم فسوف ينقضون عليكم فينتزعونه من أيديكم حتى يغلبوكم على أمركم. ما هذا لكم برأى.. وإن طردتموه فلا آمن أن يحل على حى من أحياء العرب، فيغلب عليهم بحلاوة حديثه حتى يتابعوه، فيسير بهم إليكم فيطأكم بهم، فيأخذ أمركم من أيديكم، أديروا فيه رأيا غير هذا.

مقطع رقم ١٨٢ جـ ٢
إبليس اللعين يؤيد رأى أبى جهل

١ كفارُ مكةَ ناقشوا الآراءَ مِن كُلِّ الوجوه
٢ قد أضْمروا كلَّ الأذى للمصطفى لَنْ يَرْحموه
٣ هُمْ يبحثون عن الأذى فى أىِّ شكل أوقعوه[١]
٤ إبليسُ كان شريكَهُم فى كلِّ رأى ناقشوه
٥ لم يَرْضَ عن رأيَيْن قالا: اطردوه أو احْبِسوه
٦ أما أبو جهل فأبدى رأيه كى يَسْمعوه
٧ قال اللعين: فقتلُه[٢]، هو خَيرُ رأْى فَافعلوه
٨ فَلْنأْتِ مِن كُلِّ القبائل بالشباب لِيَرْصُدُوه
٩ وَلْنُعْطِ كلًا مِنهمو سَيْفاً لِكَيْما يَضْربوه
١٠ فإذا رَأَوْه جميعُهم بِسُيوفِهم فَلْيقتلوه
١١ دمُه توزَّع فى القبائل كُلِّهم فليحملوه
١٢ فإذن سَيَرْضى قومُه بِالعقل[٣] أو فَلْيرفضُوه
١٣ هم لن يُطِيقوا حَرْبَنا جَمْعاً إذن فَلْيأخذُوه
١٤ هَتَفَ اللعينُ[٤] وقال: نِعْم الرأى هذا فاقبلوه
١٥ هو خَيْرُ رَأْى قيلَ فى هذا المَقام فنفِّذوه

---

(١) فى أى شكل أوقعوه – برسول الله ﷺ.

(٢) فقتله – قتل محمد.

(٣) سيرضى قومه بالعقل – بالدية.

(٤) هتف اللعين – هو إبليس.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٨٢ جـ ٢

لايزال مشركو مكة مجتمعين فى دار ندوتهم، يناقشون الآراء الشريرة التى طرحت، وقد كانوا يحاولون التوصل إلى أسوأ الآراء وأشرها.. إن أصوب الآراء وأحسنها عندهم، هو الرأى الذى يكون فيه القضاء على محمد ﷺ وعلى دعوته، فى أى صورة من الصور.

ولاغرو فهم لن يرتضوا رأيا يكون فيه أدنى بارقة أمل، يحتمل أن يكون فيه نجاة لمحمد من الأذى الذى يريدونه له، ويتمنون أن يوقعوه به.

لم يرض إبليس اللعين عن رأيين طرحا فى بدء الاجتماع، والرأيان هما: الطرد أو الحبس.. وأبدى ما فيهما من خطأ وسوء عاقبة.. وكان إبليس اللعين قد حضر ليشهد هذا الاجتماع، فى هيئة شيخ قادم من نجد - كما زعم لهم - وأنه سمع بهذا الاجتماع بشأن محمد فأحب أن يحضره لأهميته.

تحدث عدو الله البشرى أبو جهل، ذلك لأن إبليس عدو الله الجنى، أما أبو جهل فهو عدو الله من البشر، فماذا قال أبو جهل اللعين؟!.

قال: فلنقتله، فلنجمع من كل قبيلة شابا فتياً، ولنعط كل شاب منهم سيفاً صارماً، وليقفوا جميعاً حول بيت محمد، يتربصون له، فإذا خرج من بيته، انقضوا عليه جميعهم، فأعملوا فيه سيوفهم، كضربة رجل واحد، فإذا فعلوا ذلك، تفرق دمه فى القبائل جميعاً.

حينئذ لا يستطيع بنو عبد مناف محاربة كل قبائل العرب، فمن ثم سوف يقبلون دية محمد.. وهذا لعمر الله سوف يكون يسيراً علينا.. فماذا تقولون فى هذا الرأى يا قوم؟!.

يالله!! لقد هتف الشيخ النجدى - إبليس - مهللا إعجاباً برأى عدو الله أبى جهل فقال مخاطباً جميع الحاضرين: القول ما قال الرجل، هذا الرأى لا رأى غيره، فعليكم به أيها القوم.. نفذوه بحزم إن أردتم الفوز والخير لأنفسكم.

مقطع رقم ١٨٣ جـ ٢
عليٌّ بن أبى طالب فى فراش رسول الله

١ القومُ بعد مُشاوراتٍ أيَّدوا رَأْيَ[١] اللعين
٢ قَتْلُ النبى محمدٍ، هو رَأْى كُلِّ المشركين
٣ رأىٌ خبيثٌ مِن عدوِّ الله رأسِ الحاقدين
٤ إبليسُ هلَّلَ مُعجباً بالرأى دُون الحاضرين
٥ جمعوا مِن الفِتيان مِن كلِّ القبائل[٢] غاضبين
٦ وقفوا جميعاً حول بيتِ محمدٍ مُتربصين
٧ أسيافُهم مصقولةٌ، للقتل كانوا عَازمين
٨ يَبْغُون قتلَ محمدٍ خَيْرِ الخليقة أجمعين
٩ لكنّ ربَّ العرشِ أبطل كيدَهم مُتجمِّعين
١٠ جبريلُ جاء إلى الرسول بأمر رب العالمين
١١ أوحى إليه بِكلِّ تدبير الرجال المفسدين
١٢ أوحى إليه .وقال: هاجِرْ والتحق بالمؤمنين
١٣ هذا علىٌّ فى فِراش المصطفى كالنائمين
١٤ وعليه بُرْدُ محمد[٣] لم يَخْشَ بطشَ الظالمين
١٥ الواقفون رَأَوْه ظنُّوا أنه الصيد[٤] الثمين

---

(١) أيدوا رأى اللعين – هو أبو جهل عدو الله.

(٢) من كل القبائل غاضبين – ملأوهم حقداً على محمد حتى أغضبوهم.

(٣) وعليه برد محمد – قد تغطى به.

(٤) ظنوا أنه الصيد الثمين – ظنوه محمداً.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٨٣ جـ ٢

هانحن لا نزال مع صحبة الأشرار الحاقدين، المجتمعين للكيد لمحمد ﷺ ولدعوته، ونوقشت الآراء التى طرحت، وكان آخرها رأى عدو الله أبى جهل.

وقد هلل إبليس إعجابا برأى أبى جهل، وأثنى عليه وقال: هذا هو الرأى الصواب فعليكم به.

صار القوم يتشاورون، يناقشون رأى أبى جهل فيما بينهم، وبعد حوار وجدل طال، استقر رأيهم على تأييد رأى عدو الله أبى جهل، وهو ينص على قتل محمد ﷺ.

هذا الاقتراح يقرر فى تفاصيله، أن يجمعوا عددا من الشباب الممتلئين فتوة وشبابا، ممن ملئت نفوسهم عداء وغضباً على محمد ودعوته.. وليكونوا من كل القبائل، فيقومون بتلك المهمة الخطيرة.. مهمة قتل محمد عليه الصلاة والسلام، يريدون أن يطفئوا نور الله فى الأرض، قاتلهم الله، ولكن الله عز وجل متم نوره.

وفعلا لقد جمعوا من كل قبيلة شابا فتياً، وأفهموهم بأن محمداً هذا، هو عدوهم وعدو معبوداتهم التى وجدوا آباءهم وأجدادهم يعبدونها، وأعطوا كل واحد منهم سيفاً صقيلا.

وقف الجميع حول بيت رسول الله يترصدون خروجه، فإذا ما خرج انقضوا عليه جميعهم، فضربوه بأسيافهم ضربة رجل واحد.

وبينما كان الأوغاد يتآمرون على إطفاء النور الذى جاء ليضيىء ما أظلم من جنبات الجزيرة العربية، بله ما أظلم من نفوس أهلها، جاء الأمر لرسول الله من مولاه العظيم، لا تنم فى فراشك هذه الليلة، وهاجر لتلحق بأصحابك الذين سبقوك إلى يثرب.

فقال رسول الله لعلى بن أبى طالب: نم على فراشى، وتسجّ ببردى الحضرمى الأخضر، فنم فيه، فإنه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم، ونام علىٌّ كما أمره رسول الله، فلما رآه المشركون نائما ظنوه رسول الله.

مقطع رقم ١٨٤ جـ ٢

رسول الله يخرج من بيته ليلا

١ الفِتْيـةُ الأوغـادُ جُنْـدُ الشر ظلُّـوا واقـفين
٢ من حول بيت محمد وقفوا جميعاً ساهرين
٣ هُم يَرقُبون خروجَه فى هَدْأة الليل[1] السَّكين
٤ إن يخرجْ انقضوا عليه بِضربـةٍ مُتوحِّديـن
٥ كى يقتلُوه جميعُهم يا بِئس قوماً قاتلين
٦ كى يُطْفِئوا النورَ[2] الذى يَهْدى الحيارى التائهين
٧ ولسانُ حالِ محمدٍ فى ذِكر ربِّ العالمين
٨ إشراقـةُ الإيمانِ تَهْـدى قَلْبَه نَحْـو[3] اليـــقين
٩ مِن بيته خرجَ النبىُّ يردِّد الذِّكـر المبين
١٠ مِن مُبتـدَا ياسين[4] حتىَ قولـه «لايبصرون»
١١ وضع الترابَ على رُءوس الواقفين الراصدين
١٢ القومُ قدْ كانوا وُقوفاً فى عِداد النائـمين
١٣ فأتى لبـيت صديقـه[5] ورفيـقِ رِحْلتـه الفـــطين
١٤ قال الرسول له: فهيّا قد عَزَمْنا راحلين
١٥ الأمرُ جاءَ مِن الإله لكى نُهاجِرَ مُسْرعين
١٦ كى نَلحقَ الأحبابَ صَاروا فى المدينة نازلين

---

(١) فى هدأة الليل السكين – الساكن الهادىء.

(٢) كى يطفئوا النور – نور النبوة.

(٣) نحو اليقين – للحق والصواب.

(٤) من مبتدا ياسين – سورة ياسين.

(٥) صديقه – هو أبو بكر الصديق.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٨٤ جـ ٢

لقد وقف الفتيان الذين كلفوا بمهمة قتل محمد ﷺ، وقفوا حول بيته بسيوفهم المصقولة يرصدون لحظة خروجه، لينقضوا عليه بسيوفهم جميعاً، فمن ثم تنتهى متاعبهم كما يتصورون، وتصفو لهم الحياة بعد كدر كما يزعمون، حدث هذا كله فى الليلة التى قرر فيها رسول الله أن يخرج مهاجراً كما أمره ربه عز وجل.

ومادرى هؤلاء الأوغاد بأنهم حينما قرروا قتل محمد، فإنما قرروا قتل كل أديان السماء، ذلك لأن الأديان كلها ممثلة فى دين الإسلام، ومحمد ﷺ هو نبى الإسلام، وخاتم لكل الأنبياء والرسل.. ولكن الله عز وجل عصم رسوله من أن تناله أيدى المتآمرين.

إن محمداً جاء من الله بالنور ليضيىء الطريق أمام مسيرة الحياة، ويعيد الأمن والطمأنينة إلى الدنيا بأسرها، بعد أن روعت على أيدى الطغاة من الملوك والقياصرة الذين استعبدوا بنى الإنسان.

وبينما كان جند الشر واقفين حول بيت رسول الله، يتحفزون لقتله، كان هو فى حالة صفاء روحى، يناجى مولاه العظيم، ولا غرو فمن كان هذا حاله، فإنه بلا شك لا يخشى أحداً من الناس.

وبما فى قلب محمد من إيمان ونور، فإنه بلا شك مهتد، ولا يفعل الا ما فيه الهداية، ولا يخطو قدمه خطوة واحدة إلا على طريق الهداية، فمن ثم قرر الخروج من بيته متوكلا على الله.

لقد خرج رسول الله من بيته وهو يردد قول الله عز وجل «يس والقرآن الحكيم. إنك لمن المرسلين – إلى قوله – فهم لا يبصرون».

الواقفون كلهم لم يروا رسول الله حين خروجه، لقد ضرب الله على أبصارهم فأخذ رسول الله حفنة من تراب فى يده، فوضع على رأس كل واحد من الواقفين شيئاً من التراب، وتوجه فوراً إلى بيت صديقه أبى بكر الصديق، فقال: هيا ياأبا بكر، فإن الله أمرنى أن أهاجر لنلحق بالأحباب فى يثرب.

مقطع رقم ١٨٥ جـ ٢
رسول الله وصاحبه فى غار ثور

١ أمّا أبو بكرٍ فكان مُهيَّئا منذُ الظهيره
٢ فلقد أعدَّ الناقتين لِرحْلة الأمل الشهيره
٣ قد كان يرجو صُحْبةَ الهادى ولو كانت[(١)] عسيره
٤ رَكِب الرسول لِناقةٍ، وصديقُه ركِب الأخيره
٥ واستأجرا رجلًا خبيراً يسلك الدرْب[(٢)] الوعيره
٦ اسم الخبير، ابن الأريْقط، مُشْرِكٌ حفِظ السريره
٧ لا لم يَبُحْ بالسرِّ رغم المغرياتِ غَدْت[(٣)] مُثيره
٨ كان الرسول لديه كلُّ ودائع القومِ الخطيره
٩ أبقى عليّاً خلفه لِيردَّها كانت كثيره
١٠ خرج النبىُّ ومعْه صاحبه لقد أمسى وزيَره[(٤)]
١١ فى غار ثورٍ يختفى الاثنان عَن عَيْنٍ بصيره
١٢ واستيقظ الأوغادُ بعد خروج أحمد للمسيره
١٣ عرفوا بأن محمداً قد فاتهم، زَيْنَ العَشيره
١٤ فتلاوموا وتشاتموا قدْ كانت البلْوى كبيره
١٥ المشركون تتَّبعوا الآثارَ من دَرْبٍ قصيرة
١٦ وصلوا لِبابِ الغار كان مُحمدٌ يدعو نصيره[(٥)]

---

(١) ولو كانت عسيره – برغم ما فيها من خطر.

(٢) يسلك الدرب الوعيره – الطريق بين الجبال والوديان.

(٣) المغريات غدت مثيرة – جعلت قريش مائة ناقة لمن يخبر عن محمد.

(٤) أمسى وزيره – يؤازره وهو موضع ثقته.

(٥) يدعو نصيره – يدعو ربه.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ١٨٥ جـ ٢

لقد خرج رسول الله ﷺ من بيته الذى كان محاطاً بالأعداء الذين يرصدون لحظة خروجه ليقتلوه، وتوجه فورا إلى بيت صديقه المخلص أبى بكر الصديق، تحفه عناية الله.

كان أبو بكر قد أعد نفسه لتلك المفاجأة الغالية، فقد كان يمنى نفسه بصحبة رسول الله فى رحلته الخالدة مهاجراً إلى المدينة المنورة.. وكان قد أعد ناقتين لتلك الرحلة، إحداهما لرسول الله، والأخرى له.. وفعلًا لقد ركب رسول الله على إحدى الناقتين، بعد أن أصر على أن يدفع ثمنها، وركب أبو بكر على الأخرى.

وقد استأجرا رجلًا خبيراً بالصحراء، عارفاً بطرقها ومساربها، وكان مشركا وبرغم أنه كان مشركا، فقد كتم خبرهما عن قريش، ولم يبح بالسر برغم المغريات التى يسيل لها لعاب الطامعين، من ذوى النفوس الضعيفة.

ولا غرو فقد كانت قريش معلنة عن مائة ناقة، مكافأة لمن يأتى بمحمد حياً أو ميتاً، أو يخبر عن المكان الذى يختبىء فيه محمد ﷺ.

وهذا بلا شك أكبر دليل على أن من النفوس نفوساً كبارا، تأبى أن تتنازل عن عزتها أمام الماديات، أو تأتى صغائر الأفعال، ويحضرنى فى هذا المقال حديث رسول الله فى صحيح البخارى مامعناه «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة» خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا.

حينما خرج رسول الله من بيته، أبقى عليا خلفه، ليرد الودائع الكثيرة التى كانت عنده لأصحابها المشركين.

خرج رسول الله وصاحبه أبو بكر، وتوجها معا بادئين رحلة الخلود، فوصلا إلى غار ثور، وفيه كمن الاثنان مختفيين عن عيون الأعداء.

وهناك استيقظ جند الشر الذين كانوا محيطين ببيت رسول الله ليقتلوه، فوجدوا التراب على رءوسهم، فتلاوموا، لكنهم طاروا مسرعين يتتبعون الآثار إلى أن وصلوا إلى فم غار ثور، وكان رسول الله آنذاك يناجى ناصره ومولاه.

مقطع رقم ١٨٦ جـ ٢

المشركون على باب غار ثور

١ في غار ثَوْر يختفي الصدِّيق والهادي الأمين
٢ عَن أعينِ الأعداءِ لما أدْركوهم لاحِقين
٣ وقفوا حيارىَ عِند بابِ الغارِ صاروا ذاهلين
٤ قد أنزل الله السكينة[1] في قُلوب الخائفين
٥ جاءتْ جنودُ[2] اللهِ يحمْون الرسالةَ مُسْرعين
٦ فوْراً لقد باضَ الحمامُ لكي يُضيلَّ المعتدين
٧ والعنكبوتُ بدا كأنّ له مِئاتٍ مِن سنين
٨ وشُجيْرةٌ تنمو فصار الكلُّ جُنْداً مُخْلِصين
٩ قد سُدَّ بابُ الغار مِن جُندٍ أتَوْا مُتطوِّعين
١٠ جاءوا بأمرِ اللهِ كانوا للأوامر طائعين
١١ أما أبو بكرٍ فكان يخافُ بَطْشَ الظالمين
١٢ ويقولُ للهادي: فِدَاك أبي وأهلي أجمعين
١٣ نَفْسي فِداؤك يارسولَ الله دُون العالمين
١٤ لكِنْ رسولُ اللهِ، يُشْعِرُه بأمْن[3] الآمنين
١٥ ويقول: لا تحزنْ فإن الله[4] معنا عَنْ يقين
١٦ وعلا كلامُ اللهِ، ثُمَّ انحطَّ قولُ الكافرين

---

(١) السكينة – الطمأنينة.

(٢) جنود الله – الحمامُ والعنكبوت والشجرة من جند الله.

(٣) يشعره بأمن الآمنين – يطمئنه.

(٤) فإن الله معنا – البيتان ١٥، ١٦ من وحي الآية ٤٠ سورة التوبة

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٨٦ جـ ٢

فى غار ثور كمن المهاجران: رسول الله، وصديقه الصديق، يختفيان عن كل عين، لا سيما عيون مشركى مكة الذين يبغونهما شراً.. ولقد تتبع المشركون آثارهما، ووصلوا فعلا إلى باب الغار.

بيد أنهم حينما وصلوا إلى باب الغار، فوجئوا بما لم يكن فى الحسبان، لقد رأوا على باب الغار ما ثبط هممهم، وصرف أبصارهم، فى حيرة من أمرهم، فماذا رأوا؟! بعض جند الله جاءوا مسرعين-لحماية رسول الله، وحماية دين الله أيضا.. ولا غرو فرسالة الإسلام، هى الرسالة الخاتمة، وينبغى أن تظل وأن تسود، لكى تبلغ العالم أجمع، إذن فهى محفوظة بعناية الله.. وقد تمثلت عناية الله فى بعض جنده من خلقه وهم: الحمام، العنكبوت، الشجرة، هذه الثلاثة قاموا بأنبل مهمة، كجند مخلصين.

لقد أسرع الحمام فصنع عشاً فيه بيض، ورقد فوقه هادئا ساكنا لا يخاف زاجراً، فى حين أنه من الحمام الوحشى الذى يفر طائرا بمجرد رؤيته للإنسان على بعد، ولكنها إرادة الله وعنايته.

والعنكبوت أسرع ونسج شباكه على فم الغار، فبدا للناظرين كأنه منذ مائة عام فى هذا المكان.

وتشققت الأرض فوراً فنبتت شجرة، وتفرعت أغصانها، بحيث إنها حجبت باب الغار عن الأنظار.. ولنستمع إلى أنس بن مالك خادم رسول الله يروى لنا هذا.

«يقول أنس: ليلة الغار أمر الله شجرة فخرجت فى وجه النبى تستره، وأن الله بعث العنكبوت فنسجت، فسترت وجه رسول الله، وأمر الله حمامتين وحشيتين فأقبلتا تدفان حتى وقعتا بين العنكبوت والشجرة، وأقبل فتيان قريش من كل بطن منهم رجل، معهم عصيهم وقسيهم وهراواتهم» (١).

لقد كان أبو بكر فى تلك اللحظة بين الخوف والرجاء، يخشى أن تمتد يد السوء إلى رسول الله، فيقول: نفسى فداؤك يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فيقول رسول الله: لا تخف يا أبابكر فإن الله معنا.. وانتصر الحق فى شخص رسول الله، وانهزم الباطل فى شخص أعداء الله، وعلا كلام الله، وانحط قول أعدائه.

---

(١) الطبقات الكبرى جـ ١ وابن كثير جـ ٢ وزاد المعاد جـ ١.

مقطع رقم ١٨٧ جـ ٢

خروج رسول الله وصاحبه من الغار

١ المصطفى وصديقُه فى الغارِ عَن كلِّ العُيون
٢ نعمَ الصديقُ صديقُه، فهو الأمينُ فلا يخُون
٣ لَبِثا ثلاثاً مِن ليالٍ لا يَخافَان[١] المَنُون
٤ قد كان عبدُ الله[٢] يسمَعُ ما يقول المشركون
٥ فيجيىء لِلهادى بما قالوا: وما يتحدَّثون
٦ ويجيىء عامِرُ[٣] بَعْده معه الطعامُ فيأكلون
٧ وَيُقدِّم الألبانَ مِن أغنامه إذْ يَشْربُون
٨ ويُعفِّى الآثارَ حتَّى لا يراها المجرمون
٩ أسماءُ جاءتْ[٤] بالمؤونةِ، إنهم لمسافِرون
١٠ قَدْ مزَّقتْ[٥] لِنطَاقِها، إيمانُها فوق الظُنون
١١ من أجْلِ هذا سُمِّيت ذاتَ النطِاقين المصُون
١٢ ابنُ الأُريْقطِ قد أتى بَعْد الثلاثِ وفى سُكون
١٣ خرجَا مِن الغار الذى كان الحديثُ[٦] به شُجون
١٤ كان الدليلُ ابنُ الأُريقِط فى الطريق له فُنون
١٥ سلكَ الطريقَ الوعْرَ.. عنهم قَصَّر المتعجِّلون

---

(١) لا يخافان المنون – الموت.

(٢) كان عبد الله – هو ابن أبى بكر.

(٣) عامر – هو ابن فهيرة مولى أبى بكر.

(٤) أسماء جاءت بالمؤونة – أسماء بنت أبى بكر جاءت بزاد المسافرين

(٥) مزقت لنطاقها – حزامها لتربط أكياس الطعام.

(٦) كان الحديث به شجون – أى ذو شجون.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ١٨٧ جـ ٢

لقد كمن رسول الله ﷺ في غار ثور – كما أسلفنا – مختفيا عن أعين الأعداء، ومعه صديقه المخلص أبو بكر الصديق.

مكث الاثنان في غار ثور ثلاثة أيام كاملة ليلاً ونهاراً.. لم يخرجا خلال هذه الأيام الثلاثة من الغار مطلقاً.. في خلوتهما معاً كانا يتحدثان حديثا كله الإيمان والحكمة، وأمل وثقة في الله بنجاة من بطش طغاة قريش الذين فقدوا أعصابهم، لإفلات رسول الله وصاحبه من قبضة أيديهم.

لقد كان وراء نجاح هجرة رسول الله، وإفلاته من قبضة الأعداء، جنود مخلصون ثلاثة، هم ١ – عبدالله بن أبي بكر ٢ – عامر بن فهيرة مولى أبي بكر ٣ – أسماء بنت أبي بكر.

فأما عبدالله، فقد كان يتسمع الأخبار في مكة فيأتي بها إلى رسول الله، فيخبره عما يتحدث به كفار مكة عنه.. وتلك لعمر الله مهمة لها خطرها.. لأنه على ضوء تلك المعلومات رسم رسول الله خطة مواصلة رحلته الناجحة إلى يثرب.

وأما عامر بن فهيرة، فقد كان يحضر الطعام لرسول الله وصاحبه، ويقدم لهما اللبن من الأغنام التي يتولى رعيها، فيأكلان ويشربان، ثم بعد ذلك يجعل الأغنام تمشي فوق كل الآثار التي اتصلت بالغار فتخفيها، خشية أن يتتبعها الأعداء، فيصلون عن طريقها إلى معرفة مكان رسول الله وصاحبه، وهذه مهمة لها خطرها أيضا.

وأما أسماء ذات النطاقين، فقد كانت تأتي في المساء إلى الغار بشيء من الطعام وبما يصلحهما.. وسبب تسميتها بذات النطاقين، أنها ليلة خروج رسول الله وأبو بكر معه ليلة الهجرة، أعد لهما جراب فيه بعض الزاد، فبحثا عن شيء يربطان به الجراب فلم يجدا، فقطعت أسماء نطاقها فأوكت به الجراب، وقطعت قطعة أخرى فصيرتها عصاماً لفم القربة، بذلك سميت ذات النطاقين. «الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ١».

بعد ثلاثة أيام أمضاها رسول الله في الغار، جاءهما عبدالله بن الأريقط، الدليل الذي استأجره أبو بكر، وانطلق عامر بن فهيرة مصاحبا لرسول الله وصاحبه.. وقد سلك الدليل بهم طريقاً وعراً ليس معروفاً لأحد.. فلم يلقهم أحد، ولم يلحقهم أحد أيضا.

مقطع رقم ١٨٨ جـ ٢

سُراقة بن مالك يلحق برسول الله

١ فقدتْ قريشٌ رُشدَها، إذ فاتها الصيدُ الثمين
٢ فلقد تفجَّر غيظُهم من واقع الحقدِ الدفين
٣ قد أعلنوا جُعلًا(١) سخيًا مغريا للراغبين
٤ مِئةٌ من النوق العطاءُ لمن أتاهُم بالأمين
الجعلُ قد أغرى سُراقةَ مِثل كلٍّ الطامعين
٦ وعلى جواد سابقٍ قد طار يدفعه الحنين
٧ لما رأى ركبَ الرسولِ أتاه ظنٌّ(٢) الغانمين
٨ والنفسُ صارتْ بالأماني في حِساب الحاسبين
٩ وإذا الجوادُ(٣) به كَبا، طارتْ أماني الحالمين
١٠ ساخَتْ قوائمُه(٤) لِيعْجزَ عَن لحاقِ الرَّاحلين
١١ نادى على ركْب الرسولِ وقال: كونوا آمنين
١٢ لَكِن أناشِدُكم كِتاباً فيه أمْنٌ الخائفين
١٣ ولقد أردُّ القومَ عنكم إنْ أتَوْكُم لاحقين
١٤ حصل المغير(٥) على الكِتاب، وظل يُخْفيه السنين
١٥ مِن يومِها أمسى سُراقةُ في عِداد المسْلمين
١٦ والركْبُ واصل سَيْرهُ كانوا لِيثْربَ ذاهِبين

---

(١) جعلًا سخيا – جائزة كبيرة مكافأة.

(٢) ظن الغانمين – فكر في المكافأة السخية.

(٣) وإذا الجواد به كبا – تعثر الجواد.

(٤) ساخت قوائمه – غاصت أرجله في الأرض.

(٥) حصل المغير – هو سراقة.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ١٨٨ جـ ٢

لقد فقدت قريش رشدها، وغضبت كما لم تغضب من قبل، وذلك بسبب خروج رسول الله ﷺ، وإفلاته من قبضتهم، دون أن ينالوا منه شيئاً. لقد بحثوا عن رسول الله فى كل مكان، فلم يعثروا عليه، ولا على أدنى خبر عنه، فلما يئسوا من العثور عليه، أعلنوا عن مكافأة سخية لمن يأتيهم بمحمد حياً أو ميتاً، تلك المكافأة كانت مائة ناقة.

يالله !! مائة ناقة، إنها بحق مكافأة سخية مغرية، يسيل لها لعاب الطامعين.. فلا غرو أن تداعب تلك المكافأة السخية أحلام الكثيرين.. بيد أنها كانت الثمن لإحضار محمد حياً أو ميتاً أو الإبلاغ عن المكان الذى يختبىء فيه على الأقل.

وتطلع سراقة بن مالك بأحلامه وآماله إلى تلك المكافأة مثله كمثل الكثيرين الحالمين بها. فيقول سراقة:

فبينما أنا جالس فى مجلس قومى بنى مدلج، إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس. فقال: ياسراقة! إنى رأيت آنفاً قافلة صغيرة بالساحل، أظنها محمداً وأصحابه.. فعرفت أنهم هم.. فقلت للرجل: كلا فليسوا هم، ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا آنفا، ثم يقول سراقة:

فلبثت ساعة فى المجلس، ثم قمت فدخلت بيتى، فأمرت جاريتى أن تخرج بفرسى فتنتظرنى وراء الأكمة، فأخذت رمحى حتى أتيت فرسى فركبتها، فدفعتها تقرب بى حتى دنوت من ركب رسول الله.. وهنا تواردت الخواطر بأمل الحصول على المكافأة السخية فكانت أحلام يقظة.. وإذا فرسى قد تعثرت بى دونهم، فتبددت الأحلام وضاعت الآمال أو كادت.. فركبت فرسى ولحقت بهم حتى سمعت قراءة رسول الله وهو لا يلتفت، فساخت يدا فرسى فى الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، وأدركت حينئذ أن رسول الله ممنوع منى.. فناديتهم بالأمان، فوقفوا فجئتهم، ووقع فى نفسى أن سيظهر أمر رسول الله، وأخبرت رسول الله عن قريش والمكافأة وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآنى، فسألته أن يكتب لى كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب لى رقعة من أدم، ثم مضى رسول الله «جـ ٢ ابن كثير بتصرف».

مقطع رقم ١٨٩ جـ ٢
رسول الله عند أم معبد

١ الموكبُ الميمونُ واصلَ سَيْره يبغى الوصُول
٢ فى سُرعةٍ تحدُوه عَيْنُ اللهِ مِنْ وَغْدٍ جَهُول
٣ سلك الدليلُ بهم طريقاً ليس مِن طُرقِ[1] الأُصول
٤ قد كان يخْشى اللاحقين الظالمين ذوى الفُضول
٥ الجعْلُ يُغْرى الطامعين، وكلهم يرجو الحصول
٦ المشركون قلوبُهم نارٌ، لقد فقدوا العقول
٧ الركب جاء لأمِّ معْبد عندها كان النزول
٨ كانت تُقيم بِخَيْمَتيْها فى الطريق فلا[2] تحُول
٩ طلبوا طعاماً عندها كى يَشْتروه بلا مُطول
١٠ قالت: فما عندى طعامٌ إننى صِدْقاً أقول
١١ القحْطُ أذهبَ كلَّ شىء، جففتْ كلَّ الحقول
١٢ كانت هناك شُويهةٌ فى ظلِّ خَيْمتها تجول
١٣ عَجْفاءُ يبلو فى مُحيّاها هزالٌ فى خُمول
١٤ لا لحمَ فيها للطعام وضرْعُها أيضا ضَحُول[3]

---

(١) ليس من طرق الأُصول – سلك طريقا غير معروفة.

(٢) فلا تحول – لا تبتعد عن هذا المكان.

(٣) وضرعها أيضا ضحول – لا لبن فيه.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٨٩ جـ ٢

لا يزال الموكب الميمون يواصل المسير حثيثا، متجها صوب يثرب، فيتمنى الجميع لو أن لهم أجنحة يطيرون بها، متعجلين الوصول إلى يثرب حيث الأمن والأمان.

إن رسول الله ﷺ، أخذ بالأسباب، ثم توكل على الله، تحدوه عنايته، وتحفه رعايته.. أخذ الله بأبصار المشركين، فصرفهم عن اقتحام الغار أولًا، فكان حرياً أن يصرف أبصارهم عن رسوله خارج الغار ثانياً، بل ويثبط هممهم عن اللحاق به، ولا غرو فهو فى كنف الله وحمايته.

لقد سلك ابن الأريقط الدليل - طريقاً ملتوياً وعراً بين الجبال والوديان، بحيث إنه استطاع أن يجنب قافلة الإيمان كل خطر محتمل، لاسيما خطراً من قبل أهل مكة.

وللعلم، فالمكافأة التى أعلنتها قريش لمن يأتى لهم برسول الله حياً أو ميتاً، تغرى ذوى الأطماع والنفوس الضعيفة، وكلهم فى هذا سواء، فهم لا يفرقون فى كسب رزقهم، بين الحلال والحرام.. هذا فضلًا عن عدائهم وحقدهم على رسول الله، وتمنيهم الفتك به والقضاء عليه، مهما كلفهم ذلك من ثمن.

إذن فلو قدر لأحد منهم أن يأتى بمحمد، لأسعده ذلك مرتين: إحداهما، التشفى باطفاء نار الحقد التى تتأجج بين ضلوعه.. ثانيتهما، الحصول على المكافأة السخية.

وصل موكب الإيمان فى ظل رعاية الله، إلى مكان ما فى الصحراء.. فى ذلك المكان كانت تقيم امرأة من خزاعة، تسمى أم معبد، فأناخوا إبلهم قريباً من خيمتها، كى يستريحوا من عناء السفر الشاق، فاستقبلتهم أم معبد، بالبشر والترحاب.

طلبوا منها طعاماً يشترونه بالثمن، فلم يجدوا عندها ما يشترونه ثم قالت: لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى.. وإذا القوم مرملون مستنون، لقد أذهب القحط كل شيء، وجفف كل شيء.. جف الزرع والضرع.

كان فى ظل الخيمة شاة هزيلة عجفاء، لا لحم فيها لكي تذبح، ولا لبن فيها لكى تحلب.

مقطع رقم ١٩٠ جـ ٢

بركة رسول الله فى شاة أم معبد

١ قال الرسولُ لِأمِّ معْبد: عَن شُوَيهتها الهزيله
٢ هل تأْذنين بِحلْبها؟! قالت: فلسْتُ بها[١] بخيله
٣ لكنها لا حَلْبَ فيها، إنها شاةٌ نحيلـــه
٤ الضعْفُ أعْجزها فظلَّتْ عِنْد خَيْمَتِنا الظليله
٥ لَكِـنْ رسولُ الله حدّثها بألفــاظٍ قليلـه
٦ مِنْ قَوْلِهِ: هاتى إناءً يا ابنةَ القوْمِ الأصيله
٧ جاءتْ سريعاً بالإناء لِكَىْ ترى مِنْه الوسيله[٢]
٨ مسحَ الرسولُ لضرْع تلك الشاة قد كانتْ عليله
٩ وإذا بها تجترُّ بلْ درّتْ[٣] وقد كانتْ عويله
١٠ مِن درِّها ملأَ الرسولُ إناءه وكـذا[٤] مَثِيلـه
١١ وسقى جميعَ رِفاقِـه لبنـاً كمعْجـزة جليلـه
١٢ شرِب الرسولُ بُعيْدهم[٥] يا نِعْم سُنته الجميله
١٣ قد كان هذا مِنه درْساً، يَرْسُم الدرْب الطويله
١٤ ويعلِّم الدنيـا سُلوكـاً فِيـه أخـلاقٌ نبيلـه

---

(١) فلست بها بخيلة – لن أبخل بها.

(٢) لكى ترى منه الوسيلة – ترى ما سوف يفعله بالشاه.

(٣) بل درت – امتلأ ضرعاها باللبن.

(٤) وكذا مثيله – ملأ الاناء مرتين.

(٥) بعيدهم – تصغير بعدهم.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٩٠ جـ ٢

لقد نظر رسول الله ﷺ، فإذا شاة فى ظل خيمة أم معبد، فقال لها: ما هذه الشاة يا أم معبد؟! فقالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم، فقال رسول الله: هل بها من لبن؟! قالت: هى أجهد من ذلك.

فقال رسول الله ﷺ لها: أتأذنين لى أن أحلبها؟! فقالت: هى كما ترى أجهد من أن يكون فيها لبن، فقد تخلفت عن الذهاب للمرعى مع بقية الأغنام نظراً لهزالها وضعفها، ولست بخيلة بها لو كان بها شيء.

فأعاد رسول الله الحديث مع أم معبد فقال لها: هاتى إناء كى أحلبها فيه.

فأسرعت أم معبد بإحضار الإناء، لكى ترى ما سوف يفعله هذا الرجل الوضيىء الوجه، الحسن الهيئة فى تلك الشاة الهزيلة التى يصر على حلبها برغم هزالها، وعدم وجود قطرة لبن بها.

أخذ رسول الله الإناء من أم معبد، واعتقل الشاة كما يفعل كل من يمسك شاة ليحلبها، فمسح على ضرعها وذكر اسم الله، وإذا الشاة تجتر، وإذا ضرعها تسرى فيه الحياة فينتفخ.. فحلب رسول الله في الإناء ثجاً فامتلأ لبنا صافيا.

أعطى رسول الله أصحابه، فشربوا لبنا حتى تضلعوا رياً، وشربت أم معبد حتى رويت، وشرب الجميع عللا بعد نهل، وبعد أن شرب الجميع وارتووا، شرب رسول الله آخرهم.

بعد أن شرب رسول الله ﷺ قال: «ساقى القوم آخرهم شرباً».

وهكذا فإن رسول الله كان مُعلّماً للناس جميعاً، يعلمهم أمور دينهم، ويعلمهم محاسن الأخلاق.. وهاهو ذا فى هذا المقام يعلم الدنيا كلها أدب الضيافة.

ثم حلب فى الإناء مرة أخرى، حتى ملأه من الشاة الهزيلة وأعطاه أم معبد، فغادره عندها، وهموا بالرحيل إلى حيث يريدون.

مقطع رقم ١٩١ جـ ٢

أم معبد تروى لزوجها عن رسول الله

١ مِن بعد أن شربوا جميعاً كان هذا فى الهجير
٢ حلبَ الرسولُ الشاةَ ثانيةً مِن الدرِّ الغزير
٣ أعطى الإناءَ لأمِّ معبدٍ إنه أمرٌ مُثير
٤ عَن أمِّ معبدٍ لا تَسَلْ فى فِكْرها شُغْلٌ كبير
٥ فلقدْ رأتْ رُؤيا عيانٍ ذلك الأمرَ الخطير
٦ عن ذلك الرجل المبارك سمْتُه سمت[1] الأمير
٧ عَن شاتِها العجفاء تُحلَبُ، ذاك أمرٌ[2] كالنذير
٨ مسح المبارَكُ ضرْعها درَّت بمقدرةِ القدير
٩ المصطفى ورفاقُه همُّوا مواصلةَ المسير
١٠ كَى يبلغوا البلد الذى آوى الرسالةَ والبشير
١١ مِن بعد أنْ رحلوا أتاها الزوجُ بالغُنْم الكثير
١٢ لما رأى بإنائها لبناً تساءل فى[3] نكير
١٣ قالت: أتانا اليوم ميمونٌ له وجهٌ مُنير
١٤ قد مسَّ ضرْع شُويهتى جادت بما يكفى[4] النفير
١٥ إنى أُراه مباركاً، هو فى الرجال بِلا نظير
١٦ الزوج قال: صفيه لى، ذاك الطَّريد[5] من المصير

---

(١) سمته سمت الأمير – له هيئة الأمراء والملوك.

(٢) ذاك أمر كالنذير – تصورت ما رأته أنه مقدمة لأحداث هامة.

(٣) تساءل فى نكير – مستفهما عن مصدر اللبن.

(٤) بما يكفى النفير – الجماعة من الناس.

(٥) ذاك الطريد من المصير – الهارب من سوء المصير.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٩١ جـ ٢

كما أسلفنا فإن رسول الله ﷺ، بعد أن حلب شاة أم معبد الهزيلة، وسقى أصحابه وسقى أم معبد، وشرب هو، وعلّوا بعد نهل، وأعاد رسول الله حلب الشاة مرة ثانية فملأ الإناء ثم تركه عند أم معبد، وبعد ذلك ارتحلوا.

هذا كله حدث أمام أم معبد، رأت بعينى رأسها ما فعله رسول الله بشاتها الهزيلة العجفاء.

لقد سرحت أم معبد بخواطرها فى كل اتجاه، علّها تجد تفسيراً لما رأته بعينى رأسها.. فلم تهتد ولم تجد.

وأهم ما لفت نظرها، وأثار اهتمامها هو، أن الرجل الذى حلب شاتها الهزيلة، تبدو عليه سمات الأمراء والملوك، وربما أحسن من هذا ولم لا.

فلقد حلب الشاة العجفاء، إذن فهو رجل مبارك ما فى ذلك من شك، فكون الشاة الهزيلة الحائل تحلب لبنا ثجاً، فذلك أمر له خطورته، إنه يشبه الإرهاصات التى تسبق ظهور عظائم الأمور!!

وغادر رسول الله وصحبه ذاك المكان، وتركوا أم معبد مع خواطرها تذهب كل مذهب.. وتوجهوا قاصدين يثرب، إلى حيث ملتقى الأحباب، حيث البلد التى احتضنت الإسلام والمهاجرين، كالأم الرءوم، وانطلق الإسلام منها إلى كل الأرجاء، كالنور حينما يشع بين سحب الظلام، فيبدد فلوله، ويضيىء كل ما حوله.

بعد مغادرة رسول الله وصحبه المكان، وصل زوج أم معبد بأغنامه العجاف، بعد رحلة شاقة طوال يومه، بحثا عن الكلأ فى الشعاب والأودية، فلما رأى الرجل اللبن فى الإناء قال: ياأم معبد! من أين هذا اللبن؟!.

فليس فى البيت شاة حلوب، والشاة التى عندك هزيلة، فمن أين جاءك هذا اللبن؟!.

فقالت: لا والله، إنه مر بنا رجل مبارك. كان من أمره كيت وكيت، فقال: صفيه لى، فوالله إنى لأراه صاحب قريش الذى تطلب.

مقطع رقم ١٩٢ جـ ٢
وصول رسول الله إلى قُباء

١ قد واصلَ الهادى المسيرةَ نحو يثْرب لا يلين
٢ وصلوا مشارفَ يَثْرب وقُباء مرأى الناظرين
٣ الناسُ كانوا عارفين مجيىء خيْرِ المرسلين
٤ فى كلّ يومٍ يخرجون إلى اللقاء مُبكِّرين
٥ كَيْما يُلاقُوا المصطفى خَيْر الخليقةِ أجمعين
٦ مِن شِدة الحرِّ استظلُّوا مِن هجير[1] لائذين
٧ وإذا يهودى قد رأى لِلرّكب كانوا قادمين
٨ نادى بأعْلى صَوْتِه فى المسْلمين القابعين
٩ ياقومُ هذا[2] جدُّكم قوموا إليه مُكرّمين
١٠ فاستقبلوه بكلّ حُبٍّ، فهو خيرُ العالمين
١١ هذى قُباءٌ غرَّدت أرجاؤها للنازلين
١٢ فوراً أحاط الناسُ بالهادى وصاحبه[3] الفطين
١٣ لكنهم لم يعرفوا الاثنين[4] معرفةَ اليقين
١٤ وإذا أبو بكر يقومُ يُظلِّل الهادى الأمين
١٥ القوم قد عرفوا رسولَ الله كانوا جاهلين

---

(١) من هجير لائذين – لاذوا بالظل من شدة الحر.

(٢) هذا جدكم – هذا محمد الذى تنتظرون قدومه.

(٣) وصاحبه الفطين – كثير الفطنة.

(٤) لم يعرفوا الاثنين – كانوا لا يعرفون أيهما رسول الله وأيهما أبو بكر.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ١٩٢ جـ ٢

يواصل موكب الإيمان: رسول الله وصاحبه الصديق.. المسيرة متجهين صوب يثرب، بعزم صادق وصبر على مشاق السفر، والأمل يحدوهم فى غد مشرق بالأمانى، فى ظل الأمن والأمان، يعبدون ربهم لا يخافون أحدا.

وصل الموكب الميمون مشارف يثرب، وبدت قباء على بعد مرمى النظر.. وقد كان الناس فى كل أرجاء يثرب يعلمون بمقدم رسول الله ﷺ، ومن ثم فهم جميعاً ينتظرون مجيئه بفارغ الصبر، وكل يوم يخرجون خارج المدينة، يترقبون وصوله فوق الأشجار، وعلى الأعالى من الأرض.

فى يوم وصوله ﷺ إلى قباء، كان الجميع ينتظرون قدومه منذ الصباح الباكر، عربهم ويهودهم كعادتهم.. وطال انتظارهم حتى حميت الشمس، وكانت حرارة الشمس شديدة فى ذاك اليوم، بحيث لم يستطيعوا احتمالها، فلجأوا إلى ظل الأشجار والنخيل.

إلا أن أحد اليهود، كان شديد اللهفة لرؤية محمد ﷺ، ولم يكن مسلماً.. فظل فى حر الشمس لم يستظل كبقية الناس.

ولنستمع إلى رواية ابن اسحاق فى ابن هشام فيقول عن رواته الثقات:

«لما بلغنا مخرج رسول الله من مكة، وتوكفنا قدومه كنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حرتنا ننتظر قدوم رسول الله، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال، فإذا لم نجد ظلا دخلنا، وذلك فى أيام حارة.

حتى إذا كان اليوم الذى قدم فيه رسول الله، جلسنا كما كنا نجلس، حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا، وقدم رسول الله حين دخلنا البيوت، فكان أول من رآه رجل من اليهود، فصرخ بأعلى صوته يابنى قيلة، هذا جدكم قد جاء.

فخرجنا إلى رسول الله وهو فى ظل نخلة، ومعه أبو بكر فى مثل سنه، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله قبل ذلك، وركبه الناس – اجتمعوا حوله – وما يعرفونه من أبى بكر حتى زال الظل عن رسول الله، فقام أبو بكر فأظله بردائه، فعرفناه عند ذلك».

مقطع رقم ١٩٣ جـ ٢
هجرة على بن أبى طالب

١ أضحى علىٌّ سيدَ الفتيان بل بطلَ الفِداء
٢ لما تخلَّف فى فِراش المصْطَفى دُون[١] التـواء
٣ قد ضلَّل الأعداءَ لما أنْ تغطَّى[٢] بالرِّداء
٤ لم يَخْشَ مِن أسيافهِم أو ما يُكنُّوا من عَداء
٥ قد ظلّ أياماً ثلاثاً بعد خير الأنبيـــاء
٦ كانت لدى الهادى ودائعُ ردّها نِعْم الوفاء
٧ أدّى بحقٍ ما عليه من المهمة فى كَفاء[٣]
٨ من بعد ذلك طارِ فى إثر الرسول بلا وَناء
٩ مُتوجِّهاً صَوْبَ المدينة تاركاً أرضَ البلاء
١٠ صارتْ قباء سعيدةً بالمصطفى والأصفياء
١١ وأتى إليها سيدُ الفتيان عزماً فى مَضَاء
١٢ عن مسجد التقوى فذاك هو البداية فى البِناء[٤]
١٣ لا. شك أسَّسه رسولُ الله حين أتى قُباء
١٤ إن المساجد هم بيوتُ الله، هم صلة السماء
١٥ فيها تُقام شعائرُ الدِّين القويم بلا خفاء

---

(١) دون التواء – لا تردد ولا عصيان.

(٢) تغطى بالرداء – هو بُرد رسول الله.

(٣) فى كفاء – فى كفاءة وإدراك للمسئولية.

(٤) هو البداية فى البناء = أول مسجد بنى فى الإسلام.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٩٣ جـ ٢

وصلت قافلة الإيمان إلى قباء.. إنها قافلة الإيمان والنور والهداية، ولم لا، فهى تضم أكرم خلق الله على الله، إنه محمد ﷺ، ومعه صاحبه الصديق.. ولنترك رسول الله مع مستقبليه فى قباء، كى نلقى نظرة على مكة بعد أن تركها رسول الله، وترك بطل الفداء علياً نائما فى فراشه يفديه بنفسه.

نعم، لقد نام على فى فراش رسول الله، وهو يعلم أن المشركين قد ينقضون عليه بأسيافهم، فيمزقونه إرباً إرباً ظناً منهم أنه رسول الله.

يالله!! إنه لأمر يستحق الإعجاب حقاً، ولشدة إعجابى بعلى وقوة إيمانه أطلقت عليه لقبين اثنين أحدهما: سيد الفتيان. ثانيهما: بطل الفداء.. ولا أظن أن أحداً سبقنى إلى هذا.

لقد مكث على فى مكة ثلاث ليال بعد خروج رسول الله منها، فرد الودائع التى كانت عند رسول الله لأصحابها.. وبعد ذلك خرج من مكة فى خفة الشباب، يقطع الفيافى والقفار، يريد اللحاق برسول الله فى المدينة.

كانت قباء كلها فى سعادة احتفاء برسول الله ﷺ.. وفعلا لقد وصل على قباء قبل أن يبرحها رسول الله متجهاً إلى المدينة، حيث مقر إقامته ومنطلق دعوته.

فى قباء أسس رسول الله مسجد التقوى، وهو أول مسجد أقيم فى يثرب كلها، ولا غرو فالمساجد بيوت الله، فيها يعبد الإنسان ربه لا يخاف أحداً.. وهى بلا شك صلة الأرض بالسماء.

ذلك المسجد ورد ذكره فى القرآن الكريم، وقد أثنى المولى على الذين يرتادونه للصلاة فيه فقال عز وجل:

«لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين» آية رقم ١٠٨ سورة التوبة.

مقطع رقم ١٩٤ جـ ٢

رسول الله يُغادر قباء إلى المدينة

١ ترك النبيُّ قُباء بعد بِناء مسجده الجديد .
٢ أمضى بها أيامَ أرْبَع أشْبهت أيامَ عيد
٣ يوم الخميس رحيلُه منها، هو القولُ الأكيد
٤ وادى بنى عوفٍ غَدا بالمصطفى زاهٍ سعيد
٥ صلّى النبيُّ الجمعةَ الأُولى به، فهو [١]الشهيد
٦ وصلَ النبيُّ إلى المدينةِ، مَعْه صاحبُه الوحيد
٧ أهل المدينة كلُّهم ميلٌ إلى الخلُق الحميد
٨ كلٌّ يريد محمداً ضيفاً بإصرار عنيد
٩ كلٌّ يقول: هَلُمَّ عِندى، كلُّهم حبٌّ شديد
١٠ قد أمسكوا بِخطَام ناقته، وكلٌّ [٢] لا يحيد
١١ لكنها كانت تسير بأمر خلّاق العبيد
١٢ قد أخبرَ الهادى بهذا فهو ذو قولٍ سديد
١٣ قال: اتركُوها إنها مأمورةٌ أمْر المجيد
١٤ بَركَتْ بأرضٍ لليتامى، ثُمَّ مسجِده[٣] الفريد

---

(١) فهو الشهيد – الشاهد يوم القيامة .

(٢) وكل لايحيد – كل واحد منهم يريد رسول الله ضيفا عنده .

(٣) ثم مسجده الفريد – هناك مسجد الرسول الذى تشد الرحال اليه .

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٩٤ جـ ٢

لقد ترك رسول الله ﷺ قباء، بعد أن أسس فيها مسجد التقوى.. وقد أقام رسول الله فى قباء أربعة أيام، كانت أسعد أيام مرت على تلك المدينة فى تاريخها الطويل.

تضاربت الروايات فى المدة التي أمضاها رسول الله فى قباء.. ابن اسحاق فى سيرة ابن هشام – وهى عمدتنا فى هذا العمل – له روايتان، إحداهما تقول: أقام رسول الله بقباء أربعة أيام. كما أشرنا آنفاً، والثانية تقول: أقام ثمانى عشرة ليلة.

وفى رواية للبخارى تقول: أقام فيهم بضع عشرة ليلة، ورواية للواقدى تقول: أربع عشرة ليلة، وموسى بن عقبة قال: اثنتين وعشرين ليلة.. هذه الروايات، ساقها ابن كثير فى سيرته.

ويبدو أن رواية ابن اسحاق الثانية هى الأرجح، ذلك لأن معظم بل كل الروايات ترجح إقامة رسول الله بقباء فوق العشرة أيام.

عند رحيل رسول الله من قباء، أدركته الجمعة فى بنى سالم بن عوف، فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى – وادى رانوناء – فكانت أول جمعة صلاها رسول الله بالمدينة.

وصل موكب رسول الله إلى المدينة، فاستقبله أهلها الأنصار بالترحاب والشوق الشديد، وصاروا يتسابقون، كل منهم يريد أن يحظى بشرف نزول رسول الله ﷺ ضيفاً عنده.

وقف الرجال فى طريق الناقة التى يركبها رسول الله، كل يريد أن يأخذ بخطامها، فقال لهم رسول الله: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة» فخلوا سبيلها. حتى إذا أتت بنى مالك بن النجار، بركت فى مربد لغلامين يتيمين، ذاك المكان فيه أقيم المسجد.

مقطع رقم ١٩٥ جـ ٢

بناءُ مسجد رسولِ الله

١ لقد استناخت ناقةُ الهادى على أرض[١] النخيل
٢ تركَ الرسول[٢] لِظهْرها بعد المشقة والرحيل
٣ بركتْ على أرض اليتامى بَعد مِشْوار طويل
٤ الرَّحْلُ يأخذه[٣] أبو أيوبَ مِن أجل المقيل
٥ المصطفى مع صَحْبه يبنون مَسْجده الجليل
٦ هم يعملون ويرفعون الصوتَ بالرّجْز الجميل
٧ عمّار[٤] يحمل مِثْل حِمْل اثنين مِن حجرٍ ثقيل
٨ يشْكو لخير الخلق قال: سَيقْتلُونى يا خليل[٥]
٩ فيجيبه الهادى بقولٍ مُشْرق يشفى العليل
١٠ لا لن يكونوا قاتليك فذاك أمرٌ مُسْتحيل
١١ بل سوف يقتلُك البغاةُ بِغيرِ ذَنْب[٦] أو دليل
١٢ نزلَ النبىُّ على أبى أيوب، يا نِعْم النزيل
١٣ قد ظلّ ضيفاً عِنْده يَغْذُوه بالكرم الأصيل
١٤ بُنِيتْ مساكنُه ومسجدُه وفى وقْتٍ قليل

---

(١) أرض النخيل – هى المدينة المنورة.

(٢) ترك الرسول لظهرها – نزل عن ظهرها.

(٣) الرحل يأخذه أبو أيوب – هو رحل الناقة ومتاع رسول الله.

(٤) عمار – هو عمار بن ياسر.

(٥) يا خليل – منادى مضاف إلى ضمير محذوف – يا صديقى، يا حبيبى.

(٦) بغير ذنب أو دليل – لا دليل لديهم يوجب قتلك.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٩٥ جـ ٢

لقد بركت ناقة رسول الله ﷺ – كما أسلفنا – فى مربد – قطعة أرض – لغلامين يتيمين من بنى النجار، وقال معاذ بن عفراء لرسول الله: إنى سأرضى الغلامين، فهما يتيمان لى.

نزل رسول الله من على ظهر الناقة بعد رحلة شاقة مضنية، فوراً أخذ أبو أيوب الأنصارى متاع رسول الله، من على ظهر الناقة بعد نزول رسول الله عنها، وأبو أيوب اسمه خالد بن زيد، أخذ المتاع إلى بيته، وذلك كوسيلة لاستضافة رسول الله عنده.

أول شىء بدأ يفعله رسول الله منذ وصوله، بناء المسجد الشريف، فى المكان الذى بركت فيه الناقة لحظة وصوله ﷺ إلى يثرب.

بدأ رسول الله البناء، وصار أصحابه كلهم يتعاونون فى إقامته.. ويرتجزون بصوت جماعى، يثير النخوة وينشط الهمة على مواصلة العمل، كل واحد يحمل لبنة لتبنى فى جدار المسجد، وكان عمار بن ياسر يحمل لبنتين، ويقول لرسول الله: قتلونى يارسول الله، يحملون على مالا يحملون، ولنستمع إلى أم سلمة تروى هذه الرواية.

«قالت أم سلمة رضى الله تعالى عنها، كان رسول الله وأصحابه يبنون المسجد فجعل أصحاب رسول الله، كل واحد يحمل لبنة لبنة، وعمار يحمل لبنتين: لبنة عنه، ولبنة عن رسول الله، فمسح ظهره بيده الشريفة وقال: ابن سمية! للناس أجر ولك أجران، وآخر زادك من الدنيا اللبن.. وتقتلك الفئة الباغية»(١).

ظل رسول الله ﷺ فى بيت أبى أيوب، ضيفا مكرماً مدة الأيام التى استغرقت بناء مسجده ومساكنه أيضا.

لقد وجد رسول الله فى بيت أبى أيوب تكريما يليق به.. وتم بناء مسجده ومساكنه فى وقت قصير، وذلك بفضل تعاون الأصحاب.

---

(١) صفحة ٣٠٧ جـ ٢ ابن كثير.

مقطع رقم ١٩٦ جـ ٢

أبو أيوب يروى عن ضيافته لرسول الله

١ يروى الصحابيُّ الكريم عَن الضيافةِ للأمين
٢ ذاكم أبو أيوبَ كان مِن الرجال المؤمنين
٣ نزل الرسولُ بدارنا[١] السفلى. وكُنّا كارهين
٤ قلنا له: فلْتنزِلِ العليا نزولَ المكْرمين
٥ واتُركْ لنا السفلى نَكُنْ فيها بحق مُرتضين
٦ فأبى الرسولُ وقال: هذا رحمةٌ للزائرين[٢]
٧ أهلُ المدينة كلُّهم. صاروا بحق مُسْلِمين
٨ إلا قليلًا مِنْ رِجالِ الأوس ظلُّوا مُشْركين
٩ ألقى رسولُ اللهِ أولَ خُطْبةً فى العالمين
١٠ كانت مِن الخطبِ البليغةِ تُرْهِبُ[٣] المتجبِّرين
١١ قد صوّر الهادى عذابَ جهنَّم للسامعين
١٢ والخطْبةُ الأخرى فكانت للمحبَّة واليقين
١٣ وَعَن الحلالِ كذا الحرامِ ولا تكونوا كاذبين
١٤ وعلى الوفاءِ بعهدِ ربِّ العرشِ كُونوا عازمين
١٥ نِعْمَ الوصايا مِنْ رسولِ الله، للمُتَمسِّكين[٤]

---

(١) بدارنا السفلى – الطابق الأرضى.

(٢) رحمة للزائرين – كى لا يجد زائروه مشقة.

(٣) ترهب المتجبرين – الذين يتمثلون بالجبارين.

(٤) للمتمسكين – الحريصون على تعاليم دينهم.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٩٦ جـ ٢

خالد بن زيد، كنيته أبو أيوب، غلبت كنيته على اسمه.. ولنستمع إليه يروى لنا قصة نزول رسول الله ﷺ، ضيفا عنده فى منزله فيقول: كانت الأيام التى قضاها رسول الله فى بيتنا، أجمل وأسعد أيام حياتى.

فلقد نزل رسول الله بدارنا السفلى – الطابق الأول – فقلت له: يا رسول الله! إنى أكره أن أكون فى بيت يعلوك، فإنى أحب أن تصعد إلى الطابق الأعلى لأستريح، وأشعر بالرضا عن نفسى.. فقال رسول الله: يا أبا أيوب! إنه أرفق بنا وبمن يغشانا أن أكون فى الطابق الأول.

وأسلم أهل المدينة، أوسهم وخزرجهم، دخلوا فى دين الإسلام راضين غير مكرهين، إلا قليلا من رجال الأوس، تخلفوا فلم يبادروا بالدخول فى الإسلام كغيرهم.

وأول خطبة خطبها رسول الله فى المدينة، قال فيها بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله: أما بعد، أيها الناس! فقدموا لأنفسكم، تعلمن والله ليصعقن أحدكم، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع، ثم ليقولن له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه: ألم يأتك رسولى فبلغك؟! وآتيتك مالًا وأفضلت عليك، فما قدمت لنفسك؟!

فلينظرن يمينا وشمالًا فلا يرى شيئا، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم، من استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسلام عليكم.. وخطبة أخرى قال فيها بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله:

إن الحمد لله أحمده وأستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، إن أحسن الحديث كتاب الله، قد أفلح من زينه الله فى قلبه، أحبوا ما أحب الله، أحبوا الله من كل قلوبكم، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، واتقوه حق تقاته.. أ هـ مختصرا.

مقطع رقم ١٩٧ جـ ٢

كتابة العهد بين المسلمين واليهود

١ كتبَ النبيُّ العهدَ فيه حقوقُ كُلِّ المسلمين

٢ يتعاقلون على[١] الدِّماء وفى دِيات الغارمين[٢]

٣ يتعاونـــون لفكِّ عانيهم[٣]، وردِّ الظـــالمين

٤ ودماءُ كُلِّ المسلمين سواءُ، دون الكافرين

٥ والقتْلُ عمداً فيه قتْلٌ، نِعْمَ شرعُ المتقين

٦ أما ولىُّ دمِ القتيل ففى خيار[٤] الناظرين

٧ مَنْ يَرْضَ هذا العهدَ قطعاً ليس يُؤوِى[٥] المحْدثين

٨ أمــا اليهود فإنهم بالعهــد صاروا آمنين

٩ لاينبغى أن يخرجوا من دينهم كالمكْرهين

١٠ والمسلمـون مع اليهود لصدِّ كُلِّ المعْتدين

١١ إن المدينــةَ حِصنُهــم فَلْيمْنعُوهــا[٦] الهاجمين

١٢ هم أهلُها وجنودُها يحمونَهــا مُتضامــنين

١٣ والمالُ يُعْطيه اليهودُ كجزيــةٍ مُسْتسْلِــمين[٧]

١٤ يُعْطونها للمسلمين فَلَنْ يكونوا خائــفين

١٥ والحكْمُ فيما بينَهــم لله والهادِى الأمين

---

(١) يتعاقلون على الدماء – يعطون الديات فى القتلى.

(٢) وفى ديات الغارمين – الذين يتحملون المغارم.

(٣) عانيهم – أسيرهم.

(٤) ففى خيار الناظرين – إن شاء عفا وإن شاء اقتص.

(٥) ليس يؤوى المحدثين – الذين ارتكبوا جرائم فيها حدود شرعية.

(٦) فليمنعوها الهاجمين – يدافعون عنها ضد من أراد العدوان عليها.

(٧) كجزية مستسلمين – الجزية، مال يعطيه اليهود والمسيحيون للمسلمين لحمايتهم ورعايتهم ليعيشوا آمنين.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ١٩٧ جـ ٢

بعد الانتهاء من بناء مسجد رسول الله ﷺ ومساكنه أيضاً، كتب رسول الله كتابا بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم.. واشترط عليهم وشرط لهم، وهذه بعض فقرات ذلك الكتاب نثبتها للاستئناس بها.

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد النبى الأمى، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم، فلحق بهم وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم -- حالتهم التى جاء الإسلام وهم عليها -- يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين... الخ ثم قال:

وأنه من اعتبط مؤمنا قتلًا عن بينة، فإنه قَوَد به إلى أن يرضى ولى المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم الا قيام عليه، وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر محدثاً ولا يؤويه.. وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإن مرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد ﷺ.

وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يهلك إلا نفسه وأهل بيته ثم قال ﷺ:

وإن بين المسلمين واليهود، النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة.. وانه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار، فإن مرده إلى الله، وإلى رسول الله محمد ﷺ، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب، وانه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم... الخ.

مقطع رقم ١٩٨ جـ ٢
المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

١ آخىَ رسولُ الله بين مُهاجرين وناصرين
٢ صاروا جميعاً إخوةً فى الله كانوا مُخلصين
٣ هذا وهذا أصبحا أخويْنِ فى عهْدٍ متين
٤ ساداتُهم وعبيدُهم صاروا سواء[1] أجمعين
٥ بطلُ الفِداء[2] أخاً لخيرِ الخلْق خَتْمِ المرْسلين
٦ زيدُ بن حارثةَ وحمزةُ فى إخاءِ المؤمنين
٧ ومعاذُ صار[3] وجعفرٌ أخويْن لا مُتقابِلين
٨ أيضا أبو بكر وخارجةُ بنُ زيدٍ عنْ يقين
٩ عُتْبان والفاروق[4] صارا فى عِداد السابقين
١٠ وكذا زعيمُ الأوْس سعدٌ، قد تآخى[5] والأمين
١١ هذا ابنُ عوف ثم سعدٌ[6] فى إخاءِ الصادقين
١٢ صاروا جميعاً بالتآخى إخوة مُتوارَثين
١٣ قد قسّموا الأموالَ والسُكنى فكانوا مُرْتضين
١٤ نِعْمَ الرجالُ فإنهم نالوا جزاءَ الخالدين

---

(١) صاروا سواء — فى الحقوق والواجبات.

(٢) بطل الفداء — هو على بن أبى طالب.

(٣) ومعاذ صار وجعفر — هما معاذ بن جبل وجعفر بن أبى طالب وقد كان جعفر فى الحبشة.

(٤) عتبان والفاروق — هما عتبان بن مالك وعمر بن الخطاب.

(٥) قد تآخى والأمين — سعد بن معاذ تآخى مع أبى عبيدة بن الجراح فهو أمين الأمة.

(٦) ابن عوف ثم سعد — هما عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ١٩٨ جـ ٢

بعد أن كتب رسول الله ﷺ، العهد بين المسلمين بعضهم وبعض من ناحية، وبينهم وبين اليهود من ناحية أخرى.. بدأ رسول الله يؤاخي بين المسلمين: مهاجرين وأنصار.. في ظل ذلك التآخي تساوى المسلمون، في الحقوق والواجبات، لقد صاروا إخوة، والإسلام سوى بينهم لقوله عز وجل «إنما المؤمنون إخوة».

هذه الأخوة حكمها حكم أخوة النسب سواء سواء، يتشاركون في كل شيء في السراء والضراء، وفي الأموال يتوارثون أيضا.. ظل هذا الحكم ساريا بين المسلمين إلى أن نزل قول الله تعالى:

«وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله... الخ»[1]

بعد نزول هذه الآية الكريمة، صار الميراث قاصراً على أخوة النسب فقط، وأما سواه فلا.

في ظل ذلك التآخي صار علي بن أبي طالب، أخا لرسول الله ﷺ، وزيد بن حارثة مولى رسول الله، صار أخا لحمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسوله.. ومعاذ بن جبل صار أخا لجعفر بن أبي طالب، وكان جعفر غائبا في أرض الحبشة مهاجراً مع بعض المسلمين الأوائل.

وخارجة بن زيد صار أخا لأبي بكر الصديق، وعتبان بن مالك أخا لعمر بن الخطاب. وسعد بن معاذ زعيم الأوس، صار أخا لأبي عبيدة بن الجراح، الملقب بأشرف لقب في الإسلام «أمين هذه الأمة».

وسعد بن الربيع أخا لعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام أخا لسلمة بن سلامة بن وقش، وغيرهم: الكل صاروا إخوة متحابين، وقد شعروا جميعاً بالسعادة في ظل ذلك التآخي الذي بدد الوحشة من نفوس الكثيرين، لا سيما المهاجرين، وأحل محلها الأنس والود والحب.

صاروا يتقاسمون الأموال والسكنى في رضاء وحب، فنالوا بهذا خلود الذكر.

---

(١) جزء من الآية رقم ٧٥ سورة الأنفال.

مقطع رقم ١٩٩ جـ ٢

موت أبى أمامة أثناء بناء المسجد

١ مِن أول الأموات بعد وصول خيرِ العالمين (١)
٢ قد كان ذاك أبا أُمامة (٢) مِن خِيار المسلمين
٣ قد مات أثناءَ البناء لمسجد الهادى الأمين
٤ قد كان ممَّنْ بايعوه فى السابقين (٣) الأولين
٥ كَرِه النبى مماته فى ذلك الوقت الثمين
٦ سيكونُ هذا قالةً عِنْد (٤) اليهود المفسدين
٧ ومُنافِقى العربِ الذين يسودهم حقْد دفين
٨ سيكون قولُ الكلِّ مِنْهم شامتين وساخرين
٩ لو كان صاحبُه نبياً لَمْ يمتْ فى الميِّتين
١٠ لَكِنْ رسولُ الله يَبْرأ مِن مَقالِ المفْترين
١١ ويقول: إنى دون شكٍّ خاتمٌ للمرْسلين
١٢ لَكِنَّنى (٥) بشرٌ أمام مشيئةِ القدر المبين
١٣ قد قال قومُ أبى أمامة للنبى مُطَالبين
١٤ اجعلْ نقيباً غيرةَ مِنَّا نَكُنْ كالآخرين
١٥ قال الرسول: فإنكم أخوالُنا فى السابقين
١٦ أفلا أكونُ نقيبَكُم؟! قالوا: قَبِلْنا مُرْتضين

---

(١) خير العالمين — بعد وصول رسول الله للمدينة.

(٢) أبا أمامة — هو أسعد بن زرارة الذى استضاف مصعب بن عمير.

(٣) فى السابقين — هو أحد النقباء فى بيعة العقبة الكبرى.

(٤) قالة عند اليهود — مادة للتشنيع.

(٥) لكننى بشر — لا أملك لنفسى نفعاً أو ضراً.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ١٩٩ جـ ٢

الموت، هو الحقيقة التي لامراء فيها، وهو نهاية كل كائن حي في هذه الحياة الدنيا، فلا مفر منه، ولا معدى عنه.

كان أول من ذاق كأس الموت بعد وصول رسول الله إلى المدينة، هو أسعد بن زرارة، الملقب بأبي أمامة، ذلك الرجل الذى استقبل مصعب بن عمير داعية الإسلام الأول، الذى أرسله رسول الله ﷺ، يدعو أهل المدينة إلى الإسلام.. فأنزله في بيته، وظل ضيفاً عنده طيلة مدة بقائه، إلى أن أدى المهمة التي جاء من أجلها، وذلك قبل الهجرة إلى المدينة.

مات أبو أمامة، أثناء بناء المسجد النبوى الشريف.

تألم رسول الله لموته كثيراً، بل كره موته في ذلك الوقت بالذات، ذلك لأن اليهود سوف يطلقون الشائعات المغرضة فيقولون: إن محمداً شؤم على أصحابه، وسوف يساعدهم على ترديد شائعاتهم، بعض المنافقين، لذلك قال رسول الله في هذا المقام: «بئس الميت أبو أمامة.. ليهود ومنافقو العرب يقولون: لو كان محمد نبياً، لم يمت صاحبه، ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي شيئا» ٣٣٠ جـ ٢ السيرة النبوية لابن كثير.

وكان أبو أمامة واحداً من النقباء الاثنى عشر، في بيعة العقبة الكبرى، عن بنى النجار، ومن ثم فبموته صار بنو النجار لا نقيب لهم، فجاءوا إلى رسول الله فقالوا له: يا رسول الله!.

اجعل لنا نقيباً مكان أبي أمامة، فقال لهم رسول الله: أنا نقيبكم، وهذا نص الرواية.

عن عاصم بن عمر بن قتادة أن بنى النجار سألوا رسول الله أن يقيم لهم نقيبا بعد أبي أمامة فقال لهم: «أنتم أخوالي وأنا بما فيكم وأنا نقيبكم» وكره أن يخص بها بعضهم دون البعض.. فكان من فضل بنى النجار الذى يَعْتَدُّون به على قومهم أن كان رسول الله نقيبهم.

مرحلة جديدة فى عمر
الدعوة الإسلامية

اليهود ومؤامراتهم وشائعاتهم

مقطع رقم ٢٠٠ جـ ٢

الأذان للصلاة بدايته وكيفيته

١ المسلمون قد استقرُّوا فى المدينةِ مِن عَناء
٢ والوحْىُ لا ينْفك(١) للهادى نُزولًا وارْتِقاء
٣ الأمرُ أُنزِلَ بالصيام وبالزكاة مِن السماء
٤ المسلمون أهمَّهُم لِصلاتِهِم كيْفَ(٢) اللقاء؟!
٥ كانوا يُصَلُّون الصلاةَ بِلا أذان أو نِداء
٦ هذا ابنُ(٣)زيدٍ قد رأى فى النوم رُؤْيا الأتقياء
٧ رَجُلًا يُعلِّمه الأذانَ كذا. الإقامةَ فى وَلاء
٨ جاء ابنُ زيدٍ أخْبرَ الهادى سريعاً لا(٤)وَناء
٩ قال النبىُّ فَتِلْك رُؤيا الصِّدق ما فيها مِراء
١٠ هيا فَعلِّمها بِلالًا صوتُه فِيه(٥) الصفاء
١١ نادى بِلالٌ بالأذان، فَنِعْم صوتُ الأوفياء
١٢ الصوتُ يطرقُ سمْع عُمر جاء يرفل فى الرداء
١٣ ويقول: جِئْتُ بمثل هذا يا إمامَ الأنبياء
١٤ قال النبىُّ: فإنَّ جبريلَ الأمينَ(٦) بِذَاك جَاء

---

(١) لا ينفك — مستمر الصلة برسول الله.

(٢) كيف اللقاء — ماالوسيلة لجمعهم لصلاة الجماعة؟!.

(٣) ابن زيد — هو عبد الله بن زيد الأنصارى.

(٤) لاوناء — دون تأخير.

(٥) صوته فيه الصفاء — صوته حسن وجميل.

(٦) جبريل الأمين بذاك جاء — جاءنى الوحى بالأذان قبلكما.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٠٠ جـ ٢

بوصول رسول الله ﷺ وصاحبه أبى بكرالصديق إلى المدينة مهاجرين ، تكامل المسلمون بها .

استقروا فى المدينة ، فلقد وجدوا فى أهل المدينة أهلًا لهم ، آووهم ونصروهم وأنزلوهم دورهم ، ومنحوهم ودهم .

لا ينفك الوحى الكريم يأتى بأخبار السماء إلى رسول الله ، ليتم شرع الله إلى الناس كافة .

فى العام الثانى للهجرة النبوية ، فرضت زكاة الفطر وصيام شهر رمضان ، وبعد ذلك زكاة الاموال .

لما شعر المسلمون بالأمن والاستقرار في المدينة ، بدءوايفكرون فى المزيد مما يصلحهم .. وقد كانوا يجتمعون فى مسجد رسول الله ، لصلاة الجماعة مع رسول الله ﷺ .

إلا أنهم لم يكن لديهم وسيلة تجمعهم فى أوقات الصلوات الخمس ، إذ كان الواحد منهم يتحين حلول وقت الصلاة بطريقته الخاصة فيجىء للمسجد .

وتحدث المسلمون بعضهم مع بعض بحثاً عن وسيلة يجتمعون بها لصلاة الجماعة مع رسول الله بالمسجد .. فذكروا أشياء .. قال بعضهم : البوق ، وقال آخر الناقوس ، ولم يهتدوا إلى رأى صائب ..

فى الصباح التالى ، جاء عبد الله بن زيد الخزرجى إلى رسول الله فقال له : يارسول الله ! رأيت فى النوم أن رجلًا مر وعليه ثوبان أخضران ، وفى يده ناقوس فقلت له : أتبيع هذا الناقوس ؟! فقال : ماذا تريد به ؟! فقلت أريد ابتياعه لأضرب به للصلاة لجماعة الناس ، فقال الرجل : أنا أحدثك بخير لكم من ذلك فتقول : « الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر .. أشهد أن لا إله إلا الله ... الخ » فقال رسول الله إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، فقم مع بلال فألقها عليه فليؤذن بها ، فإنه أندى صوتا منك ، فلما أذن بلال سمعه عمر بن الخطاب ، فيخرج من بيته يجر رداءه وهو يقول يارسول الله ! والذى بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذى رأى ، فقال رسول الله : « قد سبقك بذلك الوحى » .

مقطع رقم ٢٠١ جـ ٢

زعماء اليهود يحقدون على رسول الله

١ أما اليهودُ فإنّهم كانوا بِيثْرِب[١] راَغدين
٢ كانوا على عِلْمٍ بآخر[٢] مُرْسلٍ للعالمين
٣ هُو مِن يهود[٣] كان ذلك ظنهم مُتوهّمين
٤ لكنّ ربُّ العرشِ خيّب ظَنَّهم هذا يقين
٥ فاختاره مِن خيرِ أنساب الخليقةِ أجمعين
٦ فهو الرسولُ لِكُلِّ خَلْقِ الله خَتْمُ المرسلين
٧ حَقدُوا عليه وناصبوه عَدَاءَهم مُتحَامِلين
٨ ومنافقو الأنصارِ أيضا شَاركُوهم حاقدين
٩ هم أظهروا الإسلام لَكِنْ لم يكونوا صادقين
١٠ قد كان أحبارُ اليهود على الضلالة قادرين
١١ هم يسألون محمداً لَكِنْ سُؤالَ[٤] العانتين
١٢ الوحى كان يجيبُهم إذ ما أتوا مُتسائلين
١٣ ابنُ الحقيق كذا ابن أَخطبَ يسألون كَمُعْجزين
١٤ وكذا ابن أشْرف وابنُ شاسٍ فى عِداد المجرمين
١٥ أمّا ابن صورَى فهو رأس فى اليهود المُفْسِدين

---

(١) كانوا بيثرب راغدين — فى رغد من العيش فى المدينة.

(٢) بآخر مرسل للعالمين — بآخر الأنبياء.

(٣) هو من يهود — كانوا يعتقدون بأنه سيكون من اليهود.

(٤) سؤال العانتين — للتحدى والتعجيز.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٠١ جـ ٢

كان اليهود فى المدينة يحيون حياة الترف والرغد، فهم يمارسون مهنة التجارة، ولذا فقد كان اقتصاد المدينة فى أيديهم.. ولا غرو فهم أكثر أهل الأرض خبرة فى جمع الأموال، وبكل وسيلة ممكنة، دونما احتكام إلى خلق أو دين.

وهم أيضا أهل كتاب، إذن فقد كانوا بهذا سادة المدينة من حيث العلم، وعرب المدينة لا ينكرون هذا على اليهود، بل أقروهم على هذا عن رضى واقتناع.

هذا.. ولما كان اليهود أهل كتاب، فيهم الأحبار، ممن قرأوا الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء السابقين، فضلًا عن كتابهم التوراة، فقد كانوا يعلمون بأن نبياً سوف يبعث آخر الزمان، وهو آخر الأنبياء والرسل وخاتمهم.

بيد أنهم كانوا يظنون أنه سيكون من اليهود، ولم يتصوروا أن يكون من غير اليهود، فخيب الله ظنهم، واختاره من خير خلقه نسباً، من أشرف أبوين من بنى الإنسان على الإطلاق، وجعله خاتماً للأنبياء والرسل.. ودينه دين الناس كافة.. فلما تبين اليهود بأن محمداً بعث من العرب، وتأكدوا من نبوته، حقدوا عليه، وأنكروا نبوته، وناصبوه العداء، وقد كانوا قبل مجيىء رسول الله إلى المدينة مهاجراً يقولون للعرب:

سيظهر نبى آخر الزمان، وسوف نتبعه، وحينئذ نغلبكم إذا حاربناكم.. فلما وجدوه ظهر من العرب، أنكروه وجحدوه.. وهم الذين كانوا ينتظرون ظهوره، ولم يكن للعرب علم به إلا منهم.. فأنزل الله فيهم قوله:

«ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدقا لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين» آية رقم ٨٩ سورة البقرة.

وانضم لفريق المنكرين لنبوة محمد ﷺ، فريق آخر هم ممن أظهروا الإسلام وأضمروا خلافه، هم المنافقون من عرب المدينة.. وأحبار اليهود كانوا بلا شك أهل ضلال، فكم أضلوا من الناس، وسوف يكونون أئمة الضلال، وأئمة أهل النار، كانوا يسألون محمداً أسئلة معجزة، فيجيىء الوحى بالإجابة على أسئلتهم إلى رسول الله.

مقطع رقم ٢٠٢ جـ ٢

عبد الله بن سلام يُعلن إسلامه

١ قد كان عبدالله مِن خَيْرِ اليهود الصادقين
٢ قد كان ذَا عِلْم وكان يُريد مَعْرفة[١] اليقين
٣ يروى حكايته يقول: قرأتُ علمَ الأوّلين
٤ فعرفتُ اسم مُحمّد وصفاتِه فى المرسلين
٥ وزمانه فى أى وَقْتٍ قد يكونُ وأى حِين
٦ فَلبِثْتُ فى شَوْقٍ لرؤيته لِكَيْما أسْتَبين[٢]
٧ لما عَلِمتُ نزولَه بِقُباء ضِمْنَ النازلين
٨ كَبُرتُ شَوْقاً أن أراه بِلَهْفةِ المتعجِّلين
٩ فَوْراً غَدوْتُ لكى أراه فذاك خَيْرُ العالمين
١٠ بعد الحديث سألتُه، لَكِنْ سؤالَ العارفين[٣]
١١ فأجابنى بالصِّدق فوراً صرتُ ضِمْن المسلمين
١٢ ولأهل بيتى قدْ أتيتُ، فتابعونى مُرْتضين
١٣ سأل النبىُّ يهودَ عنّى أوْسَعُونى مادحين
١٤ عَلِموا بإسلامى فصاروا بعد مدْح قادحين[٤]
١٥ هم أهل بُهْتان وزور بِئْسَ قوماً كاذبين

---

(١) يريد معرفة اليقين – الحقيقة عن رسول الله.

(٢) لكيما أستبين – لأتبين ما أرجوه وأتصوره حقاً.

(٣) سؤال العارفين – أى كنت أعرف الجواب عن سؤالى.

(٤) قادحين – ذمونى بعد أن مدحونى.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٠٢ جـ ٢

هانحن الآن مع واحد من أحبار اليهود العلماء، وهو فى نفس الوقت سيد من ساداتهم، وشريف من أشرافهم، إنه عبدالله بن سلام.

هذا الرجل، وجد صفة رسول الله ﷺ فى التوراة، وعلم أنه سيكون خاتما لأنبياء الله ورسله، وأن رسالته عامة للناس جميعاً.

لذا فقد كان عبد الله بن سلام، يتطلع بشغف إلى معرفة الحقيقة، بل كان يتمنى لو أن الزمان يطوى سريعاً، ليظهر ذلك النبى الذى ينتظره بفارغ الصبر، فيسأله ويستمع إليه.. ولنستمع إليه يروى قصته:

قال: لما سمعت برسول الله، وعرفت صفته واسمه وهيأته، وزمانه الذى كنا نتوكف له، فكنت بقباء مُسِراً بذلك صامتاً عليه، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة.

فلما قدم، ونزل بقباء، فأقبل رجل بخبره وأنا فى رأس نخلة لى أعمل فيها وعمتى خالدة بنت الحارث تحتى جالسة، فلما سمعت خبر قدوم رسول الله كبرت، فقالت عمتى حين سمعت تكبيرى، لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادماً ما زدت!! فقلت لها: أى عمه، هو والله أخو موسى بن عمران، بعث بما بعث به، فخرجت إلى رسول الله فأسلمت، ثم رجعت إلى أهلى فأمرتهم فأسلموا جميعاً، وكتمت إسلامى عن اليهود، وقلت: يا رسول الله! إن اليهود قوم بُهت، وإنى أحب أن تدخلنى بعض بيوتك، فإذا جاءوا إليك فاسألهم عنى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامى، فإنهم إن يعلموا بإسلامى بهتونى وعابونى. أ. هـ مختصراً.

جاء اليهود إلى رسول الله، فقال لهم: أى رجل فيكم عبد الله بن سلام؟! قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال لهم: أرأيتم لو أسلم عبدالله؟! قالوا: أعاذه الله منك، فخرج عبدالله عند ذلك فأعلن إسلامه أمامهم، فقالوا: شرنا وابن شرنا وانتقصوه، فقال عبدالله: هذا الذى كنت أخاف يارسول الله.

مقطع رقم ٢٠٣ جـ ٢

رواية صفيَّة عن أبيها وعمها

١ تروى صفيّةُ عَن أبيها ذلك الرجل المكابر
٢ ذاك ابنُ أخْطبَ كان مِن بين اليهود ذوى[1] المآثر
٣ بل كان سيدهم وصاحبَ رأيهم وَغْدٌ وغادر
٤ قالت: عَلِمْنا مَقْدِمَ الهادى قُبْاء فى الأواخر[2]
٥ فغدا إليه أبى وعمٌى فى طُلوع الشمس باكر
٦ عرفاه جاء إلى الخليقة كلِّها مِن عِنْد قادر
٧ عادا إلينا فى غُروب الشمس مع ضَنْكٍ المسافر[3]
٨ لما رأيتُ أبى وعمىٌ قادمْين لدى البيادر[4]
٩ أسرعت كى ألقاهما، وهششْتُ فى فرح المسافر
١٠ تالله ما التفتا إلىَّ وفيهما هَمٌ[5] يُجاهـر
١١ فسمعت عمىٍّ سائلًا لأبى وكان له يحُاور
١٢ هل أنت تعرفُه؟! فقال: نَعَمْ ولستُ له بِناصر
١٣ إنى مناصبُه العداءَ مَدَى الحياة عداءُ[6] ساهر
١٤ هذا الحِوارُ سمعتُه، قد ظلَّ فى عُمْق الخواطر
١٥ واليوم أذكره ليعرفَه الأكابرُ والأصاغر

---

(١) ذوى المآثر — من ذوى الفضل والجاه والصيت.

(٢) فى الأواخر — آخر من قدم من المهاجرين إلى قباء.

(٣) مع ضنك المسافر — كانا متعبين من السفر.

(٤) لدى البيادر — أجران القمح والشعير.

(٥) وفيهما هم يجاهر — الهم يكاد ينطق على وجهيهما.

(٦) عداء ساهر — سوف أتربص له الشر ما حييت.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٠٣ جـ ٢

مما لاشك فيه، ولا يختلف عليه اثنان، لا فى المسلمين فحسب بل فى العالم كله، أن اليهود أهل حقد وحسد، فهم برغم تغنيهم أمام عرب المدينة بأنهم ينتظرون نبياً، سيكون خاتم الأنبياء والرسل، وسوف يتبعونه، وحينئذ ينتصرون عليهم به.. فلما ظهر محمد ﷺ، وتبين لهم أنه من العرب، كانوا يتوقعونه من بنى اسرائيل، فلم يتبعوه، وناصبوه العداء علماؤهم وسوقتهم.

ولنستمع إلى حديث صادق عن إحدى أمهات المؤمنين، هى صفية بنت حيى ابن أخطب زعيم كل اليهود فى المدينة فتقول:

لم يكن أحد من ولد أبى وعمى أحب إليهما منى، لم ألقهما فى ولد لهما قط إلا أخذانى دونه، فلما قدم رسول الله ﷺ قباء، غدا إليه أبى وعمى أبو ياسر بن أخطب مغلسين، فوالله ما جاءانا إلا مع مغيب الشمس.

قالت: فجاءانا فاترين كسلانين ساقطين، يمشيان الهوينى، فهششت لهما كما كنت أصنع، فوالله ما نظر إلى واحد منهما، فسمعت عمى أبا ياسر يقول لأبى: أهو هو؟! قال: نعم والله، قال: تعرفه بنعته وصفته؟! قال: نعم والله.

فقال: فماذا فى نفسك منه؟! قال: عداوته والله ما بقيت.

هذا لعمر الله أصدق حديث عن حقيقة اليهود.. إنهم فضلًا عما عرفوا به من الحقد والحسد، فهم يتنكرون للحق بعد معرفتهم له.. ولا غرو فالراوية هى صفية أم المؤمنين، بنت أكبر أعداء الله ورسوله.. ولم يزل على عدائه وحقده حتى ألبسه الله ثوب الذل والصغار، فقتل صبراً بين يدى رسول الله، يوم قتل مقاتلة بنى قريظة حين نقضوا العهد.

فتقول صفية: حينما سمعت أبى وعمى يتحدثان، عرفت حقيقة نيتهما تجاه رسول الله، وقد ظل هذا الحديث مختزنا فى ذاكرتى، وها أنذه أذكره اليوم للحقيقة والتاريخ ليعرفه كل من ينشد الحقيقة.

مقطع رقم ٢٠٤ جـ ٢

أسماء بعض منافقى الأنصار

١ جمْعٌ مِن الأنصار كانوا ظاهِراً فى المسلمين

٢ لكِنّهم قدْ نافقوا، هم إخوةٌ للكافرين

٣ الحرثُ والجلّاسُ كانا إخوةً فى الكاذبين

٤ مع نَبْتل بن الحرْث شيطانٍ عدوِ المؤمنين

٥ القولُ هذا قاله: جِبْريل والهادى الأمين

٦ وأبو حبيبة حاقِدٌ، ومعتّبٌ فى المفسدين

٧ ومجمّع ويزيدُ ثم أبوهُما فى الخاسرين

٨ زَيْدُ بنُ مالك مَعْ وديعةَ مع خُذَام الفاسقين

٩ هُمْ من بُنَاةِ المسجدِ[1] المشئوم كانوا مُجْرمين

١٠ وهناك ثَعْلبةُ بنُ حاطِب مَعْ أخِيه[2] الموسرين

١١ كانا ذَوا مالٍ كثير، فى عِداد[3] المانعين

١٢ مع مَرْبع الأعمى وطعْمة ثُمَّ قزْمانِ اللعين

١٣ وزعيمُهم قد كان عَبْدُ الله[4] ذو الإفك المبين

١٤ قد كان رأساً فى النفاق وفيه حِقْد الحاسدين

---

(١) المسجد المشئوم – مسجد الضرار.

(٢) الموسرين – الأغنياء.

(٣) فى عداد المانعين – مانعى الزكاة.

(٤) عبد الله – هو ابن سلول صاحب قصة الإفك حيث رمى عائشة بالزنى.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٢٠٤ جـ ٢

لقد ظهر النفاق في المدينة، والمنافقون بلا شك أكثر خطراً على المسلمين من أعدائهم عليهم.. ذلك لأن المنافقين موجودون بين المسلمين، لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم، وهم بحكم انتمائهم للمسلمين، يعرفون كل شيء عنهم، إذن فهم أقدر على إلحاق الضرر بالمسلمين.. لاطلاعهم على عوراتهم وأسرارهم.

والمنافقون كلهم من أهل المدينة، ممن لم يخالط الإيمان سويداء قلوبهم.. من هؤلاء المنافقين: زويّ بن الحارث، وجلاس بن سويد بن الصامت، وهو الذى قال حين تخلف عن رسول الله في غزوة تبوك: لئن كان هذا الرجل صادقاً، فلنحن شر من الحمُر، وفيه نزل قول الله تعالى:

«يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم و...الخ»[1]

فهو حين قالها الملعون: نقلها عمير بن سعد إلى رسول الله ﷺ، وحين سئل عن هذا، أنكر وحلف بالله ما قال، فنزل القرآن الكريم يكذبه.

ونبتل بن الحارث عدو الله، هو الذى قال فيه رسول الله: من أحب أن ينظر إلى شيطان، فلينظر إلى هذا.. والحارث بن سويد، وهو الذى قتل اثنين من المسلمين يوم أحد ثم لحق بقريش.

وأبو حبيبة بن الأزعر، هو ممن بنوا مسجد الضرار، وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير، وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من فضله لنصدقن.. ثم نكثا فنزل فيهما قوله تعالى: «ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لَنصدّقنّ... الخ»[2].

ومجمع ويزيد أخوه ووديعة بن ثابت وهم ممن بنوا مسجد الضرار، ووديعة هو الذى قال: إنما كنا نخوض ونلعب فنزل فيه قوله تعالى: «ولئن سألتهم... الخ»[3].

ومربع بن قيظى الأعمى. وهو الذى قال لرسول الله حين مر بجيشه في أرضه وهو متجه إلى أحد، لا أحل لك إن كنت نبيا أن تمر في حائطى.

وأخوه أوس هو الذى قال يوم الأحزاب: «إن بيوتنا عورة – فقال الله – وما هى بعورة إن يريدون إلا فرارا» آية: ١٣ الأحزاب.

وبشير بن أبيرق أبو طعمة سارق الدرعين وقزمان الذى قتل نفسه يوم أحد.. الخ.

---

(١) ٧٤ التوبة (٢) ٧٥ التوبة (٣) ٦٥ التوبة.

مقطع رقم ٢٠٥ جـ ٢
بعض اليهود أسلموا كذبا

١ ومن اليهود جماعةٌ قد أسلموا مُتظاهرين
٢ قد أسلموا لِلْكيْد لِلدِّين الجديد لخير دِين
٣ ابن اللُّصيْت(١) بغير شكٍ، ذاك شرُّ الفاسقين
٤ وهناك نُعْمانُ بنُ أوفى مع أخيهِ وآخرين
٥ ورفاعةٌ مع رافع، مع عمروٍ كانوا ظالمين
٦ هُمْ يَجلسون ليسمعوا لحديثِ خَتْم المرسلين
٧ يتسمَّعون(٢) حديثه كَيْ يسْخَروا بالمسْلمين
٨ المصْطَفى لما رآهم حولَ بعضٍ جالسين
٩ يتحدثون ويُخْفِضون رُؤوسَهُم مُتَهامِسين
١٠ عرف الحقيقةَ أنهُم كانوا بحقٍ ساخِرين
١١ أمر الرسولُ بِطَرْدِهم، والصحْبُ كانوا سامعين
١٢ قال: اطْرُدُوهم إنهُم لاخيرَ فِيهم عَنْ يقين
١٣ فَوْراً أبو أيوب قامَ وكان ذا عَزْم متين
١٤ وجماعةٌ(٣) قَدْ عاونوه فأخرجُوهم كارهين
١٥ قدْ نفَّذوا أمرَ الرسولِ فَنِعْمَ قوماً مُؤمنين

---

(١) ابن اللصيت – هو زيد أحد مشاهير اليهود.

(٢) يتسمعون حديثه – حديث رسول الله.

(٣) وجماعة قد عاونوه – جماعة من المسلمين أخرجوا اليهود من المسجد.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٠٥ جـ ٢

كل فساد فى الأرض إذا ما بحثت عنه وعن مصدره، فسوف تجد وراءه يهوديا أو أكثر، وقد كان رسول الله ﷺ، يعلم تلك الحقيقة عنهم، فمن ثم أخذ حذره منهم، وحذر أصحابه من كيدهم ودهائهم.. ومن أجل ذلك كان أول شيء فعله رسول الله، منذ أن وصل إلى المدينة مهاجراً، أن كتب عهداً عاهد فيه اليهود، وجعلهم مع المسلمين يداً واحدة فى الدفاع عن المدينة.

بيد أنهم كما هى طبيعتهم، لم يكفوا عن الدسّ، ومحاولة صرف المسلمين عن دينهم، وتشكيكهم فيه، ومحاربة رسول الله فى كل ميدان، وفى شتى الصور!!.

من هؤلاء الملاعين، زيد بن اللصيت، هو الذى قال حين ضلت ناقة رسول الله: يزعم محمد أنه يأتيه الخبر من السماء، وهو لا يدرى أين ناقته، فقال رسول الله حين بلغه هذا القول: والله ما أعلم إلا ما علمنى الله، وقد دلنى الله عليها، فهى فى الشعب، قد حبستها شجرة بزمامها، فذهب رجال من المسلمين، فوجدوها كما قال رسول الله.

ونعمان بن أوفى، وعثمان أخوه ورافع بن حريملة، وهو الذى قال فيه رسول الله يوم موته: قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين.

ورفاعة بن زيد، هبت ريح شديدة يوم موته، فقال رسول الله: إنها هبت لموت عظيم من عظماء الكفار، وذلك مرجعه من تبوك.

هؤلاء وغيرهم ممن أسلموا كذبا، من اليهود أو العرب، كانوا يحضرون فى مسجد رسول الله، ويسمعون أحاديث رسول الله، وأحاديث المسلمين، ويسخرون ويستهزئون بدينهم، فاجتمع فى المسجد منهم يوما أناس كثير، فرآهم رسول الله يتحدثون فيما بينهم، خافضى أصواتهم، قد لصق بعضهم إلى بعض، فأمر بهم رسول الله، فأخرجوا من المسجد إخراجا عنيفا.

لقد قام أبو أيوب وعمارة بن حزم، وأبو محمد مسعود بن أوس وآخرون من المسلمين، فأخرجوا كل من أمر رسول الله بإخراجهم بقوة وعنف.

مقطع رقم ٢٠٦ جـ ٢
فئات تحدثت عنهم سورة البقرة

١ يتحدَّث القرآنُ عَن بعض الفِئات مِن الرجال
٢ فى صَدْر[١] أكبرِ سورةٍ فيها ثناءٌ فى جلال
٣ ذاك الثنـــاءُ فإنـــه للمؤمـــنين بِلا جِدال
٤ هم آمنوا بالغيب حقّاً، أسْلموا فى امتثال
٥ هم قد أقاموا للصلاة وأنفقوا طَوْعاً لمال[٢]
٦ هم مُهْتدون ومُفْلِحِون لأنهم أهلُ اعْتـدال
٧ ونعى على[٣] الكفّار إصْراراً على دَرْب الضلال
٨ فلقـد تبيَّـنت الطريقُ أمامهُـم دون احتيال
٩ لكنهم قد أغْلقُوا الأسْماعَ عَنْ قَوْلٍ يقال
١٠ عَكَفوا على أصنامهم، لم يستفيدوا[٤] بالمقـال
١١ وهناك قومٌ نافقوا سلكوا الطريق إلى الشمال[٥]
١٢ قد أظهروا الإيمانَ لكن أضْمَروا شَرَّ الخِصَال
١٣ يَوْمَ القيامة يُعْرضون، وسوف يَلْقَوْنَ الوَبال
١٤ شِرْكٌ وكفْرٌ أو نِفاقٌ نَالَهُم سُوءُ المَآل

---

(١) فى صدر أكبر سورة – هى سورة البقرة.

(٢) وأنفقوا طوعاً لمال – أنفقوا من أموالهم طائعين

(٣) ونعى على الكفار – النعى هو خبر الموت، وهو هنا للذم.

(٤) لم يستفيدوا بالمقال – بما جاءهم به رسول الله.

(٥) إلى الشمال – كناية عن إعراضهم وعدم إيمانهم.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٠٦ جـ ٢

لقد كان القرآن الكريم يتنزل على رسول الله ﷺ فى كل حين من ليل أو نهار، فى كل شئون الحياة، بحيث إنه عليه الصلاة والسلام، لم يصادفه أمر له أهمية، كبيراً كان أم صغيراً إلا جاءه القرآن الكريم بالحل له.

تحدث القرآن الكريم فى صدر سورة البقرة، وهى أكبر سورة فى المصحف الشريف، عن فئات من الناس ثلاث: المؤمنين، والمنافقين، الكافرين.

أثنى المولى عز وجل على المؤمنين، لكونهم يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة يحلون ما أحل الله، ويحرمون ما حرم الله، وينفقون الأموال فى وجوه الخير، فضلاً عن زكاة الأموال التى هى ركن من أركان الإسلام الخمس.. فقال الله عنهم.

«أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون» آية ٥ سورة البقرة.

ونعى على الكفار تنكرهم للحق، وإعراضهم عنه مع معرفتهم وتيقنهم منه.. وأن ما جاء به محمد ﷺ، حق لا مراء فيه.. فقال الله عنهم:

«ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم» [1].

وأشر الفئات الثلاث هم المنافقون، ذلك لأنهم يظهرون الإسلام، ويبطنون الكفر، يقولون بألسنتهم: نحن مسلمون، وقلوبهم مملوءة حقداً على الإسلام ورسول الإسلام والمسلمين أيضا.. ويتمنون لو استطاعوا أن يسحقوا المسلمين إنهم بغبائهم يظنون أنهم خدعوا الله، وخدعوا رسوله بتظاهرهم بالإسلام إنهم لم يعرفوا الله حق معرفته، ولو عرفوه ما خادعوه.. لذا فقد قال الله عنهم:

«يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون» [2].

قلوبهم مملوءة مرضا، فزادهم الله مرضا، يصورون الشر خيراً، ويقلبون الحقائق بحيث يرتكبون الموبقات مستحبين لها. فإن قيل لهم: لا تفعلوا هذا فإنه شر، قالوا: لا فهذا خير.. فقال الله عنهم.

«وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا: إنما نحن مصلحون. ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون» آيتا ١١، ١٢ سورة البقرة.

لسوف يجدون هذا مسجلا فى صحائفهم يوم القيامة، وسوف يصلون العذاب فى جهنم.

---

(١) آية ٧ سورة البقرة (٢) آية ٩ سورة البقرة.

مقطع رقم ٢٠٧ جـ ٢
نِعَمُ الله على بنى إسرائيل

١ أمّا اليهودُ فإنّهم قومٌ تَمادَوْا فى الخِصام
٢ قد أخبرَ القرآنُ عنهم أنّهم قومٌ لِئام
٣ قال الإله لهم مَقالًا فيه معنى الالتزام
٤ فَلْتذْكُروا[١] نِعَمِى عليكم لا تكونوا كالسّوام[٢]
٥ أوْفُوا بعهدى كَىْ أوفِّيكم عُهودى بالتمام
٦ خافوا عَذابِى إننى ذو بَطْشةٍ ذو انتقام
٧ هذا الكتابُ مصدِّقٌ لكتابكم فى[٣] انسجام
٨ فَلْتتبعوه وآمِنوا سيروا على دَرْب السلام
٩ لا تَلْبِسوا حقّاً بباطل، لا تسيروا[٤] فى الظلام
١٠ صلّوا وأدّوا للزكاةِ لِتذْكروا النعمَ العِظام
١١ أعطيتُكم فضْلى فَصِرْتم أهلَ فضْل واحترام
١٢ فجعلْتكم فى العالمين مُفضّلين على الأنام
١٣ فِرْعون عذبّكم ويذْبحُ طِفْلكُم قبل الفِطام
١٤ أغرقْتُهُ فى اليمِّ يا بئس الشقىُّ لو استقام
١٥ أنجيتُكم مِن بطشهِ قد ذَاق مُرَّ الانهزام

---

(١) فلتذكروا نعمى عليكم – هذا المقطع كله من وحى أول سورة البقرة «يابنى إسرائيل».

(٢) لا تكونوا كالسوام – كالأنعام السائمة، كناية عن عدم الفهم.

(٣) فى انسجام – متفق مع كتابكم.

(٤) لا تسيروا فى الظلام – كناية عن الكفر.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٠٧ جـ ٢

لقد تحدثت سورة البقرة فى أولها عن ثلاث فئات من الناس هم: المؤمنون، الكافرون، المنافقون، ووصفت كل فئة بما فيها، ووعدت المؤمنين، وتوعدت الكافرين والمنافقين.

وجاء دور الحديث عن فئة رابعة.. الحديث عن اليهود أشر خلق الله، فلقد تحدث القرآن الكريم عنهم وإليهم بإفاضة.

ناداهم المولى عز وجل فقال: «يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون، وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به... الخ قوله تعالى: وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون»[1].

من قوله: إن هذا الكتاب الذى جاءكم به رسولى محمد، لا يختلف عن كتابكم التوراة فى معانيه وما يدعو إليه، بل هو يؤيده ويصدقه، فآمنوا به واتبعوه.. لا تكونوا أول من كفر به، فأنتم أولى الناس بتفهمه واتباعه لكونكم أهل كتاب، وتعلمون صدقه.

لاتشتروا بآيات القرآن ثمنا قليلا، ولا تلبسوا الحق بالباطل، لاتحرفوا نصوص الكتاب المقدس الذى أنزل إليكم.. لا تكتموا الحق إذا سئلتم عنه وأنتم تعلمونه.

أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، حتى تكونوا عباداً جديرين بالفضل الذى أعطيته لكم، فلقد فضلتكم على كثير من الأمم، وذلك تفضلا منى وليس لكونكم خلقاً أفضل.. ذكرهم المولى ببعض ما أعطاهم من النعم التى أغدقها عليهم فقال ما معناه.

إن فرعون الطاغية الذى ادعى الألوهية كان يذبح أبناءكم، ويستحيى نساءكم، وقد أذاقكم ألوان العذاب، فأغرقه الله وأنتم تنظرون وذهب فرعون الذى كان أسطورة، ومجرد ذكره يهز القلوب، هذا الطاغية غرق كما يغرق أى إنسان، ونجوتم أنتم من الغرق.. فهل تقدرون قدر هذه النعم من الله؟!.

---

(١) الآيات من ٤٠ - ٥٠ سورة البقرة.

مقطع رقم ٢٠٨ جـ ٢

أحبار اليهود يسألون رسول الله

١ وَفْدٌ مِن الأحْبار، أحْبارِ اليهود[١] العارفين
٢ جاءوا إلى الهادى وكانوا أهلَ عِلْمٍ راسخين
٣ كان المجيىء ليسألوه بِصيغةِ[٢] المتعنتين
٤ قالوا له: جِئْنا لِنسألَ، هل تُجيبُ السائلين؟!
٥ هُمْ أربعٌ جِئْنا بِهنَّ من المسائِلِ راغِبين
٦ فَلئِنْ أجبْتَ على المسائل نتّبعْك مُسَلِّمين
٧ قال النبى: فإن أجبْتُ، أتتبعونى طائعين؟!
٨ قالوا: قَبِلْنا، قال: هاتوا سُؤْلَكُم مُتجمِّعين
٩ فَلْنَسْتمِع لسؤالهم إذ وجَّهُوه إلى الأمين
١٠ بِمَ يُشبه الطِفْلُ الوليد لِوَالِديْه؟! فهل تُبين؟!
١١ فأجابهم، جبريلُ أخْبَرنى وكُنْتُم[٣] قادمين
١٢ نُطَفُ[٤] الرِّجال غليظةٌ بيضاء، لِلمُسْتفْهِمينَ
١٣ نُطَفُ النِّساء رقيقةٌ صفْراءُ هذا عَن يقين
١٤ إحداهما تعْلو على الأخرى يكونُ لها الجنين[٥]
١٥ قالوا: صَدَقْتَ محمّدُ، هذا جوابُ المرسلين

---

(١) أحبار اليهود العارفين – أهل العلم فيهم.

(٢) بصيغة المتعنتين – بأسلوب التحدى والتعجيز.

(٣) وكنتم قادمين – حين قدومكم.

(٤) نطف الرجال – هو ماء الرجل «المنى».

(٥) يكون لها الجنين – يكون لها شبه المولود.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٠٨ جـ ٢

هانحن الآن مع وفد من الأحبار - علماء اليهود - أولئك الذين قرءوا كل الكتب السماوية فضلا عن كتابهم التوراة، وعرفوا عن محمد ﷺ، مالم يعرفه غيرهم من الناس.

هذا الوفد من الأحبار، جاء إلى رسول الله ليسألوه، حتى يتبينوا حقيقته هو نبى أم مدع كاذب.

بعد أن جلسوا مع رسول الله قالوا له: جئنا اليك يا محمد ومعنا بعض الأسئلة التى نريد أجوبة عليها، فهل تجيب على أسئلتنا؟!

وأسئلتنا أربع فقط، فإن أجبت عليها فأنت بلا شك نبى مرسل، فقال لهم رسول الله: فإن أجبت على كل أسئلتكم، أتتبعونى وتؤمنوا بى، وبالذى جئت به، ولا تولوا معرضين؟!

قالوا: قبلنا يامحمد، فقال: هاتوا ما عندكم من أسئلة.

ومن المعروف أن أحبار اليهود، جاءوا يسألون محمداً ﷺ، وهم يعرفون الإجابة على أسئلتهم، وإنما كان تساؤلهم للامتحان والتعجيز، وهذا أول سؤال وجهوه لرسول الله فقالوا:

- بماذا يكون الطفل شبيها بأبيه تارة، وبأمه تارة أخرى؟!.

فقال لهم رسول الله: أخبرنى بهذا جبريل آنفا، ثم قال: هل تعلمون أن ماء الرجل غليظ أبيض، وأن ماء المرأة رقيق أصفر، فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله، وإذا علا ماء الرجل ماء المرأة، كان الولد ذكراً بإذن الله.. وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل، كان الولد أنثى بإذن الله.(١)

حين أجابهم رسول الله على سؤالهم، بما يعلمون صدقه وحقيقته قالوا: صدقت يا محمد.. وبلا شك فهذا الجواب على سؤالنا، لا يعلمه ولا يجيب عليه إلا نبى مرسل، فقال رسول الله حينئذ: اللهم اشهد عليهم.

---

(١) تفسير ابن كثير لآيتى ٩٧، ٩٨ سورة البقرة.

مقطع رقم ٢٠٩ جـ ٢
لا يزال الأحبار يسألون رسول الله

١ وَفْدُ اليهودِ استحْسنوا ما قد أجابَ بِهِ الأمين
٢ سألوه ثانىَ سُؤْلِهِم مِن أرْبعٍ مُتتابِعين
٣ قالوا: فكيف يكون نومُك؟! هل ككلِّ النائمين؟!
٤ فأجابهم، عَيْنى تنامُ، كنومِ عَيْن السّاهرين
٥ لَكِنّ قلبى لا ينام، يظل فى المسْتيْقِظين
٦ قالوا: صدقْتَ مُحمّدُ، هذا جوابُ العارفين
٧ ألْقوْا بثالثِ سُؤْلِهِم، ظنّوه سُؤْل المعْجزين
٨ قالوا: فإسرائيلُ حرّم طُعْمَةً فى[1] الآكلين
٩ هيّا فأنْخبِرنا بها، ولسوف نسمعُ أجمعين
١٠ فأجابهم، قد كان إسرائيلُ يشكو[2] فى أنِين
١١ بالنّذر نادى ربّه، والله يسمع[3] هامِسين
١٢ إن تَشْفِنى يارِبِّ فهو وفاءُ نذْرى عَن يقين
١٣ لما شفاهُ الله أوْفى نَذْره فى الطّائعين
١٤ فأبى لُحومَ الإبْل مع ألبانِها للمسْتَبِين[4]
١٥ كانا أحبَّ طعامِه وشرابِه فى العالمين

---

(١) حرم طعمة فى الآكلين – حرم شيئاً كان يحبه من الطعام، واسرائيل هو يعقوب نبى الله.

(٢) يشكو فى أنين – يشكو مرضا كان يؤلمه.

(٣) يسمع هامسين – يسمع دبيب النمل على الصفا.

(٤) للمستبين – لمن أراد الاستفهام.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٠٩ جـ ٢

لقد استحسن أحبار اليهود ما أجاب به رسول الله ﷺ على أول أسئلتهم .. والأسئلة أربعة كما قدمنا.

ثم تهيأوا ليسألوه سؤالًا ثانياً فقالوا : أخبرنا كيف يكون نومك؟! وفى رواية أخرى، أخبرنا بهذا النبى الأمى فى النوم، فأجابهم قائلًا :

«أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون هذا النبى الأمى، تنام عيناه ولا ينام قلبه؟! قالوا : اللهم نعم، فقال رسول الله ﷺ : اللهم اشهد» (١).

وهكذا، لقد أجاب رسول الله على ثانى أسئلة أحبار اليهود، فاستحسنوا إجابته أيضا، وشهدوا بأن إجابته هى الحق، وقد كانوا قالوا فى بدء حديثهم، بأن أسئلتهم هذه لا يعرفها ولا يجيب عليها إلا نبى مرسل.

وبعد تشاور بعضهم مع بعض، قرروا أن يسألوا محمداً السؤال الثالث فقالوا :

«أخبرنا يا محمد أى الطعام حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ؟! فقال لهم : نشدتكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن اسرائيل — يعقوب — مرض مرضاً شديداً فطال سقمه منه، فنذر لله نذراً لئن عافاه الله من سقمه، ليحرمنّ على نفسه أحب الطعام والشراب إليه، وكان أحب الطعام إليه، لحوم الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها؟! فقالوا : اللهم نعم، فقال عليه الصلاة والسلام : اللهم اشهد عليهم» (٢).

ولا غرو فاسرائيل نبى من أنبياء الله، فلما تضرع إلى مولاه، وعلم الله الصدق منه فى ضراعته، استجاب له وعافاه من المرض الذى عانى منه طويلا.

وفعلًا لقد كان اسرائيل وفياً، فلما عوفى من المرض، وفّى بنذره، فحرّم على نفسه لحوم الإبل وألبانها، وفى هذا المعنى قال المولى عز وجل :

«كل الطعام كان حلًا لبنى اسرائيل إلا ما حرم اسرائيل على نفسه ... الخ» (٣).

---

(١) تفسير ابن كثير لآيتى ٩٧، ٩٨ سورة البقرة.

(٢) تفسير ابن كثير لآيتى ٩٧، ٩٨ سورة البقرة.

(٣) آية رقم ٩٣ سورة آل عمران.

مقطع رقم ٢١٠ جـ ٢
لايزال الأحبار مع رسول الله

١ لازال خَيْرُ الخلقِ مع وَفْدِ اليهود المجرمين
٢ تاللهِ ما جاءوا لِسُؤْلٍ، بل أتوْه كمُعْجزين
٣ لكنّ ربَّ العرش ناصِرُ مُصْطَفاه[(١)] فلنْ يُهين
٤ فلقد أجاب على ثلاثٍ مُفْحِماً لِلسائلين
٥ ألْقَوْا بآخر سُؤْلِهم، كانوا به[(٢)] مُسْتأثرين
٦ ماذا يكون[(٣)] الروح؟! أخْبِرنا بِصدْق الصادقين
٧ فأجابهم، فَلتعرفوه، فذاك جبْريلُ الأمين
٨ أنتُم على عِلمٍ بهذا، لا تكونوا جَاحِدين
٩ قالوا: فذاك عدونا، دُون الملائكِ أجمعين
١٠ لَوْلا عداوتُه لنا، إذ لاتَّبعْنا مُرْتضين
١١ لكنّ ربَّ العرش أنزل قولَه الحق المبين
١٢ من كان خَصْماً لِلملَائكِ، فهو خَصْم[(٤)] المؤمنين
١٣ واللهُ أيضاً خَصْمُه يابِئْس قَوْماً مُفْسِدين
١٤ قد كان ذاك طَبْعَهم، خانوا عُهودَ المرسلين
١٥ هم أهْلُ غَدْر فاسْتحقُّوا مَقْتَ ربِّ العالمين

---

(١) ناصر مصطفاه فلن يهين – ناصر لرسوله، لن يخذله ليهان أمام خصومه.

(٢) كانوا به مستأثرين – جعلوه آخر أسئلتهم لتصورهم صعوبته.

(٣) ماذا يكون الروح؟! – أخبرنا عن الروح ما هي؟!.

(٤) فهو خصم المؤمنين – من وحى الآية ٩٨ سورة البقرة.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٢١٠ جـ ٢

لايزال الحديث متصلًا. عن أحبار اليهود وهم مع رسول الله ﷺ يسألونه فيجيبهم ويستحسنون إجابته ثم يقولون له: صدقت يا محمد.

وكما نعلم فإن الأحبار الذين يسألونه، لم يكونوا باحثين عن الحقيقة، وإنما كان هدفهم تعجيز محمد وإفحامه كما أسلفنا، ولا شيء غير ذلك.

بيد أن الله عز وجل لم يكن ليترك رسوله وحبيبه أمام أولئك الأشرار وحيداً، لاسيما أمام أهل الجدل والخصومة، بل أيده بالوحي.

وكما أسلفنا فقد أجاب رسول الله على أسئلتهم الثلاث الأولى، وكانوا يقولون له بعد كل إجابة: صدقت يا محمد. فيقول ﷺ معقبا: اللهم اشهد عليهم.

ظل فى جعبة القوم سؤال واحد فقط، وهو الرابع والأخير.. ويبدو أنه أخطر الأسئلة وأصعبها.. ولذا فقد جعلوه آخر سهم لديهم، فقالوا:

«أنت الآن، فحدثنا من وليك من الملائكة؟! فعندها نجامعك أو نفارقك، فقال: إن وليي جبريل، ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه.

وفى رواية قالوا: فأخبرنا عن الروح؟! فقال: أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى اسرائيل، هل تعلمون أنه جبريل، وهو الذى يأتينى؟! قالوا: نعم، ولكنه عدو لنا، وهو ملك إنما يأتى بالشدة وسفك الدماء، فلولا ذلك اتبعناك.. فأنزل الله تعالى فيهم.

«قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين – إلى قوله – كأنهم لا يعلمون»[١].

وهكذا فاليهود دائما أهل جدل وخصومة، لا يلتزمون بكلمة، ولا يعترفون بحق، ولا يتبعون منطق العدل، فاستحقوا مقت الله عز وجل.

---

(١) الآيات من ٩٧ – ١٠١ سورة البقرة.

مقطع رقم ٢١١ جـ ٢
اليهود والنصارى عند رسول الله

١ وَفْدُ النصارى جاء مِن نَجْران(١) كانوا باحثين
٢ جاءوا لِيثربَ كى يُلاقوا المصُطفى مُتسائلين
٣ لقد التقوْا عند الرسولِ مع اليهودِ المفسدين
٤ فتنازعوا(٢) مع بعضِهم كتنازُعِ المتخاصمين
٥ قال اليهودُ إلى النصارى: قالةَ المستهزئين
٦ لَستُم على شيء وعيسى ليس ضِمْن المرسلين
٧ وكتابُه الإنجيل ليس بصادقٍ(٣) كالآخرين
٨ فأجابهُم وفدُ النصارى بالتحدى قائلين:
٩ لستُم على شيء وموسى فى عِداد المُفْترين
١٠ وكتابُه التوراةُ أيضاً فيه بُهْتانٌ(٤) مُبين
١١ تالله قد صدقا ببعْض(٥)، ثُمْ هُمْ فى الكاذبين
١٢ هذا هو القرآنُ يحكى قصةَ المتنازعين
١٣ ويقولُ عنهم قولَهم: بل نُصْحَهُم للمسلمين
١٤ كونوا يهودا(٦) أو نصارى تَهْتدوا فى المهتدين
١٥ بِئْس المقالُ مقالُهم، ضلُّوا طريقَ السالكين

---

(١) من نجران – مدينة باليمن فيها أكبر تجمع للنصارى.

(٢) فتنازعوا – تجادلوا.

(٣) ليس بصادق كالآخرين – ليس كالكتب السماوية المعروفة.

(٤) فيه بهتان مبين – افتراء واضح، الأبيات من ٥ – ١٠ من وحى الآية ١١٣ سورة البقرة.

(٥) قد صدقا ببعض – صدق كلا الفريقين فى اتهام كل منهما للآخر بالكذب.

(٦) كونوا يهودا أونصارى – من وحى الآية ١٣٥ سورة البقرة.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢١١ جـ ٢

هذا وفد آخر من أهل الكتاب .. إنه وفد النصارى القادمين من نجران، وقد كانت نجران آنذاك أكبر معقل للنصارى فى الجزيرة العربية وما حولها.

وفد النصارى كانوا قادمين من نجران للقاء رسول الله ﷺ، كى يسمعوه، ويعرفوا حقيقة دينه وما يدعو إليه.

وقد تصادف مجيئهم، حين استأذنوا للدخول على رسول الله، أن كان وفد أحبار اليهود لا يزالون جالسين مع رسول الله، ولما ينصرفوا بعد.

والتقى الوفدان فى مجلس واحد أمام رسول الله، فسأل بعضهم بعضا، وتنازعوا وتجادلوا، فاختلفوا ولم يتفقوا، وهذا شيء طبيعى، ذلك لأن كلا الفريقين على باطل، هكذا قال كل منهما عن الآخر مما حكاه القرآن الكريم عنهم فقال:

«وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء.. الخ»(١) فلما لم يتفقوا علت أصواتهم بالسباب والاتهامات، فقال اليهود للنصارى: أنتم لستم على شيء ودينكم باطل، وعيسى الذى تتبعونه ليس نبياً وكتابه الذى تسمونه الإنجيل، إنما هو كتاب صغتموه أنتم لتضلوا به أتباعكم.

فأجابهم وفد النصارى بمثل قولهم فقالوا:

أنتم لستم على شيء ودينكم باطل، وموسى ليس نبياً، وكتابه التوراة كاذب، وليس من الكتب السماوية المنزلة من السماء.

ولا غرو فكلا الفريقين صادق فى تكذيبه للآخر، واتهامه بالبطلان والزور.

يا للعجب!! فالفريقان: اليهود والنصارى برغم تكذيبهما لبعضهما فقد تطاولوا ناسين حقيقتهم، فنصحوا المسلمين، فقال اليهود للمسلمين: كونوا يهوداً حتى تفلحوا، وقالت النصارى لهم: كونوا نصارى تهتدوا، فأنزل الله فيهم قوله:

«وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا.. الخ» آية ١٣٥ سورة البقرة.

---

(١) آية رقم ١١٣ سورة البقرة.

مقطع رقم ٢١٢ جـ ٢
تحويل القبلة إلى الكعبة

١ المسْجِـد الأقصى له تاريخُـه فى الأوَّلين
٢ قد كان أول[١] قِبْلَـةٍ للأنبيـاءِ المرسلين
٣ هو قِبْلة الإسلام أيضا مِثل كلِّ السابقين
٤ قد كان قِبْلَتنا إلى أنْ هاجرَ الهادى الأمين
٥ المصْطفى قد كان يرجو[٢] ربَّه فى كلِّ حِين
٦ مُتطلِّعاً نحوِ السمـاء وفى ضَراعـةِ خاشعين
٧ يرجو التوجُّهَ نحو مكةَ فى صلاةِ الساجدين
٨ الوحْىُ جاء إليه يحْمِلُ أمرَ ربِّ العـالمين
٩ هيا توجَّه نحو مكةَ فى الصَّلاة على يقين
١٠ الأمـرُ نفَّـذهُ الـرسولُ ومعْـهُ كلُّ[٣] المؤمـنين
١١ جاء اليهودُ إلى رسولِ الله كالمسْتفْهـمين
١٢ قالوا: تركْتَ القِبْلةَ الأولى لماذا؟! هل تُبين؟!
١٣ قد كُنتَ تزْعمُ أنَّ إبراهيم كُنتَ به[٤] تَدين
١٤ ها أنت قد خالفتَه، وفعلتَ فِعْل الكاذبين
١٥ ارجـع لِقبْلتـهِ تجِدْنـا، فى عِداد التابـعين
١٦ تالله قد كذبوا فَبِئْسَ القومُ كانوا فاسقين

---

(١) كان أول قبلة – المسجد الأقصى هو القبلة الأولى لكل الأنبياء.
(٢) كان يرجو ربه – كان يتمنى أن تكون قبلته الكعبة.
(٣) ومعه كل المؤمنين – الأبيات من ٥ – ١٠ من وحى الآية ١٤٤ سورة البقرة.
(٤) كنت به تدين – أى أنت على دينه وملته.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢١٢ جـ ٢

لقد جاء دور الحديث عن المسجد الأقصى، ذلك المسجد العريق الذى كرمه الله فجعله لكل الأنبياء بلا استثناء، من لدن آدم بدءاً حتى محمد ﷺ خاتماً.

منذ أن أكرم الله محمداً بالرسالة، توجه فى صلاته نحو المسجد الأقصى، فجعله قبلته، اقتداء بمن سبقه من إخوته الأنبياء.. وظل على هذه الحال إلى أن هاجر عليه الصلاة والسلام إلى المدينة.. وقد ظل يتجه إلى المسجد الأقصى فى صلاته بعد وصوله إلى المدينة لمدة ستة عشر أو سبعة عشر شهرا.

وقد كان اليهود لعنهم الله، قد أشاعوا قائلين: لو كان محمد نبياً ما اتبع قبلتنا، والإشاعات دائما تجد لها فى بعض النفوس الضعيفة مكانا، بل مرتعا خصباً، فترددت هذه الشائعة على بعض الألسنة، وبلغ محمدا ما يشاع فآذاه ذلك.

وكان محمد ﷺ، يحب أن تكون قبلته إلى الكعبة، لدرجة أنه لما كان فى مكة قبل الهجرة كان يجعل الكعبة بينه وبين المسجد الأقصى فى صلاته.

كان رسول الله يتطلع إلى السماء، والله يعلم سره ونجواه، فقد كان يتمنى أن يأمره مولاه بالاتجاه إلى الكعبة فى صلاته.. فحقق الله له ما كان يتمناه، فأنزل قوله عز وجل:

«قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره.. الخ» آية ١٤٤ سورة البقرة.

فوراً بادر رسول الله بتنفيذ أمر ربه، فاتجه نحو الكعبة فى صلاته.

حينئذ تحرك اليهود عليهم اللعنة ليواجهوا هذا الموقف الجديد.. فجاءوا إلى رسول الله يلبسون ثوباً غير الذى كانوا يلبسونه بالأمس.. فبالأمس كانوا يقولون: لو كان محمد نبياً ما اتبع قبلتنا، واليوم جاءوا يقولون له: لماذا تركت القبلة الأولى؟!

قبلة إبراهيم الذى تزعم أنك على ملته؟! ارجع لقبلته وسوف نتبعك يا محمد!!!.

بيد أن رسول الله لم يلتفت إلى زعمهم الكاذب ومناوراتهم الخبيثة، ومضى فى تنفيذ أمر مولاه العظيم.

مقطع رقم ٢١٣ جـ ٢
رسول الله فى حوار مع اليهود

١ المصطفى يَدْعو اليهودَ لِدينه دينِ السلام
٢ هو دين كلِّ الناس إن شاءوا النجاة والاعْتصام
٣ فأتى إلى بيت العبادةِ[1] لليهود للاحْتكام
٤ سألوه، ما الدِّين الذى تدعو إليه على التمام؟!
٥ فأجابهم، إنِّى على دين[2] الخليل بالالتزام
٦ قالوا: فإبراهيم كان مِن اليهود على الدَّوام.
٧ قال الرسول: لِنحْتكِم لكتابكُم دون اختصام
٨ إنى بما فيه ارتضيْتُ، فلا جِدالَ ولا كلام
٩ لم يرتضوا بكتابهم حكماً، ولجُّوا فى الخِصام
١٠ وفْدُ اليهود أتى إلى الهادى، وليسوا بالكِرام
١١ مِن بَعْدهم جاء النصارى، فالتقوْا لُقْيا لِئام
١٢ قالوا: فإبراهيم كان مِن النصارى[3] بانتظام
١٣ كذب اليهودُ، كذا النصارى، ما استحقوا الاحْترام
١٤ هذا هو القرآن يحكى زعمهم، فهْو[4] الإمام
١٥ ما كان إبراهيمُ منهم، فهو منا فى وئام
١٦ بل نحن أوْلى الناسِ قُرْباً مِنْه مِن دُونِ الأنام

---

(١) بيت العبادة – هو بيت عبادة اليهود.

(٢) على دين الخليل – على دين إبراهيم عليه السلام.

(٣) كان من النصارى – الأبيات من ١٢ – ١٦ من وحى الآيات ٦٥ – ٦٨ آل عمران.

(٤) فهو الإمام – هو القدوة والصادق الذى حفظه الله من التحريف.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢١٣ جـ ٢

إن دعوة محمد ﷺ عامة وشاملة، ولذا فكل الناس مدعوون للدخول فى دين الإسلام، والإيمان بكل ما جاء به محمد رسول الله من عند ربه، ومحمد ﷺ مكلف بأن يبلغ دعوته للناس جميعاً حتى يعلموها.. لذا كان لزاما عليه أن يبادر بإبلاغ جيرانه من اليهود، ذلك لأنهم أهل كتاب، فلعل أحبارهم أو البعض منهم، يهتدون إلى الإسلام.

وفعلا ذهب رسول الله إلى اليهود فى بيت المدراس، وعرض عليهم الإسلام وشرح لهم تعاليمه السمحة ثم قال لهم:

إنى على ملة إبراهيم الخليل، فإن كنتم تدعون أنكم على دينه، فلا خلاف إذن بينى وبينكم إن كنتم صادقين فى دعواكم.

فقالوا له: إن إبراهيم كان يهوديا، فإن كنت على ملته، فاتبع ملتنا.

فأجابهم رسول الله قائلا: لنحتكم إذن لكتابكم التوراة، فإننى راض بما فيه، ولاسيما فى هذا الموضوع – ادعائهم أن إبراهيم كان يهوديا – دون جدل أو خصومة .

بيد أنهم لم يرتضوا بكتابهم حكما بينهم وبين رسول الله.

ويلتقى اليهود والنصارى أمام رسول الله، ويتجادلون وكلا الفريقين مجادل.

فقال اليهود للنصارى: كان إبراهيم يهوديا، فأجابهم النصارى قائلين: كذبتم، بل كان ابراهيم نصرانيا.. والواقع أن إبراهيم عليه السلام كان وجوده قبل وجود اليهودية والمسيحية.. وقد نزل القرآن الكريم ينفى زعم الفريقين ويثبت الحقيقة فقال عز وجل.

«يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون. ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون. ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين» الآيات من ٦٥ – ٦٧ سورة آل عمران.

مقطع رقم ٢١٤ جـ ٢

اليهود يحاولون تشكيك المسلمين

١ قال اليهودُ لِبعْضِهم قَوْلا: وكانـوا هامسين[١]
٢ هيا ليؤمـن بعضُنـــا بمحمـــدٍ مُتظاهريـــن
٣ عند الصباح نقول: آمنا وصِرْنـا مُسْلـمين
٤ عند المساء نقول: كلّا، فارتدْدنا[٢] كافريـن
٥ فإذا رآنا المسلمـون، تشكّكُـــوا مُتردِّديـــن
٦ فإذا تردَّد بعضُهـم كان البقِّيـــةُ تابـــعين
٧ لا تُخْبِروا أحـــداً بهذا وَلْتظلّـــوا كاتمين
٨ لكنَّ ربَّ العرشِ يفضحُ خطـة المتآمريـن
٩ ويـقصُّ ما قالـوه لِلْهـادى بأسلـوبٍ مُبين
١٠ قال اليهودُ إلى النّبى مقالـــةَ المتطـــاولين
١١ قالوا: تُريد تكون[٣] مَعْبوداً ونحْن العابدين؟!
١٢ هذا كما عبدَ النصارى للمسيح، فلن نَدين
١٣ مِن بعْدهم قال النصارى مثلهم، كمقلِّدين
١٤ عبد اليهودُ عُزَيْرَهُم[٤]، يا بِئْس قوماً فاسقين
١٥ لا، يا محمدُ، إننـا لسنـا بهذا مُوقِنين

---

(١) وكانوا هامسين – الأبيات من ١ – ٧ من وحى الآيتين ٧٢، ٧٣ آل عمران.

(٢) فارتددنا كافرين – نكفر بدين الإسلام مرتدين إلى ديننا.

(٣) تريد تكون معبوداً – إلها نعبدك.

(٤) عزيرهم – هو العزير، الأبيات من ١٠ – ١٥ من وحى الآيتين ٧٩، ٨٠ آل عمران.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢١٤ جـ ٢

لا شك فى أن اليهود هم أهل بهتان وزور، وإذا ما جادلوا أو حاوروا فهم لا يبغون الوصول إلى الحق، وإنما لتضليل الناس، وتشويه الحقائق.

وهاهم اليوم يلجأون إلى وسيلة جديدة خطيرة، فما هى يا ترى؟!

لقد قرروا فيما بينهم أن يتظاهر البعض منهم بالدخول فى دين الإسلام أمام المسلمين جميعاً، مقتنعاً بما جاء به محمد ﷺ من عند ربه، ويكون هذا وضح النهار فى الصباح، فإذا ما أمسى المساء أعلن هؤلاء الذين دخلوا دين الإسلام صباحاً، ارتدادهم عن الإسلام وكفرهم به.

هذا العمل سوف يثير الشكوك فى نفوس كثير من أغمار الناس.. ولا غرو فقد كان اليهود قبل مجيىء رسول الله إلى المدينة، يتولون السيادة العلمية فى المدينة وعرب المدينة يثقون فيهم.

قال بعضهم لبعض حين وضعوا هذه الخطة: فلتكتموا هذا الأمر.. لا تخبروا به أحداً من المسلمين، لكى تتم الحيلة وتنجح الخطة.. ولكن الله عز وجل فضح خطتهم، فأنزل على رسول الله قرآنا يحكى عنهم ما دبروه فى الخفاء فقال تعالى:

«وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون. ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله... الخ» الآيات من ٧٢ – ٧٤ سورة آل عمران.

ولما اجتمع اليهود والنصارى عند رسول الله، ودعاهم إلى الإسلام، قالوا: أتريدنا أن نتخذك معبوداً يا محمد؟! ولنستمع إلى ذلك النص.

«حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله، ودعاهم إلى الإسلام قال أبو رافع القرظى: أتريد يامحمد أن نعبدك كما تعبد النصارى ابن مريم؟! فقال رجل من أهل نجران نصرانى: أو ذاك تريد منا يا محمد؟! وإليه تدعونا؟! فقال رسول الله: معاذ الله أن نعبد غير الله، أو نأمر بعبادة غير الله، وما بذلك بعثنى ولا بذلك أمرنى، فأنزل الله عز وجل.

«ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله... الخ» تفسير ابن كثير لآيتى ٧٩، ٨٠.

مقطع رقم ٢١٥ جـ ٢

اليهود يذكرون الأنصار بيوم «بُعاث»

١ المصْطفى مع صَحْبه الأنصارِ كانوا جالسين
٢ جلسوا جميعاً يَسْمعون عِظاتِ خَيْرِ المرْسلين
٣ الحب كان يسودُهم قد أصبحوا[1] مُتوادِدين
٤ لكِنّ هذا[2] قد أساءَ إلى اليهود المفْسدين
٥ شاسُ بنُ قَيْس كان فيهم مِن كِبار الحاقدين
٦ قد ساءه ما قد رأى من ألْفةِ[3] المتَخاصِمين
٧ أوحى إلى أحد اليهود وقال: كُنْ فى المسلمين
٨ اذهب وذكِّرهم «بُعَاثَ»[4] فقد غدَوْا مُتقَاربين
٩ اذكُرْ لهم مَنْ قُتِّلوا فى ذلك اليومِ الحزين
١٠ ذكر اليهودى ما أتى مِنْ أجلِهِ فى السَّامعين
١١ فَتنازعُوا وتفاخـرُوا وتواثَبُـوا مُتوعِّديـن
١٢ فوْراً تنادَوا للسِّلاح وكاد يحْدثُ ما يُشين
١٣ ناداهُم الهادى فقال: فَتِلْك دعْوى الجاهلين
١٤ كُفُّوا، فهذا لا يليقُ فقدْ غَدَوْتُم مُؤمنين
١٥ سَمِعوا لِنُصْح المصْطفى، فتعانقُوا مُتصَالحين

---

(١) أصبحوا متوادين – يسودهم الحب والود بعد العداء.

(٢) هذا قد أساء إلى اليهود – أى تقارب وتوادد المسلمين بعضهم مع بعض.

(٣) من ألفة المتخاصمين – هم قبيلة الأوس والخزرج آخى بينهم رسول الله.

(٤) بعاث – اسم معركة قديمة كبيرة بين القبيلتين.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢١٥ جـ ٢

كان رسول الله ﷺ، جالساً مع رهط من صحبه الأنصار، يتحدث إليهم وهم سكوت كأن على رءوسهم الطير، ولا غرو فالمتحدث هو رسول الله، وهم فى شوق وتعطش لكل كلمة منه.. الحب يسود الجميع، والود شعار الجميع. وبينما كان الرسول وصحبه على تلك الحالة التى وصفنا، فرآهم اليهود لعنهم الله على حالتهم تلك، فطار صوابهم، وتأججت نار الحقد فى قلوبهم.

من المعلوم للجميع أن رسول الله، منذ أن وصل إلى المدينة مهاجراً، أصلح بين قبيلتى الأوس والخزرج، فصاروا إخوة متحابين، ونسوا ما كان بينهم من تارات ودماء قديمة مما حكاه الله عنهم فقال:

«... وألّف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم إنه عزيز حكيم» آية رقم ٦٣ سورة الأنفال.

كان شاس بن قيس أحد زعماء اليهود، أكثرهم حقداً وحسداً للمسلمين فى المدينة، لا سيما بعد أن أصلح رسول الله بين قبيلتى الأوس والخزرج.

أرسل شاس بن قيس واحداً من اليهود فقال له: اذهب فاجلس بين المسلمين، واذكر أمامهم معركة بُعاث، واذكر ما قيل من الشعر فى التفاخر بين الجانبين.. واذكر من قتل من رجال الفريقين وترحم عليهم.

ذهب اليهودى الخبيث فجلس بين المسلمين الأنصار، وبطريقة لولبية عرج فى أثناء حديثه مع بعضهم إلى معركة بُعاث.. فتذكروا قتلاهم، فتفاخروا وتنازعوا وتشاتموا وتواثبوا.. بل قال بعضهم: أعيدوها جذعة.. فتنادوا.. السلاح السلاح، القتال القتال، وإذا صوت رسول الله يقرع أسماعهم قائلا:

«أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟!»

حينما سمعوا صوت رسول الله يناديهم، شعروا بأنهم أخطأوا، وعرفوا بأنهم كانوا ضحية فتنة مدبرة كادت تنجح، ومدبروها هم اليهود لعنهم الله.

تراجع المسلمون، ورد كل منهم سيفه إلى غمده، ثم تعانقوا وندموا على ما بدر منهم أمام رسول الله.

وهكذا فاليهود لم يكفوا عن الدس والكيد للإسلام والمسلمين، وكان رسول الله لا يفتأ يكشف مؤامراتهم واحدة تلو الأخرى.

مقطع رقم ٢١٦ جـ ٢
القرآن الكريم يحكى أحوال اليهود

١ قد خاب مَسْعى مَن أرادوا فتنةً لِلمؤمنين
٢ الكيدُ رُدَّ لِكائِديه، وخاب ظَنُّ المفْسِدين[١]
٣ الوحْى يَقْرعُ سمعَهم عَن . أصدقِ المتحدِّثين
٤ فيقول: ياأهلَ الكتاب، فلا تُولّوا مُعْرضين
٥ لِمَ تكفرون وعن سبيل الحق صِرْتُم مائلين[٢]
٦ الله راءٍ صُنْعَكُم، فقد انحرفتم عامديــن
٧ الوحْى واصلَ نُصْحَه أيضاً فنادى المسْلمين
٨ إنْ تسْمعوا لأولئك الأوغاد صِرْتُم خاسرين
٩ هل تكفرون وفيكم القرآنُ والهادى الأمين؟!
١٠ مَنْ يعْتصِم بالله فهو على طريق[٣] الآمنين
١١ الله حقٌّ فاتّقوه، ولا تكونــوا كافريــن
١٢ بعضُ اليهود[٤] أصابهم نورُ الهداية واليـقين
١٣ قد أعلنوا إسلامَهم كانــوا بحقٍّ صادقين
١٤ الوحْىُ قد أثنى عليهم فى عِداد الصالحين
١٥ يتلُون للقرآن حقّاً، ثُمْ هُمْ فى الساجدين[٥]

---

(١) خاب ظن المفسدين – هم شاس وكل اليهود.

(٢) صرتم مائلين – منحرفين ومعوجين.

(٣) على طريق الآمنين – الآمنين من عذاب جهنم.

(٤) بعض اليهود – عبدالله بن سلام وأمثاله.

(٥) ثم هم فى الساجدين – من وحى الآية ١١٣ سورة آل عمران.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢١٦ جـ ٢

كلما دبر اليهود مؤامرة ضد الإسلام والمسلمين، وأشاعوا شائعة خبيثة بين المسلمين، أو حاولوا إذكاء نار العداوة بين الأوس والخزرج، كلما فعلوا شيئا من هذا، تصدى لهم الوحى الأمين، فيسد أمامهم المنافذ، ويفسد مخططاتهم واحدة بعد واحدة !! .

« كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين» جزء من الآية رقم ٦٤ سورة المائدة.

ثم يتوجه الوحى الأمين فيخاطبهم من خلال رسول الله ﷺ فيقول لهم.

« قل ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون. قل ياأهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون» آيتا ٩٨، ٩٩ سورة آل عمران.

وبعد ذلك يتوجه الوحى الأمين لمخاطبة المسلمين، ناصحاً لهم ومحذراً إياهم من متابعة اليهود أو الاستماع لنصحهم، فهم ضالون مضلون، ولن يدلوكم على خير مطلقاً، بل يتربصون بكم الشر والخسران، فإن تسمعوا لنصحهم تضلوا وتخسروا وهذا هو النص القرآنى الكريم.

« ياأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين. وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم» آيتا ١٠٠، ١٠١ سورة آل عمران.

نعم، لا ينبغى للمسلمين أن يستمعوا إلى نصح اليهود، ولا يقتدوا بهم فى شىء مطلقاً.. ولماذا يستمعون لنصحهم ورسول الله يعيش بين ظهرانيهم، والوحى الأمين ينزل عليه فيحل مشكلاتهم أولًا بأول.

فعلى كل مسلم أن يعتصم بدينه، ويلتزم بأمر ربه، فذلك فيه الخير والهداية إلى الصراط السوى.

بعض اليهود بادروا بالدخول فى الإسلام عن رضى واقتناع فأثنى عليهم ربهم فقال :

«ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون» ١١٣ آل عمران.

مقطع رقم ٢١٧ جـ ٢
لايزال القرآن يحكى أحوال اليهود

١ كان اليهود وأهلُ[1] يَثْرِبَ سابقـاً مُتجاوريـن
٢ كانت عقيدةُ أهل يثرِبَ دون شكٍّ مُشركين
٣ أمـا اليهود فإنهم كانـوا . لموسى تابـعين
٤ لما أتى الإسلام أسلمَ أهلُ يثربَ طائعين
٥ أما اليهود فإنهم لم يهتـدوا فى المهتدين
٦ لكنهم ظلـوا جميعـا للأواصِر[2] واصلين
٧ هذا هو القـرآن . ينزل ناهياً للمسْلِـمين
٨ فيقول: لا تنسَوْا جميعاً، بل وكونوا ذاكرين
٩ إن اليهودَ لكم عدوٌّ لا تكونـوا غافـلين
١٠ فإذا لَقُـوكم أظهـروا الإيمانَ ليسوا صادقين
١١ وإذا خلَوْا عضُّوا الأناملَ مِن لظى غَيْظٍ دفين
١٢ قل يا محمـدُّ لليهود الحاقدين المفسِديـن
١٣ موتـوا بِغيْـظٍ إنَّ ربى عالـمٌ بالكـاذبين
١٤ هم يحْزنُون إذا فرحْتُم بِئْس قَوْماً فاسقين
١٥ وإذا أُصِبتُم يفرحـون كَقـوْلِ ربٍّ[3] العـالمين

---

(١) أهل يثرب – هم عرب المدينة أنصار رسول الله.

(٢) للأواصر واصلين – ظل العرب واليهود على صلة ببعضهم حتى بعد الإسلام.

(٣) كقول رب العالمين – الأبيات من ٨ – ١٥ من وحى الآيات ١١٨ – ١٢٠ آل عمران.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢١٧ جـ ٢

كان العرب واليهود فى المدينة المنورة ، يعيشون متجاورين متقاربين ، بحيث إنهم كانوا شركاء فى التجارة والزراعة .. وذلك قبل هجرة محمد ﷺ إليها ، وظهور الإسلام فيها .

بيد أن كلًا من العرب واليهود ، له عقيدته التى يدين بها ، فالعرب كانوا مشركين يعبدون الأصنام تقليداً واتباعاً لآبائهم وأجدادهم .. أما اليهود فهم أهل كتاب ، وكتابهم التوراة ونبيهم موسى بن عمران عليه السلام .. وكلا الفريقين لا شأن لكل منهما بعقيدة الآخر .

فلما جاء الإسلام إلى المدينة بادر عربها بالدخول فى ذلك الدين الجديد ، فسعدوا به أيما سعادة ، وشعروا بذاتهم واستقلالهم بعد التبعية والانقياد لليهود لا سيما فى الشئون العلمية .. أى أنهم وجدوا أنفسهم بعد الضياع .

أما اليهود فإنهم لم يسعدهم مجيىء الإسلام إلى المدينة ، فمنذ أن وصل رسول الله اليها برموا به واتخذوه عدوا لهم ، وحاولوا الكيد له والنيل منه .

وبرغم ماطرأ على المدينة من تغيير بمجيىء الإسلام إليها ، فقد ظل العرب واليهود على صلة طيبة بعضهم مع بعض ، كما كانوا قبل مجيىء الإسلام للمدينة .

بيد أن تلك الصلة لم تكن محمودة العواقب ، فاليهود بطبعهم أهل كيد وخبث ، فبدءوا يمارسون عاداتهم السيئة ، فصاروا يطلقون الشائعات التى تبث البلبلة فى نفوس المسلمين ، وتستهدف النيل من الإسلام ونبى الإسلام على السواء .

وهنا يتدخل الوحى الأمين ، فيوجه المسلمين ويحذرهم من اليهود فيقول :

« ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالًا ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ، هاأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور » آيتا ١١٨ ، ١١٩ سورة آل عمران .

مقطع رقم ٢١٨ جـ ٢

أبو بكر الصديق يدعو اليهود للإسلام

١ بيتُ العبادةِ مَجْمعٌ لِلمُجرمين المفسدين[١]
٢ أحبارُهم يأتونه في كلِّ يوم مُصْبحين
٣ فِنْحاصُ[٢] كان كبيرَهم، هو في الشيوخ الطاعنين
٤ قد كانَ ذا عِلْم غزير في عِداد الراسخين
٥ من حَوْلِهِ جلس اليهودُ لقوله مُتسمِّعين
٦ فأتاهم الصدِّيقُ[٣] يدعوهم لِدينِ المسْلمين
٧ يتحاورُ الصدِّيقُ مع فِنْحاص بالقوْل الأمين
٨ من قولِهِ: قُلْ لليهود لِيدْخلوا في خير دين
٩ لا شك يا فِنْحاص أنك عالمٌ عِلْمَ اليقين
١٠ إذ تَعْلَمَنّ محمداً هو خَاتمٌ للمُرْسلين
١١ تجدون هذا في كِتابَيْكُم كما[٤] النُّور المبين
١٢ أسْلِمْ وإلّا فالندامة يَوْم حَشْرِ المذْنِبين
١٣ في ذلك اليوم العسيرِ تكونُ بين النادمين
١٤ إذ تستجيرُ فلا مُجيرَ سِوى إلهِ العالمين
١٥ ويكون وجهُك بالسواد هُناك بَيْن الخاسرين
١٦ وإلى جهنَّم قد تُساقُ تكونُ بَيْن المجرمين

---

(١) للمجرمين المفسدين – هم اليهود.

(٢) فنحاص – هو فنحاص بن عمرو من كبار أحبار اليهود.

(٣) الصديق – هو أبو بكر.

(٤) في كتابيكم – التوراة والإنجيل كالنور الظاهر.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢١٨ جـ ٢

بيت المدراس، هو اسم المكان الذى يتعبد فيه اليهود مثل: المسجد عند المسلمين والكنيسة عند النصارى كما أسلفنا.

يأتى إليه أحبار اليهود فيقيمون فيه طقوسهم الدينية، ويجلس حولهم عامة اليهود يستمعون ما يتلوه عليهم أحبارهم من الضلال والزيف والغش، فى صورة عظات دينية.

كان فنحاص بن عمرو، كبير أحبار اليهود شيخاً طاعنا فى السن، وكان عالماً لا يشق له غبار، ولا سيما فى علوم الدين اليهودى.

وبينما كان ذلك الحبر جالساً بين اليهود، يعظهم ويعلمهم، وكانوا كلهم يستمعون له فى خشوع تام، وإذا أبو بكر الصديق يستأذن فى الدخول عليهم فى بيت المدراس، فأذنوا له بالدخول.

تحدث أبو بكر إلى فنحاص بن عمرو فقال له: يا فنحاص أنت من علماء اليهود، وإنك لتعلم أن محمداً رسول من عند الله، وأنه النبى الخاتم، وأن دينه هو الحق، وهو الدين الذى ينبغى أن يتبعه كل الناس.

إن محمداً قد جاءكم بالحق من عند الله، والحق لا ينكره إلا جاحد أو مكابر، فآمنوا به واتبعوه كى تهتدوا إلى الخير والصواب، وتفوزوا بخيرى الدنيا والآخرة.

هذا كله تجدونه فى كتابيكم: التوراة والإنجيل، ظاهراً واضحاً يراه كل باحث ويعرفه كل من ينشد المعرفة الصادقة، ثم قال أبو بكر له:

أسلم يا فنحاص، وإلا فسوف تندم يوم القيامة. ولات ساعة مندم فهنالك لا مجير ولا منقذ سوى الله عز وجل، إنه ليوم عسير على الناس جميعاً، وتتضاعف عسرته على كل من رأى الحق فأعرض عنه.. هنالك يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، ولسوف يكون وجهك يافنحاص أسود، وتساق بين المجرمين إلى جهنم وبئس القرار.

مقطع رقم ٢١٩ جـ ٢
أبو بكر الصديق يلْطِمُ فنحاص

١ لقد انتهى الصدِّيق مِن تحذير فِنْحاصَ اللعين
٢ فأجابه المأفونُ فى قَوْلٍ مِن الكُفْـر المبين
٣ ذاك المقالُ يفوقُ قولَ المشركين الملحدين
٤ مِن قوله: إنى غنىٌّ عن إله العالمين
٥ لسنا إليه بِحاجةٍ، لسنا إليه بضارعين
٦ الله يَرْجُونا، فَلَسْنَ نَرْجُوَه مِثلَ المسلمين
٧ فهو الفقير وإننا لَلأغْنِياءُ عَن المعين
٨ القرْض يطلبُه لِيعْطِينا الرِّبا فى[1]الآخرين
٩ إن الرِّبا لَمحرمٌ فى كل دين[2] إثْر دين
١٠ إذ كيف حرَّمه[3] ويُعْطِيناهُ؟! لَسْنَا مُرْتَضِين
١١ تِلْكَ المقالةُ قالها، والكلُّ كانوا سامعين
١٢ فوراً يدُ الصدِّيق تَلْطِمُه أمام الجالسين
١٣ مِنْ بَعْد هذا قال فى جَمْعِ اليهودِ الحاضرين
١٤ تالله لَوْلا[4] العهدُ كُنْتُ قتلتُه القَتْلَ المهين

---

(١) فى الآخرين – يوم القيامة.

(٢) فى كل دين إثر دين – فى كل الأديان السماوية.

(٣) حرمه ويعطيناه – حرم الربا علينا ويعدنا به.

(٤) لولا العهد – إشارة إلى العهد الذى بين المسلمين واليهود.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢١٩ جـ ٢

لقد انتهى أبو بكر الصديق من الحديث إلى كبير أحبار اليهود، فنحاص بن عمرو وكان ذلك أمام جمع من اليهود فى بيت مدراسهم.. لقد نصحه وحذره ودعاه إلى دين الإسلام الذى يعلمون أنه الدين الحق، وأن محمداً هو خاتم رسل الله صلى الله عليه وعليهم جميعاً.

بيد أن فنحاص اللعين – كما هى عادة اليهود لا يعترفون بالحق ولا ينقادون إليه – أجاب أبا بكر بقول فيه تطاول على مقام الألوهية العظيم.. فمن قوله قاتله الله.. نحن أغنياء عن الإله، لسنا فى حاجة إليه، ولذا فنحن لم ولن ندعوه أو نتضرع إليه كما يفعل المسلمون.

والدليل على أننا الأغنياء، فهو يرجونا ويطلب منا قرضاً.. إنه فقير ونحن أغنياء.

والأكثر من ذلك أن الإله يطلب منا القرض فى الدنيا، ويعدنا بأنه سوف يرده لنا مضاعفاً يوم القيامة.. وهذا هو الربا بعينه.. والربا كما نعلم محرم فى كل الأديان السماوية.. إذن فهو يحرم الربا علينا ثم يعطيناه، وهذا أمر لا نرضاه، بل نرفضه ونأباه.

يالله !! أرأيتم إلى هذا المقال الذى قاله عدو الله فنحاص! هذا القول لا يمكن أن يصدر عن قلب فيه ذرة من إيمان.. وإنما يصدر عن قلب جاحد كافر بل ملحد لا يعترف بوجود الإله.

حين قال عدو الله مقالته هذه جواباً على دعوة أبى بكر له بأن يدين بالإسلام ويؤمن بنبى الإسلام، فماذا كان من أبى بكر؟!.

حين سمع أبو بكر هذا القول من عدو الله، لم يتمالك نفسه أن لطمه على وجهه غضباً لله عز وجل، وكان ذلك أمام جمع اليهود ثم قال: والذى نفسى بيده لولا العهد الذى بيننا وبينك لقتلتك ياعدو الله.

مقطع رقم ٢٢٠ جـ ٢

القرآن الكريم ينزل مُصدِّقاً للصدِّيق

١ فِنْحاصُ جاء إلى رسول الله خَيْرِ المرسلين
٢ يشكو إليه صديقَهُ الصدِّيقَ ثانى[١] المؤمنين
٣ قد جاء يطلبُ حقَّه، مِن واقعِ العهْدِ المتين
٤ قد قال: إنَّ صديقَك الصدِّيقَ فاقَ المعْتدِين
٥ قدْ نالنى بِالضرْبِ كان أمام كُلِّ الحاضرين
٦ هل أنتَ تَرْضَى يا محمدُ ذلك الفِعْلِ المشين؟!
٧ سأل الرسولُ صديقَه، أفعلتَ هذا عَنْ يقين؟!
٨ فأجابه إنى فَعَلْتُ وكِدْتُ أقتلُه اللعِين
٩ فلقدْ تطاول بالمقالِ إلى إلهِ العالمين
١٠ وروى له ماقاله المأفونُ رَأْسُ المفْسِدين
١١ فِنْحاصُ أنكرَ قوْلَه[٢]: فى خِسَّةٍ كالكاذبين
١٢ لكنَّ ربَّ العرْش أنزلَ قَوْلَه الحقَّ المبين
١٣ قولًا يُؤيِّد قَوْلةَ الصدِّيق ذِى القول[٣] الأمين
١٤ ربُّ السماءِ يرى ويسمعُ لم يَكُنْ فى الغافلين
١٥ هو ناصرٌ لِلمُؤْمنين وهازِمٌ للكافرين

---

(١) ثانى المؤمنين – هو أبو بكر من وحى الآية رقم ٤٠ سورة التوبة.

(٢) أنكر قوله – لم يعترف بتطاوله على مقام الألوهية.

(٣) ذى القول الأمين – الصادق.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٢٠ جـ ٢

ذهب الحبر اللعين فنحاص بن عمرو إلى رسول الله ﷺ شاكيا فقال له: يامحمد! إن صاحبك أبا بكر لطمنى على وجهى، وذلك أمام جمع من اليهود فى بيت المدراس، وكان ذلك بغير أدنى سبب، وأنت تعلم مكانتى بين بنى قومى يامحمد، فلقد غضبوا لكون أبى بكر أهاننى، ثم أليس لى ذمة وعهد يامحمد؟! فخذ لى حقى منه.

فقال رسول الله ﷺ لأبى بكر: «ما حملك على ما صنعت؟!».

فقال أبو بكر: لقد لطمته يارسول الله لأنه تطاول على مقام الألوهية العظيم، لقد قال قولًا يوجب عقوبته بأشد من ذلك كثيراً.

ووالله لولا العهد الذى بيننا وبينهم لقتلته عدو الله.. ثم حكى لرسول الله مادار بينه وبين عدو الله من حديث، والقول الذى نطق به اللعين جواباً على دعوته للإيمان والدخول فى دين الإسلام.. وبسببه لطمه على وجهه أمام جمع اليهود فى بيت المدراس، ولم يخف منهم برغم أنه كان بمفرده بينهم.. لكن الذى يغضب لله لم يبال قل الناس أم كثروا.

فيتوجه رسول الله ﷺ بالسؤال لفنحاص بن عمرو الشاكى فيقول له: أأنت قلت هذا القول – الذى ذكره أبو بكر – فأنكر عدو الله ذلك وجحده وقال: كلا لم أقل هذا القول مطلقاً.

فأنزل الله عز وجل قرآنا فى هذا الأمر، يؤيد قول أبى بكر ويصدقه، ويدمغ عدو الله بالكذب والبهتان وهذا هو.

«لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق» آية ١٨١ سورة آل عمران.

نعم، إن الله عز وجل يسمع ويرى، وهو مع المخلصين من عباده يؤازرهم ويؤيدهم فينصرهم، ويخذل المنافقين والفاسقين ويهزمهم ويجعلهم عبرة للعالمين.

مقطع رقم ٢٢١ جـ ٢
اليهود يُضلِّلون أهل مكة

١ وفْدٌ مِن الأحبارِ جاءوا أهلَ مكَّةَ زائرين
٢ نزلوا بِمكةَ والتقَوْا فيها بِكُلِّ المشْرِكين
٣ المشركون تشاوروا فيما عَسَاهم فاعلين
٤ قد كان أمر محمدٍ[1] هو شُغْلَهُم فى كلّ حين
٥ قالوا لِبعْضٍ: فاسألوا أهلَ الكتاب القادمين[2]
٦ فلتسألوا أحبارَهم، هُمْ أهْلُ عِلْم عَن يقين
٧ هل ديننا خَيْرٌ، أم الدِّين الجديد؟! فنسْتبين
٨ فلقد وَرِثْنا ديننا دِينَ الجدودِ[3] الأقْدمين
٩ قالوا لهم: فَلْتُخْبرونا وَلتكونوا صادقين
١٠ هل دينُنا خَيْرٌ أم الدِّين الذى لِلمُسْلمين؟!
١١ قال اليهود: فدينكم خيِّر، فكونوا مُوقنين
١٢ لا تؤمنوا بِمحمدٍ أو دينِه[4] كالآخرين
١٣ الوحْىُ جاء محمداً يحكى مقالَ[5] الخائنين
١٤ عَنْ قَوْلِهم لِلمُشْركين بأنهم فى المهْتدين
١٥ قد ضلَّلوهم فاستحقُّوا مَقْتَ رَبِّ العالمين
١٦ واللعنةُ الكُبْرى عليهم فى لَظىً فى الخاسرين

---

(١) أمر محمد – دين الإسلام الذى يدعو إليه محمد ﷺ.
(٢) أهل الكتاب القادمين – القادمين لمكة هم أحبار اليهود.
(٣) دين الجدود الأقدمين – عبادة الأصنام.
(٤) أو دينه كالآخرين – كأهل يثرب.
(٥) يحكى مقال الخائنين – من وحى الآيتين ٥١، ٥٢ سورة النساء.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٢١ جـ ٢

كما نعلم فإن اليهود ألد أعداء الإسلام والمسلمين، فمنذ أن قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة مهاجراً، لم يكفوا عن الكيد والدس الخبيث وترويج الإشاعات للنيل من الإسلام ونبى الإسلام والمسلمين ما وجدوا إلى ذلك سبيلا.

وهانحن أولاء أمام مشهد جديد من مشاهد الكيد الخطير، وهو يعتبر حلقة من سلسلة متعددة الحلقات وهو.. أن وفداً من أحبار اليهود ذهبوا إلى مكة المكرمة ليغرسوا هنالك بذور الشر والفساد فى نفوس مشركى مكة، فيزيدوهم حقدا على حقدهم.

وفعلا، لقد التقوا بكبار المشركين فى مكة، وتظاهروا بأنهم جاءوا لزيارتهم ويبادلونهم الرأى بشأن محمد.. وكلا الفريقين عدو لله ولرسوله وللمسلمين.

وجد أهل مكة فرصة عظيمة، فى وجود أحبار اليهود عندهم فى مكة.. ولا غرو فاليهود معروفون لدى العرب جميعاً بأنهم أهل الكتاب، وكان العرب لا ينفكون يهرعون إليهم يسألونهم عن كل معضلة علمية تواجههم، ويأخذون قولهم على أنه الحق.

وتشاور المشركون فى مكة على أن يسألوا أحبار اليهود عن أمر محمد وعن دينه، فاتفقوا على أن يسألوهم.. وفعلا سألوهم قائلين:

هل ديننا خير؟! أم دين محمد خير؟! فأجابوهم، بل أنتم دينكم خير من دين محمد وأهدى منه سبيلا، وأنتم على حق وعلى هداية.. فأنزل الله عز وجل قوله الكريم يحكى عنهم هذه الفرية فقال:

«ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا. أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً» آيتا ٥١، ٥٢ سورة النساء.

مقطع رقم ٢٢٢ جـ ٢
ادعاء اليهود بأنهم أبناء الله

١ المصْطَفى يدعو اليهودَ لِدينهِ دينِ السَّلام
٢ قد قال لِلأوغادِ: إنى جِئْتُ بالدين التمام
٣ الأنبياءُ جميعُهم قَبْلى، وجِئْتُ أنا الخِتَام
٤ إن تُؤْمِنوا بى تُفْلِحُوا، أو فالوعِيدُ والانتقام
٥ يوم القيامةِ فى جَهنَّمَ فى العذاب وفى الضِّرام[1]
٦ قالوا: فدعْ عَنْك الوعيدَ، فنحْنُ قَوْمٌ لا نُلام[2]
٧ إذ نحن أبناءُ الإلـهِ[3] وحِبُّه دُونَ الأنـام
٨ قَوْمُ النصارى[4] تابعوهم فِى الجِدَال وفى الكلام
٩ قال الإله وقولُه: كالنُّور فى جَنْح الظلام
١٠ أنتم كَكُلِّ الناس عِنْد الله فى يوم الزِّحام[5]
١١ لا فَضْلَ عِنْد الله إلا لِلتقىِّ على الدوام
١٢ كل الخلائقِ يُعْرضُون على الإله وبانتظام
١٣ المحْسِنون إلى النعيم بِكُلِّ حُبٍّ واحترام
١٤ والمجرمون إلى الجحيم لأنهم قَوْمٌ لِئَام

---

(١) فى العذاب وفى الضرام – فى النار الملتهبة المتأججة.

(٢) فنحن قوم لا نلام – فوق الملامة والمؤاخذة.

(٣) نحن أبناء الإله وحبه – من وحى الآية رقم ١٨ المائدة.

(٤) قوم النصارى تابعوهم – قالوا مثل قولهم.

(٥) فى يوم الزحام – يوم القيامة.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٢٢ جـ ٢

إن محمداً ﷺ، لم يكف عن الدعوة إلى دين الإسلام، ذلك لأنه دين الناس جميعاً، وهو مكلف بأن يدعو الناس جميعاً للدخول فى دين الإسلام.. فدعا العرب واليهود.

قال لليهود: إنى رسول الله إلى الناس كافة، ختم الله بى الأنبياء والرسل، فإن كنتم عقلاء، وتطلبون معرفة الحق مخلصين، فآمنوا بما جئتكم به تفوزوا وتنجحوا يوم القيامة.

وإن لم تؤمنوا بما جئتكم به من عند الله، وتتبعونى بصدق وإيمان واقتناع، وظللتم على عنادكم وإصراركم على الضلال، فسوف تكونون من أهل النار يوم القيامة.. فماذا كان جواب الفاسقين على دعوة رسول الله لهم؟! قالوا له:

دع عنك الوعيد يامحمد، فنحن قوم مفضّلون عند الله، ولذا فهو لن يحاسبنا على أعمالنا، ذلك لأننا أبناؤه وأحباؤه دون الخلق جميعاً!!!.

هذه المقالة الجاهلة، قالها النصارى أيضا، وذلك أثناء حوارهم مع رسول الله.. وهذا دليل واضح على أن اليهود والنصارى مشركون ما فى ذلك من شك، لذلك أنزل الله عز وجل قوله الخالد يرد ادعاءاتهم وينفى زعمهم بأنهم أفضل من غيرهم من البشر فقال تعالى:

«وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه، قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير» آية ١٨ سورة المائدة.

هذا كلام الله يكذب قولهم، ويثبت بأنهم لا يختلفون عن أحد من الناس، ولسوف يحاسبون يوم القيامة كما يحاسب كل الناس.. والفضل هنالك للتقوى وليس للجنس أو اللون أو النسب، ولسوف توزن أعمال العباد، فمن ثقلت موازينه، ففى جنة الخلد والنعيم، ومن خفت موازينه، ففى جهنم والجحيم.

مقطع رقم ٢٢٣ جـ ٢

اليهود يحتكمون إلى رسول الله

١ أما اليهودُ فإنهم ظلوا جميعاً حائرين
٢ اثنان مِنْ أشرافِهم زَنَيا وكانا(١) مُحْصَنين
٣ فتجمَّعوا فى بيتهم بيت العبادةِ ساهرين
٤ فتشاوروا وتحاوروا فيما عساهم فاعلين
٥ قد قرَّروا إرسالَ وَفْدٍ يسأل الهادى الأمين
٦ عن حُكْمهِ فِيمَن زَنَوْا بعد الحصانةِ فاسقين
٧ قالوا لهم: فَلْتسْألوه ولا تكونوا جاهلين
٨ إنْ كان يحكُم فِيهما بالجلْدِ فهو كما ندين(٢)
٩ فَلْترْتضُوا بِالحكْمِ فهو مِن الملوكِ الكاذبين
١٠ وإذا رأيتُم حُكْمَه بالرجْمِ عُودُوا(٣) رافضين
١١ فَلْتحْذَروه إذن فذاك نبىٌّ كُلِّ العالمين
١٢ القومُ جاءوا لِلنبى بِصُورةِ المتحَاكِمين
١٣ سألوه عمَّا قد أتوا مِن أجلِهِ مُسْتفْهِمين
١٤ فأجابهم كونوا لقَوْلى والحقيقةِ فاهمين
١٥ الرجْمُ حدٌّ لِلزُّناةِ المحْصَنِين المجرمين
١٦ وَلْتسْألوا التوراة(٤) فِيها ذلِك الحكْمُ المبين

---

(١) وكانا محصنين – متزوجين.

(٢) فهو كما ندين – هو الذى نريده.

(٣) عودوا رافضين – لا تقبلوا حكمه.

(٤) ولتسألوا التوراة – فاقرأوا التوراة فإن فيها هذا الحكم.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٢٢٣ جـ ٢

جريمة أخلاقية هزت أركان المجتمع اليهودى، وما أكثر الجرائم الخلقية التى كانت تحدث فى مجتمعهم، بيد أنهم كانوا دائما يديرون لها ظهورهم، ويضعون أصابعهم فى آذانهم، كى لايروا ولا يسمعوا شيئاً.

وتذهب هذه لتجيىء أخرى، وكأن شيئا لم يحدث ذلك لأنها كانت تحدث فى الخفاء.. أما هذه التى نحن بصدد الحديث عنها، فقد ظهرت للعامة والخاصة وانتشرت بحيث ملأت الأسماع، فما هى تلك الجريمة؟!.

إنها جريمة الزنا.. اثنان من أشراف اليهود وساداتهم، ارتكبا جريمة الزنى اجتمع اليهود فى بيت المدراس، يتشاورون ماذا عساهم فاعلين بشأن الزانيين؟! والأدهى من ذلك أنهما زانيان محصنان.

إنهم حائرون فقط لأنهما من الأشراف، ولو كانا من الفقراء لما ترددوا فى إقامة الحد عليهم، وهو الرجم حتى الموت.. أما لكونهما من الأشراف فهم يبحثون عن مخرج لهما.

أخيراً قرروا أن يرسلوا وفداً من اليهود إلى محمد ﷺ، ومعهم الزانيان ليسألوه عن حكمه فى جريمة الزنى بالنسبة للمحصنين... وفعلا ذهب الوفد ومعهم الزانيان وزودوهم بنصيحة واحدة هى:

إن كان حكم محمد بالجلد، فاقبلوه فذاك ما نبغيه.. وحينئذ يثبت لدينا بأنه ليس نبياً، بل هو ملك كاذب، وإن كان حكمه بالرجم، فلا تقبلوه وعودوا ثانية

جاء الوفد إلى رسول الله فسألوه عن حد الزنى للمحصنين فقال: هو الرجم، وهذا الحكم موجود عندكم فى التوراة، فانظروا فى التوراة تجدوا هذا الحكم واضحا.. هذه المعانى صاغها الوحى الأمين بأسلوب فصيح فقال:

«ياأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا... الخ الآيات (١).

---

(١) من ٤١ – ٤٣ سورة المائدة.

مقطع رقم ٢٢٤ جـ ٢
رسول الله يحكم بِرجْم الزُّناة اليهود

١ جاء الرسولُ إلى اليهودِ مُناظِراً[١] كَيْ يَستْبين
٢ كان اليهودُ جميعُهم في بيْتِهم مُتجمِّعين
٣ نادى عليهم، أخرِجُوا أحبارَكُم[٢] والعالـمِين
٤ جاء ابن صُورِىَ لِلرسولِ مِن اليهود الراسخين
٥ هو عَالِمُ التوراةِ حقّاً فِى اليهودِ الحاضرين
٦ قال الرسول له: أعِنْدكَ ما تُجيب السائلين ؟!
٧ إنى أنـاشِدُك الإلـهَ وفَضْلـهُ فى الأولين[٣]
٨ أفلا عَلِمتَ بأنّ حُكْمَ الله رَجْمُ المحْصَنين؟!
٩ فى مُحْكمِ التوراةِ هذا الحكمُ كالنورِ المبين!
١٠ فأجابـه، تالله إنك[٤] صادقٌ، هذا يقين
١١ إن اليهودَ لَيعْلَمُونكَ خَاتماً لَلمُرْسلين
١٢ لكنهم حسدُوك، إذ كانوا جميعاً حاقِدين
١٣ أمر الرسولُ بِرجْمِ مَن زَنَيا بِشرْعِ العادلين
١٤ قد أخبر القرآن[٥] عَنْ هذا، فكونوا عارفين
١٥ كفرَ ابنُ صورىَ بعد هذا، بِئْس قوماً فاسقين

---

(١) مناظراً – فى مناظرة علمية مع أحبار اليهود.

(٢) أحباركم والعالمين – أهل العلم فيكم.

(٣) وفضله فى الأولين – أى فى الأولين والآخرين.

(٤) إنك صادق – اعترف اللعين برسالة محمد.

(٥) أخبر القرآن عن هذا – من وحى الآية ٤١ سورة المائدة.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٢٢٤ جـ ٢

لقد حكم رسول الله ﷺ على الزانيين المحصنين من سادات اليهود وأشرافهم، بالرجم.. وبعد أن أصدر حكمه عليهما، ذهب إلى اليهود في بيت المدراس، وبيت المدراس هذا، فهو فضلا عن كونه مكان عبادتهم، هو أيضاً مكان لإصدار الشائعات، وتدبير المؤامرات.

قال لهم رسول الله: أريدكم أن تأتوني بأعلم رجالكم من تثقون فيه بأنه على علم تام بتعاليم التوراة التي أنزلت على موسى بن عمران.. فجاءوا له برجل اسمه ابن صُوريَ من علماء اليهود الراسخين في العلم، ومعه حبر آخر صنوه في المكانة والعلم أيضاً.

فقال رسول الله لابن صوري والذي معه: «أنشدكما بالذي فلق البحر لبني اسرائيل،وظلل عليكم الغمام، وأنجاكم من آل فرعون، وأنزل المن والسلوى على بني إسرائيل.. ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟!.

فقال أحدهما للآخر: ما نُشدت بمثله قط.. ثم قالا دون تردد: نجد ترداد النظر زنيه، والاعتناق زنيه، والقبل زنيه، فإذا شهد أربعة أنهم رأوه، فقد وجب الرجم، فقال رسول الله: هو ذاك»(١).

وفي رواية أخرى أن رسول الله جعل ابن صوري حكما بينه وبين اليهود، فناشده بما ذكرناه آنفا فقال: أشهد أنك صادق يامحمد، ثم قال: إن اليهود جميعاً يعلمونك رسول الله، لكنهم حسدوك، وأصروا على كفرهم.. فوثب اليهود على ابن صوري، فضربوه وأهانوه وقالوا له: لم قلت ما قلت؟!.

فقال: خفت إن أنكرت أن يخسف الله بنا، فإن القسم الذي ناشدني به ما سمعته من أحد قط.. وحينئذ أمر رسول الله برجم الزانيين، ونفذ الرجم فيهما جهراً أمام الجميع، أمام مسجده ﷺ.

وبرغم أن ابن صوري اعترف بنبوة محمد وصدقه، إلا أنه تراجع إرضاء لقومه عليهم لعنة الله.

---

(١) تفسير ابن كثير للآية ٤١ سورة المائدة.

مقطع رقم ٢٢٥ جـ ٢

رسول الله يطلع على التوراة

١ لقد ارتضى الأحبارُ حُكْمَ محمدٍ مُتظاهِرين
٢ قال الرسول: فأحْضِروا التوراةَ حتَّى نَستبين[١]
٣ هيا اقرءوا التوْراةَ فى سَمْعِ الجميع الحاضرين
٤ جلسُوا جميعاً يَسْمعون تِلاوةَ الحبْرِ[٢] اللعين
٥ قد جاوز[٣] الملعونُ آياتٍ لِرجْـــمِ المحصنين
٦ لَكِنّ عبدَ اللهِ[٤] أوقفــه بأسْلـــوبٍ مُهِين
٧ قِفْ ياعـدوَّ الله هذى آيةُ الرجْم المبين
٨ قد كان عَبْدالله مِنْهم واهتدى[٥] فى المهْتدين
٩ المصطفى سأَلَ اليهودَ فقد رآهُمْ مُعْرِضين
١٠ مالى أراكم تَكْرهُون الحكْم بِالشَّرْع الأمين؟!
١١ فكتابُنا وكتابُكم فى الحكْـمِ كانـا صادقين
١٢ لِمَ تَتْركون الحكْمَ بِالتوراةِ مِثْلَ الآخرين؟!
١٣ قالوا: فهذا أصْلُهُ ظُلْمُ الملـوكِ السّابقين
١٤ لَكِنْ رسولُ الله نفّذَ حُكْمه فى الفاسقين
١٥ أحيـا لحكْـمِ الله كانـوا للشريعة مُهْمِـلين

---

(١) حتى نستبين – نتبين الحقيقة.

(٢) الحبر اللعين – أحد الأحبار بدأ يقرأ التوراة.

(٣) قد جاوز الملعون – لم يقرأ الآيات التى فيها ذكر رجم الزناة المحصنين.

(٤) عبد الله أوقفه – هو عبدالله بن سلام، زجر الحبر لتجاوزه آية الرجم.

(٥) واهتدى فى المهتدين – كان عبدالله من كبار علماء اليهود وأسلم.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٢٥ جـ ٢

حين ارتضى أحبار اليهود بحكم رسول الله ﷺ فى أمر الزانيين من سادات اليهود وأشرافهم، قال لهم رسول الله:

إن هذه القضية حكمها موجود عندكم فى التوراة، فهاتوا التوراة فلننشرها أمام الجميع، فلنقرأها كى نعلم الحكم فيها بشأن هذه القضية.

فجاءوا بالتوراة وجلس أحد الأحبار، وبدأ يقرأ أمام وعلى سمع الجميع.. وكان الجميع جالسين يستمعون لتلاوته.. إلا أن عدو الله حينما وصل إلى النص الذى يذكر فيه الرجم بالنسبة لمن زنى وهو محصن، جاوزه فلم يقرأه، بل وضع يده على النص فأخفاه.

كان عبدالله بن سلام ممن أسلم وحسن إسلامه.. وكان قبل إسلامه واحداً من أحبار اليهود وعلمائهم، وكان موجوداً مع الحاضرين، يرى ويسمع، فرأى الحبر اللعين حين وضع يده على آية الرجم فأخفاها، وجاوزها فلم يقرأها، فضرب عبدالله بن سلام يد الحبر التى وضعها على النص ثم قال:

هذه يانبى الله آية الرجم، يأبى عدو الله أن يتلوها عليك، فقال لهم رسول الله ﷺ:

«ويحكم يامعشر يهود!! ما دعاكم إلى ترك حكم الله وهو بأيديكم؟!»

فقالوا: أما والله إنه كان فينا يعمل به، حتى زنى رجل منا بعد إحصانه من بيوت الملوك وأهل الشرف والسيادة، فمنعه الملك من الرجم.

ثم زنى رجل بعده، فأراد أن يرجمه فقالوا: لا والله حتى ترجم فلاناً، فلما قالوا له ذلك، اجتمعوا فأصلحوا أمرهم على التجبية وأماتوا ذكر الرجم والعمل به.

حينئذ قال رسول الله ﷺ لهم: «فأنا أول من أحيا أمر الله وكتابه وعمل به»

مقطع رقم ٢٢٦ جـ ٢
اليهود يحاولون استمالة رسول الله

١ أمّا اليهودُ فإنّهم كانــوا لِبــعْضٍ ظالمين
٢ بَعْضُ اليهود مُفَضَّلون على اليهود الآخرين
٣ قد فضَّلوا قَتْلى النضير على قُرَيْظةَ[1] مُعْتَدين
٤ الظلـم طبْـعٌ كامـنٌ فيهم فَلَـيْسوا عادلين
٥ جاءوا إلى الهادى وقالوا: قد أَتَيْنَا طائعين
٦ جِئْناكَ تحكُمُ بيننا حُكْمَ الرِّجال المصْلِحين
٧ وَفْدٌ مِن الأحبار شاءوا فِتْنةَ[2] الهادى الأمين
٨ قالوا: فإنا سادةٌ فى القوم لسنا[3] خامـلين
٩ إنْ نتّبـعْكَ فسوف يُسْلِـمُ قومُنا مُتتابِعين
١٠ فإذا أتيْنا لِلْتحَـاكُم معَ خُصومٍ خاصمين
١١ فاحْكُمْ لِصالحنا نكُنْ جمْعاً غَدَوْناً مُسْلِمين
١٢ الوحْى جاء يُوجِّه الهادى إلى الحقِّ المبين
١٣ بِالحقِّ فاحْكُمْ بينهم لا تَسْتمِع لِلْمفسدين
١٤ لاتتَّبِـعْ أهــواءَ قَوْمٍ أفسدوا مُتعمِّدينـــن
١٥ حَكمَ الرسولُ فقال: قَتْلاكم[4] سواءٌ عَن يقين

---

(١) على قريظة – علي قتلى بنى قريظة.

(٢) شاءوا فتنة الهادى – حاولوا إغراءه ليحكم لصالحهم.

(٣) لسنا خاملين – لسنا مجهولين، بل ذوى أقدار.

(٤) قتلاكم سواء – القتلى من الفريقين سواء.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٢٦ جـ ٢

اليهود أهل فساد وظلم.. وهم أيضا أعداء الحق فى كل صورة من صوره، كانوا يقيمون الحدود الشرعية على فقرائهم وضعفائهم.. فإذاما أجرم أحد أشرافهم أو ساداتهم، عطلوا حكم الشرع.. ومن ثم فهم أماتوا ذكر الرجم الموجود فى التوراة عندهم بالنسبة للزانى المحصن.

وهكذا فقد كانوا فى كل شىء لهم مسلك شاذ، يرفضه العقل ويأباه المنطق، فمثلاً كانوا يفضلون بعض اليهود على بعض.. وياليتهم اكتفوا بهذا التفاضل بين الأحياء فحسب، بل انسحب هذا التفاضل على الأموات أيضاً.

لقد كان بين بنى النضير وبين بنى قريظة عداء، وحدثت بينهم معركة قتل فيها من الفريقين قتلى كثيرون.. وعند التصالح فضّلوا قتلى بنى النضير على قتلى بنى قريظة، فيعطون قتيل بنى النضير دية كاملة، ويعطون قتيل بنى قريظة نصف دية.

والسبب أن بنى النضير أقوى وأغنى من بنى قريظة، ومعظم سادات اليهود هم من بنى النضير.. فمن أجل ذلك كان لهم الفضل والتفاضل.

واختلف الفريقان حول هذا الحكم الظالم، إذ رأت بنو قريظة بأن هذا الحكم ظالم، فقرروا أن يرفعوا الأمر إلى محمد ﷺ ليقضى بينهم فى هذا الأمر.. فذهبوا إلى رسول الله، فقضى بالتساوى بين قتلى الفريقين، فأنزل الله فيهم قوله: «سماعون للكذب أكالون للسحت فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم.. الخ» آية ٤٢ سورة المائدة.

وقد حاول اليهود فتنة محمد، لكن الله عصمه من كيدهم، فجاءه وفد من زعمائهم فقالوا له: يامحمد، إنك قد علمت أنا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم، وأنّا إن اتبعناك اتبعك كل يهود ولم يخالفونا، وان بيننا وبين بعض قومنا خصومة، أفنحاكمهم إليك فتقضى لنا عليهم، ونؤمن بك ونصدقك؟ فأبى ذلك رسول الله، فأنزل الله فيهم قوله:

«وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك – إلى قوله – لقوم يوقنون» ٤٩، ٥٠ المائدة.

مقطع رقم ٢٢٧ جـ ٢

اليهود يجادلون رسول الله

١ جاءَ اليهودُ إلى رسولِ اللهِ كالمتسائِـــلين
٢ سألوه لَكِنْ لَمْ يكونـوا لِلْمسَائـل طالـبين
٣ قالـوا: زَعَـمْتَ بأنّ ربكَ واحـدٌ لِلعـالمين
٤ هو واحِدٌ للْخلْقِ ليس له شريكٌ أو مُعِين
٥ أفما عَلِمْتَ[1] له شريكاً؟! قد أتيْنا نَسْتبين
٦ فأجابهم، كلا حَسِبْتُم، ذاك قَوْلُ المفترين
٧ اللهُ أحَـدٌ واحـدٌ فَوْقَ الخليقـةِ أجْمـــعين
٨ إنى بهذا مُؤْمِـنٌ، وإليـه أدْعـو عَنْ يقين
٩ وبرئْتُ مِما تعْبـدون وتشْهـدون كَمُشْرِكين
١٠ قالوا: فإنّـا سائلـوكَ، سُؤَالَ قَوْمٍ جاهـلين
١١ فمتى يكونُ الحشْر[2]؟! أخْبرْنا بِصدْقِ الصادقين
١٢ فأجابهم، هذا مِنْ الخمْس العُلـوم[3] الغائـبين
١٣ والغيْثُ أيضاً والأجنَّةُ بل وكسْـبُ الكاسبين
١٤ والموتُ خامسُهـم فكونـوا لِلْمقالـــةِ فاهمين
١٥ الخمْسُ مِنْ عِلْمِ الإلهِ كقولِ ربِّ العالمين[4]

---

(١) أفما علمت له شريكاً – أما تعلم مع الله إلها غيره.

(٢) فمتى يكون الحشر – متى تقوم الساعة؟!.

(٣) من الخمس العلوم الغائبين – من وحى الحديث «مفاتح الغيب خمس».

(٤) كقول رب العالمين – من وحى الآية ٣٤ سورة الفرقان.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٢٧ جـ ٢

جاء وفد من يهود المدينة إلى رسول الله ﷺ ليسألوه وكما هو معروف عنهم، فهم لا يسألون لكى يعرفوا حقيقة يجهلونها، لا .. إنما هم يسألون محمداً بغية تعجيزه تارة، وبقصد الجدل تارة أخرى .. أو ربما كانوا يتصورون استمالته وذلك بما جبلوا عليه من أفهام سقيمة .. هكذا دأبوا على هذا المسلك المشين .. فقالوا لرسول الله:

زعمت يا محمد بأن ربك واحد للخلق كلهم .. وللكون كله بعوالمه لا شريك له .. أفما تعلم بأن له شريكاً أعانه؟!.

لقد جئناك نسأل ونستفهم فحسب.

فقال لهم رسول الله ﷺ: «لا إله إلا هو بذلك بعثت وإلى ذلك أدعو» فأنزل الله فيهم قوله:

«قل أى شىء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى إلىّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإننى برىء مما تشركون. الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون» آيتا ١٩، ٢٠ سورة الأنعام.

وسؤال آخر من فريق ثان من اليهود قالوا: يامحمد!.

أخبرنا متى تقوم الساعة إن كنت كما تقول؟!.

فأجابهم رسول الله قائلاً:

هذا من الخمس التى استأثر الله بعلمهن.. لا يعلمهن نبى مرسل، ولا ملك مقرب، ويجمعهن قوله تعالى:

«إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير»[١].

---

(١) آية رقم ٣٤ سورة لقمان.

مقطع رقم ٢٢٨ جـ ٢
القرآن يجيب على أسئلة اليهود

١ بَعْضُ اليهودِ تطاولوا بِسؤالِهِم كالمُعْجزين
٢ جاءوا لِكيْما يَلتقُوا بالمصْطَفى مُتسائلين
٣ قالوا عن القرآن: هلْ ذا قولُ ربِّ العالمين
٤ في نظْمِهِ لا يُشبه التوراةَ ذا القوْل الرصين
٥ فأجابهم، هُو مِن كلام الله، كونوا مُوقنين
٦ الإنس ثم الجن لَنْ يأتوا به[1] مُتعَاونين
٧ قالوا: زَعمْتَ بأنّ ربّك فوْق كُلِّ الخالقين
٨ مَنْ ذا الذى خلقَ الإله؟! أجِبْ بِصدْق الصادقين
٩ غضب الرسول وكاد يبطش بِالبُغاة[2] الظالمين
١٠ جبريل فوراً جاء هدّأ[3] غَضْبة الهادى الأمين
١١ معه الجوابُ على سُؤال السائلين المفْسِدين
١٢ وجوابُهم هو سُورة الإخلاص تَهْدى لليقين
١٣ سألوه سُؤْلا ثالثاً عَن ربِّه مُتطَاولين
١٤ عَن وجْههِ عَنْ زِنْدِه ما شكْلُه للناظرين؟!
١٥ غَضِبَ الرسولُ وقد تغيَّر[4] مِن سُؤال المجرمين
١٦ جبريلُ جاء إليه فوراً مَعْهُ قرآنٌ مُبين
١٧ اللهُ ليس كَمِثْلِهِ شيءٌ وفوْق الواصفين[5]
١٨ الأرض إحدى قَبْضَتَيْهِ وللسماواتِ اليمين[6]

---

(١) لن يأتوا به – أي بمثله.
(٢) بالبغاة – جمع باغ وهو المعتدى.
(٣) هدأ – أسكن غضبه.
(٤) تغير – ظهر في وجهه التغير من الغضب.
(٥) فوق الواصفين – لا يستطيع أن يصفه إنسان ما.
(٦) وللسماوات اليمين – من وحي الآية رقم ٦٧ سورة الزمر.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٢٨ جـ ٢

وهكذا، فقد تعددت وفود اليهود الذين يتظاهرون بأنهم يسألون رسول الله ﷺ وهم - كما أسلفنا - يسألون رسول الله لا ليعرفوا حقيقة يجهلونها وإنما يسألونه ليعجزوه أو يضايقوه أو ربما استطاعوا أن يستميلوه!!!.

هذا وفد من اليهود أتى إلى رسول الله فقالوا: يامحمد!.

أحق أن هذا الذى جئت به، هو من عند الله؟! فإنا لا نراه متسقاً منظماً كما تتسق التوراة؟!.

فقال لهم رسول الله: أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله، تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاءوا بمثله.

فأنزل الله تعالى فيهم قوله: «قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» آية ٨٨ سورة الإسراء.

قالوا أيضاً: زعمت يامحمد بأن ربك هو الذى خلق الخلق كلهم، فمن خلق الله؟!.

فغضب رسول الله ﷺ حتى انتقع لونه، ثم ساورهم غضباً لربه، فجاءه جبريل عليه السلام فسكنه فقال: هون عليك يا محمد، وجاءه من الله بجواب ما سألوه عنه.. سورة الإخلاص.

«قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفوا أحد».

وهذا سؤال ثالث، أكثر تطاولًا من السؤالين السابقين. فقالوا: يامحمد! صف لنا ربك، كيف خلقه؟! كيف ذراعه؟! كيف عضده؟!.. فغضب رسول الله أشد من غضبه الأول وساورهم.. فأتاه جبريل عليه السلام، فقال له مثل ما قال أول مرة وجاءه بجواب ما سألوا عنه من عند الله تعالى، وهو قوله عز وجل:

«وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون» آية ٦٧ سورة الزمر.

مقطع رقم ٢٢٩ جـ ٢

وفد نجران بالمدينة

١ وَفْدُ النصارى جاء مِن نَجْران مِثْل الوافدين
٢ فيهم مِن الأشرافِ والرهبان والمتقدِّمين
٣ ذُو رَأْيهم(١) ذو رحْلِهم، ذو عِلْمِهم فى الراسخين
٤ جاءوا يُريدون النبيَّ محمداً مُتسائلين
٥ لا شكَّ صاحِبُ عِلْمهم كانوا له فى المكْرمين
٦ قد كان يَرْكَبُ بَغْلة عَثرتْ وكانوا قادمين
٧ كانوا إذا عَثرتْ ركائبهم غَدَوْا مُتشائمين
٨ عِنْد التشاؤم يَلْعنون عدوَّهم والكارهين
٩ كوزٌ(٢) يسبُّ مُحمداً كُرْهاً كباقى اللاعنين
١٠ لكنَّ عَالِمهُم أخاه يَردُّهُ وله يُهين
١١ ويقول: كلّا لا تسبْ محمداً كالآخرين
١٢ تالله إنّ مُحمداً هو خاتم الرسْل الأمين
١٣ كوزٌ يقول له: فكيف تظلُّ بيْن الكافرين
١٤ إن كُنْتَ تَعْلمُه نبياً فَلْتكُنْ فى السابقين(٣)
١٥ فأجابه، عِزٌّ ومجْدٌ إننى بِهما ضَنين(٤)
١٦ من بعْدِ ذلك جاء كوزٌ مُسْلِماً فى المسْلمين

---

(١) ذورأيهم ورحلهم وعلمهم – رؤساؤهم فى كل شىء.

(٢) كوز – هو اسم شقيق عالمهم الكبير.

(٣) فلتكن فى السابقين – أسرع إلى الإسلام.

(٤) إنى بهما ضنين – لا أستطيع ترك ما أنا فيه من المجد.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٢٢٩ جـ ٢

من بين الوفود التي وفدت على المدينة من كل أنحاء الجزيرة العربية، بغية اللقاء برسول الله ﷺ، وفد نصارى نجران .. وهو من الوفود الهامة التي سجلها التاريخ وعنى بها، ولأهميتها ورد ذكرها في القرآن الكريم في سورة آل عمران.

لقد كان وفد نصارى نجران يضم ستين راكباً، فيهم أربعة عشر رجلًا من أشرافهم، في الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر، إليهم يؤول أمرهم، وهم:

١ – العاقب: أمير القوم، وذورأيهم، وصاحب مشورتهم، والذى لا يصدرون إلا عن رأيه، واسمه عبد المسيح.

٢ – والسيد: ثمالهم – أصلهم الذى يرجعون إليه بأمورهم وشؤونهم – وصاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الأيهم.

٣ – أبو حارثة: أسقفهم، وحبرهم، وإمامهم وصاحب مدراسهم، وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه، وبنوا له الكنائس، وبسطوا عليه الكرامات، لما يبلغهم منه من علمه واجتهاده في دينهم، فلما وجهوا إلى رسول الله من نجران، جلس أبو حارثة على بغلة له، موجها إلى رسول الله، وإلى جانبه أخ له يقال له كوز بن علقمة.

فعثرت بغلة أبي حارثة فقال كوز: تعس الأبعد، يريد رسول الله، فقال له أبو حارثة: بل أنت تعست فقال: ولم يا أخي؟!.

فقال: والله إنه للنبي الذى كنا ننتظره، فقال له كوز: وما يمنعك منه وأنت تعلم هذا؟! فقال:

الذى يمنعني هو ما صنع بنا هؤلاء القوم، شرفونا ومولونا وأكرمونا وقد أبوا إلا خلافه، فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى.

فأضمر عليها منه أخوه كوز، فأسلم بعد ذلك.

مقطع رقم ٢٣٠ جـ ٢
وفد نجران فى حوار مع رسول الله

١ وفد النصارى كان مِن نَجْران جاءوا[١] باحثين
٢ فى المسجد النبوىِّ صاروا كلهم مُتجمِّعين
٣ حانت صلاة العصر عند مجيئهم مُتتابعين
٤ كانت عليهم هيئةٌ فيها جمال[٢] الوافدين
٥ قاموا يؤدُّون[٣] الصلاة بمسجد الهادى الأمين
٦ للشرق نحو المسجد الأقصى غَدَوْا مُتوجِّهين
٧ بعد الصلاة توجَّهوا لِلمصْطفى مُتسائلين
٨ فيهم ثلاثٌ مِن كِبار القوم كانوا عالمين
٩ سألوه عن عيسى وأين مكانهُ فى العالمين
١٠ فأجابهم، هو فى عِداد الأنبياء المُرْسلين
١١ أحد الثلاثة قال قَوْلاً: لا يليق بمؤمنين
١٢ قد كان قولاً فيه كفْرٌ بل وإشراكٌ مبين
١٣ عيسى هو الله الذى نَرْضاه ثم به ندين
١٤ هو خالقٌ للطير مِن طين ومحيى الميِّتين
١٥ هو عالمٌ للغيب شافٍ لِلزمانَى[٤] العاجزين

---

(١) جاءوا باحثين – يبحثون مزيدا من المعرفة.

(٢) فيها جمال الوافدين – تجملوا بأحسن الثياب.

(٣) يؤدون الصلاة – صلاتهم هم على طريقتهم.

(٤) شاف للزمانى – يشفى ذوى الأمراض المزمنة.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٣٠ جـ ٢

إن وفد النصارى الذين قدموا من نجران إلى المدينة للقاء رسول الله ﷺ، منذ أن وصلوا المدينة، توجهوا فوراً إلى رسول الله، فدخلوا عليه فى مسجده الشريف، وقد كان وقت دخولهم حين صلاة العصر.

كانوا جميعاً ذوى هيآت وسمات حسنة.. عليهم ثياب الحبرات، جبب وأردية تليق برجال وافدين ذوى أقدار وهيآت، بحيث إن بعض أصحاب الرسول الذين رأوهم يومئذ قالوا: ما رأينا وفداً مثلهم.

وقد حانت صلاتهم، فقاموا يصلون فى مسجد رسول الله ﷺ، فلما رآهم أصحاب رسول الله يصلون بصلاتهم، هَمَّ بعضهم أن يمنعوهم.. فقال لهم رسول الله: دعوهم.. فصلوا إلى المشرق، إلى المسجد الأقصى.

بعد أن أدوا صلاتهم، وكان فيهم ثلاثة يؤول إليهم أمرهم - كما أسلفنا - فى الرأى والعلم والرحيل وكل شيء وهم: العاقب، والأيهم، وأبو حارثة، فتوجهوا إلى رسول الله بالسؤال، سألوه عن عيسى بن مريم عليه السلام، وأين مكانه فى هذا الكون.. هل هو خالق أو مخلوق؟!.

وقد كان ثلاثتهم يختلفون فى عقائدهم بشأن عيسى.. فأحدهم ممن يقولون: بألوهية عيسى، وثانيهم ممن يَقولون: هو ابن الله، وثالثهم ممن يقولون: هو ثالث ثلاثة.

فأجابهم رسول الله ﷺ قائلًا: إن عيسى بن مريم، نبى من أنبياء الله.. فقال أحدهم ممن يدعى ألوهية عيسى:

بل إن عيسى هو الإله.. والدليل على ذلك أنه كان يحيى الموتى، ويبرىء الاسقام، ويخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طائرا.

فهل يستطيع أحد من البشر أن يفعل هذا؟! قطعاً، لا. إذن فعيسى هو الإله.

مقطع رقم ٢٣١ جـ ٢

رسول الله يردُّ على علماء نجران

١ لقد انتهى أحد الثلاثة مِن حديثٍ للأمين
٢ بئس المقال مقالُه، هو مِن مقال الجاهلين
٣ وتحدث الثاني بقولٍ فيه خلْط[1] المفترين
٤ عيسى هو ابن الله ليس له أبٌ كالآدمين[2]
٥ في مهده قد قال قولًا: إذ أجاب السائلين
٦ وتحدَّث المأفونُ[3] ثالثهم وقال لكي يُبين
٧ عيسى ومريم والإله ثلاثةٌ في الخالقين
٨ هذي السماءُ تفطَّرت[4] مِن قوله ذاك اللعين
٩ إثنان مِن بين الثلاثة في عداد العالمين
١٠ المصطفى ناداهما أن يُسلِما في المسلمين
١١ قالا: فإنا مُسْلِمان، ألا ترانا صادقين؟!
١٢ قال النبي: كذبتما، بل أنتما في المشركين
١٣ أن تجعلا لله نِدّاً ذاك قول الظالمين
١٤ أن تأكلا الخنزيرَ أيضا فهو طُعْمُ الكافرين

---

(١) فيه خلط المفترين – تخبط وافتراء كاذب.

(٢) ليس له أب كالآدمين – أى ليس من البشر.

(٣) المأفون – ناقص العقل والإدراك.

(٤) تفطرت – أى كادت تتشقق.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٣١ جـ ٢

لقد انتهى أحد الثلاثة من وفد نصارى نجران، من حديثه مع رسول الله ﷺ.. وقد كان حديثه فيه تطاول وجرأة على مقام الألوهية العظيم.. بحيث إنه لا يمكن أن يصدر إلا من جاهل أو مشرك.

وهذا هو الثانى من الثلاثة يتحدث مع رسول الله عن عيسى بن مريم وعن حقيقته فيقول: إنه ابن الله!!

والدليل على صحة هذا القول، أنه ليس له أب كأحد من الناس، وأيضا فإنه تحدث فى المهد بلسان فصيح، بحيث أجاب على الأسئلة التى وجهت لأمه.. وهذا لم يصنعه أحد من بنى آدم قبله.

وهذا ثالثهم، ثالثة الأثافى المأفون تحدث مع رسول الله ﷺ فى شأن عيسى بن مريم.. وهو لم يكن أقل كفراً من زميليه اللذين سبقاه بالحديث مع رسول الله فقال:

إن عيسى ثالث ثلاثة!!! والدليل على ذلك أن الله يقول: فعلنا، وأمرنا، وخلقنا، وقضينا، بصيغة الجمع، فلو كان الإله واحدا ما قال إلا فعلت، وأمرت، وخلقت، وقضيت، ولكنه هو وعيسى ومريم آلهة ثلاثة!!!.

لا شك أن هذا القول كفر، وقائله كافر متطاول.. وهو أيضا غبى جاهل باللغة!!!.

فمن كفره وتطاوله، تكاد السموات تنفطر غضباً، ومن جهله تسخر كل العوالم، لا سيما من يعقل، فهو يدعى أن الإله أكثر من واحد لقوله الله:

فعلنا، وأمرنا والخ، وللعلم فهذه لغة المتحدث المعظم نفسه أو معه غيره.. وهل هناك عظيم سوى الله؟!.

وتوجه رسول الله إلى اثنين من الثلاثة كانا أكثر علما، فقال لهما: «أسلما» قالا له: قد أسلمنا، فقال: إنكما لم تسلما، قالا: بلى قد أسلمنا قبلك، فقال: كذبتما يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله نداً وولداً، فذلك ادعاء المشركين، وعبادتكما الصليب وأكلكما للخنزير فذاك طعم الكافرين.

مقطع رقم ٢٣٢ جـ ٢
القرآن يجيب على أسئلة النصارى

١ العالِمـــانِ تكلَّمــــا قالا إلى الهادى الأمين
٢ إنـا لنعلـمُ أنّ عيسى فى عِداد الخالـــقين (١)
٣ إن كُنْتَ تأبى ما نقول: فمن أبوه؟! لِنسْتبين
٤ الوحى جاء وقد أجاب على سؤال السائلين
٥ ولقد أفاض الوحْىُ فى وَعْظِ النصارى المشركين
٦ فى شأن مريم، إنها نَذْرٌ لربٍّ (٢) العـــالمين
٧ قد كُرِّمت مِن ربِّها. صارت له فى القانتين
٨ فى شأن عيسى، إنه عبدٌ (٣) لِربِّ العابدين
٩ هو نَفْخةٌ مِن روح ربِّ العرش ضِمْن المرسلين
١٠ عن خَلْقِهِ، هو مثل آدم، آمِنوا كالمؤمنين
١١ قد جاء للدنيا بغير أبٍ فكونوا موقنين
١٢ إذ إن آدم أصلُه قد كان مِن ماءٍ وطين
١٣ إن تنكِروا هذا فهيّـــا لِلتباهُـــل أجمعين
١٤ هاتوا الذرارى والنساء لِنبْتهِــل مُتضرِّعين
١٥ فَلْنحْتكِـــم لله. أيضا نلعـــن المتكبِّريـــن (٤)

---

(١) فى عداد الخالقين – أنه إله خالق.

(٢) نذر لرب العالمين – من وحى الآية رقم ٣٥ سورة آل عمران.

(٣) عبد لرب العابدين – إنه عبد لله رب الناس.

(٤) الأبيات من ١٠ – ١٥ من وحى الآيات ٥٩ – ٦١ آل عمران.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٣٢ جـ ٢

لقد تحدث رسول الله ﷺ إلى الراهبين، ووعظهما وعرفهما بأنهما ليس على شيء، وأنهما ليسا مسلمين كما زعما، ذلك لأنهما يعبدان الصليب، ويأكلان الخنزير، ويدعوان لله ولدا.

بيد أنهما عليهما لعنة الله لم يقتنعا بما قاله لهما رسول الله، وأصرا على الجدل العقيم والمغالطة.. فمن ثم عاودا السؤال لرسول الله قائلين: والجدل كله عن عيسى ابن مريم وحقيقته — فمن أبوه؟!.

فصمت حينئذ رسول الله، فلم يجبهما.. فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم واختلاف أمرهم كله من صدر سورة آل عمران، إلى بضع وثمانين آية منها.

«الم. الله لا إله الا هو الحى القيوم» فافتتح السورة جل وعلا بتنزيه نفسه عما قالوا، وتوحيده إياه بالخلق والأمر، لا شريك له فيه. رداً على ما ابتدعوا من الكفر، وجعلوا معه من الأنداد.

وتحدثت السورة عن مريم، بأنها نذر لله، نذرتها أمها وهى ببطنها ولما تولد بعد.. وأثنى عليها القرآن فقال: إن الله اصطفاها على نساء العالمين، وطهرها من كل رجس.. وهذا لعمر الله تكريم ما بعده تكريم.

أما عن عيسى بن مريم وحقيقته، فقد كان أول شيء هتف به حين هبط من جوف أمه أن قال: «إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا» آية ٣٠ مريم.

وكل الناس عبيد لله، وهو من روح الله، ومن المرسلين أيضاً.

وعن خلقه وتساؤل النصارى عنه، فقد أجاب القرآن الكريم، بالجواب الشافى فقال عز وجل: «إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب... الخ» آل عمران.

فإن كان قد جاء إلى الدنيا بغير أب، فآدم قبله أيضا جاء بغير أب وأم.

قل يا محمد للنصارى المجادلين: إذا اقتنعتم بهذا فبها ونعمت وإن أبيتم إلا الإصرار على المغالطة، فهيا نتباهل، والتباهل هو: أن يقف فريقا المتخاصمين رجالًا ونساء وأطفالا، كل فريق على حده.. ويتجه الجميع لله ضارعين أن لعنة الله على الكاذبين.

هاتوا ذراريكم ونساءكم كى نتضرع إلى الله أن يلعن الكاذبين المنكرين الجاحدين.

مقطع رقم ٢٣٣ جـ ٢

رهبان النصارى يتراجعون عن المباهلة

١ أنهى الرسولُ حديثَه والقوم كانوا[١] سامعين
٢ كان النصارى دون شكٍّ للحقيقةِ عارفين
٣ هُم يعلمون محمداً فى قوله الصِّدْق المبين
٤ فتشاوروا فى أمرهم، وتحادثوا مُتهامسين
٥ قالوا: فإن محمداً هو خاتمٌ للمرْسلين
٦ لا ترتضوا بالابتهال[٢] ففيه مَحْقُ المنكِرين
٧ عادوا إلى الهادى فقالوا: قد أبيْنا أجمعين
٨ إن التباهُلَ فيه إضرارٌ على المتباهِلين
٩ إنا رضينا بالإيابِ[٣] مِن الغنيمةِ سالمين
١٠ وابعثْ لنا مَنْ ترتضيه أمانةً فى المسلمين
١١ كى نرتضيه مُحكَّما فينا ونحن الشاكرون
١٢ قال الرسول: عَشِيَّةً عودوا لِكَيْما أستبين
١٣ كى أبعثَنْ لكم أميناً فيه بأسُ[٤] القادرين
١٤ كان الأمينُ أبا عُبيْدة[٥]، نِعْمَ مَنْ كان الأمين

---

(١) والقوم كانوا سامعين – هم رهبان النصارى وفد نجران.

(٢) بالابتهال – الابتهال هو: الدعاء والضراعة باللعنة على الكاذبين.

(٣) رضينا بالإياب – من وحى المثل «رضينا من الغنيمة بالإياب»

(٤) فيه بأس القادرين – فيه قوة وأمانة.

(٥) أبا عبيدة – هو أبو عبيدة بن الجراح.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٣٣ جـ ٢

لقد انتهى رسول الله ﷺ، من حديثه ووعظه للرهبان من وفد نصارى نجران.. ولا غرو فقد كان الرهبان يعرفون الحقيقة بأن محمداً رسول من عند الله، وهو خاتم رسل الله، ما فى ذلك من شك.. إذن فهم يعلمون بأن كل ما قاله محمد هو الصدق، ولا شيء غير الصدق.

وكما أسلفنا فإن رسول الله دعاهم إلى المباهلة ماداموا مصرين على المغالطة.

فقالوا لرسول الله: ياأبا القاسم، دعنا ننظر فى أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه.. فانصرفوا عنه، ثم خلا بعضهم إلى بعضهم يتشاورون ويتهامسون فى أمر المباهلة.. فقالوا لصاحب رأيهم المدعو عبد المسيح: ماذا ترى ؟!.

فقال: والله يا معشر النصارى، لقد عرفتم أن محمداً نبى مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم – عيسى بن مريم – ولقد علمتم أنه ما لاعن قوم نبياً قط، فبقى كبيرهم، ولا نبت صغيرهم، وانه للاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم، والإقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم، فوادعوا الرجل ثم انصرفوا إلى بلادكم.

فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: ياأبا القاسم، قد رأينا ألا نلاعنك وأن نتركك على دينك، ونرجع على ديننا، ولكن ابعث معنا رجلًا من أصحابك ترضاه لنا، يحكم بيننا فى أمور قد اختلفنا فيها من أموالنا.. وليكن أميناً.

فقال لهم رسول الله ﷺ: «ائتونى العشية أبعث معكم القوى الأمين».

فلما جاءوا قال لهم رسول الله: هذا هو أمين هذه الأمة، هو أبو عبيدة بن الجراح.. فنعم ذاك الأمين.. فقال له رسول الله:

«اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه».

رسول الله يرسل سراياه

ظهور النفاق فى المدينة

مقطع رقم ٢٣٤ جـ ٢

الراهب الفاسق وابن سلول المنافق

١ قد كان عبدالله فى الأنصار ذا شرف أثير[١]
٢ هو سيِّدٌ فيهم مُطاع من كبير أو صغير
٣ هموا بِصُنع التاج كَيْما يجعلوه هو الأمير
٤ لكنْ مجيىءُ المصطفى لا شكَّ قد قلب المصير[٢]
٥ فتحطَّمت أحلامه، وتبخَّر الأمل الكبير
٦ وهناك فى الأنصار أيضا راهبٌ[٣] رجلٌ خطير
٧ هو سيدٌ فى الأوس ليس مِن الرِّجال له نظير
٨ هذان كانا فى المدينة للسيادة[٤] والنّفير
٩ قد كان هذا قبل أن يأتيَهمُ الهادى البشير
١٠ لما أتاهم أسلمَ الأنصارُ فى شكْل مثير
١١ لقد ارتضَوْا بالمصطفى وبدينه، النورِ المنير
١٢ لم يَبْقَ حول السَّيدين[٥] من الرجال ولا نصير
١٣ لما رأى ابن سلول هذا، صار فى أمرٍ عسير
١٤ قد أعلن الإسلام فوراً إنه رجلٌ مَكِير
١٥ أبدى المحبَّة لِلنبى وقلبُه حِقْدٌ مرير
١٦ قد صار رأساً لِلنفاق وكان رأساً[٦] للمسير

---

(١) ذا شرف أثير – ذو مقام ومحبب لديهم، هو عبدالله بن أبى ابن سلول

(٢) قلب المصير – تغيرت الأوضاع.

(٣) راهب رجل خطير – هو أبو عامر الراهب.

(٤) للسيادة والنفير – للقيادة السياسية والحربية معا.

(٥) لم يبق حول السيدين – هما ابن سلول والراهب.

(٦) وكان رأسا للمسير – كان قائدا لمسيرة قومه فأصبح رأسا للنفاق

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٣٤ جـ ٢

عبد الله بن أبى سلول، كان سيد أهل المدينة، لا يختلف عليه فى شرفه من قومه اثنان، بحيث لم يجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين، كما اجتمعوا عليه.

وكان أهل المدينة قد اتفقوا على تنصيبه ملكاً عليهم، لدرجة أنهم كانوا ينظمون له خرز التاج كما قيل، وذلك قبيل ظهور الإسلام فى المدينة بقليل، وقد وصل رسول الله ﷺ المدينة مهاجراً، وكان أصحابه قد سبقوه إليها مهاجرين وظهر الإسلام فى المدينة.

فلما فشا الإسلام فى المدينة، وسارع الأنصار أوسهم وخزرجهم بالدخول فى دين الإسلام زرافات ووحدانا، تحطمت أحلام ابن سلول التى كان يحلم بها، وضاعت آماله التى كان يتمناها.

وكان فى المدينة رجل آخر من الأوس، شريفاً مطاعاً فى قومه، واسمه عبد عمرو بن صيفى الملقب بأبى عامر الراهب، كان قد ترهب فى الجاهلية، ولبس المسوح، وكان يقال له: الراهب.

كان الاثنان: ابن سلول والراهب فى المدينة، أهلا للشرف والسيادة، مطاعين فى قومهما، بيد أن شرفهما كان سبباً فى شقائهما.

فلما أسلم أهل المدينة جميعهم، ولم يبق حول الرجلين أحد يقول قولهما، ويرى رأيهما ورأى الاثنان، معاداة الإسلام – أما ابن سلول فقد نظر للأمر نظرة واقعية، وأدرك بأن لا جدوى من معاندة هذا التيار العاتى – تيار الإيمان بدين الإسلام – فسارع بالدخول فى الإسلام كارهاً، يظهر المحبة لرسول الله. بينما قلبه ينطوى على حقد للإسلام ورسول الإسلام، ذلك لأنه كان يتصور بأن رسول الله قد استلبه ملكاً كان له.

فمن ثم صار بسلوكه هذا – إظهار الحب لدين الإسلام ورسول الإسلام وإخفاء الكراهة لهما – منافقاً.. بل عرف أخيراً بأنه رأس النفاق فى المدينة بعد أن كان سيدها المطاع، وصاحب الرأى الأخير والكلمة النافذة فيها.

مقطع رقم ٢٣٥ جـ ٢

أبو عامر الراهب يفرُّ إلى مكة

١ الراهب الملعون(١) طار صوابه فى الذاهبين
٢ لما رأى أنصارَه صاروا جميعاً مُسلمين
٣ قد جاء للهادى يُجادله جِدالَ الحاقدين
٤ قالِ اللعين إلى رسول الله: جِئْتُ لأسْتَبين
٥ فَلْتُخْبِرنِّى أىَّ دِين أنت تتْبعُ أو تَدين؟!
٦ فأجابه، أدعو إلى دين السلام(٢) إلى اليقين
٧ أدعو إلى دين الخليل(٣)، إلى إلهِ العالمين
٨ بيضاءُ جِئْتُ(٤) بها لأهْدى التائهين الحائرين
٩ قال اللعينُ: أراك قد غيَّرت مِن دينٍ لِدين
١٠ مَن كان يكذِب، فَلْيمُتْ طَرْداً وفى(٥) المتشرِّدين
١١ قد أمَّن(٦) الهادى على ما قاله ذاك اللعين
١٢ ترك اللعينُ بِلاده حِقْداً على الهادى الأمين
١٣ وأتى لمكةَ هارباً قد صار ضِمْنَ المشركين
١٤ فى فتح مكة فرَّ نحو الشام أرض الكافرين
١٥ قد مات مطْروداً وحيداً فى عِداد الفاسقين

---

(١) الراهب الملعون – هو أبو عامر الفاسق كما سماه رسول الله.

(٢) إلى دين السلام – هو دين الإسلام.

(٣) دين الخليل – الحنيفية السمحة.

(٤) بيضاء جئت بها – هى فطرة الإسلام.

(٥) طرداً وفى المتشردين – مطروداً مشرداً.

(٦) قد أمنَّ الهادى – عندما دعا الراهب على الكاذب قال الرسول: آمين.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٢٣٥ جـ ٢

أما أبو عامر الراهب فهو صنو ابن سلول فى المدينة، شرفاً وقدراً، فحينما رأى قومه الأنصار، صاروا جميعاً مسلمين، طار صوابه وضاع رأيه، وذهبت حكمته، وصار يتصرف تصرفا لا يليق برجل فى سنه وشرفه، فماذا يصنع؟!.

فجاء لرسول الله ﷺ فقال له: لقد جئتك يا محمد سائلا لأتبين وجه الحقيقة، فما هذا الدين الذى جئت به الينا في بلدنا؟!.

فقال له رسول الله ﷺ: «جئت بالحنيفية دين ابراهيم» فقال أبو عامر: فأنا عليها يا محمد.

فقال رسول الله: «إنك لست عليها»

فقال الراهب: بلى.. وإنك أدخلت فى الحنيفية ما ليس منها يامحمد.

فقال رسول الله: «ما فعلت ولكنى جئت بها بيضاء نقية».

فقال أبو عامر - يعرض برسول الله - : الكاذب أماته الله طريدا غريبا وحيداً.

فقال رسول الله ﷺ: «أجل فمن كذب يفعل الله تعالى ذلك به».

وفر اللعين هاربا إلى مكة بحقده وعدائه للإسلام ورسول الإسلام، وانضم إلى مشركى مكة يشاركهم العداء والضغينة لرسول الله ولكل ما جاء به من عند الله.

فلما فتح الله مكة لرسوله والمسلمين معه، فر عدو الله نحو الشام، فمات هنالك مطروداً وحيداً، أصابته دعوة دعا بها، فأمن عليها رسول الله ﷺ.. وقد سماه رسول الله ﷺ «الفاسق».



مقطع رقم ٢٣٦ جـ ٢

رسول الله فى مجلس فيه ابن سلول

١ ركبَ الرَّسُولُ مطيَّةً لِيزورَ سَعْداً[١] من شِكَايه
٢ قد أرْدفَ الهادى[٢] أسامة حِبَّه نعم الولايه
٣ سعدٌ زعيمِ الخزرج الأنصار أهْلًا للرعايه
٤ قد كان ممَّنْ أعلنوا للمصطفى كلَّ الحمايه
٥ فى سَيْرِه مَرَّ النبىُّ بحاقِدٍ يَبْغى[٣] الغِوايه
٦ ذاكُم هو ابن سلول رأساً فى النفاق وفى الجنايه[٤]
٧ قد كان يجلس حَوْله بعضُ الرِّجال ذوى الكفايه
٨ فتوجَّه الهادى إليهم كان يمشى فى عِنايه
٩ وتلا عليهم مِنْ كتابِ الله، حذَّر مِن عَمايه
١٠ حتى إذا فرغَ الرسول مِن التلاوة والرِّوايه
١١ وإذا اللعينُ يقول لِلْهادى مقالًا[٥] لِلنكايه
١٢ مِنْ قَوْلـه: كُفَّ فلا تُواصِلْ لِلْحِكايـه
١٣ اجْلِسْ ببيْتك مَنْ أتاك، فعِظْه إذ يبغى الهدايه
١٤ لَكِنْ مقالُك لا نُحبُّ سماعَه مُنْذُ البِدايه

---

(١) ليزورَ سعداً من شكايه – يزور سعداً سيد الخزرج لمرض ألم به.

(٢) أردف الهادى أسامة – أركب خلفه أسامة بن زيد.

(٣) يبغى الغوايه – يريد الضلال والنفاق.

(٤) فى النفاق وفى الجنايه – جنايته على الدين بالدس والنفاق.

(٥) للنكايه – النكاية، القتل فى العدو وهى هنا للإهانة.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٢٣٦ جـ ٢

أصيب سعد بن عبادة زعيم قبيلة الخزرج في المدينة، . . . نة ألمت به ألزمته الفراش.. فعلم رسول الله ﷺ بمرضه، فقرر عليه الصلاة أن يعوده.. وتلك سنة فعلها رسول الله، ودعا أصحابه إليها، فعملوها وقاموا بها.

ركب رسول الله مطية، وأردف خلفه حِبّه أسامة بن زيد، ليعود سعداً في بيته.. فمر رسول الله في طريقه على مجلس فيه رهط من الأنصار، فيهم عدو الله ابن سلول المنافق.

فلما رأى رسول الله ذلك المجلس، كره أن يجاوزه دون أن ينزل، فنزل، فسلم على القوم، ثم جلس قليلًا، فتلا القرآن الكريم، ودعا إلى الله عز وجل، وذكر بالله وحذر وبشر وأنذر.

كل ذلك وعدو الله صامت لا يتكلم، مظهراً كراهته لحديث رسول الله، حتى إذا ما فرغ رسول الله من حديثه، قال له عدو الله ابن سلول:

ياهذا، إنه لا أحسن من حديثك هذا، إن كان حقا فاجلس في بيتك، فمن جاءك له، فحدثه إياه، ومن لم يأتك فلا تثقل عليه به، ولا تأته في مجلسه بما يكره منه.

فنحن لا نحب سماعه، إذن فكفه عنا.

* * * * *

مقطع رقم ٢٣٧ جـ ٢
سعد بن عبادة يعتذر لرسول الله

١ لقد انتهى رأس[١] النفاق مِن المقال لِكَىْ يُهين
٢ كان المقال مُوجَّها للْمصْطفى فى السامعين
٣ لَكِنَّ رجُلًا[٢] مُؤْمناً قد كان بَيْـنَ الجالسين
٤ لم يَرْضَ عنْ هذا المقال: فقال للهادى الأمين
٥ لا تستمع لمقالـهِ ياخيـرَ كُلِّ العـالمين
٦ ولْتغْشَنَـا فى دُورنـا ومجالسِ المتحـدِّثين
٧ ولسوف نرْضِي ما تقول برغم كُرْهِ الكارهين
٨ شعر اللعين[٣] بخيبةٍ وازداد مِن حِقْـدٍ دَفين
٩ المصطفـى مع حِبِّـه وصلا لِسعْـدٍ زائريـن
١٠ سعْدٌ تساءل إذ رآه عليه سِيما الغاضبين
١١ فأجابـه الهادى وأخبره عن الوغْـدِ اللـعين
١٢ سعْدٌ يقول إلى رسول الله قَوْلَ الآسِفين
١٣ مِنْ قَوْلِـه: كِدْنـا نُتوِّجُـهُ[٤] علينـا مُرْتضين
١٤ لما أتـيْتَ تبـددتْ أحلامُـه فى الذاهـبين
١٥ فيرى بأنك سالبٌ لِلْمُلْك منه على اليقين
١٦ فَلْتعْفُ عنه، أو الهلاكُ له كباقى الهالكين

---

(١) رأس النفاق – هو عبد الله بن أبى بن سلول.

(٢) رجلًا مؤمنا – هو عبد الله بن رواحة.

(٣) شعر اللعين بخيبة – هو ابن سلول.

(٤) كدنا نتوجه علينا – نتوجه ملكا فى المدينة.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٢٣٧ جـ ٢

لقد تحدث عدو الله ابن سلول، إلى رسول الله ﷺ، حديثا كله حقد وضغينة، وجفاء وعداء.. وقد كان فى المجلس رجال مؤمنون، كرهوا مقالة ابن سلول، منهم عبد الله بن رواحة الذى هتف قائلًا: لا، لا يارسول الله، لا تستمع لمقال هذا الرجل، بل فاغشنا فى مجالسنا وفى دورنا، وفى كل مكان.

أسمعنا من حلو حديثك، فهو والله مما نحب، ومما أكرمنا الله به، وهدانا له.. وإن أسماعنا لتطرب له، وقلوبنا تلين وتستضيىء به، ونفوسنا تشتاق إليه.

فلما سمع عدو الله ابن سلول، مقالة ابن رواحة المؤمن، فكانت كالسهم موجهة له، ترد عليه إهانته لرسول الله.. حينذاك علم المأفون بأن قومه مخالفوه لا محالة، وهم ليسوا معه كما كان العهد بهم من قبل، فتمثل بقول الشاعر:

متى ما يكن مولاك خصمك لا تزل

تذل ويصرعك الذين تصارع

وهل ينهض البازى بغير جناحه

وإن جُذ يوماً ريشه فهو واقع

وقام رسول الله ﷺ من المجلس، وأتى سعداً فى منزله.. وفى وجهه ما قاله عدو الله ابن سلول.. فقال سعد فوراً: والله يا رسول الله إنى أرى فى وجهك شيئاً لكأنك سمعت شيئا تكرهه؟! فقال رسول الله: «أجل» ثم أخبره بما قال ابن سلول، فقال سعد: يارسول الله، ارفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإنا لننظم الخرز له لنتوجه، وإنه ليرى أن قد سلبته ملكا كان له.

* * * * *

مقطع رقم ٢٣٨ جـ ٢

حُمَّى يثرب وأصحاب رسول الله

١ أما المدينةُ فهى مِن شرِّ البلاد مِن[١] الوباء

٢ قد كانت الحُمَّى بها فتاكةً تُعْطى الفناء[٢]

٣ أودتْ بِعبدالله[٣] قَبْلًا بعد فوزٍ بالفداء

٤ لما تقدَّم طائعاً للذبح مِن غير التواء

٥ ينجو بمكة بالفِداء، فجاء يثربَ لِلقضاء[٤]

٦ جاء الرسول مُهاجِراً والصحْبُ مِن أهلِ الوفاء

٧ جاءوا ليثرب هاربين مِن المذلَّة والعداء

٨ وجدوا بها الحمىَّ أشدَّ ضراوة مِن كُلِّ داء

٩ قد أصبحوا مرضى فليسوا عارفين لها دواء

١٠ صلُّوا قُعوداً مِن هزال بالمشقةِ والعناء

١١ قال النبى لهم: فصلُّوا قائمين للاقتداء[٥]

١٢ أجْرُ الصلاةِ لِقاعِدٍ نِصْف الوقوف على السواء

١٣ سمِعوا لِنُصْح المصطفى صلُّوا وقوفاً فى رضَاء

١٤ أمرُ النبى مقدَّس فى صَحْبِه أهلِ الولاء

---

(١) من الوباء – وباء مرض الحمّى.

(٢) تعطى الفناء – قاتلة.

(٣) أودت بعبد الله قبلا – هو عبد الله بن عبد المطلب.

(٤) فجاء يثرب للقضاء – نفذ فيه قضاء الموت.

(٥) للاقتداء – لكى يقتدى بكم غيركم.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٢٣٨ جـ ٢

كانت المدينة المنورة معروفة بوباء الحمى، فكانت أكثر البلاد وباء، قد لا ينجو من وبائها أحد يمر بها، لا يكون من أهلها.

ولا غرو فقبلا أصابت عبدالله بن عبد المطلب، أثناء مروره بها عائدا من رحلة الصيف إلى الشام، فقضت عليه.. وكان ذلك بعيد نجاته من حادثة الفداء بأيام.. لما نجا من الذبح بمائة من الإبل، يالله!! ينجو بمكة من الموت بمائة من الإبل، نحرها كلها عبد المطلب فرحاً مسروراً بنجاة ولده الحبيب.. وتقضى عليه حمى المدينة.. وتلك لعمر الله معادلة صعبة لا يفهمها ولا يقدرها ولا يدركها أحد من البشر.. إنه قضاء الله وقضاء الله، لا شأن لنا بتفسيره.

قدم رسول الله إلى المدينة مهاجراً، ومن قبله كان أصحابه قد سبقوه إليها مهاجرين أيضا، وسبب خروجهم من مكة، هو بطش مشركى مكة العتاة، وقسوتهم على كل المسلمين، لا سيما المستضعفين منهم.

فلما قدموا المدينة، وجدوا الحمى بها أكثر ضراوة وأشد فتكاً من كل الأعداء، فأصيبوا جميعاً بوباء الحمى، بحيث لم يبق أحد معافى منها.

من شدة آلام المرض صاروا يصلون قعودا.. فقال لهم رسول الله ﷺ:

«اعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم».

لما سمع أصحاب رسول الله نصح رسولهم، تجشموا القيام فى الصلاة على ما بهم من الضعف، التماساً للفضل.

ذلك لأن رضاء رسول الله عندهم مقدس، ومقدم على رضاء نفوسهم هم.. كيف لا، وهو الذى آمنوا به وصدقوه، وفى سبيل رضائه ونصرته تركوا الأهل والمال والوطن والولد.

مقطع رقم ٢٣٩ جـ ٢
حنين المهاجرين إلى مكة

١ كلُّ الذين أتوْا لِيثربَ قد أُصيبوا بالوباء
٢ أمّا النبيُّ فإنه قد صانهُ ربُّ السماء
٣ لم تَغْشَهُ(١) الحمّى فظل مُواسياً للأصْدقاء
٤ مِن شدَّة الحمَّى فصاروا يَهْرفُون مع(٢) البكاء
٥ الشوق طار(٣) بهم حيث ظلَّ الأقرباء
٦ الحب للوطن الأصيل يثير شَوْقَ الأوفياء
٧ فهناك ظل الأقربون كذا الذرارى والنساء
٨ المصطفى مُتضرِّعاً لله فى صِدْقِ الدعاء
٩ يارَبِّ إنى أرتَجيك فلا تَرُدَّنَّ الرجاء
١٠ حبِّبْ لنا هذى المدينة مثل مكة بِالسواء
١١ يارب حبِّبها إلينا ولْيكُن فيها البقاء
١٢ بارِكْ لنا فى صاعِها(٤) واجعل لنا فيها الرخاء
١٣ ولَتصرِفَنَّ وباءها فوق الرَّوابى(٥) والفضاء
١٤ ولْترْضَ عنا ياإلهى واعْطِ أصحابى الشفاء
١٥ وَلْتُعْطِنَا عِزّاً ونصْراً كى نردُّ الاعْتداء

---

(١) لم تغشه الحمى – لم يصبه مرض الحمى.

(٢) يهرفون مع البكاء – يخلطون فى قولهم من آلام الحمى.

(٣) الشوق طار بهم لمكة – تمنوا العودة لمكة.

(٤) فى صاعها – الصاع هو مكيال الحبوب.

(٥) فوق الروابى والفضاء – إلى الصحراء.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٣٩ جـ ٢

كما أسلفنا فى المقطع السابق، فإن أصحاب رسول الله ﷺ الذين قدموا من مكة مهاجرين، قد أصيبوا كلهم بوباء الحمى دون استثناء.

أما رسول الله ﷺ، فلم تصبه الحمى مطلقا.. لقد صانه ربه من الإصابة بها ومن آلامها أيضا.. ظل معافى سليما، فصار يواسى أصحابه الذين أنهكتهم الحمى بآلامها، فصاروا يهذون ويهرفون ويشتد بهم الشوق مع المرض فيبكون حنيناً إلى مكة ومن فيها.

لقد تذكروا الأهل والأحباب بها.. فشعروا بحنين جارف إلى وطنهم الأول، فمن ثم صاروا يتغنون بمكة وفضلها، وبطاحها وضواحيها، ولا غرو فهى ملرج طفولتهم، ومربع صباهم، ومسقط رأسهم.

لقد سمع رسول الله ﷺ ما يقوله أصحابه عن مكة وحبهم لها وحنينهم إليها، وما هتفوا به من أشعار تغزلًا بها ومدحاً لها، لذلك توجه ضارعا إلى ربه بدعاء مخلص فقال ما معناه:

اللهم إنى أتوجه إليك، راجياً منك فإنك لا تخيب رجاء من رجاك، أسألك يارب أن تحبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشد، فإنها أصبحت الوطن لنا، والمحيا والممات فيها إن شاء الله.

بارك لنا فى صاعها ومُدِّها، واجعل الخير فيها عميماً، واجعل الحياة فيها رخاء وأمناً وطمأنينة.

واصرف الوباء عنها إلى البرارى والقفار.. وأسألك اللهم الرضوان، والشفاء لأصحابى مما أصابهم.. واجعل النصر حليفنا على أعدائنا إنك على كل شىء قدير.

* * * * *

مقطع رقم ٢٤٠ جـ ٢

شهر ربيع فيه أكثر من حدث

١ شهر الرَّبيع لقد تميَّزَ بالحوادث فى العصور[١]
٢ قد جاء فيه المصطفى للعالمين كومْضِ نُور
٣ فتبسَّم الكون العبوسُ وصار يزهو فى حُبُور[٢]
٤ ومحمدٌ يدعو إلى توحيد مَوْلاه الغفور
٥ فلقدْ قضى الأعوام عَشْراً مَعْ ثلاث فى كُدور[٣]
٦ وترادفتْ أحداث هذا الشهر من بيْن الشهور
٧ الهجرةُ الكُبْرى تتمُّ به إلى أرْض السرور[٤]
٨ فلقدْ أتاها[٥] فى ضُحى الاثنين مِن شهْر الزهور
٩ فى نفس ذاك اليومِ مولدُه تدوَّن فى السطور
١٠ ولقد قضى فى يثربَ عاماً بلا حَرْبٍ تدور
١١ مِنْ بعْدِ عام غزْوةُ الأبْواء تمَّتْ فى البُكور
١٢ هى أول الغزواتِ تمتْ دون حرْب. أو شرور
١٣ فتوادعَ الهادى وضُمْرةُ[٦] للوفاء بِلا قُصور
١٤ قد كان مَخْشيُّ بن عمرو سيِّدَ الوادى الجسور

---

(١) فى العصور – فى كل العصور لا سيما ولادة الرسول وهجرته ووفاته.

(٢) فى حبور – فى سعادة وفرح.

(٣) فى كدور – تعب ومشقة.

(٤) أرض السرور – المدينة المنورة.

(٥) أتاها – هو رسول الله.

(٦) وضمرة – هم بنو ضمرة.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٤٠ جـ ٢

إن شهر ربيع الأول، أصبح متميزا بين شهور العام بأهم الأحداث، لا سيما الأحداث الإسلامية.

فيه ولد محمد ﷺ، فكان مولده بمثابة قبس من النور شع فى أرجاء الجزيرة العربية، فبدد الظلام الذى كان مخيماً عليها.

وابتسم الكون بعد أن كان عابساً مما يجرى فيه من أحداث يندى لها جبين الإنسانية، من ظلم وجبروت وكفر وإلحاد.

ولما أكرم الله محمداً بالنبوة، صار يدعو الناس إلى توحيد الإله الخالق العظيم، وترك عبادة الأصنام، التى لا تملك لنفسها ضراً أو نفعاً فضلاً عن غيرها.

ظل رسول الله ﷺ فى مكة ثلاث عشرة سنة يجاهد فى سبيل نصرة دين الله.. وقد لاقى من أذى المشركين وصلفهم وقسوتهم واعتداءاتهم ما يعجز عن احتماله أحد من الرجال.

تعددت الأحداث فى شهر ربيع الأول، فمولد رسول الله ﷺ، كان فى شهر ربيع الأول، وكانت هجرته أيضا فى شهر ربيع الأول، قيل إنه دخل المدينة المنورة منتهى رحلة الهجرة، فى شهر ربيع وفى اليوم الذى ولد فيه، يوم الاثنين الثانى عشر منه[1]

بعد وصول رسول الله إلى المدينة مهاجراً، قضى فيها عاماً كاملًا لم يفعل شيئا.. وبعد مضى عام بالضبط تهيأ غازياً فى صفر على رأس اثنى عشر شهراً من مقدمه المدينة، وكانت وجهته يريد قريشاً وبنى ضمره، فوادعته فيها بنو ضمره.

وكان الذى وادعه منهم، مخشى بن عمرو الضمرى، كان سيدهم فى زمانه ذلك.. سميت غزوة الأبواء، وهى أولى غزوات رسول الله ﷺ.

---

(١) لقد قرر الفلكيون المحققون أخيراً أن المولد كان فى التاسع من ربيع الأول، والوصول إلى قباء للهجرة فى الثامن من ربيع الأول، وكلاهما كان يوم الاثنين «مجمع البحوث الإسلامية».

مقطع رقم ٢٤١ جـ ٢

عبيدة بن الحارث قائد أول سرية

١ مِنْ بَعْد أمر الله للهادى بأن يَغْزو[١] اللئام

٢ فوراً أجاب بِغزْوةِ الأَبْواء تمتْ فى سلام

٣ وتتابعتْ مِن بَعْدِها سير الكتائبِ بانتظام

٤ بعث النبىُّ عُبيْدةَ بن الحرث فى قوم عِظام

٥ ستين كانوا من خيار مُهاجِرى البلد[٢] الحرام

٦ قد كان أولَّ قائد لسريَّة ذاك الهمَام

٧ بل أولُ الراياتِ تُعْقَدُ لِلْقتال على التمام

٨ فتوجَّهوا نحو الحجاز وقد أرادوا الانتقام

٩ قد صادفوا عِيراً لمكةَ أهلُها أهلُ الخِصام

١٠ لكنَّهم ما قاتلوهم لم يتم[٣] الالتحام

١١ سعدُ بنُ أبى وقَّاص رماهم نِعْم رمياً بالسِّهام

١٢ هو أوَّل الرامين فى الإسلام بالسّهم الإمام

١٣ فى المشركين اثنانِ كانا مُشْركين وفى الظلام

١٤ فَوْراً قد انضما لجيشِ المسلمين إلى السلام[٤]

---

(١) يغزو اللئام – هم المشركون.

(٢) مهاجرى البلد الحرام – كلهم من المهاجرين.

(٣) لم يتم الالتحام – لم يلتحم الجيشان للقتال.

(٤) إلى السلام – إلى دين الإسلام.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٢٤١ جـ ٢

بعد عودة رسول الله ﷺ وصحبه سالمين من غزوة الأبواء، إذ لم يلقوا كيداً، ولم يقاتلوا أحداً.. لقد تمت الموادعة بين فريقى المسلمين وبنى ضمرة.. وكان الذى ناب عن بنى ضمرة فى الموادعة هو مخشى بن عمرو الضمرى كما أسلفنا.

بعد غزوة الأبواء، توالت سرايا وكتائب المسلمين، إلى كل أنحاء الجزيرة العربية، لمطاردة المشركين أنى وجدوا، وحيثما كانوا لا سيما مشركى مكة.

أولى هذه السرايا، سرية عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب، بعثه رسول الله ﷺ فى ستين أو ثمانين راكبا، كلهم من المهاجرين، ليس فيهم أحد من الأنصار.

فكان عبيدة بن الحرث أول قائد لسرية مسلمة، ورايته أول راية عقدها رسول الله بنفسه فى الإسلام، لأحد من المسلمين.

فسار عبيدة بن الحرث برجاله، حتى بلغ ماء بالحجاز، بأسفل ثنية المرة.. فلقى بها جمعا كبيراً من قريش هنالك.. بيد أنه لم يحدث بينهم قتال أو التحام.

إلا أن سعد بن أبى وقاص، قد رمى يومئذ بسهم.. فكان ذاك أول سهم رماه سعد فى الإسلام.. ثم انصرف القوم عن القوم.

فرّ من المشركين إلى المسلمين يومئذ اثنان، هما:

١ – المقداد بن عمرو البهراتى، حليف بنى زهره.

٢ – عتبة بن غزوان، حليف بنى نوفل، وكان الاثنان مسلمين، وقد خرجا مع المشركين ليتوصلا بهما.

وكان على القوم فى القيادة عكرمة بن أبى جهل.

★ ★ ★ ★ ★

مقطع رقم ٢٤٢ جـ ٢

ثانى السرايا يقودها حمزه

١ قد كان حمزة[١] قائداً ثانى سرايا المسلمين

٢ عقَدَ النبىُّ له اللواء على رجالٍ طائعين

٣ هُمْ مِن رجالٍ هاجَروا مِن مكةَ البلدِ الأمين

٤ جاءوا لِيثربَ والتقوْا فيها بقوم[٢] مُؤمنين

٥ قال النبى مُوصيًا للقوم[٣] كانوا سامعين

٦ سِيروا بأمر الله حتَّى تلتقُوا بالمشْركين

٧ قد كان سَيْفُ البحر[٤] وِجْهتَهم لِلُقْيَا الظالمين

٨ كانوا ثلاثين التقَوْا بالخصم كانوا أكثرين

٩ قد كان قائدهم أبا جَهْلٍ زَعِيمَ المعْتدين

١٠ الخصْمُ قد كانوا ثلاثاً مِن مِئات كافرين

١١ كان اللُّقاءُ على طريق الشام دَرْب الذاهِبين

١٢ لقد التقى الجيشانِ ثُمَّ تراجعوا مُتوادِعين[٥]

١٣ قد كان مجْدىُّ بن عمرو[٦] حاجزَ المتحاربين

١٤ هو مِن جُهيْنةَ بالمودة مِن كِلا المتخاصِمين

١٥ ما صار بينهمــا قِتــالٌ ثم عادوا آمنين

---

(١) حمزة – هو حمزة بن عبد المطلب.

(٢) بقوم مؤمنين – هم الأنصار.

(٣) موصيا للقوم – لحمزة ورجاله.

(٤) سيف البحر – ساحل البحر.

(٥) تراجعوا متوادعين – دون قتال.

(٦) مجدى بن عمرو – هو من جهينة.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٤٢ جـ ٢

أما حمزة بن عبد المطلب – أسد الله وأسد رسوله – هو عم رسول الله ﷺ، وأخوه من الرضاع .... كان قائداً لثانى سرية مسلمة، فقد عقد له رسول الله ﷺ اللواء بيده الشريفة وأمره أن يتوجه نحو سيف البحر.

خرج حمزة كأمر رسول الله فى ثلاثين راكبا، كلهم من المهاجرين الذين قدموا من مكة إلى المدينة فارين بدينهم، من بطش طغاة قريش وظلمهم وقسوتهم.. فوجدوا فى المدينة قوما مؤمنين، فاستقبلوهم أحسن استقبال، أنزلوهم فى دورهم، ومنحوهم ودهم ومواساتهم فصاروا جميعاً إخوة متحابين.

لما خرج حمزة من المدينة برجاله، أوصاهم رسول الله ﷺ فقال: سيروا بأمر الله، حتى تلتقوا بالأعداء من المشركين، ولتكن وجهتكم سيف البحر.

وصل المسلمون بقيادة حمزة بن عبد المطلب إلى المكان الذى قصدوه، وحدده لهم رسول الله.. فوجدوا المشركين هنالك.. إلا أنهم فوجئوا بمالم يكن فى الحسبان، لقد وجدوا أن عدد المشركين، عشرة أضعاف عددهم.

فبينما كان عدد المسلمين ثلاثين راكباً، كان عدد المشركين ثلثمائة راكب من أهل مكة، وعلى رأس القوم عدو الله وعدو رسوله، أبو جهل اللعين، وهو المعروف بأنه الخصم اللدود لدين الإسلام ونبى الإسلام.

وسيف البحر تقع على طريق القوافل الذاهبة إلى الشام.. وعندما التقى الفريقان كادا أن يلتحما.. بل صفوا بعضهم أمام بعض استعدادا للقتال.. لكنهم تراجعوا قبل أن يلتحموا، فلقد تصدى مجدى بن عمرو الجهنى – وكان موادعا للفريقين – فحجز بينهم، فانصرف الفريقان بعضهم عن بعض، ولم يكن بينهما قتال.



مقطع رقم ٢٤٣ جـ ٢
غزوتا بُواط والعُشيْره

١ يغزو الرسولُ إلى بُواط كان يرجو الالتقاء
٢ يرجو اللقاءَ بِأهلِ مكةَ إنهم أهلُ العداء
٣ لكنّه لم يلْقهم سلكوا طريقاً من[1] وراء
٤ عاد الرسول وصحْبُه مِن غيرِ حَرْب أو لِقاء
٥ وغزا العُشيرة بعدها مع صَحْبه أهلِ الفداء
٦ في ظلِّ ذات الساق[2] نزلَ المصطفى للاحتماء
٧ هي مِن ذوات الظلِّ يغشاه المسافرُ مِن عَناء
٨ صلى الرسول وظلَّ مسجده[3] هُنالك في الفضاء
٩ صنعوا طعاماً عِنْدها لِلمُصْطفى وسَقوْه ماء
١٠ وصلُوا العُشيْرة بعد جهد واستقاموا في رخاء[4]
١١ فلقد أقاموا ثَمَّ شهراً آمنين الاعْتداء
١٢ وهناك مَدْلج وَادَعُوا[5] الهادى فصاروا أصدقاء
١٣ عاد الرسولُ وصَحْبه بالأمن من ربِّ السماء
١٤ المصطفى سمَّى عليًّا كُنْيةً فيها رِضاء
١٥ الاسم كان أبا تُراب فيه ودٌّ مَعْ صَفاء

---

(١) من وراء – سلكوا طريقاً غير معروف لأحد.

(٢) ذات الساق – اسم شجرة ببطحاء ابن زاهر.

(٣) وظل مسجده هنالك – مكان سجوده عليه الصلاة والسلام.

(٤) في رخاء – راحة واسترخاء.

(٥) وادعوا الهادى – تصالحوا مع رسول الله، هم بنو مدلج.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٤٣ جـ ٢

بعد عودة سرية حمزة بن عبد المطلب إلى المدينة، قرر رسول الله ﷺ أن يغزو «بواط»، وذلك فى شهر ربيع الأول، كان يبغى لقاء أهل مكة بأى وسيلة ممكنة.

خرج رسول الله بأصحابه حتى بلغ بواط من ناحية رضوى – اسم جبل قرب المدينة – لكنه لم يلق أحداً من قريش، فرجع بأصحابه إلى المدينة ولم يلق كيدا.

وبعد حوالى الشهرين، فى جمادى الأولى، غزا رسول الله ﷺ «العشيرة» يريد قريشا أيضا، واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد.

توجه رسول الله بصحبه نحو العشيرة، وفى الطريق نزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر اسمها ذات الساق، فصلى رسول الله عندها، فثم مسجده وصنع لرسول الله طعام عند تلك الشجرة فأكل منه وأكل الناس معه.. فموضع أثافى البرمة معلوم هنالك.. واستقى له من ماء يسمى المشترب.

ثم ارتحل رسول الله يواصل المسيرة يريد العشيره، وسلك بصحبه طريقاً وعراً بين الشعاب والجبال والوديان، حتى وصل العشيرة بعد جهد. فأقام هنالك جمادى الأولى، وليالى من جمادى الآخرة، ثم وادع فيها بنى مدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة.. فرجع رسول الله وصحبه إلى المدينة سالمين، لم يلقوا كيداً، وفى تلك الغزوة كنى رسول الله عليا كنيته المعروفة هى «أبو تراب».

والصحيح أن هذه الكنية كناها رسول الله لعلى فى المدينة، وقصتها هى: عن سهل بن سعد قال: جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة ابنته، فلم يجد عليا، فقال لها: أين ابن عمك؟! قالت: كان بينى وبينه شيء فغاضبنى، فخرج فلم يَقِلْ عندى، فقال رسول الله لإنسان: انظر أين هو؟!.

فجاء فقال: يا رسول الله هو فى المسجد راقد، فجاءه ﷺ وهو مضطجع، قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب، فجعل رسول الله يمسحه عنه ويقول: «قم أبا تراب». أخرجه الشيخان وغيرهما.. قال السهيلى: ما فى الصحيح أصح، إلا أن يكون كناه بها مرة فى هذه الغزوة ومرة بعدها فى المسجد.

مقطع رقم ٢٤٤ جـ ٢
بدر الصغرى أو سفوان

١ عادَ الرسولُ مِن العشيْرة[1] لم يكُن فيها قتال
٢ فأقام عشراً مِن ليالٍ فى المدينة بالكمال
٣ من بعدها جاء النذيُر فأخبر الهادى وقال:
٤ يا خيرَ خَلْقِ الله أدْرِك سرْحَنا[2] قَبْل المحال
٥ كَرْزُ بنُ جابر معه رهْطٌ من صعاليكِ الرجال
٦ هجموا علينا ضَحْوةً[3] ساقُوا المواشى والجِمال
٧ ولقدْ أهانوا للرعاة وقيَّدوهُم فى الحبال
٨ فتكُوا بهِم فَتْكاً ذريعاً بل أساءوا فى المقال
٩ هبَّ الرسولُ ومعْه أصحابُ المروءةِ لِلنِّضال
١٠ هبُّوا لكيما يَلْحقوا بالمعْتدين ذوى الضَّلال
١١ لَكِنَّ أهل الغدْر فروا فى الشِّعاب وفى الجبال
١٢ عاد الرسول وصحْبُه مِن غيْر حَرْبٍ أوَ نِزال
١٣ هى غزْوةٌ قد سُمِّيَتْ بَدْر الصغيرة : لِلسّؤال
١٤ أو سُمِّيَتْ سفْوان[4] فى بعض المواطن لا جدال

---

(١) من العشيرة – اسم لغزوة من غزوات رسول الله.

(٢) أدرك سرحنا – الإبل والماشية.

(٣) ضحوة – وقت الضحى.

(٤) سفوان – سميت هذه الغزوة اسمان: سفوان، وبدر الصغيرة.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٢٤٤ جـ ٢

لقد عاد رسول الله ﷺ من غزوة العشيرة سالماً ومعه صحبه الأبرار.. فلم يقاتلوا أحداً، ولم يلقوا كيداً، فأقام بعدها رسول الله فى المدينة حوالى عشر ليال.. وإذا نذير جاءه يخبره ويقول: النجدة، النجدة يارسول الله.

يارسول الله! لقد حدث أمر خطير.. لقد نُهبت أموالنا، لقد تعرضنا فى المرعى للنهب.

يارسول الله، أدرك سرحنا ومواشينا، لقد أغار عصبة من الرجال، يقودهم كرز بن جابر الفهرى.. فاستاقوا الإبل والمواشى.

ضربوا الرعاة وأهانوهم، ثم قيدوهم بالحبال، وتركوهم مقيدة أرجلهم، مكتوفة أيديهم.. بل لقد نالوا من الإسلام والمسلمين بالسباب والشتائم المقذعة.. ثم فروا هاربين بالغنيمة يارسول الله فى البرارى والجبال.

هب رسول الله ﷺ فوراً، وهب المسلمون معه، فتوجهوا فى إثر المعتدين ليلحقوا بهم.. واستعمل رسول الله على المدينة حِبَّه زيد بن حارثة.

واصل رسول الله بصحبه مطاردة المجرمين بغية اللحاق بهم، حتى وصل واديا يقال له: «سفوان» من ناحية بدر، لكن كرز بن جابر وعصابته الأوغاد، فاتوا رسول الله وصحبه، وعادوا بغنيمتهم التى غنموها سالمين.

هذه الغزوة سميت «غزوة بدر الصغرى» والبعض من كُتَّاب السِّير يسميها غزوة «سفوان».



مقطع رقم ٢٤٥ جـ ٢

عبد الله بن جحش، أول أمير

١ وسريَّة[1] الشهرِ الحرام يقودها بطلٌ قدير

٢ ذاك ابن جَحْش جدُّه للمُصْطفى الجدُّ[2] الأخير

٣ قد كان أول مَنْ تسمَّى فى الصحابة بالأمير[3]

٤ أعطاه خَيْرُ الخلق أمراً كان ذا سِرٍّ خطير

٥ قال الرسول له: فَسِر بالأمر مِن دَرْب قصير

٦ سِرْ بالكتاب ومعْك رَهْطٌ مِن أُولى العزْم الكبير

٧ إياك لا تفتح كتابى قبل إتمام المسير[4]

٨ وهناك فاقرأ للكتاب لِتسْتَفيد وتسْتَنير

٩ اقْرأهُ فى سَمْع الرِّفاق ففيه تحديد المصير

١٠ اقرأه بعْد مَسِيركم يومين فى دَرْبٍ عَسير

١١ ولْتمْض بالأمر المدوَّن فى الكتاب بِمنْ يسير

١٢ سِرْ بالرِّجال الطائعين فإنهم خَيْرُ النَّصير

١٣ لا تُكرهنَّ لمن أبى، مَنْ يأْبَ ليس هو الظهير[5]

١٤ كانوا ثمانيةً مِن الأبطال ما فيهم حقير

---

(١) سرية الشهر الحرام – هكذا سميتها نظرا لما قيل فيها بأنها فى شهر رجب.

(٢) الجد الأخير – يلتقى مع رسول الله فى جده عبد المطلب من ناحية أمه أميمة.

(٣) بالأمير – قيل هو أول من تسمى بأمير المؤمنين، كأمير على سرية

(٤) قبل إتمام المسير – قبل أن تصل إلى المكان الذى حددته لك.

(٥) ليس هو الظهير – لا خير فيه ولن يكون معينا.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٤٥ جـ ٢

هذه سرية من أهم السرايا فى الإسلام، لقد سميتها «سرية الشهر الحرام» نظراً لما حدث فيها، وتضارب الأقوال، وتناقض الآراء فى قصتها.. بيد أن القرآن الكريم حسم القضية، ووضع الأمر فى نصابه.. ووضح ما كان غامضا على المسلمين وهو قوله تعالى:

«يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتالٌ فيه كبير وصدٌّ عن سبيل الله وكفْرٌ به والمسجد الحرام وإخراجُ أهله منه أكبر عند الله.. الخ» الآية ٢١٧ سورة البقرة.

وقصتها هى: أن رسول الله ﷺ، بعث عبد الله بن جحش فى رجب بعد عودته من غزوة بدر الصغرى، وبعث معه رجالًا من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد.. كانوا جميعاً ثمانية.

وعبد الله بن جحش، هو ابن أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله، يلتقى مع رسول الله من ناحية الأم فى عبد المطلب، أقرب الأجداد.

أعطاه رسول الله كتابا مغلقا، وقال له: سر بالكتاب واختر أقرب الطرق التى توصلك إلى الجهة التى تريدها.

سر بمن معك من المهاجرين، ذوى الإرادة القوية، والعزيمة الماضية، والإيمان الصادق... وللعلم فابن جحش أول أمير فى الإسلام.[1].

لا تنظر فى الكتاب قبل أن تبلغ المكان الذى أنت متجه إليه، ثم اقرأ الكتاب أمام أصحابك وعلى مسامعهم.. ولسوف تجد فيه خطة مسيركم والمهمة الموكولة إليكم.. والمدة المحددة لمسيركم هى يومان.. بعد اليومين فقط إقرأ الكتاب، ثم سر بمن يرغب المسير معك من أصحابك، ولا تكرهن أحداً منهم.. والثمانية هم:

١ – عبد الله بن جحش أمير السرية ٢ – أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة.
٣ – عكاشة بن محصن ٤ – عتبة بن غزوان ٥ – سعد بن أبى وقاص.
٦ – عامر بن ربيعة ٧ – خالد بن البكير ٨ – سهيل بن بيضاء.

---

(١) مسند الإمام أحمد عن سعد بن أبى وقاص.

مقطع رقم ٢٤٦ جـ ٢

أمير السرية يقرأ الرسالة

سار الأميرُ وصحْبُه نحو المهمَّة راشدين
يومين ساروا لم يكونوا للأوامر[١] عارفين
وصلُوا هناك واستراحوا حَيْثُ كانوا مُتْعَبين
فتحَ الكتابَ أمام أصحابِ المسيرةِ أجمعين
وتلاه جَهْراً حيثُ كانوا لِلتلاوة سامِعين
الأمرُ فى ذاك الكتابِ مُحدَّدٌ لِلذَّاهبين
أمْرٌ مِن الهادى الأمين إلى أمير[٢] المؤمنين
سِرْ نَحْو[٣] نَخْلةٍ قُرْبَ مكةَ حيثُ دَرْبُ القافلين
وارصُدْ قُرَيْشاً واعرِفِ الأخبارَ حتَّى تَسْتبين
بعد التلاوةِ قال: إنى أوّلٌ فى الطائعين
وَثَنَى وقال لِصحْبِهِ: لا لن تكونوا مُكْرهين
مَنْ شاءَ مِنْكم أنْ ينالَ شهادةً فى الخالدين!
فَلْيَتْبَعْنِى، أو إذا شِئْتُم فظلُّوا قاعدين
قالوا جميعاً: إننا جِئْنا بِعَزْم الصادقين
إنا سنفعلُ مايريدُ رسولُنا لَنْ[٤] نستكين

(١) لم يكونوا للأوامر عارفين – كانوا يجهلون مضمون الكتاب.

(٢) إلى أمير المؤمنين – هو أمير السرية.

(٣) نحو نخلة – اسم مكان قريب من مكة.

(٤) لن نستكين – لن نتقاعس أو نتراخى.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٢٤٦ جـ ٢

لقد سار أمير السرية، عبد الله بن جحش برجاله كما أمره رسول الله ﷺ.. ساروا يومين كاملين دون أن يكونوا عارفين لحقيقة المهمة الذاهبين لأجلها تفصيلا.

بعد أن سار الأمير بصحبه يومين كاملين نحو مهمتهم، فتح الأمير كتاب رسول الله ﷺ، ثم تلاه أمام أصحابه وعلى أسماعهم.. فإذا فيه ما يلي:

«إذا نظرت فى كتابى هذا، فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها قريشاً، وتعلم لنا من أخبارهم».

فلما انتهى عبد الله من تلاوة الكتاب قال: سمعا وطاعة لله ورسوله.. ثم قال لأصحابه: قد أمرنى رسول الله ﷺ، أن أمضى إلى نخلة، أرصد بها قريشاً حتى آتيه منهم بخبر.

وقد نهانى رسول الله أن أستكره أحداً منكم للذهاب معى إلى تلك المهمة.. فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها، طاعة لله ورسوله، فلينطلق معى.. ومن كره ذلك فليرجع.. أما أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ.

بعد أن انتهى الأمير من حديثه إلى أصحابه، أجابوه جميعا قائلين: لقد جئنا جميعاً طائعين لأمر رسول الله.. ولسوف نفعل كل شيء يريده رسول الله منا.. ولن نتهاون فى أمره مطلقاً.

ألا فنعم الرجال هم، بهم وبإخلاصهم رفعت راية الإسلام على معظم المدائن من المعمورة.



مقطع رقم ٢٤٧ جـ ٢

سرية المسلمين تلتقى بقافلة قريش

١ يمضى الأمير وجُنْدُه قد نفَّذوا أمرَ الرسول

٢ أمْرُ النبىِّ مقدَّس فى القوم مِن أهْلِ الأصُول

٣ قطعوا الفيافى شاسِعاتٍ فى الوعورة والسُّهول

٤ قدْ يمموا صَوْبَ الحجازِ لَيرْصُدوا عِيرَ[١] القُفول

٥ سَعْدٌ تخلَّف وابنُ غَزْوان وضلُّوا فى الوصول

٦ هذان كانا فى السريَّةِ خَيْرَ ضَرَّابى النُّصول

٧ وصلتْ سَرِيَّتهم لِنخْلةٍ قرَّروا فيها النُّـزول

٨ هذى هى العِيرُ التى يَبْغونها جاءتْ[٢] تؤول

٩ العِيرُ كانوا لِلتجارةِ نَحْوَهم شاءوا[٣] الحلول

١٠ هُمْ مِن قُرَيْش إنهم أهْلُ التطاول والفُضول

١١ والقائدُ ابن الحضْرمى[٤] يقودهم ذاك الجهول

١٢ خَصْمانِ صارا فى مُواجهةٍ تَطيشُ لها العُقول

١٣ المشركون أصابهم ذُعْرٌ وصاروا فى ذُهول

١٤ والمسلمون تَهيَّأوا لِلْبطْش قد دقُّوا[٥] الطُبـول

---

(١) ليرصدوا عير القفول – القافلةِ العائدة من الشام.

(٢) جاءت تؤول – القافلة مقبلة نحوهم.

(٣) شاءوا الحلول – أرادوا الاستراحة.

(٤) ابن الحضرمى – هو عمرو ابن الحضرمى.

(٥) قد دقوا الطبول – كناية عن استعدادهم للقتال.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٤٧ جـ ٢

مضى أمير السرية عبد الله بن جحش بصحبه جميعا، لم يتخلف عنه منهم أحد، ذلك لأنهم كلهم مهاجرون، وما كانت هجرتهم إلا استجابة لداعى الإيمان، وتنفيذا لأمر رسول الله ﷺ لهم.. ولا غرو فأمر الرسول مقدس عندهم.

ساروا بين الجبال والوديان، فى السهل والوعر، متجهين نحو الحجاز كى يرصدوا عيراً لقريش، عائدة بتجارتها.

أثناء مسيرتهم وصلوا إلى مكان ما فى الصحراء، أضل سعدُ بن أبى وقاص وعتبةَ بن غزوان بعيرٌ لهما كانا يتعقبانه، فتخلف الاثنان يبحثان عن ذاك البعير الضال.. وقد كان الاثنان من خيرة الرجال فى الحرب والنزال.

ومضى أمير السرية ببقية الرجال، حتى نزل بنخلة، وهوَ المكان المحدد لهم فى كتاب رسول الله ﷺ.. فمرت بهم عير لقريش، تحمل زبيباً وأدماً، تجارة لقريش، فيها عمرو بن الحضرمى كان قائداً لعير التجارة ومعه آخرون.

نزلت عير التجارة بحذاء نزول المسلمين النازلين فى الصحراء.. فلما رأوا المسلمين هابوهم.. لقد وجدوا أنفسهم وجها لوجه أمام خصومهم الذين يخشون بأسهم وسطوتهم، ويحسبون ألف حساب خشية اللقاء بهم.

صار المسلمون يفكرون فى الأمر ويتشاورون فيما عساهم فاعلين، وقد كان جل تفكيرهم يدور حولَ البطش برجال تلك التجارة، فهذه بغير شك فرصة مواتية لتحقيق المهمة التى قدموا من أجلها.

* * * * *

مقطع رقم ٢٤٨ جـ ٢

المسلمون يقتلون واحداً ويأسرون اثنين

١ فى أرض نَخْلَةَ يلتقى الخصْمان فى أرْضٍ فضاء
٢ عِيرُ التجارة(١) مِن قُريش، والرجالُ الأتقياء
٣ فى شهْر رجب كان هذا فى نهايتِهِ اللقاء
٤ شهرٌ حرامٌ ليس فيه تطاولٌ(٢) أو اعْتداء
٥ هذا الأمير وصحْبُه يتعاهدون على الوفاء(٣)
٦ قد قرَّروا أنْ يَبْطشوا بالمشركين الأغبياء
٧ فوراً رماهم(٤) واقِدٌ بالسهم رَمْى الأقوياء
٨ مِنْ سَهْمِه قد مات قائدُهم(٥) فضار إلى الشقاء
٩ واسْتأسَروا رَجُلَيْن منهم لِلْمذلَّة والعَناء
١٠ قد فرّ رابعُهم وعاد المسلمون الأوْفياء
١١ أخذوا أسيرَيْهم وعادوا بالغنيمة فى مَضاء
١٢ قد أخرجوا خُمْس الغنيمةِ للرسول على رِضاء
١٣ قد وُفِّقوا فى قَسْمهم لِلخُمسْ مِن ربِّ السماء
١٤ لكنّه الشهرُ الحرامُ وأهْرقوا فيهِ الدِّماء

---

(١) عير التجارة – أى رجال عير التجارة.

(٢) ليس فيه تطاول أو اعتداء – لاقتال فيه لأنه من الأشهر الحرم.

(٣) يتعاهدون على الوفاء – على الصدق فى القتال.

(٤) رماهم واقد – هو واقد بن عبد الله أحد أفراد السرية.

(٥) قد مات قائدهم – هو ابن الحضرمى.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٤٨ جـ ٢

كما أسلفنا فإن سرية المسلمين بقيادة عبدالله بن جحش، نزلت نخلة، نفس المكان الذى حدده رسول الله ﷺ، فى كتابه المغلق إلى أمير السرية.. وهناك التقوا بقافلة لقريش تحمل تجارة لهم، بقيادة عمرو بن الحضرمى، فصاروا وجها لوجه أمام خصومهم.

هذا اللقاء كان فى آخر يوم من شهر رجب.. ورجب شهر حرام، لاقتال فيه ولا عدوان، كان هذا معمولًا به قبل الإسلام، وجاء الإسلام فأقره.

تشاور المسلمون فى شأن القوم، أيقتلونهم أم يتركونهم؟! إن قتلوهم فسوف يكون ذلك فى الشهر الحرام، وإن تركوهم فسوف يدخلون الحرم – أى حدود مكة – فتردد القوم، وهابوا الإقدام على هذا الأمر.. ثم شجعوا أنفسهم عليهم، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم، وأخذ ما معهم.. وكان المشركون أربعة، فرمى واقد بن عبدالله التيمى. أحد أصحاب عبدالله بن جحش، عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله.. وهو قائد القافلة.

أما الثلاثة الآخرون فأخذوا اثنين منهم أسيرين هما: عثمان بن عبد الله، والحكم ابن كيسان.. وفر الرابع فأعجزهم هو نوفل بن عبد الله.

وعاد عبد الله بن جحش بأصحابه والعير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة.

وكان عبد الله قال لأصحابه عند تقسيم الغنائم عليهم: ان لرسول الله ﷺ مما غنمنا الخمس.. وكان ذلك قبل أن يفرض الله تعالى الخمس من المغانم.. فعزل لرسول الله خمس الغنائم، وقسم الباقى بين أصحابه.

هذا لعمر الله توفيق من المولى العظيم، لأحبابه المخلصين، إذ وفقهم للعمل بالقانون السماوى قبل نزوله على رسوله الكريم.

ولكن بقيت هناك مشكلة هامة، هى القتل فى الشهر الحرام.

مقطع رقم ٢٤٩ جـ ٢

رسول الله يأبى أخذ خمس الغنيمة

١ عاد الأمير وجُنْـدُه وغنيمـة والانـتصار
٢ وصلوا المدينةَ حيث كان المصطفى فى الانتظار
٣ قد أخرجوا للمصْطفى خُمْسَ الغنيمةِ فى الدِّيار(١)
٤ إذ أخبروه بِكُلِّ ما قد تمَّ فى ذاك المسار
٥ قد كان أولَ(٢) مَغْنمٍ وكذا قَتيلٍ مع أسَار
٦ المصطفى لم يَرْضَ أخْذَ الخمْسِ ينتظر القرار(٣)
٧ القومُ أسْقِطَ فى يدَيْهم ذاك معناه الخسَار(٤)
٨ إخوانُهم قدْ عَنَّفوهُم كَىْ يَذوقوا الاعْتبار
٩ ولقد أشاعَ المشركون إشاعةً فى كُلِّ دار
١٠ قالـوا: فإنَّ محمـداً حقـاً أساء الاختيـار
١١ سفكَ الدماءَ وذاك فى شَهْر حرام فى النهار
١٢ المسلمـون جوابُهـم عمَّـا يُقـال ومـا يُثـار
١٣ فى شَهْر شعبان الذى قد تمَّ كُفُّوا عن دَوار(٥)
١٤ الله أنـزلَ حُكْمـه بِالحقِّ فيـه الاعْتِـذار

---

(١) فى الديار – عند وصولهم لديارهم فى المدينة.

(٢) أول مغنم – نعم، كان هذا أول عملٍ حربى يقوم به المسلمون.

(٣) ينتظر القرار – ينتظر الإذن من الله.

(٤) معناه الخسـار – الهلاك وحبوط الأعمال.

(٥) كفوا عن دوار – لا تغيروا الحقائق.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٤٩ جـ ٢

لقد عادت السرية التى أرسلها رسول الله ﷺ، بقيادة عبدالله بن جحش.. عادوا غانمين سالمين منتصرين.. وصلوا المدينة حيث كان المسلمون جميعهم، وعلى رأسهم رسول الله ينتظرون قدومهم.

منذ أن وصلوا المدينة، أخرج أمير السرية خمس الغنيمة الذى كان أخرجه لرسول الله، قبل تقسيم الغنائم على أصحابه.. فأعطاه لرسول الله وأخبره بكل ما تم فى تلك الرحلة، وظروف لقائهم بالمشركين بالضبط.

ولا غرو فهذه أول غنيمة غنمها المسلمون.. وأول قتيل قتله المسلمون من الأعداء.. وأول أسيرين أسروهما أيضا.

بيد أن رسول الله حين عرف القصة على حقيقتها، أبى أن يأخذ من الأمير خمس المغانم وقال: «ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام» فوقف العير والأسيرين.. فلما قال ذلك رسول الله، سقط فى أيدى القوم وظنوا أنهم قد هلكوا، وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا.

حينئذ أشاع المشركون قائلين: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الأموال، وأسروا فيه الرجال.

فكان جواب المسلمين على إشاعة المشركين، وتشنيعهم عليهم، أن قالوا: إنما أصاب المسلمون ما أصابوا فى شهر شعبان ولم يكن فى شهر رجب.

فلما أكثر الناس فى ذلك، أنزل الله على رسوله ﷺ قوله: « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به... الخ» آية ٢١٧ البقرة.

فكان فى ذلك اعتذار للمسلمين، سرّى عنهم ما هم فيه من الهم.

مقطع رقم ٢٥٠ جـ ٢

رسول الله يرضى عن فعل السرية

١ جاء القرار من الإله يردُّ زَعْم المشْركين
٢ ذاكِ القرار مُسجَّلٌ فى مُحْكَم الذِّكْر[١] المبين
٣ نافٍ لِقَــوْل المشركين مُؤيِّــدٌ لِلْمسْلِــمين
٤ رضِيَ النبىُّ عن السريَّة فى قِتال المجرمين
٥ وقد ارتضى خُمْس[٢] الغنيمةِ والأسارى الموثَقِين
٦ هذى قُرَيْشٌ أرسلتْ تَفْدِى الأسَارى الكافِرين
٧ قال النبىُّ لهم: فَلسْنـــا لِلأسارى تاركين
٨ حتى يجيىءَ رِجالُنـا سَعْدٌ وعُتْبــةُ آمنين
٩ إنْ تقتلُـوا لِرجالنـا، فَلْسوْفَ نثـأر قاتـلين
١٠ سَعْدٌ[٣] وعتبةُ قدْ أتَوْا مِن حيثُ كانا غائبين
١١ المشركـون أتَـوْا لِيفْـدوا صاحِبيْهـم مُسْرعينَ
١٢ أحدُ الأسارى أعلنَ الإسلامَ فوْراً عَن يَقين
١٣ كان اسمُه الحكم بن كيْسَان غَدا فى المهْتدين
١٤ قال الأمير إلى النبىِّ: فهل نُثابُ مُجاهدين
١٥ جاء الجوابُ مِن الإلــه مُبشِّراً لِلسَّائــلين

---

(١) فى محكم الذكر المبين – آية رقم ٢١٧ سورة البقرة.

(٢) ارتضى خمس الغنيمة – بعد أن رفضه.

(٣) سعد وعتبة – هما سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٥٠ جـ ٢

كان القرار القرآنى الذى أنزله المولى عز وجل، على رسوله محمد ﷺ، بشأن سرية عبد الله بن جحش، وما أشيع حولها من أقوال .. لا سيما امتناع رسول الله ﷺ عن أخذ الخمس من المغانم وقبول الأسرى أول الأمر .. كان قراراً فاصلًا.

ذاك القرار، قطع ألسنة المتخرصين والشامتين، وصحّح مفاهيم المسلمين الذين تشككوا فى الأمر .. وفرَّج الله عنهم ما كانوا فيه من الخوف.

بعد نزول ذلك القرار هو «يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه... الخ» رضى رسول الله عن فعل السرية، وأخذ خمس المغانم التى كان عبد الله أخرجها لرسول الله عند تقسيم الغنائم على أصحابه .. وقبض الأسيرين أيضا.

أرسلت قريش تفدى أسيريها هما: عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان فقال لهم رسول الله: «لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا» يعنى سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان «فإنا نخشاكم عليهما .. فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم».

أما سعد وعتبة فلم يلبثا أن عادا من غيبتهما إلى المدينة سالمين، وجاء القرشيون ليفدوا أسيريهم، حين علموا بقدوم سعد وعتبة، ففداهما رسول الله.

بيد أن أحد الأسيرين وهو الحكم بن كيسان، أعلن إسلامه بين يدى رسول الله، فحسن إسلامه، وأقام فى المدينة، وأما عثمان بن عبد الله فعاد إلى مكة وظل على كفره ..

لما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه – حين نزل القرآن – طمعوا فى الأجر فقالوا: يارسول الله أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين؟! فأنزل الله فيهم قوله «إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم» آية ٢١٨ سورة البقرة ..

فوضعهم الله من ذلك على أعظم الأجر.

مقطع رقم ٢٥١ جـ ٢
مقدمة عن غزوة بدر الكبرى

١ عن غَزْوة الفُرْقان[١] سَلْني كانت النَّصْر الكبير
٢ الـــنصر للإيمان فيها كان ليس لهُ نظير
٣ المصطفى مع صَحْبه خرجوا إلى الأمر الخطير
٤ كى يَلْتَقُوا بالشِّرْك فى بَدْرٍ وبالأَمْر المثير
٥ لقد الْتقى الجَيْشَان فى أرْضِ الخلود[٢] بلا سفير[٣]
٦ المصطفى قد ناشدَ المْوْلَى بأُسْلُوبِ الفقير[٤]
٧ ربَّاهُ نصْرَكَ قد وعَدْت لِذَلك اليوم العسير
٨ ياربِّ لا تهلك رجالى كُنْ لهُم نِعْم النصير
٩ فوْراً أتى جبْريل مَعْـهُ كتيبةٌ جمعٌ غفير
١٠ جاءوا بأمر الله ألفاً مُرْدِفين[٥] لهم زفير[٦]
١١ الأمر جاء لهم بِقَتْل المشركين من القدير
١٢ وتسابق الأبطال نحو المجد كان لهم زئير[٧]
١٣ قتلوا عُتَاةَ الكُفْرِ فى بَدْر وقد أسروا الكثير
١٤ سبعون قَتْلى، ثم أسْرَى مثلهم قال البشير[٨]
١٥ وترى زعيم الشرك[٩] مقتولًا بسيْف فتىً صغير
١٦ والمشركون غَدَوْا فُلُولًا فى البرارى لا مُجير

---

(١) غزوة الفرقان – هى غزوةُ بدر الكبرى.

(٢) أرض الخلود – أرض بدر خلد اسمها نظراً لما حدث فيها.

(٣) بلا سفير – بلا واسطة أو موعد.

(٤) بأسلوب الفقير – الضعيف إلى مولاه.

(٥) مردّفين – كل واحد خلْفه واحد.

(٦) لهمْ زفير – الزفير والشهيق يسمعان من المجهد المسرع.

(٧) لهم زئير – كزئير الأسود.

(٨) قال البشير – هو زيد بن حارثة أرسله رسول الله بشيرا لأهل المدينة.

(٩) زعيم الشرك – هو أبو جهل.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٥١ جـ ٢

غزوة بدر الكبرى، هى غزوة الفرقان، وهى التى فرق الله فيها بين الحق والباطل.. لقد تم فيها أكبر وأعظم نصر للإيمان وأهله، على الشرك وأهله.. وقصتها هى بإيجاز.

أن رسول الله ﷺ، سمع بأن عيراً لقريش قادمة من الشام، فيها كل أموال المشركين من أهل مكة، يقود القافلة أبو سفيان بن حرب.

خرج رسول الله بأصحابه يطلبون العير بما فيها.. لكن الله أراد غير ما أرادوا، فالتقوا بجيش مكة القوى، الذى يفوقهم قوة واستعدادا، وقد تم اللقاء فى أرض بدر، ذلك الاسم الذى خلد فى سمع الدنيا كلها منذ ذاك الحين.

لقد قدر الله اللقاء بين جيشى الإيمان والشرك، دون موعد سابق، ولو كان بينهما موعد سابق ما تم بهذه الصورة «... ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولا... الخ» جزء من الآية ٤٢ الأنفال.

والتحم الجيشان.. وبعد أن سوّى رسول الله صفوف أصحابه، وقف يناجى ربه فى ضراعة صادقة.. اللهم نصرك الذى وعدت، اللهم إن تهلك تلك الفئة فلن تعبد فى الأرض.

ويجيىء جبريل عليه السلام مع كتيبة من الملائكة استجابة لدعاء رسول الله، وكانوا ألفا مردفين.. وصدر الأمر للملائكة أن اقتلوا المشركين، وصار أصحاب رسول الله يتسابقون إلى ميدان المعركة، كانهم أُسْدٌ هائجة، يقتلون المشركين ويأسرونهم.. بحيث إنهم قتلوا سبعين وأسروا سبعين أيضا.

يالله!! هذا عدو الله أبو جهل، يسبح فى بركة من الدماء، إن الذى قتله فَتَيَانِ صغيران لم يكادا يبلغان الحُلُمَ.. وفر البقية من المشركين فى البرارى هاربين فلولا غير منتظمة.

مقطع رقم ٢٥٢ جـ ٢

رسول الله ينادى للخروج لبدر الكبرى

١ المصْطفى . فى يثربَ بين المناصِرِ والمهاجِر[١]
٢ قد أعلنوا إسلامَهُم والله أعْلَمِ بالسرائر
٣ قد يرْكبون الصّعْب طَوْعاً حيثما تَكُن المآثر[٢]
٤ جاءت رسول الله أخبارٌ عن العير[٣] المسَافر
٥ الْعيرُ كانتْ لِلْتجارة لم يُبالوا بالمخاطر
٦ ويقودها رجلٌ خطيرٌ فى الدهاء بلا[٤] نظائر
٧ يُسمَّى أبا سفيان جنَّب عِيرَهُ بطْش[٥] المغَامر
٨ العيرُ فيها كلُّ أموالِ الخصوم ذوى المتاجر
٩ فى رِحْلة الصيف التى مُلئَتْ بذكراها الخواطر
١٠ المصطَفى نادى الصّحابَ فقال ياأهلَ المفاخر
١١ ياقومِ هذى فُرْصَةٌ هَيَّا إليها فلْنُبادر
١٢ للعير والأموال هيا، أو لجيْش الشرْك غادِر
١٣ الله أعطاكم لإحْدى الشَّوْكَتَيْن[٦] عطاء قادر
١٤ فَلْنغْتنِمْ وعْدَ الإلــهِ فإنّـه راءٍ وناظِر
١٥ ربى سيُعْطِيها لكم نفْلًا[٧] وفُزْتُم بالبشائر

---

(١) بين المناصر والمهاجز — الأنصار والمهاجرين.

(٢) حيثما تكن المآثر — مآثر الإسلام وطاعة الله ورسوله.

(٣) عن العير المسافر — عن قافلة قريش التجارية.

(٤) فى الدهاء بلا نظائر — يمتاز على أقرانه فى الدهاء.

(٥) بطش المغامر — هو الذى لا يدرى أهو كاسب أم خاسر.

(٦) لإحدى الشوكتين — إما قافلة التجارة وإما الجيش: وكلاهما ذات شوكة وبأس.

(٧) نفلاً — عطاءً.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٥٢ جـ ٢

من المعلوم لكل مسلم، أن رسول الله ﷺ فى المدينة، كان بين المسلمين أصحابه.. مهاجرين وأنصار، كلهم قد أسلموا، والله أعلم بحقيقة كل منهم.. وكانوا مخلصين لدينهم، بحيث إنهم كانوا على أتم استعداد لبذل كل غال ورخيص فى سبيل نصرة الإسلام ورسول الإسلام، الذى آمنوا به راضية قلوبهم، مطمئنة نفوسهم. وردت أخبار لرسول الله عن قافلة تجارية لمشركى مكة، تحمل كل أموال قريش.. يقود القافلة رجل من أدهى رجال قريش فطنة وذكاء، ذاك الرجل اسمه أبو سفيان بن حرب.. لقد استطاع بفطنته وذكائه أن يجنب القافلة التى يقودها، مغامرة ستوذى بكل أموال قريش.

ولا غرو فهذه هى رحلة الصيف لأهل مكة، وهى واحدة من اثنتين، قد ألفتهما قريش فى حياتها المعيشية كما أخبر القرآن الكريم بهذا، واحدة إلى اليمن فى الشتاء، والأخرى إلى الشام فى الصيف وهى هذه.

نادى رسول الله فى أصحابه، أن يتهيأوا للخروج إلى عير التجارة التى تحمل أموال قريش كلها.. فهذه فرصة مواتية.. فلعل الله عز وجل أن ينفلكموها.

وقال أيضاً: أو ربما نلتقى بجيش مكة الذى قد يخرج لحماية تجارته، ولاغرو فقد وعدنى الله إحدى الطائفتين أنها لنا.. ووعد الله لا شك فيه.. ولسوف يمكننا من واحدة من اثنتين: القافلة أو الجيش.. إذن فلنغتنم وعد الله لنا، فهو راء لنا ومطلع علينا، ويعلم حقيقة ما ترنو إليه نفوسنا.. ويعلم ما تتمناه لنصرة الدين وإقامة الحق والعدل بين الناس.

إن الله عز وجل لا شك مُوفٍ وعده.. وتلك لعمر الله بشارة لكم بالفوز.

مقطع رقم ٢٥٣ جـ ٢

خروج رسول الله والمسلمين لبدر

١ صَوْتُ النبيِّ تردَّدتْ أصْدَاؤُهُ فى السَّامعين
٢ كى يخرجوا لِلقاء عِير المشْركين الفاجرين
٣ المسلمون جميعُهُم كانوا لهذا راغبين
٤ جَمْعٌ غفيرٌ جاء منهم طائعين ومُسْرعين
٥ خرج الرسولُ بهم لِلُقْيا الْعِير كانوا قادمين
٦ الأكثرون(١) تخلَّفوا ليْسُوا لِأَمْرٍ رافضين
٧ ظنُّوهُ أمْراً هيِّناً لا حَرْب(٢) فيهِ على اليقين
٨ العير كان يقودُها شيخٌ لهُ حِكَم(٣) السنين
٩ ذاكم أبو سفيان سيِّد قومِه فى المشركين
١٠ قد صارَ يسألُ كُلَّ منْ يَلْقاهُ(٤) حتى يستبين
١١ فلقد تأكَّد مِن خُروجِ مُحمَّدٍ والمسْلِمين
١٢ خرجوا لِأَخْذِ العير قسْراً(٥) ذاك قولُ القائلين
١٣ لم يبْقَ إلا أن يُفكِّرَ فى النجاة من الكمين(٦)
١٤ الشيخ فكَّر فى النجاةِ وكان ذا فِكْرٍ رصين
١٥ سلك الطريقَ الوَعْرَ حتَّى ضلَّلَ المترصِّدين(٧)

---

(١) الأكثرون تخلفوا – من أصحاب رسول الله.

(٢) لا حرب فيه – لم يتوقعوا حدوث حرب وإلا لما تخلفوا.

(٣) له حكم السنين – تجارب الحياة والخبرة.

(٤) يسأل كل من يلقاه – يسأل الأعراب فى الصحراء عن محمد وأصحابه ويسأل القوافل أيضاً.

(٥) قسراً – غصباً.

(٦) من الكمين – المأزق أو الفخ المنصوب له.

(٧) ضلل المترصدين – الذين يترصدون قدومه.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٥٣ جـ ٢

ذاع الخبر بين المسلمين، فى المدينة كلها، عن نداء رسول الله ﷺ للمسلمين، ليخرجوا للقاء عير التجارة لمشركى مكة.. وقد كان المسلمون جميعهم متشوقين للقيام بأى عمل ضد قريش، فى أى صورة من الصور، وذلك كرد فعل طبيعى لما قام به المشركون بمكة، من عدوان وظلم للمسلمين، وإخراجهم من بلدهم كارهين.

جمع كبير من المسلمين، جاءوا لرسول الله ﷺ، طائعين مستعدين للخروج مع رسول الله.. ولا غرو فقد كان الجميع يظنون أن المهمة التى سيخرجون لها، هى مقابلة عير قريش التجارية وأخذها، وهذه فى نظرهم لا تحتاج إلى قوة كبرى.

فمن ثم تخلف كثيرون من المسلمين، لظنهم أن القافلة لن تحتاج إلى جيش مقاتل كبير، وإنما يمكن الاستيلاء عليها بأقل عدد من الرجال.

بيد أن أبا سفيان، شيخ قريش، ورأسها المفكر، وهو فى نفس الوقت قائد القافلة.. هذا الرجل لم يكن ساذجا بحيث إنه قد يكون صيداً سهل الاقتناص، لا، بل كان قائداً على قدر المسئولية.

صار أبو سفيان يسأل كل من يلقاه على الدرب، غادين ورائحين، عن محمد وأصحابه، ذلك لأنه كان يتوقع ما قام به رسول الله وصحبه، من القيام بمغامرة هدفها الاستيلاء على أموال مشركى مكة.

لقد استطاع أبو سفيان أن يتأكد من خروج رسول الله وصحبه لملاقاة القافلة.. إذن فقد صح لديه ما توقعه.

فماذا يصنع؟! ففكر فى الأمر جيداً، وسرعان ما اهتدى إلى وسيلة كانت فيها النجاة من قبضة محمد والمسلمين معه.. فما هى تلك الوسيلة؟!.

لقد سلك طريقاً آخر وعراً بين الجبال والشعاب، غير الطريق الذى يسلكه المسافرون، ليضلل خصومه، فنجح فى ذلك.

مقطع رقم ٢٥٤ جـ ٢

أبو سفيان يرسل لقريش يستصرخهم

١ أَمَّا أبو سُفْيان فهو مِن الشُّيوخ الطاعنين[١]
٢ هو قائدٌ للعِير وهو مِن الرجالِ النابهين[٢]
٣ قد كان معْهُ مِنَ الرجال يُقاربون الأربعين
٤ يخشى على عِيرِ التجارة مِن غُزاة المسلمين
٥ قد كان ضَمْضَمُ من غِفارٍ من قبائل آخرين
٦ فاختارهُ صَخْرُ بن[٣] حرب مُنْذِراً للمشركين[٤]
٧ فيقول اذهب ياأخي فى سرعة المتعجِّلين
٨ اذهب لمكة تلْقَ فيها من رجالٍ أكْرمين
٩ أخْبِرْ قُرَيْشاً أننا نخْشَى هلاكاً أجمعين
١٠ والعيرُ والأموالُ أيضاً فى عِداد الضائعين
١١ فَلْيخْرُجوا فى قُوَّةٍ كيْما يردوا المعْتدين
١٢ فمحمّدٌ ورجالهُ خرجوا إلينا طالبين
١٣ فوْراً توجَّهَ ضَمْضمٌ مُتعجِّلاً فى المسْرعين
١٤ وأتى لمكةَ مُخبِراً لِلقوم بالخبرِ اليقين

---

(١) من الشيوخ الطاعنين – فى السّن.

(٢) من الرجال النابهين – المشهورين.

(٣) صخر بن حرب – هو أبو سفيان.

(٤) منذراً للمشركين – مشركى مكة.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٥٤ جـ ٢

كان أبو سفيان بن حرب، من شيوخ قريش الطاعنين فى السن، معروفا فى قومه، نابهاً ليس خامل الذكر.. ذا شرف ومكانة أيضاً.

وهو – كما أسلفنا – قائد للعير التي تحمل التجارة، فيها كل أموال أهل مكة، كان يرافقه فى تلك الرحلة عدد من الرجال، حوالى الأربعين رجلًا ذلك لأن قريشاً كانت تخشى على تجارتها من الغزاة، المسلمين وغير المسلمين، وعلم أبو سفيان بخروج محمد ﷺ وأصحابه، لملاقاة العير، بغية الاستيلاء عليها.

فمن ثم سلك طريقاً آخر، غير الطريق المعروف، بين الشعاب والجبال والوديان، فنجا بقافلته من سطوة محمد وأصحابه.

ثم فكر أبو سفيان فى الأمر.. فتصور أن الصحراء واسعة، وأن محمداً قد يلحق بالقافلة، فتقع الكارثة.. وتضيع أموال قريش التى اختاروه لحمايتها.

فماذا يصنع؟! لقد اختار رجلًا من غفار، اسمه ضمضم بن عمرو الغفارى.. فأرسله إلى مكة لينذر قريشاً.. وأعطاه أجراً سخياً وقال له:

اذهب يا ضمضم إلى مكة مسرعاً، بلّغ سادتها أن أموالهم فى خطر.. وأنها توشك أن تقع فى قبضة محمد وأصحابه.. فلقد خرج محمد فى قوة للاستيلاء على الأموال.

فلتخرج قريش بقوتها، كى تحمى أموالها، وتبطش بكل من تسول له نفسه بأن يتعرض لها مرة أخرى.

فوراً توجه ضمضم مسرعاً على ظهر راحلته، يريد مكة.. وفعلا لقد وصل ضمضم إلى مكة.

مقطع رقم ٢٥٥ جـ ٢
رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب

١ رؤْيا رأتها عَمّةُ الهادى[١] ورُؤْياهــا تُصيب
٢ تُوحى بِشَرّ نازل فى أهل مكةَ عن قريب
٣ معْروفة بالصِّدق فى أحلامِها إذ لا تخيب
٤ نادت على العباس[٢] تُخْبِرُهُ عن الحُلْم العجيب
٥ قالتْ: رأيتُ مُنادياً مِن فوْق أبْطح[٣] كالمريب
٦ مِن فوْق ظهْر بعيره نادى بِصوْت كالخطيب
٧ نادى وقال: لِتخرُجُوا للْقتلِ والهوْل العصيب
٨ مِن فوْق بيتِ الله نادى مرةً أخرى الغريب[٤]
٩ فى ثالثِ الْمرَّاتِ فوق[٥] أبى قُبيْس إذ يُهيب
١٠ فى كلِّ هذا كان يبدو لِلْعَيانِ فلا يغيب
١١ مِن ثمَّ ألْقى صخرةً فتهشَّمت مثل الدبيب[٦]
١٢ فتناثرتْ فى كلِّ بيت، جاءَهُ مِنها نصيب[٧]
١٣ لقد انتهى العباسُ يسْمع قِصَّة الحُلْم الرهيب
١٤ عباس قال لأختـه فَلْتكْتُمِيها عَنْ حبيب[٨]

---

(١) عمة الهادى – هى عاتكة بنت عبد المطلب.

(٢) العباس – هو العباس بن عبد المطلب.

(٣) من فوق أبطح كالمريب – الأبطح مسيل الماء.

(٤) الغريب – هو المنادى.

(٥) فوق أبى قبيس – نادى من فوق أبى قبيس، هو جبل بمكة

(٦) مثل الدبيب – صغار الحشرات.

(٧) جاءه منها نصيب – كل بيت دخل فيه شيء من الصخرة التى تهشمت.

(٨) فلتكتميها عن حبيب – لا تذكريها لأحد.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٥٥ جـ ٢

عاتكة بنت عبد المطلب، عمة محمد ﷺ، رأت رؤيا منامية، وكانت عاتكة مرأة صادقة.. ولا غرو فهى من سلالة هاشم، بيت النبوة، رأت عاتكة هذه.... قبل قدوم ضمضم بن عمرو الغفارى – رسول أبى سفيان لأهل مكة – بثلاث ليال، رؤيا أفزعتها.. وتوجست منها خيفة، وتوقعت منها شراً.

فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب، فقالت له: ياأخى، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتنى، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة، فاكتم منى ما أحدثك به.

فقال لها العباس: ما رأيتِ؟!

قالت: رأيتُ راكباً أقبل على بعير له، حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته فى أهل مكة قائلًا: ألا انفروا يا آل غُدر لمصارعكم فى ثلاث.. فأرى الناس قد اجتمعوا إليه.

ثم دخل ذلك الرجل المسجد. والناس يتبعونه، فبينا هم حوله، إذ به هو وبعيره على ظهر الكعبة، ثم صرخ مناديا أهل مكة قائلا: ألا انفروا ياآل غُدر لمصارعكم فى ثلاث.

إذا به هو وبعيره فوق جبل أبى قبيس، فصرخ ثلاث مرات متتالية... ثم أخذ صخرة فأرسلها.. فأقبلت تهوى، حتى إذا كانت بأسفل الجبل، تفتتت وتناثرت، فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها قطعة.

فما كان من العباس إلا أن قال لأخته: والله إن هذه لرؤيا، وأنت فاكتميها ولا تذكريها لأحد.. لا تخبرى بها قريباً أو بعيداً، أو عدوا أو صديقاً.

مقطع رقم ٢٥٦ جـ ٢
أصداء رؤيا عاتكة فى مكة

١ عباسُ يَروىَ حُلْم عاتِكَةَ الخطير إلى الوليد[١]
٢ أوصاهُ يكتمُ سِرَّهُ إذ كان صاحِبهُ الوحيد
٣ باحَ[٢] الوليدُ بسرِّهِ لأبيهِ عُتْبة عن أكيد
٤ السرُّ صار الكل يَعرفهُ القريبُ كذا البعيد
٥ من بعدها عباسُ جاء يطوفُ بالبيتِ[٣] العتيد
٦ وهناك كان جماعةٌ فيهم أبو جهل العنيد
٧ يتذاكرون الحُلْم فى سُخريةٍ ليستْ تُفيد
٨ نادى أبو جهل على العباسِ فى صوتٍ ودود
٩ هيا أبا الفضْلِ ائتنا كى نسمعَ الخبرَ الجديد
١٠ بعد الطواف أتاهم العباسُ فى خَطْوٍ وئيد[٤]
١١ وإذا أبو جهل يخاطِبُهُ بأسْلُوب حديد[٥]
١٢ ياآل هاشم إنَّ هذا الأمرَ قد بلغَ المزيد[٦]
١٣ إن النَّبيةَ[٧] عِنْدكم قد أنذرتْنا بالوعيد
١٤ كُفُّوا عن القول الرخيص أو العقابُ هو الأكيد[٨]

---

(١) إلى الوليد – هو الوليد بن عتبة.

(٢) باح الوليد بسره – أظهره.

(٣) يطوف بالبيت العتيد – بيت الله الحرام وهو الحاضر المهيأ.

(٤) فى خطو وئيد – يمشى ببطء.

(٥) بأسلوب حديد – فيه حِدّة.

(٦) قد بلغ المزيد – تجاوز كل الحدود.

(٧) إن النبية عندكم – هى عاتكة صاحبة الرؤيا بأسلوب التهكم.

(٨) أو العقاب هو الأكيد – العقاب هو الإشاعة عنهم أنهم كاذبون

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٥٦ جـ ٢

لقد استمع العباس بن عبد المطلب، من أخته عاتكة بنت عبد المطلب، قصة رؤياها العجيبة.. فقال لها: اكتميها فلا تخبرى به أحداً.

خرج العباس من عند أخته، فالتقى بالوليد بن عتبة، وكان صديقاً حميماً له.. فأخبره العباس بقصة رؤيا عاتكة أخته، وقال له: لا تخبر بهذا أحداً يا صديقى.

بيد أن الوليد، لم يستطع كتمان هذا السر الذى ألقى به صديقه إليه.. فأفضى الوليد بذلك السر إلى أبيه عتبة بن ربيعة.

وتحدث عتبة دون تحفظ لكل من يلقاه عن رؤيا عاتكة، فصار خبرها على كل لسان فى مكة.

وتوجه العباس بن عبد المطلب، ليطوف بالكعبة، فرأى جماعة قريبا من الكعبة جالسين فى حديث بينهم، فيهم عدو الله أبو جهل بن هشام.. وقد كان حديثهم يدور حول رؤيا عاتكة، فيرددونها فى تهكم وسخرية.

وأراد أبو جهل أن يمعن فى تهكمه وسخريته، فنادى العباس بصوت فيه ود، مخفياً ما نواه فى أعماقه فقال:

يا أبا الفضل، إذا فرغت من طوافك، فأقبل إلينا، فإننا فى شوق للحديث معك.

فلما فرغ العباس من طوافه، جاءهم فجلس معهم فبادره عدو الله أبو جهل قائلا: يا بنى عبد المطلب، متى حدثت فيكم هذه النبية؟!

قال العباس: وماذاك؟! قال أبو جهل: تلك الرؤيا التى رأت عاتكة، فقال العباس: وما رأت؟!

فقال أبو جهل: يابنى عبد المطلب، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم.. كفوا عن هذا القول وإلا فسوف يكون لنا معكم شأن.

مقطع رقم ٢٥٧ جـ ٢

حوار بين العباس وأبى جهل

١ عباسُ يستمعُ التهكُّمَ من أبى جَهْلِ اللعين
٢ قد كان خَصْما للرسول وكان فظّاً[١] لا يلين
٣ فأجابهُ العبّاسُ فى سُخريَّةِ المتسائلين
٤ ماذَا تُريد بما تقول؟ وكان ذا قولٍ[٢] رَصين
٥ فأجابهُ المأفون[٣] بالقولِ العنيف المستْهين
٦ رُؤيا رأتْها أختُكم فيها وعيدُ المنذِرين
٧ فنِساؤكم قد أصبحوا كرجالكم مُتنبِّئين
٨ قالتْ: سيأتى صارخٌ هو من شِرار الصّارخين[٤]
٩ قالتْ: سيأتى بعد أيامٍ ثلاثٍ كاملين
١٠ هذا المقالُ غَدا مُثيراً يَشْغلُ المتحدِّثين[٥]
١١ ولسوف ننتظر الثلاث لكى نرى كى نستبين
١٢ فلئنْ أصابتْ أختُكم أنْتم إذَنْ فى الآمنين
١٣ أوْ لَمْ تُصبْ فلسوفَ نكتبُ للجميع محذّرين
١٤ أنتم كأكْذب أهل بيْتٍ فى العروبةِ أجمعين

---

(١) فظا لا يلين – غليظا ليس مهذبا.

(٢) ذا قول رصين – قول محكم ثابت.

(٣) المأفون – هو ضعيف العقل، والمقصود هو أبو جهل.

(٤) من شرار الصارخين – المنادين.

(٥) يشغل المتحدثين – صار أهل مكة كلهم يتحدثون عن حلم عاتكة.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٢٥٧ جـ ٢

لقد استمع العباس بن عبد المطلب، مقالة عدو الله أبي جهل التهكمية الساخرة.. والمعروف عن أبي جهل أنه فظ غليظ.. وكان خصماً لدوداً لمحمد ﷺ، وكل من يمتّ له بصلة القرابة.

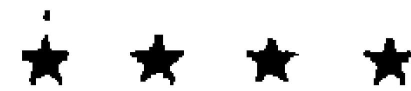
فأجابه العباس قائلاً: وماذاك ؟! أفصح عما تريد.. قال: تلك الرؤيا التي رأت أختكم عاتكة.. فلقد زعمت أنه سيأتي صارخ ينادي أهل مكة.. إنه نذير شر وسوء، وسوف يخبر عن شيء يسيئنا جميعاً، وأنه سيأتي بعد ثلاث.

هذه المقالة يا عباس أصبحت شغل مكة الشاغل، يتحدث بها الصغار والكبار على السواء.. لقد أثارت أختكم البلبلة في أفكار الناس وشغلتهم بهذه الفِرْية.

وعلى كل حال، لسوف ننتظر ثلاثاً كما زعمت أختكم، حتى نتبين صدقها من كذبها، وعلى ضوء ما يكون سيتحدد مصيركم في هذا البلد.. وسيكون لنا معكم شأن، وأي شأن.

فإن أصابت أختكم، وكان قولها صدقا فلا ضير عليكم، ولن يصبكم سوء.. وإن لم تصب وتبين أنها كاذبة، فسوف نكتب في كل قبائل العرب، نحذرهم منكم، بأنكم أكذب أهل بيت في مكة، بل في الجزيرة العربية كلها.

ألا بئس ما قاله عدو الله.. فإن هذه الشجرة المباركة التي تفرع منها رسول الله ﷺ، لن يوصم أحد أصولها بوصمة الكذب والبهتان.



مقطع رقم ٢٥٨ جـ ٢

رؤيا عاتكة تتحقق

١ لقد انْتَهى المأفونُ من تهديدِهِ بعد السؤال
٢ عباسُ يسمعُ لِلوعيد ولم يُصبْهُ[١] الانفعال
٣ هذا الوعيد تسامَعْتهُ نِساءُ هاشِمٍ والرِّجال
٤ ثاروا على العباس لَوْماً، أَوْسَعُوهُ[٢] من المقال
٥ قد أنّبوهُ لِكَوْنِهِ سمع الإهانةَ[٣] باحتمال
٦ سمعَ اللّعينَ يقول عنهم كلَّ شيءٍ لايقال
٧ قالوا: فهذا القَوْلُ حقاً يَسْتحِقُ الاقْتِتَال
٨ لِمَ لَمْ تَرُدَّ على اللّعين مقالهُ عند الجِدال؟
٩ عبّاسُ يشعرُ أنّهُ قد فاتهُ ذاك[٤] المجال
١٠ فوراً توجّهَ نحو ذاك الوغْد مشْهورِ الضّلال[٥]
١١ حتى يردَّ على تطاوُلِهِ ولوحدثَ القِتال
١٢ الوغْدُ لما أن رأى العباسَ أَبْدىَ الانشغال[٦]
١٣ قد كان ينظرُ نحو شيء من بعيد كالخيال
١٤ فلقد رأى ما هالهُ، جاء النذير على عُجَال[٧]
١٥ بعد الثلاث تحقّق الحُلْمُ الخطير على الكمال

---

(١) لم يصبه الانفعال – لم يعره اهتماما.

(٢) أوسعوه من المقال – أنبوه ولاموه.

(٣) سمع الإهانة باحتمال – لم يثر ولم يرّد على أبو جهل مدافعاً عن نساء هاشم.

(٤) قد فاته ذاك المجال – ذاك الموقف.

(٥) مشهور الضلال – هو أبو جهل.

(٦) أبدى الانشغال – تظاهر بالانشغال.

(٧) على عجال – مستعجلا.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٥٨ جـ ٢

لقد انتهى عدو الله أبو جهل من تهديده ووعيده، فى حديثه مع العباس بن عبد المطلب.. وقد استمع العباس تهديد المأفون ووعيده بغير اهتمام، فلم ينفعل من سخرية أبى جهل وتهكمه، وتعريضه بنساء هاشم.

عاد العباس إلى بيته.. وفى المساء كان له مع نساء هاشم موقف لا يحسد عليه، فلقد أوسعنه لوما وتأنيباً، لكونه لم يرد على أبى جهل إهانته، لا سيما حينما تعرض لذكر النساء.

فيقول العباس: فلما أمسيتُ لم تَبْقَ امرأة من بنى عبد المطلب إلا أتتنى فقلن جميعاً لى: أقررتم هذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع، ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت؟!.

ثم قال العباس: فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة، وأنا حديد مغضب، أرى أنى قد فاتنى منه أمر أحب أن أدركه منه.. فدخلت المسجد فرأيته، فوالله إنى لأمشى نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قاله بالأمس فأقع به.. وكان رجلاً خفيفاً الوجه، حديد اللسان، حديد النظر.

خرج أبو جهل نحو باب المسجد يشتد.. قال العباس: فقلت فى نفسي: ماله لعنه الله؟! أكل هذا فرق مني أن أشاتمه؟! وإذا هو قد سمع مالم أسمع.. لقد سمع صوت ضمضم بن عمرو الغفارى رسول أبى سفيان الذى أرسله لمكة يستصرخ قريشاً، وكان هذا ثالث الأيام لرؤيا عاتكة.. يالله!! لقد صدقت رؤياها فهذا هو النذير.. إذن فهى من الصادقات.



مقطع رقم ٢٥٩ جـ ٢
النذير يستصرخ قريشاً

١ هذا أبو جهل تَوَلَّى(١) مُسْرِعاً في اهتمام
٢ عباسُ كان يريد أن يَلقاهُ يبغى الانتقام
٣ من أجْلِ قوْلِ الأمس حقّاً، كان يَنْوِي الاختصام
٤ فلقد أصابَ نساءَ هاشم بالتطاول والملام
٥ لكنْ أبو جهل تولَّى ذاهباً نحو الأمام
٦ قد كان مُتَّجِها إلى صوت المنادى بالعِظام(٢)
٧ الصوْت مُنْبَعِثٌ من الوادى يُدوِّى فى الأنام
٨ قد كان ذاك هو النذيرُ(٣) تحققتْ رُؤيا المنام
٩ هو مِن أبى سُفْيان أرْسِل يُنذِرُ القوْمَ النيام(٤)
١٠ قد شقَّ أنْفَ بعيره والرَّحْل حُوِّل بالتمام
١١ هو إذ ينادى فى قُرَيْش [اللطيمة] قد تُرام
١٢ أموالكم ورجالكم قد عُرِّضوا(٥) للاغْتنام
١٣ فمحمدٌ ورجالُهُ قد قابلوهم بالحسام(٦)
١٤ هيا لِدَرْك رِجالِكم والعيرِ قبل الانهزام(٧)
١٥ أو سوْف تجْنونَ الندامةَ والمذلَّة فى الدوام

---

(١) تولى مسرعاً – ذهب مسرعاً.

(٢) المنادى بالعظام – الأخبار العظيمة.

(٣) هو النذير – إشارة إلى رؤيا عاتكة.

(٤) القوم النيام – إشارة إلى غفلتهم وشركهم بالله.

(٥) قد عرضوا للاغتنام – قد يكونون غنيمة للغانمين.

(٦) بالحسام – بالسيف.

(٧) قبل الانهزام – الخسارة.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٢٥٩ جـ ٢

كما أسلفنا، فإن العباس بن عبد المطلب، كان خارجاً من بيته في هذا اليوم، يريد التعرض لأبي سفيان والتحرش به، وذلك لنيله من نساء عبد المطلب، وتطاوله عليهن بالأمس أمام قريش جميعاً، وذلك أثناء حديث له معه.

فقد شعر العباس بالندم، إذ فاته ذاك الموقف، فلم يرد على أبي جهل إهانته بالأمس.. ومن ثم فقد أصبح العباس لاهم له إلا أن يتعرض لأبي جهل، فلعله يعود لشيء مما قاله بالأمس فيقع العباس فيه ويثأر منه.

كان العباس متجها نحو الكعبة، فرأى أبا جهل خارجاً من المسجد يشتد، متجها نحو صوت قد سمعه يستغيث ويطلب النجدة.. بيد أن العباس لم يكن سامعاً ذاك الصوت.

يالله!! إنه صوت الصارخ النذير.. لقد تحققت رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب.. إنه ضمضم بن عمرو الغفاري، ببطن الوادي واقفاً على بعيره، قد حَوَّلَ رحله، وجدع أنفه، وشق قميصه وهو يقول: يا معشر قريش، يا معشر قريش – بصوت يسمعه القاصي والداني – اللطيمة اللطيمة.. يا معشر قريش، أموالكم وتجارتكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، ولا أرى أن تدركوها.. فالغوث الغوث، هيا يا معشر قريش، اخرجوا لحماية أموالكم، وإثبات وجودكم أمام التحدي من محمد وصحبه.. فوالله لئن أصاب محمد أموالكم هذه المرة، فلن تقوم لكم قائمة بعد اليوم، وسوف تظلون تمضغون الحسرة والندامة ما حييتم، هذا فضلاً عن الذلّ والعار اللذين سوف يلحقان بكم بين قبائل العرب.

* * * * *

مقطع رقم ٢٦٠ جـ ٢

خروج قريش لحماية أموالهم

١ صوْتُ المنادى[1] رُدِّدت أصداؤهُ فى السَّامعين
٢ كل الرجال بمكةٍ سَمِعوا إلى الخبر المهين
٣ أموالُهم ورجالُهم قد أصبحوا مُتهدَّدين
٤ فوْراً تنادَوْا لِلخروج[2] لكى يَردُّوا المعْتدِين
٥ هبَّتْ قُريشٌ كلُّها وتجهَّزوا كَمُقاتِلين
٦ ولسانُ حال الكُلِّ مِنْهم فى عنادِ القائلين
٧ لا، لا يظنُّ محمدٌ مع صَحْبه المتمرِّدين
٨ أن يبلغوا مِنَّا منالًا ذاك ظنُّ الجاهلين
٩ كلَّا فهذى لنْ تكونَ كسابقتها عَنْ يقين
١٠ لا لنْ تكونَ كعير ابْن الْحَضْرمِىِّ[3] السابقين
١١ فلسوْف نحمى مالنَا ورجالنَا فى العالمين
١٢ خرجوا جميعاً لِلقتال مُجهَّزين مُسلَّحين
١٣ عمُّ النبىِّ مُحمدٍ قد ظلَّ بين[4] القاعدين
١٤ ذاكم أبو لهبٍ عدو الله والحق المبين
١٥ فلقد أناب مكانهُ العاصى[5] وكان لهُ مَدين

---

(١) صوت المنادى – هو رسول أبى سفيان.

(٢) تنادوا للخروج – ليخرجوا لحماية أموالهم.

(٤) كعير ابن الحضرمى – ابن الحضرمى الذى قتله المسلمون فى سرية «الشهر الحرام».

(٤) ظل بين القاعدين – لم يخرج مع الجيش.

(٥) العاصى – هو ابن هشام بن المغيرة.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٢٦٠ جـ ٢

لقد وصل صوت ضمضم - رسول أبي سفيان - إلى كل الأسماع في مكة، لقد صاروا يرددون قوله بينهم تعجباً واستنكاراً.. كلهم شعروا أن هذا العمل إهانة لهم.. كيف يحدث هذا وهم سادة الجزيرة العربية، وجيران حرم الله.. وهذا محمد الذى خرج مطروداً وحيداً من مكة، قد أصبح ذا قوة تهدد أمنهم ومعيشتهم.. هذا لعمر الله أمر خطير.

فوراً تنادوا بالتجهز للخروج، ولسان حال كل منهم يقول: فلنحم أموالنا ولنرهب أعداءنا، ولنثبت وجودنا أمام قبائل العرب.

لقد سرى هذا النداء فى قريش كلها، فهبَّ الرجال جميعاً، وقد تجهز كل واحد منهم فأعد سلاحه وفرسه، وكل ما يحتاجه المقاتل من سلاح وخلافه.. وكلهم يرددون قولا واحدا هو: لا يظن محمد وأصحابه هذه المرة أنهم سيفلتون من أيدينا، بل سوف نلقنهم درساً لن ينسوه وسوف نجعلهم عبرة لكل من تسول له نفسه التعرض لأموالنا فى كل أنحاء الجزيرة لا، لن تكون هذه المرة مثل سابقتها، كما قتلوا ابن الحضرمى - إشارة إلى سرية عبد الله بن جحش - كلا والله ليعلمن محمد وأصحابه غير ذلك.

فكان القرشيون بين رجلين: إما خارج هو نفسه، وإما باعث مكانه رجلا، وأوعبت قريش، فلم يتخلف من أشرافها أحد، إلا أن أبا لهب قد تخلف وبعث مكانه العاصى بن هشام بن المغيرة.

كان العاصى مدينا بأربعة آلاف درهم، كانت عليه لأبى لهب، وكان فقيراً فلم يستطع أداءها، فاستأجره أبو لهب ليخرج مكانه، على أن يجزىء عنه بعثه، وفعلا خرج العاصىَ وتخلف أبو لهب.

* * * * *

مقطع رقم ٢٦١ جـ ٢
خروج رسول الله وصحبه لبدر

١ خرجَ النبيُّ وصَحْبُهُ فى هِمَّة مُتحمِّسين
٢ خرجوا وكانوا دُون شكٍّ كالأسُود الكاسرين
٣ وخروجُهم قد كانَ فى رمضان شَهْرِ الصائمين
٤ يَبْغون قافلةَ التِّجارة من قريش عامدين
٥ أعطى اللواءَ لمصعبٍ[1] خيْرِ الشباب الزاهدين
٦ قد كان أبيض لونه ذاكم شِعارُ الصالحين
٧ أعطى عليًّا رايةً سوداءَ رمزَ الفاتحين
٨ كانت تسمَّى بالعُقَاب عقوبةً لِلْمشركين
٩ أعطى إلى الأنصارِ أخرى لونُها كالمنذرين
١٠ سَوْداءُ تشبهُ وجْهَ من كفروا[2] وكانوا مُؤْمنين
١١ سبعين كانت إبِلُهم كى يركبوا مُتعاقِبين[3]
١٢ سلكُوا طريقاً كان وَعْراً نحو بدْر عَازِمين
١٣ كانوا إلى لُقْيا العدو جميعُهم مُتعطِّشين
١٤ هى غَزْوة الفُرْقان فيها كان نَصْرُ الصادقين
١٥ ترك النبىُّ على المدينةِ والياً لِلْمُسلمين
١٦ وكذا إماماً للصلاة لكىْ يُصَلُّوا أجْمعين

---

(١) أعطى اللواء لمصعب – هو مصعب بن عمير.

(٢) من كفروا وكانوا مؤمنين – أى كفروا بعد إسلامهم.

(٣) كى يركبوا متعاقبين – كل اثنين أو ثلاثة يتعاقبون الركوب على بعير واحد.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٢٦١ جـ ٢

كما قدمنا فى الجزء الثالث، فإن رسول الله ﷺ، لما سمع بأبى سفيان مقبلاً من الشام بقافلة التجارة، ندب المسلمين إليهم وقال: «هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها» فانتدب الناس، فخف بعضهم وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً.

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز، يتحسس الأخبار، ويسأل من لقى من الركبان، تخوفاً على أمر الناس، حتى أصاب خبراً أن محمد قد استنفر أصحابه لك ولعيرك.. فحذر عند ذلك، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتى مكة، فيستنفر قريشاً ليخرجوا لحماية أموالهم من محمد وصحبه.

وخرج رسول الله بمن خفوا معه، مهاجرين وأنصار.. وكان خروجهم فى شهر رمضان، لثمان ليال خلون منه.. وأعطى رسول الله اللواء لمصعب بن عمير، الشاب الزاهد، كان لون اللواء أبيض، وأعطى على بن أبى طالب راية لونها أسود تسمى العقاب، وأعطى الأنصار راية سوداء أيضا.

كان عدد الإبل مع رسول الله وأصحابه فى مسيرتهم تلك، سبعين بعيراً يعتقبونها – يتعاقبون الركوب عليها – وكان عدد المسلمين مع رسول الله ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا من خيار المسلمين.

ولا غرو، فرسول الله وصحبه كانوا خارجين للقاء العير والتجارة، وإذا بهم وجها لوجه مع أهل مكة ذوى العدد والعدة، والقوة والمنعة، فكانت غزوة الفرقان التى فرق الله فيها بين الحق والباطل، ونصر الله فيها دينه ورسوله والمسلمين.

لما خرج رسول الله من المدينة، ترك والياً عليها هو أبو لبابة، وترك إماماً للصلاة هو ابن أم مكتوم.

مقطع رقم ٢٦٢ جـ ٢

رسول الله يرسل رجالاً لمعرفة أخبار العدو

١ قَدْ أرسلَ الهادى رِجالاً لِلْتجسُّس عارفين
٢ كَيْ يعْرِفوا الأخبارَ عَنْ عِيرِ التجارةِ بَاحِثين
٣ سارَ الرسولُ وصحبُه فى دَرْبهم مُتوجِّهين
٤ وَصَلُوا إلى جَبلَيْن اسمهما يسىءُ[1] السَّامعين
٥ وقبيلتيْن مُجاورين ذَوَىْ أسَامِى سيِّئين[2]
٦ كره الرسولُ مُرورَه بينَ الجبالِ الشَّائمين
٧ كَىْ لا يمرَّ على القبائلِ ذى الأسامى النَّافِرين
٨ نَزَلُوا بوادٍ فى الطَّريق لِيسْتريحوا مُتْعَبين
٩ رسلُ النبىِّ أتـوْهُ بالأخبـارِ كانُـوا صَادِقين
١٠ قالوا: لقدْ جاءَ الرِّجالُ[3] إلى القتالِ مُسلَّحين
١١ جَاءوا لِيَحْمُوا مَالَهُمْ وَرِجَالهمْ مُتضَامِنين
١٢ هُمْ مِنْ قُريشٍ إنهم كانُوا جميعاً مُشْركين
١٣ وقفَ النبىُّ لِيُخْبِرَ الأصحابَ بالخبرِ اليقين
١٤ قال الرَّسولُ لهمْ فكُونُوا لِلْمقالـةِ مُدْركين
١٥ هَذِى قريشٌ والضلالُ أتَوْا إليكُمْ مُسْرعين

---

(١) اسمهما يسىء السامعين – اسم أحدهما مُسْلِح والآخر مُخْرِىء.

(٢) ذوى أسامى سيئين – قبيلتان اسم إحداهما بنو النار والثانية بنو حُراق.

(٣) لقد جاء الرجال – هم رجال قريش.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٢٦٢ جـ ٢

فى أثناء مسيرة رسول الله ﷺ وصحبه نحو غايتهم التى خرجوا من أجلها، أرسل رسول الله رجلين من أصحابه فى مهمة هامة، أرسلهما ليتحسسا الأخبار عن أبى سفيان، قائد قافلة التجارة وغيره.

والرجلان هما: بسبس بن عمرو الجهنى حليف بنى ساعدة، وعدى بن أبى الزغباء حليف بنى النجار.. ثم واصل رسول الله السير بأصحابه متوجهين نحو هدفهم الذى يريدونه مسرعين.

فلما دنا رسول الله من الصفراء – وهى قرية بين جبلين – سأل عن جبليها، ما اسماهما؟! فقالوا: يقال لأحدهما هذا مسلح، وللآخر هذا مخرىء... وسأل عن أهلهما فقيل: بنو النار، وبنو حراق، بطنان من بنى غفار.. فكرههما رسول الله، وكره المرور بينهما، وتفاءل بأسمائهما وأسماء أهلهما.. وسلك طريقاً آخر كى لا يمر بين الجبلين كذا القبيلتين اللتين كرههما.. وسلك ذات اليمين على واد يقال له: ذفران ثم نزل فيه.

بعد أن نزل رسول الله وصحبه فى وادى ذفران للراحة من مشقة السفر المتواصل، أتاه صاحباه اللذان أرسلهما لمعرفة أخبار أبى سفيان قائد قافلة التجارة.

جاءه الرجلان بأخبار جديدة لم يكن يعرفها من قبل، قالا له: يا رسول الله، إن قريشاً قد علمت بخروجنا لملاقاة أموالهم، فخرجوا جميعاً ليحموا أموالهم بقوة السلاح.

لذلك.. بادر رسول الله، فأخبر أصحابه قائلًا: إن قريشاً قد خرجت لملاقاتكم.

مقطع رقم ٢٦٣ جـ ٢
رسول الله يستشير أصحابه

١ المصطفى قد حدَّثَ الأصحابَ حتى يَسْتبين
٢ هو يستشيرُ القومَ فى أمرٍ وكانوا سَامعين
٣ مِنْ قولِهِ: عِيرُ التِّجارة أفلتتْ فى الذَّاهبين
٤ الأمْرُ أصبحَ واضِحاً، فأمامنا خَصْمٌ متين
٥ جاءتْ قريشٌ بالسِّلاح وبالرجال الحاقِدين
٦ إنَّا سنلْقَاهُمْ ببدْرٍ لِلْقتال مُهَيَّئين
٧ ما قولكم يا قَوْمُ فى هذا؟! أجيبوا صَادِقين
٨ فوْراً أبو بَكْرٍ أجاب إجابةَ المتحمِّسين
٩ من بعدِهِ عُمَرٌ أجاب وكان ينطق باليقين[1]
١٠ والثالث المِقْدَادُ أشبهَ قولُهُ الوحْىَ المبين[2]
١١ المصطفى يدعو لهم بالخير هُمْ فى السابقين
١٢ ويكرِّر الهادى النِّداءَ لِيستشيرَ الآخرين[3]
١٣ فأجابهُ سعدٌ[4] عن الأنصارِ بالقَوْل الأمين
١٤ إنْ كُنْتَ تقصدُنَا فقد جِئْنا لأمْرك طَائِعين
١٥ سِرْ يارسولَ الله إنَّـا أولُ المتقدِّمين
١٦ لو خُضْتَ هذا البحرَ سوف نخوضُهُ مُتَتَابِعين

---

(١) وكان ينطق باليقين – أي بالحق.

(٢) الوحى المبين – أشبه القرآن الكريم.

(٣) ليستشير الآخرين – أى الأنصار.

(٤) فأجابه سعد – هو سعد بن معاذ زعيم الأوس.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٢٦٣ جـ ٢

وقف رسول الله ﷺ، يحدث أصحابه، وذلك ليعرف مدى استعدادهم... إنه يستشيرهم وكلهم يسمعون حديثه، فقال لهم: لقد خرجنا نريد قافلة التجارة، لكنها أفلتت، وها نحن الآن أمام أمر واقع لا مفر منه.. فأمامنا جيش مكة ذو العدد والعدة.. ولا غرو فاللقاء سوف يكون غداً ببدر، فماذا تقولون في هذا الأمر يا قوم؟!.

فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امض لما أمرك الله، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى:

«اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون – المائدة ٢٤» ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون.... الخ.

فقال له رسول الله خيراً ودعا له به، ثم قال: أشيروا عليّ أيها الناس، وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم عدد الناس، وأنهم حين بايعوه ليلة العقبة بمكة، قالوا: يارسول الله، إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا.

فكان رسول الله يتخوف ألا تكون الأنصار عليها نصره إلّا ممن دهمه من عدوّه بالمدينة، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم فلما قال ذلك، قال سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يارسول الله؟! قال «أجل» فقال سعد: لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته، لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد.. وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لَصُبُرٌ في الحرب صُدُقٌ عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك.

مقطع رقم ٢٦٤ جـ ٢

رسول الله وصحبه يواصلون السير إلى بدر

١ سَمِعَ النبيُّ إجابةَ الأنصارِ كانوا صَادِقِين
٢ كانت إجـابتهم تُؤكِّـدُ قوَّةَ لِلْمسلِـمين
٣ سعدٌ زعيمُ الأوْس كان هو المجيبُ على الأمين
٤ سُرَّ الرسولُ بقول سَعْدٍ نِعْم قوْلُ المؤمنين
٥ قال النبيُّ فأبشِروا هذا طريقُ السَّالِكين
٦ إنى على وعْدٍ بِنَصْرٍ(١) من إلـه العـالمين
٧ الله يُعْطِـى نصْرَهُ للمؤْمنيـنَ الصَّادقين
٨ هَذِى مَصَارِعُهم(٢) كأنى إذْ أراهُمْ هَالِكين
٩ سار الرسولُ بِصَحْبِهِ فى دَرْبِهِمْ مُتوكِّلين
١٠ نزلوا جميعاً قُرْبَ بَدْرٍ فى مكانٍ كامِنين
١١ هذا أبو بكر مع الهادى خِتامِ المرْسَلِين
١٢ رَكِباً وَسَارا يبحثانِ عن الخصُوم(٣) المجرمين
١٣ كى يَعْرِفَا أخبارَ جَيْشِ المْعتَدِين المشْركين
١٤ أتياَ على شَيْخٍ كبيرٍ كان ذا عَقْلٍ فَطِين
١٥ جَاءَا إليـهِ لِيسْألاهُ فعنـدهُ الخبـرُ اليـقِين

---

(١) إنى على وعد بنصر – وعد الله رسوله بالنصر ولن يخلف الله وعده.

(٢) هذى مصارعهم – الأماكن التى سوف يقتلون فيها.

(٣) عن الخصوم المجرمين – عن جيش قريش.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٦٤ جـ ٢

لقد تحدث أصحاب رسول الله ﷺ، فأجابوا على تساؤله، وأشاروا بالصواب، وهو ما كان يبغيه وذلك فيما يتعلق بلقاء مشركى مكة وقتالهم.. ولا غرو فهذا أمر يحتاج إلى استعداد نفسى وفكرى معا هذا فضلًا عن القوة والإعداد.

وكان آخر المتحدثين، سعد بن معاذ زعيم الأنصار، فأجاب وأحسن الإجابة، وأجاد التعبير كما أجاد الذين تحدثوا قبله.

سُر رسول الله ﷺ، بإجابة سعد واطمأن بعد أن كان يشك فى موقف الأنصار كما قدمنا فى المقطع السابق.

حينئذ قال رسول الله: سيروا على بركة الله.

«سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم».

ثم ارتحل رسول الله بأصحابه من وادى ذفران الذى كان نازلًا فيه، وواصل السير متجهاً نحو بدر، حتى وصل إلى كثيب كبير يشبه الجبل العظيم، فجاوزوه ثم نزلوا قريباً من بدر.

بعد أن نزلوا قريباً من بدر ليكمنوا هنالك، ركب رسول الله وصاحبه أبو بكر الصديق، وذهبا معاً فى مهمة استطلاعية، الغرض منها الوقوف على أخبار العدو وتحركاته وعدده وعدته، فهذه كلها معلومات ينبغى أن يحصل عليها قائد كل جيش، وذلك لأنها تساعد على تحقيق النصر.

مر رسول الله وصاحبه أبو بكر على شيخ أعرابى فى الصحراء، فأتياه ليسألاه.. فلعلهما يجدان عنده شيئا مما يريدانه.

مقطع رقم ٢٦٥ جـ ٢
رسول الله وصاحبه يسألان الأعرابى

١ وصلَ الرسولُ ومعه صاحبُه أبو بَكْرٍ الأمين
٢ شيْخاً كبيراً يسكنُ الصحراءَ ذَا عَقْلٍ فَطِين
٣ سألاهُ أينَ يكونُ جيشُ محمَّدٍ[1] والصَّابئين
٤ وكذا قريش أينَ أمسَتْ هَاتِنا الخبرَ اليقين
٥ الشيخُ كان جوابُــه بالحِرْصِ لِلْمُتَسائِــلين
٦ يا قَوْمُ إن أخبرتُكُمْ فَلْتُخْبِـرانى صادقين
٧ قالا: فإن أخبرتَنـا، نُخْبِرْكَ لسنَـا كاذبين
٨ فأجابهم بالصِّدق عَمَّـا يَسْألانِ كَبَاحِـثين
٩ عن مَوْقِعِ الجيشين أخبرهُمْ بصدقِ العارفين
١٠ قَدْ كانَ ذا فَهْمٍ عجيب فى تقصِّى[2] الراحلين
١١ مِن بعْدِ ذلك قال: إنى سائلٌ كَىْ أستبين
١٢ مِن أىِّ قومٍ أنتما؟! هل تَصْدُقَانى قائلين؟!
١٣ فأجابــه الهادى بقــولٍ صادقٍ للفـــاهمين
١٤ هُوَ مِن معاريضِ الحديثِ ذوى المعانى الأبعدين[3]
١٥ يا صَاحِ مِن مَاءٍ أتيناَ، ثُمَّ عَادَا راجعين
١٦ الشَّيْخُ جالَ بِفكْرِهِ[4]، مِن أىِّ ماءٍ كائنين؟!

---

(١) محمد والصابئين – كل من دخل الإسلام كان يقال له صابىء.

(٢) فى تقصى الراحلين – فى تتبع ومعرفة أخبار القوافل.

(٣) ذوى المعانى الأبعدين – التى تحتمل أكثر من معنى.

(٤) جال بفكره – سرح بأفكاره فى قول رسول الله «نحن من ماء».

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٦٥ جـ ٢

كما ذكرنا فى المقطع السابق أن رسول الله ﷺ ركب ومعه صاحبه أبو بكر الصديق، وذهبا فى مهمة استطلاعية هامة، ولا غرو فاستطلاع أحوال العدو، ومعرفة أخباره من مستلزمات الجيش الأولى، لأنه على ضوئها ترسم خطط الحرب، وتتخذ القرارات.

مر الرسول وصاحبه بشيخ كبير فى الصحراء، فسأله رسول الله ﷺ: هل لديك علم عن جيش محمد والذين معه أين هم الآن؟! وأيضا أين جيش قريش ينزل الآن؟!.. إن كنت تعلم شيئاً عن الجيشين، فهات ما عندك.

فقال الشيخ: إن شئتما معرفة ما تسألان عنه، فأنا أيضاً أريد أن أسألكما فإن أخبرتكما عما تسألون عنه، فهل تخبرانى بصدق عما أسالكما عنه؟! فقال رسول الله «إذا أخبرتنا أخبرناك» قال الرجل: أو ذاك بذاك؟! قال رسول الله: «نعم»

قال الشيخ: فإنه بلغنى أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذى أخبرنى، فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذى هم فيه!! وبلغنى أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فان كان الذى أخبرنى صدقني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذى تنزله قريش، فلما فرغ من خبره قال:

أما سؤالى فهو، من أى قوم أنتما؟! فأجابه رسول الله «نحن من ماء» ثم انصرف عنه.

كانت إجابة رسول الله على سؤال الرجل، من المعاريض التى تحتمل أكثر من معنى، وبهذا يستغنى المتحدث بالمعاريض عن الكذب، لقول رسول الله: «إن فى معاريض الحديث مندوحة عن الكذب» رواه ابن السني عن عمران بن الحصين فى الكنز الثمين.

لما قال رسول الله للشيخ: نحن من ماء، قال الشيخ: من أى ماء؟! أمن ماء العراق؟!.

مقطع رقم ٢٦٦ جـ ٢

أصحاب رسول الله يمسكون سقاة قريش

١ المصطفى وصديقُهُ الصِّديقُ عادا قَافِلين

٢ عَادَا إلى الصَّحْب الكِرَام ومعهما الخبرُ اليقين

٣ هُمْ خَيْرُ أهلِ الأرضِ طُرًّا هُم خِيارُ[١] العَالمين

٤ عَرفَا مكانَ عدوِّهم، هُمْ أينَ صَاروا نازلين

٥ هذا عليٌّ والزُّبير وبعْض صَحْب آخرين

٦ يتوجَّهون لأرْض بدْر، إنه أمْـرُ[٢] الأمين

٧ وصلُوا هُنالِكَ إنهُمْ كانُوا لأمرٍ عازمين

٨ وجدُوا رُواةَ الماء[٣] كانوا مِن قُرَيْش قادمين

٩ فوْراً أتوْا بِهِمَا إلى الهادى وكانوا مُسْرِعين

١٠ سألوهُما مَنْ أنتما؟! قَالا: رُوَاةُ العاطِشين

١١ نحن السُّقاة إلى قُرَيْش قد أجَبْنَا صادقين

١٢ ظنُّوهما لم يَصْدُقَا، ضربـوهما مُتسائلين

١٣ أنتم سُقَاةُ العِيرِ[٤] كُنتم لِلحقيقةِ مُنْكرين

١٤ مِنْ شدَّة التعْذِيب قالا: قَدْ كذبْنا عامدين

١٥ إنا سُقَاةُ العيرِ حقًّا فاتركُونا آمنين

---

(١) هم خيار العالمين – أى رسول الله وأصحابه.

(٢) إنه أمر الأمين – كما أمرهم رسول الله.

(٣) رواة الماء – الذين يحضرون الماء لجيش قريش.

(٤) أنتم سقاة العير – العير هى قافلة التجارة.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٦٦ جـ ٢

لقد عاد رسول الله ﷺ، ومعه صاحبه أبو بكر الصديق من المهمة الاستطلاعية التي ذهبا من أجلها.. عادا إلى حيث تركا المسلمين فى المكان الذى نزلوا فيه.

عادا ومعهما بعض المعلومات.. ولا غرو فمحمد وأصحابه هم خير أهل الأرض ما فى ذلك من شك.

عند المساء أمر رسول الله جماعة من أصحابه، منهم على بن أبى طالب والزبير ابن العوام، وسعد بن أبى وقاص بالتوجه إلى ماء بدر يلتمسون عنده الأخبار، ذلك لأن الماء مورد أهل الصحراء كلها، وكذلك القوافل فى ذهابها إلى الشام وإيابها.

فلما وصلوا ماء بدر، وجدوا غلامين يحملان الماء لجيش مكة، كما ذكرا ذلك عند سؤالهم لهما.. فأتوا بهما إلى رسول الله ﷺ، فوجدوه قائما للصلاة، فسألوهما ورسول الله قائم يصلى.

لمن تحملان الماء؟! فقالا: نحن سقاة قريش، بعثونا نسقيهم من الماء، فكره القوم خبرهما، ورجوا أن يكونا لأبى سفيان.

تشككوا فى قولهما، فظنوهما يكذبان، فضربوهما مع التساؤل، أنتم سقاة العير لأبى سفيان، ولكنكما تكذبان، فتقولان:

انكم سقاة قريش، تريدان تضليلنا..فلما بالغوا فى ضربهما، قالا: نعم، نحن قد كذبنا عليكم أول الأمر، لكنكم لم تصدقونا فى كذبنا، إذن فنحن سقاة العير كما ظننتم.

فهلا تركتمونا لشأننا، نذهب حيث شئنا.

مقطع رقم ٢٦٧ جـ ٢

رسول الله يعرف الحقيقة من السقاة

١ المصطفى قَدْ كانَ يسمعُ فى الصلاة[١] إلى الجِدال

٢ صدقَ السُّقاة فكَذَّبا[٢] مِنْ سائِليهم فى السؤال

٣ عادوا لِسُؤْلهما بضربٍ دونه ضَرْبُ النِّصال

٤ رأيا لتعذيبٍ على صِدْق، فقالا[٣] ما يُقَال

٥ أنهى الرسولُ صلاته فوراً وقال إلى الرجال

٦ إن يَصْدُقَا لم تَرْتَضُوا، وقد ارتضيتُم بالضَّلال

٧ هُمْ من سُقاة الجيشِ حقّاً فاقبلوا هذا المقال

٨ المصطفى سأل السُّقاة، وكان يعْلُوه الجلال

٩ فَلْتُخْبِرانى عَنْ قُريش، فى السُّهول أو الجبال؟!

١٠ قالا: فَهُمْ مِنْ خَلْفِ هذا التل جاءوا للقتال

١١ قال الرسول: فكم عِدادُ القوم مِنْ غير ارتجال[٤] ؟!

١٢ قالا: فَلَسْنَا عارفين، فذاك شكٌّ واحتمال

١٣ قال الرسول لهم: فماذا يَنْحرون مِن الجِمَال؟!

١٤ قالا: فَتِسْعاً كُلَّ يوم[٥]، ثم عَشْراً فى ابتدال

١٥ قال الرسول: فإنهم أَلْفٌ وليسُوا بالكمال[٦]

---

(١) كان يسمع فى الصلاة – كان يصلى حين تعذيب الأصحاب للسقاة.

(٢) فكذبا من سائليهم – لم يصدقوهم.

(٣) فقالا ما يقال – قالا لهم ما يريدونه وهو الكذب.

(٤) من غير ارتجال – أى بالتحديد.

(٥) فتسعاً كل يوم – ينحرون يوما تسعا ويوما عشراً.

(٦) وليسوا بالكمال – هم أقل من الألف.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٦٧ جـ ٢

كان رسول الله ﷺ فى صلاته، وكان أصحابه فى نفس الوقت يسألون الغلامين، سقاة قريش اللذين أحضروهما من عند ماء بدر، كما ذكرنا فى المقطع السابق.

وقد سمع رسول الله كل ما دار بين أصحابه، وبين الغلامين سقاة قريش.. فحين قال الغلامان الصدق كإجابة على السؤال الموجه لهما، لم يصدقوهما، فضربوهما ضربا مؤلماً، فعدل الغلامان عن القول الأول تحت وطأة التعذيب وقالا: نحن سقاة أبى سفيان.

كل هذا سمعه رسول الله وهو فى صلاته، فأنهى صلاته، بعد أن أتمها ركوعا وسجوداً، بالتسليم، ثم قال لأصحابه:

«إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا والله إنهما لقريش» ثم دعاهما رسول الله ﷺ، ليتحدث إليهما، فشعرا بالاطمئنان له من هيأته وحديثه، فقال لهما: «أخبرانى عن قريش» أين مكانهم، وأين ينزلون؟!.

فقالا: هم والله وراء هذا الكثيب الذى ترى بالعدوة القصوى، لقد جاءوا وكلهم شوق للقتال، فقال لهما رسول الله: كم القوم وأريد أن تخبرانى بالحقيقة فلا تكذبان على؟! فقالا: كثير لا ندرى عددهم ولا عدتهم.. وهذا أمر لا نستطيع أن نقطع به، ولا بد من التخمين والارتجال فقال رسول الله: كم ينحرون من الإبل كل يوم؟!.

قال الغلامان: ينحرون يوما تسعاً ويوماً عشراً.. حينئذ قال رسول الله: «القوم فيما بين التسعمائة والألف».

مقطع رقم ٢٦٨ جـ ٢

نجاة قافلة التجارة

١ لا زالَ خيْرُ الخلْقِ يسأل لِلسُّقَاةِ المشركين
٢ فلقد أجاباً عِنْ تساؤله وكانَا صادِقين
٣ قال الرسولُ: فَمَنْ مِنَ الأشرافِ[1] جاءوا قادمين؟!
٤ قالا: عن الأشرافِ لا تسألْ، فجاءوا أكثرين
٥ قال الرسولُ لِصَحْبه: يا قومُ كونوا عارفين
٦ قد جاءكم أشرافُ مكةَ حاقدين مُسلَّحين
٧ والعيرُ[2] أيضاً أفلتَتْ مِنَّا، فقائِدُها فَطِين
٨ قد كانَ قائدَها أبو سُفْيان شيخُ الماكرين
٩ ورسالةٌ مِن[3] عنده فَوْراً لجيْش الزاحفين
١٠ فَحْوى الرسالة، أنكم عُودوا، نجوْنا سالمين
١١ بعد التشاورِ قال بعضُ القوم: عُودوا آمنين
١٢ الأخنسُ بنُ شرِيْق عاد بقوم زُهْرة أجمعين
١٣ لكنْ أبو جَهْل أصرَّ بِغلْظَةِ المتغطْرسين
١٤ مِنْ قَوْله: فَلْنأتِ بَدْراً[4] ذاك سوقُ الوافدين
١٥ وَلْيشربوا وَلْيعزِفوا وَلْينحَرُوا مُتفاخِرين
١٦ هَذَا لِتَرْهبَهم جميعُ العُرْب أبدَ الآبِدين

---

(١) فمن من الأشراف – أى سادات قريش.

(٢) والعير أيضا أفلتت – أى قافلة التجارة.

(٣) ورسالة من عنده – من أبى سفيان.

(٤) فلنأت بدراً – هو المكان المشهور الذى سميت غزوة بدر باسمه.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٦٨ جـ ٢

ها نحن لا نزال مع رسول الله ﷺ، وهو يتحدث مع الغلامين اللذين أحضرهما أصحابه من عند ماء بدر، فهو يسأل، وهما يجيبان، وقد كانا صادقين فى كل ما أجابا به على أسئلة رسول الله ﷺ فمن سؤاله لهما، عرف مكان جيش مكة، وعرف عدده.. ثم وجه لهما سؤالًا أخيرا فقال «فمن فيهم من أشراف قريش؟!».

فقالا: لقد جاءوا كلهم، جاء عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة، والبخترى بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر، وطعيمة بن عدى، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن ود، وغيرهم كثير.

فقال رسول الله لأصحابه: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها» أما عن قافلة التجارة التى خرجنا لأجلها، فقد أفلتت من أيدينا، فقائدها داهية ماكر، إنه أبو سفيان فطنة وذكاء وفهما.

لما اطمأن أبو سفيان أنه صار فى المأمن، من محمد وأصحابه، أرسل رسالة إلى جيش قريش فقال لهم: لقد خرجتم لحماية أموالكم، ارجعوا فقد نجاها الله.

أما الأخنس بن شريق حليف بنى زهرة فقد أشار على بنى زهرة فقال: قد نجى الله أموالكم، فاجعلوا بى جبنها وارجعوا فرجع ورجعوا.

أما أبو جهل فقال: والله لا نرجع حتى نَرِدَ بدراً، فنقيم عليه ثلاثاً، فننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونسقى الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع العرب بمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبد الدهر.

مقطع رقم ٢٦٩ جـ ٢

جُهيم، من بني هاشم يرى رؤيا

١ هذا جُهَيْم[١] قد رأى في نومه رُؤْيا مُثيره
٢ هُو مِن سلالة هَاشِم، قد كان مِنْ أهلِ البصيره
٣ فلقد روى للقوم جَهْراً ما رآه فلا سَرِيره[٢]
٤ إنى رأيتُ الهوْل فى رُؤياى قد كانت عسيره
٥ رَجُلًا على فَرسٍ سَبُوق[٣] قال أقوالًا خَطِيره
٦ قد قالَ عَنْ قَتْلِ الأكابر خَيْرِ أبناءِ العشيره
٧ عن قَتْلِ عُتْبَةَ ثُمَّ شَيْبَةَ مع أبى جَهْلٍ نظيره
٨ وأُميَّةَ[٤] وكثير مِنْ أشرافنا ذَاقُوا المريره[٥]
٩ مِن بَعْدِ هذا القول وَجَّه ضربةً جرحتْ بعيره
١٠ فرَّ البعيرُ وكان ينْزِف، فالدماء غَدَتْ غزيره
١١ فتناثَر الدمُ فى الخيام أصابَ أفنيةً[٦] كثيره
١٢ كُلُّ الخيام أصابها مِنْهُ الكبيرةُ والصغيره
١٣ بلغتْ أبا جَهْلٍ رُؤاه فقال فى غَيْظ وَغِيره
١٤ هذا نبيٌّ ثالثٌ[٧] مِن آلِ هاشِمٍ فى الجزيره
١٥ وَلَسَوْفَ يعلمُ أينَا المقتولُ فى تِلْك المسيره

---

(١) جهيم – هو ابن الصلت بن مخرمة بن المطلب.

(٢) فلا سريره – علانية وليس سراً.

(٣) فرس سبوق – سريع.

(٤) وأمية – هو ابن خلف.

(٥) ذاقوا المريرة – هى الموت.

(٦) أفنية كثيرة – فناء الدار هو امتدادها واتساعها.

(٧) نبى ثالث – إنه يتهكم، يشير إلى رسول الله، وعن رؤيا عاتكة، وهذه رؤيا جهيم.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٦٩ جـ ٢

مما سبق فى المقاطع الماضية، علمنا أن الجيش – جيش الشرك وجيش التوحيد – ينزلان قريبا بعضهما من بعض، وذلك فى طريقهما للقاء الخالد الذى لا تزال أصداؤه تملأ سمع الدنيا، وليس بينهما إلا مسافات قصيرة، وكلا الجيشين زاحف وجهته ماء بدر ليلتقيا هنالك.

ليلتقيا على غير موعد سابق بينهما، بيد أن الله قدره وحدده فى سابق علمه، وذلك لتتم إرادته التى هى فوق كل إرادة..

«ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حىَّ عن بينة... الخ»(١).

وفى هذه الأثناء، وكان جيش قريش نازلًا بالجحفة، رأى جهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف رؤيا، ولا غرو فهو من بيت عبد المطلب بيت النبوة، بيد أنه لا يزال مشركا فقال فى الصباح: يا قوم، إنى رأيت رؤيا مفزعة خطيرة.

إنى رأيت فيما يرى النائم، وإنى لبين النائم واليقظان، إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ثم قال.. ويا ويح ما قال: لقد أخبر عن قتل الأشراف من قريش، لقد قال: قتل عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة، وأبو الحكم بن هشام وأمية بن خلف، وعدّد أسماء كثيرة من رجالات قريش المعروفين".

ثم رأيته ضرب فى لبّة بعيره، ثم أرسله فى العسكر، فما بقى خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضخ من دمه.

فلما بلغت أبا جهل رؤيا جهيم هذه قال: وهذا أيضا نبى آخر من بنى عبد المطلب.. سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا.

---

(١) جزء من الآية ٤٢ سورة الأنفال.

مقطع رقم ٢٧٠ جـ ٢

مشورة الحباب بن المنذر على رسول الله

١ هَذِى قريشٌ قد مضتْ فى دَرْبِها للافْتخَار
٢ هُمْ ذاهبونَ لماءِ بَدْر فيه كان الانهيار[١]
٣ فى العُدْوة القُصْوى[٢] نزولُ القومِ فى وَضْح النهار
٤ أما السَّماء فأمطرتْ مطراً غزيراً بانهِمَار
٥ فتلبَّدت أرضُ المسيرة للنبىِّ فلا يَحَار
٦ وتوحَّلتْ أرضُ العدوِّ فلا يُطيقونَ المسَار
٧ نزلَ الرسولُ وَصَحْبُهُ أدْنى المياه مِن البِئَار
٨ فأتاهُ صاحِبُه الحبَابُ وكان عَقْلاً[٣] يُسْتشار
٩ سألَ الرَّسُولَ بحكْمَةٍ مُسْتَفْسِراً للاخْتيار
١٠ هذا المكانُ نَزَلْتَهُ بالوحْى أمْ بالاخْتيار؟!
١١ قال الرسولُ: فَلَيْسَ وَحْياً، فَهْوَ رأىٌ لِلْخيار
١٢ قال الحُبابُ: فليْس هذا مَنْزِلًا للانْتِصَار
١٣ هَيَّا لِننزل قُرْبَ ماء القوم حتى لا نُضَار
١٤ قال الرسولُ: أشَرْتَ بالرَّأى القويم والاعْتِبار
١٥ نزلوا كما قال الحُبابُ، فَنِعْمَ رأْياً ما أشَار[٤]

---

(١) فيه كان الانهيار – الهزيمة.

(٢) العدوة القصوى – حافة الوادى من الجانب الآخر.

(٣) عقلًا يستشار – كان ذا عقل وحكمة، ويبدو فى رأيه الإلمام بخطط القتال.

(٤) فنعم رأياً ما أشار – نعم الرأى الذى أشار به الحباب.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٢٧٠ جـ ٢

يواصل جيش قريش مسيرته زاحفاً، في طريقه إلى بدر.. ولا غرو فهم ذاهبون للتفاخر فقط، وذلك كما قال رأس الشرك والشر أبو جهل عدو الله.. فأموالهم التي خرجوا لأجل حمايتها نجت من أيدى محمد ﷺ وأصحابه، وأصبحت في الأمن.

إذن فهم ذاهبون إلى بدر ليتفاخروا، ويُشهدوا الدنيا على مجدهم وعزهم وقوتهم وجبروتهم، فكان في بدر انهيارهم، وتحطيم أمانيهم، وقتل أشرافهم، والقضاء على غطرستهم وإذلالهم.

نزلوا في العدوة القصوى من الوادى، بين بدر والكثيب العظيم، وبعث الله السماء فأمطرت مطراً غزيراً، وكان الوادى الذى تنزله قريش من الطين، فتوحل، بحيث لم يستطيعوا المسير، أما المكان الذى ينزله رسول الله وأصحابه، فكان من الرمل، فجاء المطر فلبد لهم الأرض، وسهل لهم المسير، فخرج رسول الله يبادرهم إلى الماء، حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر، نزل به.

فجاء الحباب بن المنذر بن الجموح، من الأنصار أحد أصحاب رسول الله فقال له: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟! أم هو الرأى والحرب والمكيدة؟!

فقال رسول الله: «بل الرأى والحرب والمكيدة» فقال الحباب: يارسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نغوّر ما وراءه من القُلب، ثم نبنى عليه حوضاً فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله له: «لقد أشرتَ بالرأى» فنزلوا كما قال الحباب.

ثم أمر رسول الله بالقُلُب فغُورت[1]. وبنى حوضاً على القليب الذى نزل عليه فملىء ماء.

---

(١) فغورت — أفسدت.

مقطع رقم ٢٧١ جـ ٢

سعد بن معاذ يتحدث مع رسول الله

١ هذا زعيمُ الأوْس سعْدٌ فى حديثٍ للأمين

٢ كان الحديثُ قُبيْلَ بدْءِ لقائِهِـمْ بالمشْركين

٣ يا خيْرَ خلْقِ اللهِ حان لِقاؤُنا بالمعْتدين

٤ وأرى بأنْ نبْنى عَرِيشاً كُنْ به كَىْ [(١)] تستبين

٥ ذاك العريشُ لكى ترى مِنْه الجميعَ مُحَاربين

٦ ويكونُ عِنْدَكَ للرَّحيلِ رَكَائِب مُتجهِّزين

٧ مِنْ ثَمَّ تنْزِلُ لِلْوغَى[(٢)] لِعَدوِّنا كَمُقَاتِلين

٨ فإذا نُصِرْنا كان ذاك مُرادَنا كَمُجَاهِدين

٩ أو كانت الأخْرى[(٣)] لحقتَ بقوْمنا المتخلِّفين[(٤)]

١٠ ظلُّوا بيثربَ لم يكونوا لِلْقتالِ بِعَارِفين

١١ هُمْ يا رسولَ اللهِ ليسوا دُوننا فى الطّائعين

١٢ لو يَعْلمونَ الحربَ ما ظَلُّوا هُنَالِكَ قاعدين

١٣ سُرَّ الرسولُ بقوْلِ سعدٍ نِعْمَ قوْلُ المخلِصين

١٤ ودعا لهُ بالخيْرِ فهو مِنَ الخيارِ المؤمنين

١٥ سمِعَ العريشُ[(٥)] ضراعةَ الهادى لربِّ العالمين

---

(١) كن به كى تستبين – تشرف على المعركة من العريش.

(٢) للوغى – لميدان القتال.

(٣) أو كانت الأخرى – أى الهزيمة.

(٤) المتخلفين – الذين تخلفوا فى المدينة.

(٥) سمع العريش – فيه استعارة.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٢٧١ جـ ٢

لقد نزل المسلمون عند أدنى ماء من بدر، كما أشار الحباب بن المنذر على رسول الله ﷺ.. أما قريش فقد تأخر وصولهم للماء نظراً للمطر الذى نزل بالأمس، فكان رحمةً للمسلمين، لبّد الأرض لهم، لأنها كانت أرضاً رملية، فسهل مسيرهم، وكان نقمة للمشركين إذ توحلت أرض الوادى الذى كانوا نازلين فيه، فتعسر مسيرهم وتأخر وصولهم.

وهذا سعد بن معاذ زعيم الأوس، يتحدث مع رسول الله ﷺ حديث صدق وإخلاص، وذلك قبيل بدء المعركة، فالمعركة توشك أن تبدأ، ونظرة واقعية إلى حال الجيش يتبين الفرق بينهما.

فجيش قريش عدده حوالى الألف، وهو معد للقتال، مزود بالأسلحة ورجاله مملوءون غيظاً وحقداً على المسلمين.. أما جيش المسلمين، فعدده ثلث عدد جيش قريش، وقد كانوا خارجين للقاء قافلة التجارة، ولم يكونوا خارجين لأجل الحرب.

أى أن حديث سعد مع رسول الله كان الدافع له نظرة واقعية لحال الجيشين، وقد كان بلا شك حديثاً معبراً ولنستمع إليه يقول: يا نبى الله، ألا نبنى لك عريشاً تكون فيه، ونُعد عندك ركائبك، ثم نَلْقَى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا، كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام يا نبى الله ما نحن بأشد حباً لك منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك.. الخ.

فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له بخير، ثم بُنى لرسول الله عريش فكان فيه.

ووقف رسول الله فى عريشه يتضرع إلى مولاه.. لقد سمع العريش ضراعة رسول الله إلى الخالق العظيم.

مقطع رقم ٢٧٢ جـ ٢

رسول الله يتضرع إلى مولاه

١ قَدْ أقبلَ الجيشُ[1] الظلومُ يُريدُ بدراً والقتال
٢ جاءوا بكُلِّ الحقْدِ قد مُلِئوا غُروراً باخْتيال
٣ لما رآهُمْ خيرُ خَلْقِ الله نادى ذَا الجلال
٤ يارَبِّ أهْلِكْهُمْ فإنَّا لا نُريدُ الاقْتتال
٥ هذى قريشٌ أقبلتْ بالفخْرِ تَزْهو والضلال
٦ قال الرسول: مُحدِّثاً أصحابَهُ خَيْرَ الرجال
٧ هو صاحبُ الجمَلِ الأُحَيْمِر[2] خَيْرُهُم لا، لا جدال
٨ إنْ يَسْمعوهُ سَيْرشُدوا، أوْ سَوْفَ يَلْقَوْنَ الوبال
٩ هُوَ عُتبةُ بنَ ربيعة مِنْ خيرِ أصْحابِ[3] المقال
١٠ وبنو غِفَارٍ بعضُهم أهْدى قُرَيْشاً بالجمَال
١١ قالُوا: وإنْ شِئْتُم سِلَاحاً أوْ رِجَالًا لِلنِّزال!
١٢ فَلْتطَّلبوا مِنَّا نَكُنْ رَهْنَ الإشارةِ والسؤال
١٣ قالتْ قُرَيشٌ لِلغفاريِّ: نَحْنُ لا نخشى النضال
١٤ لكن نخافُ قتالَ ربِّ محمدٍ فيمَا يُقَال!
١٥ لا، لا نُطيقُ قتالُهُ، فقتالُه فِيهِ انْخذال[4]

---

(١) الجيش الظلوم – جيش المشركين.

(٢) الأحيمر – تصغير أحمر.

(٣) خير أصحاب المقال – عاقل ذو قول رصين.

(٤) فيه انخذال – من يقاتل رب محمد ينهزم.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٢٧٢ جـ ٢

هذا جيش قريش قد هَلَّ مقبلًا من وراء الكثيب العظيم، وذلك في الصباح، جاءوا يريدون ماء بدر، وقد ملئوا حقداً وغيظاً على محمد ﷺ وأصحابه.

جاءوا بقوتهم، يملؤهم الغرور والعجب مما هم فيه من القوة والعدد والعدة والإعداد، فلما رآهم رسول الله مقبلين، توجه إلى مولاه رافعاً أكُفَّ الضراعة، وصدق اللهجة قلباً ولساناً فقال: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها، تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذى وعدتني، اللهم أحِنْهم الغداة».

حينما نظر رسول الله إلى قريش وهم مقبلون، رأى عتبة بن ربيعة في القوم على جمل له أحمر، وهو عليه الصلاة والسلام يعلم من هو عتبة عقلًا وحكمة ورأيا وفطنة.. فهو رجل توفرت فيه كل هذه الصفات، فلا يمكن أن يكون داعية حرب أو شر مطلقاً.

فقال رسول الله لأصحابه: «إن يكن في أحد من القوم خير، فعند صاحب الجمل الأحمر، إن يطيعوه يرشدوا».

في أثناء مسيرة قريش قادمين إلى بدر، مروا برجل من بني غفار، فأرسل ولده لهم بهدية من الإبل الجزور ليذبحوها ويأكلوها مجاملة وتأييداً منه لهم، وقال لولده: قل لقريش: إن أحببتم أن نمدكم بالسلاح والرجال فما عليكم إلا أن تطلبوا منا، ونحن رهن إشارتكم.

فأرسلت قريش للغفاري مع ولده، أن وصلتك رحم، قد قضيت الذى عليك، فلعمرى لئن كنا إنما نقاتل الناس، فما بنا من ضعف عنهم ولئن كنا إنما نقاتل الله كما يزعم محمد، فما لأحد بالله من طاقة.

مقطع رقم ٢٧٣ جـ ٢

عمير بن وهب يقدر عدد المسلمين

١ بعثتْ قُريشٌ بابن وَهْبٍ[١] نحو جيشِ المسْلِمين
٢ كَيْ يَعْرِفُوا تَعْدادَهُم بل حالَهُمْ كَمُقَاتِلين
٣ هذا عُمَيْرٌ دارَ حَوْلَ الجيشِ حتّى يَسْتَبين
٤ قَدْ دارَ لكنْ مِنْ بعيدٍ ذَاكَ فِعْلُ[٢] المخبرين
٥ فرأى رجالًا كالأسُودِ عَلى الأسِنَّةِ[٣] قَابِضين
٦ يتحدَّثُون وَكُلُّهمْ وَعْيٌ وليْسُوا غَافِلين
٧ قد عادَ بالأخبارِ يخبرُ قومَهُ المتكبِّرين
٨ مِنْ قولِهِ إنِّى رأيْتُ القَوْمَ رُؤْيَةَ فاهِمين
٩ هُمْ ليسَ بالعددِ الكثيرِ اذا أردْتُم سَائِلين
١٠ كانوا مِئاتٍ ثلاثةٍ زادُوا قليلًا عَنْ يقين
١١ لَكِنَّهُمْ ليسُوا رِجالًا بل أُسُوداً كَاسِرين
١٢ إنْ يلتقُوا بِعدوِّهم لَنْ يُهْزَمُوا كَمُحارِبين
١٣ لن تستطيعوا قَتْلَهُم، هذا هو الرأيُ المتين
١٤ إنِّى أُحَذِّرُكم وإلا قَدْ نكُونُ النَّادمين
١٥ فَلْتَنْظُروا فى أمرِكم مِن قبلِ خُسْرانٍ[٤] مُبين

---

(١) بابن وهب – هو عمير بن وهب ليعرف أخبار المسلمين.

(٢) فعل المخبرين – الذين يقومون بالتجسس.

(٣) على الأسنة قابضين – على الأسلحة، كدليل على يقظتهم.

(٤) من قبل خسران مبين – أى الهزيمة.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٧٣ جـ ٢

نزل جيش قريش بالعدوة القصوى من الوادى، وكان المسلمون نازلين بالعدوة الدنيا - كما ذكر القرآن الكريم عنهم فقال: «... إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى[1] ... الخ» - وكلا الجيشين فى حالة تربص وحذر وكل منهما يحاول جاهداً معرفة أحوال الآخر بكل وسيلة ممكنة، لأن هذه من أهم أسلحة الجيش، التى تكون سبباً فى إحراز النصر على العدو إذا ما استغلت بذكاء ودقة وحرص.. وإلا كانت الهزيمة.

فمن ثم أرسلت قريش رجلاً من أكفأ رجالها المعروفين بالذكاء اللماح، اسمه عمير بن وهب الجمحى عيناً - جاسوساً - على جيش المسلمين كى يعرف عددهم ويلمس حالهم.

دار عمير بن وهب حول جيش المسلمين من بعيد حتى يستطيع معرفة أحوالهم، فماذا رأى؟! رأى رجالاً كالأسود، يجلسون جماعات يتحدثون هامسين، يتحدث كل منهم ويده على قبضة سيفه، يجلسون القرفصاء استعداداً لكل حال، وكلهم وعى وحرص ونشاط.

عاد عمير إلى قريش بالأخبار التى استنبطها من واقع رؤيته التى رآها فقال لهم: يا قوم، إنى أحذركم مما أنتم مقدمون عليه.. إنى رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا، نواضح يثرب - الإبل التى تحمل الماء - تحمل الموت الناقع، قوم ليس لهم منعة إلّا سيوفهم، والله ما أرى أن يُقتل رجل منهم، حتى يقتل رجل منكم، وهم ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا، أو ينقصون قليلاً.

فإذا ما أصابوا منكم أعدادهم، فما خير العيش بعد ذلك؟! فَرَوّا رأيكم، ولتكونوا حكماء، وإلا فسوف تجنون الندامة - ولات ساعة مندم - وتمضغون الحسرات، ولن تستطيعوا ردّ ما فات.

---

(١) الأنفال آية رقم ٤٢.

مقطع رقم ٢٧٤ جـ ٢

حكيم بن حزام يشير على قريش بالرجوع

١ أما ابنُ وَهْب فانتهى مِن قولِه الفذِّ المتين
٢ قدْ كانَ مِن خيرِ[1] المقالِ، وكان خَيْرَ النَّاصِحِين
٣ سَمِعُوا مقالتَـهُ فصارُوا كُلُّهـم مُتهامِسِين
٤ أمّا حكيمٌ[2] فَهْوَ مِن خَيْرِ الرِّجالِ المشْرِكين
٥ فأتى لِعُتْبَةَ قالَ: أنْتَ مِنَ الرِّجالِ الحازِمين
٦ إنْ كُنْتَ تَرْجو أنْ تنالَ المجْدَ بَيْنَ الخالدين
٧ فارْجعْ بِقَوْمِكَ أنْتَ سَيِّدهُم وَخَيرُ المصْلِحين
٨ واحْمِلْ لِعَقْلِ[3] حَليفِك ابن الحضْرَميِّ لِيسْتكِين
٩ فهْوَ الذى يَدْعُو لِثأْرِ أخيهِ دُونَ الآخرين
١٠ فأجابَ عُتبةُ في هُدوءٍ كانَ ذَا عَقْلٍ فَطِين
١١ إنى لِرأيِكَ مُسْتجيبٌ نِعْمَ رأْىُ المخلِصِين
١٢ ولسَوْفَ أحْمِلُ عقْلَ ابن الحضْرميِّ فلنْ[4] يُبِين
١٣ فاذهبْ لابنِ الحنْظَلية[5] واستَشِرْهُ لِتستَبين
١٤ إنى لأخشى أن يُثيرَ القَوْمَ لِلثّأرِ المشِين
١٥ هُوَ لا يحبُّ الخيرَ دَوْماً ذاكَ طَبْعُ المفْسِدين
١٦ فاذا أجابَ لما تقولُ: فسوْفَ نرجعُ سالمين

---

(١) من خير المقال – كان صادقاً فى تعبيره.

(٢) أما حكيم – هو حكيم بن حزام.

(٣) واحمل لعقل حليفك ابن الحضرمى – تحمل ديته.

(٤) فلن يبين – لن يتكلم.

(٥) ابن الحنظلية – هو أبو جهل.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٧٤ جـ ٢

لقد استمع رجال قريش إلى حديث عمير بن وهب، عن أخبار المسلمين وحالهم، وعددهم وقوتهم واستعدادهم.. وقد كانوا يثقون فيه وفى حديثه وقدرته على إدراك مالم يدركه غيره فى كثير من الأمور.

فكان لحديثه وقع خطير فى نفوسهم، جعل معظمهم يغيّر مجرى تفكيره، ويعيد النظر فى قراراته، لا سيما ساداتهم الذين يملكون ناصية الرأى، وإليهم يرجع القبول، وهم الذين يصنعون القرارات سلماً وحرباً.

هذا حكيم بن حزام، من سادات قريش، وهو معروف بميله إلى الاعتدال وحب الخير... جاء إلى عتبة بن ربيعة، وذلك بعد أن سمع مقالة عمير بن وهب عن حال المسلمين فقال: يا أبا الوليد، إنك كبير قريش وسيدها المطاع، فإن كنت ترجو أن تنال المجد فى حياتك، ويظل لبنيك بعد مماتك، فارجع بقومك جميعاً، فأنت سيدهم.

وعليك بابن الحضرمى – حليفك – فاعطه دية أخيه الذى قتله أصحاب محمد.. فهو الذى يدعو لثأر أخيه دون الآخرين.. فعليك أن تسكته وترضيه.

فقال عتبة بهدوء: ياحكيم، إنى لرأيك مستجيب ومحب.. ولو شققت قلبى لوجدته ينبض بهذه المعانى التى ذكرتها.. فهو والله رأى قيم، يدعو إلى حقن الدماء.

ولسوف أحمل عقل – دية – ابن الحضرمى، وأجعله يرضى فلن يتحدث، ولكن لنا شركاء فى الأمر يا حكيم، وأهمهم هو ابن الحنظلية – أبو جهل – فاذهب إليه فاعرض عليه رأيك هذا، فإننى أخشى أن يثير القوم للثأر، ويدعو إلى إشعال نار الحرب، فهو لا يحب الخير مطلقاً.

مقطع رقم ٢٧٥ جـ ٢
عتبة ينصح قريشاً بالرجوع

١ مِن بَعْدِ هذا قامَ عُتْبَةُ يَخطبُ الجمْعَ الغفير
٢ قد قال قَوْلًا حَازِماً فى حِكْمة الرجُلِ الخبير
٣ يا قومُ إنى ناصحٌ إليكُـــمْ كالمشير
٤ ماذا سَتَجْنى مِنْ قتالِ القوْمِ فى يَوْمٍ عسير؟
٥ قَدْ تقتلُون قرابَةً وعُمومةً وكـذا[1] النَّصير
٦ إن تَقْتلُوهُمْ سَوْفَ تجنُون الندامةَ والحسير[2]
٧ إنى أرى أن تَرْجعوا ذاكمْ هُو الغُنْم الكثير[3]
٨ وَأنْترُكُوا هذا الذى مِنْ أجلِهِ كان المسير[4]
٩ أما محمدُ فاتركوه إلى الخصوم إلى النَّفير[5]
١٠ إن يغلبوهُ فذاكَ ما ترجُونَه، بِئْسَ المصير
١١ فلقدْ كُفِيتُم شَرَّهُ مِنْ غير قَتْلٍ أو أسير
١٢ أو كانت الأخرى[6] فسوف ينالكُم فَخْرٌ كَبِير
١٣ ذاكمْ لأن محمداً مِنكُم وقدْ صارَ الأمير[7]
١٤ هذا هو الرأى الصوابُ لِكُلِّ ذى عَقْلٍ بصير
١٥ فَلْتَفْهَمُــوه فإنـــهُ حَقٌ وَلَـيْـسَ لهُ نَظِير

---

(١) وكذا النصير – أنصاركم من خواص قرابتكم.
(٢) تجنون الندامة والحسير – أى التحسر والندم.
(٣) الغنم الكثير – المغنم الكثير.
(٤) الذى من أجله كان المسير – هو التفاخر.
(٥) إلى الخصوم إلى النفير – إلى أعدائه الكثيرين وقتالهم.
(٦) أو كانت الأخرى – أى انتصر محمد على كل أعدائه.
(٧) صار الامير – زعيم العرب جميعاً.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٧٥ جـ ٢

بعد أن تحدث عتبة بن ربيعة، وحكيم بن حزام، وتفاهما معاً على العودة دون حرب أو سفك دم، فالحرب متلاف للنفوس، مضيعة للأموال.. ولم يبق إلا أن يوافق أبو جهل اللعين على هذا الرأى، وحينئذ يعودون سالمين.

وقام حكيم من عند عتبة، متوجها إلى عدو الله أبى جهل، ليعرض عليه هذا الرأى الذى يدعو إلى حقن الدماء.. وبينما كان حكيم يتحدث مع أبى جهل قام عتبة فى الناس خطيباً، ليطرح رأيه على الناس جميعاً.

وكان عتبة متحدثاً بارعاً، وخطيباً مفوّها، ذكيا فطناً حكيما، فقال: يا قوم، إنى منكم كما تعلمون، ولذا فأنصح لكم، وأشير عليكم بالرأى الصواب الذى أراه صوابا.

خبرونى يا قوم، ماذا سنجنى من قتال محمد وأصحابه؟! إن محمداً وكل الذين معه، هم أبناؤنا وإخوتنا وبنو عمومتنا، فلعمر الله إن قتلنا منهم، فقد قتلنا قرابة أو عمومة أو صهراً أو.... الخ.

وحينئذ سوف نجنى الحسرات على هذا العمل المتهور الذى لم يكن عن حكمة أو تدبر.

فأرى يا قوم أن ترجعوا، فهذا والله هو المغنم الكبير، واتركوا أمر التفاخر الذى جئتم من أجله لترهبوا بقية العرب فى الجزيرة العربية.. ولتتركوا أمر محمد لأعدائه الكثيرين، فإن هزموه، فقد كفيتم شره من غير إراقة دماء أو أسرى حرب.

وإذا انتصر محمد على كل خصومه، فهذا لعمر الله فخر لنا جميعاً، فمحمد منا، أولًا وآخراً، وحينئذ سوف يكون أميراً أو ملكاً على كل العرب.. هذا هو الرأى الصواب، فافهموه واعملوا به.

مقطع رقم ٢٧٦ جـ ٢

أبو جهل يرفض الرجوع ويدعو للحرب

١ هذا حكيمٌ قَدْ أتى مِنْ عندِ عُتبةَ بالصواب
٢ فأتى لابْنِ الحنظليةِ كَيْ يَرَى مِنْهُ الجواب
٣ فرآه ينشُرُ دِرْعَهُ، للحرْبِ[1] للشَّرِّ اسْتجاب
٤ ناداهُ بالقوْلِ المحبَّب والتَّوددِ فى الخطاب
٥ إنى أتيْتُكَ حيثُ إنك سيدُ القوْمِ المهاب
٦ والرأْيُ عندك مُنتَهاهُ بغير شكٍّ وارتياب
٧ قد جِئْتُ عُتْبةَ قال: إن الخيرَ حقاً فى الإياب[2]
٨ الحرْبُ ليس وراءها إلا الدمارُ أو الخراب
٩ ماذا ترى فى قوْلِ عُتبة؟! إنهُ حقاً أصاب
١٠ فأجابهُ فى غِلْظةٍ، بل نالَ عُتْبةَ بالسِّباب
١١ بل قال عنْهُ بأنَّهُ أمسىَ[3] بِهَمّ واضطراب
١٢ يخشى على قتْلِ ابْنهِ فى[4] الصَّابئين ولَنْ يُجاب
١٣ كلَّا فإنَّا لَنْ نعودَ بغير حَرْبٍ أو ضِرَاب
١٤ حتى نَرَى حُكْمَ الإلهِ وَمَنْ يكونُ[5] له الحِسَاب؟!

---

(١) للحرب للشر استجاب – الشر يجرى فى دمه فهو شرير.

(٢) فى الإياب – فى العودة.

(٣) أمسى بهم واضطراب – بات مهموماً قلقاً.

(٤) ابنه فى الصابئين – ابن عتبة كان مسلماً فى جيش محمد ﷺ.

(٥) ومن يكون له الحساب – المحاسبة أى الهزيمة.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٧٦ جـ ٢

قام حكيم بن حزام من عند عتبة بن ربيعة، بعد أن تلاقت وجهتا نظرهما، واستقرار رأيهما على نبذ فكرة الحرب، ورفع راية السلام، والعودة بالجيش إلى الديار سالمين.

توجه حكيم بن حزام، إلى ابن الحنظلية أبى جهل، ليسمع رأيه فى الدعوة إلى السلام، فوجده ينشر درعه استعداداً للحرب والشر، إن الحقد يحرق قلبه، والشر يجرى فى عروق جسمه ممتزجاً بدمائه..

فناداه حكيم بأحب الأسماء إليه تألفا له قائلا: يا أبا الحكم، أنت سيد القوم، وصاحب الكلمة النافذة فى الناس.. فماذا ترى فى السلام؟!

لقد جئت عتبة بن ربيعة فقال: إن الخير كل الخير، والرأى الصواب، فى العودة سالمين دون حرب أو قتال، فالحرب كما تعلم جميعاً ليس وراءها سوى الدمار والخراب.. دماء وازهاق أرواح، ويتامى وأرامل وإضاعة أموال.. فى رأيى أنه رأى صائب هذا الذى أبداه عتبة بن ربيعة، فماذا تقول أنت؟!

فماذا كان جواب عدو الله أبى جهل؟! لقد كان جوابه خالياً من الود والحكمة معاً، فأول ما نطق به اللعين، أن نال من عتبة بن ربيعة صاحب فكرة السلام، ولنستمع إلى قوله:

انتفخ والله سَحْره – الرئة وما حولها – يقصد عتبة بن ربيعة – حين رأى محمداً وأصحابه، كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد.. وما بعتبة ما قال: ولكنه قد رأى أن محمداً وأصحابه أكلة جزور وفيهم ابنه، فقد تخوفكم عليه.

* * *

مقطع رقم ٢٧٧ جـ ٢

ابن الحضرمي يناشد قريشاً ثأر أخيه

١ قد كان ابنُ الحضرميِّ حليفَ عُتْبةَ مِن سنين
٢ قد جاءَ معهم طالباً للثّأر ثأرِ الجاهلين
٣ قَتَلَتْ أخاهُ سَرِيَّةُ [الشهر الحرام] (١) لِسائلين
٤ نادى أبو جهل عليه وقالَ قوْلَ الحاقدين
٥ هذا حليفُك عُتْبةٌ هوِ صاحبُ الرأى المشين
٦ هو صاحبُ الرأى الذى نادى لِنرجعَ خائبين
٧ تاللهِ إنّكَ قد رأيتَ الثّأر (٢) رُؤْيةَ ناظِرين
٨ هيّا فقُم فى النّاسِ نَاشِدْهُمْ وفاءَ (٣) العاقِدين
٩ اطْلُبْ لِثأر أخيكَ واسْتَصْرِخْ جميع السامعين
١٠ فأجابهُ فوْراً فَنفَّذَ أمْرَهُ ذاك اللعين
١١ نادى بأعْلَى صَوْته فى سَمْعِ كُلِّ الحاضرين
١٢ يا قَوْمُ قد جِئْتُمْ لحرْبِ محمدٍ والمسْلِمين
١٣ والثأرُ أيضاً دُونَ شَكٍّ قد أتينا طالبين
١٤ حَميتْ نفوسُ القوم فوْراً أقسَمُوا مُتعاهِدين
١٥ الشرُّ مطْلبهُم جميعاً بِئْسَ رأىُ المفسِدين
١٦ قد أفسدَ الملعونُ (٤) رأياً مِن رجالٍ مُخلِصين

---

(١) سرية الشهر الحرام — سميتها هكذا — هى سرية عبدالله بن جحش، أول سرية.

(٢) رأيت الثأر — رأى قتلة أخيك.

(٣) وفاء العاقدين — أن يوفوا لك بتعهدهم بثأر أخيك.

(٤) الملعون — هو ابن الحضرمى.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٧٧ جـ ٢

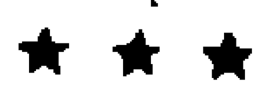
كان عامر بن الحضرمى، حليفاً لعتبة بن ربيعة، ومن المعروف بأن عامراً هذا لم يأت مع الجيش إلا لطلب ثأر أخيه عمرو بن الحضرمى الذى قتله أصحاب رسول الله ﷺ، رجال سرية – الشهر الحرام كما سميتها فى موضعها، نظراً لنزول آية «يسألونك عن الشهر الحرام... الخ» بسببها – وكانت بقيادة عبد الله بن جحش.

لما أنتهى حكيم بن حزام من حديثه مع أبى جهل، وسمع منه ما سمع، من إصراره على إشعال نار الحرب، وخوض المعركة مع محمد وأصحابه مهما كان الثمن، علم أن لا فائدة من جهوده التى بذلها، وفى نفس الوقت قام أبو جهل، فنادى فى الناس يحثهم على القتال، ونادى على عامر بن الحضرمى صاحب الثأر فقال له: إن حليفك عتبة بن ربيعة يدعو الناس إلى الرجوع دون أن تأخذ ثأر أخيك، وتشفى غليلك من محمد وأصحابه.

ولا أريد أن أقول لك شيئا أكثر من أنك ها أنت ذا ترى ثأرك بعينيك، وإن لم تأخذ ثار أخيك اليوم، فلن تاخذه ما حييت.. إنها فرصة مواتية، ولن تتكرر يا عامر.

فقم فناد فى الناس، واطلب منهم أن يوفوك عهدك الذى لك عليهم، فليأخذوا لك ثأر أخيك.

فوراً قام عامر بن الحضرمى، فصرخ فى الناس قائلا: واعمْراه!! واعمراه، حينئذ حميت نفوس الناس، فهبوا قائمين على ما هم عليه من الشر.. لقد أفسد الملعون أبو جهل، رأى عتبة الذى نادى إلى حقن الدماء والسلام.



مقطع رقم ٢٧٨ جـ ٢
الأمر من الله للملائكة بقتل المشركين

١ النـاسُ هَبُّـوا لِلْقتـال وفى حماسٍ الثَّائريـــن
٢ وتقابـلَ الجيشانِ هُمْ للمـاء كانـوا(١) طالـبين
٣ لقد الْتقَوْا فى أرْضٍ بَدْرٍ تِلْكَ أرْضُ الخالِدين
٤ النَّصْرُ فيها قَدْ تحقَّـق لِلرِّجـالِ المؤمـــنين
٥ نزلتْ جنُـودُ اللهِ فَوْراً تَنْصرُ المسْتَنْصِرِيـن
٦ الجنْـدُ كان عِدادُهُـمْ ألْفـاً وكانُـوا(٢) مُرْدِفين
٧ كانـوا ملائكـةً كرامـاً لَيْسَ جُنــداً آدَمِين
٨ نزلُوا لِقَتْـلِ الشِّرْكِ ثُمَّ رجالـهِ المتغطْرِسِين
٩ نزلُـوا بأمـرِ اللهِ كانـوا لِلْقتـالِ مُجهَّزِيـــن
١٠ الأمـرُ جاءَ لهمْ مِنَ المْولى إلـهِ العَـــالمين
١١ أن ثبِّتُـوا قَلْبَ الذيـــنَ يُقَاتِلُــون المجرِمين
١٢ الرُّعْبُ قد أنزلتهُ فى قَلْبِ كُلِّ المشْرِكين
١٣ فَلْتضْرِبُـوا أعناقَهُـم حتَّـى يَعُـودوا صَاغِرِيـن
١٤ هُم شاققوا ربَّ السماءِ وشاققوا الهادى الأمين
١٥ قد كانَ ذاكَ اليومُ يَوْمَ الخلْدِ والنَّصْرِ المبين

---

(١) للماء كانوا طالبين — كانوا يريدون الماء، ماء بدر، وقد استولى عليه المسلمون.

(٢) وكانوا مردفين — ابتداء من البيت السادس حتى نهاية المقطع من وحى سورة الأنفال.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٧٨ جـ ٢

نادى عامر بن الحضرمى فى قريش - كما قدمنا - فأثار فيهم روح الحماس، وحثهم على الثأر والانتقام والشر، فهبوا جميعاً فأخذوا أسلحتهم، وتعاهدوا على القتال، وما هى إلا لحظات حتى تدافعوا إلى أرض المعركة.. والتقى الفريقان: المسلمون والمشركون فى أرض بدر.

لقد تم النصر لأهل الإيمان فى ذاك اللقاء عملًا وتصديقاً لقول الله عز وجل: «وكان حقاً علينا نصر المؤمنين»[1].

ولا عجب فى هذا، فجنودُ الله من الملائكة نزلت من السماء، كأمر الله عز وجل، تؤازر المسلمين، وكان ذلك استجابة لضراعة رسول الله ﷺ.

كان عدد الملائكة الذين نزلوا للقتال فى صفوف المسلمين، ألفاً وكانوا مردفين.. نزلوا لقتل أهل الشرك والحقد والغطرسة، وكان نزولهم بأمر من الله عز وجل فى قوله تعالى: «إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان»[2].

الأمر صادر من الله للملائكة بأن يقتلوا المشركين، والأسباب هى:

أنهم شاقوا الله ورسوله.. وكفروا بالله ولم يؤمنوا برسوله، وأصروا على كفرهم وعنادهم، ومعاداتهم لكل دعوة للخير.. إذن فقد كان الملائكة مهيئين للقتال، عارفين المهمة التى جاءوا من أجلها..

قد كان يوم بدر يوماً مشهوداً، خلد على وجه الزمان، لأن النصر تم فيه للقلة المؤمنة، على الكثرة الكافرة.

---

(١) جزء من الآية ٤٧ سورة الروم.

(٢) آية ١٢ سورة الأنفال.

مقطع رقم ٢٧٩ جـ ٢

بدء القتال يوم بدر

١ واضطُر عتبةُ أنْ يقاتلَ كارهاً سَفْكَ الدماء

٢ لم يُلْقِ بيضة[١] رأسِهِ أو مثلِها عندَ اللقاء

٣ فاعتمَّ مُعْتَجِراً بِبُرْدٍ[٢] لِلْقِتَال والاتقاء

٤ القومُ قَدْ كانوا عِطَاشاً لم يَذُوقُوا طَعْمَ ماء

٥ الماءُ يحرسُه الرجالُ المسلمون الأقْوِياء

٦ قد غَوَّروا[٣] آبار بدر كلها صارتْ خَواء

٧ لم يَبْقَ إلا الحوض مملوءاً مياها لِلْظَّماء

٨ منْ حَوْلِهِ وقفُوا كأُسْدٍ لِلْعرينِ لهُ وِقَاء

٩ وهناك كانَ المشركون فأقسمُوا قَسَمَ الوفَاء

١٠ قد أقسمُوا أنْ يشربُوا حتَّى يَذُوقُوا الارتواء

١١ الأسْوَدُ[٤] الملعونُ أقسَمَ سوف يَرْوى مِن صَدَاء

١٢ أو سوفَ يهدمُ حَوْضَهُمْ، أو أن يصيرَ إلى الفناء

١٣ قد كانَ حمزةُ واقفاً فى سَيْفه طَعْمُ البلاء

١٤ فتحطَّمتْ ساقُ اللعينِ به[٥] وطارتْ فى الهواء

١٥ فى الحَوْضِ فاضتْ روحُه صارتْ إلى دارِ الشقاء

---

(١) بيضة رأسه – غطاء رأسه، وهو غطاء خاص للحرب.

(٢) فاعتم معتجرا ببرد – تعمم ببرد غليظ.

(٣) عوروا – خربوا كل عيون الماء.

(٤) الأسود الملعون – هو الاسود بن عبد الأسد المخزومى.

(٥) به – بسيف حمزة.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٧٩ جـ ٢

لقد نشب القتال بين الفريقين، وحمى وطيس المعركة، ووجد عتبة بن ربيعة نفسه مضطراً لأن يقاتل فى صفوف قومه، وهو كاره.. فهو – كما قدمنا – نادى بالسلام، والعودة دون حرب أو جلاد لكن صوته ذهب أدراج الرياح.

بحث عتبة بن ربيعة عن بيضة – غطاء من الحديد للرأس – ليدخلها فى رأسه، فما وجد فى الجيش كله، بيضة على قدر حجم رأسه من عظم هامته.. فلما لم يجد، اعتم معتجراً بعمامة كبيرة وذلك ليتقى بها ضربات السيوف.

كانت قريش فى حالة عطش، فالماء فى حيازة المسلمين، ويقوم على حراسته رجال أقوياء كالأسود، فهم قد عوروا – خربوا – كل الآبار وعيون الماء، فجعلوها تصب فى حوض واحد، حتى امتلأ بالماء ليكفى الجيش، ثم وقف الرجال المسلمون حوله يحرسونه.

رأى المشركون الحوض الذى صنعه المسلمون مملوءاً بالماء، وهم جميعاً عطاش، ودون الماء رجال أقوياء، وسيوف صارمة، فاقسموا أن يشربوا من الحوض.. وهذا الأسود بن عبد الأسد المخزومي، كان رجلًا شرساً سيىء الخلق فقال:

أعاهد الله، لأشربن من حوضهم، أو لأهدمنه، أو لأموتن دونه، وكان حمزة ابن عبد المطلب واقفاً، فى يده سيفه.. فلما تقدم الأسود، لاقاه حمزة؛ فلما التقيا ضربه حمزة فأطن قدمه، لكنه بعد أن قطعت رجله، حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، يريد أن يبر بيمينه، فاتبعه حمزة فضربه حتى قتله.

* * *

مقطع رقم ٢٨٠ جـ ٢
القتال يبدأ بالمبارزة الفردية

١ قُتِلَ اللعينُ وبعده قَدْ قامتْ الحربُ الكبيره
٢ خرجَ الرجالُ المشرِكون إلى المبارزةِ الشهيره
٣ هُمْ عُتبةُ وأخوه شيْبة وابنه خَيْرُ[١] العشيره
٤ وقفوا أمام الصفِّ نادَوْا لِلْمُبارزة الخطِيره
٥ فَوْراً أجابَ نِداءَهُم مِنْ فِتْيَةِ الأنصار[٢] خِيره
٦ قالوا: فَمَنْ أنتم؟ أجابوا، نحنُ إخوانُ النَّصيره[٣]
٧ رَهْطٌ مِن الأنصارِ ننصرُ لِلرسُول على بَصيره
٨ قالوا: فإنّا لا نريدُ قتالَكُم دُون[٤] الجزيره
٩ نادَوْا وقالوا: يا محمدُ هذهِ ظرفٌ عسيره
١٠ أخْرِجْ لنا أكفاءَنا مِنْ قومنا أهلِ[٥] الجزيره
١١ نادى رسولُ الله قال: ليخرجُوا أهلَ المسيره
١٢ مِنْ آل بيت محمدٍ خرجُوا كأبطالٍ مجيره
١٣ بطلُ الفِداء[٦] وحمزةٌ وعُبَيْدةٌ[٧] أُسْدٌ مُغيره
١٤ قتلوا الرجالَ المشركين وكانت اللُّقيا قصيره
١٥ ولقد أُصيبَ عُبَيْدةٌ بإصابةٍ كانتْ صَغيره

---

(١) وابنه خير العشيرة – هو الوليد بن عتبة.
(٢) من فتية الأنصار خيره – من فتيان الأنصار وهم من خيار الناس
(٣) نحن إخوان النصيره – أى أنصار رسول الله.
(٤) دون الجزيره – لا نريد قتالكم دون الجزيرة العربية.
(٥) أهل الجزيره – الذين لهم علاقة بما هو قائم بيننا من الحرب.
(٦) بطل الفداء – هو على بن أبى طالب.
(٧) وعبيدة – هو ابن الحارث عم رسول الله.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٨٠ جـ ٢

قتل الأسود بن عبد الأسد المخزومى .. داخل حوض الماء، قتله حمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسوله.

بعد ذلك اصطف الجيشان فى مواجهة بعضهما بعضاً، ولم يبق إلا المبارزة وهى: فارس لفارس، ثم الالتحام وهو: اقتحام الفريقين واختلاطهما بعضهما ببعض فى ميدان المعركة.

خرج عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد بن عتبة، خرجوا ووقفوا بين الصفين، وطلبوا المبارزة، فخرج إليهم فتية ثلاثة من الأنصار، أنصار رسول الله ﷺ، فلما صاروا أمامهم قالوا لهم: من أنتم؟!

فقالوا: نحن رهط من الأنصار، ننصر رسول الله على كل من عاداه .. فقالوا لهم: إنا لا نريد قتالكم، مالنا بكم من حاجة ثم نادى مناديهم فقال: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا، فقال رسول الله ﷺ: نعم، اخرجوا يا آل بيت محمد.

اخرج ياعبيدة بن الحارث، اخرج يا حمزة بن عبد المطلب، اخرج يا على بن أبى طالب، فلما صاروا أمامهم، ودنوا منهم قالوا لهم: من أنتم؟! فقال عبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال على: على، فقالوا: نعم، أكفاء كرام.

فبارز عبيدة بن الحارث .. عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة بن عبد المطلب .. شيبة ابن ربيعة، وبارز على بن أبى طالب .. الوليد بن عتبة.

أما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وأما على فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين، كلاهما أثبت صاحبه، فكرّ حمزة وعلىّ بأسيافهما على عتبة فقتلاه، واحتملا عبيدة صاحبهما فحازاه إلى أصحابه.

مقطع رقم ٢٨١ جـ ٢

رسول الله يسوى الصفوف وينصح أصحابه

١ وتَزَاحَفَ(١) الجَيْشان حتى قد دَنَوْا مُتقاربين
٢ المصْطفى أوصَى الرجالَ بأنْ يَظَلُّوا صَامِدين
٣ أوصى الرِّجالَ وقال: كُونُوا لِلْوصيَّة فَاهِمين
٤ لا تَضْربوهُمْ بالسُّيوف(٢) إذا أتَوْكُم هَاجِمين
٥ بل انضَحُوهم بالسِّهام لِكَيْ يظَلُّوا خَائِفين
٦ فى سبع عَشْرٍ كان هذا إنْ تكونوا سَائِلين
٧ مِنْ شَهْرِ رمضان العظيم فذاك شَهْرُ الصَّائمين
٨ المصْطفى سوَّى صُفُوفَ رجالِه المتحمِّسين
٩ القِدْح(٣) فى يَدِهِ لِتسْوِية الصُّفُوفِ المائِلين
١٠ سَوَّادُ(٤) كان مِنَ الرجالِ المسلمين المخلصين
١١ لم يَسْتَقِمْ فى الصفِّ سوَّاه النبيُّ لِيسْتَبين
١٢ أوجَعْتَنى هيَّا أقِدْنى(٥) يارسولَ العالمين
١٣ قد كان ذَلِك قوْلَ سوَّادٍ إلى الهادِى الأمين
١٤ كَشَفَ الرسولُ لِثوْبِهِ عَنْ بطْنِهِ لِلنَّاظرين
١٥ نادى عليه وقَالَ: هاكَ العَدْلَ(٦) والحقُّ المبين

---

(١) وتزاحف الجيشان – تلاقى الجيوش يسمى زحفاً.

(٢) لا تضربوهم بالسيوف – ارموهم بالسهام قبل أن يقتربوا منكم

(٣) القدح فى يده – سهم من حديد أو قضيب.

(٤) سواد – هو سواد بن غزيه.

(٥) أقدنى – مكّنى من القصاص يا رسول الله.

(٦) هاك العدل – هلم للقصاص منى.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٨١ جـ ٢

لقد اصطف الفريقان: المسلمون والمشركون، وتزاحفا وذلك للالتحام فى المعركة الخالدة، ودنا بعضهم من بعض، وانت حينئذ لا ترى إلا بريق السيوف والرماح، يُلوح بها الرجال من الفريقين توعداً ووعيداً بالبطش والانتقام.. ولا تسمع إلّا صيحات الرجال تشق عنان السماء، وقد انعقد الغبار فى أرض المعركة فكاد يحجب الرؤية.

وكان رسول الله ﷺ، أوصى أصحابه ألا يحملوا على العدو حتى يأمرهم وقال: عليكم بالصمود فى هذا الموطن، فهذا موقف له ما بعده.. لا تستعملوا السيوف أول الأمر، ولكن «إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل».

هذه المعركة، معركة غزوة بدر كانت يوم الجمعة، صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان المعظم، ذلك الشهر الذى يصوم فيه المسلمون طاعة لأمر الله عز وجل.

وقف رسول الله ﷺ بين صفوف أصحابه يتحدث إليهم، ويسويهم وينظمهم، وقد كان فى يده قدح يستعمله فى تقويم الصف، يشير به إلى هذا أن تأخر قليلًا، وإلى ذاك أن تقدم قليلًا، فمر بسوّاد بن غزيّة حليف بنى عدى بن النجار، وهو متقدم عن الصف غير مستقيم فيه، فضربه رسول الله فى بطنه بالقدح وقال «استو يا سواد» فقال سواد: أوجعتني يا رسول الله، وقد بعثك الله بالحق والعدل، فأقدنى من نفسك.

فوراً كشف رسول الله عن بطنه وقال: «استقد» يا سواد، هاك القصاص الحق والعدل.

مقطع رقم ٢٨٢ جـ ٢

سوّاد بن غزيه يعتنق رسول الله

١ نادى رسولُ الله سوّاداً لِكَيْمَا يَسْتقيـد
٢ سوَّادُ كان يريدُ شَيْئاً فيه مفهومٌ جديد(١)
٣ سوَّاد يحتضنُ النبيَّ بقُبْلَةِ الشَّوق الأكيد
٤ سوَّاد لامَسَ وجْهُهُ بطْن الرسول ليسْتفيد(٢)
٥ المصطفى مُتعجّباً مِن فِعْل سوَّاد الفريد(٣)
٦ ماذا أراكَ فعلتَ يا سوَّادُ؟ قُلْ ماذا تريد؟
٧ فأجاب سوادٌ بقوْلٍ فيه تلميحٌ بعيد(٤)
٨ يا خيرَ خلقِ اللهِ ها قد جاءنا حربٌ مُبيد
٩ والحرْبُ مِتْلافُ النفوس فلا فرارَ مِن الوعيد
١٠ فأردتُ أنْ أحظَى بلمْسِكَ قبل تقطيع الوريد(٥)
١١ من ثَمَّ ألقى وجْهَ ربى طاهراً مِثْل الوليد(٦)
١٢ فيكون آخرَ عَهْدِ وجهى لمْسُ جِسْمِكَ لِلْمزيد
١٣ سُرَّ الرسول بِفِعْلِهِ ذاكَمْ هو الفِعْل المجيد
١٤ قد كان سوَّادٌ بحقٍ صاحبَ الرأى السَّديد
١٥ ودعا له الهادى بخيرٍ إنه رجلٌ رشيد

---

(١) فيه مفهوم جديد – لا يريد قصاصاً كما تصور الكثيرون.

(٢) ليستفيد – يبغى التبرك بملامسة جسد رسول الله.

(٣) من فعل سواد الفريد – إنه فعل لم يسبقه إليه أحد.

(٤) فيه تلميح بعيد – معان عميقة.

(٥) قبل تقطيع الوريد – كناية عن الموت.

(٦) طاهرا مثل الوليد – يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ذا كم كان اعتقاده.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٨٢ جـ ٢

كما قدمنا، فإن رسول الله ﷺ كشف عن بطنه الشريف، ونادى على سواد وقال له: هيا استقد يا سواد.

بيد أن سواداً كان يريد شيئا آخر غير القصاص، لا يعلمه أحد سواه، ولم يَدُرْ بخلد أحد هذا الذى كان يريده سواد.

فماذا كان يريد سواد بطلبه القصاص من رسول الله؟!

لقد كان يريد أن يلمس جسد رسول الله، لا سيما فى تلك اللحظات الحاسمة.. وفعلًا فما أن كشف رسول الله عن بطنه، وناداه ليقتص، هجم على رسول الله فاحتضنه، وصار يمسح وجهه فى بطن رسول الله، ويقبله بشوق وحرارة، فتعجب رسول الله من فعل سواد، وتعجب أصحابه أيضاً.

ولما سأله رسول الله، ما حملك على هذا يا سواد؟! أجاب إجابة فيها معان عميقة وذكية فقال:

يا خير خلق الله، ها أنت ترى قد حضرت الحرب، والحرب لا يعرف نتيجتها أحد إلا الله عز وجل.. ولا غرو فهى القتل والخراب والدمار، ولا أدرى هل سأظل حياً أم سأقتل، فأردت أن أجعل آخر عهدى بالدنيا إن أنا قتلت، أن يكون جلدى قد لمس جلدك يا رسول الله.. حينئذ ألقى ربى طاهراً كما ولدتنى أمى!!

لقد سر رسول الله ﷺ، من فعل سواد، وهذا دليل على أن سواداً كان على وعى وفهم لم يكن لدى كثيرين غيره..

فكان الذى فعله مع رسول الله صواباً، به أصاب غرضه.. ولذا فقد دعا له رسول الله بالخير.

مقطع رقم ٢٨٣ جـ ٢

رسول الله يتضرع إلى مولاه

رجع الرَّسُولُ إلى العَرِيشِ ومعْه صاحبهُ المشِير(١)
من بعد أن سوى الصُّفُوف غدًا يُناجى لِلْقدير
قد قال: يارَبِّ انْصُرْ لِدِينكَ ذلك اليوم العسير
ربَّاهُ وانصُرْ لِلرجال المخلصين أُولى الضَّمير
يارَبِّ إن تَهلِكِ عِصَابَتُنا، فقد هلكَ(٢) النَّصير
إذ هُمْ عبادُك يعبدونك، هُمْ يخافونَ المصير
إنْ يهلَكُوا لم يَبْقَ فى الغبْراء عبدٌ(٣) مُسْتنير
أما، عَنْ الصِّديقِ فهو بجانبِ الهادى النَّذير
ويقولُ لِلْهادى رُوَيْدَكَ إِنَّهُ المْولى(٤) البصير
وَلَسَوْفَ يُنْجِزُ وعْدَهُ بالنَّصْر والفوْزِ الكبير
المصْطَفَى تَغْشاهُ سِنَةٌ، إنها النَّومُ اليسير
لما أفاقَ إذا بِهِ فى وجْهِهِ سَمْتُ البشير(٥)
فى فَرْحَةٍ قد أخْبَرَ الصِّديقَ بالْقَوْل المثير
أبْشِرْ أبا بَكْر أتاكَ النَّصْر منْقطعُ النَّظير
ها قد أتى جبْرِيلُ فوق جَوَادِهِ غذَّ المسير(٦)
مِنْ خلْفِهِ جاء الملائكةُ الكرامُ لهم زَفِير

---

(١) صاحبه المشير – الذى يستشيره وهو أبو بكر الصديق.

(٢) فقد هلك النصير – لم يبق للإسلام أحد ينصره.

(٣) عبد مستنير – يعرف الله حق المعرفة.

(٤) المولى البصير – الذى يرى ويسمع.

(٥) فى وجهه سمت البشير – هيأة المبشر الذى يحمل البشائر.

(٦) غذ المسير – يسرع فى السير.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٨٣ جـ ٢

بعد أن سوى رسول الله ﷺ، صفوف أصحابه فى مواجهة صفوف المشركين، وذلك استعداداً للالتحام، أوصاهم ونصحهم وحذرهم ووعدهم.. ولا غرو فإنه لم يبق إلا لغة السلاح من السيوف والحراب والرماح.

رجع رسول الله إلى العريش فدخله، ومعه فيه صاحبه أبو بكر الصديق، ليس معه فيه غيره، ثم وقف رسول الله يناشد ربه، رافعاً أكف الضراعة، بلسان صادق وقلب مؤمن:

يارب انصر دينك فى هذا اليوم العسير، يارب وانصر عبادك المؤمنين بك وبرسولك، الموحدين لك دون سائر الخلق.. إنهم خير أهل الأرض على الإطلاق، وأنت تعلم يارب.

«اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد».

وقد كان أبو بكر الصديق، واقفاً بجانب رسول الله عليه الصلاة والسلام، أثناء ضراعته لله عز وجل، فصار يقول له:

رويدك يا رسول الله، فإن الله عز وجل مطلع وراء[1] وعالم بكل شيء، ولسوف ينجز وعده لك إن شاء الله.. ونسوف يهبنا النصر على أعدائه، أعداء دينه ورسوله.

وبينما كان رسول الله فى العريش يناجى مولاه، أخذته سنة من النوم خفيفة، ثم أفاق فإذا هو ضاحك الوجه فقال: «أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذاً بعنان فرس يقوده على ثنايا النقع» يعنى الغبار.

من وراء جبريل جموع الملائكة جاءت بأمر الله عز وجل، لنصرة الدين ومؤازرة المؤمنين، وتثبيت قلوبهم.

---

(١) أى يرانا، ويبصر موقفنا هذا.

مقطع رقم ٢٨٤ جـ ٢

من أول القتلى مهجع وحارثة وعمير

١ صارَ التراشُقُ بالنِّبال لِكَـوْنِهم مُتباعِديـن
٢ فأُصيبَ مَهْجَعُ[١] مات فوراً مِن سهَام المشركين
٣ هُو أوّل القتْلى بحَقٍّ مِنْ رجال المسلمين
٤ وأُصيبَ حارثـة[٢] بِسهْـمٍ قاتـلٍ مِنْ قاتـلين
٥ السّهْم مزَّق نحرهُ أضْحى شهيداً عَنْ يقين
٦ خرجَ الرسولُ مِنَ العريشِ مُحرِّضاً لِلْمؤمنين
٧ قد أقسَمَ الهادى لِكُلِّ المؤمنين السّامعين
٨ مَنْ حاربَ الأعْداءَ فى صَبْرٍ وصِدْقِ الصّادقين!
٩ ويذوق طَعْمَ المَوْتِ لكن لم يكنْ فى المدْبِرين!
١٠ فلَسوْفَ يَحْظى بالنعيم مَعَ الرجَالِ الخالدين
١١ فى جنَّة الرِّضْوانِ بَيْنَ المخلِصين المتَّـقين
١٢ هَذا عُميْرٌ[٣] سَامِعَـاً لمقالـةِ الهادِى الأمين
١٣ ألقَى بتَمْـر كانَ فى يدِهِ وقـال لِيستَبين
١٤ أإذا قُتلْتُ أكونُ فى جَنَّاتِ رَبِّ العالمين؟
١٥ فوْراً تنـاولَ سَيفـهُ وانـقَضَّ كالقَـدرِ المبين
١٦ نالَ الشهادةَ بعدَ أنْ أبلَى بلاءَ الصّابرين

---

(١) فأصيب مهجع – هو مولى عمر بن الخطاب.

(٢) وأصيب حارثة – هو حارثة بن سراقة.

(٣) عمير – هو عمير بن الحمام.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٢٨٤ جـ ٢

صار التراشق بالنبل من بُعد بين الفريقين.. أصيب مهجع مولى عمر بن الخطاب، بسهم فقتله، فكان مهجع أول قتيل من المسلمين رحمه الله، قتله المشركون برمية سهم يوم بدر.

وأصيب من بعده حارثة بن سراقة، بسهم أصابه فى نحره فقتله، وكان لحظتها يشرب من الحوض.. فذهب الاثنان للقاء ربهما شهيدين فى عليين مع الخالدين.

وخرج رسول الله ﷺ من العريش، ليحرض أصحابه على القتال والثبات فى اللقاء، فى مواجهة الأعداء، أعداء الله، وأعداء رسوله ودينه والمسلمين.

حينئذ أقسم رسول الله قسماً صادقاً، وكان المسلمون يسمعونه جميعاً فقال: «والذى نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل، فيقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة».

يالله!! من حارب الأعداء، وثبت فى اللقاء، وصبر على البلاء، بصدق وإيمان، وإخلاص وإذعان، وقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر، أنه من أهل الجنة؟!

حين سمع عمير بن الحمام هذا القسم من رسول الله ﷺ، قال وكان فى يده تمرات يأكلهن: بخ بخ!! أفما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء؟!.

ثم قذف التمرات من يده، وأخذ سيفه، وانقض على الأعداء بقوة الإيمان، يضرب بسيفه كل من يلقاه، فأبلى بلاء الصابرين، ثم نال الشهادة التى كان يرجوها ويرنو إليها.

* * *

مقطع رقم ٢٨٥ جـ ٢

المسلمون ضاعفوا من عزمهم استبسالًا

١ عَوْفُ بن حَارث يسأَلُ الهادى بِصدْقِ السائلين
٢ ما يُضحِكُ المولى ؟! أجبْنى يارسولَ العالمين ؟
٣ فأجابهُ أن تنْزِعَ الأدراعَ تَلْقى المشركين
٤ وتَصُولُ فى الأعداءِ لا تخشى سُيوفَ المجرمين
٥ عَوْفٌ رمى بالدِّرْعِ فوراً واغتدى فى الحاسِرين[1]
٦ وانقضَّ كالقَدَرِ المخيف بسَيْفِهِ فى الفاجِرين
٧ نال الشهادَةَ يَوْمَذاك وصار بيْن الخالدين
٨ لما التقى الجيْشان قال زعيمُ جيْش[2] المعتدين
٩ ياربُّ أقطعُنا إلى رحْم أجِنْهُ[3] لِنستبين
١٠ فأصابهُ ذاك الدعاءُ فصار بَيْنَ الهالكين
١١ المصطفى يَرْمى بحصْباءٍ[4] وُجوهَ القادمين
١٢ مِنْ ثَمَّ قال لِصَحْبِهِ: هيا فشُدُّوا أجمعين
١٣ قد ضاعفوا من عزْمهم صاروا أسُوداً كاسرين
١٤ هُزِم الأعادى ثم ولّوْا فى البرارى هاربين
١٥ قُتِلَتْ صناديدُ الرِّجال مِنَ السُّيوف المسلمين[5]
١٦ واستأسَرُوا[6] منهم كثيراً إنّه النَّصرُ المبين

---

(١) واغتدى فى الحاسرين – من غير درع يقيه من ضربات السيوف

(٢) زعيم جيش المشركين – هو أبو جهل .

(٣) أجِنْه – دعاء بالموت .

(٤) بحصباء – تراب بحصى .

(٥) من السيوف المسلمين وصفت السيوف بالإسلام إلحاقا بأصحابهم .

(٦) واستأسروا – أسروا منهم .

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٢٨٥ جـ ٢

لقد التحم الفريقان، وحمي وطيس المعركة، وارتفع الغبار فانعقد فوق الرءوس.. وحينئذ لا تسمع إلا قعقعة السلاح، وصياح الرجال، وصياح الرجال نوعان: منهم من يصيح ليرهب خصمه، ومنهم من يصيح من حر ضربة أصابته من سيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم.

فى تلك اللحظات الرهيبة، إذا أحد أصحاب رسول الله، اسمه عوف بن الحارث، يتقدم إلى رسول الله ﷺ، فيسأله سؤالاً عجيباً، فيقول: ما يضحك الرب من عبده يا رسول الله؟!

يالله!! إنه يسأل رسول الله عن أفضل عمل يعمله الإنسان، لا سيما فى هذا الموقف الرهيب، بحيث يضحك المولى له إعجاباً.

فأجابه رسول الله قائلاً: «غمسه يده فى العدو حاسراً».

أن تنزع الدرع التى عليك، فتأخذ سيفك، فتصول فى الأعداء، لا تخشى سيوفهم، ولا تخاف الموت.

سرعان ما نزع عوف درعه فقذفها، وانقض فى الأعداء حاسراً، ممسكا سيفه، فصار يضرب فى الأعداء يمينا وشمالاً حتى قتل رحمه الله شهيداً.

حين التحم الجيشان: المسلمون والمشركون، استفتح عدو الله أبو جهل، فقال مناشداً المولى عز وجل: اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا يُعرف فأحِنْه - أهلكه - الغداة، فكان هو المستفتح، فأصابه ذاك الدعاء.

ثم إن رسول الله ﷺ أخذ حفنة من الحصباء، فاستقبل بها قريشاً ثم قال: «شاهت الوجوه» ثم نفحهم بها، وأمر أصحابه فقال لهم: «شدّوا» عليهم، فشدوا فكانت الهزيمة، فقتل الله تعالى من قتل من صناديد قريش، وأسر مَنْ أسر من أشرافهم.

مقطع رقم ٢٨٦ جـ ٢
رأى سعد بن معاذ فى الأسرى

١ الحربُ قد دَارتْ رَحَاها مِثْل نار الموقِدين
٢ دارتْ على أعداء دِين اللهِ كانوا مشركين
٣ سَعْدٌ(١) على بابِ العريشِ لِيحْرسَ الهادِى الأمين
٤ يخشى عليه مِنَ العدو وَمِنْ خِيانةِ غادرين
٥ معه الرجالُ الأقوياءُ، ذوو السُّيوفِ القاطعين
٦ المسلمـون يُقتِّلـون ويـأسِرُون الظـالمين
٧ سعدٌ بَدَا فى وجهه كُرْهٌ لِصُنْع المسلمين
٨ إذْ يَأسِرُون عَدوَّهم، لم يَقْتلوهُـمْ مُسْرعِين
٩ لمحَ الرسولُ(٢) لِكُرْهِ سعدٍ، فهو فهَّامٌ فطِين
١٠ قال الرسولُ له: فأخْبِرنى برأى المخلصين
١١ هل أنت تكرهُ صُنْعَ قَوْمِك للأسارى آخذين؟!
١٢ سعدٌ يقول له: نعم، إنى أرى(٣) القَتْلَ المهين
١٣ هى أولُ الغزواتِ فيها تَمَّ نصرُ المؤمنين
١٤ القتلُ كان أحبَّ عندى مِنْ بقاءِ المجرمين
١٥ تاللهِ هذا الـرأىُ أيَّـده(٤) إلـه العـالمين

---

(١) سعد على باب العريش – هو سعد بن معاذ زعيم الأوس.

(٢) لمح الرسول لكره سعد – عرف رسول الله ما يدور فى نفس سعد.

(٣) إنى أرى القتل المهين – أرى القتل فلا نأخذ أسرى مطلقاً.

(٤) أيده إله العالمين – القرآن الكريم أيد هذا الرأى.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٨٦ جـ ٢

بينما كانت المعركة على أشدها، بين جند الله من المسلمين، وبين أعداء الله من المشركين.. ولا غرو فالحرب كالنار تلتهم كل شيء تأتى عليه، فلا تبقى ولا تذر.

كان سعد بن معاذ، زعيم الأوس، واقفاً على باب العريش، ومعه رجال من الأنصار الأقوياء، يحرسون رسول الله ﷺ، خوفاً عليه من أعدائه المشركين، أو الخونة المنافقين.

فلما انكشف الغبار عن هزيمة المشركين، فمنهم من ولّى الأدبار. ومنهم من قُتِل.. وصار المسلمون يأخذون الرجال المشركين، فيقيدونهم بالحبال، ويقودونهم أسرى حرب.. رأى سعد بن معاذ المسلمين وهم يأخذون الأسرى، فتغير وجهه مما رأى كارها ما يفعله المسلمون.

لمح رسول الله ﷺ، التغير الذى بدا فى وجه سعد بن معاذ، فقال له: مالى أرى التغير قد بدا على محياك؟! لكأنك تكره ما يصنع قومك، لكونهم يأخذون الأسرى؟!

فماذا ترى أنت يا سعد؟!

فقال سعد: أجل، والله يا رسول الله إنى لكاره ما يصنع القوم إذ يأخذون الأسرى، فهذه أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك. فمكننا من هزيمتهم والانتصار عليهم، فكان القتل أحب إلى من استبقاء الرجال، لأنهم أعداء الله، وقتلهم خير من استبقائهم، لقد كان رأى سعد هذا هو الصواب، نزل الوحى الكريم بتأييده فى قوله تعالى: «ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض... الخ»[1].

---

(١) آية رقم ٦٧ سورة الأنفال.

مقطع رقم ٢٨٧ جـ ٢
رسول الله يوصي أصحابه بآل هاشم

١ هذا رسولُ الله يُوصِي صَحْبَهُ المتحمِّسين
٢ فيقول: إن بنيَّ هاشم أُخرِجُوا مُسْتكْرَهين
٣ أيضا رجالٌ غيرُهم[1] جاءوا لحربٍ كارهين
٤ لا تقتلُوهُمْ إن لَقُوكُم، واتركُوهُم سالمين
٥ لا تقتلُوا العبّاسَ[2]. أيضاً في عِدَادِ المشركين
٦ في السامعين أبو حُذيفة[3] في عِدَادِ المسلمين
٧ فيقولُ: إنّا قد قتلْنَا لِلأُبُوَّةِ والبنين!
٨ أفنترك العبّاسَ حيا دُونهم؟! هذا مُهين
٩ فَلأُلجِمَنَّ السيفَ لِلعبَّاس مِثْل المُلجَمين
١٠ هَذِى المقالةُ بلغتْ لِلْمُصْطفى مِن صَادِقين
١١ المصْطفى نادى أبا حَفْصٍ[4] نِداءَ العاتبين
١٢ فيقولُ: قال أبو حُذَيفة مثلَ قَوْلِ الرَّافضين
١٣ هل يُضربُ العبَّاسُ عَمُّ مُحمدٍ كالمجرمين؟!
١٤ عُمَر يقولُ إلى النبى: فذاكَ كُفْر عَنْ يقين
١٥ دَعْنِى لأضْرِبَهُ بسيفى فَهْوَ حدُّ[5] الكَافِرين

---

(١) رجال غيرهم — هو أبو البخترى بن هشام.

(٢) العباس — هو عم النبى.

(٣) أبو حذيفة — هو ابن عتبة بن ربيعة.

(٤) أبا حفص — هو عمر بن الخطاب.

(٥) حد الكافرين — حد المرتد الذى كفر بعد إسلامه.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٨٧ جـ ٢

قبل أن يلتحم الفريقان يوم بدر، فى المعركة الخالدة التى لا تزال ترن أصداؤها فى سمع الدنيا كلها.. أوصى رسول الله ﷺ أصحابه وصية فقال:

«إنى قد عرفت رجالًا من بنى هاشم وغيرهم، قد أخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقى منكم أحداً من بنى هاشم، فلا يقتله، ومن لقى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ فلا يقتله، فإنما أخرج مستكرهاً».

هكذا أوصى رسول الله أصحابه، لكى يكون الجميع على بينة من الأمر، فلا ينبغى أن يقتل من كان فى قلبه ود للمسلمين وهو فى صفوف المشركين، قد كان أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة مسلماً مع المسلمين، فسمع وصية رسول الله بالعباس، فقال:

أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا، ونترك العباس!! هذا لعمر الله لا يكون.. والله لئن لقيته لألجمنه السيف.

هذه الكلمات نقلت إلى رسول الله ﷺ، فماذا صنع رسول الله؟!.

نادى رسول الله عمر بن الخطاب، فكناه كنية يومها لم يكن قد ناداه بها من قبل، فقال له: يا أبا حفص، فحدثه بما قال أبو حذيفة بأسلوب العاتب، ثم عقب قائلًا:

أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف؟! كما يضرب المجرمون الأشرار الذين يحاربون الله ورسوله؟!.

فيقول عمر بن الخطاب: يا رسول الله. دعنى لأضرب عنقه بالسيف فوالله لقد نافق.

* * *

مقطع رقم ٢٨٨ جـ ٢

مما حدث يوم بدر

١ عُمَرٌ تكنَّى يوم بدْرٍ كُنْيَةً عنْد النداء
٢ كانت [أبا حفْصٍ[١]] كقولِ المصطفى فيه الصَّفاء
٣ وأبو حُذَيْفَةَ ظلَّ يخشى، فى المقالةِ[٢] قَدْ أساء
٤ ويقول: إنى لستُ آمنَ شرَّها يوم[٣] اللقاء
٥ إن لا تُكفِّرْها[٤] الشهادةُ، فالخسارةُ لا مِراء
٦ العاصُ[٥] كان مِن الرجالِ المشركين الأوْفياء
٧ ما نالَ من عِرْض النبىِّ بقوْلِهِ أو اعتداء
٨ قد كانَ أوَّلَ ثائرٍ نقضَ[٦] الصحيفة لِلْولاء
٩ المصطفى أوصى بِهِ خيْراً ببدْرٍ أنْ يُساء
١٠ كان المجذَّرُ منْ رجالِ المسْلِمين الأقوياء
١١ لما الْتَقى بالْعاصِ أخبرهُ بتقريـر[٧] الوفاء
١٢ قد كان معْهُ صديقُهُ فى المشْركين الأغبياء
١٣ قالوا له: اترك هٰذا والتمس دَرْبَ النَّجاء
١٤ لكنه لم يَرْضَ أنْ ينجُو بتركِ الأصدقاء
١٥ يخشى حديثَ نساءِ مكة فى صباحٍ أو مساء
١٦ قتلوهُ معْه صديقُهُ أودى به قَوْلُ النساء[٨]

---

(١) كانت أبا حفص — ناداه رسول الله قائلا يا أبا حفص.

(٢) يخشى فى المقالة قد أساء — ظل أبو حذيفة يخشى من هذه المقالة التى قالها.

(٣) يوم اللقاء — يوم نلاقى ربنا يوم القيامة.

(٤) الشهادة — الاستشهاد فى سبيل الله.

(٥) العاص — هو أبو البخترى بن هشام.

(٦) أول ثائر نقض الصحيفة — الصحيفة الظالمة فى مكة التى أكلتها الأرضه.

(٧) أخبره بتقرير الوفاء — بوصية رسول الله بشأنه.

(٨) أودى به قول النساء — قتل لخشيته من قول النساء.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٨٨ جـ ٢

كما قدمنا فى المقطع السابق، فإن عمر بن الخطاب كُنّى يوم بدر بكنية لم تكن له من قبل.. فناداه رسول الله ﷺ فقال له: يا أبا حفص وذلك عندما حدثه عن اعتراض أبى حذيفة، وقوله لألجمن العباس بالسيف.

أما أبو حذيفة فإنه قد ندم على تلك الكلمة التى قالها.. ومن شدة ندمه اعتبرها جريمة لاكفارة لها من أعمال البر والخير.

فكان يقول: ما أنا بآمن من تلك الكلمة التى قلت يومئذ، ولا أزال منها خائفاً، إلا أن تكفرها عنى الشهادة، أى القتل فى سبيل الله فإن لم أقتل شهيداً فإننى خاسر بسببها لا محالة.

كان أبو البخترى بن هشام، اسمه العاص، من أحسن الناس أخلاقاً لا سيما فى علاقته برسول الله ﷺ، فى مكة قبل الهجرة.. بل لقد كان يكف الناس عن رسول الله، ولم يبلغ رسول الله عنه شىء يكرهه.

ولا غزو فقد كان هو أحد الخمسة الذين وقفوا أمام الكعبة، وأصروا على نقض الصحيفة الظالمة التى كتبت قريش على بنى هاشم، وبنى المطلب فى مكة!!

لقد أوصى رسول الله أصحابه بأبى البخترى خيراً وقال: إن لقيتموه فلا تقتلوه.. فلما كان يوم بدر لقيه المجذّر بن زياد البلوى حليف الأنصار، فقال له: إن رسول الله، قد نهانا عن قتلك، ومع البخترى زميل له قد خرج معه من مكة، اسمه جنادة بن مُليحة، فقال أبو البخترى: وزميلى؟!

فقال له المجذر، لا والله ما نحن بتاركى زميلك، ما أمرنا رسول الله إلا بك وحدك، فقال: لا والله إذن لأموتن أنا وهو جميعاً، لا تتحدث عنى نساء مكة أنى تركت زميلى حرصاً على الحياة.. فقتله المجذر وزميله.

* * *

مقطع رقم ٢٨٩ جـ ٢

صداقة ابن عوف وابن خلف

١ كان الصَّديقان ابن[١] خلفٍ وابن عَوْفٍ مُشْركين
٢ اسم ابن عَوْفٍ [عبد عمرو] يَوْمَ كانوا كافرين
٣ لما أتى الإسلامُ صارَ مِنَ الرَّعيلِ السَّابقين[٢]
٤ قد غَيَّرَ الاسم القديم لأنهُ اسم مُشين
٥ قد صارَ للرحمن[٣] عَبْداً، نِعْمَ اسْمُ المؤمنين
٦ لَكِنْ صديقَ السوءِ ظَلَّ بِكُفْرِهِ في الجاحِدين
٧ لم يُرْضِهِ الاسْمَ الجديدَ فقال قوْلَ المنكِرين
٨ لا أعرفِ الرحمنَ هذا بَلْ إلهَ العالمين
٩ قال ابن خلِفٍ لابن عَوْفٍ: فَلْنَكُنْ مُتفاهِمين
١٠ فاختَرْ لنفسِك غير هذا الاسمَ حتى نَسْتَبين
١١ هل تَرْتَضى[٤] عبْدَ الإلهِ؟! مِن الأسامى العابِدين؟!
١٢ فأجابهُ قُلْ ما تشاءُ فإننى فى المرتَضين
١٣ فإذا التقينا نادِنى عَبْدَ الإله مدى السِّنين
١٤ لا تذكُرَنَّ لِعَبْدِ عَمْرو، إنّه اسمٌ مُهين

---

(١) ابن خلف – هو أمية بن خلف.

(٢) من الرعيل السابقين – السابقين إلى الإسلام.

(٣) قد صار للرحمن عبداً – صار اسمه عبد الرحمن، بعد أن كان عبد عمرو قبل الإسلام.

(٤) هل ترتضى عبد الإله – قال له: سأناديك: ياعبد الإله.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٨٩ جـ ٢

كان أمية بن خلف وعبد الرحمن بن عوف صديقين حميمين، وذلك قبل أن يكرم الله رسوله محمداً بالنبوة.. وعبد الرحمن بن عوف كان اسمه قبل أن يدخل الإسلام، عبد عمرو، فلما أكرم الله محمداً بالنبوة، ودعا أهل مكة إلى الإسلام، كان عبد الرحمن بن عوف من السابقين.

لما أسلم عبد الرحمن بن عوف .. فوراً غير اسمه القديم -عبد عمرو- إلى الاسم الجديد - عبد الرحمن بن عوف.. فكان أمية بن خلف حين يلقاه يقول له:

وذلك حين كان الاثنان بمكة قبل الهجرة: يا عبد عمرو، أرغبت عن اسم سماك به أبواك؟! فيقول: نعم - ومن المعروف أن أمية بن خلف ظل على شركه حتى قتل يوم بدر - فيقول ابن خلف: فإنى لا أعرف الرحمن، فاجعل بينى وبينك شيئا أدعوك به.

أما أنت فلا تجبنى باسمك الأول.. وأما أنا فلن أدعوك بما لا أعرف.. فيقول عبد الرحمن بن عوف: فكان أمية بن خلف بعد ذلك، إذا نادانى يا عبد عمرو، لم أجبه.. فقال لى يوماً: فلنتفاهم على اسم أناديك به، فقلت له: ياأبا على، اختر لى الاسم الذى ترضاه سوى عبد عمرو القديم، فإنى أكره العبودية لغير الله.

فقال أمية بن خلف: هل ترتضى أن أناديك. عبد الإله؟!

قلت: نعم.. فكان كلما مررت به نادانى، يا عبد الإله، فأجيبه فنتحدث معاً!!

* * *

مقطع رقم ٢٩٠ جـ ٢

ابن خلف وولده أسيران مع ابن عوف

١ هذا ابن عَوْفٍ يلتَقي بصَديقه في الجاهِلين
٢ قد كان هذا يَوْمَ بدْرٍ يوم ولّوْا مُدْبرين
٣ كان ابنُ خَلَفٍ وابنُهُ يوم الهزيمة حَائِرين
٤ كانا يريدانِ السلامةَ مِنَ سُيوفِ المسْلِمين
٥ الأسْرَ كانا[1] يطلبانِ ليأمَنَا القتْلَ المهين
٦ نادى أميَّةُ لابن عَوْفٍ باسْمِهِ في الكافرين
٧ ناداه بالاسم القديمِ مِنَ الأسامي المبْغِضِين
٨ نادى عليه بـ [عبد عمرو] لم يُجْبهُ كَمُسْتَبِين
٩ ناداهُ يا عبدَ الإلهِ، فجاءَ فَوْراً يَسْتَبين
١٠ مِنْ قَوْله: يا صاحِ هل لك في فِداءِ[2] الموسِرين؟!
١١ خُذْني وابني في الأسَارَى قَدْ أتينَا طائعين
١٢ كان ابنُ عوف سَالباً أدراعَ بَعْضِ المشْركين
١٣ قد كان يحملُها سَعيداً مِثْلَ كُلِّ الغانمين
١٤ لكنّه ألقى بها واختارَ دَرْبَ[3] الآسِرين
١٥ سار ابنُ خلَفٍ وابنهُ مع ابن عَوْفٍ صاغرين

---

(١) الأسر كانا يطلبان – كان أمية بن خلف وابنه يبحثان عمن يأسرهما من المسلمين.

(٢) هل لك في فداء الموسرين – هل لك أن تأسرني وولدي لتأخذ الفدية منا.

(٣) واختار درب الآسرين – ألقى الأدراع التي كانت معه، طمعاً في فدية من أسرهما.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٩٠ جـ ٢

لا يزال الحديث متصلاً عن أمية بن خلف عدو الله، وصديقه المؤمن عبد الرحمن بن عوف، وحوار بين الاثنين تم قديماً فى مكة على: أن ينادى أمية بن خلف صديقه عبد الرحمن بن عوف بـ «عبد الإله» ذلك لأنه كما قال: لا يعرف الرحمن كان أمية بن خلف وولده على، واقفين فى أرض المعركة يوم بدر، وذلك بعد أن انكشف الغبار عن هزيمة المشركين، وقتل مَنْ قُتِل من أشرافهم، وأُسر مَن أُسر، وفرار الباقى فلولاً فى البرارى والوديان.

كانا واقفين حائرين، يتلفتان يمنة ويسرة يبحثان عن رجل من المسلمين يأسرهما ليأمنا على أنفسهما من القتل.. وبينما كان الاثنان فى حيرتهما، إذا عبد الرحمن بن عوف قد ظهر أمامهما.. ولنستمع إلى ابن عوف يتحدث عن هذا الموقف.

قال: لما كان يوم بدر مررت بأمية بن خلف، وهو واقف مع ابنه على بن أمية آخذ بيده، ومعى أدراع لى قد استلبتها فأنا أحملها، فلما رآنى أمية بن خلف، نادانى قائلا: يا عبد عمرو، فلم أجبه، فكرر النداء قائلًا: يا عبد الإله، فقلت: نعم، قال: هل لك فىّ فأنا خير لك من هذه الأدراع التى معك؟!

قلت: نعم والله، ثم طرحت الأدراع من يدى، فأخذت بيده ويد ابنه على، أخذتهما أسيرين لى.

لقد سار أمية بن خلف عدو الله، أحد رءوس الشرك فى مكة، سار هو وولده مع عبد الرحمن بن عوف، صاغرين أذلاء!! بينما كان ابن عوف عزيزاً.. وصدق الله إذ يقول:

«ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين... الخ» آية رقم ٨ سورة المنافقون.

مقطع رقم ٢٩١ جـ ٢

بلال يستصرخ المسلمين على ابن خلف

١ هذا ابنُ خَلَفٍ وابنهُ جاءا لأَسْرٍ مُرْتضين
٢ سَارا بصُحْبَةِ ابن عَوْفٍ مِن خِيار السابقين
٣ ظَنَّا بأنّ الأَسْرَ أبْعدَ عنْهما الموتَ(١) المبين
٤ فالمسلمون سُيُوفُهم تقْضى على المتردِّدين
٥ قال ابنُ خَلَفٍ لابن عَوْفٍ سائلًا كَىْ يَسْتَبين
٦ إنى رأيتُ لفارس كالنمِرِ بينَ المسْلِمين
٧ فى صَدْره(٢) ريشُ النَّعام، فَمَنْ يكونُ على اليقين؟!
٨ فأجابه هو حمزةٌ هو عمٌّ خَيْرِ المرسلين
٩ كان ابنُ خلفٍ سيِّداً لِبلالَ خير(٣) المُعْتَقين
١٠ قد ذاقَ من يده العذابَ بكُلِّ عُنْف الظالمين
١١ وإذا بلالٌ قد رأى لغريمِهِ(٤) الوغدِ اللعين
١٢ ما أنْ رآهُ غَدَا يُنادِى فى جميع الحاضرين
١٣ هذا عدوُّ الله ثُمَّ عدوُّ كُلِّ المؤمنين
١٤ قال ابنُ عَوْفٍ: يا بلالُ، فَدَعْهُمَا مُستسلمين
١٥ فأجابه لا، لا نَجَوْتُ إذا نجا فى السَّالمين
١٦ القتلُ سَوْفَ يذوقُهُ هذا جزاءُ المجرمين

---

(١) أبعد عنهما الموت المبين – لأن الأسير لا يُقتل.

(٢) فى صدره ريش النعام – على صدره ريش النعام علامة مميزة له.

(٣) لبلال خير المعتقين – خير الذين أعتقوا من الرق وأصبحوا أحراراً.

(٤) لغريمه – هو أمية بن خلف.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٩١ جـ ٢

كما قدمنا، فإن عدو الله أمية بن خلف، وابنه على، كانا واقفين فى أرض المعركة يوم بدر، يبحثان عمن يأسرهما من المسلمين، وقد التقى بهما الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف، وأخذهما عبد الرحمن بن عوف أسيرين.

سارا معه يعلوهما الذل والصغار، قد نكسا رأسيهما مما لحقهما من عار الهزيمة أمام جند الله الغالبين من المسلمين، ومعهم الملائكة الكرام يؤازرونهم مقاتلين معهم.. بينما كان عبد الرحمن بن عوف، مرفوع الرأس اعتزازاً بإيمانه، وبما منحه الله له ولكل المسلمين، من نعمة الانتصار على أعداء الله.

لقد ظن أمية بن خلف أن استسلامه للأسر هو وولده، قد أبعد عنهما شبح الموت الذى يكمن فى سيوف المسلمين، وهم يلاحقون فلول المشركين ولا يزالون يبحثون عن صيد فى أرض المعركة.

بعد أن شعر أمية بن خلف بشىء من الاطمئنان، سأل عبد الرحمن بن عوف قائلا:

يا عبد الإله، أى رجل منكم الذى يضع ريشة نعامة على صدره علامة له مميزة؟! فقال ابن عوف: ذاك حمزة بن عبد المطلب، عم رسول الله ﷺ، قال: ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل.

من المعروف أن أمية بن خلف هذا، كان سيداً لبلال، وقد أذاقه العذاب ألوانا بمكة لكى يترك الإسلام.. لقد كان يخرجه إلى رمضاء مكة إذا حميت، فيضجعه على ظهره، ثم يأمر بالصخرة العظيمة، فتوضع على صدره، ثم يقول: لا تزال هكذا، أو تفارق دين محمد، فيقول بلال: أحد أحد.

قال عبد الرحمن بن عوف، فلما رأى بلال، أمية بن خلف قال: أمية بن خلف رأس الكفر؟! لا نجوت إن نجا.. فقلت له: يا بلال! أبأسيرىّ تفعل هكذا؟! فقال: لانجوت إن نجا، ولسوف يذوق الموت جزاء إجرامه.

مقطع رقم ٢٩٢ جـ ٢

عبد الرحمن بن عوف يترحم على بلال

١ لازالَ صاحِبُنا بِلالٌ فى نداءِ المسْلِمين
٢ نادى على الأنْصار فوْراً أقْبَلُوا مُتسابقين
٣ فوْرَاً أحاطُوا بابنِ خلَفٍ وابنِهِ المسْتَأسِرين
٤ وسُيُوفُهم مصقولةٌ بالسُّمِّ كانوا ناقِعين
٥ قالوا: فمالكَ يا بلالُ؟ فقال كُونوا سامعين
٦ هذا عدوُّ الله كان مُعَذِّبى(١) فى الظالمين
٧ فى لحظةٍ صارَ ابنُ خَلَفٍ وابنُهُ مُتجنْدِلين(٢).
٨ ذهبوا إلى نارِ الجحيمِ فَبِئْسَ قَوْماً مجرمين
٩ ضاعت غنيمةُ(٣) ابن عوف دون كُلِّ الغانمين
١٠ قد كان هذا مِنْ بلالٍ مِنْ خِيار السابقين
١١ كان ابنُ عوف بعدها إنْ جاء ذِكْر(١) الفاتحين
١٢ يُبدى الترحُّم والثناءَ على بلالٍ عَنْ يقين
١٣ ويقول: ضَيَّعَنى ببدْرٍ يوم نصْر المؤمنين
١٤ ألْقَيْتُ أدراعى وقُدْت من الأسارى الموسِرين
١٥ حتىّ أفوزَ بِفدْيةٍ فيها كفَاءُ(١) المعْوَزين
١٦ لكنْ بلالٌ لم يَدعْ أسْراىَ بينَ السّالمين

---

(١) كان معذبى – أذاقنى العذاب حين كنت عبداً له.

(٢) متجندلين – ممزقين.

(٣) ضاعت غنيمة ابن عوف – قتل أسيراه، اللذان كان ينتظر أن يأخذ الفدية منهما.

(٤) إن جاء ذكر الفاتحين – الغزاة والغازين.

(٥) فيها كفاء المعوزين – طرد شبح الفقر.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٩٢ جـ ٢

لايزال الحوار مستمراً متصلًا بين عبد الرحمن بن عوف، وبلال بن رباح صاحبى رسول الله ﷺ.. فبلال يريد أن يبطش بأمية بن خلف عدو الله وولده، لأنه أحد رءوس الشرك من ناحية، وأنه كان يعذبه على إسلامه من ناحية أخرى.

وعبد الرحمن بن عوف يدافع عن أسيريه، وغنيمة وفدية ينتظرها من ورائهما وكان ابن عوف قد ألقى ببعض ما غنمه من أدراع، ليأسر أمية بن خلف وولده.. ولكن بلالاً أصر على رأيه.. والحق فى جانبه.

فنادى بلال بأعلى صوته قائلًا: يا أنصار الله! هذا رأس الكفر أمية بن خلف، هيا إليه فاقتلوه. فوراً أقبل فرسان الأنصار نحوه يرفون كالصقور يقولون: مالك يابلال ؟!

فقال بلال: هذا عدو الله رأس الشرك، أمية بن خلف كان يعذبنى بمكة، لقد أذاقنى العذاب ألواناً لأترك دين الإسلام.

فما أتم بلال كلامه، حتى أحاطوا بأمية بن خلف وابنه، بسيوفهم المصقولة التى يقطر منها السم الناقع، فهبروهما بأسيافهم وما هى إلا لحظات حتى قضى عليهما، وذهب ابن خلف إلى الجحيم، جزاء إجرامه وكفره وما اقترفت يداه.

لقد ضاع ما كان يؤمله عبد الرحمن بن عوف من الفدية التى كان سيتقاضاها من وراء أمية بن خلف وولده.

لذلك، كان عبد الرحمن بن عوف، بعد ذلك كلما جاء ذكر غزوة بدر، يترحم على بلال، ويثنى عليه ويقول: ضيعنى بلال يوم بدر.. لقد كنت ألقيت أدراعى وأخذت أمية بن خلف وولده أسيرين، أملًا فى فدية كبرى، لكن بلالاً لم يترك لى أسيرىّ فقتلهما.

* * *

مقطع رقم ٢٩٣ جـ ٢

قتال الملائكة مع المسلمين فى بدر

١ نزلَ الملائكةُ الكِرامُ بِأمْرِ رَبِّ العـالمين

٢ قَدْ قَاتلوا فى يَوْم بَدْر فى صُفوف المسْلِمين

٣ رَجُلَانِ كانا قَدْ رَأوْا جُنْدَ الملائك(١) نازِلين

٤ كانا على جَبَل يُطلُّ على الجيُوشِ الملْتقين

٥ كانا يُريدانِ النهيبة(٢) مِنَ فُلولِ المدْبِريـن

٦ سَمِعا لحَمْحمَةِ(٣) الخيولِ مِنَ السَّحابة صاهلين

٧ سمِعا لأصْواتٍ تُنادى فى السَّحابة قائـلين

٨ أقْـدِمْ أيـا حَيْـزومُ كان نِدَاؤهُـمْ للآخريـن

٩ الرعْبُ أهلكَ ابن(٤) عَمِّى حيثُ كُنَّا قاعِدين

١٠ أمّا أنا فقد احتملْتُ وكنتُ ذا جَلَدٍ مَتين

١١ قد كان هذا القولُ مِنْ ثانى الرجال الكَامِنين

١٢ لقد اهتدى مِنْ بعدها للنُّورِ والحقِّ المبين

١٣ المازنـىُّ(١) رأى بـدر رُؤْيـة المتيقِّـنين

١٤ رَجُلًا أُطيحَتْ رأسُه فوراً ولم يَرَ فَاعِلِين

١٥ قالوا: فذاكَ مِنَ الملائكةِ الكـرامِ القَـادِمين

---

(١) جند الملائك – جند الملائكة.

(٢) يريدان النهيبة – النهب.

(٣) سمعا لحمحمة الخيول – الحمحمة هى صوت الخيول وهى غير الصهيل.

(٤) الرعب أهلك ابن عمى – مات ابن عمى رعبا من الصوت الذى سمعه.

(٥) المازنى – رجل من بنى مازن.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٢٩٣ جـ ٤

من المقطوع بصحته أن الملائكة الكرام، قاتلوا يوم بدر مع رسول الله ﷺ، في صفوف المسلمين.. وقد كان نزولهم بأمر الله عز وجل، وكان عددهم ألفاً مردفين.. أخبر القرآن الكريم بهذا حيث قال: «... أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين»(١).

كان رجلان من غفار، على جبل قريب من أرض المعركة ببدر.. فيقول أحدهما بعد ذلك: أقبلت أنا وابن عم لي حتى صعدنا على جبل يطل بنا على بدر، ونحن يومئذ مشركان، ننتظر الوقعة، على من تكون الدبرة – الهزيمة – فننتهب مع من ينتهب.

قال: فبينا نحن في الجبل، إذ دنت سحابة منا، فسمعنا فيها حمحمة الخيل، فسمعت قائدها يقول: أقدم حيزوم.. أما ابن عمي فانكشف قناع قلبه، فمات مكانه، وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت.

هذا الحديث، حدّث به الرجل الغفاري، الذي ظل حياً بعد أن مات ابن عمه لسماعه أصوات الملائكة.. حدث به بعد أن هداه الله للإسلام.. هذا أحد الأدلة على قتال الملائكة يوم بدر مع المسلمين، وذلك بعد القرآن الكريم.

ودليل آخر أيضاً رواه أحد الذين قاتلوا يوم بدر من بني مازن من أصحاب رسول الله ﷺ فقال:

إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه فأقتله بسيفي، فرأيت رأسه وقع قبل أن يصل إليه سيفي.. فعرفت أنه قد قتله غيري.. فرويت هذا لأصحابي قالوا: فهذا قد قتله الملائكة الكرام الذين أمروا بالقتال مع المسلمين.

---

(١) جزء من الآية رقم ٩ سورة الأنفال.

مقطع رقم ٢٩٤ جـ ٢
ابن مسعود يقطع رأس أبى جهل

١ قد تمَّ نصرُ اللهِ حَقّاً لِلرِّجالِ المؤمنين
٢ صاروا لِبعْضٍ يسألون عَنِ الرِّجال المشركين
٣ المصْطفى سأَلَ الصحابةَ عَنْ أبى جَهْلٍ اللعين
٤ أَمَرَ ابْنَ مسعودٍ لِيبْحثَ عنهُ بين الهالكين(١)
٥ أعطاهُ وَصْفاً كان يعرفُهُ النبىُّ لِيسْتبين(٢)
٦ قال النبىُّ: بِرِجْلِهِ جُرْحٌ يُرى لِلْناظرين(٣)
٧ أوقَعْتُهُ يوماً وقد كُنَّا صِغاراً لاَعِبين
٨ لقد ازدحَمْنَا عِنْدَ مأْدُبةِ ابن جدْعَان(٤) الفَطِين
٩ قال ابنُ مسعودٍ: وجدتُ الوغْدَ(٥) كان بهِ أنين(٦)
١٠ فوضعتُ رِجْلى فوق رقبتِهِ وقلتُ لكى أهين
١١ لقد انتصرنَا يا عدوَّ اللهِ نحن المسْلِمين
١٢ لما وَطأْتُ عليْهِ قال بِغِلْظَةِ(٧) المتكبِّرين
١٣ لقد ارْتقيْتَ الصَّعب يا راعى الغُنَيْمةِ كَالْبنين
١٤ ثم احْتَزَزْتُ لِرَأْسِهِ وأتيْتُ لِلْهادى الأمين
١٥ هتفَ النبىُّ وقد رآهُ بحمدِ ربِّ الْعَالَمِين

---

(١) الهالكين – هم الذين قُتلوا من المشركين.
(٢) ليستبين – كى يعرفه بذلك الوصف.
(٣) يُرى للناظرين – ظاهر.
(٤) ابن جدعان – من مشاهير قريش قبل النبوة ولم يدرك الإسلام.
(٥) الوغد – هو أبو جهل.
(٦) كان به أنين – يئن من جراحاته.
(٧) راعى الغنيمة – تصغير غنم.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٩٤ جـ ٢

لقد تم نصر الله للمسلمين يوم بدر، كما قرر المولى عز وجل فى محكم آياته فى قوله تعالى: «وكان حقاً علينا نصر المؤمنين» آية ٤٧ الروم.

بعد أن انتهت المعركة صار المسلمون، يسألون بعضهم بعضاً عن القتلى من المشركين.

وهذا رسول الله ﷺ، يسأل أصحابه عن عدو الله أبى جهل، فيأمرهم أن يبحثوا عنه بين القتلى، ثم قال يصفه لهم:

انظروا إن خفى عليكم فى القتلى، إلى أثر جرح فى ركبته، فإنى ازدحمت يوماً أنا وهو على مأدبة لعبد الله بن جدعان، ونحن غلامان، وكنت أشف منه بيسير، فدفعته فوقع على ركبتيه، فجحش فى إحداهما جحشاً – جرحاً – لم يزل أثره به.

قال عبد الله بن مسعود: فبحثت عن عدو الله أبى جهل بين القتلى، فوجدته بآخر رمق فعرفته، فوضعت رجلى فوق رقبته.. وقد كان أهاننى بمكة وآذانى، ثم قلت له: هل أخزاك الله يا عدو الله؟!.

فقال: وبماذا أخزانى؟! ألكونكم قتلتمونى؟! أخبرنى لمن الدائرة اليوم؟! قلت: لله ولرسوله.

قال ابن مسعود أيضاً: لما وضعت رجلى على رقبة أبى جهل قال لى: لقد ارتقيت مرتقىً صعباً يارويعى الغنم.. ثم احتززت رأسه فأسرعت به إلى رسول الله، فقلت: هذا رأس عدو الله يا رسول الله، إنه رأس أبى جهل.. فقال رسول الله ﷺ «آلله الذى لا إله غيره»؟! قلت: نعم والله الذى لا إله غيره، وألقيت رأس عدو الله بين يديه، فهتف قائلاً الحمد لله.

* * * * *

مقطع رقم ٢٩٥ جـ ٢
رسول الله يعطى عكاشة جذلا فيصير سيفاً

١ عُكاشة[١] فى يَوْم بَدْرٍ قد تفانَى فى القِتال
٢ السَّيفُ فى يدهِ تحطَّم مِنْ مُنازَلة الرِّجال
٣ قد جاءَ يشكُو لِلْرسولِ يُريدُ سَيْفاً لِلْنزال
٤ المصطفى أعطاهُ عُوداً[٢]، قال: خُذْهُ ولا تُبال
٥ قَاتِلْ بهِ أعداءَنا واَمحقْ بهِ رَأْسَ الضَّلال
٦ العُودُ فى يدهِ غَداَ سَيْفاً وَمِنْ خَيْرِ النِّصال
٧ والنصْرُ تَمَّ بفضْل ربِّى، لم يَكُنْ سَهْلَ المنال
٨ عُكاشة قد كانَ مِنْ خيرِ الرِّجال بالاعْتدال[٣]
٩ شَهِدَ المشاهِدَ مع رسُول الله حَقّاً لا[٤] مقَال
١٠ ولسوفَ يدخلُ جنَّةَ الفِرْدَوْسِ وَارِفةَ الظِّلال
١١ فى صُحْبة السبعين ألفاً يدخُلون بلا جِدال
١٢ سبعون ألفاً يدخلُون بِعَفْوِ ربى ذِى الجلال
١٣ ووجوهُهم كالبدْر نُورَاً، زادهُمْ ربى الجمَال
١٤ عُكاشة هو خَيْرُ فِرْسان العُروبة فى النِّضال
١٥ وضرارُ[٥] قال: فإنه منَّا وفيه الامثال
١٦ قال الرسول: فليس مِنْكم، فهو مِنّا لِلْكَمال[٦]

---

(١) عكاشة – هو عكاشة بن محصن الأسدى.

(٢) أعطاه عوداً – عصا من أغصان الشجر.

(٣) بالاعتدال – هو رجل معتدل فى طباعه وأخلاقه.

(٤) حقاً لا مقال – صدقاً لا كذبا.

(٥) وضرار قال – هو ضرار بن الأزور الأسدى.

(٦) للكمال – للتكامل بالحلف.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٢٩٥ جـ ٢

وهذا رجل من أصحاب رسول الله المخلصين، الذين أبلَوْا بلاءً حسناً فى يوم بدر، اسمه عكاشة بن محصن الأسدى.. لقد قاتل يوم بدر قتال الأبطال.. لقد ظل يقاتل الأعداء بسيفه، حتى تحطم السيف فى يده، فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال له: لقد تحطم سيفى يا رسول الله، وليس معى ما أقاتل به الأعداء.

فأعطاه رسول الله ﷺ جذلا من حطب - أصل شجرة - فقال له: «قاتل بهذا يا عكاشة» قاتل به أعداء الله.. فلما أخذه من رسول الله، هزه فصار سيفاً فى يده طويل القامة، شديد المتن، أبيض الحديده.

فقاتل عكاشة به حتى فتح الله تعالى على المسلمين.. وظل هذا السيف عند عكاشة، فشهد به المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، حتى قُتل فى حروب الردة وهو عنده !!

أما عكاشة بن محصن فسوف يدخل الجنة بإذن الله، فقد وعده بها رسول الله. وذلك حينما قال: «يدخل الجنة سبعون ألفاً من أمتى على صورة القمر ليلة البدر» حينئذ وقف عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى منهم، قال: «إنك منهم - أو - اللهم اجعله منهم».

فقام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال: «سبقك بها عكاشة وبردت الدعوة».

وقد أثنى رسول الله ﷺ على عكاشة بن محصن فقال: «منا خير فارس فى العرب» قالوا: من هو يارسول الله؟! قال: عكاشة بن محصن، حينئذ قال ضرار ابن الأزور الأسدى: ذاك رجل منا يارسول الله، فقال عليه الصلاة والسلام: «ليس منكم ولكنه منا».



. الانتصـــار العظيـم

الأنفـــال

مفـــاهيم من بـــدر

مقطع رقم ٢٩٦ جـ ٢

رسول الله يخاطب أهل القليب

١ الْمُصطفى أمر الرِّجَالَ بِجَمْع قَتْلى الْمُشْرِكين
٢ ولْيَطْرَحُوهُمْ فى القَلِيبِ(١) عَنِ العُيونِ النَّاظرين
٣ فوراً أطاعوا أمرهُ قَدْ جَمَّعُوهُـمْ مُسْرعين
٤ وقَفَ النبىُّ يخاطب القتلى أمام الحاضرين
٥ نادى أيا أهلَ القليبِ وقال قَوْلَ العالمين
٦ بِئْس العَشيرةُ إنكُمْ كُنْتم لِقَوْلى مُنكرين
٧ هلَّا وجَدْتُمْ صِدْقَ وَعْدِ الله لِلمتكبِّرين؟
٨ إنى وجدتُ الصِّدقَ مِن ربى لِوعْدِ المؤمنين
٩ قال الصحابةُ لِلنبىِّ بصيغةِ المتسائلين
١٠ يا خَيْرَ خَلْق الله إنك إذْ تخاطب(٢) جَائِفين؟
١١ قال النبىُّ لهم : وكانوا لِلإجابةِ جاهِلين(٣)
١٢ تالله قد سمِعُوا مقالى مِثْل كُلِّ السَّامعين
١٣ لكنهم لم يستطيعوا أن يجيبُوا عاجزين
١٤ عَلِمُوا الحقيقةَ والتقَوْا بِفعالهِمْ مُتَوَاجِهين
١٥ كُلَّ الخسَارةِ قَدْ جَنَوْها أصْبَحُوا فى النّادمين

---

(١) فى القليب — فى البئر قبل أن يبنى.

(٢) إذ تخاطب جائفين — صاروا رمماً.

(٣) كانوا للإجابة جاهلين — ما قاله رسول الله، لم يكونوا عارفين له من قبل.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٩٦ جـ ٢

بعد أن انتهت المعركة، أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يجمعوا القتلى من المشركين، فيطرحوهم فى القليب - البئر - وذلك ليواروهم عن عيون الناظرين، فإن ذلك يثير أشجان ذوى القرابة من المسلمين.

فوراً قام الأصحاب بتنفيذ أمر رسول الله، فجمعوا القتلى ثم طرحوهم فى القليب كلهم، إلا عدو الله أمية بن خلف، فإنه انتفخ فى درعه فملأها، فحاولوا أن يحركوه، فتزايل لحمه.. فتركوه فى مكانه، وألقوا عليه من التراب والحجارة ما واراه.

وقف رسول الله ﷺ، يخاطب أهل القليب فقال:

«يا أهل القليب، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟! فإنى قد وجدت ما وعدنى ربى حقاً» وفى رواية أخرى قال: «يا أهل القليب، بئس عشيرة النبى كنتم لنبيكم، كذبتمونى وصدقنى الناس، وأخرجتمونى وآوانى الناس، وقاتلتمونى ونصرنى الناس، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟!».

فقال له أصحابه: يارسول الله، أتنادى قوما قد جيّفوا؟!.

فقال لهم عليه الصلاة والسلام: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوا».

لقد التقوا بالحقيقة التى كانوا يمارون فيها.. لقد وجدوا أفعالهم أمامهم.. لقد خسروا كل شيء.. حينئذ عضوا أصابع الندم، ولات ساعة مندم.

* * * * *

مقطع رقم ٢٩٧ جـ ٢

حزن أبى حذيفة لقتل أبيه عتبة كافراً

١ قَدْ كانَ عُتْبَةُ أوَّلَ القتْلَى مِنَ المتقـدِّمين
٢ يَوْمَ المبارزةِ الشهيرةِ مِنْ صُفوفِ الكافِرين
٣ قَدْ كانَ مِنْ خيرِ الرِّجالِ المشْرِكين(١) المصْلِحين
٤ وأبـو حُذَيْفـةَ ابنـهُ فى المسْلِمين السَّابـقين
٥ لما رَأى لأبيـهِ بَيْـنَ المشْرِكيـنَ الهالِـكين(٢)!
٦ وَرَآهُ أُلقِى فى القَلِيبِ وَجُرَّ مِثْلَ الآخَرِين!
٧ عَلَتْ الكآبةُ وجْهَهُ حُزْناً، رَأى ذاك الأمين(٣)
٨ سأَلَ الرَّسُولُ أباَ حُذَيْفَة فى هُدوءِ المسْتَبِين
٩ هلْ أنْتَ فى شَكٍ لِقَتْلِ أبيك بيْنَ المشْرِكِين؟
١٠ فأجـابَ، كلَّا يارسولَ اللهِ إنى فى يقين
١١ لكِنَّهُ قَدْ كانَ ذَا عَقْـلٍ وَفضْلِ العـارفين
١٢ قَدْ ساءنى(٤) مَانَالـهُ إذ صارَ بَيْـنَ المجرمين
١٣ قَدْ كُنْتُ أرجو أنْ ينالَ الفضْلَ بين المسْلِمِين
١٤ لما رَأَيْتُ مماتهُ فى الكُفْرِ صِرْتُ أنا الحزين
١٥ فَدَعاَ لهُ الهادى بخيرٍ والهدَى فى المهْتَدِين

---

(١) المشركين المصلحين — لم يكن من رأيه القتال فى بدر.

(٢) الهالكين — القتلى.

(٣) رأى ذاك الأمين — رسول الله لمح الكآبة على وجه أبى حذيفة.

(٤) قد ساءنى ما ناله — آلمنى ما صار إليه حاله.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٩٧ جـ ٢

مما سبقّ علمنا أن عتبة بن ربيعة كان من أول الذين قتلوا يوم بدر، وذلك فى المبارزة الشهيرة التى سبقت التحام الجيشين.. فقتله حمزة بن عبد المطلب، عم النبى محمد ﷺ.

وكان عتبة بن ربيعة من خيار الرجال، يميل إلى الخير ويحبه ويدعو إليه، ويحب الإصلاح وينادى به.. والدليل على ذلك أنه نادى بالعودة إلى مكة بالجيش دون قتال، مادامت قافلة التجارة قد نجت.

وقد قال عنه رسول الله ﷺ بأنه فيه خير، وذلك حين أقبلت قريش من العدوة القصوى، ورآهم رسول الله فعرف الكثيرين منهم فقال حينذاك: «إن يكن فيهم خير، ففى صاحب الجمل الأحمر» وكان عتبة بن ربيعة هو صاحب الجمل الاحمر.

كان أبو حذيفة بن عتبة، مسلماً بين المسلمين، فلما رأى أباه قد سحب ضمن القتلى الذين سحبوهم وألقوهم فى القليب، لما رأى أبو حذيفة هذا المنظر تألم كثيراً، وظهر ذلك فى محياه، بحيث يعرفه كل من رآه فلما رآه رسول الله، عرف ما يعتمل فى نفسه، فقال له:

«يا أباحذيفة: لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء؟!».

فقال أبو حذيفة: لا والله يا رسول الله، ما شككت فى أبى ولا فى مصرعه، ولكننى كنت أعرف من أبى رأياً وحلماً وفضلاً.. فكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسلام، فلما رأيت ما أصابه، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذى كنت أرجو له، أحزننى ذلك يارسول الله، فدعا له رسول الله بخير، وقال له خيراً.



مقطع رقم ٢٩٨ جـ ٢

الذين ظلموا أنفسهم

١ البَعْضُ مِنْ فِتْيان مكةَ أسلَموا مُتأخِّرين
٢ لم يَسْتطِيعوا هِجْرةً ظَلُّوا بِمكةَ قَاعِدين
٣ - آباؤهمْ قَدْ أرْغمُوهم أنْ يَظلُّوا مُكْرَهين
٤ قَدْ أخرجُوهُمْ لِلْقتال بجيْشِ مَكّةَ مُرْغمِين
٥ قُتِلُوا جميعاً يَوْمَ بَدْرٍ مِن سُيوف المُسْلمين
٦ وَلَقدْ توفّتْهُمْ ملائكةُ السماءِ مُؤنِّبين
٧ كانُوا جَمِيعاً يَسْألُون[1] لهم وَصَاروا قائِلين
٨ أفَلا خَرَجْتُمْ مِثْلَ كُلِّ الْمُسْلِمين مُهاجِرين؟
٩ الأرْضُ[2] واسعةٌ وفيها مَلْجأٌ لِلْخَائِفين
١٠ فيهم تَنَزَّلَ قَوْلُ رَبِّ الْعَرْشِ فى الآيِ المبين[3]
١١ ظَلمُوا لِأنفُسِهِمْ فصاروُا فى عِدَادِ الظّالِمين
١٢ لَقدِ ارْتَضَوْا بالذُّلِّ حتَّى قُتِّلُوا فى المشْركين
١٣ مَنْ يَرْض ذُلّاً لم يَنَلْ شَرَفَ الرِّجَالِ المُؤْمِنين
١٤ ولَسَوْفَ يَصلَوْن الجحيمَ فَبِئْسَ مَثْوى الكَافِرين

---

(١) يسألون لهم – هم الملائكة، يسألون المقتولين.

(٢) الأرض واسعة – من وحى الآية الكريمة رقم ٩٧ سورة النساء.

(٣) فى الآى المبين – هى نفس الآية رقم ٩٧.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٩٨ جـ ٢

كان فى مكة عدد من الفتيان المسلمين، أسلموا قبل أن يهاجر رسول الله ﷺ، والمسلمون إلى المدينة.

هؤلاء الفتيان لم يستطيعوا أن يهاجروا كما هاجر غيرهم، فقد كان آباؤهم أكثر حرصاً ويقظة، بحيث لم يغفلوا عنهم، فظلوا بمكة قاعدين فلما تجهزت قريش للخروج لبدر، لقتال رسول الله ﷺ والمسلمون معه، أخرجوهم معهم رغماً عنهم، ليقاتلوا فى صفوف المشركين.. ليقاتلوا رسول الله وأصحابه!!!.

هؤلاء الفتية، قتلوا كلهم يوم بدر، قتلوا بسيوف المسلمين، ولا غرو فالسيوف لا تفرق بين مسلم ومشرك!!.

لقد قتلوا... وقد توفتهم الملائكة بالتأنيب والتقريع، لكونهم عجزوا عن الهجرة، ورضوا بالحياة فى ظل أهليهم المشركين.

ولقد أخبر القرآن الكريم بأن الملائكة سألوهم، فقالوا لهم: لماذا لم تخرجوا مهاجرين، كما هاجر المسلمون؟! فقالوا: لم نستطع لأن آباءنا وذوينا أرغمونا على البقاء معهم، فظللنا معهم كارهين مكرهين لا حول لنا ولا قوة.

فقالت الملائكة لهم: ألا بئس ما صنعتم، فأرض الله واسعة فيها متسع وملجأ لكل خائف... فى هؤلاء تنزل قول الله تعالى:

«إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً» آية ٩٧ سورة النساء.

حقاً إنهم ظلموا أنفسهم مرتين: مرة حينما ظلوا بمكة فلم يهاجروا، ومرة ثانية حينما خرجوا فى صفوف المشركين ليقاتلوا المسلمين، لقد كانوا يستطيعون الانضمام للمسلمين حين التقى الجيشان.. لكنهم رضوا بالذل فهم فى نار جهنم لأن الإسلام لا يرضى بالذل لأتباعه.

مقطع رقم ٢٩٩ جـ ٢

خلاف المسلمين على الأنفال

١ أمر النَّبِيُّ بجمْع أسْلابِ الرِّجَالِ المُشْرِكِين

٢ دَبَّ[١] الخِلافُ عَلَى الغَنَائِم بَيْنَ كُلِّ المُسْلِمين

٣ فِرَقٌ[٢] ثلاثٌ ناقشُوا أمْرَ الغَنَائِـم قَائِـلين

٤ قد قالت الأولى : وكُنَّا لِلْغنائِم جامعين

٥ لاشكَّ نحْنُ أحَقُّ بالأنفال دُون الآخرين

٦ بَلْ قالتْ الأخْرَى : فَكُنَّا لِلْعَدوِّ مُقَاتِلين

٧ ولقدْ طردْنا عنكُمُ الأعداءَ بالسَّيف المهين

٨ تالله نحْنُ أحقُّ بالأنفـالِ منكُـمْ أجمعين

٩ قد قالتْ الأُخرى الأخيرةُ : نحْنُ أوْلى الغانمين

١٠ كان المتاعُ أمامنا مُلْقىً ولا مِنْ مَانِعِين

١١ تالله لَوْ شِئْنَاهُ ما كُنْتُـمْ إليـهِ بِسَابقِين

١٢ فلقد حَمَيْنا خَيْرَ خَلْقِ الله نَحْنُ الحَارِسِين

١٣ الأمْرُ جاء مِنَ الإلـهِ بِنَصِّ قرْآنٍ مُبين

١٤ أنَّ الغنائم[٣] للإلـهِ وَلِلْـرسولِ على اليـقين

١٥ كَفُّوا جميعاً عَنْ جِدَالٍ نِعْمَ قَوْما مُتَّقين

١٦ الخُمْسُ لِلْهادى[٤] وباقى الغُنْمِ بَيْـنَ المؤمِـنين

---

(١) دب الخلاف – وقع الخلاف بينهم.

(٢) فرق ثلاث – انقسموا إلى ثلاث فرق.

(٣) إن الغنائم للإله وللرسول – من أول سورة الأنفال.

(٤) الخمس للهادى – من وحى الآية رقم ٤١ الأنفال.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٢٩٩ جـ ٢

انتهت المعركة يوم بدر.. فأمر رسول الله ﷺ بجمع كل ما غنمه المسلمون من أنفال، مما تركه المشركون، فجمع كله، بحيث لم يبق منه شىء فى أيدى الرجال.

وقد اختلف المسلمون فيما بينهم، حول تقسيم الغنائم، فكانوا ثلاث فرق.. كل فرقة تدعى أنها الأحق بالأنفال من الآخرين.

أولى هذه الفرق الثلاث هم : الذين قاموا بجمع الغنائم من أرض المعركة فقالوا : نحن الذين جمعنا الغنائم، إذن فنحن أحق بها من غيرنا.

والفرقة الثانية هم : الذين كانوا يقاتلون الأعداء، فكانوا فى شغل عن جمع الغنائم فقالوا : نحن الذين قاتلنا الأعداء، حتى هزمناهم بسيوفنا، ولولا تفانينا فى القتال، وصبرنا على منازلة الأعداء، وانهزامهم، ما كانت هناك غنائم لتجمعوها.. إذن فنحن أحق بالأنفال من كل الذين شهدوا المعركة.

والفرقة الثالثة هم : الذين كانوا حول عريش رسول الله ﷺ، يحرسونه ويحمونه من أعداء الله المشركين.. فقالوا : كانت الغنائم ملقاة فى أرض المعركة أمامنا، ولو شئنا لجمعناها كلها.. بيد أننا كنا فى مهمة شريفة، أهم من الغنائم، ومن متاع الدنيا كله.

لقد كنا نحرس رسول الله من أن تمتد إليه أيدى السوء.. وهكذا كما يبدو من أقوال الفرق الثلاث، فانهم كلهم لهم حقوق فى الغنائم، لأن كلًا منهم قام بدوره فى موقعه.

وجاء الوحى من عند الله، فحسم القضية فقال عز وجل : «يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول... الخ» آية رقم ١ أول سورة الأنفال.

وقرر المولى عز وجل بأن خمس الغنائم لله ولرسوله، يضعه حيث يشاء وباقى الغنائم قسمة بين المسلمين.

مقطع رقم ٣٠٠ جـ ٢

رسول الله يرسل مبشرين إلى المدينة

١ قَدْ أرسلَ الهادى رِجَالًا لِلْمدينةِ مُسْرِعين
٢ لِيُبشِّروا أهْلَ المدينةِ بانْتِصَارِ المسْلِمِين
٣ اثنانِ طَارا بِالبشارةِ كالطيورِ الطَّائِرين
٤ قَدْ كانَ ابنُ[1] رَواحة أحدَ الرِّجال الذَّاهبين
٥ ثانيهما زَيْدٌ[2] ربيب! بل حبيبٌ للأمين
٦ وَصَلا لِيثرِبَ حين كَانُوا أهْلَهَا مُتألِّمين
٧ هَالُوا[3] الترابَ على رُقيَّة بنتِ خَيْر العالمين
٨ فلقدْ تخلَّفَ زوجُها عثمانُ[4] فى المتخلِّفين
٩ وكذا أسامةُ[5] قدْ تخلَّف ظَلَّ بيْنَ القاعِدين
١٠ إن التخلُّفَ كان أمْراً مِن إمامِ المرسلين
١١ زَيْدُ بنُ حارثةَ يُبشِّرُ أهلَ يثربَ أجمعين
١٢ ويَعُدُّ مَنْ قُتِلوا ببدرٍ مِنْ كبارِ المشْرِكين
١٣ المسْلِمُون جميعُهُمْ صَارُوا لِزَيْدٍ سَائِلين
١٤ عَنْ ذلكَ النصرِ الذى جَاءَا بِهِ كَمُبشِّرِين
١٥ فأجابَ زَيْدٌ قَائِلًا : قَدْ تَمَّ نَصْرُ المؤمنين

---

(١) ابن رواحة – هو عبد الله بن رواحة الأنصارى الشاعر.

(٢) ثانيهما زيد – هو زيد بن حارثة.

(٣) هالوا التراب على رقية – واروها التراب.

(٤) زوجها عثمان – هو عثمان بن عفان.

(٥) وكذا أسامة – هو أسامة بن زيد.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٣٠٠ جـ ٢

لقد تحقق نصر الله لرسول الله ﷺ والمسلمين معه، فمن ثم بادر رسول الله بإرسال من يحمل البشارة إلى المدينة، ذلك لأنه يعلم بأن أهل المدينة فى شغل شاغل، يتنسمون الأخبار عنه وعمن معه من أصحابه.

فأرسل ﷺ رجلين هما : عبد الله بن رواحة، وزيد بن حارثة ربيبه وحبه، قال لهما : اذهبا إلى المدينة، فأبلغا أهلها نبأ انتصارنا على أعداء الله المشركين.

طار الاثنان يسابقان الريح متجهين إلى المدينة، فوصلاها فإذا أهلها فى لهفة على معرفة أحوال رسول الله وأصحابه الذين معه.

ووجدوهم أيضاً قد انتهوا من دفن رقية بنت رسول الله ﷺ، وزوج عثمان بن عفان.

وعثمان بن عفان لم يشهد بدراً، تخلف فى المدينة بأمر رسول الله، ليمرض زوجه رقية فى مرضها الذى توفيت فيه.

صار زيد بن حارثة يخبر الناس عمن قتلوا من سادات قريش، ورءوس الشرك فى بدر فيقول : قتل عتبة بن ربيعة وشيبة أخوه، وأبو جهل بن هشام، وزمعة بن الأسود، وأبو البخترى العاص بن هشام، وأمية بن خلف وكثير غيرهم قتلوا.. وفر الباقون فلولاً فى البرارى والقفار، وتركوا خلفهم أمتعتهم وأموالهم فأخذها المسلمون، فقسمها رسول الله بين أصحابه.

إنه نصر الله الذى مَنَّ به على عباده المؤمنين المخلصين، لأنهم نصروا الله ورسوله ودينه.



مقطع رقم ٣٠١ جـ ٢

رسول الله يأمر بقتل اثنين من الأسرى

١ عادَ الرسولُ بجيشِهِ نحوَ المدينةِ قافِلِين
٢ سِيقَ الأسَارى بالمذلَّة مِنْ كِبَار المشْرِكِين
٣ قَدْ كانَ فِيهِمْ عُقْبةٌ(١) والنَضْرُ شَرُّ الكَافِرين
٤ المصْطَفى والمسْلِمُون لِربِّهِمْ فى الشَّاكِرين
٥ حَمَلُوا الغَنَائمَ عِنْدَ عَوْدَتِهِم فكَانُوا رَاشِدِين
٦ حَطُّوا(٢) إلى جَنْبِ الطريقِ لِيسْتَرِيحُوا نَازِلِين
٧ وَهُنَاكَ قُسِّمت الغَنَائمُ بَيْنَ كُلِّ المسْلِمِين
٨ أمرَ النبيُّ بِضَرْبِ(٣) رَأْسِ النَضْرِ شَرِّ الفَاسِقِين
٩ قَدْ كانَ صَاحِبُهُ(٤) عَلياً سَيِّدَ السيْفِ المتين
١٠ أمرَ النبيُّ بِقَتْلِ عُقْبَةَ فى مَنَازِلِ آخَرِين
١١ نَادَى اللعينُ بقوله : مَنْ لِلْصِّغار البَائِسِين؟!
١٢ فَأَجَابَهُ بالحَزْمِ فى النَّارِ مَأْوَى المجرِمِين
١٣ مِنْ ضَرْبَةٍ مِنْ سَيْفِ عَاصِم رَاحَ أسفلَ سَافِلين
١٤ لما دَنَوْا مِنْ يَثْربَ خرجَ الجميعُ مُهَنئِين
١٥ أهْدَى أبو هِنْدٍ إلى الهَادِى طَعَامَ(٥) العَائِدِين
١٦ قالَ النَبىُّ : فإنهُ كُفْءٌ لِنُكْحِ(٦) النَّاكِحِين

---

(١) عقبة والنضر – هما عقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث.

(٢) حطوا إلى جنب الطريق – حطوا الرحال ليستريحوا.

(٣) يضرب رأس النضر – أمر رسول الله بقتل النضر.

(٤) كان صاحبه علياً – هو الذى تولى قتله بسيفه.

(٥) طعام العائدين – فرحة بالانتصار، وأبو هند كان حجاماً لرسول الله.

(٦) كفء لنكح الناكحين – أى ليس أقل قدراً من أحد فهو كفء لأن يتزوج من أى فتاة.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٣٠١ جـ ٢

ثم قفل رسول الله ﷺ، عائداً إلى المدينة بأصحابه يحدوهم ويواكب مسيرتهم فرح بما منحهم الله من نعمة النصر على الأعداء.

وقد سيق الأسارى مقيدين، يعلوهم الذل والصغار، فكم حاربوا الله ورسوله، ووقفوا فى سبيل الدعوة لدين الله.

من بين أولئك الأسرى، عقبة بن أبى معيط، والنضر بن الحارث، وكلاهما كان من ألد أعداء الله ورسوله والمسلمين.. فعقبة قد آذى رسول الله فى مكة، والنضر كان يحدث قريشاً بقصص خرافية ويقول: إن حديثى أفضل من حديث محمد.. وهو الذى قال عن القرآن الكريم: إنه أساطير الأولين.

فى عودتهم متجهين إلى المدينة – رسول الله وأصحابه – حملوا معهم الغنائم، وأثناء المسير وهم عائدون، نزلوا إلى جنب الطريق، ليستريحوا من عناء السفر.. وهنالك قسم رسول الله الفىء بين أصحابه.

هنالك أيضا أمر رسول الله ﷺ علياً أن يضرب عنق النضر بن الحارث بحد السيف.

«روى أن رسول الله نظر إلى النضر بن الحارث وهو أسير، فقال النضر للذى بجانبه: محمد والله قاتلى، فإنه نظر إلىَّ بعينين فيهما الموت، فقال له: والله ما هذا الا رعب منك» صفحة ٤٤٠ جـ ٢ السيرة الحلبية.

وارتحل رسول الله وأصحابه، ثم نزلوا فى موضع آخر، وفيه أمر بضرب عنق عقبة بن أبى معيط، أمر عاصم بن ثابت فضرب عنقه.. فحينما قدم ليضرب عنقه قال: فمن للصبية يا محمد؟! قال «النار».

وأقبلوا على المدينة، فخرجت المدينة كلها للقائهم بالتهنئة، وخرج أبو هند حجام رسول الله ومعه طعام هدية لرسول الله، فقال رسول الله: «إنما أبو هند امرؤ من الأنصار، فأنكحوه وأنكحوا إليه» ففعلوا.

مقطع رقم ٣٠٢ جـ ٢

التهنئة بالانتصار فى المدينة

١ المسْلِمُــون يُهنِّئُــون المصْطَفَــى بالانْـــتِصَار
٢ والفرْحةُ الكُبْرىَ على وَجْهِ الصِّغَارِ كذا الكِبَار
٣ أحدُ الصَّحَابةِ قَالَ قَوْلًا : فيهِ رُوحُ الافْتخَار
٤ لَقدِ الْتَقَيْنا عنْدَ بَدْرٍ فيهِ قَدْ ثارَ الغُبَـارُ (١)
٥ لَقدِ الْتقينَا والعَجَائزُ (٢) بالسُّيوفِ فَلَا حُوار (٣)
٦ تَاللهِ كَانُـوا مِثْـلَ بُدْنٍ (٤) قدْ أَتَـوْا لِلانْتحَـار
٧ وَلَقَدْ نَحَرْنَاهُم بِبدْرٍ، كانَ فى بَعْضِ النَّهار
٨ يَبْدو رسولُ اللهِ مُبْتَسِماً مِنَ القَوْل المثَار
٩ لَكِنَّــهُ فَوْراً أجـــابَ بِلَا تَأَنٍّ وانْتِظَـــار
١٠ لَا، لَا فلَيْس كما تقولُ : فإنَّهمْ أهْلُ الجُوار (٥)
١١ لَاشَكَّ هُمْ سَاداتُ قَوْمٍ، إنهُمْ أهْلُ اقْتِدَار
١٢ لَكِنهمُ قُتِلُوا بأمْرِ (٦) اللهِ لَيْسَ لَهـمْ خِيَـار
١٣ قُتِلُوا لِكَيْمَا تَشْهَدَ الدُّنْيَا عَلَيهِـمْ بالـخَسَار
١٤ المصْطَفَى وَصَلَ المدينةَ زَانَـهُ إكْليلُ غَار
١٥ مِنْ بَعْدِهِ وَصلَ الجميعُ معَ الأسَارَى لِلدِّيار

---

(١) فيه قد ثار الغبار – غبار الحرب.

(٢) لقد التقينا والعجائز – بالعجائز – هم شيوخ قريش.

(٣) بالسيوف فلا حوار – كان اللقاء للقتال وليس للمحادثة.

(٤) مثل بُدْنٍ – جمع بَدَنه، وهى الناقة أو البقرة.

(٥) أهل الجوار – كانوا يحمون الجار، ينفى عنهم رسول الله التحقير

(٦) بأمر الله – هكذا كانت إرادة الله فيهم.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٣٠٢ جـ ٢

المدينة كلها تستقبل العائدين المنتصرين، ولا غرو فهم عائدون من غزوة بدر الكبرى.. فصار المسلمون جميعهم، يهنئون رسول الله ﷺ بالانتصار على أعداء الله ودينه ورسوله.

والفرحة تملأ القلوب، وتبدو على وجوه الكبار والصغار معاً، ولم لا، فهذه أول غزوة يتم فيها اللقاء بين الموحدين والمشركين، وقد انتصر التوحيد وأهله، وانهزم الشرك وأهله.

وعلى سؤال لأحد المسلمين عن أحوال المعركة، أجاب سلمة بن سلامة بن وقش قائلاً: ما الذى تهنئوننا به؟ وما الذى تسألوننا عنه؟!، فوالله لقد التقينا فى بدر برجال يشبهون العجائز الصلع، كالبدن المعقلة، فنحرناهم فى سويعات قليلة دون أن نلقى عناء.

فلما سمعه رسول الله ﷺ، تبسم ثم قال:

«أى ابن أخى أولئك الملأ من قريش».

إنهم من خيار الرجال، إنهم سادات قريش، يحمون جارهم، ويحترمون كلمتهم.. ولكن الله عز وجل قدر عليهم هذا، ليكونوا عبرة لغيرهم من المعاندين المكابرين، الذين لم يؤمنوا بالله ولا بدينه ولا برسوله.

هذا لعمر الله فيه عبرة لكل معتبر، لقد باء أولئك الرجال بالخسران فى الدنيا والآخرة.

«عند وصول المصطفى ﷺ إلى المدينة، تلقته الولائد بالنشيد فقلن:

طلع البدر علينا ∴ من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ∴ مادعا لله داع[1]»

بعد وصول رسول الله إلى المدينة، وصل الأسرى يقودهم الرجال المسلمون.

---

(١) السيرة الحلبية جـ ٢ صفحة ٤٤٣.

مقطع رقم ٣٠٣ جـ ٢

أم المؤمنين «سودة» فى حديث للأسرى

١ قَدْ جِيءَ بالأَسْرَى وَكَانُوا بالحبال مُقَيَّدِين
٢ تَرْوِى الرِّوَايَةَ سَوْدَةٌ[1] مِنْ أُمَّهَاتِ المؤْمنين
٣ قَالَتْ : فَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ أبا يزيدِ[2] فى أنين!
٤ جُمِعَتْ يَدَاهُ لعُنقِهِ ذُلٌّ غشَاهُ وقدْ أُهين
٥ قَدْ كانَ مِقْدَاماً وكانَ مِنَ الرِّجَالِ البَارِزِين
٦ فنَسِيتُ أنِّى زَوْجَةُ الهادِى رسُولِ العَالمين
٧ وهتَفْتُ فى الأسْرى بِقَوْلٍ فيه عُنْفُ القَائِلِين[3]
٨ أعْطَيْتُم الأَيْدِي[4]، أَلَا مُتُّمْ كِرَاماً صَامِدِين؟
٩ وإذا رَسُولُ اللهِ يَسْمعُنِى فقالَ لِيستَبِين
١٠ يَا سَوْدَةٌ، ماذا دَهَاكِ؟! أَلِلْعدُوِّ تُحرِّضِين؟!
١١ فذَهِلْتُ[5] مِمَّا قَدْ عرَانى، صِرْتُ فى حُزْنٍ مُهين
١٢ وهَتَفْتُ مَعْذِرَةً أيا خَيْرَ الورَى والمُرْسَلِين
١٣ مَا إنْ رَأيْتُ إلى سُهيْلٍ والأسَارَى المكْرِهِين
١٤ قَدْ غُلَّتِ الأيدِى وذُلٌّ قَدْ غَشَاهُمْ أجْمَعِين
١٥ حَتَّى هَتَفْتُ بِمَا هَتَفْتُ، وإنَّنى فى النَّادِمِين

---

(١) سودة – هى سودة بنت زمعة ثانية زوجات الرسول دخولاً بها .

(٢) رأيت أبا يزيد – هو سهيل بن عمرو.

(٣) فيه عنف القائلين – تعنيف وتأنيب لهم.

(٤) أعطيتم الأيدى – استسلمتم للأسر.

(٥) فذهلت مما قد عرانى – الذهول، غياب العقل، عرانى، أصابنى

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٣٠٣ جـ ٢

لقد وصلَ الأسرى بمن يقودونهم من أصحاب رسول الله ﷺ إلى المدينة، مقيدين بالحبال، يغشاهم الذل والصغار، مستسلمين لا حول لهم ولا قوة.

تقول أم المؤمنين، سودة بنت زمعة، كنت عند آل عفراء فى مناحتهم على عوف ومعوذ ابنى عفراء، وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب(١)، تقول: والله إنى لعندهم إذ جاءنا الخبر، فقيل: هؤلاء الأسارى قد جيء بهم مقيدين، فرجعت إلى بيتى مسرعة، ورسول الله ﷺ فيه.

وإذا أبو يزيد، سهيل بن عمرو، فى ناحية الحجرة مجموعة يداه إلى عنقه بحبل – وكان أبو يزيد مقداماً من خيار الرجال – فلا والله ما ملكت نفسى أن قلت: ياأبا يزيد، أعطيتم بأيديكم، ألا متّم كراماً – لقد نسيت أنى زوجة رسول الله ﷺ – فوالله ما أنبهنى إلا قول رسول الله من البيت يقول لى:

«يا سودة أعلى الله ورسوله تحرضين»؟! فقلت: يا رسول الله، والذى بعثك بالحق، ما ملكت نفسى حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه أن قلت ما قلت.

وإنى أعتذر يا رسول الله مما قلت، وأتوب إلى الله من ذنب اقترفته دون أن أعلمه.. وأستغفر الله من أن أكون حرباً على الله وعلى رسوله، بالقول أو الفعل.

* * * * *

---

(١) قبل أن يضرب الحجاب على أزواج رسول الله.

مقطع رقم ٣٠٤ جـ ٢

أبو عزيز، وقصة أسره فى بدر

١ قَدْ وُزِّعَ الأَسْرَى علَى بعْضِ البُيُوت المُسْلِمين
٢ المصْطَفَى أَوْصَى بِهِمْ خَيْـراً فَصارُوا آمنين
٣ وأبُو عزيزٍ[1] كانَ أيْضاً فى الأسَارَى المُشْرِكين
٤ يَرْوِى لِقِصَّةِ أسْرِهِ فى دَهْشَةِ المتَعَجِّـبين
٥ قَدْ مَرَّ مُصْعَبُ يَوْمَ بدْرٍ بِى وكنْتُ المُسْتكين
٦ ولَقَـدْ رآنى يَوْمَهـا مُسْتَسْلِمـا لِلآسِرِيـن
٧ مَا أنْ رأيتُ أخِى الشّقيقَ فَرِحْتُ فَرْحَ الخائِفين
٨ ظنّاً بأنّى سَوْفَ أحْظَى مِنْهُ بالْعَطْفِ الأَمِين
٩ لَكِنَّهُ قَدْ خَابَ ظَنِّى كَانَ خَصْماً لا يَلِين[2]
١٠ قَدْ قَالَ يُوصِى آسِرِى[3] : اشدُدْ وَثَاقَ الكَافِرين
١١ تَاللهِ إنّ لأُمِّهِ مَالًا وضِمْـنَ المُوسِرِيـن[4]
١٢ ولسَوْفَ تدْفَعُ فِديةً كُبْرى تفُوقُ الآخَرِين
١٣ فَهتَفْتُ هَلْ هَذِى الوصيَّةُ بِى وأنت أخِى المُعِين؟!
١٤ فَأجَابَنِى، هَذَا أخى فى الدِّينِ دُونَكَ عَنْ يَقِين
١٥ الأُمُّ كَانَتْ بالفِـداءِ سَخيَّـةً فى البَـاذِلِين

---

(١) وأبو عزيز – هو أخ لمصعب بن عمير من أبيه.

(٢) خصماً لا يلين – خصماً عنيداً للكفر والكفار.

(٣) يوصى آسرى – الذى أسرنى.

(٤) وضمن الموسرين – ذوى اليسار الاغنياء.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٣٠٤ جـ ٢

لقد أمر رسول الله ﷺ، بتوزيع الأسرى على بعض بيوت المسلمين من أصحابه، وقال : «استوصوا بالأسارى خيراً».

وكان أبو عزيز بن عمير – أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه فى الأسارى وهو – أبو عزيز – لم ينس موقفاً لأخيه مصعب يوم بدر، لم يكن يتصوره من أخيه مطلقاً.

فيقول أبو عزيز بعد ذلك، يروى قصة أسره يوم بدر بالدهشة والاستغراب مما حدث يومذاك.

يقول : مرّ بى أخى مصعب بن عمير يوم بدر، وكنت حينئذ مستسلماً مستكينا لآسرى، اسمه أبو اليسر، فلما رأيت أخى فرحت فرحاً شديداً، فهذا أخى الشقيق، ولسوف أحظى منه بشىء من العطف والمجاملة، فيكون ذلك سبباً فى تخفيف ما أعانيه من المهانة.

بيد أننى وجدت منه عكس ما كنت أتصوره، لقد وجدته أكثر غلظة وقسوة من الرجل الذى أسرنى نفسه.. فقد قال له :

شد يدك به، وأحكم كتافه وقيوده، فإن له أماً غنية ذات متاع، ولسوف تفديه منك بما تطلب.

يالله !! لقد خاب ظنى فى هذا الأخ الذى حسبته سوف ينقذنى من قسوة آسرى، فيطلب منه التخفيف عنى.

فمن ثم صرخت فيه أقول له : هل هذه الوصية يا مصعب، وأنت أخى الشقيق؟! فقال لى : هذا هو أخى دونك – يشير إلى أبى اليسر الذى أسرنى.

وفعلًا لقد كانت أمه سخية فى فداء ولدها أبى عزيز، لقد سألت عن أغلى ما فدى به قرشى، فقيل لها : أربعة آلاف درهم، فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها.

مقطع رقم ٣٠٥ جـ ٢

الحَيْسُمان والعاص يخبران أهل مكة بالهزيمة

١ الحَيْسُمانِ(١) أتى لمكة يحمِلُ الخَبَرَ اليَقين
٢ فتسامَعُوا بمجيئِهِ جاءُوا جميعاً مُسْرِعين
٣ ماذا وَرَاءَكَ؟ هاتِنا خَبَراً عن المتحاربين(٢)
٤ فأجَابَهم، إنّا هُزِمْنا وانْخَذَلْنا أجْمَعِين
٥ قَتَلُوا(٣) لعُتْبَةَ وابنهُ وأخِيهِ شَيْبَة بادئين
٦ قَتَلوا أبَا جَهْلٍ وزَمْعَةَ وابن خلَفِ الأكْرمِين
٧ عددٌ كثيرٌ غيرهم ذاقُوا سُيوفَ المُسْلمين
٨ قَدْ كانَ بعْضُ المشْرِكينَ تَخَلَّفُوا مُتقَاعِدين
٩ لَمْ يَشْهدُوا بَدْراً وظلُّوا فى البُيُوتِ مُخَلَّفين
١٠ لكنَّهُمْ قَدْ أرْسَلُوا عنْهم رِجالًا نائِبين
١١ منهم أبُو لَهَبٍ عدوُّ اللهِ والحقِّ المبين
١٢ لما أتى خَبَرُ الهزيمةِ باءَ بالخِزْيِ المهِين
١٣ قَدْ جاءَ بَعْدَ الحَيْسُمانِ مُبلِّغٌ(١) لِلسَّائلين
١٤ جاءوهُ قَالُوا : هَاتِنَا الخبرَ الصَّدُوقَ لِنَستَبِين
١٥ فَأجابَهُمْ عَمَّا رَآهُ مِنْ انْخِذالِ المُشْرِكِين

---

(١) الحيسمان – اسم الرجل الذى أبلغ أهل مكة خبر الهزيمة.

(٢) عن المتحاربين – المسلمين والقرشيين.

(٣) قتلوا لعتبة وابنه وأخيه – أى المسلمون هم الذين قتلوهم.

(٤) مبلغ – رجل آخر جاء قريشاً بخبر الهزيمة.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٣٠٥ جـ ٢

لقد فر المشركون فى البرارى والقفار فلولاً، بعد أن قتل من قتل من أشرافهم، وأسير من أسير أيضاً.

فكان أول من وصل مكة بخبر هزيمة قريش فى بدر، هو الحيسمان بن عبد الله الخزاعى.. لقد دخل مكة يبدو على وجهه الحزن والألم.. وعلم أهل مكة بمجيئه، فهرعوا إليه كى يسألوه كبارهم وصغارهم، كى يسألوه عن جيش قريش.

فقالوا: ما وراءك يا حيسمان؟! هات ما عندك من الأخبار عن جيشنا ورجالنا، وماذا تم فى لقائهم بجيش محمد والمسلمين معه؟!.

فأجابهم الحيسمان قائلًا: لقد هُزمنا فى بدر شر هزيمة، وفر رجالنا فى البرارى فلولًا هاربين، تاركين وراءهم ساداتهم مجندلين، قد مزقتهم سيوف المسلمين ورماحهم.. هذا فضلًا عن عدد كبير أخذوا أسرى.

لقد قتل عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وولده الوليد، وقتل أبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، وزمعة بن الأسود، وكثير غيرهم.

قد كان فى مكة بعض الرجال، تخلفوا ولكن أرسلوا من ينوب عنهم للقتال، منهم أبو لهب عدو الله وعدو رسوله.

لما سمع أبو لهب خبر هزيمة قريش، خارت قواه وألجمته الدهشة، وعلاه الخزى.

ما أن انتهى الحيسمان من حديثه لأهل مكة عن الهزيمة، حتى وصل رجل آخر، فهرعوا إليه فسألوه عن أصح الأخبار، فأخبرهم بالهزيمة المرة فى بدر.



مقطع رقم ٣٠٦ جـ ٢

تأكيد الأخبار عن هزيمة قريش

١ هذا الْمُغِيرةُ جاءَ مكةَ في فُلولِ[١] المدْبرين
٢ قَدْ صارَ يَروِى للجميعِ لِقصَّةِ الخبرِ الحزين[٢]
٣ عبّاسُ[٣] كان غلامُهُ بين الجموع السَّامعين
٤ هو يُبْطِنُ[٤] الإسلامَ كالعبَّاسِ دُون الحاضِرين
٥ قالَ المغيرةُ : قَدْ ذهبْنَا لِلْقتالِ مُجهَّزين
٦ وَهُناك في بدْرٍ تلاقَيْنا لِقاءَ الغَاضِبِين
٧ لَكِنَّنا عنْدَ اللِّقاءِ قَدِ انْخذلنا مدْبرين
٨ القومُ[٥] صارُوا يقَتُلون وإنْ يَشاءُوا آسِرين
٩ هم لم يكونُوا وحْدَهُمْ، معهُمْ رأَيْنا آخرين[٦]
١٠ فَلقدْ رأينا الخيلَ بُلْقاً والرِّجالَ مُبيَّضين[٧].
١١ كانوا جماعاتٍ ومن فَوْقٍ أتوْنَا نازِلين
١٢ هَتفَ الغُلامُ[٨] وقال : هَاتِيك الملائِكُ عَنْ يَقِين
١٣ فاشْتاطَ غيظاً مِنْ مقالتِهِ أبُو لَهبٍ اللعين
١٤ وانقضَّ يضربُ في الغُلام بِكلِّ غَيظِ الحَاقِدِين
١٥ نَجدَتْهُ أُمُّ الفَضْلِ[٩] مِنْ بَطْشِ اللعين المسْتَهين
١٦ مِنْ بَعْدِها مَاتَ اللعينُ وَكَانَ مِنْ دَاءٍ مُهِين

---

(١) فلول المدبرين - جماعات الجيش المنهزم.
(٢) الخبر الحزين - المحزن.
(٣) عباس كان غلامه - عباس هو عم رسول الله.
(٤) يبطن الإسلام - كان مسلماً يخفى إسلامه كالعباس تماماً.
(٥) القوم - هم المسلمون.
(٦) رأينا آخرين - هم الملائكة.
(٧) والرجال مبيضين - يلبسون الملابس البيضاء.
(٨) هتف الغلام - غلام العباس.
(٩) نجدته أم الفضل - أغاثته أم الفضل زوجة العباس.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٣٠٦ جـ ٢

لقد وصل إلى مكة رجل آخر، من فلول المشركين الفارين من بدر، اسمه المغيرة، ينادونه أبا سفيان فصار يقص على مسامع قريش أسوأ خبر سمعوه فى حياتهم، إنه خبر حزين محزن، بل كارثة أصابت أهل مكة لم يسبق أن أصيبوا بمثلها.

كان الرجل يحكى للقوم، وأبو رافع غلام العباس بن عبد المطلب كان جالساً عند البيت – بيت سيده – يسمع كالآخرين، وكان مسلماً يخفى إسلامه مثل سيده العباس بن عبد المطلب.

أبو سفيان يروى لقريش خبر المصيبة التى أصابتهم، فكان مما قال: لقد ذهبنا للقتال ونحن مستعدون بالعتاد والعدد والاستعداد، ونتيه فخراً بكثرتنا وقوتنا.

بيد أننا التقينا فى بدر برجال ليسوا كالرجال، فقد كانوا ذوى قوة هائلة جبارة لا يخافون شيئاً، ولا يهابون الموت، وما أن لقيناهم حتى منحناهم أكتافنا، يقتلوننا كيف شاءوا، ويأسروننا كيف شاءوا.

إنهم للحقيقة لم يكونوا وحدهم، لقد كان معهم رجال آخرون، رأينا رجالًا بيضاً على خيل بلق، بين السماء والأرض، والله ما تبقى شيئاً، ولا يقوم لها شىء.

قال أبو رافع غلام العباس: فلما سمعت كلام المغيرة عن الرجال البيض، والخيل البلق قلت: تلك والله الملائكة، وكان أبو لهب عدو الله جالساً بجانبى، فاشتاط غيظاً مما قلت، فلطمنى على وجهى لطمة شديدة، فحاولت أن أدفعه عن نفسى، فحملنى ثم ضرب بى الأرض، ثم برك على يضربنى، فقامت أم الفضل – زوج العباس – فضربته بعمود من عمد البيت وقالت:

استضعفته أن غاب عنه سيده؟! فقام منصرفاً ذليلًا، فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بداء العدسة – مرض خبيث – فقتلته.

مقطع رقم ٣٠٧ جـ ٢

أهل مكة يفدون أسراهم

١ ناحُوا[١] علَى القَتْلى بِمكة، ثم قالُوا : لَا بُكَاء
٢ إنَّ البُكَاءَ دليلُ ضَعْفٍ، فلتكونوا أقوياء
٣ أمَّا عَنِ الأسْرَى، فَصَبْراً لا تُوَدُّوا[٢] لِلْفِدَاء
٤ لكنَّ بَعْضَ القَوْمِ لَمْ يَصْبِرْ على مُرِّ العَنَاء[٣]
٥ فانسَلَّ ابنُ أبى وَدَاعَة نحو يثْربَ فى خَفَاء[٤]
٦ فَأَتَى لِفَكِّ أبيهِ كان مِنَ الرِّجَال الأغْنِيَاء
٧ قد أخبرَ الهادى صحابَتَهُ بهذا فى صَفَاء[٥]
٨ مِنْ بَعْدِهِ قَدْ جَاءَ مِكْرِزُ[٦] عن سُهَيْلٍ بالوفاء
٩ لكنْ سُهَيْلٌ كان قَبْلَ الأسْرِ لِلْهَادِى أسَاء
١٠ قَدْ كانَ يَخْطُبُ فى المحافِلِ كانَ داعيةَ العَدَاء
١١ لما أتَوْا لِفدائه، عُمرٌ أرادَ لَهُ الجَــزَاء[٧]
١٢ عُمَرٌ يقول : لِنخلع الأسْنَان مِنْه لِكَىْ يُسَاء
١٣ قالَ النَّبىُّ : فَلَا أُمَثِّلُ، ذاك تمقُتُه السَّمَاء[٨]
١٤ أخشَى من التَمثيل بى، هذا لأجْلِ الاقْتداء[٩]
١٥ مِنْ ثَمَّ صَارَ سُهَيْلٌ حُرَّاً بالفِداءِ وبالعَطَاء

---

(١) ناحوا على القتلى – النواح هو البكاء بالغناء الحزين.
(٢) لا تؤدوا للفداء – لا تعجلوا فى فداء أسراكم من عند محمد لكى لا يغالوا فى طلب الفدية.
(٣) لم يصتبر على مرّ العناء – قسوة الأسر على أبيه الأسير.
(٤) فى خفاء – جاء خفية ليفك أباه من الأسر.
(٥) فى صفاء – رسول الله أخبر أصحابه عن هذا الذى جاء لفداء أبيه قبل مجيئه.
(٦) مكرز – هو مكرز بن حفص.
(٧) أراد له الجزاء – العقوبة.
(٨) فلا أمثل ذاك تمقته السماء – أى رب السماء.
(٩) لأجل الاقتداء – ليقتدى الناس به عليه الصلاة والسلام.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٣٠٧ جـ ٢

ملئت مكة بالأحزان على قتلاها وأسراها، فبكت الباكيات، وناحت النائحات على القتلى، ثم بعد ذلك برز رأى فيهم ارتضوه جميعهم، ذاك الرأى هو : ألا يبكوا على القتلى، فإن البكاء على القتلى دليل على الضعف، ونحن لسنا ضعفاء، هذا من ناحية، ولكى لا يشمت محمد وأصحابه فينا من ناحية أخرى.

وقالوا عن الأسرى : فصبراً لا تسارعوا إلى فدائهم، كى لا يبالغ محمد وأصحابه فى طلب الفدية عن الأسرى، فإذا ما تأنيتم، فسوف يزهدون فى الأسرى، ويرتضون بأقل فدية عنهم.

وكان فى الأسارى أبو وداعة بن ضبيرة السهمى.. فقال رسول الله ﷺ : «إن له بمكة ابنا كيساً تاجراً ذا مال، وكأنكم به قد جاءكم فى طلب فداء أبيه».

فلما قالت قريش : لا تعجلوا فى فداء الأسرى، لكى لا يشتد عليكم محمد وأصحابه فى طلب الفدية قال ابن أبى وداعة : صدقتم لا تعجلوا.

وانسل ليلاً فقدم المدينة، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم فانطلق به.. وجاء مكرز بن حفص فى فداء سهيل بن عمرو، وكان سهيل هذا قد أساء إلى رسول الله.. كان يخطب فى المحافل فيسيء إلى رسول الله، فقال عمر بن الخطاب لرسول الله : دعنى أنزع ثنيتى سهيل بن عمرو، يدلع لسانه، فلا يقوم عليك خطيباً فى موطن أبداً، فقال رسول الله ﷺ : «لا أمثل به فيمثل الله بى وإن كنت نبياً».

وصار سهيل حراً بعد أن أديت الفدية عنه.. وقيل إن رسول الله قال لعمر : «إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تذمه».



مقطع رقم ٣٠٨ جـ ٢

أبو سفيان يأخذ شيخاً لفداء ابنه

١ سَعْدُ بن[١] أكّالٍ توجّه نحو مكةَ للزّيَاره
٢ قَدْ كَانَ شَيْخاً طَاعِناً لَا تملكُ العينُ احْتِقَاره[٢]
٣ قَدْ كَانَ يَبْغِي الاعْتِمَارَ ليملأَ القَلبَ اسْتِنَاره[٣]
٤ لكنْ أبوُ سُفْيَان كانَ زَعيمَ قافِلةِ التجاره
٥ يبكي على الابْنِ القتيل[٤] وكان في سِنِّ النَضَاره
٦ واشتاقَ للابن الأسيرِ[٥] مِنَ الشَّبابِ ذَوى الجدَاره
٧ لم يَرْضَ فديتَه وقالَ : دَعُوهُ يَبْقَى في أسَارِه[٦]
٨ هَذَا كَرَأْي شُيوخِ مكةَ، إنهمْ أَهْلُ الإمَارَه[٧]
٩ الشيخ يدخلُ مكةَ وكأنَّهُ آتٍ دِيَــاره
١٠ وإذا أبو سُفْيان يَقْبِضُهُ ويمنعُهُ الإجَاره[٨].
١١ أبقاهُ مَرْهوناً لديه مكانَ عمروٍ في جَسَاره
١٢ قَدْ جَاءتْ الأخبارُ يثربَ أدْرِكُوا الشيخَ انكساره
١٣ أنْ أرْسِلُوا عَمْراً[٩] فِدَاءَ الشيخ نجتنِبُ الخسَاره
١٤ قَدْ أخبروا الحادِي بهذَا الأمر كَيْ يُعْطى الإشَاره[١٠]
١٥ قالَ : اتركُوا عَمْراً، فجاءَ الشيخُ إذ رَدّوا اعتِبَاره

---

(١) سعد بن أكال – أحد شيوخ الأنصار.
(٢) لا تملك العين احتقاره – كان ذا هيبة ووقار.
(٣) ليملأ القلب استناره – نوراً من رؤية بيت الله وزيارته.
(٤) يبكي على الابن القتيل – هو حنظلة.
(٥) واشتاق للابن الأسير – هو عمرو.
(٦) دعوه يبقى في أساره – يبقى في الأسر.
(٧) أهل الاماره – أهل الرأي والأمر.
(٨) ويمنعه الإجاره – لا يجيره أحد.
(٩) أن أرسلوا عمراً – هو ابن أبي سفيان.
(١٠) كي يعطى الإشاره – يأمرهم بأمره.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٣٠٨ جـ ٢

رجل من الأنصار، اسمه سعد بن النعمان بن أكال، كان شيخاً كبيراً مسلماً، وكان ذا هيبة في قومه ومكانة عالية .. خرج من المدينة قاصداً مكة لأجل الاعتمار، فقد اشتاق لرؤية الكعبة وزيارتها.

وكان لأبي سفيان بن حرب ولدٌ أسير، في المدينة عند رسول الله ﷺ، اسمه عمرو، رفض أبو سفيان أن يفديه كبقية أسرى قريش وقال: أيجمع عليّ مالي ودمي، قتلوا حنظلة وأفدى عمراً، لا والله لن أفديه، دعوه في أيديهم – يقصد رسول الله والمسلمين – يمسكوه ما بدا لهم.

فبينما هو كذلك، إذ خرج صاحبنا سعد بن النعمان بن أكال، الشيخ الأنصاري متوجها إلى مكة معتمراً، ولم يكن يظن أن أحداً سيمنعه من زيارة البيت الحرام، أو يعرض له بسوء.

فما أن رآه أبو سفيان بن حرب في مكة، عدا عليه فأخذه بالقوة فحبسه عنده رهينة، مقابل ابنه عمرو الأسير في المدينة عند رسول الله ﷺ وأصحابه.

طارت الأخبار إلى المدينة عن احتجاز أبي سفيان في مكة للشيخ الكبير ابن أكال .. فذهب بنو عمرو بن عوف، رهط سعد بن أكال إلى رسول الله، فأخبروه خبرهم، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان لكي يفكوا به صاحبهم.

قبل رسول الله ﷺ واستجاب لطلبهم، فأمر بإخلاء سبيل عمرو بن أبي سفيان، فأرسلوه إلى مكة لأبيه، فخلى سبيل سعد بن أكال، وعاد الشيخ إلى المدينة.



أبو العاص مع رسول الله

هجرة زينب بنت رسول الله

غزوة بدر فى سورة الأنفال

مقطع رقم ٣٠٩ جـ ٢
زواج بنات محمد قبل النبوة

١ صِهْرُ النبيِّ ابنُ[١] الربيع فذاكَ مِنْ خَيْرِ الرِّجَال
٢ هُو زَوْجُ بنتِ المصْطَفَى قبل النُّبوة والقِتَال
٣ قَدْ كانَ ذا مالٍ وَصِيتٍ، إذْ يميلُ إلى الكَمَال
٤ عَنْ زَوْجِه هى زينبُ قد أسلمتْ فى امتثال
٥ وابنُ الربيع أَبَى الإجَابةَ لِلنّداءِ وَللمَقال
٦ لما دعَا الهادِى[٢] قُرَيْشاً لم يجيبُوا باعْتِدال
٧ كَرِهُوهُ أيضاً خَاصَمُوه عقولُهم فِيهَا خَبَال
٨ قالوا لِبعضٍ : طَلِّقُوا بِنْتَيْهِ مِنْ غيرِ[٣] اعتلال
٩ شَاءُوا بَهذا أنْ يُذِيقُوا المصطفى هَمَّ العِيَال
١٠ قد كانَ عُتْبَةُ خاطباً بِنْتَ النبيِّ، بلا جِدَال
١١ لَكنَّه قبل الدخول بها تَحلَّلَ واستَقَالَ[٤]
١٢ ذاكَ ابنُ شَرِّ[٥] الخلْقِ، ذاكَ عدوّ ربى ذِى الجلال
١٣ سَمِعَ النصيحةَ مِنْ رُءوسِ الشِّركِ أربابِ الضَّلال
١٤ وَابنُ الربيع فَقَدْ أَبَى لِلنُّصح مِنْ أهلِ الخيَال[٦]
١٥ قد ظلّ يُمسِكُ زَوْجَهُ، وَأَبَى يميلُ وَيُسْتَمال

---

(١) ابن الربيع – هو أبو العاص بن الربيع.

(٢) لما دعَا الهادى قريشاً – دعاهم لدين الإسلام.

(٣) من غير اعتلال – من غير أسباب.

(٤) تحلل واستقال – طلق زوجه رقية بنت رسول الله.

(٥) ابن شر الخلق – ابن أبى لهب.

(٦) من أهل الخيال – ذوى الخيال المريض.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٣٠٩ جـ ٢

قد كان بين الأسرى القرشيين، أبو العاص بن الربيع، كان من خيار الرجال فى مكة، هو صهر رسول الله ﷺ، زوج ابنته زينب الطاهرة، كان قد تزوجها قبل النبوة، وقبل أن يحدث الشقاق والعداء بين رسول الله ﷺ، وأهل مكة.

كان أبو العاص، من رجال مكة المعدودين، مالًا وأمانة وتجارة، أمه هالة بنت خويلد، خالته خديجة بنت خويلد زوج النبى ﷺ.

أما زينب فإنها منذ أن أكرم الله أباها بالنبوة، فإنها أسلمت لله، وآمنت وصدقت بكل ما جاء به رسول الله من عند ربه.. ولكن زوجها أبا العاص فإنه لم يسلم، وظل على كفره.

وكان عتبة بن أبى لهب خاطباً لإحدى بنات رسول لله ﷺ: هى رقية أو أم كلثوم.

وفى السيرة الحلبية أن ابنى أبى لهب كانا قد تزوجا بنتى رسول الله ﷺ: رقية وأم كلثوم.. فلما أكرم الله رسوله بالنبوة، ودعا قريشاً إلى الإسلام، وترك ما هم عليه من عبادة الأوثان، ناصبوه العداء، وحاولوا أن يكيدوا له بكل الوسائل.

فمن وسائل الكيد له، أنهم ذهبوا إلى أبى العاص بن الربيع فقالوا له: طلق بنت محمد ونحن نزوجك أى امرأة من قريش شئت، فأبى ذلك وقال: والله لا أفارق صاحبتى.. فكان رسول الله يثنى عليه فى صهره خيراً(١).

وأما ولدا أبى لهب فإنهما طلقا بنتى رسول الله.. قيل قبل الدخول بهما.

أرادوا بذلك أن يجعلوا رسول الله، يذوق هم العيال، فقالوا اشغلوه ببناته.

---

(١) ٤٥٣ جـ ٢ السيرة الحلبية بتصرف.

مقطع رقم ٣١٠ جـ ٢

العفو عن زوج زينب

١ هَذَا هُو ابنُ العاصِ ظَلَّ لِزَوْجِهِ نِعْمَ القَرِين[١]
٢ ظلَّت على إسلامِهَا فى صُحْبَةِ الزَّوْجِ الفَطِين
٣ لَم يَنْـزِل التحريـمُ بعْـد بانـفصَال[٢] العَاقِديـن
٤ قَدْ هاجَر الهَادِى، وتمَّتْ غَزْوةُ النّصرِ[٣] المبين
٥ وابنُ الربيع أتى أسِيراً فى الأسَارَى المشْرِكين
٦ هَذِى قُرَيْشٌ أرسَلَتْ تفدِى الأسَارَى الموسِرِين[٤]
٧ أمَّا عن الفُقراء لم يَأتُـوا إليهم طالِبين
٨ وابنُ الربيع فقدْ أتَى لِفدائِهِ شَيـءٌ ثمين
٩ كان الفِداءُ قلادةً مِنْ زوجِهِ بِنْتِ الأمين[٥]
١٠ كانت هديةَ أمِّها[٦] عند الزِّفَافِ على اليقِين
١١ لما رَآهَا المصطفى طافت بِهِ ذِكْرَى[٧] الحنِين
١٢ أوحَى إلى أصْحَابهِ قَوْلًا وكانُـوا سَامِعِين
١٣ رُدُّوا القِـلادَةَ إنْ تَشَاءُوا والأسير المسْتَعِين[٨]
١٤ قالوا : سَمِعْنَا، واستجَابُوا لِلنصيحةِ طائعين
١٥ قَدْ صارَ صِهْرُ المصطفى حُرّاً بِعَفْوِ المؤمنين

---

(١) نعم القرين – نعم الزوج وفاء لزوجه.

(٢) بانفصال العاقدين – بتفريق المتزوجين مختلفى الديانة.

(٣) غزوة النصر المبين – غزوة بدر الكبرى.

(٤) تفدى الأسارى الموسرين – الأغنياء.

(٥) بنت الأمين – بنت رسول الله.

(٦) هدية أمها – هدية أمها خديجة بنت خويلد.

(٧) ذكرى الحنين – ذكرى خديجة.

(٨) والأسير المستعين – هو أبو العاص زوج زينب.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٣١٠ جـ ٢

لقد ظل أبو العاص بن الربيع، مخلصاً لزوجه زينب بنت رسول الله ﷺ، فكان نعم الزوج لخير زوجة.

لقد أسلمت زينب رضى الله تعالى عنها، مستجيبة لدعوة أبيها محمد ﷺ.. أما زوجها فقد ظل على كفره، لكنه ظل على وفائه وحبه لها.. وقد ظلا معاً كل منهما على دينه، يعيشان تحت سقف واحد كزوجين متحابين، لا يعكر صفو حياتهما اختلاف معتقدهما.

وأيضا لم يكن قد جاء نص صريح يدعو للتفريق بينهما ومن هم مثلهما.

وهاجر المسلمون، وهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وتمت غزوة بدر الكبرى، ونصر الله رسوله والمسلمين على المشركين، وقتل من قتل من أشرافهم وساداتهم، وأسر من أسر.

وكان بين الأسرى أبو العاص بن الربيع، زوج زينب بنت رسول الله ﷺ، فأرسلت قريش تفدى أسراها من الأغنياء، أما الفقراء فظلوا فى الأسر، حيث لم يستطع أهلوهم على الفدية وهى أربعة آلاف درهم.

أما أبو العاص بن الربيع، فقد جاء لفدائه شيء ثمين، إنه قلادة زينب بنت رسول الله زوجه، أرسلت تفدى زوجها أبا العاص بها، هذه القلادة كانت هدية زواجها من أمها خديجة بنت خويلد.

فلما رأى رسول الله القلادة عرفها، وتذكر خديجة، وهاجت أشجانه، فترحم عليها، ورقّ لها رقة شديدة وقال لأصحابه: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا» فقالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه وردوا عليها الذى لها.. وصار ابن الربيع حراً بعفو رسول الله.

* * * * *

مقطع رقم ٣١١ جـ ٢

المشركون يحولون دون هجرة زينب

١ قالَ الرسولُ لِصِهْرِه قَوْلَ السَّمَاحَةِ فى رِضَاء
٢ أَرْسِلْ لِزينبَ ابنتى فَوْراً إذا شِئْتَ الوفاء
٣ فأجابَ لِلطلبِ الكريمِ بِغَيْرِ كُرْهٍ أو جَفَاء
٤ قَدْ أرسَلَ الهادِى بزَيْدٍ(١) مَعْهُ آخرَ أقْوِيـاء
٥ قالَ : اذْهَبَا وَلْتَبْقَيَا فى «بَطْنِ يأجج» فى الفضاء
٦ ذاكَ المكانُ بِقُرْبِ مكةَ، فَلْيَكُنْ ثَمَّ(٢) اللّقاء
٧ فَهُنَـاك تأتى زينـبٌ، فَلْتَصْحَبَاهَـا فى بطَـاء(٣)
٨ قد عاد صِهْرُ المصطفى مِنْ أَسْرِهِ دُون افتِداء(٤)
٩ أوْحَى لِزَوْجتهِ لِتَلْحقَ بالرسولِ كما تَشَاء
١٠ وأتى حَمُوهـا(٥) بالبعيرِ لِرِحْلَةٍ فيها العَنَـــاء
١١ فى هَوْدَجٍ قد أركبُوها فى النهار بِلَا خَفَاء
١٢ حَمَلَ السِّهامَ وَقَوْسَهُ يَحمى لزينب أَنْ تُساء
١٣ لحقُوا بزينب روّعُوها، أَجْهضتْ(٦) مِنَ اعتداء
١٤ لَكِنْ حَمُوهَا هَبَّ كالأسدِ الهصُورِ إلى الفِدَاء(٧)
١٥ نادى عليهم، فَلْتكفُّوا إنّ سَهْمِى كالبلاء
١٦ فَتراجعُوا خَوْفاً وكانُوا أهلَ جُبْنٍ أغْبِيَاء

---

(١) بزيد – هو زيد بن حارثة.

(٢) فليكن ثم اللقاء – هناك موعد للقاء.

(٣) فلتصحباها فى بطاء – لا تسرعوا فى السير.

(٤) دون افتداء – دون أن يدفع فدية.

(٥) حموها – شقيق زوجها.

(٦) أجهضت من اعتداء – أسقطت جنينها.

(٧) إلى الفداء – ليفدى زينب.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٣١١ جـ ٢

يوم أن عفا رسول الله ﷺ عن صهره أبى العاص، أخذ عليه شرطاً هو : أن يخلى سبيل زينب فقال له :

إن شئت أن تكون وفياً، عارفاً للجميل، فأرسل لنا زينب من مكة لتكون معنا هنا فى المدينة، فقال أبو العاص : سمعاً وطاعة.

أرسل رسول الله ﷺ، اثنين من أصحابه، ممن يثق فيهم قوة وأمانة وذكاء، هما : زيد بن حارثة، ورجل آخر من الأنصار، فقال لهما : «كونا ببطن يأجج – اسم مكان خارج مكة – حتى تمر بكما زينب، فتصحباها حتى تأتيانى بها».

وعاد أبو العاص بن الربيع، إلى مكة متحرراً من قيود الأسر، يحمل فى أعماقه العرفان بالجميل لكون محمد ﷺ، منّ عليه دون فدية.

منذ أن وصل أبو العاص إلى مكة قال لزوجه زينب : تجهزى للرحيل كى تلحقى بأبيك فى المدينة.

فلما فرغت زينب من جهازها، جاء إليها حموها كنانة بن الربيع، أخو زوجها، فقدم لها بعيراً فركبته، وأخذ قوسه وكنانته، ثم خرج بها نهاراً، يقود بها، وهى فى هودج لها.

تحدث بذلك رجال من قريش، فخرجوا فى طلبها حتى أدركوها بذى طوىً، فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود، فروَّعها هبار بالرمح وهى فى هودجها، قيل كانت حاملاً، فلما ريعت طرحت ذا بطنها، وبرك حموها كنانة بن الربيع فنثر كنانته ثم قال : والله لا يدنو منى رجل إلّا وضعت فيه سهما.. فتراجعوا عنه خوفاً وجبناً أن يرميهم بسهمه.

* * * * *

مقطع رقم ٣١٢ جـ ٢

خروج زينب إلى المدينة

١ نَادَى أبو سُفيان صاحبَ زيْنبٍ كُفَّ(١) النبال
٢ حتى نَجيئَكَ لا نُرِيدُ سِوى التَّفاهُم باعْتدال
٣ وأتى أبُو سُفْيان نحو حَمِيِّ زَيْنبَ حَيْثُ قال
٤ يا صاح إنك قدْ أسأْتَ بما صنَعْتَ بلا جدال
٥ إنَّا نُرِيدُكَ أن تَعودَ بها نَهاراً بامتثال
٦ حتى إذا هَدَأَ الحديثُ(٢)، خَرجْتَ ليلاً بانْسِلال
٧ لسنا نُرِيدُ بمنْعِها ثَأْراً فلسنا في خَبال
٨ لكِنْ أصابتْنَا المصيبَةُ من مُحمدٍ في القِتَال
٩ فإذا خرجْتَ بها نهاراً سَوفَ يتَّسِعُ المقال(٣)
١٠ ولسَوْفَ يُحكَى أنَّها خَرجَتْ على ذُلِّ الرجال
١١ لقد اسْتجابَ حَميُّ زينَب لِلْرجاءِ بِلا نِزَال
١٢ حتى إذا هَدَأَ الحديثُ وصَارَ كلٌّ في انْشغال
١٣ خَرَجَتْ ويَصْحبُها كنَانَةُ(٤) دون حَرْبٍ بالنِّصَال
١٤ وصلا لزيْدٍ في المكان(٥) ومنْهُ كان الارتحال
١٥ وصَلُوا المدينَةَ سَالمين، وقد أُصيبوا بِالكَلَالِ(٦)

---

(١) كف النبال – لا ترمنا بالنبل من قوسك.

(٢) إذا هدأ الحديث – ينسى الناس هذا الأمر.

(٣) سوف يتسع المقال – سوف يكثر القول والتكهنات.

(٤) كنانة – هو اسم حمى زينب.

(٥) وصلا لزيد في المكان – المكان المتفق عليه.

(٦) أصيبوا بالكلال – بالتعب.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٣١٢ جـ ٢

الرهط الذين لحقوا بزينب وحميها ليردوها إلى مكة، كان فيهم أبو سفيان بن حرب، فلما نثر ابن الربيع كنانته وقال لهم : إن دنا أحد منكم نحوى رميته بسهمى هذا فأقتله، تراجعوا .. وإذا أبو سفيان يناديه قائلًا : أيها الرجل، كُفَّ عنا نبلك حتى نكلمك.. فإنا لا نريد قتالًا ولا نبغيك شراً، فكف عنهم.

فأقبل أبو سفيان نحوه حتى وقف عليه فقال له : إنك لم تصب، خرجت بالمرأة على رءوس الناس علانية، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا، وما دخل علينا من محمد، فيظن الناس إذا أخرجت ابنة محمد إليه على رءوس الناس علانية من بين أظهرنا، إن ذلك منا ضعف ووهن.

ولعمرى مالنا بحبسها عن أبيها من حاجة، وما لنا فى ذلك من شفاء لثأرنا الذى لنا عند محمد.. ولكن ارجع بالمرأة، حتى إذا هدأت الأصوات، وتحدث الناس أن قد رددناها، فاخرج بها سراً فى غفلة عن عيون الناس، وألحقها بأبيها.

رضى ابن الربيع عن هذا الرأى، وعاد بزينب بنت رسول الله ﷺ، فأقامت بمكة ليالى، حتى إذا هدأت الأصوات، وصار الناس يتحدثون عن رجوع زينب يوم خروجها مع حميها، عنوة.. خرج بها ليلًا، حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه.. فأخذاها وانطلقا بها متوجهين نحو المدينة.. فقدما بها على رسول الله ﷺ.. وقد أصابهم كلال من مشقة السمر البعيد.

* * * * *

مقطع رقم ٣١٣ جـ ٢

سرية للانتقام ممن روَّعوا زينب

١ بعثَ النبيُّ سَريَّةً بَعْضَ الرِّجَالِ المُسْلِمين

٢ كانت وصيَّتُهُ فَكُونوا لابن أَسْوَدَ رَاصِدين

٣ هَبّار[١] لا، لا تَتْركوه، فذاك شرُّ الكافرين

٤ فإذا ظَفِرْتُم فاقتلوهُ، ولَا تكُونوا راحمين

٥ فَلْتحْرِقُوه فذاك روَّع[٢] ابنتى فى المُعْتَدِيـن

٦ فلقد رَمَى بالرُّمح هَوْدَجها كرمي القاتلين

٧ حتى رمَتْ ذا بَطْنِها[٣] رُعباً وقد ذهبَ الجنين

٨ وزميلُـه فَلْتحْرِقُـوهُ فذاكَ شرُّ المجرمين

٩ باتُوا وعند الصُّبح نادىَ المصطفى لِلْذَاهِبين

١٠ نَدِمَ الرَّسولُ على مقالتهِ بحرقِ الفَاجِرين

١١ من قَوْلِهِ : إنِّى أمرتُ بحرقِ بعضِ المفسِدين

١٢ لَا تفعلُوا، هذا عذابُ[٤] اللهِ ربِّ العَالمين

١٣ فإذَا ظَفِرتُمْ بابن أَسْودَ ذلِكَ الوغْدُ اللعِين!

١٤ فَلْتقْتلُوهُ ونافعاً[٥] يا بِئْسَ قَوْماً غادرين

١٥ قالوا : فَسَمْعَاً يا رسولَ اللهِ سمْعَ الطَّائِعِين

---

(١) هبّار – هو ابن الأسود.

(٢) روع ابنتى – أخاف ابنتى.

(٣) رمت ذا بطنها – أسقطت الجنين.

(٤) هذا عذاب الله – لا يعذب بالنار غير الله.

(٥) فلتقتلوه ونافعاً – نافع هو زميل هبار بن الأسود.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٣١٣ جـ ٢

ما أن وصلت زينب بنت رسول الله ﷺ إلى المدينة سالمة، حتى أخبرت أباها بما حدث لها بمكة عند خروجها، وعن الذين روعوها من هم.. فتألم ﷺ لذلك ألماً شديداً.

فوراً أرسل سرية للانتقام ممن روعوا ابنته زينب، وأوصاهم قائلاً: عليكم بهبار بن الأسود لا تتركوه، فارصدوه فإن ظفرتم به فلا ترحموه، بل احرقوه بالنار، ذلك لأنه روع ابنتى، لقد رمى هودجها بالرمح، فألقت ذا بطنها من شدة الرعب.

واقتلوا زميله مثله أيضاً، احرقوه بالنار، فكلاهما مجرمان.

قد بات الرجال على أنهم سيخرجون فى الصباح للمهمة التى كلفهم بها رسول الله ﷺ.. وفى الصباح أرسل رسول الله للرجال، وإذا به قد ندم على ما قاله لهم بالأمس، بأنهم إن ظفروا بهبار بن الأسود وزميله فليحرقوهما.. فقال: لا تفعلوا ما أمرتكم به أمس، فإنه لا يعذب بالنار إلا الله عز وجل.

ولنستمع إلى الرواية من أبى هريرة، فهو أحد أفراد السرية التى كلفت بتلك المهمة فيقول:.

«بعث رسول الله ﷺ سرية أنا فيها فقال لنا»

«إن ظفرتم بهبار بن الأسود أو الرجل الآخر الذى سبق معه إلى زينب، فحرقوهما بالنار» فلما كان الغد، بعث إلينا فقال: «إنى كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما، ثم رأيت أنه لا ينبغى لأحد أن يعذب بالنار إلا الله، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما» قالوا سمعا وطاعة يارسول الله.



مقطع رقم ٣١٤ جـ ٢

زينب تجير زوجها أبا العاص

١ ابنُ الربيعِ أبَى فظلَّ بِكُفْرِهِ في المشْرِكين
٢ والزَّوْجُ(١) صارتْ في رِحَابِ المصطفى الهادِي الأمِين
٣ قَدْ فَرَّقَ الإسلامُ(٢) بينهُمَا فصَارا بائِنِين
٤ لَكِنَّهُ بالحقِّ ظَلَّ بِقَلْبِهِ كُلُّ الحنين
٥ لَمْ يَنْسَ زَوْجاً أخلصَتْ فِيهَا وفاءُ الصَّادِقِين
٦ في رحلةٍ لِلْشامِ نادى مِثْلَ كُلِّ الذَّاهِبين
٧ يبغى التجَارَةَ إنَّهُ مِنْ خَيْرِهِمْ(٣) رَجلٌ فطِين
٨ جمعُوا له الأموالَ من كُلِّ الرِّجال الموسِرِين
٩ قد قابلتْهُ سريَّةٌ بعضُ الرِّجَال المسلِمين
١٠ قد فرّ بتـرك(٤) مَالَـهُ لما رَآهُمْ قَادِمين
١١ فَوراً توجَّهَ نحو زينبَ في المدينةِ يَسْتعين
١٢ قالتْ لَهُ : إني أجَرْتُكَ لا تَكُنْ في الخائِفين
١٣ المصطفى والصَّحْبُ كانوا في الصَّلَاةِ مُكَبِّرِين
١٤ وإذَا نِدَاءٌ جَاءَهُمْ كانُوا جَمِيعَاً سَامِعِين
١٥ إنِّي أجَرتُ(٥) ابنَ الربيعِ وإنهُ في الآمِنين
١٦ قَدْ كانَ هَذَا في صَلاةِ الصُّبحِ كانوا قَائِمِين
١٧ كانَ المنادِي زَيْنب هي بِنْتُ خَيْرِ المرْسَلِين

---

(١) والزوج – هي زينب بنت رسول الله.

(٢) قد فرق الإسلام بينهما – نزل الأمر بالتفريق بينهما.

(٣) من خيرهم – من خيرة رجال مكة.

(٤) فر بترك ماله – فر هارباً وترك تجارته للمسلمين.

(٥) أجرت ابن الربيع – صوت المنادى يقول هكذا.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٣١٤ جـ ٢

مما سبق، عرفنا أن أباالعاص بن الربيع، زوج زينب بنت رسول الله ﷺ، لم يسلم بل ظل على كفره.. وعرفنا أيضا أن زينب قد وصلت إلى المدينة فى صحبة زيد بن حارثة وصاحبه إذ أحضراها من مكة.

وعرفنا ما حدث لها عند خروجها فى صحبة حميها شقيق زوجها.

ظل أبو العاص بمكة مقيماً على كفره.. بينما زوجه زينب عند أبيها رسول الله فى المدينة.. وقد فرق الإسلام بينهما.

بيد أن أباالعاص ظل يحتفظ فى قلبه بأغلى الذكريات، وأسمى معانى الحب لزوجه المخلصة التى أحبها من كل قلبه، وأخلصت له كل الإخلاص.

وكان أبو العاص خبيراً بالتجارة، معروفاً بالأمانة بين قومه.. فأعلن فى مكة أنه يريد السفر للشام لأجل التجارة، فجمعوا له الأموال من أغنياء مكة، وتوجه إلى الشام.. وفرغ من تجارته وقفل عائداً.

فى عودته من الشام، متوجها إلى مكة، لقيته سرية لرسول الله ﷺ، فأصابوا ما معه، وأعجزهم هارباً، فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله، أقبل أبو العاص تحت الليل نحو المدينة، حتى دخل على زينب بنت رسول الله، فاستجار بها فأجارته.

فلما خرج رسول الله ﷺ، لصلاة الصبح، فكبر وكبر الناس معه، صرخت زينب من صفّة النساء فقالت : أيها الناس، إنى قد أجرت أباالعاص بن الربيع.

لقد سمع رسول الله ﷺ، وسمع أصحابه أيضاً نداء زينب رضى الله تعالى عنها.



مقطع رقم ٣١٥ جـ ٢

إمضاء إجارة زينب لزوجها

١ سَمِعَ النبيُّ نِداءَ زينبَ مِثْلَ كُلِّ السَّامِعِين
٢ مَا أَنْ أَتَمَّ صلاتَهُ الهادِى وكُلِّ المسْلِمِين
٣ فوراً توجَّهَ بالحديث إلى جميع الحاضِرِين
٤ مِنْ قَوْلِهِ : إنِّى سَمِعْتُ لابنتى[1] كالآخَرِين
٥ مِنْ قبلِهِ لَا عِلْمَ لى مما سمعْتُ على اليقِين
٦ وَلْتَعْلموا كَىْ لا تَكُونوا لِلْحقيقة جَاهِلين
٧ المسلِمُون دِمَاؤُهُم[2] صَارُوا سواءً أجمعِين
٨ ويجيرُ أدْنَاهُمْ عليهم فَلْتكُونُوا عَالمين
٩ دخلَ النبيُّ على المجيرَةِ[3] قال بالنُّصْحِ الأمِين
١٠ ياإبْنتِى فَلْتُكرِمِى مَثْوى المجارِ[4] المسْتَعِين
١١ لَكِنَّهُ لَا يَقْربنَّكِ[5] واحْذَرِى هَذَا مُشِين
١٢ قال النبيُّ إلى السريّةِ يَا رجالَ المؤمِنين
١٣ أَنْتُمْ بحقٍّ قَدْ غَدَوْتُم ثُمَّ جِئْتُمْ غَانمين
١٤ لَكِنْ أحِبُّ بأَنْ تَرُدُّوا لِلْغنِيمَةِ مُحْسِنين
١٥ وإذَا أبَيْتُمْ فَهْوَ فَىْءُ اللهِ حقُّ الكَاسِبِين
١٦ رَدُّوا لِصِهْرِ المصْطَفَى أموالَهُ مُتَنَازِلِين

---

(١) إنى سمعت لابنتى – سمعت نداء ابنتى كما سمعتم.

(٢) المسلمون دماؤهم صاروا سواء – المسلمون تتكافؤ دماؤهم.

(٣) المجيرة – هى ابنته التى أجارت زوجها، والمجيرة اسم فاعل مؤنث.

(٤) المجار – اسم فاعل وهو زوجها الذى أجارته.

(٥) لا يقربنك – مقاربة الزوج لزوجته.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٣١٥ جـ ٢

لقد سمع رسول الله ﷺ، وسمع أصحابه أيضاً نداء زينب حينما نادت قائلة : إني أجرت ابن الربيع، فلما أتم رسول الله صلاته بأصحابه، فوراً توجه بالحديث إلى أصحابه الحاضرين معه فقال لهم :

«أيها الناس، هل سمعتم ما سمعت؟!» قالوا : نعم، قال :

«أما والذى نفس محمد بيده ما علمت بشيءمن ذلك حتى سمعت ما سمعتم.. إنه يجير على المسلمين أدناهم».

بعد أن انتهى رسول الله ﷺ من الحديث لأصحابه، انصرف فدخل على ابنته زينب فقال لها : «أى بنية أكرمى مثواه، ولا يخلصن إليك، فإنك لا تحلين له».

فقالت : سمعاً وطاعة يارسول الله.

أرسل رسول الله ﷺ، يطلب الرجال الذين كانوا فى السرية الذين أخذوا أموال أبى العاص بن الربيع، فجاءوا إليه كلهم لم يتخلف منهم أحد.. فقال لهم :

«إن هذا الرجل – أبو العاص – منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالًا، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذى له، فإنا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فىء الله الذى أفاء عليكم، فأنتم أحق به».

قالوا : بل نرده عليه يارسول الله.. فإننا نحب ما تحب يارسول الله، فردّوا عليه ماله جميعه، بحيث إن الرجل كان يأتى بالدلو، ويأتى الرجل بالشنة والأداوه، حتى اكتمل له ماله بأسره، لا يفقد منه شيئاً.

* * * * *

مقطع رقم ٣١٦ جـ ٢

إسلام أبى العاص ورجوع زينب لعصمته

١ نجحتْ إجارةُ زينبَ لِابْن الربيع المسْتَجِير
٢ رِدُّوا إليه مَتَاعَهُ لم يَبْقَ مِنْهُ وَلَا[١] نَقِير
٣ قَدْ عادَ يحملُ مَالَهُ، قد كادَ مِنْ فَرَحٍ يَطِير
٤ أدَّى أمانتَهُ بمكَّةَ واسْتَرَاحَ بِهِ الضَّمِير
٥ مِنْ بَعْدِ أنْ أدَّى الأمانَةَ قالَ فِيهِمْ كَالنَّذِير
٦ يَاأَهْلَ مكَّةَ، هَلْ أخذتُمْ مَالَكُمْ حتَّى اليسِير؟!
٧ قَالُوا : نعم، جُوزِيتَ خيراً، نِعْمَتِ العملُ الكبير
٨ مِنْ ثَمَّ قالَ لهم : لقدْ آمنتُ بالدِّين النصير[٢]
٩ أرجأْتُ إسلَامِي بيثرِبَ خَشْيَةَ الظنِّ المثِير
١٠ كَيْ لَا يُقَالَ بأنني قد مِلْتُ لِلْمالِ الكثِير
١١ مَا كنتُ قَطُّ بأنْ أخونَ أمَانَتِي، هَذَا خَطِير
١٢ مَا جِئْتُ إلّا كَيْ أؤدِّى لِلْأمانةِ لَا أُضِير[٣]
١٣ حتَّى إذَا أدَّيْتهَا أسْلَمْتُ لِلْمَوْلى القَدِير
١٤ قَدْ عَادَ صِهْرُ المصْطَفَى فى قَلْبِهِ نُورٌ يُنِير
١٥ رَدَّ الرَّسُولُ إليهِ زوجتَهُ بِلَا عَقْدٍ أخِير[٤]

---

(١) ولا نقير – كناية عن الشيء الحقير التافه.

(٢) آمنت بالدين النصير – دين الإسلام دين الانتصار.

(٣) لا أضير – كى لا يضار أحد.

(٤) بلا عقد أخير – ردها إليه على العقد القديم.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٣١٦ جـ ٢

لقد نجحت زينب بنت رسول الله ﷺ، فى إجارتها لأبى العاص بن الربيع، فقد أقرها رسول الله على ما فعلت فقال لأصحابه : «المسلمون يجير عليهم أدناهم» فى ظل هذه الإجارة صار ابن الربيع آمناً.

واستجاب رجال السرية لرغبة رسول الله ﷺ، فأعادوا لأبى العاص بن الربيع كل ما أخذوا منه، بحيث لم يفقد منه شيئاً.. وعاد الرجل إلى مكة مملوءاً فرحاً وسعادة كونه استعاد المال الذى أخذ منه.

منذ وصوله مكة، أعطى المال لأصحابه، أعطى كل ذى حق حقه.. وبعد أن وزع الأموال على أصحابها، وقف فى الناس قائلاً :

يا أهل مكة، هل أخذتم أموالكم كلها؟! قالوا نعم، قال : هل بقى لكم عندى شيء؟! قالوا: لا، وجوزيت خيراً.

من ثم قال لهم : إذن فأخبركم أننى آمنت بدين الإسلام عن يقين وعن اقتناع، ولقد أرجأت إسلامى بيثرب خشية أن يقال عنى مالا أرضاه فى أمانتى.. إذ يقول قائلهم : إننى أسلمت لأستبيح أموالكم.

لا، لا والله ما كنت لأخون أمانتى قط، لأن خيانة الأمانة أمر خطير، والخيانة لا يأتيها رجل له خلق أو عقل أو ضمير.

وقد جئت مكة فقط لأجل أداء أمانتى، وأعطى الأموال لأصحابها، ولولا ذلك لبقيت فى المدينة مسلماً هنالك.

بعد ذلك عاد ابن الربيع إلى المدينة مسلماً، مملوءاً قلبه نوراً، ولما وصل المدينة رد الرسول ﷺ إليه زوجه، بلا عقد جديد.



مقطع رقم ٣١٧ جـ ٢

عمير وصفوان يتفقان على السوء

١ جُلُّ[١] الأسَارى أُطلِقُوا مِنْ بعدِ أنْ ذَاقُوا المصِير[٢]
٢ آلافُ أربع مِنْ دَرَاهِمَ فِدْيَةُ الرجلِ الأسِير
٣ البعْضُ قد عَجَزُوا فهذَا لَيْسَ فى طَوْقِ الكثِير
٤ مِنْ ثَمَّ صارَ فِدَاؤهُمْ ألفاً، فَذَا جِدٌّ يَسِير
٥ والعاجزُونَ عَنِ الفِدَاء وحالُهُمْ حالُ الفَقِير
٦ فَازوا بعَفْوِ المصطفى هُوَ صَاحِبُ القلْبِ الكبير
٧ وَهُناك عند البَيْتِ[٣] كان اثنانِ فى هَمْسٍ يُثِير
٨ صَفْوانُ[٤] يجلسُ مع عُمَيْرٍ[٥] إنهُ أمْرٌ عَسِير
٩ فتَحَادثا فى شأنِ بدْرٍ ذَاكُمُ الأمْرُ المُثِير
١٠ الاتفَاقُ يتـمُّ بينهمَـا على أمْـرٍ خَطِير
١١ هذا سيذهبُ نحو يثربَ يقتلُ الهَادِى البَشِير
١٢ ويقومُ صَفْوان بِحَمْلِ الدَّين عنْه كذا الصَّغِير[٦]
١٣ قَالَا : لِنَكْتُمْ أمرنَا عن كُلِّ ذِى عَيْنٍ بَصِير
١٤ قَدْ خابَ ظَنُّهما لَقَدْ عرفَ الرسُولُ مَنِ القَدِير

---

(١) جل الأسارى أطلقوا – معظمهم.

(٢) ذاقوا المصير – مرارة الأسر.

(٣) عند البيت – بيت الله تعالى، هو الكعبة بمكة.

(٤) صفوان – هو ابن أمية بن خلف.

(٥) يجلس مع عمير – هو عمير بن وهب.

(٦) كذا الصغير – كذا النفقة على أولاده الصغار.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٣١٧ جـ ٢

معظم الأسارى المشركين الذين أسرهم المسلمون فى بدر، أطلق سراحهم، وذلك بعد أن أديت عنهم الفدية التى أمر بها رسول الله ﷺ، على كل منهم، وهى أربعة آلاف درهم عن الأسير الواحد.

لقد خرج الأسرى الأغنياء من الأسر فقط، أمّا الفقراء فإنهم لم يستطيعوا أن يدفعوا الفدية المطلوبة منهم، فظلوا فى الأسر.

قرر رسول الله ﷺ تخفيف الفدية من أربعة آلاف درهم إلى ألف درهم فقط عن الأسير الواحد.

وبعد ذلك عفا رسول الله عمن لم يستطيعوا أداء ألف درهم فدية عن أنفسهم.

ونمد أنظارنا من المدينة نحو مكة المكرمة، وإذا اثنان من المشركين، يجلسان عند الكعبة يتحادثان، والاثنان هما : صفوان بن أمية بن خلف، وعمير بن وهب، والمعروف أن عمير بن وهب كان فقيراً، وله أولاد كثيرون، وكان شيطاناً من شياطين قريش، وكان ممن آذوا رسول الله وأصحابه فى مكة قبل الهجرة، وكان ابنه وهب بن عمير فى أسارى بدر، ولا يزال عند رسول الله فى المدينة.

كانا يتحادثان فى مأساة بدر، ومن قتل من أشرافهم فى بدر أيضاً.

فقال عمير : لولا دين علىَّ، وأولاد أخشى عليهم الضيعة، لذهبت إلى محمّد فقتلته فى المدينة.. فقال له صفوان : أما دينك فعلىّ أن أقضيه عنك، وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا.. وتعاهد الاثنان على كتمان هذا الأمر.. لكن الوحى الأمين أخبر رسول الله بذلك الاتفاق، بأمر الله العليم القدير.

* * * * *

مقطع رقم ٣١٨ جـ ٢

السلام تحية الإسلام

١ هَذا عُمَيْرٌ[1] جاء يَثْرِبَ كان يَبْغى الاعْتِداء
٢ مُتوشِّحاً بالسَّيْفِ يَنْوى قَتْلَ خَيْرِ الأنبياء
٣ فأنــاخَ ناقَتَــهُ رآهُ المسلِمُــون الأذْكِيــاء
٤ نفرٌ من الأصحابِ كَانُوا فى حديثِ الأصْدِقاء
٥ يَتذاكَرُونَ قِتَالَ بدْرٍ يوم نَصْرِ الأتْقِيــاء
٦ عُمَرٌ رآهُ فقال : هذا الكلبُ[2] عُنْوانُ الشَّقاء
٧ هذا اللعينُ أتى لشرٍ، فهو شرٌّ لَا مِرَاء
٨ عُمرٌ يَقُودُ لابنِ وَهْبٍ بالخشُونةِ والجفَاء
٩ وأتى به عِنْدَ الرَّسُولِ فقالَ : دعْهُ فَلا يُسَاء
١٠ فَلْتَدْنُ مِنِّى يا عُمَيْرُ.. دَنَا وحيَّا بانحِنَاء
١١ حيًّا، فقال : أنْعِمْ[3] صباحاً، لم يَجِئْ بعدُ المسَاء
١٢ قال النبيُّ : فتلْكَ لَيْسَ تحيةً عِنْدَ اللقاء
١٣ اللهُ أبْدلَنَا بِهَا خَيْراً، وَيَانِعْمَ العَطَــاء
١٤ اللهُ أعطَانَا السَّلامَ[4] تحيــةً فِيهَــا الوَفَــاء
١٥ إنَّ السَّلَامَ تحيــةٌ لِلْنَــاسِ فى دَارِ الجزَاء[5]

---

(١) عمير – هو عمير بن وهب من مشركى مكة.

(٢) هذا الكلب – يقصد عميرا المشرك.

(٣) أنعم صباحاً – هى تحية العرب قبل الإسلام.

(٤) أعطانا السلام – أى السلام عليكم ورحمة الله.

(٥) فى دار الجزاء – فى الجنة.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٣١٨ جـ ٢

لقد تمّ الاتفاق المريب الفاشل، بين اثنين حاقدين من مشركى مكة، إنهما حاقدان على الإسلام ونبى الإسلام.. هذان الاثنان هما : صفوان بن أمية بن خلف، وعمير بن وهب الجمحى.

أن يتحمل صفوان دين عمير فيقضيه عنه، ويعول عياله كعياله، ويقوم عمير ابن وهب مقابل هذا، بقتل محمد ﷺ.

شحذ عمير بن وهب سيفه، وجعل السم فى حديدته ليكون مجرد الجرح به قاتلا.. ثم انطلق إلى المدينة على ناقة له، فأناخ ناقته أمام مسجد رسول الله ﷺ، متوشحاً سيفه الذى شحذه وسقاه السم لقتل رسول الله.

كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه، فى نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما أراهم من عدوهم، فنظر عمر إلى عمير بن وهب حين أناخ ناقته فقال :

هذا الكلب، عدو الله عمير بن وهب، والله ما جاء إلا لشر، فهو الذى دار حول معسكر المسلمين فى بدر وحزرنا للقوم، ثم دخل عمر على رسول الله فقال له : يا نبى الله، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه، فقال رسول الله : «فأدخله على» فأخذ عمر بحمالة سيف عمير وجذبه بخشونة حتى أدخله على رسول الله، فلما رآه رسول الله قال : «أرسله يا عمر، ادن يا عمير» فدنا فقال : أنعموا صباحاً – وكانت هذه تحية أهل الجاهلية بينهم – فقال رسول الله : قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية أهل الجنة.

* * * * *

مقطع رقم ٣١٩ جـ ٢

عمير بن وهب عند رسول الله

١ هَذَا رَسُولُ اللهِ يَسْأَلُ، وابنُ وَهْبٍ إذْ يُجِيب
٢ مَاذَا أَتَى بِكَ يَا عُمَيْرُ؟! أجبْ بِصِدْقٍ لا يُرِيب
٣ فأجابهُ إنِّي أتيْتُ لِكَيْ أرَى وَلَدِى الحبيب
٤ هُو عندَكُمْ فى الأسْرِ طَالَ بَقَاؤه هذا مُرِيب
٥ قال النبىُّ : فَمَا تُرِيدُ بِذَلِكَ السَّيفِ العَضِيب[١] ؟!
٦ فأجابَ فى خُبْثٍ خبيثٍ، إنهُ رجلٌ لَبِيب[٢]
٧ لم تُغْنِ عنَّا يَوْمَ بدْرٍ، بئس أسْيافاً تُعيب
٨ قال النبىُّ له : بلى قَدْ جِئْتَ فى أمْرٍ رَهِيب
٩ فجلسْتَ عند البيتِ[٣] مع صَفْوان سِرًّا عن قَرِيب
١٠ فَذَكَرْتُمَا يوم الهزيمةِ يَوْمَ بدْرٍ والقَلِيب[٤]
١١ لَا شكَّ ذَاكَ اليوم يَكْمُنُ فى النفُوسِ[٥] فَلَا يَغِيب
١٢ الاتِّفَاقُ يَتم بينكُمَا عَلَى أمْـــرٍ غَرِيب
١٣ صَفْوانُ يحمِلُ عَنْكَ دَيْنَكَ والعِيالَ لِكَىْ تطِيب[٦]
١٤ مِنْ ثَمَّ جئْتَ تُرِيدُ قَتْلِى قد فَشلت وَلَنْ تُصِيب
١٥ اللهُ يحفظُنى، فَنِعْمَ الحافِظُ المَوْلى الرَّقِيب

---

(١) السيف العضيب – السيف القاطع.

(٢) رجل لبيب – لا يجد صعوبة فى الخروج من المأزق للباقته.

(٣) عند البيت – عند الكعبة فى مكة مع صفوان بن أمية.

(٤) يوم بدر والقليب – القليب هو البئر الذى ألقيت فيه جثث قتلى قريش.

(٥) يكمن فى النفوس فلا يغيب – لا يمكن لأحد أن ينساه.

(٦) لكى تطيب – تطيب نفسك وتذهب لمهمتك بقوة وعزم.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٣١٩ جـ ٢

لقد دار حوار بين رسول الله ﷺ، وبين عمير بن وهب القادم من مكة خصيصاً لقتله ﷺ.. فلنستمع إليه :

قال رسول الله بعد أن علم عمير بن وهب ما تحية الإسلام، وأنها السلام :

« فما جاء بك يا عمير ؟! » فقال : جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم – يقصد ولده وهب بن عمير – فأحسنوا فيه.

قال رسول الله ﷺ : « فما بال السيف فى عنقك ؟! » فقال فى خبث : قبحها الله من سيوف، إنها لا قيمة لها، وهل أغنت عنا شيئا يوم بدر ؟!.

قال رسول الله : « أصدقنى ما الذى جئت له ؟! » فقال عمير : ما جئت إلا لذلك.. لقد اشتد بى الشوق لرؤية ولدى فجئت لأراه، وعساى أن أوفق فى معافاته من الفدية التى لا أستطيعها.

قال رسول الله ﷺ : « بل قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت : لولا دين علىّ، وعيال عندى، لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك، على أن تقتلنى له، والله حائل بينك وبين ذلك ».

لقد فشلت خطتكم، وخاب مسعاكم، فإن الله عز وجل قادر على حمايتى وحفظى من كل الذين يغوننى سوءاً وشراً مثلك ومثل صاحبك يا عمير.

* * * * *

مقطع رقم ٣٢٠ جـ ٢

إسلام عمير بن وهب

١ قَدْ أخبرَ الهَادِى عُمَيْراً عَنْ حدِيثِ الهامِسِين[١]
٢ ذاكَ الحديثُ جَرَى بَعِيداً عَنْ سَمَاعِ السَّامِعِين
٣ فى دَهْشةٍ لم يَسْتَطِعْ إخفَاءَهَا كَالمعْجَبِين
٤ وإذَا بِهِ قَدْ أعلَنَ الإسْلَامَ فَوْراً لِلأمِين
٥ قد قالَ: أشْهدُ صَادِقاً بِكَ يَا رَسُولَ العَالمين
٦ أخبرتَنِى عن اتفَاقٍ كانَ فى سِرٍّ دَفِين
٧ قد كنتُ مع صفوانَ نَنْأى عَنْ عُيُونِ النَّاظِرِين
٨ كُنَّا بَعِيداً عَنْ عُيُون أوْ سَمَاعِ الآخَرِين
٩ لَا شَكَّ أنَّ اللهَ جَاءَك[٢] بالحقيقَةِ واليَقِين
١٠ حَمْداً لِربِّى إذْ هَدَانى صِرْتُ بَيْن المهْتَدِين
١١ قَدْ سَاقَنِى هَذَا المسَاقَ لِكَىْ أُرَى النُّور المبِين
١٢ قال النبىُّ إلى الصَّحَابةِ، حَيْثُ كَانُوا حَاضِرِين
١٣ هذا أخُوكم فَقِّهُوهُ وعلِّمُوه لِيسْتَبِين
١٤ وَلْتُطْلِقُوا لِأسِيرِهِ[٣] فَوْراً أجابُوا طَائِعِين

---

(١) عن حديث الهامسين – عن الاتفاق الذى جرى بينه وبين صفوان.

(٢) لا شك أن الله جاءك بالحقيقة – أى أخبرك بالحقيقة.

(٣) ولتطلقوا لأسيره – أطلقوا له ولده الأسير.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٣٢٠ جـ ٢

لقد استمعنا للحوار الذى دار بين رسول الله ﷺ، وبين عمير بن وهب، القادم من مكة شاحذاً سيفه وهمته معاً لقتل خير خلق الله قاطبة، محمد ﷺ.

وسقط فى يد عمير حينما أخبره رسول الله بالاتفاق الذى تم بينه وبين صفوان ابن أمية، ولم يكن قد سمعه أو علم به أحد سواهما.

وكما علمنا، فقد اتفق الاثنان حين كانا جالسين منفردين عند الحجر فى الكعبة، إذن فالأمر جدّ ليس هزلًا، إنه أيضاً فوق الطاقة البشرية، ومحمد هذا ليس دعيّاً ولا كذاباً، لا شك أن الذى أخبر محمداً بهذا هو الله!!.

هذا الحديث كان يدور فى أعماق عمير، بعد أن أخبره رسول الله باتفاقه مع صاحبه صفوان بن أمية.

فقال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يارسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحى، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إنى لأعلم ما أتاك به إلا الله عز وجل.

فالحمد لله الذى هدانى للإسلام، وساقنى هذا المساق.. ثم شهد شهادة الحق، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «فقهوا أخاكم فى دينه، وأقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره».

يالله!! قد كان عمير بن وهب قادماً من مكة يحمل بين جنبيه قلباً مملوءاً حقداً وعداء للإسلام ونبى الإسلام، ويتمنى أن تتاح له الفرصة ليقتل محمداً، ولو أعطى حياته ثمناً لهذا، فلما عرف الحقيقة، بادر بالدخول فى الإسلام، وأصبح واحداً من المسلمين، وتبدل عداؤه للإسلام ونبى الإسلام حباً.

* * * * *

مقطع رقم ٣٢١ جـ ٢

عودة عمير بن وهب لمكة داعية

١ قَالَ ابنُ وَهْبٍ[(١)] لِلْنبيِّ بِلَهْجَةِ المتـــدِّمِين
٢ يَا خَيْرَ خَلْقِ اللهِ إنى كُنْتُ شَرَّ الكَافِرِين
٣ قد كُنْتُ خصْماً عَاتِياً للهِ ثُمَّ المسْلِمِين
٤ بَلْ كنتُ أعملُ جَاهِدَاً كَيْ أُطْفِيء النُورَ المبِين
٥ مُرْنى لأدْعُو أَهْلَ مَكَّةَ، مِنْ كِبَارِ المشْرِكِين
٦ فَلَعلَّهُــمْ أَنْ يُؤْمِنُــوا باللهِ ربِّ العَــالمين
٧ أوْ سَوْفَ أُوذِيهِمْ كما آذيتُ قبلُ المؤمنين
٨ قالَ الرسولُ لَهُ : لِتذْهَبْ فادْعُ كُلَّ الغَافِلين
٩ قَدْ ظَلَّ[(٢)] صَفْوانُ بِمكَّـةَ، حالماً فى الآمِلين
١٠ قد كان ينتظِرُ ابنَ وَهْبٍ يقتلُ الهادِى الأمِين
١١ ويقولُ لِلْكُفَّارِ : سَوْفَ يجيئكُمْ خَبَرٌ يَقِين
١٢ قَدْ ظَلَّ يسألُ عَنْ عُمَيْرٍ كُلَّ رَكْبٍ[(٣)] قَادِمين
١٣ وإذا عُميرٌ جاءَ لَكِنْ داعِياً فى المصْلِحِين
١٤ يدعو لِدينِ اللهِ بالحسْنَى ويُؤْذِى[(٤)] المعْرِضِين
١٥ قد أسلمَ العددُ الكثيرُ، فَأَصْبَحُوا فى المهْتَدِين

---

(١) ابن وهب – هو عمير بن وهب.

(٢) ظل صفوان – هو صفوان بن أمية.

(٣) كل ركب قادمين – الركب جمع راكب، أى يسأل القوافل.

(٤) ويؤذى المعرضين – الذين يعرضون عن سماع كلمة الحق.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٣٢١ جـ ٢

قد أعلن عمير بن وهب إسلامه، بين يدى رسول الله ﷺ، وأمر رسول الله بإخلاء سبيل ولده وهب بن عمير من الأسر، عفواً دون فدية تدفع عنه.

فقال عمير: يارسول الله، إنى كنت حرباً على الله ورسوله، وكنت جاهداً على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله عز وجل.. وأنا أحب أن تأذن لى يارسول الله، فأقدم مكة فأدعو أهلها إلى الله تعالى، وإلى رسوله ﷺ، وإلى الإسلام، لعل الله يهديهم إلى الإسلام، وإلّا آذيتهم كما كنت أوذى أصحابك من قبل فى دينهم.

قال له رسول الله ﷺ: اذهب فادعهم، فلعلهم أن يفيقوا من غفلتهم، ويروا الحقيقة التى عموا عنها، فيهتدوا إلى نور الإسلام.

وكان صفوان بن أمية هنالك فى مكة، ينتظر خبراً يثلج صدره الذى تتأجج فيه نار العداء والحقد للإسلام ونبى الإسلام.. ذلك الخبر هو: أن يكون عمير بن وهب تمكن من قتل محمد بسيفه المسموم.

وكان يقول لأهل مكة: أبشروا بواقعة تأتيكم الآن فى أيام تنسيكم وقعة بدر.. وصار يتعرض للركبان القادمين من المدينة، فيسألهم عن أخبار عمير بن وهب صاحبه.

وبينما هو فى لهفته ينتظر أخبار عمير صاحبه، وإذا عمير قدم مكة، ولكن فى صورة غير التى ينتظرها صفوان صاحبه، إن عمير بن وهب جاء داعية لدين الإسلام، يدعو المشركين ليدخلوا فى الإسلام.

صار عمير يدعو أهل مكة للإسلام، ويؤذى من خالفه أذى شديداً، فأسلم على يديه ناس كثير.

مقطع رقم ٣٢٢ جـ ٢

عمير بن وهب رأى إبليس يوم بدر

١ يَرْوى عُمَيرٌ أنهُ الرَّائى لإبلِيسَ اللــعِين
٢ قد كانَ هَذَا يوْمَ بدْرٍ يَوْمَ غَرِّ[1] المشْرِكين
٣ إبليسُ يبْدُو يوْمَها فى شَكْلِ أحَد الكَافِرين
٤ فى شَكْلِ مَنْ يُسْمى[2] سُراقَة فى الرِّجالِ البارزين
٥ قالَ اللعينُ لَهُمْ : فإنِّى جَارُكم فى المخلِصين
٦ لَا ، لَا تخافوا مِنْ بَنِى بَكْرٍ[3]، فكُونُوا آمنين
٧ فَلْتأْمَنُوا مِن غَدْرهِمْ، كُونُوا لِقَوْلى مُدْرِكِين
٨ فَلْتقْتُلُوا أعْدَاءَكُـم، وَلتمحَقُوهُـمْ أجمَـعِين
٩ لما رَأى الملعُونُ جُنْدَ اللهِ كَانُـوا نازِلين
١٠ جَاءُوا بِأمْرِ اللهِ إمْـدَاداً لجيشِ المسْلِـمِين
١١ كَانُـوا مَلَائِكَـةً كِرَامـاً لِلْـرَّسُولِ مؤيِّديــن
١٢ نَكَصَ اللعينُ[4] وَقالَ : إنى قَدْ أرَى فى النَّاظِرِين
١٣ إنى أرَى مَا لا تَرَوْن، أخافُ رَبَّ العالمين
١٤ قَد ظَلَّ يَظْهرُ فى المَنَازِلِ فى طَرِيق الذَّاهبين
١٥ قد غرَّهُمْ ذَاكَ اللعينُ فأُورِدُوا فى الهَالِكِين

---

(١) يوم غر المشركين – قال لهم : لا تخافوا إننى معكم.

(٢) من يسمى سراقة – ظهر لهم فى هيأة سراقة ليساندهم.

(٣) لا تخافوا من بنى بكر – اسم قبيلة كانت تخشاها قريش.

(٤) نكص اللعين – من وحى الآية الكريمة رقم ٤٨ الأنفال.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٣٢٢ جـ ٢

لقد قص المولى علينا فى القرآن الكريم، أن إبليس اللعين ظهر للمشركين وهم ذاهبون للقتال إلى بدر، ظهر فى شكل رجل معروف ذى صيت وجاه وعصبة قوية، فشجعهم على الذهاب إلى بدر، وقال لهم :

لا تخافوا غدر خصومكم بنى بكر.

فيقول عمير بن وهب – وهو واحد ممن رأوا إبليس يومذاك فى صورته التى ظهر بها يوم بدر – لقد رأيت اللعين حين ظهر فى شكل سراقة بن مالك، وذلك حين كنا ذاهبين إلى بدر.

فلقد قال عدو الله للمشركين : أنتم الغالبون، وإنى جار لكم، ولا تخافوا غدر خصومكم بنى بكر، فسوف أحمى ظهوركم من غدرهم فعليكم بمحمد وأصحابه، فامحقوهم ولا تتركوا منهم أحداً.. فلما رأى عدو الله الملائكة نازلين من السماء جماعات، لينصروارسول الله ودينه والمسلمين، نكص على عقبيه وقال:

إنى قد رأيت ما لا ترون، إنى أخاف الله، إنه شديد العقاب.

لقد ظل عدو الله يرافق المشركين فى مسيرتهم، وهم ذاهبون إلى بدر، يظهر لهم فى كل منزل ينزلونه، ويؤكد لهم أنه سوف يحميهم.

لقد غرهم عدو الله حتى ساقهم إلى حتفهم وهلاكهم.. ولا غرو فقد كان إبليس اللعين بصنيعه هذا، واحداً من أصابع القدر التى هيأت ومهدت لالتقاء الجيشين، حتى يتم ما قدره الله فى سابق علمه، ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيا من حيّى عن بيّنة، وهذا هو نص الآية الكريمة «وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنى برىء منكم إنى أرى مالا ترون إنى أخاف الله والله شديد العقاب» آية رقم ٤٨ سورة الأنفال.

مقطع رقم ٣٢٣ جـ ٢

الأسير يُعَلِّمُ عشرة ليفدى نفسه

١ وَهُنَاكَ قَوْلٌ قِيلَ فى الأَسْرَى مِنَ المتحَدِّثين[١]
٢ كان الفِدَاءُ عَنِ الأَسِيرِ يَفُوقُ طَوْقَ المُعْدِمِين[٢]
٣ القَادِرُونَ على الفِدَاءِ.. لَقَدْ غَدَوْا[٣] مُتَحرِّرين
٤ والمعْدِمُــونَ فَإِنَّهُــمْ ظَلُّــوا بِأَسْرٍ قَابِــعِين
٥ قَالُوا عَنِ الأَسْرَى : فَقَدْ كَانُوا مِنَ المتعَلِّمِين
٦ عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ أنهُمْ كَانُوا لِعِلْمٍ حَائِزِيـن
٧ أَهْـلُ المدِينـةِ أنهُمْ كَانُـوا كَثِيراً جَاهِـلِين
٨ لَا يَعْرِفُـونَ قِرَاءةً أَيْضاً وَلَيْسُوا كَاتِــبين
٩ الأَمْرُ أصدرهُ النبى إلى الأسـارى المشْرِكين
١٠ مَنْ شَاءَ يَفْدى نَفْسَهُ مِنْ أَسْرِنا كالمفْتدِين
١١ فعَلَيْهِ تعليــمٌ لِعَشْرٍ مِنْ بَنِين المسْلــمين
١٢ فَإِذَا أجـادُوا للْقِــرَاءَةِ والكِتَابَــةِ أَجْمَــعين
١٣ هَذَا يَكُـونُ فِداءَهُ ويَعُــودُ لِلْبلـــدِ الأَمِين
١٤ زَيْدُ بنُ ثابتٍ كانَ ممن عُلِّموا، لِلْسَّائلين[٤]

---

(١) من المتحدثين – أى رواة التاريخ.

(٢) المعدمين – الفقراء.

(٣) لقد غدَوْا متحررين – أعطوا الفدية وأصبحوا أحراراً.

(٤) للسائلين – لمن أراد أن يسأل ويتبين.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٣٢٣ جـ ٢

مما سبق علمنا أن رسول الله ﷺ، جعل فدية الأسير الواحد أربعة آلاف درهم.. هذا بالنسبة لذوى اليسار من أهل مكة ومن عجز عن الأربعة آلاف، فكان يقبل منه ثلاثة آلاف والفين والف درهم، وأولئك هم الفئة الثانية.

وهناك فئة ثالثة، لا يملكون شيئاً، ولم يأت أحد من أهليهم ليفدوهم، فمنّ عليهم رسول الله ﷺ وعفا عنهم هكذا قرر ابن هشام.

وهناك رواية أخرى، وهى مشهورة، تتردد على ألسنة الخطباء والمحدثين وهى: أن الذين لم يستطيعوا أداء الفدية عن أنفسهم، ولم يأت أحد من أهليهم ليفديهم، طلب رسول الله ﷺ من كل منهم أن يعلم عشرة من أبناء المسلمين، حتى يجيدوا القراءة والكتابة، فمن فعل ذلك، كان هذا فداءه(١).

ذلك لأن أهل مكة يقال عنهم أنهم كانوا حريصين على تحصيل العلم، فمن ثم كان معظمهم يجيدون القراءة والكتابة.

أما أهل المدينة فلم يكونوا كذلك.. لقد كانوا منصرفين إلى التجارة والزراعة.. وكانوا يفضلون دراسة فنون القتال، لأنهم كانوا دائما فى حروب متوالية.. وتارات قديمة فيما بينهم، لم تهدأ ولم تنطفىء جذوتها إلا حينما قدم رسول الله ﷺ المدينة مهاجراً، فأصلح بين الأوس والخزرج، وذلك مما حكاه الله لنا فى القرآن الكريم.

* * * * *

---

(١) صفحة ٤٥١ الجزء الثانى من السيرة الحلبية.

مقطع رقم ٣٢٤ جـ ٢
غزوة بدر فى سورة الأنفال

١ فى سُورة الأنفال تَحْكِى أمْرَ بَدْرٍ وَالقِتَال
٢ المسلِمُون تَحَاوَرُوا[١] عند الغَنِيمةِ بالجِدَال
٣ لَكِنَّ رَبَّ العَرْشِ أنْزَلَ قَوْلَهُ للامتثال
٤ إنَّ الغَنَائم لِلإله[٢] وَلِلرَّسُول فَلَا مَقَال
٥ المصْطَفَى قسَمَ الغَنَائِم كُلَّهَا بَيْنَ الرِّجَال
٦ لم يَخْرُج الهادِى مع الأصحابِ مِنْ أجلِ النِّزال[٣]
٧ كَانُوا يُرِيدُون التجَارة، بَلْ وَقَافِلَةَ الجِمَال
٨ لَكِنَّ ربَّ العَرْشِ شاءَ بِسَحْقِ أرباب الضَّلال
٩ والحَقُّ يُعْلَى حيثُ لا يُعلى عليه وَلَا[٤] يُدال
١٠ لَازالتِ الأنفَالُ تحكى قَوْلَ ربى ذى الجلال
١١ إذْ تستغِيثُونَ الإله[٥]، فجاءكُمْ مَدَدُ[٦] النِّضَال
١٢ والأمْنُ يَغْشَاكم نُعَاساً فاسْترحْتُمْ مِنْ كَلَال
١٣ مطرٌ تَنَزَّلَ كى يُزِيلَ الخوْفَ ثُمَّ الاغتسال
١٤ رُعْبٌ أصابَ المشْرِكِينَ وَقُتِّلوا بِئْسَ المآل
١٥ وإذَا التقيْتُمْ فَاثْبتُوا فى الحرْبِ مِنْ غير انخِذَال
١٦ مَنْ ينخَذِلْ فى الحَرْبِ يَخْلُدْ فى جَهنَّمَ وَالوَبَال

---

(١) تحاوروا — تناقشوا واختلفوا أيهم أحق بالغنيمة.

(٢) للإله وللرسول — من وحى أول سورة الأنفال.

(٣) من أجل النزال — لم يكونوا خارجين لمنازلة الأعداء.

(٤) ولا يدال — لا يُغلب ولا يُقهر.

(٥) إذ تستغيثون الإله — الأبيات من ١١ — ١٦ من وحى الآيات ٩— ١٦ من سورة الأنفال.

(٦) مدد النضال — هم الملائكة.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٣٢٤ جـ ٢

كما قدمنا فى المقطع ٢٩٩ من هذا الجزء، فإن المسلمين اختلفوا عند تقسيم الغنائم يوم بدر، وانقسموا إلى ثلاث فرق، كل فرقة تدعى أنها الأحق بالغنيمة دون الآخرين.

وقد أنزل الله سورة الأنفال، فافتتحها بذكر الخلاف الذى حدث بين المسلمين على الأنفال، فجاء به على صورة تساؤل وجوابه، فكان الجواب، أن الغنائم لله وللرسول، فلا تختلفوا يا مسلمون بل أصلحوا ذات بينكم، وكونوا دوماً فى طاعة الله ورسوله إن كنتم مؤمنين.

وبرغم هذا، فقد قسم رسول الله الغنائم بين المسلمين على السواء ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ، لم يخرج بأصحابه من المدينة لأجل القتال، لا وإنما كان خروجه بهم لأجل قافلة التجارة التى يقودها أبو سفيان.

بيد أن الله عز وجل قرر أن يهزم الشرك وأهله، على أيدى أهل التوحيد والإيمان والحق.. فالحق لابد من انتصاره على الباطل، مهما قويت شوكته، وعظم شأنه.

وقد استرسلت سورة الأنفال، تقص على سمع العالم لحناً شجياً يهز المشاعر والقلوب، ويطرب له المؤمنون كلما سمعوه.. فرسول الله ﷺ يستغيث ويطلب المدد من مولاه، والنصر الذى وعده إياه.. فيأتيه المدد ألفاً من الملائكة مردفين.. ونعاساً يغشى المؤمنينليناموا آمنين.. ومطراً ينزل ليشربوا ويغتسلوا، وتصلح الأرض للمسير عليها.. ورعباً أنزله الله فى قلوب المشركين.. ووصية للمؤمنين بألا يفروا أمام المشركين فى القتال، فمن فرّ فإنه يخلد فى جهنم.

* * * * *

مقطع رقم ٣٢٥ جـ ٢

لانزال مع سورة الأنفال

١ لَازَالتِ الأنفالُ تحكِى قِصَّةَ النَّصْرِ المبين

٢ المصْطَفَى يَرْمِى بحصْبَاء[١] وُجُوهَ المشْرِكِين

٣ فَأصَابهُم رُعْبٌ فوَلَّوْا فى البَرَارِى مُدْبِرِين

٤ هِىَ رَمْيَةُ المولى وكانتْ لانْتِصَارِ المسْلِمِين

٥ وَاسْتَفْتَحُوا[٢] عِنْدَ القِتَالِ، فأُهْلِكُوا فى الهالِكِين

٦ إنْ تَنْتَهُوا فَالخَيْرُ نِلْتُمْ، أوْ تَعُودُوا خاسِرِين

٧ مَهْمَا تَكُونُوا كَثْرَةً، فَالنَّصْرُ حَقٌّ المؤْمِنِين

٨ قَدْ كانَ هَذَا قَوْل ربِّى فى خِطَابِ المجرمين

٩ اللهُ نَادَى المؤْمنِينَ بِأنْ يَكُونُوا طَائِعِين

١٠ لَا، لَا تَكُونُوا كَالذِينَ لِسَمْعِهِمْ مُتَنَكِّرِين

١١ هُمْ كَالبَهَائِم يَجْهَلُونَ الحقَّ لَيْسُوا فَاهِمِين

١٢ وَإذَا دُعِيتُمْ لِلْقِتَالِ فَلَا تَظَلُّوا قَاعِدِين

١٣ وَلْتَذْكُرُوا، كُنْتُم ضِعَافاً، فَانْتَصَرْتُمْ غَالِبِين

١٤ لَا، لَا تَخُونُوا لِلأمَانَةِ وَلْتَكُونُوا صَادِقِين

١٥ مَكَرُوا لِقَتْلِ مُحَمَّدٍ، وَاللهُ خَيْرُ الماكِرِين[٣]

---

(١) يرمى بحصباء – الحصباء، تراب فيه حصى من على وجه الأرض.

(٢) واستفتحوا عند القتال – أى طلبوا من الله القضاء عند بدء القتال.

(٣) الأبيات من ٢ – ١٥ من وحى الآيات ١٩ – ٣٠ سورة الأنفال.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٣٢٥ جـ ٢

هانحن لا نزال مع سورة الأنفال، وهى تحكى لنا قصة غزوة بدر، فتجعلنا كأننا نراها رؤيا عين، وذلك ببيانها المشرق البليغ الذى يأخذ بمجامع القلوب، ويوحى بكثير من المعانى.

فحينما التقى الجيشان يوم بدر، أخذ رسول الله ﷺ حفنة من التراب المختلط بالحصى الصغير، فرماها فى وجوه المشركين وهم مقبلون، فأصابت عيونهم ووجوههم، فنشأ فى قلوبهم رعب أوقعه الله فى نفوسهم، فولوا هاربين، تاركين وراءهم أمتعتهم، بل مجدهم وكبرياءهم.

لذلك، فهى رمية المولى عز وجل «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى... الخ» فكانت سبباً فى الانتصار الذى تم للمسلمين يومذاك.

وعند التقاء الجيشين وقف عدو الله أبو جهل يستفتح بدعاء الإنصاف، فيقول: اللهم أقطعنا للرحم، الآتى لقومه بمالا يعرف، فأحِنْه الغداه - أى أهلكه - فأصابه هذا الدعاء، فهلك.

وتخاطب الآيات مشركى مكة، بالتهديد والوعيد الشديد «إن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين» آية رقم ١٩ سورة الأنفال.

ثم تخاطب المؤمنين فتأمرهم بطاعة الله ورسوله، فلا تفعلوا كما يفعل المشركون، فالمشركون كالدواب التى لا تعقل، لذلك أخرسهم لأنهم لا خير فيهم.. واستجيبوا لرسول الله إذا دعاكم، فقد كنتم قليلًا خائفين فآواكم ونصركم.. ولا تخونوا أماناتكم التى حملتموها.. وقد مكر المشركون برسول الله ليقتلوه أو يثبتوه أو يخرجوه، فكان الله أشد مكراً من مكرهم.

* * * * *

مقطع رقم ٣٢٦ جـ ٢
وأيضاً مع سورة الأنفال

١ لقد الْتقى الجيشَانِ فى بَدْرٍ بِتقْدِيرٍ[١] مَتِين

٢ فى العَدْوَتينِ[٢] تقابلُوا لِلْحَرْب كَانُوا عَازِمين

٣ هَذِى الرِّجَال تَقَابَلُوا والعِيرُ[٣] فرُّوا هَارِبين

٤ اللهُ شاءَ لِيلْتَقُوا، ويتمَّ نَصْرُ[٤] المؤمِنين

٥ المشْرِكونَ بَدَوْا قليلًا فى المنام إلى الأمِين

٦ والمسْلِمُون بَدَوْا قَلِيلًا فى عُيُونِ المشْركين

٧ لِيتمَّ أمْرُ اللهِ فى أهْلِ الضَّلالِ المجرِمين

٨ اللهُ ينصحُ بالثباتِ لِيصْبِرُوا كَمُقَاتِلين

٩ لَا، لَا تكونوا كالرجالِ الخَارِجين مُفَاخِرين

١٠ وَإذَا ظَفِرتُم فى القِتَالِ فَبطْشَةً بالفَاجِرين

١١ وَلْتَسْتَعِدُّوا بالسِّلَاحِ وَبالخُيُولِ كَمُرْهِبين

١٢ إنْ يَجنَحُوا لِلْسِّلْمِ فَاجْنَحْ شيمةُ المتوكِّلين

١٣ وَإذَا أَرَادُوا خُدْعَةً فاللهُ حَسْبُ المخلصين

١٤ أموالُ كُلِّ الأرْضِ لَوْ أنفقْتُمُوهَا بَاذِلين

١٥ مَا ألَّفوا لِقُلُوبِهِمْ واللهُ خَيْرُ الشَّاهِدِين

١٦ لَكِنَّ رَبَّ العَرْشِ ألَّفَ لِلْقُلُوبِ الحاقِدِين

---

(١) بتقدير متين — محكم.

(٢) فى العدوتين — حافتا الوادى.

(٣) والعير فروا هاربين — هم عير التجارة.

(٤) ويتم نصر المؤمنين — الأبيات من ١ — ١٦ من وحى الآيات ٤٢ — ٦٣ من سورة الأنفال.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٣٢٦ جـ ٢

هانحن لا نزال مع سورة الأنفال، نتمتع بما توحى آياتها من معان شريفة سامية، مشرقة بالنور، فتمس الوجدانات، وتوقظ الهمم، وتنقل الإنسان المسلم ببلاغة معانيها إلى جو المعركة حتى لكأنه يرى بعينى رأسه، بريق السيوف، والغبار يحجب الرؤية ويزكم الأنوف.. وصهيل الخيل يمتزج مع صيحات الرجال.

لقد تقابل الجيشان على غير موعد محدد بينهما، وفى نفس الوقت كانت قافلة التجارة قد أفلتت.. ولكن الله عز وجل هو الذى قدر هذا اللقاء وحدده، ليتم ما قرره وقدره، وينتصر دينه ورسوله والمؤمنين معه.

من حكمة الله البالغة، أن المسلمين حين التقوا بالمشركين، رأوهم قليلين، وذلك لكى يتشجعوا ويقدموا غير خائفين من عدوهم، والمسلمون أيضاً بدوا فى أعين المشركين قليلين، وذلك لكى لا يفروا رعباً من لقائهم بالمسلمين.. فهذا اللقاء فيه قدرهم، وفيه حتفهم ومحقهم.

ويتكرر النصح للمسلمين بالثبات فى مواجهة الأعداء، وذكر الله عند لقاء العدو فيه شحذ للهمم وقوة للقلوب.. ولا غرو فأنتم تقاتلون لنصرة الحق، أما خصومكم فهم خارجون للتفاخر والمراءاة والصد عن سبيل الله.. ولتكونوا دوما مستعدين للقتال، واحرصوا على اقتناء السلاح والخيول.. وإن رأيتم من عدوكم ميلًا للسلام فاقبلوه.. وإن كانوا ينوون الغدر بك يا محمد فلا تخف، فإن ربك الذى نصرك عليهم قادر على حمايتك من غدرهم وخيانتهم.

ثم تعود الآيات بالذاكرة إلى الوراء قليلًا، حينما قدم رسول الله من مكة مهاجراً إلى المدينة، فأصلح بين قبيلتى الأوس والخزرج، برغم ما كان بينهم من دماء وتارات قديمة ما كان أحد يظن أن صلحاً يمكن أن يتم بينهم، ولكن الله ألف بينهم بك يا محمد، فصاروا إخوة متحابين.

مقطع رقم ٣٢٧ جـ ٢
المسلم كفؤ لعشرة كافرين

١ المجدُ(١) أعطاهُ الإلـهُ إلى الرِّجـالِ المؤمِـنين
٢ إنْ يلْتَقِ العُشْرون بالْمئتَيْـن كَانُـوا غَالِبين
٣ قَدْ قَالَ هَذَا القَوْلَ ربُّ العَرش فى الذِّكْرِ المبين
٤ قَدْ قَرَّر التَّخْفيف مِنْ ضَعْفٍ أصابَ المسْلِمين
٥ الألفُ لِلألفينِ كُفْءٌ إنْ يَكُونُوا صَابِرين
٦ والأسْرُ ليس شريعـةً لِلْأنبيـاءِ السَّابِـقين
٧ لَا تَأْسِرُوهُمْ واقْتُلُوهُمْ وارفُضُوا دُنْيا بِدِين
٨ لَكِنَّ رَبَّ العَرْشِ يَغْفِرُ مَا فَعلتُم جَاهِلين
٩ فكُلُوا حَلَالًا طيبـاً مما غَنِمْتُـمْ أجمعين
١٠ قُلْ لِلأسَارَى يا مُحمَّدُ : أنْ يَكُونوا آمِنين
١١ إنْ يَعْلَمِ المَوْلَى بِهِمْ خَيْراً وَكَانُوا صَادِقِين
١٢ فَلَسَوْفَ يُعْطِيهِمْ جَزِيلًا ذَاكَ رَبُّ العَالمين
١٣ وَإذَا أَرَادُوا لِلْخِيانَةِ فهـو طَبْعُ الخائِـنين
١٤ مِنَ قَبْلُ خَانُوا للإلهْ فَأصْبَحُوا فى الخاسِرِين(٢)

---

(١) المجد - الفخر والذكر الحسن.

(٢) الأبيات من ١ - ١٤ من وحى الآيات ٦٥ - ٧١ سورة الأنفال.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٣٢٧ جـ ٢

يالله !! ما هذا الفضل الذى أعطاه الله للرجال المؤمنين ؟! الرجل المسلم يساوى عشرة رجال مشركين ، بل يرجحهم فى التقويم ، ويغلبهم فى ميدان القتال .. ذلكم هو التقويم الإلهى للإنسان المؤمن قرره فى محكم آياته فقال عز وجل : « ... إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً »(١) .

بعد ذلك أصاب المسلمين الضعف والوهن ، ويواكب القرآن الكريم مسيرة حياتهم خطوة فخطوة ، فيتحسس نفوسهم وهممهم ، فيقرر بشأنهم ما يوائم حالتهم « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين »(٢) .

وتتحدث الآيات عن الأسرى ، وما هو الرأى الأصوب بشأنهم ، فكان القتل هو الأصلح .. بيد أن رسول الله ﷺ لم يكن لديه علم سابق بشأن الأسرى .. إذن فلا حرج عليه فيما صنع .

وكل ما أخذه من فداء الأسرى ، فهو حلال له وللمسلمين .

وتخاطب الآيات رسول الله ﷺ ، أن يعظ المشركين الذين أعطوا الفدية عن أنفسهم ، لا سيما الذين أسلموا منهم بعد ذلك ، بأن الله سوف يعوضهم خيراً مما أخذ منهم ، إن كانوا يضمرون الخير « يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ... الخ »(٣) .

وإن كانوا يضمرون الخيانة والغدر بك يا محمد ، فهم أهل للخيانة ، وقد فعلوها من قبل ، فمكنكم منهم ، فصاروا عبرة لمن يعتبر .

---

(١) آية رقم ٦٥ سورة الأنفال .

(٢) آية رقم ٦٦ سورة الأنفال .

(٣) آية رقم ٧٠ سورة الأنفال .

مقطع رقم ٣٢٨ جـ ٢

تعداد الجيشين والقتلى والأسرى

١ أصحابُ بدْرٍ في الحقِيقةِ هُمْ خِيارُ[(١)] المسْلِمين

٢ قَالَ النبيُّ : فلَنْ يَكُونُوا يوم هَوْلٍ خَائِفِين[(٢)]

٣ قَدْ كانت الأنصَارُ فِيهِمْ دُونَ شَكٍّ أكْثَرِين

٤ المسْلِمُون استُشْهِدُوا في يوم بَدْرٍ صَادِقِين

٥ قد كان فِيهِمْ سِتَّةٌ مِنْ خيرِهِمْ كَمُهَاجِرين

٦ معهم ثمانيةٌ من الأنصَارِ صَارُوا سَابِقِين

٧ صارُوا إلى دَارِ النَّعِيمِ وفي صُفُوفِ الخالِدين

٨ والمشْرِكُونَ أتَوْا لِبدْرٍ للتَّفاخُرِ طَالِبين

٩ تَعْدادُهُمْ قد كانَ ألفاً بِئْسَ جَيْشُ الظَّالمين

١٠ سَبْعُون منهم قُتِّلوا هُمْ من كِبَار المشْرِكين

١١ وكذا الأسَارَى مِثْلُهُمْ[(٣)] بالذل سِيقُوا صاغِرين

١٢ هذا لَعَمْرُ اللهِ نَصْرٌ من إلٰـهِ العالمين

١٣ نَصْرٌ لأهلِ الحَقِّ كانوا لِلإلٰـهِ مُوحِّدِين

١٤ قَدْ تمَّ هذا مُنتهى[(٤)] رمضان شَهْرِ الصَّائِمين

---

(١) خيار المسلمين – بل هم خيار أهل الأرض.

(٢) من وحى قول النبى (ﷺ) لعل الله اطلع على أهل بدر فقال... الخ فى فتح مكة لعمر.

(٣) الأسارى مثلهم – كانوا سبعين أسيراً بعدد القتلى.

(٤) منتهى رمضان – آخر شهر رمضان.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٣٢٨ جـ ٢

المسلمون الذين شهدوا غزوة بدر الكبرى، هم خيار أهل الأرض جميعاً، وبالتالي خيار المسلمين ما فى ذلك من شك.. لقد قال رسول الله ﷺ قولاً فيه دليل على أنهم مغفور لهم.. وذلك فى قصة حاطب بن بلتعة المشهورة لما أرسل كتابا إلى قريش يخبرهم فيه أن رسول الله ﷺ، قد تجهز بجيشه لغزوكم فاحذروا.. وذلك فى فتح مكة.

لقد قال عمر بن الخطاب يومذاك : يا رسول الله دعنى فلأضرب عنقه فإن الرجل قد نافق، فقال رسول الله ﷺ : «وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» ومعروف أن حاطباً كان من أصحاب بدر.. وعدد أصحاب بدر ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا، صمدوا يوم بدر فى مواجهة جيش يفوقهم عدداً وعدة واستعدادا، بل فاقوهم وهزموهم، لقد أحرزوا النصر الذى وعد الله به المؤمنين.

كان الأنصار يشكلون العدد الأكبر من جيش المسلمين يوم بدر، ومن المعلوم أن الذين استشهدوا من المسلمين أربعة عشر رجلًا، منهم ستة مهاجرون، وثمانية من الأنصار.. ذهبوا إلى دار النعيم، شهداء عند ربهم يرزقون.

أما المشركون فإنهم جاءوا لبدر يملؤهم الغرور والعجب بقوتهم وعددهم واستعدادهم، جاءوا رياء وتفاخراً ليصدوا عن سبيل الله من آمن به.. وقد كان عددهم حوالى الألف رجل، قتل من ساداتهم وأشرافهم سبعون، وأسر سبعون أيضاً سيقوا مقيدين بالحبال، يعلوهم الذل والصغار.

هذا بلا شك يعتبر أكبر نصر من الله عز وجل، فى أول لقاء بين فريقى التوحيد والشرك.. نصر من الله لرسوله والمسلمين معه، أولئك الذين يوحدونه ويجاهدون لإعلاء كلمته، وينصرون دينه.

لقد انتهى رسول الله من غزوة بدر فى آخر شهر رمضان.. وهذا الانتهاء على ما أعتقد هو بعودة رسول الله وصحبه إلى المدينة.

مقطع رقم ٣٢٩ جـ ٢

غزوة الكدر بعد غزوة بدر

١ عادَ النبيُّ إلى المدينةِ، عادَ بالنصرِ المبين
٢ والصَّحْبُ كَانُوا حولَهُ مِثْلَ الأسُودِ الكَاسِرِين
٣ إكليلُ (١) غارٍ زَانَ كُلَّ صُدوُرِهِم كَمُقَاتِلِين
٤ نَالُوا بِهَذَا كُلَّ فخرٍ أصبَحُوا فى الخالِدين
٥ مِنْ بَعْدِ أنْ عَادُوا أقامُوا فى المدينةِ هَادِئين
٦ هُمْ لم يُقيموا فى المدِينةِ غَيْرَ سَبْعٍ رَاغِدين (٢)
٧ مِنْ بَعْدِهَا خرجَ الرسولُ لِغزو قوْمٍ آخرين
٨ أنباؤهُمْ وصلتْ إليهِ يُدَبِّرُونَ كَمُعْتَدِين
٩ فى مَوْقع بالكُدْرِ (٣) كَانُوا لِلْقتالِ مُجمَّعين
١٠ المصْطَفَى مع صَحْبِهِ قَدْ فَاجَأوهُمْ مُصْبِحِين
١١ لَكِنهُمْ كَانُوا جميعاً لِلْمَنَازِلِ تَارِكِين
١٢ ولقد أقامَ المسلمون بها ثَلَاثاً (٤) كَامِلين
١٣ لَمْ يَلْتقُوا فيها بأعْدَاء وَعَادُوا سالمين
١٤ من بَعْدِ عودتِهِمْ لِيثرِبَ فُكَّ أسْرُ المعْدِمين
١٥ وأقَامَ شَوَّالًا وَشَهْراً بعدهُ لِلْحَاسِبِين
١٦ كى يَسْتريحوا من عناء الغزوِ والسفرِ المهين

---

(١) إكليل غار – هو وسام الانتصار.

(٢) غير سبع راغدين – سبعة أيام فى هدوء وطمأنينة

(٣) بالكدر – اسم مكان تجمع فيه الأعداء.

(٤) ثلاثاً كاملين – ثلاثة أيام كاملة.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٣٢٩ جـ ٢

لما عاد رسول الله ﷺ من بدر وأصحابه معه، قد كان يزين صدورهم إكليل غار، وذلك بما أحرزوه من نصر ساحق على أعداء الله وأعداء دينه ورسوله والمسلمين.

كانوا يحيطون برسول الله كالأسود، يفدونه بأرواحهم.. ومن ثم فقد نالوا كل فخر بإيمانهم وتفانيهم فى طاعة الله وطاعة رسوله، فخلد ذكرهم فى التاريخ.

لم يمكث رسول الله ﷺ، فى المدينة بعد عودته من بدر سوى سبع ليال.. التقطوا خلالها أنفاسهم، بعد الإرهاق الذى أصابهم فى بدر، والذهاب إليها والعودة منها.

«بعد الليالى السبع نادى رسول الله ﷺ للخروج إلى غزو قوم آخرين.. هم بنو سليم وغطفان بقرقرة الكدر.. ذلك لأنهم يريدون الإغارة على المدينة، كما جاء الخبر بهذا إلى رسول الله ﷺ.

وقرقرة الكدر، أرض ملساء، فيها طيور فى ألوانها كدرة، عرف بها ذلك الموضع، ويقال هناك ماء يسمى بهذا الاسم.. فخرج رسول الله فى مائتى راكب من المسلمين، وحمل لواءه على بن أبى طالب، فلما وصل رسول الله إلى ذاك الموضع، لم يجد به أحداً.. فأقام هناك ثلاثة أيام، ثم عاد بعدها إذ لم يَلْقَ كيداً»[(١)].

من بعد عودة رسول الله إلى المدينة، فك بقية الأسرى الذين كانوا لا يزالون موجودين لدى المسلمين، لعجزهم عن أداء الفدية، وأقام رسول الله بعدها شهرين فى المدينة.. هما شوال وذو القعدة، فاستراح وأصحابه من عناء الغزو ومشقة الأسفار.

---

(١) السيرة الحلبية صفحة ٤٨٠ جـ ٢.

مقطع رقم ٣٣٠ جـ ٢
غزوة السُّويق وما بعدها

١ شَعَرَتْ قُرَيْشٌ بَعْدَ بدْرٍ بالمذلّةِ والخبال[١]
٢ يَنْعُونَ[٢] قَتْلَاهُمْ بِبَدْرٍ مِنْ صَنَادِيدِ الرِّجَال
٣ هَذَا أَبُو سُفْيَانَ صَاحِبُ رَأْيِهِمْ عِنْدَ القِتَال
٤ مِنْ غَيْظِهِ قَدْ أقسَمَ الأيمانَ مُغلظَةً وَقَال
٥ نذْرٌ عليّ فَلَنْ أَمَسَّ الماءَ مِنْ أجلِ اغتسال
٦ حَتَّى أُصيبَ محمداً فى ذارِهِ رَغْمَ[٣] المحال
٧ يختارُ مِئتى فَارِسٍ مِنْ خَيْرِ فِرْسَانِ النِّضَال
٨ حَتَّى يوفّى نَذْرَهُ، ويظلُّ من أَهْلِ[٤] الجلَال
٩ فأتى يهودَ بنى النضير، زعيمهُمْ رأسُ الضَّلال
١٠ أعطاهُ أخباراً تفيدُ، وكانَ بَعْدَ الاحتفال[٥]
١١ جَاءُوا على وَادِى [العرِيض] بقُرْبِ يَثْرب بانسِلال[٦]
١٢ قَتَلُوا بِهِ رَجُلَيْنِ، أيضا أَحْرَقُوا بعض النَّخَال
١٣ لحِقَ الرَّسُولُ بهم، فَوَلَّوْا هَارِبِينَ إلى الجِبال
١٤ أَلْقَوْا بأزواد السُّوَيْق تخفُّفاً فى الارتحال[٧]
١٥ هى غَزْوةٌ حُسِبَتْ لأصحابِ النبىِّ بِلَا جِدَال
١٦ مِنْ بَعْدِهَا قامَ النبىُّ بِغَزْوَتَيْنِ بِلَا نِزَال

---

(١) بالمذلة والخبال – بالذل من عار الهزيمة وعدم التفكير السليم.
(٢) ينعون قتلاهم ببدر – يذكرون قتلاهم بكل ألم وأسف.
(٣) رغم المحال – مهما كانت النتيجة.
(٤) ويظل من أهل الجلال – يظل بهيبته بين قومه.
(٥) بعد الاحتفال – بعد أن قراه واحتفل بضيافته.
(٦) بانسلال – خلسة.
(٧) تخففاً فى ارتحال – ليستطيعوا الهرب.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٣٣٠ جـ ٢

بعد غزوة بدر الكبرى، شعرت قريش بالمذلة والهوان وأصابهم الخزى والعار، فالذى أصابهم ببدر لم يكونوا يتوقعونه مطلقاً، لقد كان شيئاً فظيعاً .. وكيف لا، فهو قتلى من الأشراف وأسرى من السادة، وهزيمة وخسائر.

صاروا يذكرون بدراً، والآلام والحسرات تعتصر قلوبهم، كلهم فى هذا سواء.. صغاراً وكباراً، رجالًا ونساء.. ومن ثم فهم قد ظلوا ذاكرين لتلك المعركة التى أذلتهم وقضت على كبريائهم، ومسخت عظمتهم المزعومة.. إنهم يذكرونها ولا ينسونها، وفى نفس الوقت يعدون العدة للثأر من محمد ﷺ وأصحابه، مهما كلفهم ذلك من تضحيات.

ولذا، فهذا شيخهم أبو سفيان، يقسم بأغلظ الأيمان أنه لن يغتسل من جنابة، قبل أن يأخذ الثأر من المسلمين.

وفعلًا لقد اختار مائتى فارس، من خيرة فرسان مكة، وخرج بهم متوجها نحو المدينة، عساه أن يصيب من محمد والمسلمين غرة.

حينئذ يكون قد وفى نذره هذا من ناحية، ويحفظ مكانته بين قريش كقائد وصاحب رأى وفكر معاً، من ناحية أخرى.

جاء أبو سفيان إلى يهود بنى النضير، فاستقبله زعيمهم، سلام بن مشكم، وقراه وأنزله فى داره، وأمده بأخبار لم يكن يعرفها من قبل.

أرسل أبو سفيان بعض رجاله إلى ناحية يقال لها العريض، فخرقوا فى أصوار من نخل(١)، ووجدوا رجلًا من الأنصار فقتلوه وقتلوا معه حليفه ثم ولوا هاربين، خرج رسول الله فى طلبهم، فألقوا ما معهم من أزواد تخففاً للهرب.

(١) أصوار من نخل - هى الجماعة من النخل.

مقطع رقم ٣٣١ جـ ٢
غـــزوة ذى أمـــر

١ عَرَبُ الجزيرةِ مَنْ أبى(١) الإسلامَ ظَلُّوا مُشْرِكين
٢ هُمْ يُضْمِرُون وَيُظْهِرُون عَدَاءَ خَيْرِ العَالمِين
٣ البعْضُ مِنْهُمْ جمَعوا لِقتَال خَيْرِ المُرْسَلِين
٤ ذاكُم بنو غطفَانَ قد كَانُوا بحَقٍّ حَاقِدِيـن
٥ عَلِمَ الرَّسُولُ بجَمْعِهِمْ نَادَى الرِّجَالَ المؤْمِنين(٢)
٦ هَيَّا لِتَأْدِيبِ الذِيـنَ تجَمَّعُـوا مُتَـآمِرِيـن
٧ خَرَجُوا وكانَ الوقْتُ فى شَهْرِ الرَّبيع الأَوَّلين
٨ يَوْمَ الخَمِيسِ خُرُوجُهُمْ والقَائِدُ الهادِى الأَمِين
٩ عُثْمانُ(٣) ظَلَّ على المدينةِ وَالِياً لِلْمُسْلِمِين
١٠ كَانُوا مِئَاتٍ أَرْبَعٍ مَعَ خَمْسِيمِئةٍ كَامِلين
١١ وَصَلُوا مَكَانَ تجمُّع الأعرابِ بَاكِرَ مُصْبِحِين
١٢ وَجَدُوا بُيُوتَ القَوْم خَاوِيةً مِنْ المتجمِّعِين
١٣ قَدْ فَرَّ جُنْدُ الشَّرِّ من جُنْدِ الإلهِ المخلِصِين
١٤ فَرُّوا إلى شَعَفِ(٤) الجِبَالِ غَدَوْا بِهَا مُتَحصِّنِين
١٥ المصْطَفَى والصَّحْبُ عندَ الماءِ(٥) صَارُوا نَازِلِين

---

(١) من أبى الإسلام – الذين لم يسلموا.

(٢) نادى الرجال المؤمنين – نادى فى أصحابه للخروج لغزو بنى غطفان.

(٣) عثمان – هو عثمان بن عفان رضى الله عنه.

(٤) شعف الجبال – رءوس الجبال.

(٥) عند الماء – ماء هناك يسمى «ذو أمر».

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ۳۳۱ جـ ۲

من المعلوم أن رسول الله ﷺ، دعا الناس فى الجزيرة العربية كلها إلى الإسلام.. فمنهم من أجاب راضياً، فأصبح واحداً من أصحاب رسول الله ﷺ.. ومنهم من أبى الإسلام عناداً واستكباراً أو جهلاً.

أما الذين أسلموا، فصاروا دعاة للإسلام، يجاهدون فى سبيل الله، ويقاتلون أعداءه لإعلان كلمته.. وأما الذين أبوا، فلم يكتفوا بذلك، بل رفعوا شعار العداء للإسلام والمسلمين، كل منهم على قدر طاقته، أفراداً وجماعات.

من هؤلاء الرافضين، فريق من بنى ثعلبة من غطفان، جمعوا بعضهم هنالك عند ماء يسمى – ذو أمر – يريدون حرب رسول الله ﷺ(١).

علم رسول الله ﷺ بجمعهم والاستعداد لقتاله، فنادى فى أصحابه أن تهيأوا للخروج لتأديب أولئك الذين تجمعوا لقتالنا، ولنفجأهم فى عقر دارهم ليكونوا عبرة لكل من يفكر هذا التفكير من العرب جميعاً، وغير العرب أيضاً.

فوراً تنادى المسلمون وتجمعوا كأمر رسول الله ﷺ، ثم خرجوا بقيادة رسول الله، متجهين صوب ذى أمر، وقد كان خروجهم يوم الخميس لثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، سنة ثلاث من الهجرة.. واستعمل عثمان بن عفان رضي الله عنه والياً على المدينة مدة غيابه ﷺ.

كان عدد المسلمين أربعمائة وخمسين مقاتلاً من خيار المسلمين.. فواصلوا المسير حتى وصلوا مكان تجمع القوم، بيد أنهم لم يجدوا أحداً هنالك.. لقد فروا هرباً لما سمعوا بمقدم رسول الله ﷺ إليهم.. وقد تركوا بيوتهم خاوية.

لقد ركبوا رءوس الجبال، وتحصنوا فيها خوفاً ورعباً.. ونزل رسول الله ﷺ والمسلمون عند ماء ذى أمر.

---

(١) أول الجزء الثالث من السيرة النبوية لابن كثير عن الواقدى.. بتصرف.

مقطع رقم ٣٣٢ جـ ٢

غورث يريد قتل رسول الله

١ نَزَلُوا بذى أمرِ النَّبِيُّ وَصَحْبُهُ مُتَكَامِلِين
٢ أمَّا السَّمَاءُ فأمطَرتْ إذْ بَلَّلتهُمْ أجْمعِين
٣ كَانتْ هُنَاكَ شُجَيْرَةٌ فى ظِلِّهَا نزلَ الأمِين
٤ نَشَرَ الرَّسُولُ ثِيَابَهُ كَيْمَا تجفَّ وَيَستكِين [١]
٥ أعداؤه كَانُوا على بُعْدٍ جَمِيعاً ناظِرين [٢]
٦ قَدْ كَانَ مِنْهُم غورثٌ [٣] ذُو العَزْمِ والقَلْبِ المتِين
٧ أصحابُهُ قَالُوا له : ذَاكُمْ هُوَ الخصْمُ المبين
٨ قد صارَ مَعْزُولًا عن الأصْحَابِ، صَارُوا غَافِلين [٤]
٩ هيَّا أرِحْنَا مِنْهُ، فهو عدوٌ كُلِّ الرَّافِضِين [٥]
١٠ فَوْراً تَوَجَّهَ غورثٌ متسلِّلًا كَالغَادِرِين
١١ قَدْ كانَ يَبْغِى قَتْلَ خَيْرِ الخلْقِ غَدْراً إذْ يُهين
١٢ السَّيفُ فى يدِ غورثٍ يَعْرُوهُ [٦] ظَنُّ الوَاهِمين
١٣ لم يَدْرِ أن محمداً يَرْعَاهُ رَبُّ العَالمين
١٤ اللهُ حَافِظُهُ مِنَ الأوغَادِ والمتَرَبِّصِين

---

(١) ويستكين – يستريح.

(٢) ناظرين – كان المشركون ينظرون من بعيد.

(٣) غورث – هو رجل مشهور بالقوة فيهم.

(٤) صاروا غافلين – أصحابه غافلون عنه.

(٥) عدو كل الرافضين – الذين رفضوا الدخول فى الإسلام.

(٦) يعروه ظن الواهمين – تراوده الظنون بالنجاح فى مهمته.

المعنى الإجمالي للمقطع رقم ٣٣٢ جـ ٢

كما قدمنا، فإن رسول الله ﷺ وصحبه، لما وصلوا ذى أمر لم يجدوا أحداً فى محلة القوم الذين كانوا متجمعين لقتال رسول الله ﷺ والمسلمين، فمن ثَمَّ نزلوا عند الماء هناك.

يومها أمطرت السماء مطراً غزيراً، بحيث لم يترك شيئاً جافاً، لقد ابتلت الأمتعة والملابس.. وأوى رسول الله ﷺ إلى شجرة فجلس تحتها ليستريح، وقد نشر ثيابه لكى تجف لأنها ابتلت من المطر.

بينما كان رسول الله ﷺ يجلس تحت الشجرة، ناشراً ثيابه، مبتعداً عن أصحابه قليلاً، كان المشركون ينظرون من بُعد، فرأوا رسول الله ﷺ، منعزلاً عن أصحابه، بحيث يمكن اغتياله.

كان فى القوم رجل اسمه غورث، كان معروفاً بالقوة والشجاعة وشدة البأس، فقالوا له : يا غورث، هذه فرصة لن تعوض، قال : وماذاك ؟! قالوا : ألا ترى ذاك الجالس تحت الشجرة ناشراً ثيابه يجففها ؟! قال : نعم فمن هو ذاك ؟! قالوا : ذاك محمد، هو قائد الجيش الذى تراه جاءنا غازيا، فعليك به إنه عدونا، بل عدو العرب جميعاً.. وتالله لئن قتلته، لتفوزن بالفخر ما حييت، فهيا أرحنا منه يا غورث، فأنت المعروف فينا بالقوة والجرءة والإقدام.

فامتلأ غورث من ثناء القوم عليه، فأخذ بسيفه، وتوجه فوراً متسللاً نحو رسول الله ﷺ، يريد قتله غيلة وغدراً.

قد كانت الآمال تراود غورث بالنجاح فى مهمته تلك.. ولا يدرى ماذا كانت الأقدار تخبئه له.. وفى نفس الوقت لا يعلم أن رسول الله ﷺ فى حماية مولاه الذى اختاره لرسالته الخالدة.

* * * * *

مقطع رقم ٣٣٣ جـ ٢

رسول الله يعفو عن غورث

١ وصلَ المهاجِمُ[1] لِلنبِىِّ بِخفَّةِ المتسلِّلين
٢ قد هَزَّ سَيْفَ الغدْرِ فى يَدِهِ وقال إلى الأمِين
٣ هَيَّا، فمنْ يُنْجِيكَ مِنِّى؟! لا تَكُنْ فى الوَاهِمين
٤ فأجابهُ الهادِى وقال : اللهُ ربُّ العَالمين
٥ جبريلُ يَرْكُلُهُ ترنَّحَ لَمْ يَعُدْ فى الراشِدِين[2]
٦ السيفُ يسقطُ منه يأخذهُ إمامُ المرْسَلِين
٧ قال الرسولُ لَهُ : فَمَنْ يُنْجِيكَ؟! قُلْ لى عَنْ يَقِين
٨ فأجابَ غورثُ قائلًا : لَا ليسَ لِي نَاصِرين[3]
٩ قال النبىُّ : عفوتُ عَنْكَ، فهاك عفو القادِرين
١٠ قَدْ صَارَ غَوْرثُ مُسْلِماً إذ شاهدَ النُّورَ المبِين
١١ قال النبىُّ: فَهَاكَ سَيْفكَ، عُدْ مَعَادَ الآمِنين
١٢ قد جاءَ غورث صَحْبَهُ لامُوهُ لَوْمَ السَّاخرين
١٣ لَكِنَّ غورث قال : يَا قَوْمِ اسمَعُونى أجمَعِين
١٤ أسلمتُ مما قَدْ رأيتُ[4] وإننى فى الصَّادقين
١٥ مِنْ ثَمَّ قالَ اللهُ لِلْهادِى إمامِ المتَّقِين
١٦ اذكر لِنِعْمَةِ مَنْ حماكَ مِن البُغَاةِ المعْتَدِين

---

(١) المهاجم – هو غورث المذكور فى المقطع السابق.

(٢) لم يعد فى الراشدين – فقد رشده وقوته.

(٣) ليس لى من ناصرين – لا أحد يمنعنى منك.

(٤) مما قد رأيت – لقد رأى جبريل حين دفعه.

المعنى الإجمالى للمقطع رقم ٣٣٣ جـ ٢

لقد تسلل غورث - كما قدمنا - يريد قتل رسول الله ﷺ غيلة وغدراً.. وقد وصل غورث فعلاً رسول الله، جاءه من خلفه، فوقف على رأسه والسيف فى يده مسلول.. فقال لرسول الله ﷺ : يا محمد، من ينجيك منى؟! فأنت الآن فى يدى وتحت رحمتى، أفعل بك ما أشاء.. فأجابه رسول الله ﷺ قائلاً : الله.

يالله!! إنها الشجاعة المطلقة، والثقة المطلقة بالله أيضاً.. لقد أجابه رسول الله إجابة الذى يعلم أن الله لن يسلط عليه أحداً مثل هذا.. ذلك لأنه صاحب الرسالة الخاتمة، ولسوف يعصمه الله من كل عدوان عليه حتى يبلغ دين الله إلى الناس كافة.

وبينما كان غورث يستمع إجابة رسول الله، منتظراً الاستسلام أو طلب العفو عنه، إذا إجابته إجابة من لا يخاف شيئاً، ولا يروعه شيء أيضاً.. فى هذه الأثناء، جاء جبريل عليه السلام، فدفع فى صدر غورث فوقع السيف من يده.

فوراً تناول رسول الله ﷺ السيف الذى وقع من يد غورث، والذى كان قبل لحظات يهزه متوعداً رسول الله ﷺ بالقتل.. يالله!! لقد صار السيف فى يد رسول الله ﷺ، فهزه وقال : ياغورث، «من يمنعك منى؟! قال : لا أحد، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والله لا أكثر عليك جمعاً أبداً، فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه.. وقال له : عد راشداً آمنا[1].

فلما رجع غورث إلى أصحابه قالوا له : ويلك مالك؟! فقال : نظرت إلى رجل فدفع فى صدرى، فوقعت لظهرى، فعرفت أنه ملك.. فأسلمت لله.. ونزل فى ذلك قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هَمَّ قومٌ أن يبسطوا إليكم أيديهم فكفَّ أيديهم عنكم... الخ» الآية ١١ سورة المائدة.

---

(١) المرجع السابق بتصرف.

الفهرس

فهرس الكتاب

مرحلة جديدة في عمر الدعوة الإسلامية

اليهود ومؤامراتهم وشائعاتهم

رسول الله يرسل سراياه

ظهور النفاق في المدينة

الانتصار العظيم

الأنفال

مفاهيم من بدر

أبو العاص مع رسول الله
هجرة زينب رسول الله
غزوة بدر فى سورة الأنفال

رقم الايداع: ٨٥/٥٧٣٠

الترقيم الدولى: ٣ - ١ - ٠٠ - ٤٠٠ - ٩٧٧

مطابع المختار الاسلامى

